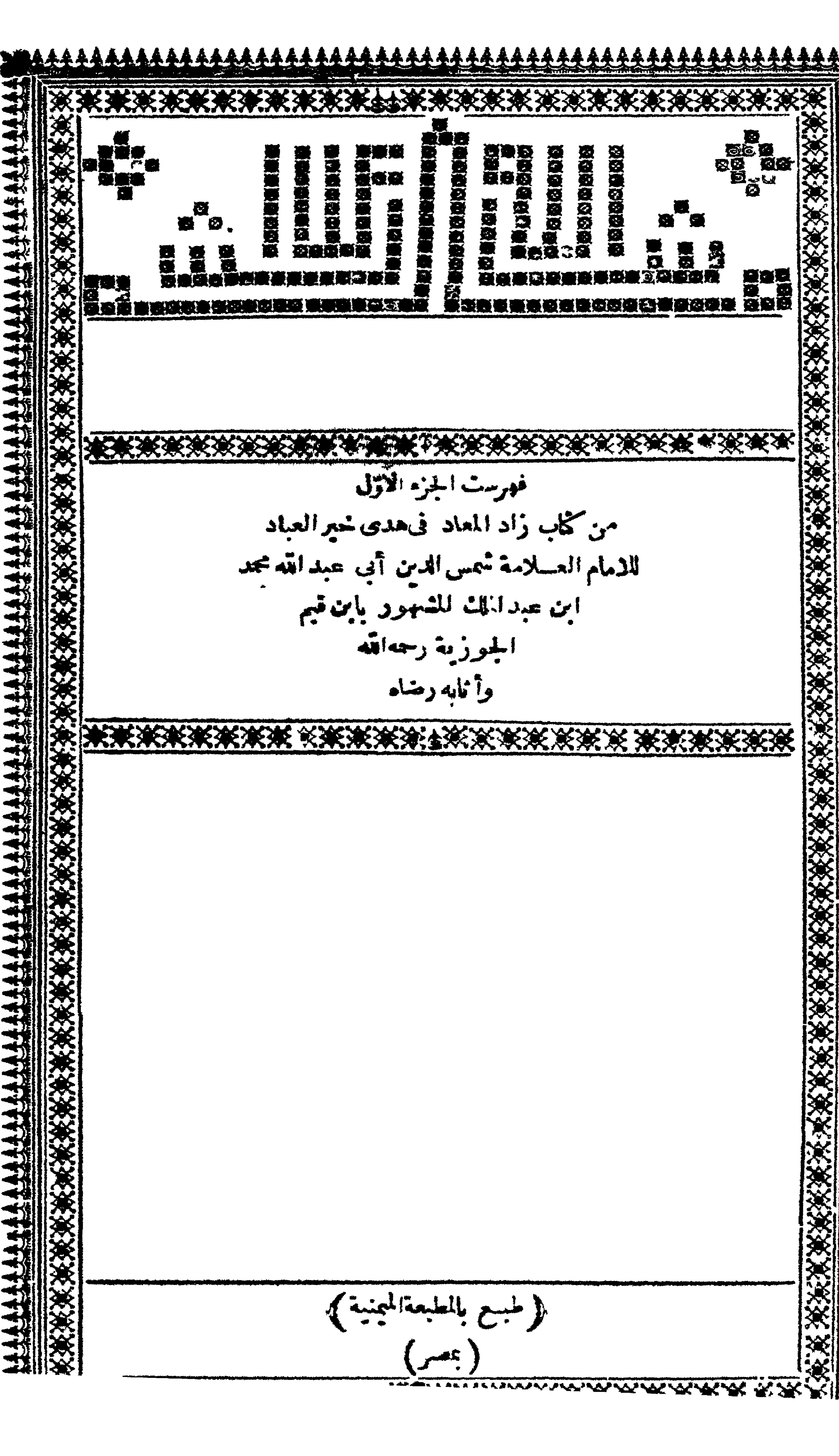
((فهرست الجزء الاول من سيرة الامام ابن هشام الموضوع بهامش الجزء الاول من زاد المعاد))

(تمت)



فهرست الجزء الأوّل

من كتاب زاد المعاد فى هدى خير العباد

للإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد

ابن عبد الملك المشهور بابن قيم

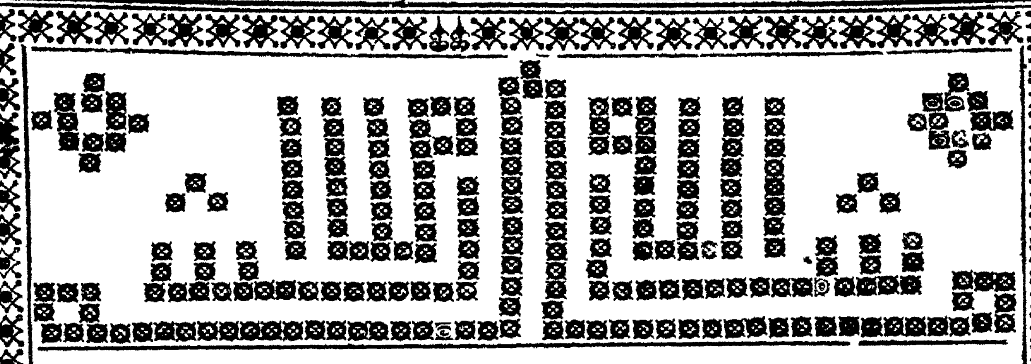
الجوزية رحمه الله

وأثابه رضاه

(طبع بالمطبعة الميمنية)

(بمصر)

﴿فهرست الجزء الاول من كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد﴾



الجزء الاول

من زاد المعاد فى هدى خير العباد
للعلامة الهمام شيخ الاسلام قدوة العلماء الاعلام
نخبة الفضلاء الكرام الكاشف لسير سيد المرسلين الواقف على سنن
خاتم النبيين مادة علوم الدين منبع روح الحق واليقين الشيخ
العلامة الحافظ شمس الدين أبى عبد الله الدمشقى
الحنبلى المعروف بابن القيم الجوزى ولد سنة احدى
وتسعين وستمائة وتوفى سنة احدى وخمسين
وسبعمائة رحمه الله تعالى الى يوم
الدين وبوأه أعلى عليين
بحرمة نبيه
الامين

(وبهامشه الجزء الاول من سيرة الشيخ الامام أبى محمد عبد الملك بن هشام
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين)

وقد التزم طبعه لاجل تعميم نفعه خدمة للعلم والعلماء حضرة المولوى الشيخ محمد بن
غلام رسول السورتى تاجر الكتب فى بومبى جعل الله تجارته رابحة غير خاسره ودنياه
متصلة بسعادة الآخره

وقد قوبلت عند الطبع نسخة زاد المعاد على نسخة بالكتبخانة الخديوية المصرية
وقف السلطان الاشرف

(طبع بالمطبعة الميمنية)

(بمصر)

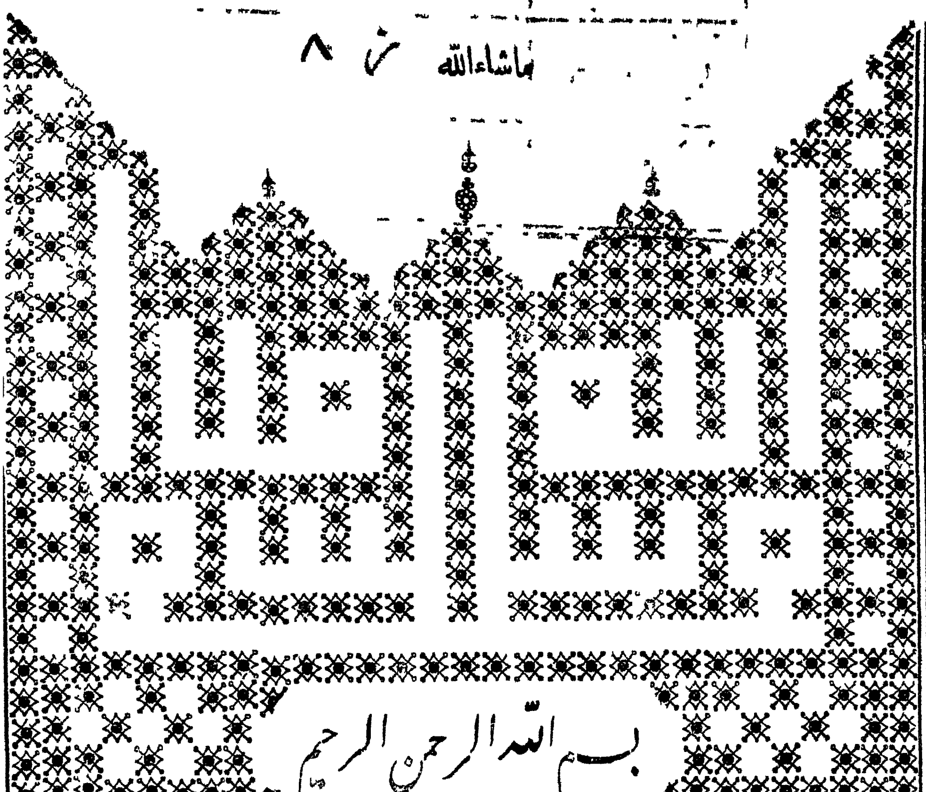
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين)

(ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام)

(قال) أبو محمد عبد الملك بن هشام هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة ابن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة واسم مدركة عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح ابن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون والله أعلم وكان أول بني ادم اعطى النبوة وخط بالقلم ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش ابن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله

اعلم أن هذه الاسماء من بعد عدنان وقع اختلاف كثير في ضبطها وعدها ولذلك قال في المواهب اللدنية فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء اهـ



رب يسر وأعن يا كريم وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آله الاكرمين الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ولا اله الا أنت اله الاولين والآخرين وقيوم السموات والارضين ومالك يوم الدين الذي لا فوز الا في طاعته ولا عز الا في التذلل لعظمته ولا غنى الا في الافتقار الى رحمته ولا هدى الا في الاستدلال بنوره ولا حياة الا في رضاه ولا نعيم الا في قربه ولا صلاح للقلب ولا فلاح الا في الاخلاص له وتوحيد حبه الذي اذا أطيع شكر واذا عصي تاب وغفر واذا دعي أجاب واذا عومل أثاب والحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته وأقرت له بالالهية جميع مصنوعاته وأشهد بأنه الله الذي لا اله الا هو بما أودعها من عجائب صنعته وبدائع آياته وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ولا اله الا الله وحده لا شريك له في الهيته كما لا وزير له في ربوبيته ولا شبيه له في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وسبحان من سبحت له السموات وأملاكها والنجوم وأفلاكها والارض وسكانها والبحار وحيتانها والنجوم والجبال والشجر والدواب والآكام والرمال وكل رطب ويابس وكل حي وميت تسبح له السموات السبع ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الارض والسموات وخلقت لاجلها جميع المخلوقات وبها أرسل الله رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه ولاجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وبها تقاسمت الخليقة الى المؤمنين والكفار والابرار والفجار فهي منشأ الخلق والامر والثواب والعقاب وهي الحق الذي خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ولاجلها جردت سيوف الجهاد وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة

الاسلام

البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام وما فيه من حديث ادريس وغيره (قال ابن هشام) وحدثني خلاد ابن قرة بن خالد السدوسي عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة انه قال اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن استرغ بن ارغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك ابن متوشلخ بن اهنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث ابن آدم صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وأنا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسمعيل بن ابراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لاصلابهم الاول فالاول من اسمعيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسمعيل على هذه الجهة للاختصار الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتارك بعض ماذكره ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شئ وليس سببا لشئ من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر احدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ومستقص ان شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به

(سياقة النسب من ولد اسمعيل عليه السلام) (قال ابن هشام) حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال ولد اسمعيل

الاسلام ومفتاح دار السلام وعنها يسأل الاولون والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين فجواب الاولى بتحقيق لا اله الا الله معرفة واقرارا وعملا وجواب الثانية بتحقيق ان محمدا رسول الله معرفة واقرارا وانقيادا وطاعة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وسفيره بينه وبين عباده المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم أرسله الله رحمة للعالمين واماما للمتقين وحجة على الخلائق أجمعين أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به الى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته والقيام بحقوقه وسد دون جنته الطرق فلم تفتح لاحد الامن طريقه فشرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ففي المسند من حديث أبي منيب الجرشي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم وكما ان الذلة مضروبة على من خالف أمره فالعز لاهل طاعته ومتابعته قال الله سبحانه ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم وقال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا يحتاجون معه الى أحد وهنا تقديران أحدهما أن تكون الواو عاطفة لمن على الكاف المجرورة ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار على المذهب المختار وشواهده كثيرة وشبه المنع منه واهية والثاني ان تكون الواو واو مع وتكون من في محل نصب عطفا على الموضع فان حسبك في معنى كافيك أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك كما تقول العرب حسبك وزيدا درهم قال الشاعر

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا * فحسبك والضحاك سيف مهند

وهذا أصح التقديرين وفيها تقدير ثالث ان تكون من في موضع رفع بالابتداء أي ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله وفيها تقدير رابع وهو خطأ من جهة المعنى وهو ان يكون من في موضع رفع عطفا على اسم الله ويكون المعنى حسبك الله واتباعك وهذا وان قال به بعض الناس فهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله فاذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله الله وأتباعك حسبك وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ونظير هذا قوله تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فتأمل كيف جعل الايتاء لله ولرسوله كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وجعل الحسب له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعله خالص حقه كما قال تعالى انا الى الله راغبون ولم يقل والى رسوله بل جعل الرغبة اليه وحده كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فالرغبة والتوكل والانابة والحسب لله وحده كما ان العبادة والتقوى والسجود لله وحده والنذر والحلف لا يكون الا له سبحانه وتعالى ونظير هذا قوله تعالى أليس الله بكاف عبده فالحسب هو الكافي فأخبر سبحانه وتعالى انه وحده كاف عبده فكيف

يجعل اتباعه مع الله في هذه الكفاية والادلة الدالة على بطلان هذا التأويل الفاسد أكثر من ان تذكر ههنا والمقصود ان بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة كما ان بحسب متابعته تكون الهداية والصلاح والنجاح فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته وجعل شقاوة الدارين في مخالفته فلاتباعه الهدى والامن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة وقد أقسم صلى الله عليه وسلم بأن لا يؤمن أحد حتى يكون هو أحب اليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره ثم يرضى بحكمه ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به ثم يسلم له تسليما وينقاد له انقيادا وقال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله فليس لمؤمن أن يختار شيأ بعد أمره صلى الله عليه وسلم بل اذا أمر فأمره حتم وانما الخيرة في قول غيره اذا خفي أمره وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع لا واجب الاتباع فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه بل غايته انه يسوغ له اتباعه ولو ترك الاخذ بقول غيره لم يكن عاصيا لله ورسوله فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه ويحرم عليهم مخالفته ويجب عليهم ترك كل قول لقوله فلا حكم لاحد معه ولا قول لاحد معه كما لا تشريع لاحد معه وكل من سواه فانما يجب اتباعه على قوله اذا أمر بما أمر به ونهى عما نهى عنه فكان مبلغا محضا ومخبرا لا منشئا ومؤسسا فمن أنشأ أقوالا وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الامة اتباعها ولا التحاكم اليها حتى تعرض على ما جاء به فان طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ وان خالفته وجب ردها واطراحها وان لم يتبين فيها أحد الامرين جعلت موقوفة وكان أحسن أحوالها ان يجوز الحكم والافتاء بها وتركه واما انه يجب ويتعين فكلا ولما وبعد فان الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات قال الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس المراد ههنا بالاختيار الارادة التي يشير اليها المتكلمون بأنه الفاعل المختار وهو سبحانه كذلك ولكن ليس المراد بالاختيار هنا هذا المعنى وهذا الاختيار داخل في قوله يخلق ما يشاء فان المشيئة هي الاختيار وانما المراد بالاختيار ههنا الاجتباء والاصطفاء فهو اختيار بعد الخلق والاختيار العام اختيار قبل الخلق فهو أعم وأسبق وهذا أخص وهو متأخر فهو اختيار من الخلق والاول اختيار للخلق وأصح القولين ان الوقف التام على قوله تعالى ويختار ويكون ما كان لهم الخيرة نفيا أي ليس هذا الاختيار اليهم بل هو الى الخالق وحده فكما هو المتفرد بالخلق فهو المتفرد بالاختيار منه فليس لاحد أن يخلق ولا يختار سواه فانه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ومحال رضاه وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه وذهب بعض من لا تحقيق عنده ولا تحصيل الى ان ما في قوله تعالى ما كان لهم الخيرة موصولة وهي مفعول ويختار أي ويختار الذي لهم الخيرة وهذا باطل من وجوه أحدها أن الصلة حينئذ تخلو من العائد لان الخيرة مرفوع بانه اسم كان ولهم خبره فيصير المعنى ويختار الذي كان الخيرة لهم وهذا التركيب محال من القول فان قيل يمكن تصحيحه بأن يكون العائد محذوفا ويكون التقدير ويختار الذي كان لهم الخيرة فيه أي ويختار الامر الذي كان لهم الخيرة في اختياره قيل هذا يفسد من وجه آخر وهو ان هذا ليس من المواضع التي يجوز فيها حذف العائد فانه انما يحذف مجرورا اذا جر بحرف جر الموصول بمثله مع اتحاد المعنى نحو قوله تعالى يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ونظائره ولا يجوز ان يقال جاءني الذي مررت به ورأيت الذي رغبت ونحوه الثاني انه لو أريد هذا المعنى لنصب الخيرة وشغل فعل الصلة بضمير يعود على الموصول فكأنه يقول

ويختار

ابن ابراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلا نابتا وكان أكبرهم وقيذر وأذبل ومنشا ومسمع وماشى ودما وأذر وطيما ونطورا ونبش وقيذما وامهم بنت مضاض ابن عمرو الجرهمي (قال ابن هشام) ويقال مضاض وجرهم ابن قحطان وقحطان أبو اليمن كلها واليه يجتمع نسبها ابن عابر بن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح * قال ابن اسحق جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ وقحطان بن عيبر بن شالخ * قال ابن اسحق وكان عمر اسمعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ودفن في الحجر مع أمه هاجر رحمهما الله تعالى (قال ابن هشام) يقول العرب هاجر وآجر فيبدلون الالف من الهاء كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغيره وهاجر من أهل مصر (قال ابن هشام) ثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة عن عمر مولى غفرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله الله في أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة نسبهم أن ام اسمعيل النبي صلى الله عليه وسلم منهم وصهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسرر فيهم قال ابن لهيعة أم اسمعيل هاجر أم العرب من قرية كانت امام الفرما من مصر وأم ابراهيم مارية سرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أهداها له المقوقس من حفن من كورة انصنا * قال ابن اسحق حدثني محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ان عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك الانصاري ثم السلمي حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقلت لمحمد بن مسلم

ويختار ما كان لهم الخيرة أي الذي كان هو عين الخيرة لهم وهذا لم يقرأ به أحد ألبتة مع انه كان وجه الكلام على هذا التقدير الثالث ان الله سبحانه يحكى عن الكفار اقتراحهم في الاختيار وارادتهم ان تكون الخيرة لهم ثم ينفى هذا سبحانه عنهم ويبين تفرده بالاختيار كما قال تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون فأنكر عليهم سبحانه تخيرهم عليه وأخبر أن ذلك ليس اليهم بل الى الذي قسم بينهم معايشهم المتضمنة لارزاقهم ومدد آجالهم وكذلك هو الذي يقسم فضله بين أهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار ومن يصلح له ممن لا يصلح وهو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات وقسم بينهم معايشهم ودرجات التفضيل فهو القاسم ذلك وحده لا غيره وهكذا هذه الآية بين فيها انفراده بالخلق والاختيار فانه سبحانه أعلم بمواقع اختياره كما قال تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته أي الله أعلم بالمحل الذي يصلح لاصطفائه وكرامته وتخصيصه بالرسالة والنبوة دون غيره الرابع انه نزه نفسه سبحانه عما اقتضاه شركهم من اقتراحهم واختيارهم فقال ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ولم يكن شركهم مقتضيا لاثبات خالق سواه حتى نزه نفسه عنه فتأمله فانه في غاية اللطف الخامس ان هذا نظير قوله تعالى في الحج ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز ثم قال الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور وهذا نظير قوله في القصص وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ونظير قوله في الانعام الله أعلم حيث يجعل رسالته فأخبر في ذلك كله عن علمه المتضمن لتخصيصه محال اختياره بما خصصها به لعلمه بأنها تصلح له دون غيرها فتدبر السياق في هذه الآيات تجده متضمنا لهذا المعنى دائرا عليه والله أعلم السادس ان هذه الآية مذكورة عقيب قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار فكما خلقهم وحده سبحانه اختار منهم من تاب وآمن وعمل صالحا فكانوا صفوته من عباده وخيرته من خلقه وكان هذا الاختيار راجعا الى حكمته وعلمه سبحانه لمن هو أهل له لا الى اختيار هؤلاء المشركين واقتراحهم فسبحان الله وتعالى عما يشركون

(فصل) واذا تأملت أحوال هذا الخلق رأيت هذا الاختيار والتخصيص فيه دالا على ربوبيته تعالى ووحدانيته وكمال حكمته وعلمه وقدرته وانه الله الذي لا اله الا هو فلا شريك له يخلق كخلقه ويختار كاختياره ويدبر كتدبيره فهذا الاختيار والتدبير والتخصيص المشهود أثره في هذا العالم من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهد وحدانيته وصفات كماله وصدق رسله فنشير منه الى شئ يسير يكون منبها على ما وراءه دالا على ماسواه فخلق الله السموات سبعا فاختار العليا منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته واختصها بالقرب من كرسيه ومن عرشه وأسكنها من شاء من خلقه فلها مزية وفضل على سائر السموات ولو لم يكن الا قربها منه تبارك وتعالى وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوى مادة السموات من أبين الادلة على كمال قدرته وحكمته وانه يخلق ما يشاء ويختار ومن هذا تفضيله سبحانه جنة الفردوس على سائر الجنان وتخصيصها بأن جعل عرشه سقفها وفي بعض الآثار أن الله سبحانه غرسها بيده واختارها لخيرته من خلقه ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا

ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم (قال ابن هشام) فالعرب كلها من اسمعيل وقحطان وبعض أهل اليمن يقول قحطان من ولد اسمعيل ويقول اسمعيل أبو العرب كلها * قال ابن اسحق عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وثمود وجديس ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وطسم وعملاق واميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلهم فولد نابت ابن اسمعيل يشجب بن نابت فولد يشجب يعرب بن يشجب فولد يعرب تيرح بن يعرب فولد تيرح ناحور بن تيرح فولد ناحور مقوم بن ناحور فولد مقوم ادد بن مقوم فولد ادد عدنان بن ادد (قال ابن هشام) ويقال عدنان ابن اد * قال ابن اسحق فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام فولد عدنان رجلين معد بن عدنان وعك ابن عدنان (قال ابن هشام) فصارت عك في دار اليمن وذلك ان عكا تزوج في الاشعريين فاقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدة والاشعريون بنو اشعر بن نبت ابن ادد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ويقال اشعر بن نبت ابن أدد ويقال اشعر بن مالك ومالك مذحج بن أدد بن زيد بن مهسع ويقال اشعر بن سبا بن يشجب (وأنشدني) أبو محرز خلف الاحمر وأبو عبيدة لعباس بن مرداس أحد بني سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعك

وعك بن عدنان الذين تلعبوا * بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت في قصيدة له وغسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لولد

فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله وكم من ملك غيرهم في السموات فلم يسم الا هؤلاء الثلاثة فجبريل صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والارواح وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الارض والحيوان والنبات واسرافيل صاحب الصور الذي اذا نفخ فيه أحيت نفخته باذن الله الاموات وأخرجتهم من قبورهم وكذلك اختياره سبحانه للانبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا واختياره الرسل منهم وهم ثلثمائة وثلاثة عشر على ما في حديث أبي ذر الذي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه واختياره أولي العزم منهم وهم خمسة المذكورون في سورة الاحزاب والشورى في قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه واختياره منهم الخليلين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليه وسلم ومن هذا اختياره سبحانه ولد اسمعيل من أجناس بني آدم ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة ثم اختار من ولد كنانة قريشا ثم اختار من قريش بني هاشم ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين واختار منهم السابقين الاولين واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان واختار لهم من الدين أكمله ومن الشرائع أفضلها ومن الاخلاق أزكاها وأطيبها وأطهرها واختار أمته صلى الله عليه وسلم على سائر الامم كما في مسند الامام أحمد وغيره من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله قال علي بن المديني وأحمد حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده صحيح وظهر أثر هذا الاختيار في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقاماتهم في الموقف فانهم أعلى من الناس على تل فوقهم مشرفون عليهم وفي الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم قال الترمذي وهذا حديث حسن والذي في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بعث النار والذي نفسي بيده اني لاطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ولم يزد على ذلك فاما أن يقال هذا أصح واما أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم طمع أن تكون أمته شطر أهل الجنة فأعلمه ربه فقال انهم ثمانون صفا من مائة وعشرين صفا فلا تنافي بين الحديثين والله أعلم ومن تفضيل الله لامته واختياره لها انه وهبها من العلم والحلم ما لم يهبه لامة سواها وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي الدرداء قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله قال لعيسى ابن مريم اني باعث من بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم قال يارب كيف هذا ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الاماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام فانه سبحانه اختاره لنبيه وجعله مناسك لعباده وأوجب عليهم الاتيان اليه من القرب والبعد من كل فج عميق فلا يدخلونه الا متواضعين متخشعين متذللين كاشفي رؤسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا وجعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر له صيد ولا يختلى خلاه ولا يلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس الا وجعل قصده مكفرا لما سلف من الذنوب ماحيا للاوزار حاطا للخطايا كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة ففي السنن من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان

مازن بن الاسد بن الغوث فسموا به ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الاسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال حسان بن ثابت الانصاري والانصار بنو الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد ابن الغوث

اما سألت فانا معشر نجب
الاسد نسبتنا والماء غسان

وهذا البيت في أبيات له فقالت اليمن وبعض عك وهم الذين بخراسان منهم عك بن عدنان بن عبد الله بن الاسد بن الغوث ويقال عدنان بن الديث بن عبد الله بن الاسد بن الغوث * قال ابن اسحق فولد معد بن عدنان أربعة نفر نزار بن معد وقضاعة بن معد وكان قضاعة بكر معد الذي به يكنى فيما يزعمون وقنص بن معد واياد بن معد فاما قضاعة فتيامنت الى حمير بن سبا وكان اسم سبا عبد شمس وانما سمي سبا لانه أول من سبأ في العرب ابن يعرب بن يشجب ابن قحطان (قال ابن هشام) فقالت اليمن وقضاعة قضاعة بن مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة الجهني وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر
قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر
في الحجر المنقوش تحت المنبر

* قال ابن اسحق وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد وكان منهم النعمان ابن المنذر ملك الحيرة * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ان النعمان بن المنذر كان من ولد

الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة وفي الصحيحين عن
أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور
ليس له جزاء الا الجنة فلو لم يكن البلد الامين خير بلاده وأحبها اليه ومختاره من البلاد لما جعل
عرصاتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها وجعل ذلك من آكد فروض الاسلام وأقسم به
في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى وهذا البلد الامين وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وليس
على وجه الارض بقعة يجب على كل قادر السعي اليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها وليس على
وجه الارض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والاوزار فيه غير الحجر الاسود والركن
اليماني وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ففي النسائي
والمسند باسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجدي هذا
أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في
مسجدي هذا بمائة صلاة ورواه ابن حبان في صحيحه وهذا صريح في ان المسجد الحرام أفضل بقاع
الارض على الاطلاق ولذلك كان شد الرحال اليه فرضا ولغيره مما يستحب ولا يجب وفي المسند
والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عدي بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو
واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله
ولولا اني أخرجت منك لما خرجت قال الترمذي هذا حديث صحيح بل ومن خصائصها كونها قبلة
لاهل الارض كلهم فليس على وجه الارض قبلة غيرها ومن خواصها أيضا انه يحرم استقبالها
واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الارض وأصح المذاهب في هذه المسألة انه لا فرق في ذلك
بين الفضاء والبنيان لبضعة عشر دليلا قد ذكرت في غير هذا الموضع وليس مع المفرق ما يقاومها البتة
مع تناقضهم في مقدار الفضاء والبنيان وليس هذا موضع استيفاء الحجاج من الطرفين ومن خواصها
أيضا ان المسجد الحرام أول مسجد وضع في الارض كما في الصحيحين عن أبي ذر قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الاقصى
قلت كم بينهما قال أربعون عاما وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به فقال معلوم ان
سليمان بن داود الذي بنى المسجد الاقصى وبينه وبين ابراهيم أكثر من ألف عام وهذا من جهل هذا
القائل فان سليمان انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تأسيسه والذي أسسه هو يعقوب بن
اسحق صلى الله عليهما وسلم بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا المقدار ومما يدل على تفضيلها ان الله تعالى
أخبر انها أم القرى فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها وهي أصل القرى فيجب أن لا يكون لها في
القرى عديل فهي كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الفاتحة انها أم القرآن ولهذا لم يكن لها
في الكتب الالهية عديل ومن خصائصها انه لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة الا باحرام
وهذه خاصية لا يشاركها فيها شيء من البلاد وهذه المسألة تلقاها الناس عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقد روي عن ابن عباس باسناد لا يحتج به مرفوعا لا يدخل أحد مكة الا باحرام من أهلها ومن غير
أهلها ذكره أبو أحمد بن عدي ولكن الحجاج بن ارطاة في الطريق وآخر قبله من الضعفاء وللفقهاء في
المسألة ثلاثة أقوال النفي والاثبات والفرق بين من هو داخل المواقيت ومن هو قبلها فمن قبلها
لا يجاوزها الا باحرام ومن هو داخلها فحكمه حكم أهل مكة وهو قول أبي حنيفة والقولان الاولان
للشافعي وأحمد ومن خواصه انه يعاقب فيه على الهم بالسيآت وان لم يفعلها قال تعالى ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فتأمل كيف عدى فعل الارادة ههنا بالباء ولا يقال أردت بكذا الا لما
ضمنه معنى فعل بهم فانه يقال هممت بكذا فتوعد من هم بان يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الاليم ومن
هذا تضاعف مقادير السيآت فيه لا كمياتها فان السيئة جزاؤها سيئة لكن سيئة كبيرة وجزاؤها

قنص بن معد قال ابن هشام (٢) ويقال قنص * قال ابن اسحق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس
عن شيخ من الانصار من بني زريق انه حدثه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أتي بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة وكان يقول انما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب فسلحه اياه ثم قال ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر فقال كان من اشلاء قنص بن معد قال ابن اسحق فاما سائر العرب فيزعمون انه كان رجلا من لخم من ولد ربيعة بن نصر فالله أعلم أي ذلك كان (قال ابن هشام) لخم بن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب ابن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال لخم بن عدي بن عمرو ابن سبا ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن

(أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب)

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني أبو زيد الانصاري انه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤا من أرضهم فعلم انه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده اذا أغلظ عليه ولطمه ان يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال

(٢) قوله ويقال قنص ضبط في النسخ بالقلم في الاول بفتح القاف والنون وفي الثاني بضمتين

مثلها وصغيرة جزاؤها مثلها فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الارض ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه فهذا فصل النزاع في تضعيف السيآت والله أعلم وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الافئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الامين فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فهو الاولى بقول القائل

محاسنه هيولى كل حسن * ومغناطيس أفئدة الرجال

ولهذا أخبر سبحانه انه مثابة للناس أي يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار ولا يقضون منه وطرا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقا

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها * حتى يعود اليها الطرف مشتاقا

فلله كم لها من قتيل وسليب وجريح وكم أنفق في حبها من الاموال والارواح ورضى المحب بمفارقة فلذ الاكباد والاهل والاحباب والاوطان مقدما بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه لو ظهر سلطان المحبة في قلبه أطيب من نعم المتخلية وترفههم ولذاتهم

وليس محبا من يعد شقاءه * عذابا اذا ما كان يرضى حبيبه

وهذا كله سر اضافته اليه سبحانه وتعالى بقوله وطهر بيتي فاقتضت هذه الاضافة الخاصة من هذا الاجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته كما اقتضت اضافته لعبده ورسوله الى نفسه ما اقتضت من ذلك وكذلك اضافته عباده المؤمنين اليه كستهم من الجلال والمحبة والوقار ما كستهم فكلما أضافه الرب تعالى الى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء ثم يكسوه بهذه الاضافة تفضيلا آخر وتخصيصا وجلالة زيادة على ماله قبل الاضافة ولم يوفق لفهم هذا المعنى من سوى بين الاعيان والافعال والازمان والاماكن وزعم أنه لا مزية لشئ منها على شئ وانما هو مجرد الترجيح بلا مرجح وهذا القول باطل بأكثر من أربعين وجها قد ذكرت في غير هذا الموضع ويكفي تصور هذا المذهب الباطل في فساده فان مذهبا يقتضي أن يكون ذوات الرسل كذوات أعدائهم في الحقيقة وانما التفضيل بأمر لا يرجع الى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لا تكون لغيرها وكذلك نفس البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة على بقعة مزية ألبتة وانما هو لما يقع فيها من الاعمال الصالحة فلا مزية لبقعة البيت والمسجد الحرام ومنى وعرفة والمشاعر على أي بقعة سميتها من الارض وانما التفضيل باعتبار أمر خارج عن البقعة لا يعود اليها ولا الى وصف قائم بها والله سبحانه وتعالى قد رد هذا القول الباطل بقوله تعالى فاذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته أي ليس كل أحد أهلا ولا صالحا لتحمل رسالته بل لها محال مخصوصة لا تليق الا بها ولا تصلح الا لها والله أعلم بهذه المحال منكم ولو كانت الذوات متساوية كما قال هؤلاء لم يكن في ذلك رد عليهم وكذلك قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين أي هو سبحانه أعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله ويمن عليه ممن لا يشكره فليس كل محل يصلح لشكره واحتمال منته والتخصيص بكرامته فذوات ما اختاره واصطفاه من الاعيان والاماكن والاشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست في غيرها ولاجلها اصطفاها الله وهو سبحانه الذي فضلها بتلك الصفات وخصها بالاختيار فهذا خلقه وهذا اختياره وربك يخلق ما يشاء ويختار وما أبين بطلان رأي يقتضي بان مكان البيت الحرام مساو لسائر الامكنة وذات الحجر الاسود مساوية لسائر حجارة الارض وذات رسول الله صلى الله عليه وسلم مساوية لذات غيره وانما التفضيل في ذلك بأمور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها وهذه

الاقاويل

عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه اصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الازد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك فكانت حربهم سجالا ففي ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزلت الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم والعرم السد واحدته عرمة فيما حدثني أبو عبيدة * قال الاعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد (قال ابن هشام) ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة واسم الاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة

وفي ذلك للمؤتسي اسوة * ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير * اذا جاء مواره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها * على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا أيادي ما يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

الاقاويل وأمثالها من الجنايات التي جناها المتكلمون على الشريعة ونسبوها اليها وهي بريئة منها وليس معهم أكثر من اشتراك الذوات في أمر عام وذلك لا يوجب تساويها في الحقيقة لان المختلفات قد تشترك في أمر عام مع اختلافها في صفاتها النفيسة وما سوّى الله تعالى بين ذات المسك وذات البول أبدا ولا بين ذات الماء وذات النار أبدا والتفاوت البين بين الامكنة الشريفة واضدادها والذوات الفاضلة واضدادها أعظم من هذا التفاوت بكثير فبين ذات موسى عليه السلام وفرعون من التفاوت أعظم مما بين المسك والرجيع وكذلك التفاوت بين نفس الكعبة وبين بيت السلطان أعظم من هذا التفاوت أيضا بكثير فكيف يجعل البقعتان سواء في الحقيقة والتفضيل باعتبار ما يقع هناك من العبادات والاذكار والدعوات ولم نقصد استيفاء الرد على هذا المذهب المردود والمرذول وانما قصدنا تصويره والى اللبيب العادل العاقل التحاكم ولا يعبأ الله وعباده بغيره شيأ والله سبحانه لا يخصص شيأ ولا يفضله ويرجحه الا لمعنى يقتضى تخصيصه وتفضيله نعم هو معطى ذلك المرجح وواهبه فهو الذي خلقه ثم اختاره بعد خلقه وربك يخلق ما يشاء ويختار ومن هذا تفضيله بعض الايام والشهور على بعض فخير الايام عند الله يوم النحر وهو يوم الحج الاكبر في السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أفضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر وقيل يوم عرفة أفضل منه وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعي قالوا لانه يوم الحج الاكبر وصيامه يكفر سنتين وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة ولانه سبحانه يدنو فيه ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف والصواب القول الاول لان الحديث الدال على ذلك لا يعارضه شيء يقاومه والصواب ان يوم الحج الاكبر يوم النحر لقوله تعالى وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وثبت في الصحيحين ان أبا بكر وعليا رضي الله عنهما أذنا بذلك يوم النحر لا يوم عرفة وفي سنن أبي داود بأصح اسناد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الحج الاكبر يوم النحر وكذلك قال أبو هريرة وجماعة من الصحابة ويوم عرفة مقدمة ليوم النحر بين يديه فان فيه يكون الوقوف والتضرع والتوبة والابتهال والاستقالة ثم يوم النحر تكون الوفادة والزيارة ولهذا اسمى طوافه طواف الزيارة لانهم قد طهروا من ذنوبهم يوم عرفة ثم أذن لهم يوم النحر في زيارته والدخول عليه الى بيته ولهذا كان فيه ذبح القرابين وحلق الرؤس ورمى الجمار ومعظم أفعال الحج وعمل يوم عرفة كالطهور والاغتسال بين يدي هذا اليوم وكذلك تفضيل عشر ذي الحجة على غيره من الايام فان أيامه أفضل الايام عند الله وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله منه في هذه الايام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء وهي الايام العشر التي أقسم الله بها في كتابه بقوله والفجر وليال عشر ولهذا يستحب فيها الاكثار من التكبير والتهليل والتحميد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد ونسبتها الى الايام كنسبة مواضع المناسك الى سائر البقاع ومن ذلك تفضيل شهر رمضان على سائر الشهور وتفضيل عشره الاخير على سائر الليالى وتفضيل ليلة القدر على ألف شهر فان قلت أي العشرين أفضل عشر ذي الحجة أو العشر الاخير من رمضان وأي الليلتين أفضل ليلة القدر أو ليلة الاسراء قلت أما السؤال الاول فالصواب فيه ان يقال ليالى العشر الاخير من رمضان أفضل من ليالى عشر ذي الحجة وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويدل عليه ان ليالى العشر من رمضان انما فضلت باعتبار ليلة القدر وهي من الليالى وعشر ذي الحجة انما فضلت باعتبار أيامه اذ فيه يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية وأما السؤال الثاني فقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن رجل قال ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر وقال آخر بل ليلة القدر أفضل فأيهما المصيب فاجاب الحمد لله أما القائل بان ليلة الاسراء

وهذه الابيات في قصيدة له (وقال) أمية بن أبي الصلت الثقفي واسم ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان

من سبا الحاضرين مأرب اذ
يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت في قصيدة له * ويروى للنابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله أحد بني جعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو حديث طويل منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار * قال ابن اسحق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته الا جمعه اليه فقال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فاخبروني بها وبتأويلها قالوا له اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال ان أخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم عن تأويلها فانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان وشق بن صعب بن يشكر ابن رهم بن افرك بن قيس بن عبقر ابن انمار بن نزار وانمار أبو بجيلة وخثعم (قال ابن هشام) وقالت اليمن وبجيلة أنمار بن اراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال اراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية قال ابن اسحق فبعث اليهما فقدم

أفضل من ليلة القدر ان أراد به أن تكون الليلة التى أسرى فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم ونظائرها من كل عام أفضل لامة محمد صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه فى ليلة القدر فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الاسلام هذا اذا كانت ليلة الاسراء تعرف عينها فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا عشرها ولا على عينها بل النقول فى ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التى يظن انها ليلة الاسراء بقيام ولا غيره بخلاف ليلة القدر فانه قد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفى الصحيحين عنه تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان وقد أخبر سبحانه انها خير من ألف شهر فانه أنزل فيها القرآن وان أراد ان الليلة المعينة التى أسرى فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له فى غيرها من غير ان يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح وليس اذا أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فضيلة فى مكان أو زمان يجب ان يكون ذلك الزمان والمكان أفضل من جميع الامكنة والازمنة هذا اذا قدر انه قام دليل على ان انعام الله تعالى على نبيه ليلة الاسراء كان أعظم من انعامه عليه بانزال القرآن ليلة القدر وغير ذلك من النعم التى أنعم عليه والكلام فى مثل هذا يحتاج الى علم بحقائق الامور ومقادير النعم التى لا تعرف الا بوحى ولا يجوز لاحد ان يتكلم فيها بلا علم ولا يعرف عن أحد من المسلمين انه جعل لليلة الاسراء فضيلة على غيرها لاسيما على ليلة القدر ولا كان الصحابة والتابعون لهم باحسان يقصدون تخصيص ليلة الاسراء بامر من الامور ولا يذكرونها ولهذا لا يعرف أى ليلة كانت وان كان الاسراء من أعظم فضائله صلى الله عليه وسلم ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية بل غار حراء الذى ابتدئ فيه بنزول الوحى وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة ولا خص اليوم الذى انزل فيه الوحى بعبادة ولا غيرها ولا خص المكان الذى ابتدئ فيه بالوحى ولا الزمان بشئ ومن خص الامكنة والازمنة من عنده بعبادات لاجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله وقد رأى عمر بن الخطاب جماعة يتبادرون مكانا يصلون فيه فقال ما هذا قالوا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد انما هلك من كان قبلكم بهذا فمن أدركته فيه الصلاة فليصل والا فليمض وقد قال بعض الناس ان ليلة الاسراء فى حق النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر وليلة القدر بالنسبة الى الامة أفضل من ليلة الاسراء فهذه الليلة فى حق الامة أفضل لهم وليلة الاسراء فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له فان قيل فايهما أفضل يوم الجمعة أو يوم عرفة فقد روى ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلع الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه أيضا حديث تميم بن أوس خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة قيل وقد ذهب بعض العلماء الى تفضيل يوم الجمعة على يوم عرفة محتجا بهذا الحديث وحكى القاضى أبو يعلى رواية عن أحمد ان ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر والصواب ان يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الايام من وجوه متعددة أحدها اجتماع اليومين اللذين هما أفضل الايام الثانى انه اليوم الذى فيه ساعة محققة الاجابة وأكثر الاقوال انها آخر ساعة بعد العصر وأهل الموقف كلهم اذ ذاك واقفون للدعاء والتضرع الثالث موافقته ليوم وقفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرابع ان فيه اجتماع الخلائق من أقطار الارض للخطبة وصلاة الجمعة ويوافق ذلك اجتماع أهل عرفة يوم عرفة بعرفة فيحصل من اجتماع المسلمين فى مساجدهم وموقفهم من

الدعاء

عليه سطيح قبل شق فقال له انى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فاخبرنى بها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها قال افعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت منها شيأ يا سطيح فما عندك فى تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش فقال له الملك وأبيك يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى هذا أم بعده قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين قال أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال ومن يلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى قال وممن هذا النبى قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرنى قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة قال فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الا ان سطيحا قال وقعت بأرض تهمة فأكلت

الدعاء والتضرع ما لا يحصل في يوم سواه الخامس ان يوم الجمعة يوم عيد ويوم عرفة يوم عيد لاهل عرفة ولذلك كره لمن بعرفة صومه وفي النسائي عن أبي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة وفي اسناده نظر فان مهدي بن حرب الجوزي ليس بمعروف ومداره عليه ولكن ثبت في الصحيح من حديث أم الفضل ان ناسا تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعضهم هو صائم وقال بعضهم ليس بصائم فارسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة فشربه وقد اختلف في حكمة استحباب فطر يوم عرفة بعرفة فقالت طائفة ليتقوى على الدعاء وهذا قول الحربي وغيره وقال غيرهم منهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحكمة فيه انه عيد لاهل عرفة فلا يستحب صومه لهم قال والدليل عليه الحديث الذي في السنن عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام قال شيخنا وانما يكون يوم عرفة عيدا في حق أهل عرفة لاجتماعهم فيه بخلاف أهل الامصار فانهم انما يجتمعون يوم النحر فكان هو العيد في حقهم والمقصود انه اذا اتفق يوم عرفة يوم جمعة فقد اتفق عيدان معا السادس انه موافق ليوم اكمال الله تعالى دينه لعباده المؤمنين واتمام نعمته عليهم كما ثبت في صحيح البخاري عن طارق بن شهاب قال جاء يهودي الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية تقرؤنها في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت ونعلم ذلك اليوم الذي نزلت فيه لاتخذناه عيدا قال أي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر بن الخطاب اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة يوم جمعة ونحن واقفون معه بعرفة السابع انه موافق ليوم الجمع الاكبر والموقف الاعظم يوم القيامة فان القيامة تقوم يوم الجمعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا أعطاه اياه ولهذا شرع الله سبحانه وتعالى لعباده يوما يجتمعون فيه فيذكرون المبدأ والمعاد والجنة والنار وادخر الله تعالى لهذه الامة يوم الجمعة اذ فيه كان المبدأ وفيه المعاد ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في فجره سورتي السجدة وهل أتى على الانسان لاشتمالهما على ما كان وما يكون في هذا اليوم من خلق آدم وذكر المبدأ والمعاد ودخول الجنة والنار فكان يذكر الامة في هذا اليوم بما كان فيه وما يكون فهكذا يتذكر الانسان باعظم مواقف الدنيا وهو يوم عرفة الموقف الاعظم بين يدي الرب سبحانه في هذا اليوم بعينه ولا ينتصف حتى يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم الثامن ان الطاعة الواقعة من المسلمين يوم الجمعة وليلة الجمعة أكثر منها في سائر الايام حتى ان أكثر أهل الفجور يحترمون يوم الجمعة وليلته ويرون ان من تجرى فيه على معاصي الله عز وجل عجل الله عقوبته ولم يمهله وهذا أمر قد استقر عندهم وعلموه بالتجارب وذلك لعظم اليوم وشرفه عند الله واختيار الله سبحانه له من بين سائر الايام ولا ريب ان للوقفة فيه مزية على غيره التاسع انه موافق ليوم المزيد في الجنة وهو اليوم الذي يجمع فيه أهل الجنة في واد فيح وينصب لهم منابر من لؤلؤ ومنابر من ذهب ومنابر من زبرجد وياقوت على كثبان المسك فينظرون ربهم تبارك وتعالى ويتجلى لهم فيرونه عيانا ويكون أسرعهم موافاة أعجلهم رواحا الى المسجد وأقربهم منه أقربهم من الامام فاهل الجنة مشتاقون الى يوم المزيد فيها لما ينالون فيه من الكرامة وهو يوم جمعة فاذا وافق يوم عرفة كان له مزية واختصاص وفضل ليس لغيره العاشر انه يدنو الرب تبارك وتعالى عشية يوم عرفة من أهل الموقف ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء أشهدكم اني قد غفرت لهم ويحصل مع دنوه منهم تبارك وتعالى ساعة الاجابة التي لا يرد فيها سائلا يسأل خيرا فيقربون منه بدعائه والتضرع اليه في تلك الساعة ويقرب منهم تعالى نوعين من القرب أحدهما قرب الاجابة المحققة في

عندك في تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران فقال له الملك وأبيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال لا بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدني ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذي يزن قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه بين الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال أحق ما تقول قال اي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما أنبأتك به لحق ما فيه امض (قال ابن هشام) امض يعني شكا (٢) هذا بلغة حمير وقال أبو عمرو وامض أي باطل فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خراذاذ فاسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة ابن نصر النعمان بن المنذر فهو في نسب اليمن وعلمهم النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر

(٢) قوله يعني شكا الخ في نسخة الامض شك أو باطل أو شبهة

تلك الساعة والثاني قربه الخاص من أهل عرفة ومباهاته بهم ملائكته فتستشعر قلوب أهل الايمان هذه الامور فتزداد قوة الى قوتها وفرحا وسرورا وابتهاجا ورجاء لفضل ربها وكرمه فبهذه الوجوه وغيرها فضلت وقفة يوم الجمعة على غيرها وأما ما استفاض على السنة العوام بأنها تعدل ثنتين وسبعين حجة فباطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين والله أعلم

(فصل) والمقصود ان الله سبحانه وتعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره فانه تعالى طيب لا يحب الا الطيب ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة الا الطيب فالطيب من كل شئ هو مختاره تعالى وأما خلقه تعالى فعام للنوعين وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته فان الطيب لا يناسبه الا الطيب ولا يرضى الا به ولا يسكن الا اليه ولا يطمئن قلبه الا به فله من الكلام الكلام الطيب الذى لا يصعد الى الله تعالى الا هو وهو أشد شئ نفرة عن الفحش فى المقال والتفحش فى اللسان البذى والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور وكل كلام خبيث وكذلك لا يألف من الاعمال الا أطيبها وهى الاعمال التى اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية وزكتها العقول الصحيحة فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ ويؤثر مرضاته على هواه ويتحبب اليه بجهده وطاقته ويحسن الى خلقه ما استطاع فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوا به ويعاملهم ما يحب أن يعاملوه به ويدعهم مما يحب أن يدعوه منه وينصحهم بما ينصح به نفسه ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به ويحمل اذاهم ولا يحملهم أذاه ويكف عن اعراضهم ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه واذا رأى لهم حسنا اذاعه واذا رأى سيأ كتمه ويقيم اعذارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة ولا يناقض لله أمرا ولا نهيا وله أيضا من الاخلاق أطيبها وأزكاها كالحلم والوقار والسكينة والرحمة والصبر والوفاء وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد والتواضع وخفض الجناح لاهل الايمان والعزة والغلظة على أعداء الله وصيانة الوجه عن بذله وتذلله لغير الله والعفة والشجاعة والسخاء والمروءة وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول وكذلك لا يختار من المطاعم الا أطيبها وهو الحلال الهنى المرى الذى يغذى البدن والروح أحسن تغذية مع سلامة العبد من تبعته وكذلك لا يختار من المناكح الا أطيبها وأزكاها ومن الرائحة الا أطيبها وأزكاها ومن الاصحاب والعشراء الا الطيبين منهم فروحه طيب وبدنه طيب وخلقه طيب وعمله طيب وكلامه طيب ومطعمه طيب ومشربه طيب وملبسه طيب ومنكحه طيب ومدخله طيب ومخرجه طيب ومنقلبه طيب ومثواه كله طيب فهذا ممن قال الله تعالى فيه الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وهذه الفاء تقتضى السببية أى بسبب طيبكم ادخلوها وقال تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقد فسرت الآية بان الكلمات الخبيثات للخبيثين والكلمات الطيبات للطيبين وفسرت بان النساء الطيبات للرجال الطيبين والنساء الخبيثات للرجال الخبيثين وهى تعم ذلك وغيره فالكلمات والاعمال والنساء الطيبات لمناسبها من الطيبين والكلمات والاعمال والنساء الخبيثة لمناسبها من الخبيثين فالله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره فى الجنة وجعل الخبيث بحذافيره فى النار فجعل الدور ثلاثة دارا أخلصت للطيبين وهى حرام على غير الطيبين وقد جمعت كل طيب وهى الجنة ودارا أخلصت للخبيث والخبائث ولا يدخلها الا الخبيثون وهى النار ودارا امتزج فيها الطيب والخبيث وخلط بينهما وهى هذه الدار ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط وذلك بموجب الحكمة الالهية فاذا كان يوم معاد الخليقة ميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب وأهله فى دار

على

ملك اليمن وغزوه الى يثرب)

قال ابن اسحق فلما هلك ربيعة ابن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان أسعد أبي كرب وتبان أسعد تبع الآخر بن كلكيكرب بن زيد وزيد تبع الاول بن عمرو ذى الاذعار بن ابرهة ذى المنار بن الريش قال ابن هشام ويقال الرائش قال ابن اسحق ابن عدى بن صيفى بن سبا الاصغر بن كعب كهف الظلم ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أنس بن الهميسع بن العرنجج والعرنجج حمير بن سبا الاكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان (قال ابن هشام) يشجب بن يعرب بن قحطان قال ابن اسحق وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة وساق الحبرين من يهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر قال ابن هشام وهو الذى يقال له

ليت حظى من أبي كرب
ان يسد خيره خبله

قال ابن اسحق وكان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مربها فى بدأته فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لاخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بنى النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبذول واسم مبذول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر

على حدة لا يخالطهم غيرهم وجعل الخبيث وأهله فى دار على حدة لا يخالطهم غيرهم فعاد الامر الى دارين فقط الجنة وهى دار الطيبين والنار وهى دار الخبيثين وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم فجعل طيبات أقوال هؤلاء وأعمالهم وأخلاقهم هى عين نعيمهم ولذاتهم أنشأ لهم منها أكمل أسباب النعيم والسرور وجعل خبيثات أقوال الآخرين وأعمالهم وأخلاقهم هى عين عذابهم وآلامهم فأنشأ لهم منها أعظم أسباب العقاب والآلام حكمة بالغة وعزة باهرة قاهرة ليرى عباده كمال ربوبيته وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته وليعلم أعداؤه انهم كانوا هم المفترين الكذابين لا رسله البررة الصادقون قال الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين والمقصود ان الله سبحانه جعل للسعادة والشقاوة عنوانا يعرفان به فالسعيد الطيب لا يليق به الا طيب ولا يأتى الا طيبا ولا يصدر منه الا طيب ولا يلابس الا طيبا والشقى الخبيث لا يليق به الا الخبيث ولا يأتى الا خبيثا ولا يصدر منه الا الخبيث فالخبيث يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه وقد يكون فى الشخص مادتان فايهما غلب عليه كان من أهلها فان أراد الله به خيرا طهره الله من المادة الخبيثة قبل الموافاة فيوافيه يوم القيامة مطهرا فلا يحتاج الى تطهيره بالنار فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ويمسك عن الآخر مواد التطهير فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة وحكمته تعالى تأبى ان يجاوره احد فى داره بخبائثه فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكا فاذا خلصت سبيكة ايمانه من الخبيث صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده واقامة هذا النوع من الناس فى النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها فاسرعهم زوالا وتطهيرا أسرعهم خروجا وابطؤهم ابطؤهم خروجا جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كان كالكلب اذا دخل البحر ثم خرج منه فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرأ من الخبائث كانت النار حراما عليه اذ ليس فيه ما يقتضى تطهيره بها فسبحان من بهرت حكمته العقول والالباب وشهدت فطرة عباده وعقولهم بانه أحكم الحاكمين ورب العالمين لا اله الا هو

(فصل) ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة الى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر فانه لا سبيل الى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة الا على أيدى الرسل ولا سبيل الى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل الا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة الا على أيديهم فالطيب من الاعمال والاقوال والاخلاق ليس الا هديهم وما جاؤا به فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الاقوال والاخلاق والاعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة اليهم أعظم من ضرورة البدن الى روحه والعين الى نورها والروح الى حياتها فاى ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته الى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن اذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت اذا فارق الماء ووضع فى المقلاة فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسول كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بهذا الا قلب حى * وما لجرح بميت ايلام * واذا كانت سعادة العبد فى الدارين معلقة بهدى النبى صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به فى عداد اتباعه وشيعته وحزبه والناس فى هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(قال ابن هشام) عمرو بن طلة عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار وطلة وأمه وهى بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج * قال ابن اسحق وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده فى عذق له يجده فضربه بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم قال فاقتتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لكرام فبينا تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة وقريظة والنضير والنجام وعمرو وهو هدل بنو الخزرج بن الصريح ابن التوءمان بن السبط بن اليسع ابن سعد بن لاوى بن خير بن النجام بن تنحوم بن عازر بن عزرى ابن هرون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو اسرائيل الله بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم عالمان راسخان فى العلم حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك فقالا هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما فقال خالد ابن عبد العزى بن غزية بن عمرو ابن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة

أصحا أم قد نمى ذكره * أم قضى من لذة وطره

(فصل) وهذه كلمات يسيرة لا يستغنى عن معرفتها من له أدنى همة الى معرفة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه اقتضاها الخاطر المكدود على عجره و بجره مع البضاعة المزجاة التى لا تنفتح له أبواب السدد ولا يتنافس فيها المتنافسون مع تعليقها فى حال السفر لا الاقامة والقلب بكل واد منه شعبة والهمة قد تفرقت شذر مذر والكتاب مفقود ومن يفتح باب العلم لمذاكرته معدوم غير موجود فعود العلم النافع الكفيل بالسعادة قد أصبح ذاويا وربعه قد أوحش من أهله وعادمنهم خاليا فلسان العالم قد ملئ بالغلول مضاربة لغلبة الجاهلين وعادت موارد شفائه وهى معاطبه لكثرة المنحرفين والمحرفين فليس له معول الا على الصبر الجيل وماله ناصر ولا معين الا الله وحده وهو حسبنا ونعم الوكيل

(فصل) فى نسبه صلى الله عليه وسلم وهو خير أهل الارض نسبا على الاطلاق فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوه اذ ذاك أبو سفيان بين يدى ملك الروم فاشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الافخاذ فخذه فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الى ههنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف فيه البتة وما فوق عدنان مختلف فيه ولا خلاف بينهم ان عدنان من ولد اسمعيل عليه السلام واسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأما القول بانه اسحق فباطل باكثر من عشرين وجها وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول هذا القول انما هو متلقى عن أهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم فان فيه ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ وحيده ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين ان اسمعيل هو بكر أولاده والذى غر أصحاب هذا القول ان فى التوراة التى بايديهم اذبح ابنك اسحق قال وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لانها تناقض قوله اذبح بكرك ووحيدك ولكن اليهود حسدت بنى اسمعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم وان يسوقوه اليهم ويحتازونه دون العرب ويأبى الله الا أن يجعل فضله لاهله وكيف يسوغ أن يقال ان الذبيح اسحق والله تعالى قد بشر أم اسحق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة انهم قالوا لابراهيم لما أتوه بالبشرى لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فمحال ان يبشرها بانه يكون له ولد ثم يأمر بذبحه ولا ريب ان يعقوب داخل فى البشارة فتناول البشارة لاسحق ويعقوب فى اللفظ واحد وهذا ظاهر الكلام وسياقه فان قيل لو كان الامر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجرورا عطفا على اسحق فكانت القراءة ومن وراء اسحق يعقوب أى ويعقوب من وراء اسحق قيل لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشرا به لان البشارة قول مخصوص وهى أول خبر سار صادق وقوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب جملة متضمنة لهذه القيود فتكون بشارة بل حقيقة البشارة هى الجملة الخبرية ولما كانت البشارة قولا كان موضع هذه الجملة نصبا على الحكاية بالقول كان المعنى وقلنا لها من وراء اسحق يعقوب والقائل اذا قال بشرت فلانا بقدوم أخيه وثقله فى أثره لم يعقل منه الا البشارة بالامرين جميعا هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه ألبتة ثم يضعف الجر أمرا آخر وهو ضعف قولك مررت بزيد ومن بعده عمرو ولان العاطف يقوم مقام حرف الجر فلا يفصل بينه وبين المجرور كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور ويدل عليه أيضا ان الله سبحانه لما ذكر قصة ابراهيم وابنه الذبيح فى سورة الصافات قال فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم قال تعالى وبشرناه

باسحق

أم تذكرت الشباب وما * ذكرك الشباب أو عصره
انها حرب رباعية * مثلها أتى الفتى عبره
فاسألا عمران أو أسدا
اذ أتت عدوا مع الزهره
فيلق فيها أبو كرب
سبغ أبدانها ذفره
ثم قالوا من نؤم بها
ابنى عوف أم النجره
بل بنى النجار ان لنا
فيهم قتلى وان تره
فتلقتهم مسايفة
مدها كالغبية النثره
فيهم عمرو بن طلة مـ
لى الاله قومه عمره
سيد سام الملوك ومن
رام عمرا لا يكن قدره

وهذا الحى من الانصار يزعمون انه انما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وانما أراد هلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ولذلك قال فى شعره

حنقا على سبطين حلا يثربا
أولى لهم بعقاب يوم مفسد

(قال ابن هشام) الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع فذلك الذى منعنا من اثباته * قال ابن اسحق وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج أتاه نفر من هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا

باسحق نبيا من الصالحين فهذه بشارة من الله تعالى له شكرا على صبره على ما أمر به وهذا ظاهر جدا في ان المبشر به غير الاول بل هو كالنص فيه فان قيل فالبشارة الثانية وقعت على نبوته أى لما صبر الاب على ما أمر به وأسلم الولد لامر الله جازاه الله على ذلك بان أعطاه النبوة قيل البشارة وقعت على المجموع على ذاته ووجوده وان يكون نبيا ولهذا نصب نبيا على الحال المقدر أى مقدرا نبوته فلا يمكن اخراج البشارة أن تقع على الاصل ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة هذا محال من الكلام بل اذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى وأيضا فلا ريب ان الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن اسمعيل وأمه واقامة لذكر الله ومعلوم ان اسمعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك في بنائه ابراهيم واسمعيل وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذى كان على يد ابراهيم وابنه اسمعيل زمانا ومكانا ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وأيضا فان الله سبحانه سمى الذبيح حليما لانه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما فقال تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون الى أن قال قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم وهذا اسحق بلا ريب لانه من امرأته وهى المبشرة به وأما اسمعيل فمن السرية وأيضا فانهما بشرا به على الكبر واليأس من الولد وهذا بخلاف اسمعيل فانه ولد قبل ذلك وأيضا فان الله سبحانه أجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك بينه وبين غيره فيها فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل فامره بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى في العزم وتوطين النفس فيه فقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا وحصل مراد الرب ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار انما حصل عند أول مولود ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الاول بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضى الامر بذبحه وهذا في غاية الظهور وأيضا فان سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فانها كانت جارية فلما ولدت اسمعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فامر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة ليبرد عن سارة حرارة الغيرة وهذا من رحمته ورأفته فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله هذا مع رحمة الله لها وابعاد الضرر عنها وجبره لها ٧ فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذ يرق قلب الست على ولدها وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها وان الله لا يضيع بيتا هذه وابنها منهم ويرى عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة وان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه ان يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتا لله اتخذه في الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلك من معك جميعا قال فماذا تأمراني أن أصنع اذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم وانه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأرى في المنام ان يكسو البيت فكساه (١) الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا ميلاثا وهى المحائض وجعل له بابا ومفتاحا فقالت سبيعة بنت الاحب ابن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن

(١) قوله الخصف هى الحصر والمعافر ثياب عملها معافر والوصائل البرود الحسان اليمانية والملاء الملاحف والمحائض خرق الحيض

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة لابن لها منه يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تبعا وتذلله لها وما صنع بها

أبنيّ لا تظلم بمكة * لا الصغير ولا الكبير واحفظ محارمها بنيّ * ولا يغرنك الغرور أبنيّ من يظلم بمكة * يلق أطراف الشرور

أبنيّ يضرب وجهه
ويلح بخديه السعير
أبنيّ قد جربتها
فوجدت ظالمها يبور
الله آمنها وما
بنيت بعرصتها قصور
والله آمن طيرها
والعصم تأمن في ثبير
ولقد غزاها تبع
فكسا بنيتها (١) الحبير
واذل ربي ملكه
فيها فاوفى بالنذور
يمشي اليها حافيا
بفنائها ألفا بعير
ويظل يطعم أهلها
لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصـ
ـفى والرحيض من الشعير
والفيل أهلك جيشه
يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلا
د وفي الاعاجم (٢) والخدير
فاسمع اذا حدثت وافـ
ـهم كيف عاقبة الامور

(قال ابن هشام) يوقف على قوافيها لا تعرب ثم خرج منها متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن * قال ابن اسحق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث ان تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم

نفذ

(١) في نسخة الحرير بدل الحبير (٢) في نسخة والجزير

والله ذو الفضل العظيم ولنرجع الى المقصود من سيرته صلى الله عليه وسلم وهديه وأخلاقه ولا خلاف انه ولد صلى الله عليه وسلم بجوف مكة وأن مولده كان عام الفيل وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته والا فاصحاب الفيل كانوا نصارى أهل الكتاب وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام واختلف في وفاة أبيه عبد الله هل توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل أو توفي بعد ولادته على قولين أصحهما أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل والثاني أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر ولا خلاف ان أمه ماتت بين مكة والمدينة بالابواء منصرفها من المدينة من زيارة اخواله ولم يستكمل اذ ذاك سبع سنين وكفله جده عبد المطلب وتوفي ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمان سنين وقيل ست وقيل عشر ثم كفله عمه أبو طالب واستمرت كفالته له فلما بلغ ثنتي عشرة سنة خرج به عمه الى الشام وقيل كانت سنه تسع سنين وفي هذه الخرجة رآه بحيرا الراهب وأمر عمه ان لا يقدم به الى الشام خوفا عليه من اليهود فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع أبي بكر وذكر البزار في مسنده هذا الحديث ولم يقل وأرسل معه عمه بلالا ولكن قال رجلا فلما بلغ خمسا وعشرين سنة خرج الى الشام في تجارة فوصل الى بصرى ثم رجع فتزوج عقب رجوعه خديجة بنت خويلد وقيل تزوجها وله ثلاثون سنة وقيل احدى وعشرون وسنها أربعون وهي أول امرأة تزوجها وأول امرأة ماتت من نسائه ولم ينكح عليها غيرها وأمره جبريل أن يقرئ عليها السلام من ربها ثم حبب الله اليه الخلوة والتعبد لربه وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد وبغضت اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شيء أبغض اليه من ذلك فلما كمل له أربعون أشرقت عليه أنوار النبوة وأكرمه الله تعالى برسالته وبعثه الى خلقه واختصه بكرامته وجعله أمينه بينه وبين عباده ولا خلاف ان مبعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين واختلف في شهر المبعث فقيل لثمان مضين من ربيع الاول سنة احدى وأربعين من عام الفيل هذا قول الاكثرين وقيل بل كان ذلك في رمضان واحتج هؤلاء بقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قالوا أول ما اكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن والى هذا ذهب جماعة منهم يحيى الصرصري حيث يقول في نونيته وأتت عليه أربعون فاشرقت * شمس النبوة منه في رمضان والاولون قالوا انما كان أنزل القرآن في رمضان جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة ثم أنزل منجما بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة وقالت طائفة أنزل فيه القرآن أي في شأنه وتعظيمه وفرض صومه وقيل كان ابتداء المبعث في شهر رجب وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة (احداها) الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح (الثانية) ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته (الثالثة) أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة احيانا (الرابعة) أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيلتبس به الملك حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى ان راحلته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على

فقالوا لحا كمنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأ كل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه باوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن * قال ابن اسحق وقد حدثنى محدث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال من حمير باوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما حتى رداها الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما والله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم كما ذكر لى بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه فلما

(١) ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كرب سار باهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الاعاجم حتى اذا كانوا ببعض أرض العراق (قال ابن هشام) بالبحرين فيما ذكر لى بعض أهل العلم كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه

(١) (ملك ابنه حسان وقتل عمرو أخيه له)

فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها (الخامسة) أنه يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ماشاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك فى سورة النجم (السادسة) ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها (السابعة) كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران وهذه المرتبة هى ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن وثبوتها النبينا صلى الله عليه وسلم هو فى حديث الاسراء وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهى تكليم الله له كفاحا من غير حجاب وهذا على مذهب من يقول انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه تبارك وتعالى وهى مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة

(فصل فى ختانه صلى الله عليه وسلم) وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه ولد مختونا مسرورا وروى فى ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا وقال الميمونى قلت لابى عبد الله مسئلة سئلت عنها ختان ختن صبيا فلم يستقص قال اذا كان الختان جاوز نصف الحشفة الى فوق فلا يعيد لان الحشفة تغلظ وكلما غلظت ارتفع الختان فاما اذا كان الختان دون النصف فكنت أرى ان يعيد قلت فان الاعادة شديدة جدا وقد يخاف عليه من الاعادة فقال لا أدرى ثم قال لى فان ههنا رجلا ولد له ابن مختون فاغتم لذلك غما شديدا فقلت له اذا كان الله قد كفاك المؤنة فما غمك بهذا انتهى وحدثنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن عثمان الخليلى المحدث ببيت المقدس انه ولد كذلك وأن أهله لم يختنوه والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (القول الثانى) أنه ختن صلى الله عليه وسلم يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة (القول الثالث) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مادبة وسماه محمدا قال أبو عمرو بن عبد البر وفى هذا الباب حديث مسند غريب حدثناه أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا محمد بن أبى السرى العسقلانى حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراسانى عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبى صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبى السرى وقد وقعت هذه المسئلة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفا فى أنه ولد مختونا واجلب فيه من الاحاديث التى لا خطام لها ولا زمام وهو كمال الدين ابن طلحة فنقضه عليه كمال الدين ابن العديم وبين فيه أنه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها والله أعلم

(فصل فى أمهاته صلى الله عليه وسلم) اللاتى أرضعنه فمنهن ثويبة مولاة أبى لهب أرضعته أياما وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى بلبن ابنها مسروح وأرضعت معهما عمه حمزة بن عبد المطلب واختلف فى اسلامها فالله أعلم ثم ارضعته حليمة السعدية بلبن ابنها عبد الله أخى أنيسة وجذامة وهى الشيما أولاد الحرث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى واختلف فى اسلام أبويه من الرضاعة فالله أعلم وأرضعت معه ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم عام الفتح وحسن اسلامه وكان عمه حمزة مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فارضعت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند أمه حليمة فكان حمزة رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين من جهة ثويبة ومن جهة السعدية

(فصل في حواضنه صلى الله عليه وسلم) فمنهن أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب * ومنهن ثويبة وحليمة والشيما بنتها وهي أخته من الرضاعة كانت تحضنه مع أمها وهي التي قدمت عليه في وفد هوازن فبسط لها رداءه واجلسها عليه رعاية لحقها ومنهن الفاضلة الجليلة أم أيمن بركة الحبشية وكان ورثها من أبيه وكانت دايته وزوجها من حبه زيد بن حارثة وولدت له اسامة وهي التي دخل عليها أبو بكر وعمر بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالا يا أم أيمن ما يبكيك فما عند الله خير لرسوله قالت اني لاعلم أن ما عند الله خير لرسوله وانما أبكي لانقطاع خبر السماء فهيجتهما على البكاء فبكيا

(فصل في مبعثه صلى الله عليه وسلم وأول ما نزل عليه) بعثه الله على رأس أربعين وهي رأس الكمال قيل ولها تبعث الرسل وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع الى السماء وله ثلاثة وثلاثون سنة فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير اليه وأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر النبوة الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح قيل وكان ذلك ستة أشهر ومدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ والله أعلم ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة فجاءه الملك وهو بغار حراء وكان يحب الخلوة فيه فاول ما أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق هذا قول عائشة والجمهور وقال جابر أول ما أنزل عليه يا أيها المدثر والصحيح قول عائشة لوجوه (أحدها) أن قوله ما أنا بقارئ صريح في أنه لم يقرأ قبل ذلك شيأ (الثاني) الامر بالقراءة في الترتيب قبل الامر بالانذار فانه اذا قرأ في نفسه أنذر ماقرأه فامره بالقراءة أولا ثم بانذار ماقرأه ثانيا (الثالث) أن حديث جابر وقوله أول ما أنزل من القرآن يا أيها المدثر قول جابر وعائشة اخبرت عن خبره صلى الله عليه وسلم عن نفسه بذلك (الرابع) أن حديث جابر الذي احتج به صريح في أنه قد تقدم نزول الملك عليه أولا قبل نزول يا أيها المدثر فانه قال فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت الى أهلي فقلت زملوني دثروني فانزل الله يا أيها المدثر وقد أخبر أن الملك الذي جاءه بحراء أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق فدل حديث جابر على تأخر نزول يا أيها المدثر والحجة في روايته لا في رأيه والله أعلم

(فصل في ترتيب الدعوة ولها مراتب) (المرتبة الاولى) النبوة (الثانية) انذار عشيرته الاقربين (الثالثة) انذار قومه (الرابعة) انذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة (الخامسة) انذار جميع من بلغته دعوته من الجن والانس الى آخر الدهر

(فصل وأقام صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك ثلاث سنين يدعو الى الله سبحانه مستخفيا ثم نزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فاعلن صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الاذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن لهم بالهجرتين

(فصل في أسمائه صلى الله عليه وسلم) وكلها أسماء نعوت ليست أعلاما محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال فمنها محمد وهو أشهرها وبه سمي في التوراة صريحا كما بيناه بالبرهان الواضح في كتاب جلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على خير الانام وهو كتاب فرد في معناه لم يسبق الى مثله في كثرة فوائده وغزارتها بينا فيه الاحاديث الواردة في الصلاة والسلام عليه وصحيحها من حسنها ومعلولها وبينا ما في معلولها من العلل بيانا شافيا ثم اسرار هذا الدعاء وشرفه وما اشتمل عليه من الحكم والفوائد ثم في مواطن الصلاة عليه ومحالها ثم الكلام في مقدار الواجب منها واختلاف أهل العلم فيه وترجيح الراجح وتزييف المزيف ومخبر الكتاب فوق وصفه * والمقصود أن اسمه محمد في التوراة صريحا بما يوافق عليه كل عالم من مؤمني أهل الكتاب

وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهلهم فكلموا أخاله يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له اقتل أخاك حسان ونملك علينا وترجع بنا الى بلادنا فاجابهم فاجتمعوا على ذلك الا ذا رعين الحميري فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

ألا من يشترى سهرا بنوم
سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت
فعذرة الاله لذى رعين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن فقال رجل من حمير

لاه عينا الذي رأى مثل حسا
ن قتيلا في سالف الاحقاب
قتلته مقاول خشية الحبـ
ـس غداة قالوا لباب لباب
ميتكم خيرنا وحيـ
ـكم رب علينا وكلكم أرباب

* قال ابن اسحق وقوله لباب لباب لا بأس لا بأس بلغة حمير (قال ابن هشام) ويروى لباب لباب * قال ابن اسحق فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سأل الاطباء (١) والحزاة من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم انه والله ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السهر فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من اشراف اليمن حتى خلص الى ذي رعين فقال له ذو رعين ان لي عندك براءة فقال وما هي قال الكتاب الذي دفعت اليك فاخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى انه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة * ومنها

(١) قوله الحزاة أي الذين ينظرون في الاعضاء يتكهنون اه

*ومنها أحمد وهو الاسم الذي سماه به المسيح لسر ذكرناه في ذلك الكتاب *ومنها المتوكل ومنها الماحي والحاشر والعاقب والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفاتح والامين ويلحق بهذه الاسماء الشاهد والمبشر والبشير والنذير والقاسم والضحوك والقتال وعبد الله والسراج المنير وسيد ولد آدم وصاحب لواء الحمد وصاحب المقام المحمود وغير ذلك من الاسماء لان أسماءه اذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم وبين الوصف المشترك فلا يكون له اسم يخصه وقال جبير بن مطعم سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي والعاقب الذي ليس بعده نبي وأسماؤه صلى الله عليه وسلم نوعان أحدهما خاص لا يشركه فيه غيره من الرسل كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفى ونبي الملحمة والثاني ما يشركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والمبشر والنذير ونبي الرحمة ونبي التوبة وأما ان جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق والرؤف الرحيم الى أمثال ذلك وفي هذا قال من قال من الناس ان لله ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم قاله أبو الخطاب بن دحية ومقصوده الاوصاف

(فصل في شرح معاني أسمائه صلى الله عليه وسلم) أما محمد فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد اذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود فان محمودا من الثلاثي المجرد ومحمد من المضاعف للمبالغة فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ولهذا والله أعلم سمي به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم وقد أتينا على هذا المعنى بشواهده هناك وبينا غلط أبي القاسم السهيلي حيث جعل الامر بالعكس وان اسمه في التوراة أحمد * وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضا من الحمد وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول فقالت طائفة هو بمعنى الفاعل أي حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه ورجحوا هذا القول بان قياس أفعل التفضيل ان يصاغ من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول قالوا ولهذا لا يقال ما أضرب زيدا ولا زيد أضرب من عمرو باعتبار الضرب الواقع عليه ولا ما أشربه للماء وآكله للخبز ونحوه قالوا لان أفعل التفضيل وفعل التعجب انما يصاغان من الفعل اللازم ولهذا يقدر نقله من فعل وفعل المفتوح العين ومكسورها الى فعل المضموم العين قالوا ولهذا يعدى بالهمزة الى المفعول فهمزته للتعدية كقولك ما أظرف زيدا وأكرم عمرا وأصلهما من ظرف وكرم قالوا لان المتعجب منه فاعل في الاصل فوجب أن يكون فعله غير متعد قالوا وأما نحو ما أضرب زيدا لعمرو فهو منقول من فعل المفتوح العين الى فعل المضموم العين ثم عدي والحالة هذه بالهمزة قالوا والدليل على ذلك مجيئهم باللام فيقولون ما أضرب زيدا لعمرو ولو كان باقيا على تعديه لقيل ما أضرب زيدا عمرا لانه متعد الى واحد بنفسه والى الآخر بهمزة التعدية فلما ان عدوه الى المفعول بهمزة التعدية عدوه الى الآخر باللام فهذا هو الذي أوجب لهم ان قالوا انهما لا يصاغان الا من فعل الفاعل لا من الواقع على المفعول ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا يجوز صوغهما من فعل الفاعل ومن الواقع على المفعول وكثرة السماع به من أبين الادلة على جوازه تقول العرب ما أشغله بالشئ وهو من شغل فهو مشغول وكذلك يقولون ما أولعه بكذا وهو من أولع بالشئ فهو مولوع به مبني للمفعول ليس الا

منهم فقال قائل من حمير للضبيعة تقتل أبناها وتنفي سراتها * وتبني بأيديها لها الذل حمير تدمر دنياها بطيش حلومها *
وما ضيعت من دينها فهو أكثر كذاك القرون قبل ذلك بظلمها وإسرافها * تأتي الشرور فتخسر وكان لخنيعة امرأ

فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله في فيه أي ليعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكينا حديدا لطيفا فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس ارطب أم يباس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس (قال ابن هشام) هذا كلام حمير ونخماس الرأس فنظروا الى الكوة فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي ان يملكنا غيرك اذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فأقام في ملكه زمانا وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا به *قال ابن اسحق فحدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الاخنس عن وهب بن منبه اليماني انه حدثهم ان موقع ذلك الدين بنجران

وكذلك قولهم ما أعجبه بكذا فهو من أعجب به ويقولون ما أحبه الىّ فهو تعجب من فعل المفعول وكونه محبوبا لك وكذا ما أبغضه الىّ وأمقته الىّ وههنا مسئلة مشهورة ذكرها سيبويه وهي انك تقول ما أبغضني له وما أحبني له وما أمقتني له اذا كنت أنت المبغض الكاره والمحب والماقت فتكون متعجبا من فعل الفاعل وتقول ما أبغضني اليه وما أمقتني اليه وما أحبني اليه اذا كنت أنت البغيض الممقوت أو المحبوب فتكون متعجبا من الفعل الواقع على المفعول فما كان باللام فهو للفاعل وما كان بالى فهو للمفعول وأكثر النحاة لا يعللون هذا والذي يقال في علته والله أعلم ان اللام تكون للفاعل في المعنى نحو قولك لمن هذا فيقال لزيد فيؤتى باللام وأما الى فتكون للمفعول في المعنى تقول الى من يصل هذا الكتاب فتقول الى عبد الله وسر ذلك ان اللام في الاصل للملك والاختصاص والاستحقاق انما يكون للفاعل الذي يملك ويستحق والى لانتهاء الغاية والغاية منتهى ما يقتضيه الفعل فهي بالمفعول أليق لانها تمام مقتضى الفعل ومن التعجب من فعل المفعول قول كعب بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم

فلهو أخوف عندي اذ أكلمه * وقيل انك محبوس ومقتول

من خادر من ليوث الاسد مسكنه * ببطن عثر غيل دونه غيل

فاخوف ههنا من خيف فهو مخوف لا من خاف وكذلك قولهم ما أجن زيدا من جن فهو مجنون هذا مذهب الكوفيين ومن وافقهم قال البصريون كل هذا شاذ لا يعول عليه فلا نشوش به القواعد ويجب الاقتصار منه على المسموع قال الكوفيون كثرة هذا في كلامهم نثرا ونظما يمنع حمله على الشذوذ لان الشاذ ما خالف استعمالهم ومطرد كلامهم وهذا غير مخالف لذلك قالوا وأما تقديركم لزوم الفعل ونقله الى فعل فتحكم لا دليل عليه وما تمسكتم به من التعدية بالهمزة الى آخره فليس الامر فيها كما ذهبتم اليه والهمزة في هذا البناء ليست للتعدية وانما هي للدلالة على معنى التعجب والتفضيل فقط كالف فاعل وميم مفعول وواوه وتاء الافتعال والمطاوعة ونحوها من الزوائد التي تلحق الفعل الثلاثي لبيان ما لحقه من الزيادة على مجرده فهذا هو السبب الجالب لهذه الهمزة لا تعدية الفعل قالوا والذي يدل على هذا ان الفعل الذي يعدى بالهمزة يجوز ان يعدى بحرف الجر والتضعيف نحو جلست به وأجلسته وقمت به وأقمته ونظائره وهنا لا يقوم مقام الهمزة غيرها فعلم انها ليست للتعدية المجردة وأيضا فانها تجامع باء التعدية نحو أكرم به وأحسن به ولا يجمع على الفعل بين تعديتين وأيضا فانهم يقولون ما أعطاه للدراهم وأكساه للثياب وهذا من أعطى وكسا المتعدى ولا يصح تقدير نقله الى عطو اذا تناول ثم أدخلت عليه همزة التعدية لفساد المعنى فان التعجب انما وقع من اعطائه لا من عطوه وهو تناوله والهمزة التي فيه همزة التعجب والتفضيل وحذفت همزته التي في فعله فلا يصح ان يقال هي للتعدية قالوا وأما قولكم انه عدى باللام في نحو ما أضربه لزيد الى آخره فالاتيان باللام ههنا ليس لما ذكرتم من لزوم الفعل وانما أتى بها تقوية له لما ضعف بمنعه من التصرف وألزم طريقة واحدة خرج بها عن سنن الافعال فضعف عن اقتضائه وعمله فقوى باللام كما يقوى بها عند تقدم معموله عليه وعند فرعيته وهذا المذهب هو الراجح كما تراه (فلنرجع الى المقصود) فنقول تقدير أحمد على قول الاولين أحمد الناس لربه وعلى قول هؤلاء أحق الناس وأولاهم بان يحمد فيكون كمحمد في المعنى الا ان الفرق بينهما ان محمدا هو كثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره فيحمد أكثر حمد

وأفضل

كان ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل بين القرى لا يعرف بقرية الا خرج منها الى قرية لا يعرف بها وكان لا يأكل الا من كسب يديه وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الاحد فاذا كان يوم الاحد لم يعمل فيه شيأ وخرج الى فلاة من الارض فصلى بها حتى يمسي قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فاحبه صالح حبا لم يحبه شيأ كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الاحد الى فلاة من الارض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحب ان يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي اذ أقبل نحوه التنين الحية ذات الرؤس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه (١) فعيل عوله فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف انه قد عرف وعرف صالح انه قد رأى مكانه فقال له يا فيميون تعلم والله انى ما أحببت شيأ قط حبك وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت فقال ما شئت أمرى كما ترى فان علمت انك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه وكان اذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي واذا دعي الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له انه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالاجر فعمد الرجل الى ابنه ذلك فوضعه في حجرته والقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون انى قد أردت ان أعمل في بيتي عملا فانطلق معي اليه حتى تنظر اليه فاشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد أن تعمل من بيتك هذا قال

(١) قوله فعيل عوله أي غلب غلبة

كذا وكذا ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي ثم قال له يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس
وعرف فيميون انه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبيناهو يمشي في بعض (٢٣) الشام اذ مر بشجرة عظيمة فناداه منها رجل فقال يا فيميون قال نعم قال ما زلت انظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت انك هو لا تبرح حتى تقوم على فاني ميت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوما فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحا آخر فكان فيميون اذا قام من الليل يتهجد في بيت له أسكنه اياه سيده يصلي استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به فقال له فيميون انما أنتم في باطل ان هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها الهي الذي أعبده أهلكها وهو الله وحده لا شريك له قال فقال له سيده فافعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه قال فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الاحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب * قال ابن اسحق فهذا حديث وهب ابن منبه عن أهل نجران * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها ان أهل

وأفضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى ولو أريد معنى الفاعل لسمي الحماد أي كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الخلق حمدا لربه فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك أمته وأيضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وأحمد وهو الذي يحمده أهل السماء وأهل الارض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصائله المحمودة التي تفوق عد العادين واحصاء المحصين وقد أشبعنا هذا المعنى في كتاب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وانما ذكرنا ههنا كلمات يسيرة اقتضتها حال المسافر وتشتت قلبه وتفرق همته وبالله المستعان وعليه التكلان وأما اسمه المتوكل ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال قرأت في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله وهو صلى الله عليه وسلم أحق الناس بهذا الاسم لانه توكل على الله في اقامة الدين توكلا لم يشركه فيه غيره وأما الماحي والحاشر والمقفي والعاقب فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم فالماحي الذي محا الله به الكفر ولم يمح الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه بعث وأهل الارض كلهم كفار الا بقايا من أهل الكتاب وهم ما بين عباد أوثان ويهود مغضوب عليهم ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة لا يعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار * وأما الحاشر فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يحشر الناس على قدمه فكأنه بعث ليحشر الناس والعاقب الذي جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي فان العاقب هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم ولهذا سمي العاقب على الاطلاق أي عقب الانبياء جاء بعقبهم * وأما المقفي فكذلك وهو الذي قفى على آثار من تقدمه فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس وقافية البيت فالمقفي الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم * وأما نبي التوبة فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الارض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لاهل الارض قبله وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس استغفارا وتوبة حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الغفور وكان يقول يا أيها الناس توبوا الى الله ربكم فاني أتوب الى الله في اليوم مائة مرة وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولا وأسهل تناولا وكانت توبة من قبلهم من أصعب الاشياء حتى كان من توبة بني اسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم وأما هذه الامة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والاقلاع * وأما نبي الملحمة فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار ولم يعهد مثلها قبله فان أمته يقتلون الكفار في أقطار الارض على تعاقب الاعصار وأوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم * وأما نبي الرحمة فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين فرحم به أهل الارض كلهم مؤمنهم وكافرهم أما المؤمنون فنالوا النصيب الاوفر من الرحمة * وأما الكفار فاهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده * أما من قتله منهم هو وأمته فانهم عجلوا به الى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها الا شدة العذاب في الآخرة * وأما الفاتح فهو الذي فتح الله به باب

الهدى بعد ان كان مرتجا وفتح به الاعين العمى والآذان الصم والقلوب الغلف وفتح الله به أمصار الكفار وفتح به أبواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار * وأما الامين فهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من فى السماء وأمين من فى الارض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الامين وأما الضحوك القتال فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر فانه ضحوك فى وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ قتال لاعداء الله لا يأخذه فيهم لومة لائم وأما البشير فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب وقد سماه الله عبده فى مواضع من كتابه منها قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وقوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فاوحى الى عبده ما أوحى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا وثبت عنه فى الصحيح انه قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر وسماه الله سراجا منيرا وسمى الشمس سراجا وهاجا والمنير هو الذى ينير من غير احراق بخلاف الوهاج فان فيه نوع احراق وتوهج

(فصل فى ذكر الهجرتين الاولى والثانية) لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم له صلى الله عليه وسلم وفتنتهم اياهم فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى الحبشة وقال ان بها ملكا لا يظلم الناس عنده فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقاموا فى الحبشة فى أحسن جوار فبلغهم أن قريشا أسلمت وكان هذا الخبر كذبا فرجعوا الى مكة فلما بلغهم أن الامر أشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديدا وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود ثم أذن لهم فى الهجرة ثانيا الى الحبشة فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا ان كان فيهم عمار فانه يشك فيه ومن النساء ثمان عشرة امرأة فاقاموا عند النجاشى على أحسن حال فبلغ ذلك قريشا فارسلوا عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزبير المخزومى فى جماعة ليكيدوهم عند النجاشى فرد الله كيدهم فى نحورهم فاشتد أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحصروه وأهل بيته فى الشعب شعب أبى طالب ثلاث سنين وقيل سنتين وخرج من الحصر وله تسع وأربعون سنة وقيل ثمان وأربعون سنة وبعد ذلك باشهر مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة وفى الشعب ولد عبد الله بن عباس فنال الكفار منه أذى شديدا ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير فاشتد أذى الكفار له فخرج الى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو الى الله وأقام به أياما فلم يجيبوه وآذوه وأخرجوه وقاموا له سماطين فرجموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه فانصرف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى مكة وفى طريقه لقى عداسا النصرانى فآمن به وصدقه وفى طريقه أيضا بنخلة صرف اليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين فاستمعوا القرآن وأسلموا وفى طريقه تلك أرسل الله اليه ملك الجبال يأمره بطاعته وان يطبق على قومه أخشبى مكة وهما جبلاها ان أراد فقال لا بل أستأنى بهم لعل الله يخرج من اصلابهم من يعبده لا يشرك به شيا وفى طريقه دعا بذلك الدعاء المشهور اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى الحديث ثم دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى ثم أسرى بروحه وجسده الى المسجد الاقصى ثم عرج به الى فوق السموات بجسده وروحه الى الله عز وجل فخاطبه وفرض عليه الصلوات وكان ذلك مرة واحدة هذا أصح الاقوال وقيل كان ذلك مناما وقيل بل يقال أسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وقيل كان الاسراء الى بيت المقدس يقظة والى السماء مناما وقيل كان الاسراء مرتين مرة يقظة ومرة مناما وقيل بل أسرى به ثلاث مرات وكان ذلك بعد المبعث بالاتفاق وأما ما وقع فى حديث شريك ان ذلك كان قبل أن يوحى اليه فهذا مما

نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ونجران القرية العظمى التى اليها جماع أهل تلك البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبه قالوا رجل نزلها ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى بها الساحر فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث اليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه فقال يا ابن أخى انك لن تحمله أخشى عليك ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله لا يظن الا أن ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه الا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف به فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيأ فأخذه ثم أتى صاحبه فاخبره بانه قد علم الاسم الذى كتمه فقال وما هو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أى ابن أخى قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن الثامر اذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر الا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر الا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لامثلن بك قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع

عده من أغلاط شريك الثمانية وسوء حفظه لحديث الاسراء وقيل ان هذا كان اسراء المنام قبل الوحى وأما اسراء اليقظة فبعد النبوة وقيل بل الوحى ههنا مقيد وليس بالوحى المطلق الذى هو مبدأ النبوة والمراد قبل أن يوحى اليه فى شأن الاسراء فاسرى به فجاءة من غير تقدم اعلام والله أعلم فاقام صلى الله عليه وسلم بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله تعالى ويعرض نفسه عليهم فى كل موسم ان يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فلم يستجب له قبيلة وذخر الله ذلك كرامة للانصار فلما أراد الله تعالى اظهار دينه وانجاز وعده ونصر نبيه واعلاء كلمته والانتقام من أعدائه ساقه الى الانصار لما أراد بهم من الكرامة فانتهى الى نفر منهم ستة وقيل ثمانية وهم يحلقون رؤسهم عند عقبة منى فى الموسم فجلس اليهم ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ورسوله ورجعوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام حتى فشى فيهم ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق ثم قدم مكة فى العام القابل اثنا عشر رجلا من الانصار منهم خمسة من الستة الاولين فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء عند العقبة ثم انصرفوا الى المدينة فقدم عليه فى العام القابل منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهم أهل العقبة الاخيرة فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم فترحل هو وأصحابه اليهم واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثنى عشر نقيبا وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا متسللين أولهم فيما قيل أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى وقيل مصعب بن عمير فقدموا على الانصار فى دورهم فآووهم ونصروهم وفشا الاسلام بالمدينة ثم أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فخرج من مكة يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول وقيل فى صفر وله اذ ذاك ثلاث وخمسون سنة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن الاريقط الليثى فدخل غار ثور هو وأبو بكر فاقاما فيه ثلاثا ثم أخذا على طريق الساحل فلما انتهوا الى المدينة وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وقيل غير ذلك نزل بقباء فى أعلى المدينة على بنى عمرو بن عوف وقيل نزل على كلثوم بن الهدم وقيل على سعد بن خيثمة والاول أشهر فاقام عندهم أربعة عشر يوما وأسس مسجد قباء ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة فى بنى سالم فجمع بهم بمن كان معه من المسلمين وهم مائة ثم ركب ناقته وسار وجعل الناس يكلمونه فى النزول عليهم ويأخذون بخطام الناقة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فبركت عند مسجده اليوم وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين من بنى النجار فنزل عنها على أبى أيوب الانصارى ثم بنى مسجده موضع المربد بيده هو وأصحابه بالجريد واللبن ثم بنى مسكنه ومساكن أزواجه الى جنبه وأقربها اليه مسكن عائشة ثم تحول بعد سبعة أشهر من دار أبى أيوب اليها وبلغ أصحابه بالحبشة هجرته الى المدينة فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا فحبس منهم بمكة سبعة وانتهى بقيتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم هاجر بقيتهم فى السفينة عام خيبر سنة سبع

(فصل فى أولاده صلى الله عليه وسلم) أولهم القاسم وبه كان يكنى مات طفلا وقيل عاش الى أن ركب الدابة وسار على النجيبة ثم زينب وقيل هى أسن من القاسم ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة وقد قيل فى كل واحدة منهن أنها أسن من أختيها وقد ذكر عن ابن عباس أن رقية أسن الثلاث وأم كلثوم أصغرهن ثم ولد له عبد الله وهل ولد بعد النبوة أو قبلها فيه اختلاف وصحح بعضهم أنه ولد بعد النبوة وهل هو الطيب والطاهر أو هما غيره على قولين والصحيح أنهما لقبان له والله أعلم وهؤلاء كلهم من خديجة

الى الارض ليس به بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يقع فيها شئ الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله ابن الثامر انك والله لن تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله تعالى ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ثم هلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى صلى الله عليه وسلم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران والله أعلم بذلك * قال ابن اسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر والله أعلم أى ذلك كان فسار اليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق من حرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففى ذى نواس وجنده ذلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (قال ابن هشام) الاخدود الحفر المستطيل فى الارض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد * قال ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر

من العراقية اللاتى يحيل لها
بين الفلاة وبين النخل أخدود

يعنى جدولا وهذا البيت فى قصيدة له قال ويقال لاثر السيف والسكين فى الجلد وأثر السوط ونحوه أخدود وجمعه أخاديد * قال ابن اسحق

ولم يولد له من زوجة غير هاشم ولد له ابراهيم بالمدينة من سريته مارية القبطية سنة ثمان من الهجرة وبشره به أبو رافع مولاه فوهب له عبدا ومات طفلا قبل الفطام واختلف هل صلى عليه أم لا على قولين وكل أولاده توفى قبله الا فاطمة فانها تأخرت بعده بستة أشهر فرفع الله لها بصبرها واحتسابها من الدرجات ما فضلت به على نساء العالمين وفاطمة أفضل بناته على الاطلاق وقيل انها أفضل نساء العالمين وقيل بل أمها خديجة وقيل بل عائشة وقيل بل بالوقف في ذلك

((فصل في أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم)) فنهم أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب والعباس وأبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى والزبير وعبد الكعبة والمقوم وضرار وقثم والمغيرة ولقبه حجل والغيداق واسمه مصعب وقيل نوفل وزاد بعضهم العوام ولم يسلم منهم الا حمزة والعباس وأما عماته فصفية أم الزبير بن العوام وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وأم حكيم البيضاء أسلم منهن صفية واختلف في اسلام عاتكة وأروى وصحح بعضهم اسلام أروى وأسن أعمامه الحارث وأصغرهم سنا العباس وعقب منه حتى ملأ أولاده الارض وقيل أحصوا في زمن المأمون فبلغوا ستمائة ألف وفي ذلك بعد لا يخفى وكذلك أعقب أبو طالب وأكثر والحارث وأبو لهب وجعل بعضهم الحارث والمقوم واحدا وبعضهم الغيداق وحجلا واحدا

((فصل في أزواجه صلى الله عليه وسلم)) أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية تزوجها قبل النبوة ولها أربعون سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأولاده كلهم منها الا ابراهيم وهي التي وازرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها وأرسل الله اليها السلام مع جبرائيل وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية وهي التي وهبت يومها لعائشة ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين وبنى بها في شوال في السنة الاولى من الهجرة وعمرها تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها وكانت أحب الخلق اليه ونزل عذرها من السماء واتفقت الامة على كفر قاذفها وهي أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه نساء الامة وأعلمهن على الاطلاق وكان الاكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرجعون الى قولها ويستفتونها وقيل انها أسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر أبو داود أنه طلقها ثم راجعها ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحرث القيسية من بني هلال بن عامر وتوفيت عنده بعد ضمه لها بشهرين ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية واسم أبي أمية حذيفة ابن المغيرة وهي آخر نسائه موتا وقيل آخرهن موتا صفية واختلف فيمن ولي تزويجها منه فقال ابن سعد في الطبقات ولي تزويجها منه سلمة بن أبي سلمة دون غيره من أهل بيتها ولما زوج النبي صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة امامة بنت حمزة التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد قال هل جزيت سلمة يقول ذلك لان سلمة هو الذي تولى تزويجه دون غيره من أهلها ذكر هذا في ترجمة سلمة ثم ذكر في ترجمة أم سلمة عن الواقدي حدثني مجمع بن يعقوب عن أبي بكر بن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم سلمة الى ابنها عمر بن أبي سلمة فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام صغير وقال الامام أحمد في المسند حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي سلمة حدثنا ثابت قال حدثني ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة انها لما انقضت عدتها من أبي سلمة بعث اليها رسول الله

صلى

ويقال كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وامامهم * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث ان رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخرت يده عنها (٢) تنبعث دما واذا أرسلت يده ردها عليها فامسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه الى عمر بن الخطاب يخبر بامره فكتب اليهم عمر رضي الله عنه ان أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا * قال ابن اسحق وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فاعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده فاخبره بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمر عليهم رجلا منهم يقال له ارياط ومعه في جنده أبرهة الاشرم فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان وسار اليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره فادخله فيه وكان آخر العهد به ودخل ارياط اليمن فملكها فقال رجل من أهل اليمن وهو يذكر ما ساق اليهم دوس من أمر الحبشة * لا كدوس ولا كاعلاق رحله * فهي مثل باليمن الى هذا اليوم وقال ذو جدن الحميري

(٢) في نسخة انبعث

صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم انى امرأة غيراء وانى مصبية وليس أحد من أوليائى حاضرا الحديث وفيه فقالت لابنها عمر قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه وفى هذا نظر فان عمر هذا كان سنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ذكرا بن سعد وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة أربع فيكون له من العمر حينئذ ثلاث سنين ومثل هذا لا يزوج قال ذلك ابن سعد وغيره ولما قيل ذلك للامام أحمد فقال من يقول ان عمر كان صغيرا قال أبو الفرج بن الجوزى ولعل أحمد قال هذا قبل أن يقف على مقدار سنه وقد ذكر مقدار سنه جماعة من المؤرخين ابن سعد وغيره وقد قيل ان الذى زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمها عمر بن الخطاب والحديث قم يا عمر فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسب عمر ونسب أم سلمة يلتقيان فى كعب فانه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رواح بن عدى بن كعب وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب فوافق اسم ابنها عمر اسمه فقالت قم يا عمر فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن بعض الرواة أنه ابنها فرواه بالمعنى وقال فقالت لابنها وذهل عن تعذر ذلك عليه لصغر سنه ونظير هذا وهم بعض الفقهاء فى هذا الحديث وراتهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا غلام فزوج أمك قال أبو الفرج بن الجوزى وما عرفنا هذا فى هذا الحديث قال وان ثبت فيحتمل أن يكون قاله على وجه المداعبة للصغير اذ كان له من العمر يومئذ ثلاث سنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها فى سنة أربع ومات ولعمر تسع سنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتقر نكاحه الى ولى وقال ابن عقيل ظاهر كلام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يشترط فى نكاحه الولى وان ذلك من خصائصه * ثم تزوج زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة وهى ابنة عمته أميمة وفيها نزل قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وبذلك كانت تفتخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذى زوجها لرسوله من فوق سمواته وتوفيت فى أول خلافة عمر بن الخطاب وكانت أولا عند زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه فلما طلقها زوجه الله اياها لتتأسى به أمته فى نكاح أزواج من تبنوه * وتزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية وكانت من سبايا بنى المصطلق فجاءته تستعين به على كتابتها فادى عنها كتابتها وتزوجها * ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشية الاموية وقيل اسمها هند تزوجها وهى ببلاد الحبشة مهاجرة وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار وسيقت اليه من هناك وماتت فى أيام أخيها معاوية هذا المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة ولحفصة بالمدينة ولصفية بعد خيبر وأما حديث عكرمة بن عمار عن أبى زميل عن ابن عباس أن أبا سفيان قال للنبى صلى الله عليه وسلم أسألك ثلاثا فاعطاه اياهن منها وعندى أجمل العرب أم حبيبة أزوجك اياها فهذا الحديث غلط ظاهر لا خفاء به قال أبو محمد بن حزم وهو موضوع بلا شك كذبه عكرمة بن عمار وقال ابن الجوزى فى هذا الحديث هو وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردد وقد اتهموا به عكرمة بن عمار لان أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبد الله بن جحش وولدت له وهاجر بها وهما مسلمان الى أرض الحبشة ثم تنصر وثبتت أم حبيبة على اسلامها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى يخطبها عليه فزوجه اياها وأصدقها عنه صداقا وذلك فى سنة سبع من الهجرة وجاء أبو سفيان فى زمن الهدنة فدخل عليها فثنت فراش رسول الله صلى الله عليه

هونك ليس يرد الدمع مافاتا * لا تهلكى أسفا فى اثر من ماتا أبعد يبنون لا عين ولا أثر * وبعد سلحين يبنى الناس أبياتا وبينون وسلحين وغمدان من حصون اليمن التى هدمها ارياط ولم يكن فى الناس مثلها وقال ذو جدن أيضا

دعينى لا أبالك لن تطيقى * لحاك الله قد أنزفت ريقى
لدى عزف القيان اذا انتشينا * واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكنى فيها رفيقى
فان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء مع السويق
ولا مترهب فى أسطوان * يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذى حدثت عنه * بنوه مسمكا فى رأس نيق
بمنهمة وأسفله جروب * وحر الموحل اللثق الذليق
مصابيح السليط تلوح فيه * اذا يمسى كتوماض البروق
ونخلته التى غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
فأصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
واسلم ذو نواس مستكينا * وحذر قومه ضنك المضيق

وقال عبد الله ابن الذئبة الثقفى فى ذلك (قال ابن هشام) الذئبة أمه واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم ابن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى

لعمرك ما للفتى من مفر * مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صحرة * لعمرك ما ان له من وزر
أبعد قبائل من حمير * أبيدوا صباحا بذات العبر
بالف ألوف وحرابة * كمثل السماء قبيل المطر
يصم صياحهم المقربات * وينفون من قاتلوا بالذفر
سعالى مثل عديد التراب * تيبس منهم رطاب الشجر

وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى شئ كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى فبلغه انه يتوعده فقال يذكر حمير وعزها وما زال من ملكها عنها

أتوعدنى كأنك ذو رعين *

بافضل عيشة أوذونواس وكائن كان قبلك من نعيم * وملك ثابت فى الناس راسي قديم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادوا وأمسى * يحول من أناس فى أناس (قال ابن هشام) زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد

العشيرة بن مذحج ويقال زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ويقال زبيد بن صعب بن سعد ومراد يحابر بن مذحج (قال ابن هشام) وحدثني أبو عبيدة قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سلمان بن ربيعة الباهلي وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان وهو بارمينية يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف فى العطاء فعرض الخيل فمر به فرس عمرو بن معدى كرب فقال له سلمان فرسك هذا مقرف فغضب عمرو فقال هجين عرف هجينا مثله فوثب اليه قيس فتوعده فقال عمرو هذه الابيات (قال ابن هشام) وهذا الذى عنى سطيح الكاهن بقوله ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش والذى عنى شق الكاهن بقوله لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران * قال ابن اسحق فاقام ارياط بارض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيأ فابرز الى وأبرز اليك فاينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط أنصفت فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا لحيما وكان ذا دين فى النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفى يده وهذا
حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت

وسلم حتى لا يجلس عليه ولا خلاف ان أبا سفيان ومعاوية أسلما فى فتح مكة سنة ثمان وأيضا فى هذا الحديث أنه قال له وتأمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم ولا يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان ألبتة وقد أكثر الناس الكلام فى هذا الحديث وتعددت طرقهم فى وجهه فنهم من قال الصحيح أنه تزوجها بعد الفتح لهذا الحديث قال ولا يرد هذا بنقل المؤرخين وهذه الطريقة باطلة عند من له أدنى علم بالسيرة وتواريخ ما قد كان وقالت طائفة بل سأله أن يجدد له العقد تطييبا لقلبه فانه كان تزوجها بغير اختياره وهذا باطل لا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يليق بعقل أبي سفيان ولم يكن من ذلك شئ وقالت طائفة منهم البيهقي والمنذري يحتمل أن تكون هذه المسئلة من أبي سفيان وقعت فى بعض خرجاته الى المدينة وهو كافر حين سمع نعي زوج أم حبيبة بالحبشة فلما ورد على هؤلاء ما لا حيلة لهم فى دفعه من سؤاله أن يأمره حتى يقاتل الكفار وأن يتخذ ابنه كاتبا قالوا لعل هاتين المسئلتين وقعتا منه بعد الفتح فجمع الراوي ذلك كله فى حديث واحد والتعسف والتكلف الشديد الذى فى هذا الكلام يغنى عن رده وقالت طائفة للحديث محمل آخر صحيح وهو أن يكون المعنى أرضى أن تكون زوجتك الآن فاني قبل لم أكن راضيا والآن فاني قد رضيت فأسألك أن تكون زوجتك وهذا وأمثاله لو لم يكن قد سودت به الاوراق وصنفت فيه الكتب وحمله الناس لكان الاولى بنا الرغبة عنه لضيق الزمان عن كتابته وسماعه والاشتغال به فانه من ربد الصدور لا من زبدها وقالت طائفة لما سمع أبو سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه لما آلى منهن أقبل الى المدينة وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال ظنا منه أنه قد طلقها فيمن طلق وهذا من جنس ما قبله وقالت طائفة بل الحديث صحيح ولكن وقع الغلط والوهم من أحد الرواة فى تسمية أم حبيبة وانما سأل أن يزوجه أختها رملة ولا يبعد خفاء التحريم للجمع عليه فقد خفي ذلك على ابنته وهي أفقه منه وأعلم حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك فى أختي بنت أبي سفيان فقال أفعل ماذا قالت تنكحها قال أو تحبين ذلك قالت لست لك بمخلية وأحب من يشاركني فى الخير أختي قال فانها لا تحل لي فهذه هي التى عرضها أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم فسماها الراوي من عنده أم حبيبة وقيل بل كانت كنيتها أيضا أم حبيبة وهذا الجواب حسن لولا قوله فى الحديث فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل فيقال حينئذ هذه اللفظة وهم من الراوي فانه أعطاه بعض ما سأل فقال الراوي أعطاه ما سأل أو أطلقها اتكالا على فهم المخاطب أنه أعطاه ما يجوز اعطاؤه مما سأل والله أعلم

* وتزوج صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من ولد هرون بن عمران أخي موسى فهي ابنة نبي وزوجة نبي وكانت من أجمل نساء العالمين وكانت قد صارت له من الصفي أمة فاعتقها وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للامة الى يوم القيامة أن يعتق الرجل أمته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته بذلك فاذا قال أعتقت أمتي وجعلت عتقها صداقها أو قال جعلت عتق أمتي صداقها صح العتق والنكاح وصارت زوجته من غير احتياج الى تجديد عقد ولا ولي وهو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث وقالت طائفة هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو مما خصه الله به فى النكاح دون الامة وهذا قول الائمة الثلاثة ومن وافقهم والصحيح القول الاول لان الاصل عدم الاختصاص حتى يقوم عليه دليل والله سبحانه لما خصه بنكاح الموهوبة له قال فيها خالصة لك من دون المؤمنين ولم يقل هذا فى المعتقة ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطع تأسي الامة به فى ذلك فالله سبحانه أباح له نكاح امرأة من تبناه لئلا يكون على الامة حرج فى نكاح أزواج من تبنوه فدل على أنه اذا نكح نكاحا فلامته التأسي به فيه ما لم يأت عن الله ورسوله نص بالاختصاص وقطع التأسي

وهذا ظاهر ولتقرير هذه المسئلة وبسط الاحتجاج وتقرير أن جواز مثل هذا هو مقتضى الاصول والقياس موضع آخر وانما نبهنا عليه تنبيها * ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح وقيل قبل حلاله هذا قول ابن عباس ووهم رضي الله عنه فان السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع وقد أخبر أنه تزوجها حلالا وقال كنت أنا السفير بينهما وابن عباس اذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها وكان غائبا عن القصة لم يحضرها وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة وهو أعلم بها ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وماتت في أيام معاوية وقبرها بسرف * قيل ومن أزواجه ريحانة بنت زيد النضرية وقيل القرظية سبيت يوم بني قريظة فكانت صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقها وتزوجها ثم طلقها تطليقة ثم راجعها وقالت طائفة بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين حتى توفي عنها فهي معدودة في السراري لا في الزوجات والقول الاول اختيار الواقدي ووافقه عليه شرف الدين الدمياطي وقال هو الاثبت عند أهل العلم وفيما قاله نظر فان المعروف أنها من سراريه واماثه والله أعلم * فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهن وأما من خطبها ولم يتزوجها ومن وهبت نفسها له ولم يتزوجها فنحو أربع أو خمس وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة وأهل العلم بالسيرة وأحواله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرفون هذا بل ينكرونه والمعروف عندهم أنه بعث الى الجونية ليتزوجها فدخل عليها ليخطبها فاستعاذت منه فاعاذها ولم يتزوجها وكذلك الكلبية وكذلك التي رأى بكشحها بياضا فلم يدخل بها والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن هذا هو المحفوظ والله أعلم * ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم توفي عن تسع وكان يقسم منهن لثمان عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وأول نسائه لحوقا به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش سنة عشرين وآخرهن موتا أم سلمة سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد والله أعلم

(فصل في سراريه صلى الله عليه وسلم) قال أبو عبيدة كان له أربع مارية وهي أم ولده ابراهيم وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي وجارية وهبتها له زينب بنت جحش

(فصل في مواليه) فمنهم زيد بن حارثة بن شراحيل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت أسامة ومنهم أسلم وأبو رافع وثوبان وأبو كبشة سليم وشقران واسمه صالح ورباح نوبي ويسار نوبي أيضا وهو قتيل العرنيين ومدعم وكركرة نوبي أيضا وكان على ثقله صلى الله عليه وسلم وكان يمسك راحلته عند القتال يوم خيبر وفي صحيح البخاري أنه الذي غل الشملة ذلك اليوم فقتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها لتلتهب عليه نارا وفي الموطأ أن الذي غلها مدعم وكلاهما قتل بخيبر والله أعلم * ومنهم أنجشة الحادي وسفينة بن فروخ واسمه مهران وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا يحملونه في السفر متاعهم فقال أنت سفينة قال أبو حاتم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره أعتقته أم سلمة ومنهم أنيسة ويكنى أبا مشروح وأفلح وعبيدة وطهمان قيل وهو كيسان وذكوان ومهران ومروان وقيل هذا خلاف في اسم طهمان والله أعلم * ومنهم حنين وسندر وفضالة يماني ومابور خصي وواقد وأبو واقد وقسام وأبو عسيب وأبو مويهبة * ومن النساء سلمى أم رافع وميمونة بنت سعد وخضيرة ورضوى ورزينة وأم ضمير وميمونة بنت أبي عسيب ومارية وريحانة

(فصل في خدامه صلى الله عليه وسلم) فمنهم أنس بن مالك وكان على حوائجه وعبد الله بن مسعود

حاجبه وأنفه وعينه وشفته فبذلك سمي أبرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة ارياط فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضبا شديدا وقال عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي ثم كتب اليه أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكل طاعته لك الا اني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فيّ فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه أن اثبت بارض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن * ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النسأة أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر والنسأة الذين كانوا ينسؤن الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الاشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله (قال ابن هشام) ليواطئوا ليوافقوا والمواطأة الموافقة تقول العرب واطأتك على هذا الامر أي وافقتك عليه والايطاء في الشعر الموافقة وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد نحو قول العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤبة أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم

صاحب نعله وسواكه وعقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته يقود به فى الاسفار وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته وبلال بن رباح المؤذن وسعد موليا أبى بكر الصديق وأبو ذر الغفارى وأيمن بن عبيد وأمه أم أيمن موليا النبى صلى الله عليه وسلم وكان أيمن على مطهرته وحاجته

(فصل فى كتابه صلى الله عليه وسلم) أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وعامر بن فهيرة وعمرو بن العاص وأبى بن كعب وعبد الله بن الارقم وثابت بن قيس بن شماس وحنظلة بن الربيع الاسدى والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص وقيل انه أول من كتب له ومعاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت وكان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به

(فصل فى كتبه التى كتبها الى أهل الاسلام فى الشرائع) فمنها كتابه فى الصدقات الذى كان عند أبى بكر وكتبه أبو بكر لانس بن مالك لما وجهه الى البحرين وعليه عمل الجمهور ومنها كتابه الى أهل اليمن وهو الكتاب الذى رواه أبو بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده وكذلك رواه الحاكم فى صحيحه والنسائى وغيرهما مسندا متصلا ورواه أبو داود وغيره مرسلا وهو كتاب عظيم فيه أنواع كثيرة من الفقه فى الزكاة والديات والاحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق وأحكام الصلاة فى الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك قال الامام أحمد لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات ومنها كتابه الى بنى زهير ومنها كتابه الذى كان عند عمر بن الخطاب فى نصب الزكاة وغيرها

(فصل فى كتبه ورسله صلى الله عليه وسلم) الى الملوك لما رجع من الحديبية كتب الى ملوك الارض وأرسل اليهم رسله فكتب الى ملك الروم فقيل له انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتب الى الملوك وبعث ستة نفر فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع فاولهم عمرو بن أمية الضمرى بعثه الى النجاشى واسمه أصحمة بن أبجر وتفسير أصحمة بالعربية عطية فعظم كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكان من أعلم الناس بالانجيل وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة هكذا قال جماعة منهم الواقدى وغيره وليس كما قال هؤلاء فان أصحمة النجاشى الذى صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو الذى كتب اليه وهو الثانى ولا يعرف اسلامه بخلاف الاول فانه مات مسلما وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث قتادة عن أنس قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى والى قيصر والى النجاشى وليس بالنجاشى الذى صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو محمد بن حزم ان هذا النجاشى الذى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى لم يسلم والاول هو اختيار ابن سعد وغيره والظاهر قول ابن حزم وبعث دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل وهم بالاسلام وكاد ولم يفعل وقيل بل أسلم وليس بشئ وقد روى أبو حاتم وابن حبان فى صحيحه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينطلق بصحيفتى هذه الى قيصر وله الجنة فقال رجل من القوم وان لم يقبل قال وان لم يقبل فوافق قيصر وهو يأتى بيت المقدس فرمى بالكتاب على البساط وتنحى فنادى قيصر من صاحب الكتاب فهو آمن قال أنا قال فاذا قدمت فائتنى فلما قدم أتاه فامر قيصر بابواب قصره فغلقت ثم أمر مناديا ينادى الا ان قيصر قد اتبع محمدا وترك النصرانية فاقبل جنده وقد تسلحوا فقال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترى انى خائف على مملكتى ثم أمر مناديه فنادى ألا ان قيصر قد رضى عنكم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى مسلم وبعث اليه بدنانير فقال رسول الله صلى الله عليه

ابن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار * فى اثبعان المجنون المرسل * ثم قال * مد الخليج فى الخليج المرسل * وهذان البيتان فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان (٣٠) أول من نسأ الشهور على العرب فاحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك ابن كنانة بن خزيمة ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر الحرم الاربعة رجبا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم فاذا أراد أن يحل منها شيأ أحل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم انى قد أحللت لهم أحد الصفرين الصفر الاول ونسأت الآخر للعام المقبل فقال فى ذلك عمير بن قيس جذل الطعان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة يفخر بالنسأة على العرب

لقد علمت معد أن قومى
كرام الناس أن لهم كراما
فأى الناس فاتونا بوتر
وأى الناس لم نعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

(قال ابن هشام) أول الاشهر الحرم المحرم * قال ابن اسحق فخرج الكنانى حتى أتى القليس فقعد فيها (قال ابن هشام) يعنى أحدث فيها * قال ابن اسحق ثم خرج فلحق بارضه فاخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب غضب فجاء فقعد فيها أى انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل

عليه وسلم كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية وقسم الدنانير وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى واسمه ابرويز بن هرمز بن انوشروان فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم مزق ملكه فمزق الله ملكه وملك قومه وبعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس واسمه جريج بن مينا ملك الاسكندرية عظيم القبط فقال خيرا وقارب الامر ولم يسلم وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مارية وأختها سيرين وقيسرى فتسرى مارية ووهب سيرين لحسان بن ثابت وأهدى له جارية أخرى وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل وحمارا أشهب وهو عفير وغلاما خصيا يقال له مابور وقيل هو ابن عم مارية وفرسا وهو اللزاز وقدحا من زجاج وعسلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء قاله ابن اسحق والواقدي قيل انما توجه لجبلة بن الايهم وقيل توجه لهما معا وقيل توجه لهرقل مع دحية بن خليفة والله أعلم * وبعث سليط بن عمرو الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فاكرمه وقيل بعثه الى هوذة والى ثمامة بن أثال الحنفي فلم يسلم هوذة وأسلم ثمامة بعد ذلك فهؤلاء الستة قيل هم الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم واحد وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندي الازديين بعمان فاسلما وصدقا وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم فلم يزل فيما بينهم حتى بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي الى الحرث بن عبد كلال الحميري باليمن فقال سانظر في أمري وبعث أبا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن عند انصرافه من تبوك وقيل بل سنة عشر من ربيع الاول داعيين الى الاسلام فاسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب اليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما الى الاسلام فاسلما وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن أمية الضمري الى مسيلمة الكذاب بكتاب وكتب اليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يسلم وبعث الى فروة بن عمرو الجذامي يدعوه الى الاسلام وقيل لم يبعث اليه وكان فروة عاملا لقيصر بعمان فاسلم وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه هدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال له الضرب وحمار يقال له يعفور كذا قاله جماعة والظاهر والله أعلم ان عفيرا ويعفور واحد عفير تصغير يعفور تصغير الترخيم وبعث أثوابا وقباء سندس مخوص بالذهب فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشا وبعث عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب الى الحرث ومسروح ونعيم بن عبد كلال من حمير

(فصل في مؤذنيه) وكانوا أربعة اثنان بالمدينة بلال بن رباح وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو ابن أم مكتوم القرشي العامري الاعمى وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر وبمكة أبو محذورة واسمه أوس بن مغيرة الجمحي وكان أبو محذورة منهم يرجع الاذان ويثني الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعي رضي الله عنه وأهل مكة باذان أبي محذورة واقامة بلال وأخذ أبو حنيفة رضي الله عنه وأهل العراق باذان بلال واقامة أبي محذورة وأخذ الامام أحمد رضي الله عنه وأهل الحديث وأهل المدينة باذان بلال واقامته وخالف مالك في الموضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة فانه لا يكررها

وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا بانه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه الى ذلك من أجابه ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فاتي به أسيرا فلما أراد قتله قال له ذو نفر أيها الملك لا تقتلني فانه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلا حليما ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيرا فاتي به فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف واسم ثقيف قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن افصى بن دعمي بن اياد بن معد بن عدنان (قال أمية بن أبي الصلت الثقفي)

قومي اياد لو انهم أمم
أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق اذا
ساروا جميعا والقط والقلم

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا

فاما تسألي عني لبيني
وعن نسبي أخبرك اليقينا
فانا للنبيت أبي قسي * لمنصور بن يقدم الاقدمينا

(قال ابن هشام) ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والبيتان الاولان والآخران في قصيدتين لامية * قال ابن اسحق فقالوا له أيها الملك انما

(فصل فى أمرائه) منهم باذان بن ساسان من ولد بهرام جور أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كلها بعد موت كسرى فهو أول أمير فى الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها ثم قتل شهر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبى أمية المخزومى كندة والصدف فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسر اليها فبعثه أبو بكر الى قتال أناس من المرتدين وولى زياد بن أمية الانصارى حضرموت وولى أبا موسى الاشعرى زبيد وعدن وزمع والساحل وولى معاذ بن جبل الجند وولى أبا سفيان صخر بن حرب نجران وولى ابنه يزيد تيماء وولى عتاب بن أسيد مكة واقامة الموسم بالحج بالمسلمين سنة ثمان وله دون العشرين سنة وولى على بن أبى طالب الاخماس باليمن والقضاء بها وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها وولى الصدقات جماعة كثيرة لانه كان لكل قبيلة وال يقبض صدقاتها فمن هنا كثر عمال الصدقات وولى أبا بكر اقامة الحج سنة تسع وبعث فى أثره عليا يقرأ على الناس سورة براءة فقيل لان أولها نزل بعد خروج أبى بكر الى الحج وقيل بل لان عادة العرب كانت انه لا يحل العقود ويعقدها الا المطاع أو رجل من أهل بيته وقيل أردفه به عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق أمير أو مامور قال بل مامور وأما أعداء الله الرافضة فيقولون عزله بعلى وليس هذا ببدع من بهتهم وافترائهم واختلف الناس هل كانت هذه الحجة قد وقعت فى شهر ذى الحجة أو كانت فى ذى القعدة من أجل النسىء على قولين والله أعلم

(فصل فى حرسه صلى الله عليه وسلم) فنهم سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام فى العريش ومحمد بن مسلمة حرسه يوم أحد والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم عباد بن بشر وهو الذى كان على حرسه وحرسه جماعة آخرون غير هؤلاء فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس خرج على الناس فاخبرهم بها وصرف الحرس

(فصل) فيمن كان يضرب الاعناق بين يديه على بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبى أفلح والضحاك بن سفيان الكلابى وكان قيس بن سعد بن عبادة الانصارى منه صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الامير ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية

(فصل) فيمن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن كان يأذن عليه كان بلال على نفقاته ومعيقيب بن أبى فاطمة الدوسى على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله وأذن عليه رباح الاسود وأنيسة مولياه وأنس بن مالك وأبو موسى الاشعرى

(فصل) فى شعرائه وخطبائه كان من شعرائه الذين يذبون عن الاسلام كعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وحسان بن ثابت وكان أشدهم على الكفار حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعيرهم بالكفر والشرك وكان خطيبه ثابت بن قيس بن شماس

(فصل فى حداته الذين كانوا يحدون بين يديه فى السفر) منهم عبد الله بن رواحة وانجشة وعامر ابن الاكوع وعمه سلمة بن الاكوع وفى صحيح مسلم كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاد حسن الصوت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رويدا يا انجشة لا تكسر القوارير يعنى ضعفة النساء

(فصل) فى غزواته وبعوثه وسراياه غزواته كلها وبعوثه وسراياه كانت بعد الهجرة فى مدة عشر سنين فالغزوات سبع وعشرون وقيل خمس وعشرون وقيل تسع وعشرون وقيل غير ذلك

نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة (قال ابن هشام) وأنشدنى أبو عبيدة النحوى لضرار بن الخطاب الفهرى

وفرت ثقيف الى لاتها
بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت فى أبيات له * قال ابن اسحق فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق الى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم فاصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له ان الملك يقول لك انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم فان هو لم يرد حربى فأتنى به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام أو كما قال فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فانطلق معى اليه فانه قد أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه قائل

(٢) قوله مقصود كتب عليه بالهامش بالصاد

قاتل منها في سبع بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف وقيل قاتل في بني النضير والغابة ووادي القرى من اعمال خيبر * وأما سراياه وبعوثه فقريب من ستين والغزوات الكبار الامهات سبع بدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وحنين وتبوك وفي شان هذه الغزوات نزل القرآن فسورة الانفال سورة بدر وفي أحد آخر سورة آل عمران من قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الى قبيل آخرها بيسير وفي قصة الخندق وقريظة وخيبر صدر سورة الاحزاب وسورة الحشر في بني النضير وفي قصة الحديبية وخيبر سورة الفتح وأشير فيها الى الفتح وذكر الفتح صريحا في سورة النصر وجرح منها صلى الله عليه وسلم في غزوة واحدة وهي أحد وقاتلت معه الملائكة منها في بدر وحنين ونزلت الملائكة يوم الخندق فزلزلت المشركين وهزمتهم ورمى فيها الحصباء في وجوه المشركين فهربوا وكان الفتح في غزوتين بدر وحنين وقاتل بالمنجنيق منها في غزوة واحدة وهي الطائف وتحصن في الخندق في واحدة وهي الاحزاب أشار به عليه سلمان الفارسي

(فصل) في ذكر سلاحه وأثاثه كان له تسعة أسياف مأثور وهو أول سيف ملكه ورثه من أبيه والعضب وذو الفقار بكسر الفاء وبفتح الفاء وكان لا يكاد يفارقه وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة والقلعي والبتار والحتف والرسوب والمخذم والقضيب وكان نعل سيفه فضة وما بين ذلك حلق فضة وكان سيفه ذو الفقار تنفله يوم بدر وهو الذي أرى فيه الرؤيا ودخل يوم الفتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة * وكان له سبعة أدرع ذات الفضول وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لعياله وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وكانت الدرع من حديد وذات الوشاح وذات الحواشي والسعدية وفضة والبتراء والخرنق * وكانت له ست قسي الزوراء والروحاء والصفراء والبيضاء والكتوم كسرت يوم أحد فاخذها قتادة بن النعمان والسداد وكانت له جعبة تدعى الكافور ومنطقة من أديم منشور فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف من فضة وكذا قال بعضهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية لم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم شد على وسطه منطقة وكان له ترس يقال له الزلوق وترس يقال له الفتق قيل وترس أهدي اليه فيه صورة تمثال فوضع يده عليه فاذهب الله ذلك التمثال * وكانت له خمسة أرماح يقال لاحدهم المثوي والآخر المثني وحربة يقال لها النبعة وأخرى كبيرة تدعى البيضاء وأخرى صغيرة شبه العكاز يقال لها العنزة يمشي بها بين يديه في الاعياد تركز امامه فيتخذها سترة يصلي اليها وكان يمشي بها احيانا وكان له مغفر من حديد يقال له الموشح وشح بشبه ومغفر آخر يقال له السبوغ أو ذو السبوغ وكان له ثلاث جبات يلبسها في الحرب قيل فيها جبة سندس أخضر والمعروف ان عروة بن الزبير كان له يلمق من ديباج بطانته سندس أخضر يلبسه في الحرب والامام أحمد في احدى روايتيه يجوز لبس الحرير في الحرب وكانت له راية سوداء يقال لها العقاب وفي سنن أبي داود عن رجل من الصحابة قال رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء وكانت له ألوية بيضاء وربما جعل فيها الاسود وكان له فسطاط يسمى الكن ومحجن قدر ذراع أو أطول يمشي به ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره ومخصرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق قيل وهو الذي كان تداوله الخلفاء وكان له قدح يسمى الريان ويسمى مغنيا وقدح آخر مضبب بسلسلة من فضة وكان له قدح من قوارير وقدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه بالليل وركوة يسمى الصادر قيل وتور من حجارة يتوضأ منه ومخضب من شبة وقعب يسمى السعة ومغسل من صفر ومدهن وربعة يجعل فيها المرآة

عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ما عندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل صديق لي وسأرسل اليه فأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال افعل فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فأذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فأذن له أبرهة قال وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه قال له عبد المطلب اني أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة حين بعث اليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة

والمشط قيل وكان المشط من عاج وهو الذبل ومكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين بالاثمد وكان في الربعة المقراضان والسواك وكانت له قصعة تسمى الغراء لها أربع حلق يحملها أربعة رجال بينهم وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج أهداه له أسعد بن زرارة وفراش من ادم حشوه ليف وهذه الجملة قد رويت متفرقة في أحاديث وقد روى الطبراني في معجمه حديثا جامعا في الآنية من حديث ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس يسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بالنحاس يسمى ذات الفصول وكانت له حربة تسمى النبعاء وكان له محجن يسمى الدقن وكان له ترس أبيض يسمى الموجز وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج وكانت له بغلة شهباء تسمى دلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكرد وكانت له عنزة تسمى القمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكان له مقراض اسمه الجامع ومرآة وقضيب شوحط يسمى الموت

(فصل في دوابه صلى الله عليه وسلم) فمن الخيل السكب قيل وهو أول فرس ملكه وكان اسمه عند الاعرابي الذي اشتراه منه بعشر أواقي الضرس وكان أغر محجلا طلق اليمين كميتا وقيل كان أدهم والمرتجز وكان أشهب وهو الذي شهد فيه خزيمة بن ثابت واللحيف واللزاز والظرب وسبحة والورد فهذه سبعة متفق عليها جمعها الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن جماعة الشافعي في بيت فقال

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب * لزاز مرتجز ورد لها اسرار

أخبرني بذلك عنه ولده الامام عز الدين عبد العزيز أبو عمر وأعزه الله بطاعته وقيل كانت له افراس أخر خمسة عشر ولكن مختلف فيها وكان دفتاسرجه من ليف وكان له من البغال دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس وبغلة أخرى يقال لها فضة أهداها له فروة الجذامي وبغلة شهباء أهداها له صاحب ايلة وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل وقد قيل ان النجاشي أهدى له بغلة فكان يركبها ومن الحمير عفير وكان أشهب أهداه له المقوقس ملك القبط وحمارا آخر أهداه له فروة الجذامي وذكر أن سعد بن عبادة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه ومن الابل القصوى قيل وهي التي هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب فسميت به وهل العضباء والجدعاء واحدة أو اثنتان فيه خلاف والعضباء هي التي كانت لا تسبق ثم جاء اعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع من الدنيا شيأ الا وضعه وغنم صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملا مهريا لابي جهل في أنفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين وكانت له خمسة وأربعون لقحة وكانت له مهرية أرسل بها اليه سعد بن عبادة من نعم بني عقيل وكانت له مائة شاة وكان لا يريد أن تزيد كلما ولد له الراعي بهمة ذبح مكانها شاة وكانت له سبع أعنز منائح ترعاهن أم أيمن

(فصل في ملابسه) كانت له عمامة تسمى السحاب كساها عليا وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة وكان اذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه كما رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفي مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر في حديث جابر ذؤابة فدل على أن الذؤابة لم يكن يرخيها

ابن كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم والله أعلم كان ذلك أم لا فرد أبرهة على عبد المطلب الابل التي أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمـ
ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وقبـ
ـلتنا فامر ما بدا لك

(قال ابن هشام) هذا ما صح له منها * قال ابن اسحق وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي

(٢) اللهم أخز الاسود بن مقصود
الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد
يحبسها وهي أولات التطريد
فضمها الى طماطم سود
أخفره يا رب وأنت محمود

(قال ابن هشام) هذا ما صح له منها والطماطم الاعلاج * قال ابن اسحق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ باذنه فقال أبرك

(٢) قوله اللهم كتب عليه بالهامش صوابه لاهم وفيه نظر بل فيه الخرم وهو هنا زيادة سبب خفيف في أول البيت

محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب
والاشرم المغلوب ليس الغالب

(قال ابن هشام) قوله ليس الغالب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال نفيل أيضا

الا حييت عنا يا ردينا
نعمناكم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه
لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت أمري
ولم تأسي على ما فات بينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا
وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل
كأن على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كلما سقطت منه أنملة أتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون

* قال ابن اسحق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤي بها مرائر

يرخيها دائما بين كتفيه وقد يقال انه دخل مكة وعليه أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيأ بديعا وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا أدرى فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه وهذا من العلم الذي ينكره ألسنة الجهال وقلوبهم ولم أر هذه الفائدة في اثبات الذؤابة لغيره ولبس القميص وكان أحب الثياب اليه وكان كمه الى الرسغ ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء والفرجية ولبس القباء أيضا ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين ولبس الازار والرداء قال الواقدي كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر وازاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر ولبس حلة حمراء والحلة ازار ورداء ولا تكون الحلة الا اسما للثوبين معا وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر والا فالاحمر البحت منهى عنه أشد النهى ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عليه ريطة مضرجة بالعصفر فقال ما هذه الريطة التي عليك فعرفت ما كره فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورا لهم فقذفتها فيه ثم أتيته من الغد فقال يا عبد الله ما فعلت الريطة فأخبرته فقال هلا كسوتها بعض أهلك وانه لا بأس بها للنساء وفي صحيح مسلم عنه أيضا قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذا من لباس الكفار لا تلبسهما وفي صحيحه أيضا عن علي رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اللباس المعصفر ومعلوم أن ذلك انما يصبغ صبغا أحمر وفي بعض السنن أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى على رواحلهم أكسية فيها خطوط حمراء فقال لا أرى هذه الحمرة قد علتكم فقمنا سراعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفر بعض ابلنا فأخذنا الاكسية فنزعناها عنها رواه أبو داود وفي جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر * وأما كراهته فشديدة جدا فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه لبس الاحمر القاني كلا لقد أعاذه الله منه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم ولبس الخميصة المعلمة والساذجة ولبس ثوبا أسود ولبس الفروة المكفوفة بالسندس وروى الامام أحمد وأبو داود باسنادهما عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأني أنظر الى يديه يذبذبان قال الاصمعي المساتق فراء طوال الاكمام قال الخطابي يشبه أن يكون هذه المستقة مكفوفة بالسندس لان الفروة لا تكون سندسا

(فصل) واشترى سراويل والظاهر أنه انما اشتراها ليلبسها وقد روى في غير حديث أنه لبس السراويل وكانوا يلبسون السراويلات باذنه ولبس الخفين ولبس النعل الذي يسمى التاسومة ولبس الخاتم واختلفت الاحاديث هل كان في يمناه أو يسراه وكلها صحيحة السند ولبس البيضة التي تسمى الخوذة ولبس الدرع التي تسمى الزردية وظاهر يوم أحد بين الدرعين وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت جبة طيالسة خسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمريض نستشفي بها وكان له بردان أخضران وكساء

الشجر الحرمل والحنظل والعشر وذلك العام * قال ابن اسحق فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وقال لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى لئلا يغير شيأ من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه (قال ابن هشام) الابابيل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه وأما السجيل فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب (قال) رؤبة بن العجاج

ومسهم ما مس أصحاب الفيل
ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم أبابيل

وهذه الابيات فى أرجوزة له وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب وواحدته عصفة (حدثنا) ابن هشام قال وأخبرنى أبو عبيدة النحوى انه يقال له العصافة والعصيفة وأنشدنى لعلقمة بن عبدة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

تسقى مذانب قد مالت عصيفتها
حدورها من أتى الماء مطموم

وهذا البيت فى قصيدة له وقال الراجز * فصيروا مثل كعصف مأكول * (قال ابن هشام) ولهذا البيت تفسير فى النحو وايلاف قريش ايلافهم الخروج الى الشام فى تجارتهم وكانت لهم خرجتان خرجة فى الشتاء وخرجة فى الصيف (أخبرنا) ابن هشام قال أخبرنى أبو زيد الانصارى ان العرب تقول ألفت الشئ الفا

أسود وكساء أحمر ملبد وكساء من شعر وكان قميصه من قطن وكان قصير الطول قصير الكمين وأما هذه الاكمام الواسعة الطوال التى هى كالاخراج فلم يلبسها هو ولا أحد من أصحابه ألبتة وهى مخالفة لسنته وفى جوازها نظر فانها من جنس الخيلاء وكان أحب الثياب اليه القميص والحبرة وهى ضرب من البرود فيه حمرة وكان أحب الالوان اليه البياض وقال هى من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم وفى الصحيح عن عائشة أنها أخرجت كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت نزع روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين ولبس خاتما من ذهب ثم رمى به ونهى عن التختم بالذهب ثم اتخذ خاتما من فضة ولم ينه عنه وأما حديث أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أشياء وذكر منها ونهى عن لبوس الخاتم الا لذى سلطان فلا أدرى ما حال الحديث ولا وجهه والله أعلم وكان يجعل فص خاتمه مما يلى باطن كفه وذكر الترمذى أنه كان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه وصححه وأنكره أبو داود وأما الطيلسان فلم ينقل عنه أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل قد ثبت فى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة ورأى أنس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما أشبههم بيهود خيبر ومن ههنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف لما روى أبو داود والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم ليس منا من تشبه بقوم غيرنا وأما ما جاء فى حديث الهجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء الى أبى بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله النبى صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفى بذلك ففعله للحاجة ولم يكن عادته التقنع وقد ذكر أنس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله والله أعلم للحاجة من الحر ونحوه وأيضا ليس التقنع هو التطيلس

(فصل) وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان وذكر الشيخ أبو اسحاق الاصبهانى باسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وازار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون قد لبسه عيسى بن مريم وقد حدثنى من لا أتهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيآت يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر الا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم التى سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها وهى أن هديه فى اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة * ولبس البرود اليمانية والبرد الاخضر ولبس الجبة والقباء والقميص والسراويل والازار والرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه وقال اللهم أنت كسوتنى هذا القميص أو الرداء أو العمامة أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان اذا لبس قميصه بدأ بميامنه ولبس الشعر الاسود كما روى مسلم فى صحيحه عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود وفى الصحيحين عن قتادة قلنا لانس أى اللباس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحبرة والحبرة برد من برود اليمن وكان غالب لباسهم كان من نسج اليمن لانها قريبة منهم وربما لبسوا ما

يجلب

يجلب من الشام ومصر كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبط وفي سنن النسائي عن عائشة أنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف فطرحها وكان يحب الريح الطيب وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس قال لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي سنن النسائي عن أبي رمثة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وعليه بردان أخضران والبرد الاخضر هو الذي فيه خطوط خضر وهو كالحلة الحمراء سواء فمن فهم من الحلة الحمراء الاحمر البحت فينبغي أن يقول ان البرد الاخضر أخضر بحتا وهذا لا يقوله أحد * وكان مخدته صلى الله عليه وسلم من أدم حشوها ليف فالذين يمنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بازائهم طائفة قابلوهم فلا يلبسون الا أشرف الثياب ولم يأكلوا الا ألين الطعام فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدى النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعض السلف كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ثم يلتهب فيه في النار وهذا لانه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك فاذله كما عاقب من أطال ثيابه خيلاء بان خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وفي السنن عنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر شيأ منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وفي السنن عن ابن عمر أيضا عنه قال ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الازار فهو في القميص وكذلك لبس الدني من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم اذا كان شهرة وخيلاء ويمدح اذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم اذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح اذا كان تجملا واظهارا لنعمة الله ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فقال رجل يا رسول الله اني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك فقال لا ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس

(فصل) وكذلك كان هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته في الطعام لا يرد موجودا ولا يتكلف مفقودا فما قرب اليه شئ من الطيبات الا أكله الا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم وما عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ولم يحرمه على الامة بل أكل على مائدته وهو ينظر وأكل الحلوى والعسل وكان يحبهما وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحبارى ولحم حمار الوحش والارنب وطعام البحر وأكل الشوى وأكل الرطب والتمر وشرب اللبن خالصا ومشوبا والسويق والعسل بالماء وشرب نقيع التمر وأكل الخزيرة وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق وأكل القثاء بالرطب وأكل الاقط وأكل التمر بالخبز وأكل الخبز بالخل وأكل الثريد وهو الخبز باللحم وأكل الخبز بالاهالة وهي الودك وهو الشحم المذاب وأكل من الكبد المشوية وأكل القديد وأكل الدباء المطبوخة وكان يحبها وأكل المسلوقة وأكل الثريد بالسمن وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت وأكل البطيخ بالرطب وأكل التمر بالزبد وكان يحبه ولم يكن يرد طيبا ولا يتكلفه بل كان هديه أكل ما تيسر فان أعوزه صبر حتى انه ليربط على بطنه الحجر من الجوع ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار وكان معظم مطعمه يوضع على الارض في السفر وهي كانت مائدته وكان يأكل باصابعه الثلاث ويلعقها اذا فرغ وهو أشرف ما يكون من الاكلة فان المتكبر

والفته ايلافا في معنى واحد وأنشدني لذي الرمة من المؤلفات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى في لونها يتوضح وهذا البيت في قصيدة له (وقال مطرود بن كعب الخزاعي) المنعمين اذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الايلاف وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى والايلاف أيضا أن يكون للانسان ألف من الابل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك يقال آلف فلان ايلافا * قال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد

بعام يقول له المؤلفو
ن هذا المعيم لنا المرجل

وهذا البيت في قصيدة له والايلاف أيضا أن يصير القوم ألفا يقال آلف القوم ايلافا قال الكميت ابن زيد

وآل مزيقياء غداة لاقوا
بني سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت في قصيدة له والايلاف أيضا أن يؤلف الشئ الى الشئ فيألفه ويلزمه يقال آلفته اياه ايلافا والايلاف أيضا أن تصير ما دون الالف ألفا يقال آلفته ايلافا كما قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضي الله عنها قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس * قال ابن اسحق فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النقمة أعظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم * فقال عبد الله بن الزبعرى بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

تنكلوا عن بطن مكة انها * كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت * اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى * ولسوف ينبي الجاهلين عليمها ستون

يأكل بأصبع واحدة والجشع الحريص يأكل بالخمس ويدفع بالراحة وكان لا يأكل متكئا والاتكاء على ثلاثة أنواع أحدها الاتكاء على الجنب والثانى التربع والثالث الاتكاء على احدى يديه وأكله بالاخرى والثلاث مذمومة وكان يسمى الله تعالى على أول طعامه ويحمده فى آخره فيقول عند انقضائه الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا وربما قال الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وأسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله الذى أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسى من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين وربما قال الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وكان اذا فرغ من طعامه لعق أصابعه ولم يكن لهم مناديل يمسحون بها أيديهم ولم يكن عادتهم غسل أيديهم كلما أكلوا وكان أكثر شربه قاعدا بل زجر عن الشرب قائما وشرب مرة قائما فقيل هذا نسخ لنهيه وقيل بل فعله لبيان جواز الامرين والذى يظهر فيه والله أعلم انها واقعة عين شرب فيها قائما لعذر وسياق القصة يدل عليه فانه أتى زمزم وهم يستقون منها فأخذ الدلو وشرب قائما والصحيح فى هذه المسألة النهى عن الشرب قائما وجوازه لعذر يمنع من القعود وبهذا تجمع أحاديث الباب والله أعلم وكان اذا شرب ناول من على يمينه وان كان من على يساره أكبر منه

(فصل فى هديه فى النكاح ومعاشرته صلى الله عليه وسلم أهله) صح عنه من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم قال حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة هذا لفظ الحديث ومن رواه حبب الى من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست من أمور الدنيا التى يضاف اليها وكان النساء والطيب أحب شئ اليه وكان يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة وكان قد أعطى قوة ثلاثين فى الجماع وغيره واباح الله له من ذلك ما لم يبحه لاحد من أمته وكان يقسم بينهن فى المبيت والايواء والنفقة وأما المحبة فكان يقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لا أملك فقيل هو الحب والجماع ولا يجب التسوية فى ذلك لانه مما لا يملك وهل كان القسم واجبا عليه أو كان له معاشرتهن من غير قسم على قولين للفقهاء فهو أكثر الامة نساء قال ابن عباس تزوجوا فان خير هذه الامة أكثرها نساء وطلق صلى الله عليه وسلم وراجع وآلى ايلاء موقتا بشهر ولم يظاهر ابدا واخطأ من قال انه ظاهر خطاء عظيما وانما ذكرته هنا تنبيها على قبح خطئه ونسبته الى ما برأه الله منه وكان سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة وحسن الخلق وكان يسرب الى عائشة بنات الانصار يلعبن معها وكان اذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه وكانت اذا شربت من الاناء أخذه فوضع فمه فى موضع فمها وشرب وكان اذا تعرقت عرقا وهو العظم الذى عليه لحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ فى حجرها ويقرأ القرآن ورأسه فى حجرها وربما كانت حائضا وكان يأمرها وهى حائض فتتزر ثم يباشرها وكان يقبلها وهو صائم وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله انه يمكنها من اللعب ويريها الحبشة وهم يلعبون فى مسجده وهى متكئة على منكبيه تنظر وسابقها فى السفر على الاقدام مرتين وتدافعا فى خروجهما من المنزل مرة وكان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ولم يقض للبواقى شيئا والى هذا ذهب الجمهور وكان يقول خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى وكان ربما مد يده الى بعض نسائه فى حضرة باقيهن وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن واستقرأ أحوالهن فاذا جاء الليل انقلب الى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل وقالت عائشة كان لا يفضل بعضنا على بعض فى مكثه عندهن فى القسم وقل يوم الا كان يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التى هو فى نوبتها فيبيت

الانصارى ثم الخطمى واسمه صيفى (قال ابن هشام) أبو قيس صيفى بن الاسلت بن جشم بن وائل بن زيد ابن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس

ومن صنعه يوم فيل الحبو
ش اذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولا
اذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر ادراجه
وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا
فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم
وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له والقصيدة أيضا تروى لامية بن أبى الصلت * قال ابن اسحق وقال أبو قيس بن الاسلت

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
بأركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق
غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمشى ورجله
على القاذفات فى رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم
جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب
الى أهله ملحبش غير عصائب

(قال ابن هشام) أنشدنى أبو زيد الانصارى قوله على القاذفات فى رؤس المناقب وهذه الابيات فى قصيدة لابى قيس سأذكرها فى موضعها ان شاء الله وقوله غداة أبى يكسوم يعنى أبرهة كان يكنى أبا يكسوم * قال ابن اسحق وقال طالب بن أبى طالب بن عبد المطلب ألم تعلموا ما كان من حرب داحس * وجيش أبى يكسوم اذ ملؤا الشعبا فلولا دفاع الله لا شئ غيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا

عندها

عندها وكان يقسم لثمان منهن دون التاسعة ووقع في صحيح مسلم من قول عطاء ان التي لم يكن يقسم لها هي صفية بنت حيي وهو غلط من عطاء رحمه الله وانما هي سودة وانها لما كبرت وهبت نوبتها لعائشة وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومها ويوم سودة وسبب هذا الوهم والله أعلم انه كان قد وجد على صفية في شيء فقالت لعائشة هل لك أن ترضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عني وأهب لك يومي قالت نعم فقعدت عائشة الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم صفية فقال اليك عني يا عائشة فانه ليس يومك فقالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأخبرته بالخبر فرضي عنها وانما كانت وهبتها ذلك اليوم وتلك النوبة الخاصة ويتعين ذلك والا كان يكون القسم لسبع منهن وهو خلاف الحديث الصحيح الذي لا ريب فيه ان القسم كان لثمان والله أعلم ولو اتفقت مثل هذه الواقعة لمن له أكثر من زوجتين فوهبت احداهن يومها للاخرى فهل للزوج أن يوالي بين ليلة الموهوبة وليلتها الاصلية وان لم تكن ليلة الواهبة تليها أو يجب عليه ان يجعل ليلتها هي الليلة التي كانت تستحقها الواهبة بعينها على قولين في مذهب أحمد وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يأتي أهله آخر الليل وأوله واذا جامع أول الليل فكان ربما اغتسل ونام وربما توضأ ونام وذكر أبو اسحق السبيعي عن الاسود عن عائشة انه كان ربما نام ولم يمس ماء وهو غلط عند ائمة الحديث وقد أشبعنا الكلام عليه في كتاب تهذيب سنن أبي داود وايضاح علله ومشكلاته وكان يطوف على نسائه بغسل واحد وربما اغتسل عند كل واحدة فعل هذا وهذا وكان اذا سافر وقدم لم يطرق أهله ليلا وكان ينهى عن ذلك

(فصل في هديه وسيرته صلى الله عليه وسلم) في نومه وانتباهه كان ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وعلى السرير تارة بين (١) رماله وتارة على كساء أسود قال عباد بن تميم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وكان فراشه أدما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه يثني بثنيتين وثني له يوما أربع ثنيات فنهاهم عن ذلك وقال ردوه الى حاله الاول فانه منعني صلاتي الليلة والمقصود انه نام على الفراش ويتغطى باللحاف وقال لنسائه ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة وكانت وسادته أدما حشوها ليف وكان اذا أوى الى فراشه للنوم قال باسمك اللهم احيا وأموت وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما وكان يقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وكان ينام على شقه الايمن ويضع يده اليمنى تحت خده الايمن ثم يقول اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك وكان يقول اذا أوى الى فراشه الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي ذكره مسلم وذكر أيضا انه كان يقول اذا أوى الى فراشه اللهم رب السموات والارض ورب العرش العظيم فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر وكان اذا استيقظ من منامه في الليل قال لا اله الا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وكان اذا انتبه من

---

(١) قوله رماله رمالة السرير شريط يجعل ظهارة له اهـ من محيط المحيط

(قال ابن هشام) هذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شان الفيل ويذكر الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام (قال ابن هشام) يروى لامية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي

ان آيات ربنا ثاقبات
لا يماري فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم
بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى
ظل يحبو كأنه معقور
لازما حلقه الجران كما قطـ
ـر من صخر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة أبطا
ل ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا
كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله
الا دين الحنيفة بور

(قال ابن هشام) وقال الفرزدق واسمه همام بن غالب أحد بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طغى الحجاج حين طغى به
غنا قال اني مرتق في السلالم
فكان كما قال ابن نوح سأرتقي
الى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى
عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم
هباء وكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت اذ ساق فيله
اليه عظيم المشركين الاعاجم

وهذه الابيات في قصيدة له (قال ابن هشام) وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة وهو الاشرم والفيل

كاده الاشرم الذي جاء بالفيـ * ـل فولى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنـ * ـدل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع * وهو فل من الجيوش ذميم

نوره قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ثم يتسوك وربما قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران من قوله ان فى خلق السموات والارض الى آخرها وقال اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله الا أنت وكان ينام أول الليل ويقوم آخره وربما سهر أول الليل فى مصالح المسلمين وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه وكان اذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ وكان اذا عرس بليل اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه هكذا قال الترمذى وقال أبو حاتم فى صحيحه كان اذا عرس بالليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح نصب ساعده وأظن هذا وهما والصواب حديث الترمذى وقال أبو حاتم والتعريس انما يكون قبيل الصبح وكان نومه أعدل النوم وهو أنفع ما يكون من النوم والاطباء يقولون هو ثلث الليل والنهار ثمان ساعات

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى الركوب ركب الخيل والابل والبغال والحمير وركب الفرس مسرجة تارة وعريا أخرى وكان يجريها فى بعض الاحيان وكان يركب وحده وهو الاكثر وربما أردف خلفه على البعير وربما أردف خلفه وأركب امامه وكانوا ثلاثة على بعير وأردف الرجال وأردف بعض نسائه وكان أكثر مراكبه الخيل والابل وأما البغال فالمعروف انه كان عنده منها بغلة واحدة أهداها له بعض الملوك ولم تكن البغال مشهورة بارض العرب بل لما أهديت له البغلة قيل ألا نحمل الخيل على الحمر فقال انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون

(فصل واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم) الغنم وكان له مائة شاة وكان لا يحب ان تزيد على مائة فاذا زادت بهمة ذبح مكانها أخرى واتخذ الرقيق من الاماء والعبيد وكان مواليه وعتقاؤه من العبيد أكثر من الاماء وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث أبى امامة وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرئ أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وايما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضو منهما عضوا منه وقال هذا حديث صحيح وهذا يدل على ان عتق العبد أفضل وان عتق العبد يعدل عتق أمتين فكان أكثر عتقائه صلى الله عليه وسلم من العبيد وهذا أحد المواضع الخمسة التى تكون فيها الانثى على النصف من الذكر والثانى العقيقة فانه عن الانثى شاة وعن الذكر شاتان عند الجمهور وفيه عدة أحاديث صحاح وحسان والثالث الشهادة فان شهادة امرأتين بشهادة رجل والرابع الميراث والخامس الدية

(فصل وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترى) وكان شراؤه بعد أن أكرمه الله تعالى برسالته أكثر من بيعه وكذلك بعد الهجرة لا يكاد يحفظ عنه البيع الا فى قضايا يسيرة أكثرها لغيره كبيعه القدح والحلس فيمن يزيد وبيعه يعقوب المدبر غلام أبى مذكور وبيعه عبدا أسود بعبدين وأما شراؤه فكثير وآجر واستأجر واستئجاره أكثر من ايجاره وانما يحفظ عنه انه أجر نفسه قبل النبوة فى رعاية الغنم وأجر نفسه من خديجة فى سفره بمالها الى الشام وان كان العقد مضاربة فالمضارب أمين وأجير ووكيل وشريك فأمين اذا قبض المال ووكيل اذا تصرف فيه وأجير فيما يباشره بنفسه من العمل وشريك اذا ظهر فيه الربح وقد أخرج الحاكم فى صحيحه من حديث الربيع بن بدر

عن

قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه ما هم فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه فخرج حتى أتى النعمان ابن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان ان لى على كسرى وفادة فى كل عام فاقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى ايوان مجلسه الذى فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يستر عليه بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه فى تاجه فاذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك الا برك هيبة له فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك (قال ابن هشام) حدثنى أبو عبيدة ان سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك ان هذا الاحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه فقيل ذلك لسيف فقال انما فعلت هذا لهمى لانه يضيق عنه كل شئ * قال ابن اسحق ثم قال له أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة فقال له كسرى أى الاغربة الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لى بذلك ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا لشأنا

عن أبي الزبير عن جابر قال آجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة بنت خويلد سفرتين الى جرش كل سفرة بقلوص وقال صحيح الاسناد قال فى النهاية جرش بضم الجيم وفتح الراء من مخاليف اليمن وهو بفتحهما بلد بالشام قلت ان صح الحديث فانما هو المفتوح الذى بالشام ولا يصح فان الربيع بن بدر هنا هو عليل ضعفه أئمة الحديث قال النسائى والدارقطنى والازدى متروك وكأن الحاكم ظنه الربيع بن بدر مولى طلحة بن عبيد الله وشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم عليه شريكه قال اما تعرفنى قال أما كنت شريكى فنعم الشريك كنت لا تدارئ ولا تمارى وتدارئ بالهمزة من المدارأة وهى مدافعة الحق فان ترك همزها صارت من المداراة وهى المدافعة بالتى هى أحسن ووكل وتوكل وكان توكيله أكثر من توكله وأهدى وقبل الهدية وأثاب عليها ووهب واتهب فقال لسلمة بن الاكوع وقد وقع فى سهمه جارية هبها لى فوهبها له ففادى بها من أهل مكة اسارى من المسلمين واستدان برهن وبغير رهن واستعار واشترى بالثمن الحال والمؤجل وضمن ضمانا خاصا على ربه على اعمال من عملها كان مضمونا له بالجنة وضمانا عاما لديون من توفى من المسلمين ولم يدع وفاء انها عليه وهو يوفيها وقد قيل ان هذا الحكم عام للائمة بعده فالسلطان ضامن لديون المسلمين اذا لم يخلفوا وفاء فانها عليه يوفيها من بيت المال وقالوا كما يرثه اذا مات ولم يدع وارثا فكذلك يقضى عنه دينه اذا مات ولم يدع وفاء وكذلك ينفق عليه فى حياته اذا لم يكن له من ينفق عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا كانت له جعلها صدقة فى سبيل الله وتشفع وشفع اليه وردت بريرة شفاعته فى مراجعتها مغيثا فلم يغضب عليها ولا عتب وهو الاسوة والقدوة وحلف فى أكثر من ثمانين موضعا وأمره الله سبحانه بالحلف فى ثلاثة مواضع فقال تعالى ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وقال تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم وقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وكان اسمعيل بن اسحق القاضى يذاكر أبا بكر محمد بن داود الظاهرى ولا يسميه بالفقيه فتحاكم اليه يوما هو وخصم له فتوجهت اليمين على أبى بكر بن داود فتهيأ للحلف فقال له القاضى اسمعيل أو تحلف ومثلك يحلف يا أبا بكر فقال وما يمنعنى من الحلف وقد أمر الله تعالى نبيه بالحلف فى ثلاثة مواضع من كتابه قال أين ذلك فسردها أبو بكر فاستحسن ذلك منه جدا ودعاه بالفقيه من ذلك اليوم وكان صلى الله عليه وسلم يستثنى فى يمينه تارة ويكفرها تارة ويمضى فيها تارة والاستثناء يمنع عقد اليمين والكفارة تحلها بعد عقدها ولهذا سماها الله تحلة وكان يمازح ويقول فى مزاحه الحق ويورى ولا يقول فى توريته الا الحق مثل ان يريد جهة يقصدها فيسأل عن غيرها كيف طريقها وكيف مياهها ومسلكها أو نحو ذلك وكان يشير ويستشير وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب الدعوة ويمشى مع الارملة والمسكين والضعيف فى حوائجهم وسمع الشعر وأثاب عليه ولكن ما قيل فيه من المديح فهو جزء يسير جدا من محامده وأثاب على الحق وأما مدح غيره من الناس فأكثر ما يكون بالكذب فلذلك أمر ان يحثى فى وجوه المداحين التراب

(فصل) وسابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه على الاقدام وصارع وخصف نعله بيده ورقع ثوبه بيده ورقع دلوه وحلب شاته وفلى ثوبه وخدم أهله ونفسه وحمل معهم اللبن فى بناء المسجد وربط على بطنه الحجر من الجوع تارة وشبع تارة وأضاف وأضيف واحتجم فى وسط رأسه وعلى ظهر قدمه واحتجم فى الاخدعين والكاهل وهو ما بين الكتفين وتداوى وكوى ولم يكتو ورقى ولم يسترق وحمى المريض مما يؤذيه وأصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة واستفراغ المادة المضرة وقد جمعها

ثم بعث اليه فقال عمدت الى حباء الملك تنثره للناس فقال وما أصنع بهذا ما جبال أرضى التى جئت منها الا ذهب وفضة يرغبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال لهم ماذا ترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له فقال قائل أيها الملك ان فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو انك بعثتهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم وان ظفروا كان ملكا أردته فبعث معه كسرى من كان فى سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا فخرج فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل الى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا قال له وهرز أنصفت وخرج اليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فأرسل اليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز أرونى ملكهم فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم قالوا ذاك ملكهم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو قالوا قد تحول على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال علام هو قالوا قد تحول على البغلة قال وهرز بنت الحمار ذل وذل ملكه انى سأرميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم فانى قد أخطأت الرجل وان رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت النشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا فى كل وجه وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى

اذا أتى بابها فقال لا تدخل راية منكسة أبدا اهدموا الباب فهدم ثم دخلها ناصبا رايته فقال سيف بن ذى يزن الحميرى يظن الناس بالملكيـ * ن انهما قد التأما ومن يسمع بلأمهما * فان الخطب قد فقما قتلنا القيل مسروقا * وروينا الكثيب دما وان القيل قيل النا * س وهرز مقسم قسما يذوق مشعشعا (٤٢) حتى * يفىء السبى والنعما (قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات له وأنشدنى

خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا لاعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى (قال ابن هشام) ويروى لامية ابن أبى الصلت

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن
(٢) ريم فى البحر للاعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته
فلم يجد عنده بعض الذى سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة
من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الاحرار يحملهم
انك عمرى لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضا مرازبة غلبا أساورة
أسدا تربب فى الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط
بزمجر يعجل المرمى اعجالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد
أضحى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا
فى رأس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم
واسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(قال ابن هشام) هذا ما صح له مما روى ابن اسحق منها الا آخرها بيتا تلك المكارم لا قعبان من لبن فانه للنابغة الجعدى واسمه عبد الله ابن قيس أحد بنى جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال عدى بن زيد الحيرى وكان أحد بنى تميم (قال ابن هشام) ثم أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ويقال عدى من (٣) العباد من أهل الحيرة بها

(٢) قوله ريم أى تربص وأقام (٣) قوله العباد بالفتح قبائل شتى من العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة اهـ من هامش الاصل

الله تعالى له ولامته فى ثلاثة مواضع فى كتابه فحمى المريض من استعمال الماء خشية من الضرر فقال تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فأباح التيمم للمريض حمية له كما أباحه للعادم وقال فى حفظ الصحة فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر فأباح للمسافر الفطر فى رمضان حفظا لصحته لئلا يجتمع على قوته الصوم ومشقة السفر فيضعف القوة والصحة وقال فى الاستفراغ فى حلق الرأس للمحرم فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه وهو محرم أن يحلق رأسه ويستفرغ المواد الفاسدة والابخرة الرديئة التى تولد عليه القمل كما حصل لكعب بن عجرة أو تولد عليه المرض وهذه الثلاثة هى قواعد الطب وأصوله فذكر من كل جنس منها شيأ وصورة تنبيها بها على نعمته على عباده فى أمثالها من حميتهم وحفظ صحتهم واستفراغ مواد أذاهم رحمة لعباده ولطفا بهم ورأفة بهم وهو الرؤف الرحيم

(فصل فى هديه فى معاملته) كان أحسن الناس معاملة وكان اذا استسلف سلفا قضى خيرا منه وكان اذا استسلف من رجل سلفا قضاه اياه ودعا له فقال بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء واستسلف من رجل أربعين صاعا فاحتاج الانصارى فأتاه فقال صلى الله عليه وسلم ما جاءنا من شئ بعد فقال الرجل وأراد أن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الا خيرا فأنا خير من تسلف فأعطاه أربعين فضلا وأربعين سلفه فأعطاه ثمانين ذكره البزار واقترض بعيرا فجاء صاحبه يتقاضاه فأغلظ للنبى صلى الله عليه وسلم فهم به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشترى مرة شيأ وليس عنده ثمنه فاربح فيه فباعه وتصدق بالربح على أرامل بنى عبد المطلب وقال لا أشترى بعد هذا شيأ الا وعندى ثمنه ذكره أبو داود وهذا لا يناقض شراءه فى الذمة الى أجل فهذا شئ وهذا شئ وتقاضاه غريم له دينا فأغلظ عليه فهم به عمر بن الخطاب فقال مه يا عمر كنت أحوج الى أن تأمرنى بالوفاء وكان أحوج الى أن تأمره بالصبر وباعه يهودى بيعا الى أجل فجاءه قبل الاجل يتقاضاه ثمنه فقال لم يحل الاجل فقال اليهودى انكم لمطل يا بنى عبد المطلب فهم به أصحابه فنهاهم فلم يزده ذلك الا حلما فقال اليهودى كل شئ منك قد عرفته من علامات النبوة وبقيت واحدة وهى أنه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فأردت أن أعرفها فأسلم اليهودى

(فصل فى هديه فى مشيه وحده ومع أصحابه) كان اذا مشى تكفأ تكفيا وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها قال أبو هريرة ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفيا كأنما ينحط من صبب وقال مرة اذا مشى تقلع قلت والتقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط من الصبب وهى مشية أولى العزم والهمة والشجاعة وهى أعدل المشيات وأروحها للاعضاء وأبعدها من مشية الهوج والمهانة والتماوت فان الماشى اما أن يتماوت فى مشيه ويمشى قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة وهى مشية مذمومة قبيحة واما أن يمشى بانزعاج واضطراب مشى الجمل الاهوج وهى مشية مذمومة أيضا وهى دالة على خفة عقل صاحبها ولا سيما ان كان يكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا واما أن يمشى هونا وهى مشية عباد الرحمن كما وصفهم

بها فى كتابه فقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال غير واحد من السلف بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت وهى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه مع هذه المشية كان كانما ينحط من صبب وكانما الارض تطوى له حتى كان الماشى يجهد نفسه ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير مكترث وهذا يدل على أمرين ان مشيته لم تكن مشية بتماوت ولا بمهانة بل مشية أعدل المشيات والمشيات عشرة أنواع هذه الثلاثة منها والرابع السعى والخامس الرمل وهو أسرع المشى مع تقارب الخطا ويسمى الخبب وفى الصحيح من حديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم خب فى طوافه ثلاثا ومشى أربعا والسادس النسلان وهو العدو الخفيف الذى لا يزعج الماشى ولا يكربه وفى بعض المسانيد ان المشاة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشى فى حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان والسابع الخوزلى وهى مشية التمايل وهى مشية يقال ان فيها تكسرا وتخنثا والثامن القهقرى وهى المشية الى وراء والتاسع الجمزى وهى مشية يثب فيها الماشى وثبا والعاشر مشية التبختر وهى مشية أولى العجب والتكبر وهى التى خسف الله سبحانه بصاحبها لما نظر فى عطفيه وأعجبته نفسه فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة وأعدل هذه المشيات مشية الهون والتكفى وأما مشيه مع أصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول دعوا ظهرى للملائكة ولهذا فى الحديث وكان يسوق أصحابه وكان يمشى حافيا ومنتعلا وكان يماشى أصحابه فرادى وجماعة ومشى فى بعض غزواته مرة فدميت أصبعه وسال منها الدم فقال هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت وكان فى السفر ساقة أصحابه يزجى الضعيف ويردفه ويدعو لهم ذكره أبو داود

(فصل فى هديه فى جلوسه واتكائه) كان يجلس على الارض وعلى الحصير والبساط وقالت قيلة بنت مخرمة أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد القرفصى قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمتخشع فى الجلسة ارعدت من الفرق ولما قدم عليه عدى بن حاتم دعاه الى منزله فالقت اليه الجارية وسادة يجلس عليها فجعلها بينه وبين عدى وجلس على الارض قال عدى فعرفت أنه ليس بملك وكان يستلقى احيانا وربما وضع احدى رجليه على الاخرى وكان يتكئ على الوسادة وربما اتكأ على يساره وربما اتكأ على يمينه وكان اذا احتاج فى خروجه توكأ على بعض أصحابه من الضعف

(فصل فى هديه عند قضاء الحاجة) كان اذا دخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث الرجس النجس الشيطان الرجيم وكان اذا خرج يقول غفرانك وكان يستنجى بالماء تارة ويستجمر بالاحجار تارة ويجمع بينهما تارة وكان اذا ذهب فى سفره للحاجة انطلق حتى يتوارى عن أصحابه وربما كان يبعد نحو الميلين وكان يستتر للحاجة بالهدف تارة وبحائش النخل تارة وبشجر الوادى تارة وكان اذا أراد أن يبول (٣) فى عزاز من الارض وهو الموضع الصلب أخذ عودا من الارض فنكت به حتى يثرى ثم يبول وكان يرتاد لبوله الموضع الدمث وهو اللين الرخو من الارض وأكثر ما كان يبول وهو قاعد حتى قالت عائشة من حدثكم أنه كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول الا قاعدا وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث حذيفة أنه بال قائما فقيل هذا بيان للجواز

(٣) العزاز بعين مهملة وزاءين بوزن كتاب الارض الصلبة اهـ جوهرى

ما بعد صنعاء كان يعمرها * ولاة ملك جزل مواهبها رفعها من بنى لدى قزع المـ * ـزن وتندى مسكا محاربها محفوفة بالجبال دون عرى الـ * ـكائد ما ترتقى غواربها يأنس فيها صوت النهام اذا * جاوبها بالعشى قاصبها ساقت اليه الاسباب جند بنى الاحرار فرسانها مواكبها وفوزت بالبغال توسق بالـ * ـحتف وتسعى بها توالبها حتى رآها الاقوال من طرف الـ * ـمنقل (٤٣) مخضرة كتائبها يوما ينادون آل بربر واليـ * ـكسوم لا يفلحن هاربها وكان يوما باقى الحديث وزا * لت أمة ثابت مراتبها وبدل الفيج بالزرافة والا * يام جون جم عجائبها بعد بنى تبع نخاورة * قد اطمأنت بها مرازبها (قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنشدنى أبو زيد ورواه لى عن المفضل الضبى قوله يوما ينادون آل بربر واليكسوم وهذا الذى عنى سطيح بقوله يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن والذى عنى شق بقوله غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى يزن * قال ابن اسحق فأقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الابناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها ارياط الى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ارياط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة *(ذكر ما انتهى اليه أمر الفرس باليمن) (قال ابن هشام) ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن ثم مات التينجان فأمر كسرى ابن التينجان على اليمن ثم عزله وأمر باذان فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبلغنى عن الزهرى أنه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغنى ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبيا فسيكون

ما قال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) قتل على يدى ابنه شيرويه (وقال) خالد بن حق الشيبانى

وكسرى اذ تقسمه بنوه * بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

(قال الزهرى) فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من (٤٤) معه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى من نحن يارسول الله قال أنتم منا والينا أهل البيت (قال ابن هشام) فبلغنى عن الزهرى انه قال فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت (قال ابن هشام) فهو الذى عنى سطيح بقوله نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى والذى عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل * قال ابن اسحق وكان فى حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب فى الزمان الاول لمن ملك ذمار لحمير الاخيار لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار لمن ملك ذمار لفارس الاحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار وذمار اليمن أو صنعاء (قال ابن هشام) ذمار بالفتح فيما أخبرنى يونس * قال ابن اسحق وقال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها
حقا كما صدق الذئبى اذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح الذئبى لانه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب (قال ابن هشام) وهذا البيت فى قصيدة للاعشى واسم الاعشى ميمون بن قيس

(قصة ملك الحضر)

(قال ابن هشام) وحدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى عن جناد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب أنه يقال ان النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضر والحضر حصن عظيم كالمدينة كان على شاطئ الفرات وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ * ـملك عنه فبابه مهجور

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له والذى

وقيل انما فعله من وجع كان بمأبطه وقيل فعله استشفاء قال الشافعى رحمه الله والعرب تستشفى من وجع الصلب بالبول قائما والصحيح أنه انما فعل ذلك تنزها وبعدا من اصابة البول فانه انما فعل هذا لما أتى سباطة قوم وهو ملقى الكناسة ويسمى المزبلة وهى تكون مرتفعة فلو بال فيها الرجل قاعدا لارتد عليه بوله وهو صلى الله عليه وسلم استتر بها وجعلها بينه وبين الحائط فلم يكن بد من بوله قائما والله أعلم وقد ذكر الترمذى عن عمر بن الخطاب قال رآنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما قال فما بلت قائما بعد قال الترمذى وانما رفعه عبد الكريم بن أبى المخارق وهو ضعيف عند أهل الحديث وفى مسند البزار وغيره من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من الجفاء أن يبول الرجل قائما أو يمسح جبهته قبل أن يفرغ من صلاته أو ينفخ فى سجوده ورواه الترمذى وقال هو غير محفوظ وقال البزار لا نعلم رواه عن عبد الله بن بريدة الا سعيد بن عبيد الله ولم يجرحه بشئ وقال ابن أبى حاتم هو بصرى ثقة مشهور * وكان يخرج من الخلاء فيقرأ القرآن وكان يستنجى ويستجمر بشماله ولم يكن يصنع شيأ مما يصنعه المبتلون بالوسواس من نتر الذكر والنحنحة والقفز ومسك الحبل وطلوع الدرجة وحشو القطن فى نخس الاحليل وصب الماء فيه وتفقده الفينة بعد الفينة ونحو ذلك من بدع أهل الوسواس وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا بال نتر ذكره ثلاثا وروى أنه أمر به ولكن لا يصح من فعله ولا أمره قال أبو جعفر العقيلى وكان اذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليه ذكره مسلم فى صحيحه عن ابن عمر وروى البزار فى مسنده فى هذه القصة أنه رد عليه ثم قال انما رددت عليك خشية أن تقول سلمت عليه فلم يرد على سلاما فاذا رأيتنى هكذا فلا تسلم على فانى لا أرد عليك السلام وقد قيل لعل هذا كان مرتين وقيل حديث مسلم أصح لانه من حديث الضحاك بن عثمان عن نافع عن ابن عمر وحديث البزار من رواية أبى بكر رجل من أولاد عبد الله بن عمر عن نافع عنه قيل وأبو بكر هذا هو أبو بكر ابن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر روى عنه مالك وغيره والضحاك أوثق منه وكان اذا استنجى بالماء ضرب يده بعد ذلك على الارض وكان اذا جلس لحاجته لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى الفطرة وتوابعها قد سبق الخلاف هل ولد صلى الله عليه وسلم مختونا أو ختنته الملائكة يوم شق صدره الاول أو ختنه جده عبد المطلب وكان يعجبه التيمن فى تنعله وترجله وطهوره وأخذه وعطائه وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره ويساره لخلائه ونحوه من ازالة الاذى وكان هديه فى حلق الرأس تركه كله أو أخذه كله ولم يكن يحلق بعضه ويدع بعضه ولم يحفظ عنه حلقه الا فى نسك وكان يحب السواك وكان يستاك مفطرا وصائما ويستاك عند الانتباه من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة وعند دخول المنزل وكان يستاك بعود الاراك وكان يكثر التطيب ويحب الطيب وذكر عنه أنه كان يطلى بالنورة وكان أولا يسدل شعره ثم فرقه والفرق أن يجعل شعره فرقتين كل فرقة ذؤابة والسدل أن يسدله من ورائه ولا يجعله فرقتين ولم يدخل حماما قط ولعله ما رآه بعينه ولم يصح فى الحمام حديث وكان له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثا عند النوم فى كل عين واختلف الصحابة فى خضابه فقال أنس لم يخضب وقال أبو هريرة خضب وقد روى حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا قال حماد وأخبرنى عبد الله بن محمد بن عقيل قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك مخضوبا وقالت طائفة

ذكره أبو داود الايادى فى قوله وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون وهذا البيت فى قصيدة له و يقال انها لخلف الاحمر و يقال انها لحماد الراوية وكان كسرى سابور ذو الاكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين فأشرفت بنت ساطرون يوما فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا فدست اليه أن تتزوجنى ان فتحت لك باب الحضر فقال نعم فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار بها معه فتزوجها فبينا هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تململ لا تنام فدعا لها بشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور أهذا الذى أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع بك قالت كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمنى المخ ويسقينى الخمر قال وكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى بذلك أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

ألم تر للحضر اذ أهله
بنعمى وهل خالد من نعم
أقام به شاهبور الجنو
د حولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة
أناب اليه فلم ينتقم

وهذه الابيات فى قصيدة له (وقال عدى بن زيد) فى ذلك

والحضر صابت عليه داهية
من فوقه أيد مناكبها
ربيبة لم توق والدها
لحينها اذ أضاع راقبها
اذ غبقته صهباء صافية
والخمر أهل بهيم شاربها
وأسلمت أهلها بليلتها * تظن ان الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس اذ جشر الصبح دماء تجرى سبائبها
وخرب الحضر واستبيح وقد * أحرق فى خدرها مشاجبها

وهذه الابيات فى قصيدة له * (ذكر ولد نزار بن معد) * قال ابن اسحق فولد نزار بن معد ثلاثة نفر مضر بن نزار وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار (قال ابن هشام) واياد بن نزار قال الحرث بن دوس الايادى ويروى لابى داود الايادى واسمه جارية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر الطيب قد احمر شعره فكان يظن مخضوبا ولم يخضب وقال أبو رمثة أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابن لى فقال ابنك فقلت نعم اشهد به فقال لا تجنى عليه ولا يجنى عليك قال ورأيت الشيب أحمر قال الترمذى هذا أحسن شئ روى فى هذا الباب وأفسره لان الروايات الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب قال حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قيل لجابر بن سمرة أكان فى رأس النبى صلى الله عليه وسلم شيب قال لم يكن فى رأسه شيب الا شعرات فى مفرق رأسه اذا ادهن وأراهن الدهن قال أنس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه ولحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات وكان يحب الترجل وكان يرجل نفسه تارة وترجله عائشة تارة وكان شعره فوق الجمة ودون الوفرة وكانت جمته تضرب شحمة أذنيه واذا طال جعله غدائر أربعا قالت أم هانئ قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة وله أربع غدائر والغدائر الضفائر وهذا حديث صحيح وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب وثبت عنه فى حديث صحيح مسلم أنه قال من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه طيب الرائحة خفيف المحمل هذا لفظ الحديث وبعضهم يرويه من عرض عليه طيب فلا يرده وليس بمعناه فان الريحان لا تكثر المنة باخذه وقد جرت العادة بالتسامح فى بذله بخلاف المسك والعنبر والغالية ونحوها ولكن الذى ثبت عنه من حديث عزرة بن ثابت عن ثمامة قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب وأما حديث ابن عمر يرفعه ثلاث لا ترد الوسائد والدهن واللبن فحديث معلول رواه الترمذى وذكر علته ولا أحفظ الآن ما قيل فيه الا أنه من رواية عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه عن ابن عمر ومن مراسيل أبى عثمان النهدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فانه خرج من الجنة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسكة يتطيب منها وكان أحب الطيب اليه المسك وكان يعجبه الفاغية قيل وهى نور الحناء

(فصل فى هديه فى قص الشارب) قال أبو عمر بن عبد البر روى الحسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقص شاربه ويذكر أن ابراهيم كان يقص شاربه ووقفه طائفة على ابن عباس وروى الترمذى من حديث زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ من شاربه فليس منا وقال حديث صحيح وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس وفى الصحيحين عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب وفى صحيح مسلم عن أنس قال وقت لنا النبى صلى الله عليه وسلم فى قص الشارب وتقليم الاظفار أن لا نترك أكثر من أربعين يوما وليلة واختلف السلف فى قص الشارب وحلقه أيهما أفضل فقال مالك فى موطئه يؤخذ من الشارب حتى تبدو أطراف الشفة وهو الاطار ولا يجزه فيمثل بنفسه وذكر ابن عبد الحكم عن مالك قال يحفى الشارب ويعفى اللحى وليس احفاء الشارب حلقه وأرى أن يؤدب من حلق شاربه وقال ابن القاسم عنه احفاء الشارب وحلقه عندى مثلة قال مالك وتفسير حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى احفاء الشارب انما هو الاطار وكان يكره أن يأخذ من أعلاه وقال أشهد فى حلق الشارب أنه بدعة وأرى أن يوجع ضربا من فعله قال مالك وكان عمر بن الخطاب اذا أكربه أمر نفخ فجعل رجله بردائه وهو يفتل شاربه وقال عمر بن عبد العزيز السنة فى الشارب الاطار وقال الطحاوى ولم أجد عن الشافعى شيأ منصوصا فى هذا وأصحابه الذين رأينا المزنى

ابن الحجاج وفتوحسن أو جهوهم * من اياد بن نزار بن معد وهذا البيت فى أبيات له فأم مضر واياد سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن عدنان ويقال جمعة بنت عك بن عدنان * قال ابن اسحق فأنمار أبو خثعم وبجيلة قال جرير بن عبد الله البجلي وكان سيد بجيلة وهو الذى يقول له (٤٦) القائل لولا جرير هلكت بجيله * نعم الفتى وبئست القبيله وهو ينافر الفرافصة الكلبي الى الاقرع (٢) بن حابس التميمي

يا اقرع بن حابس يا اقرع
انك ان تصرع أخاك تصرع

(وقال)

ابني نزار أنصرا أخا كما
ان أبي وجدته أبا كما
لن يغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت فلحقت باليمن (قال ابن هشام) قالت اليمن وبجيلة أنمار ابن اراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال اراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية * قال ابن اسحق فولد مضر بن نزار رجلين الياس بن مضر وعيلان بن مضر (قال ابن هشام) وأمهما جرهمية * قال ابن اسحق فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مدركة بن الياس وطابخة بن الياس وقمعة بن الياس وأمهم خندف امرأة من اليمن (قال ابن هشام) خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا وزعموا انهما كانا فى ابل لهما يرعيانها فاقتنصا صيدا فقعدا عليه يطبخانه وعدت عادية على ابلهما فقال عامر لعمرو أتدرك الابل أم تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل أطبخ فلحق عامر بالابل فجاء بها فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو وأنت طابخة وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس

(قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب)

قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(٢) وجد بهامش بعض النسخ بعد قوله ابن حابس بن عقال بن مجاشع بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة التميمي

والربيع كانا يحفيان شواربهما ويدل ذلك على أنهما أخذاه عن الشافعي رحمه الله قال وأما أبو حنيفة وزفر وأبو يوسف ومحمد فكان مذهبهم فى شعر الرأس والشوارب ان الاحفاء أفضل من التقصير وذكر ابن خويز منداد المالكى عن الشافعي أن مذهبه فى حلق الشارب كمذهب أبى حنيفة وهذا قول أبى عمر وأما الامام أحمد فقال الاثرم رأيت الامام أحمد بن حنبل يحفى شاربه شديدا وسمعته يسأل عن السنة فى احفاء الشارب فقال يحفى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أحفوا الشوارب وقال حنبل قيل لابي عبد الله ترى الرجل يأخذ شاربه أو يحفيه أم كيف يأخذه قال ان أحفاه فلا بأس وان أخذه قصا فلا بأس وقال أبو محمد فى المغنى وهو مخير بين أن يحفيه وبين أن يقصه من غير احفاء قال الطحاوى وروى المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ من شاربه على سواك وهذا لا يكون معه احفاء واحتج من لم ير احفاءه بحديثى عائشة وأبى هريرة المرفوع عشر من الفطرة فذكر منها قص الشارب وفى حديث أبى هريرة المتفق عليه الفطرة خمس وذكر منها قص الشارب واحتج المحفون بأحاديث الامر بالاحفاء وهى صحيحة وبحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجز شاربه قال الطحاوى وهذا الاغلب فيه الاحفاء وهو يحتمل الوجهين وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة يرفعه جزوا الشوارب وارخوا اللحى قال وهذا يحتمل الاحفاء أيضا وذكر باسناده عن أبى سعيد وأبى أسيد ورافع بن خديج وسهل بن سعد وعبد الله بن عمر وجابر وأبى هريرة انهم كانوا يحفون شواربهم وقال ابراهيم بن محمد بن حاطب رأيت ابن عمر يحفى شاربه كأنه ينتفه وقال بعضهم حتى يرى بياض الجلد قال الطحاوى ولما كان التقصير مسنونا عند الجميع كان الحلق فيه أفضل قياسا على الرأس وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين واحدة فجعل حلق الرأس أفضل من تقصيره فكذلك الشارب

(فصل فى هديه فى كلامه وسكوته وضحكه وبكائه) كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى أن كلامه ليأخذ بالقلوب ويسبي الارواح ويشهد له بذلك أعداؤه وكان اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام بل هديه فيه أكمل الهدى قالت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه وكان اذا سلم سلم ثلاثا وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلام فصل لا فضول ولا تقصير وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه واذا كره الشئ عرف فى وجهه ولم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا وكان جل ضحكه التبسم بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه وكان يضحك مما يضحك منه وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ويستندر وللضحك أسباب عديدة هذه أحدها والثانى ضحك الفرح وهو أن يرى ما يسره أو يباشره والثالث ضحك الغضب وهو كثيرا ما يعتري الغضبان اذا اشتد غضبه وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب وشعور نفسه بالقدرة على خصمه وأنه فى قبضته وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب واعراضه عمن أغضبه وعدم اكتراثه به وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كان تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز وكان

بكاؤه

رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فسألته عمن بيني و بينه من الناس فقال هلكوا * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي ان أبا صالح السمان حدثه انه سمع أبا هريرة (قال ابن هشام) واسم أبي هريرة عبد الله بن عامر و يقال اسمه عبد الرحمن بن صخر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكثم عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه كان أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان و بحر البحيرة وسيب السائبة و وصل الوصيلة وحمى الحامي (قال ابن هشام) حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق و يقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي أراكم تعبدون قالوا له هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما فأسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * قال ابن اسحق ويزعمون ان أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسمعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسمعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدي البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش اذا أهلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم و يجعلون ملكها

بكاؤه تارة رحمة للميت وتارة خوفا على أمته وشفقة وتارة من خشية الله وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة واجلال مصاحب للخوف والخشية ولما مات ابنه ابراهيم دمعت عيناه وبكى رحمة له وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون وبكى لما شاهد احدى بناته ونفسها تفيض وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى فيها الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وبكى لما مات عثمان بن مظعون وبكى لما كسفت الشمس وصلى صلاة الكسوف وجعل يبكي في صلاته وجعل ينفخ ويقول رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك وبكى لما جلس على قبر احدى بناته وكان يبكي أحيانا في صلاة الليل والبكاء أنواع أحدها بكاء الرحمة والرقة والثاني بكاء الخوف والخشية والثالث بكاء المحبة والشوق والرابع بكاء الفرح والسرور والخامس بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله والسادس بكاء الحزن والفرق بينه وبين بكاء الخوف ان بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن ان دمعة السرور باردة والقلب فرحان ودمعة الحزن حارة والقلب حزين ولهذا يقال لما يفرح به هو قرة عين وأقر الله به عينه ولما يحزن هو سخينة العين وأسخن الله عينه به والسابع بكاء الخور والضعف والثامن بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس فيظهر صاحبه الخشوع وهو من أقسى الناس قلبا والتاسع البكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة بالاجرة فانها كما قال عمر بن الخطاب تبيع عبرتها وتبكي بشجو غيرها والعاشر بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لامر ورد عليهم فيبكي معهم ولا يدري لاي شئ يبكون ولكن يراهم يبكون فيبكي وما كان من ذلك دمعا بلا صوت فهو بكا مقصور وما كان معه صوت فهو بكاء ممدود على بناء الاصوات وقال الشاعر

بكت عيني وحق لها بكاها * وما يغني البكاء ولا العويل

وما كان منه مستدعى متكلفا فهو التباكي وهو نوعان محمود ومذموم فالمحمود أن يستجلب لرقة القلب ولخشية الله لا للرياء والسمعة والمذموم أن يجتلب لاجل الخلق وقد قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر أخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال بعض السلف ابكوا من خشية الله فان لم تبكوا فتباكوا

(فصل في هديه في خطبته خطب صلى الله عليه وسلم) على الارض وعلى المنبر وعلى البعير وعلى الناقة وكان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكان لا يخطب خطبة الا افتتحها بحمد الله وأما قول كثير من الفقهاء أنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وخطبة العيد بالتكبير فليس معهم فيه سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم البتة وسنته تقتضي خلافه وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله وهو أحد الوجوه الثلاثة لاصحاب أحمد وهو اختيار شيخنا قدس الله سره وكان يخطب قائما وفي مراسيل عطاء وغيره أنه كان صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر أقبل

بو جهه على الناس ثم قال السلام عليكم قال الشعبي وكان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك وكان يختم خطبته بالاستغفار وكان كثيرا ما يخطب بالقرآن وفي صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت ما أخذت ق والقرآن المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس وذكر أبو داود عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا وقال أبو داود عن يونس أنه سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحو هذا الا أنه قال ومن يعصهما فقد غوى قال ابن شهاب وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا خطب كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت ولا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لامر الناس ما شاء الله لا ما شاء الناس يريد الله شيأ ويريد الناس شيأ ما شاء الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شئ الا باذن الله وكان مدار خطبه على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده وتعليم قواعد الاسلام وذكر الجنة والنار والمعاد والامر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه فعلى هذا كان مدار خطبه وكان يقول في خطبه أيها الناس انكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا وكان يخطب في كل وقت بما يقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم ولم يكن يخطب خطبة الا افتتحها بحمد الله ويتشهد فيها بكلمتي الشهادة ويذكر فيها نفسه باسمه العلم وثبت عنه أنه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء ولم يكن له شاوش يخرج بين يديه اذا خرج من حجرته ولم يكن يلبس لباس الخطباء اليوم لا طرحة ولا زيقا واسعا وكان منبره ثلاث درجات فاذا استوى عليه واستقبل الناس أخذ المؤذن في الاذان فقط ولم يقل شيأ قبله ولا بعده فاذا أخذ في الخطبة لم يرفع أحد صوته بشئ البتة لا مؤذن ولا غيره وكان اذا قام يخطب أخذ عصا فتوكأ عليها وهو على المنبر كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك وكان أحيانا يتوكأ على قوس ولم يحفظ عنه أنه توكأ على سيف وكثير من الجهلة يظن أنه كان يمسك السيف على المنبر اشارة الى أن الدين انما قام بالسيف وهذا جهل قبيح من وجهين أحدهما أن المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم توكأ على العصا وعلى القوس الثاني ان الدين انما قام بالوحي وأما السيف فلمحق أهل الضلال والشرك ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب فيها انما فتحت بالقرآن ولم تفتح بالسيف وكان اذا عرض له في خطبته عارض اشتغل به ثم رجع الى خطبته وكان يخطب فجاء الحسن والحسين يعثران في قميصين أحمرين فقطع كلامه فنزل فحملهما ثم عاد الى منبره ثم قال صدق الله العظيم انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين يعثران في قميصيهما فلم أصبر حتى قطعت كلامي فحملتهما وجاء سليك الغطفاني وهو يخطب فجلس فقال له قم يا سليك فاركع ركعتين وتجوز فيهما ثم قال وهو على المنبر اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين ويتجوز فيهما وكان يقصر خطبته أحيانا ويطيلها أحيانا بحسب حاجة الناس وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة وكان يخطب النساء على حدة في الاعياد ويحرضهن على الصدقة والله أعلم * فصول هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات

(فصل

بيده يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أي ما يوحدونني لمعرفة حقي الا جعلوا معي شريكا من خلقي وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فكان الذين اتخذوا تلك الاصنام من ولد اسمعيل (٤٨) وغيرهم وسموا باسمائهم حين فارقوا دين اسمعيل هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر اتخذوا سواعا وكان لهم برهاط وكلب بن وبرة من قضاعة اتخذوا ودا بدومة الجندل * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك الانصاري

ونسى اللات والعزى وود
ونسلبها القلائد والشنوفا

(قال ابن هشام) وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله (قال ابن هشام) وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وأنعم من طيئ وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش (قال ابن هشام) ويقال بل أنعم وطيئ بن أدد ابن مالك ومالك مذحج بن أدد ويقال طيئ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن اسحق وخيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن (قال ابن هشام) اسم همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ ويقال أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار (قال ابن هشام) وقال مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري
ولا يبري يعوق ولا يريش

وهذا البيت في أبيات له ويقال همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا * قال ابن اسحق وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير وكان لخولان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم فما دخل في حق عم أنس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له وما دخل في حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه وهم بطن من خولان يقال لهم الاديم وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام

(فصل فى هديه فى الوضوء) كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فى غالب أحيانه وربما صلى الصلوات بوضوء واحد وكان يتوضأ بالمد تارة وبثلثيه تارة وبازيد منه تارة وذلك نحو أربع أواق بالدمشقى الى أوقيتين وثلاث وكان من أيسر الناس صبا لماء الوضوء وكان يحذر أمته من الاسراف فيه وأخبر أنه يكون فى أمته من يتعدى فى الطهور وقال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء ومر على سعد وهو يتوضأ فقال له لا تسرف فى الماء فقال وهل فى الماء من اسراف قال نعم وان كنت على نهر جار وصح عنه أنه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا وفى بعض الاعضاء مرتين وبعضها ثلاثا وكان يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين وتارة بثلاث وكان يصل بين المضمضة والاستنشاق فيأخذ نصف الغرفة لفمه ونصفها لانفه ولا يمكن فى الغرفة الا هذا وأما الغرفتان والثلاث فيمكن فيهما الفصل والوصل الا أن هديه صلى الله عليه وسلم كان الوصل بينهما كما فى الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا وفى لفظ تمضمض واستنثر بثلاث غرفات فهذا أصح ما روى فى المضمضة والاستنشاق ولم يجئ الفصل بين المضمضة والاستنشاق فى حديث صحيح ألبتة لكن فى حديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يفصل بين المضمضة والاستنشاق ولكن لا ندرى الا من طلحة عن أبيه عن جده ولا يعرف لجده صحبة وكان يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى وكان يمسح رأسه كله وتارة يقبل بيديه ويدبر وعليه يحمل حديث من قال مسح برأسه مرتين والصحيح أنه لم يكرر مسح رأسه بل كان اذا كرر غسل الاعضاء أفرد مسح الرأس هكذا جاء عنه صريحا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم خلافه ألبتة بل ما عدا هذا اما صحيح غير صريح كقول الصحابى توضأ ثلاثا ثلاثا وكقوله مسح برأسه مرتين واما صريح غير صحيح كحديث ابن البيلمانى عن أبيه عن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فغسل كفيه ثلاثا ثم قال ومسح برأسه ثلاثا وهذا لا يحتج به وابن البيلمانى وأبوه مضعفان وان كان الاب أحسن حالا وكحديث عثمان الذى رواه أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وقال أبو داود أحاديث عثمان الصحاح كلها تدل على أن مسح الرأس مرة ولم يصح عنه فى حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه ألبتة ولكن كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة فاما حديث أنس الذى رواه أبو داود رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعليه عمامة قطرية فادخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة فهذا مقصود أنس به ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينقض عمامته حتى يستوعب مسح الشعر كله ولم ينف التكميل على العمامة وقد أثبته المغيرة بن شعبة وغيره فسكوت أنس عنه لا يدل على نفيه ولم يتوضأ صلى الله عليه وسلم الا تمضمض واستنشق ولم يحفظ عنه انه أخل به مرة واحدة وكذلك كان وضوءه مرتبا متواليا لم يخل به مرة واحدة ألبتة وكان يمسح على رأسه تارة وعلى العمامة تارة وعلى الناصية والعمامة تارة وأما اقتصاره على الناصية مجردة فلم يحفظ عنه كما تقدم وكان يغسل رجليه اذا لم يكونا فى خفين ولا جوربين ويمسح عليهما اذا كانا فى الخفين وكان يمسح أذنيه مع رأسه وكان يمسح ظاهرهما وباطنهما ولم يثبت عنه انه أخذ لهما ماء جديدا وانما صح ذلك عن ابن عمر ولم يصح عنه فى مسح العنق حديث ألبتة ولم يحفظ عنه انه كان يقول على وضوئه شيأ غير التسمية وكل حديث فى اذكار الوضوء الذى يقال عليه فكذب مختلق لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ منه ولا علمه لامته ولا ثبت عنه

أصيبا فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون (قال ابن هشام) خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ويقال خولان بن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج * قال ابن اسحق وكان لبنى ملكان بن (٤٩) كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صنم يقال له سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فاقبل رجل من بنى ملكان بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رأته الابل وكانت مرعية لا تركب وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه وغضب ربها الملكانى فأخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على ابلى ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة
من الارض لا يدعو لغى ولا رشد

وكان فى دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسى (قال ابن هشام) سأذكر حديثه فى موضعه ان شاء الله ودوس ابن عدثان بن عبد الله بن زهران ابن كعب بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد ابن الغوث ويقال دوس بن عبد الله ابن زهران بن الاسد بن الغوث * قال ابن اسحق وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل (قال ابن هشام) سأذكر حديثه ان شاء الله فى موضعه * قال ابن اسحق واتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم هو اساف بن بغى ونائلة بنت ديك فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة انها قالت سمعت عائشة رضى الله عنها تقول مازلنا نسمع ان اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو طالب وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول

غير التسمية في أوله وقوله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين في آخره وفي حديث آخر في سنن النسائي مما يقال بعد الوضوء أيضا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك ولم يكن يقول في أوله نويت رفع الحدث ولا استباحة الصلاة لا هو ولا أحد من أصحابه البتة ولم يرو عنه في ذلك حرف واحد لا باسناد صحيح ولا ضعيف ولم يتجاوز الثلاث قط وكذلك لم يثبت عنه أنه تجاوز المرفقين والكعبين ولكن أبو هريرة كان يفعل ذلك ويتأول حديث اطالة الغرة * وأما حديث أبي هريرة في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم انه غسل يديه حتى أشرع في العضدين ورجليه حتى أشرع في الساقين فهو انما يدل على ادخال المرفقين والكعبين في الوضوء ولا يدل على مسألة الاطالة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتاد تنشيف أعضائه بعد الوضوء ولا صح عنه في ذلك حديث البتة بل الذي صح عنه خلافه * وأما حديث عائشة كان للنبي صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ بن جبل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح على وجهه بطرف ثوبه فضعيفان لا يحتج بمثلهما في الاول سليمان بن أرقم متروك وفي الثاني الافريقي ضعيف قال الترمذي ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم ان يصب عليه الماء كلما توضأ ولكن تارة يصب على نفسه وربما عاونه من يصب عليه أحيانا لحاجة كما في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة انه صب عليه في السفر لما توضأ وكان يخلل لحيته أحيانا ولم يكن يواظب على ذلك * وقد اختلف أئمة الحديث فيه فصحح الترمذي وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته وقال أحمد وأبو زرعة لا يثبت في تخليل اللحية حديث وكذلك تخليل الاصابع لم يكن يحافظ عليه وفي السنن عن المستورد بن شداد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك أصابع رجليه بخنصره وهذا ان ثبت عنه فانما يفعله أحيانا ولهذا لم يروه الذين اعتنوا بضبط وضوئه كعثمان وعلي وعبد الله بن زيد والربيع وغيرهم على ان في اسناده ابن لهيعة وأما تحريك خاتمه فقد روي فيه حديث ضعيف من رواية معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ حرك خاتمه ومعمر وأبوه ضعيفان ذكر ذلك الدارقطني

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في المسح على الخفين) صح عنه انه مسح في الحضر والسفر ولم ينسخ ذلك حتى توفي ووقت للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن في عدة أحاديث حسان وصحاح وكان يمسح ظاهر الخفين ولم يصح عنه مسح أسفلهما الا في حديث منقطع والاحاديث الصحيحة على خلافه ومسح على الجوربين والنعلين ومسح على العمامة مقتصرا عليها ومع الناصية وثبت عنه ذلك فعلا وأمرا في عدة أحاديث لكن في قضايا أعيان يحتمل أن يكون خاصة بحال الحاجة والضرورة ويحتمل العموم كالخفين وهو أظهر والله أعلم ولم يكن يتكلف ضد حاله التي عليها قدماه بل ان كانت في الخف مسح عليهما ولم ينزعهما وان كانتا مكشوفتين غسل القدمين ولم يلبس الخف ليمسح عليه وهذا أعدل الاقوال في مسألة الافضل من المسح والغسل قاله شيخنا والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في التيمم) كان صلى الله عليه وسلم يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ولم يصح عنه انه تيمم بضربتين ولا الى المرفقين قال الامام أحمد من قال ان التيمم الى المرفقين

اساف ونائل (قال ابن هشام) وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله

فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت قد عرفت انها بيت ابراهيم الخليل ومسجده وكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم (قال ابن هشام) حلفاء أبي طالب خاصة وسليم سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان * قال ابن اسحق فقال شاعر من العرب

لقد أنكحت اسماء رأس بقيرة ... من الادم أهداها امرؤ من بني غنم

رأى قذعا في عينها اذ يسوقها ... الى غبغب العزى فوسع في القسم

وكذلك كانوا يصنعون اذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم والغبغب المنحر ومهراق الدماء (قال ابن هشام) وهذان البيتان لأبي خراش الهذلي واسمه خويلد بن مرة في أبيات له والسدنة الذين يقومون بأمر الكعبة قال رؤبة ابن العجاج

فلا ورب الآمنات القطن ... بمحبس الهدى وبيت المسدن

(٣) وهذان البيتان في أرجوزة له وسأذكر حديثها ان شاء الله تعالى في موضعه * قال ابن اسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف (قال ابن هشام) وسأذكر حديثها ان شاء الله تعالى في موضعه * قال ابن اسحق وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد (قال ابن

فانما

(٣) قوله وهذان البيتان هذا على أنه من مشطور الرجز

هشام) وقال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة وقد آلت قبائل لا تولى * مناة ظهورها متحرفينا وهذا البيت في قصيدة له (قال ابن هشام) فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ويقال علي بن أبي طالب * قال ابن اسحق وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة (قال ابن هشام) (٤) ويقال ذو الخلصة قال رجل من العرب

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا
مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

قال وكان أبوه قتل فأراد الطلب بثاره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالازلام فخرج السهم بنهيه عن ذلك فقال هذه الابيات ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندي فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه * قال ابن اسحق وكانت قلس لطيئ ومن يليها بجبلي طيئ بين سلمى وأجا (قال ابن هشام) فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليها علي بن أبي طالب فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لاحدهما الرسوب وللآخر المخذم فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه * قال ابن اسحق وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام (قال ابن هشام) قد ذكرت حديثه فيما مضى * قال ابن اسحق وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

(قال ابن هشام) قوله فتركتها قفرا بقاع أسحما عن رجل من بني سعد ويقال ان المستوغر عمر ثلثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو الذي يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدتها بعدها مائتان لي * وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروي هذه

(٤) قوله ويقال ذو الخلصة الأول بفتحات وضبط الثاني في بعض النسخ بضم الخاء

فانما هو شيء رآه من عنده وكذلك كان يتيمم بالارض التي يصلي عليها ترابا كانت أو سبخة أو رملا وصح عنه انه قال حيثما أدركت رجلا من أمتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره وهذا نص صريح في ان من أدركته الصلاة في الرمل فالرمل له طهور ولما سافر هو وأصحابه في غزوة تبوك قطعوا تلك الرمال في طريقهم وماؤهم في غاية القلة ولم يرو عنه انه حمل معه التراب ولا أمر به ولا فعله أحد من أصحابه مع القطع بان في المفاوز الرمال أكثر من التراب وكذلك أرض الحجاز وغيره ومن تدبر هذا قطع بانه كان يتيمم بالرمل والله أعلم وهذا قول الجمهور وأما ما ذكر في صفة التيمم من وضع بطون أصابع يده اليسرى على ظهور اليمنى ثم امرارها الى المرفق ثم ادارة بطن كفه على بطن الذراع واقامة ابهامه اليسرى كالمؤذن الى ان يصل الى ابهامه اليمنى فيطبقها عليها فهذا مما يعلم قطعا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا علمه أحدا من أصحابه ولا أمر به ولا استحسنه وهذا هديه اليه التحاكم وكذلك لم يصح عنه التيمم لكل صلاة ولا أمر به بل أطلق وجعله قائما مقام الوضوء وهذا يقتضي أن يكون حكمه حكمه الا فيما اقتضى الدليل خلافه

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الصلاة) كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيأ قبلها ولا تلفظ بالنية البتة ولا قال أصلي لله صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات اماما أو مأموما ولا قال أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت وهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة منها البتة بل ولا عن أحد من أصحابه ولا استحسنه أحد من التابعين ولا الائمة الاربعة وانما غر بعض المتأخرين قول الشافعي رضي الله عنه في الصلاة انها ليست كالصيام ولا يدخل فيها أحد الا بذكر فظن ان الذكر تلفظ المصلي بالنية وانما أراد الشافعي رحمه الله بالذكر تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي أمرا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا أحد من خلفائه وأصحابه وهذا هديهم وسيرتهم فان أوجدنا أحد حرفا واحدا عنهم في ذلك قبلناه وقابلناه بالتسليم والقبول ولا هدي أكمل من هديهم ولا سنة الا ما تلقوه عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وكان دأبه في احرامه لفظة الله أكبر لا غيرها ولم ينقل أحد عنه سواها وكان يرفع يديه معها ممدودة الاصابع مستقبلا بها القبلة الى فروع اذنيه وروي الى منكبيه فابو حميد الساعدي ومن معه قالوا حتى يحاذي بهما المنكبين وكذلك قال ابن عمر وقال وائل بن حجر الى حيال أذنيه وقال البراء قريبا من أذنيه وقيل هو من العمل المخير فيه وقيل كان أعلاها الى فروع أذنيه وكفاه الى منكبيه فلا يكون اختلافا ولم يختلف عنه في محل هذا الرفع ثم يضع اليمنى على ظهر اليسرى وكان يستفتح تارة باللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وتارة يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا اله الا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعها انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيء الاخلاق لا يصرف عني سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس اليك أنا بك واليك تباركت ربنا وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك ولكن المحفوظ أن هذا الاستفتاح انما كان

الابيات لزهير بن جناب الكلبي * قال ابن اسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابنى وائل واياد بسنداد وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة
بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذى الشرفات من سنداد (قال ابن هشام) وهذا البيت للاسود بن يعفر النهشلى نهشل بن دارم
ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن (٥٢) تميم فى قصيدة له وأنشدنيه أبو محرز خلف الاحمر أهل الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذى الشرفات من سنداد

(أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى)

* قال ابن اسحق فأما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت اذنها ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهى البحيرة بنت السائبة * والوصيلة الشاة اذا أتأمت عشر اناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم الا أن يموت منها شئ فيشتركوا فى أكله ذكورهم واناثهم (قال ابن هشام) ويروى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم * قال ابن اسحق والحامى الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ظهره ولم يجز وبره وخلى فى ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك (قال ابن هشام) وهذا عند العرب على غير هذا الا الحامى فانه عندهم على ما قال ابن اسحق * والبحيرة عندهم الناقة تشق اذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف أو يتصدق به وتهمل لآلهتهم والسائبة التى ينذر الرجل ان يسيبها ان برئ من مرضه أو ان أصاب أمرا يطلبه فاذا كان ذلك أساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت وقيل لا ينتفع بها * والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به (قال ابن هشام) حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره روى بعض ما لم يرو بعض

يقوله فى قيام الليل وتارة يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وتارة يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن الحديث وسيأتى فى بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كبر ثم قال ذلك وتارة يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وتارة يقول الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشر مرات ثم يحمد عشرا ثم يهلل عشرا ثم يستغفر عشرا ثم يقول اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى عشرا ثم يقول اللهم انى أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيمة عشرا فكل هذه الانواع صحت عنه صلى الله عليه وسلم وروى انه كان يستفتح بسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ذكر ذلك أهل السنن من حديث على بن على الرفاعى عن أبى المتوكل عن أبى سعيد على انه ربما أرسل وقد روى مثله من حديث عائشة رضى الله عنها والاحاديث التى قبله أثبت منه ولكن صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يستفتح به فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم ويجهر به ويعلمه الناس وقال الامام أحمد أما أنا فاذهب الى ما روى عن عمر ولو أن رجلا استفتح ببعض ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من الاستفتاح كان حسنا وانما اختار الامام أحمد هذا لعشرة أوجه قد ذكرتها فى مواضع أخر منها جهر عمر به يعلمه الصحابة ومنها اشتماله على أفضل الكلام بعد القرآن فان أفضل الكلام بعد القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقد تضمنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الاحرام ومنها انه استفتاح أخلص للثناء على الله وغيره متضمن للدعاء والثناء أفضل من الدعاء ولهذا كانت سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لانها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه ولهذا كان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أفضل الكلام بعد القرآن فيلزم ان ما تضمنها من الاستفتاحات أفضل من غيره من الاستفتاحات ومنها ان غيره من الاستفتاحات عامتها انما هى فى قيام الليل فى النافلة وهذا كان عمر يفعله ويعلمه الناس فى الفرض ومنها ان هذا الاستفتاح انشاء للثناء على الرب تعالى متضمن للاخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله والاستفتاح بوجهت وجهى اخبار عن عبودية العبد وبينهما من الفرق ما بينهما ومنها ان من اختار الاستفتاح بوجهت وجهى لا يكمله وانما يأخذ بقطعة من الحديث ويذر باقيه بخلاف الاستفتاح بسبحانك اللهم فان من ذهب اليه يقوله كله الى آخره وكان يقول بعد ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ولا ريب انه لم يكن يجهر بها دائما فى كل يوم وليلة خمس مرات أبدا حضرا وسفرا ويخفى ذلك على خلفائه الراشدين وعلى جمهور أصحابه وأهل بلده فى الاعصار الفاضلة هذا من أمحل المحال حتى يحتاج الى التشبث فيه بألفاظ مجملة وأحاديث واهية فصحيح تلك الاحاديث غير صريح وصريحها غير صحيح وهذا موضع يستدعى مجلدا ضخما وكانت قراءته مدا يقف عند كل آية ويمد بها صوته فاذا فرغ من قراءة الفاتحة قال آمين فان كان يجهر بالقراءة رفع بها صوته وقالها من خلفه وكان له سكتتان سكتة بين التكبير والقراءة وعنها سأله أبو هريرة واختلف فى الثانية فروى انها بعد الفاتحة وقيل انها بعد القراءة وقبل الركوع

* قال ابن اسحق فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وأنزل الله تعالى وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم وأنزل عليه قل (٥٣) أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وأنزل عليه من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين (قال ابن هشام) قال الشاعر

حول الغصائل فى (٤) شريف حقة ... والحاميات ظهورها والسيب

وقال تميم بن أبى بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة

فيه من الاخرج المرباع قرقرة ... هدر الديافى وسط الهجمة البحر

وهذا البيت فى قصيدة له وجمع بحيرة بحائر وبحر وجمع وصيلة وصائل ووصل وجمع سائبة الاكثر سوائب وسيب وجمع حام الاكثر حوام * قال ابن اسحق وخزاعة تقول نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن (قال ابن هشام) وتقول خزاعة نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وخندف أمنا فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ويقال خزاعة بنو حارثة بن عمرو بن عامر وانما سميت خزاعة لانهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها * قال عوف بن أيوب الانصارى أحد بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن الخزرج فى الاسلام

فلما هبطنا بطن مر تخزعت ... خزاعة منا فى حلول كراكر

وقيل هى سكتتان غير الاول فتكون ثلاثا والظاهر انما هى اثنتان فقط وأما الثالثة فلطيفة جدا لاجل تراد النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع بخلاف السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح والثانية قد قيل انها لاجل قراءة المأموم فعلى هذا ينبغى تطويلها بقدر قراءة الفاتحة وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط وهى سكتة لطيفة فمن لم يذكرها فلقصرها ومن اعتبرها جعلها سكتة ثالثة فلا اختلاف بين الروايتين وهذا أظهر ما يقال فى هذا الحديث وقد صح حديث السكتتين من رواية سمرة وأبى بن كعب وعمران بن حصين ذكر ذلك أبو حاتم فى صحيحه وسمرة بن جندب وقد قال تبين بذلك ان أحد من روى حديث السكتتين سمرة بن جندب وقد قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتين سكتة اذا كبر وسكتة اذا فرغ من قراءة غير المغضوب عليهم ولا الضالين وفى بعض طرق الحديث فاذا فرغ من القراءة سكت وهذا كالمجمل واللفظ الاول مفسر مبين ولهذا قال أبو سلمة بن عبد الرحمن للامام سكتتان فاغتنموا فيهما القراءة بفاتحة الكتاب اذا افتتح الصلاة واذا قال ولا الضالين على ان تعيين محل السكتتين انما هو من تفسير قتادة فانه روى الحديث عن الحسن عن سمرة قال سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكر ذلك عمران فقال حفظناها سكتة فكتبنا الى أبى بن كعب بالمدينة فكتب أبى ان قد حفظ سمرة قال سعيد فقلنا لقتادة ما هاتان السكتتان قال اذا دخل فى الصلاة واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك واذا قال ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه ومن يحتج بالحسن عن سمرة يحتج بهذا فاذا فرغ من الفاتحة أخذ فى سورة غيرها وكان يطيلها تارة ويخففها لعارض من سفر أو غيره ويتوسط فيها غالبا وكان يقرأ فى الفجر بنحو ستين آية الى مائة آية وصلاها بسورة ق وصلاها بالروم وصلاها باذا الشمس كورت وصلاها باذا زلزلت فى الركعتين كليهما وصلاها بالمعوذتين وكان فى السفر وصلاها فافتتح بسورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهرون فى الركعة الاولى أخذته سعلة فركع وكان يصليها يوم الجمعة بالم تنزيل السجدة وسورة هل أتى على الانسان كاملتين ولم يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض هذه وبعض هذه وقراءة السجدة وحدها فى الركعتين وهو خلاف السنة وأما ما يظنه كثير من الجهال ان صبح يوم الجمعة فضلت بسجدة فجهل عظيم ولهذا كره بعض الائمة قراءة سورة السجدة لاجل هذا الظن وانما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار وذلك مما كان ويكون فى يوم الجمعة فكان يقرأ فى فجرها ما كان ويكون فى ذلك اليوم تذكيرا للامة بحوادث هذا اليوم كما كان يقرأ فى المجامع العظام كالاعياد والجمعة بسورة ق واقتربت وسبح والغاشية (فصل وأما الظهر فكان يطيل قراءتها احيانا) حتى قال أبو سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتى أهله فيتوضأ ويدرك النبى صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى مما يطيلها رواه مسلم وكان يقرأ فيها تارة بقدر ألم تنزيل وتارة بسبح اسم ربك الاعلى والليل اذا يغشى وتارة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق * وأما العصر فعلى النصف من قراءة صلاة الظهر اذا طالت وبقدرها اذا قصرت * وأما المغرب فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم فانه صلاها مرة بالاعراف فرقها فى الركعتين ومرة بالطور ومرة بالمرسلات قال أبو عمر بن عبد البر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ فى المغرب بالمص وأنه قرأ فيها بالصافات وأنه

(٤) قوله شريف اسم موضع

قرأفيها بحم الدخان وأنه قرأفيها بسبح اسم ربك الاعلى وأنه قرأفيها بالتين والزيتون وأنه قرأ فيها بالمعوذتين وأنه قرأفيها بالمرسلات وأنه كان يقرأفيها بقصار المفصل قال وهى كلها آثار صحاح مشهورة انتهى * وأما المداومة فيها على قراءة قصار المفصل دائما فهو فعل مروان بن الحكم ولهذا أنكر عليه زيد بن ثابت وقال مالك تقرأفى المغرب بقصار المفصل وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأفى المغرب بطولى الطولتين قال قلت وما طولى الطولتين قال الاعراف وهذا حديث صحيح رواه أهل السنن وذكر النسائى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأفى المغرب بسورة الاعراف فرقها فى الركعتين فالمحافظة فيها على الآية القصيرة والسورة من قصار المفصل خلاف السنة وهو فعل مروان بن الحكم * وأما العشاء الآخرة فقرأفيها صلى الله عليه وسلم بالتين والزيتون ووقت لمعاذ فيها بالشمس وضحاها وسبح اسم ربك الاعلى والليل اذا يغشى ونحوها وأنكر عليه قراءته فيها بالبقرة بعد ماصلى معه ثم ذهب الى بنى عمرو بن عوف فأعادها لهم بعد مامضى من الليل ماشاء الله وقرأ البقرة ولهذا قال له أفتان أنت يامعاذ فتعلق النقادون بهذه الكلمة ولم يلتفتوا الى ماقبلها ولا مابعدها * وأما الجمعة فكان يقرأفيها بسورة الجمعة والمنافقين كاملتين وسورة سبح والغاشية * وأما الاقتصار على قراءة أواخر السورتين من ياأيها الذين آمنوا الى آخرها فلم يفعله قط وهو مخالف لهديه الذى كان يحافظ عليه * وأما قراءة الاعياد فتارة كان يقرأ سورة ق واقتربت كاملتين وتارة سورة سبح والغاشية وهذا هو الهدى الذى استمر الى أن لقى الله عز وجل لم ينسخه شئ ولهذا أخذ به خلفاؤه الراشدون من بعده فقرأ أبو بكر رضى الله عنه فى الفجر بسورة البقرة حتى سلم منها قريبا من طلوع الشمس فقالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كادت الشمس تطلع فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين وكان عمر رضى الله عنه يقرأفيها بيوسف والنحل وبهود وبنى اسرائيل ونحوها من السور ولو كان تطويله صلى الله عليه وسلم منسوخا لم يخف على خلفائه الراشدين ويطلع عليه النقادون * وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأفى الفجر بق والقرآن المجيد وكانت صلاته بعد تخفيفا فالمراد بقوله بعد أى بعد الفجر أى انه كان يطيل قراءة الفجر أكثر من غيرها وصلاته بعدها تخفيفا ويدل على ذلك قول أم الفضل وقد سمعت ابن عباس يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يابنى لقد ذكرتنى بقراءة هذه السورة انها لآخر ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى المغرب فهذا فى آخر الامر وأيضا فان قوله وكانت صلاته بعد غاية قد حذف ماهى مضافة اليه فلا يجوز اضمار مالا يدل عليه السياق وترك اضمار ما يقتضيه السياق والسياق انما يقتضى أن صلاته بعد الفجر كانت تخفيفا ولا يقتضى أن صلاته كلها بعد ذلك اليوم كانت تخفيفا هذا مالا يدل عليه اللفظ ولو كان هو المراد لم يخف على خلفائه الراشدين فيتمسكون بالمنسوخ ويدعون الناسخ * وأما قوله صلى الله عليه وسلم أيكم أم الناس فليخفف وقول أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة فى تمام فالتخفيف أمر نسبى يرجع الى مافعله النبى صلى الله عليه وسلم وواظب عليه لا الى شهوة المأمومين فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأمرهم بأمر ثم يخالفه وقد علم أن من وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة فالذى فعله هو التخفيف الذى أمر به فانه كان يمكن أن تكون صلاته أطول من ذلك بأضعاف مضاعفة فهى خفيفة بالنسبة الى أطول منها وهديه الذى كان

واظب

تحت كل وادمن تهامة واحتمت * بصم القنا والمرهفات البواتر وهذان البيتان فى قصيدة له * وقال أبو المطهر اسمعيل بن رافع الانصارى أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت * خزاعة دار الآكل المتحامل فحلت أكاريشا وشتت قنابلا * على كل حى بين نجد وساحل نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا * بعز خزاعى شديد الكواهل

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنا ان شاء الله أذكر نفيها جرهم فى موضعه * قال ابن اسحق فولد مدركة بن الياس رجلين خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة وأمهما امرأة من قضاعة فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر كنانة بن خزيمة وأسد بن خزيمة وأسدة بن خزيمة والهون بن خزيمة فأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر (قال ابن هشام) ويقال الهون بن خزيمة * قال ابن اسحق فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملكان بن كنانة فأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر وسائر بنيه لامرأة أخرى (قال ابن هشام) أم النضر ومالك وملكان برة بنت مر وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة وشنوءة عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الاسد بن الغوث وانما سموا شنوءة لشنآن كان بينهم والشنآن البغض (قال ابن هشام) النضر قريش فمن كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وقال جرير بن عطية أحد بنى كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

فما الأم التى ولدت قريشا * بمقرفة النجار ولا عقيم
وما قرم بأنجب من أبيكم * وما خال بأكرم من تميم

يعنى برة بنت مر أخت تميم بن مر أم النضر وهذان البيتان فى قصيدة له ويقال فهر بن مالك قريش فمن كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وانما سميت قريش قريشا من التقرش والتقرش التجارة والاكتساب قال رؤبة بن العجاج

قد كان يغنيهم عن الشغوش * والخشل من تساقط القروش

شحم ومحض ليس بالمغشوش (قال ابن هشام) والشغوش قمح يسمى الشغوش والخشل رؤس الخلاخيل والأسورة ونحوه والقروش التجارة والاكتساب يقول قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض والمحض اللبن الحليب الخالص وهذه الابيات في أرجوزة له (١) وقال أبو جلدة اليشكري ويشكر بن بكر بن وائل إخوة قريش الذنوب علينا * في حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت في أبيات له * قال ابن اسحق ويقال انما سميت قريش قريشا لتجمعها من بعد تفرقها يقال للتجمع التقرش * فولد النضر ابن كنانة رجلين مالك بن النضر ويخلد بن النضر فأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ولا أدري أهي أم يخلد أم لا (قال ابن هشام) والصلت بن النضر فيما قال أبو عمرو المدني وأمهم جميعا بنت سعد بن ظرب العدواني وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة أحد بني مليح بن عمرو من خزاعة

أليس أبي بالصلت أم ليس اخوتي * لكل هجان من بني النضر أزهرا
رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بنا وبهم والحضرمي (٢) المخصرا
فان لم تكونوا من بني النضر فاتركوا * أراكا بأذناب الفوائج أخضرا

قال وهذه الابيات في قصيدة له والذين يعزون الى الصلت ابن النضر من خزاعة بنو مليح بن عمرو رهط كثير عزة * قال ابن اسحق فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحرث بن مضاض الجرهمي (قال ابن هشام) وليس بابن مضاض الاكبر * قال ابن اسحق فولد فهر بن مالك أربعة نفر غالب بن فهر ومحارب ابن فهر والحرث بن فهر وأسد بن فهر وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة (قال ابن هشام) وجندلة بنت فهر وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وأمها ليلى بنت سعد قال جرير بن عطية بن الخطفى واسم الخطفى

واظب عليه هو الحاكم على كل ما تنازع فيه المتنازعون ويدل عليه ما رواه النسائي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات فالقراءة بالصافات من التخفيف الذي كان يأمر به والله أعلم

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم لا يعين سورة في الصلاة بعينها لا يقرأ الا بها الا في الجمعة والعيدين * وأما في سائر الصلوات فقد ذكر أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة الا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة وكان من هديه قراءة السورة كاملة وربما قرأها في الركعتين وربما قرأ أول السورة * وأما قراءة أواخر السور وأوساطها فلم يحفظ عنه * وأما قراءة السورتين في ركعة فكان يفعله في النافلة * وأما في الفرض فلم يحفظ عنه * وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه اني لأعرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن السورتين في الركعة الرحمن والنجم في ركعة واقتربت والحاقة في ركعة والطور والذاريات في ركعة واذا وقعت ونون في ركعة الحديث فهذا حكاية فعل لم يعين محله هل كان في الفرض أو في النفل وهو محتمل وأما قراءة سورة واحدة في ركعتين معا فقلما كان يفعله وقد ذكر أبو داود عن رجل من جهينة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال فلا أدري أنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدا

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يطيل الركعة الاولى على الثانية من صلاة الصبح ومن كل صلاة وربما كان يطيلها حتى لا يسمع وقع قدم وكان يطيل صلاة الصبح أكثر من سائر الصلوات وهذا لان قرآن الفجر مشهود شهده الله تعالى وملائكته وقيل يشهده ملائكة الليل والنهار والقولان مبنيان على أن النزول الالهي هل يدوم الى انقضاء صلاة الصبح أو الى طلوع الفجر وقد ورد فيه هذا وهذا وأيضا فانها لما نقصت عدد ركعاتها جعل تطويلها عوضا عما نقصته من العدد وأيضا فانها تكون عقيب النوم والناس مستريحون وأيضا فانهم لم يأخذوا بعد في استقبال المعاش وأسباب الدنيا وأيضا فانها تكون في وقت تواطأ فيه السمع واللسان والقلب لفراغه وعدم تمكن الاشتغال فيه فيفهم القرآن ويتدبره وأيضا فانها أساس العمل وأوله فأعطيت فضلا من الاهتمام بها وتطويلها * وهذه أسرار انما يعرفها من له التفات الى أسرار الشريعة ومقاصدها وحكمها والله المستعان

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من القراءة سكت بقدر ما يتراد اليه نفسه ثم رفع يديه كما تقدم وكبر راكعا ووضع كفيه على ركبتيه كالقابض عليهما ووتر يديه فنحاهما عن جنبيه وبسط ظهره ومده واعتدل ولم ينصب رأسه ولم يخفضه بل يجعله حيال ظهره معادلا له وكان يقول سبحان ربي العظيم وتارة يقول مع ذلك أو مقتصرا عليه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وكان ركوعه المعتاد مقدار عشر تسبيحات وسجوده كذلك وأما حديث البراء بن عازب رضي الله عنه رمقت الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وسلم فكان قيامه فركوعه فاعتداله فسجدته فجلسته ما بين السجدتين قريبا من السواء فهذا قد فهم منه بعضهم أنه كان يركع بقدر قيامه ويسجد بقدره ويعتدل كذلك وفي هذا الفهم شئ لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالمائة آية أو نحوها وقد تقدم أنه قرأ في المغرب بالاعراف والطور والمرسلات ومعلوم أن ركوعه وسجوده لم يكن قدر هذه القراءة ويدل

---

(١) قال الامير أبو جلدة بكسر الجيم وكذا الدارقطني ويروى خلدة بالمعجمة وحلزة بالمهملة والزاي اه من هامش
(٢) قوله المخصرا في نسخة المحضرا

تحذيفة (٤) بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة   واذا غضبت رمى ورائى بالحصا * ابناء جندلة كخير الجندل وهذ البيت فى قصيدة له (قال ابن اسحق) فولد غالب بن فهر رجلين لؤى بن غالب وتيم بن غالب وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعى وتيم بن غالب الذين يقال لهم بنو الادرم (قال ابن هشام) وقيس (٥٦) بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب * قال ابن اسحق فولد لؤى بن غالب أربعة نفر كعب بن لؤى وعامر بن لؤى وسامة بن لؤى وعوف بن لؤى فأم كعب وعامر وسامة ماوية بنت كعب بن القين بن جسر من قضاعة (قال ابن هشام) ويقال والحرث بن لؤى وهم جشم بن الحرث فى هزان من ربيعة قال جرير

بنى جشم لستم لهزان فانتموا
لأعلى الروابى من لؤى بن غالب
ولا تنكحوا فى آل ضور نساءكم
ولا فى شكيس بئس مثوى الغرائب

وسعد بن لؤى وهم بنانة فى شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل من ربيعة وبنانة حاضنة لهم من بنى القين بن جسر بن شيع الله ويقال سبع الله بن الاسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ويقال بنت النمر بن قاسط من ربيعة ويقال بنت جرم بن ربان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وخزيمة بن لؤى بن غالب وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة وعائذة امرأة من اليمن وهى أم بنى عبيد بن خزيمة بن لؤى وأم بنى لؤى كلهم الا عامر بن لؤى ماوية بنت كعب ابن القين بن جسر وأم عامر بن لؤى مخشية بنت شيبان بن محارب ابن فهر ويقال ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر

(أمر سامة)

*قال ابن اسحق فأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان وكان بها ويزعمون ان عامر بن لؤى أخرجه وذلك انه كان بينهما شئ ففقأ سامة عين عامر فأخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون ان سامة بن لؤى بيناهو يسير على ناقته اذ وضعت رأسها ترتع فأخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ثم نهشت سامة فقتلته فقال سامة   يكون

(٤) قوله ابن بدر فى نسخة ابن زيد

عليه حديث أنس الذى رواه أهل السنن أنه قال ما صليت وراء أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الفتى يعنى عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا فى ركوعه عشر تسبيحات وفى سجوده عشر تسبيحات هذا مع قول أنس أنه كان يؤمهم بالصافات فمراد البراء والله أعلم أن صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا أطال القيام أطال الركوع والسجود واذا خفف القيام خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام ولكن كان يفعل ذلك أحيانا فى صلاة الليل وحدها وفعله أيضا قريبا من ذلك فى صلاة الكسوف وهديه الغالب صلى الله عليه وسلم تعديل الصلاة وتناسبها وكان يقول أيضا فى ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح وتارة يقول اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وهذا انما حفظ عنه فى قيام الليل ثم كان يرفع رأسه بعد ذلك قائلا سمع الله لمن حمده ويرفع يديه كما تقدم وروى رفع اليدين عنه فى هذه المواطن الثلاثة نحو من ثلاثين نفسا واتفق على روايتها العشرة ولم يثبت عنه خلاف ذلك البتة بل كان ذلك هديه دائما الى أن فارق الدنيا ولم يصح عنه حديث البراء ثم لا يعود بل هى من زيادة يزيد فليس ترك ابن مسعود الرفع مما يقدم على هديه المعلوم فقد ترك من فعل ابن مسعود فى الصلاة أشياء ليس معارضها مقاربا ولا مدانيا للرفع فقد ترك من فعله التطبيق والافتراش فى السجود ووقوفه اماما بين الاثنين فى وسطهما دون التقدم عليهما وصلاته الفرض فى البيت باصحابه بغير أذان ولا اقامة لاجل تأخير الامراء وأين الاحاديث فى خلاف ذلك من الاحاديث التى فى الرفع كثرة وصحة وصراحة وعملا وبالله التوفيق وكان دائما يقيم صلبه اذا رفع من الركوع وبين السجدتين ويقول لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه فى الركوع والسجود ذكره ابن خزيمة فى صحيحه وكان اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح ذلك عنه وأما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح وكان من هديه اطالة هذا الركن بقدر الركوع والسجود فصح عنه أنه كان يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وصح عنه أنه كان يقول فيه اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد ونقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب وصح عنه أنه كرر فيه قوله لربى الحمد لربى الحمد حتى كان بقدر الركوع وصح عنه أنه كان اذا رفع رأسه من الركوع يمكث حتى يقول القائل قد نسى من اطالته لهذا الركن وذكر مسلم عن أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى نقول قد أوهم ثم يسجد ثم يقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم وصح عنه فى صلاة الكسوف أنه أطال هذا الركن بعد الركوع حتى كان قريبا من ركوعه وكان ركوعه قريبا من قيامه * فهذا هديه المعلوم الذى لا معارض له بوجه وأما حديث البراء بن عازب كان ركوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخارى فقد تشبث به من ظن تقصير هذين الركنين ولا متعلق له فان الحديث مصرح فيه بالتسوية بين هذين الركنين وبين سائر الاركان فلو كان القيام والقعود المستثنيين هو القيام بعد الركوع والقعود بين السجدتين لناقض الحديث الواحد بعضه بعضا فتعين قطعا أن

يكون المراد بالقيام والقعود قيام القراءة وقعود التشهد وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم فيهما إطالتهما على سائر الأركان كما تقدم بيانه وهذا بحمد الله واضح وهو مما خفي من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته على من شاء الله أن يخفى عليه * قال شيخنا وتقصير هذين الركنين مما تصرف فيه أمراء بني أمية في الصلاة وأحدثوا فيها كما أحدثوا فيها ترك إتمام التكبير وكما أحدثوا التأخير الشديد وكما أحدثوا غير ذلك مما يخالف هديه عليه السلام وربي في ذلك من ربي حتى ظن أنه من السنة

(فصل) ثم كان يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه وقد روي عنه أنه كان يرفعهما أيضا وصححه بعض الحفاظ كأبي محمد بن حزم رحمه الله وهو وهم فلا يصح ذلك عنه ألبتة والذي غره أن الراوي غلط من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع إلى قوله كان يرفع يديه عند كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن لسبب غلط الراوي ووهمه فصححه والله أعلم وكان صلى الله عليه وسلم يضع ركبتيه قبل يديه ثم يديه بعدهما ثم جبهته وأنفه هذا هو الصحيح الذي رواه شريك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه ولم يرو في فعله ما يخالف ذلك * وأما حديث أبي هريرة يرفعه إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه فالحديث والله أعلم قد وقع فيه وهم من بعض الرواة فإن أوله يخالف آخره فإنه إذا وضع يديه قبل ركبتيه فقد برك كما يبرك البعير فإن البعير إنما يضع يديه أولا ولما علم أصحاب هذا القول ذلك قالوا ركبتا البعير في يديه لا في رجليه فهو إذا برك وضع ركبتيه أولا فهذا هو المنهي عنه وهو فاسد لوجوه * أحدها أن البعير إذا برك فإنه يضع يديه أولا وتبقى رجلاه قائمتين فإذا نهض فإنه ينهض برجليه أولا وتبقى يداه على الأرض وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم وفعل خلافه وكان أول ما يقع منه على الأرض الأقرب منها فالأقرب وأول ما يرتفع عن الأرض منها الأعلى فالأعلى وكان يضع ركبتيه أولا ثم يديه ثم جبهته وإذا رفع رفع رأسه أولا ثم يديه ثم ركبتيه وهذا عكس فعل البعير وهو صلى الله عليه وسلم نهى في الصلوات عن التشبه بالحيوانات فنهى عن بروك كبروك البعير والتفات كالتفات الثعلب وافتراش كافتراش السبع وإقعاء كإقعاء الكلب ونقر كنقر الغراب ورفع الأيدي وقت السلام كأذناب الخيل الشمس فهدي المصلي مخالف لهدي الحيوانات * الثاني أن قولهم ركبتا البعير في يديه كلام لا يعقل ولا يعرفه أهل اللغة وإنما الركبة في الرجلين وإن أطلق على اللتين في يديه اسم الركبة فعلى سبيل التغليب * الثالث أنه لو كان كما قالوه لقال فليبرك كما يبرك البعير وإن أول ما يمس الأرض من البعير يداه وسر المسئلة أن من تأمل بروك البعير وعلم أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بروك كبروك البعير علم أن حديث وائل بن حجر هو الصواب والله أعلم وكان يقع لي أن حديث أبي هريرة كما ذكرنا مما انقلب على بعض الرواة متنه وأصله ولعله وليضع ركبتيه قبل يديه كما انقلب على بعضهم حديث ابن عمر إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فقال ابن أم مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال وكما انقلب على بعضهم حديث لا يزال يلقى في النار فتقول هل من مزيد إلى أن قال * وأما الجنة فينشئ الله لها خلقا يسكنهم إياها فقال وأما النار فينشئ الله لها خلقا يسكنهم إياها حتى رأيت أبا بكر بن أبي شيبة قد رواه كذلك فقال ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن سعيد عن جده عن أبي هريرة عن النبي صلى

حين أحس بالموت فيما يزعمون   عين فابكي لسامة بن لؤى * علقت ما بسامة العلاقه   لا أرى مثل سامة بن لؤى * يوم حلوا
به قتيلا لناقه   بلغا عامرا وكعبا رسولا * أن نفسي إليهما مشتاقه   ان تكن في عمان داري فاني * غالبي خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤى * حذر الموت لم تكن مهراقه   رمت دفع الحتوف (٥٧) يا ابن لؤى * مالمن رام ذاك بالحتف طاقه

وخروس السرى تركت رذيا
بعد جد وحدة ورشاقه

(قال ابن هشام) وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لؤى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله

رب كأس هرقت يا ابن لؤى قال أجل
حذر الموت لم تكن مهراقه

(أمر عوف بن لؤى ونقلته)

* قال ابن اسحق وأما عوف بن لؤى فانه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه فشاع نسبه في بني ذبيان وثعلبة فيما يزعمون الذي يقول لعوف حين أبطئ به فتركه قومه

احبس علي ابن لؤى جملك
تركك القوم ولا منزل لك

* قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أن عمر ابن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما عرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع

يعني عوف بن لؤى * قال ابن اسحق فهو في نسب غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره وما نجحده وإنه لأحب النسب إلينا * وقال الحرث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع (قال ابن هشام) أحد بني مرة

الله عليه وسلم قال اذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك كبروك الفحل ورواه الاثرم في سننه أيضا عن أبي بكر كذلك وقد روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يصدق ذلك ويوافق حديث وائل بن حجر قال ابن أبي داود حدثنا يوسف بن عدي حدثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد عن جده عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد بدأ بركبتيه قبل يديه وقد روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال كنا نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا بالركبتين قبل اليدين وعلى هذا فان كان حديث أبي هريرة محفوظا فانه منسوخ وهذه طريقة صاحب المغني وغيره ولكن للحديث علتان (أحدهما) انه من رواية يحيى بن سلمة بن كهيل وليس ممن يحتج به قال النسائي متروك وقال ابن حبان منكر الحديث جدا لا يحتج به وقال ابن معين ليس بشيء (الثانية) ان المحفوظ من رواية مصعب بن سعد عن أبيه هذا انما هو قصة التطبيق وقول سعد كنا نضع هذا فأمرنا أن نضع أيدينا على الركب * وأما قول صاحب المغني عن أبي سعيد قال كنا نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا أن نضع الركبتين قبل اليدين فهذا والله أعلم وهم في الاسم وانما هو عن سعد وهو أيضا وهم في المتن كما تقدم وانما هو في قصة التطبيق والله أعلم وأما حديث أبي هريرة المتقدم فقد علله البخاري والترمذي والدارقطني قال البخاري محمد بن عبد الله بن حسن لا يتابع عليه وقال لا أدري أسمع من أبي الزناد أم لا وقال الترمذي غريب لا نعرفه من حديث أبي الزناد الا من هذا الوجه وقال الدارقطني تفرد به الدراوردي عن محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي عن أبي الزناد وقد ذكر النسائي عن قتيبة حدثنا عبد الله بن نافع عن محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعمد أحدكم في صلاته فيبرك كما يبرك الجمل ولم يزد قال أبو بكر بن أبي داود وهذه سنة تفرد بها أهل المدينة ولهم فيها اسنادان هذا أحدهما والآخر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (قلت) أراد الحديث الذي رواه أصبغ بن الفرج عن الدراوردي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر انه كان يضع يديه قبل ركبتيه ويقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ورواه الحاكم في المستدرك من طريق محمد بن سلمة عن الدراوردي وقال على شرط مسلم وقد رواه الحاكم من حديث حفص ابن غياث عن عاصم الاحول عن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انحط بالتكبير حتى سبقت ركبتاه يديه قال الحاكم على شرطهما ولا أعلم له علة (قلت) قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي عن هذا الحديث فقال هذا الحديث منكر انتهى وانما أذكره والله أعلم لانه من رواية العلاء بن اسمعيل العطار عن حفص بن غياث والعلاء هذا مجهول لا ذكر له في الكتب الستة فهذه الاحاديث المرفوعة من الجانبين كما ترى * وأما الآثار المحفوظة عن الصحابة فالمحفوظ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يضع ركبتيه قبل يديه ذكره عنه عبد الرزاق وابن المنذر وغيرهما وهو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ذكره الطحاوي عن فهد عن عمر بن حفص عن أبيه عن الاعمش عن ابراهيم عن أصحاب عبد الله علقمة والاسود قالا حفظنا عن عمر في صلاته انه خر بعد ركوعه على ركبتيه كما يخر البعير ووضع ركبتيه قبل يديه ثم ساق من طريق الحجاج بن ارطاة قال قال ابراهيم النخعي حفظ عن عبد الله بن مسعود ان ركبتيه كانتا تقعان على الارض قبل يديه وذكر عن أبي مرزوق عن وهب عن شعبة عن مغيرة قال سألت ابراهيم عن الرجل يبدأ بيديه قبل ركبتيه

ابن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا وقومي ان سألت بنو لؤي * بمكة علموا مضر الضرابا سفهنا باتباع بني بغيض * وترك الاقربين لنا انتسابا سفاهة مخلف لما تروى * هراق الماء واتبع السرابا فلو طوعت عمرك (٥٨) كنت فيهم * وما ألفيت أنتجع السحابا (٢) وخش رواحة القرشي رحلي * بناجية ولم يطلب ثوابا

(قال ابن هشام) هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها * قال ابن اسحق فقال الحصين بن الحمام المري ثم أحد بني سهم بن مرة يرد على الحرث بن ظالم وينتمي الى غطفان

ألا لستم منا ولسنا اليكم
برئنا اليكم من لؤي بن غالب
أقمنا على عز الحجاز وأنتم
(٣) بمعتلج البطحاء بين الاخاشب

يعني قريشا ثم ندم الحصين على ما قال وعرف ما قال الحرث بن ظالم فانتمى الى قريش وأكذب نفسه فقال

ندمت على قول مضى كنت قلته
تبينت فيه انه قول كاذب
فليت لساني كان نصفين منهما
بكيم ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كناني بمكة قبره
(٣) بمعتلج البطحاء بين الاخاشب
لنا الربع من بيت الحرام وراثة
وربع البطاح عند دار بن حاطب

أي ان بني لؤي كانوا أربعة كعبا وعامرا وسامة وعوفا * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لرجال من بني مرة ان شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه * قال ابن اسحق وكان القوم أشرافا في غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن سنان بن أبي حارثة وخارجة ابن سنان بن أبي حارثة والحرث بن عوف والحصين بن الحمام وهاشم ابن حرملة الذي يقول له القائل

أحيا أباه هاشم بن حرملة * يوم الهباآت ويوم اليعملة ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

اذا

(٢) قوله خش أي أصلح وقوله بناجية أي ناقة سريعة اه من هامش

(٣) المعتلج أن تعتلج السيول والاعتلاج عمل بقوة والاخاشب الجبال جمع أخشب

(قال ابن هشام) أنشدني أبو عبيدة هذه الابيات لعامر الخصفي خصفة بن قيس بن عيلان أحيا أباه هاشم بن حرملة * يوم الهباآت ويوم اليعملة ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له * ورمحه للوالدات مثكله *(قال ابن هشام) وحدثني ان هاشما قال لعامر قل فيّ بيتا جيدا أثبك عليه فقال عامر البيت الاول فلم يعجب هاشما ثم قال الثاني (٥٩) فلم يعجبه ثم قال الثالث فلم يعجبه فلما قال الرابع يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له أعجبه فأثابه عليه (قال ابن هشام) وذلك الذي أراد الكميت ابن زيد في قوله

وهاشم مرة المفني ملوكا
بلاذنب اليه ومذنبينا

وهذا البيت في قصيدة له وقول عامر يوم الهباآت عن غير أبي عبيدة *قال ابن اسحق قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها فأقاموا (٢) على سنتهم وفيهم كان البسل

(أمر البسل)

والبسل فيما يزعمون نسيئهم ثمانية أشهر حرام لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لاينكرونه ولايدفعونه يسيرون به الى أي بلاد العرب شاؤا لايخافون منهم شيأ قال زهير بن أبي سلمى يعني بني مرة (قال ابن هشام) زهير أحد بني مزينة بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر ويقال زهير بن أبي سلمى من غطفان ويقال حليف في غطفان

تأمل فان تقوالمروات منهم
وداراتها لاتقو منهم اذا نخل
بلادبها نادمتهم وألفتهم
فان تقويا منهم فانهم بسل

أي حرام يقول ساروا في حرمهم (قال ابن هشام) وهذان البيتان في قصيدة له *قال ابن اسحق (وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة)

أجارتكم بسل علينا محرم
وجارتنا حل لكم وحليلها

(قال ابن هشام) وهذا البيت في قصيدة له *قال ابن اسحق فولد كعب بن لؤي ثلاثة نفر مرة بن كعب وعدي بن كعب وهصيص بن كعب وأمهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر كلاب بن مرة وتيم بن مرة ويقظة بن مرة

(٢) قوله على سنتهم في نسخة على نسبهم

اذا سجد قال أو يضع ذلك لا أحمق أو مجنون قال ابن المنذر وقد اختلف أهل العلم في هذا الباب فمن رأى ان يضع ركبتيه قبل يديه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبه قال النخعي ومسلم بن يسار والثوري والشافعي وأحمد واسحق وأبو حنيفة وأصحابه وأهل الكوفة وقالت طائفة يضع يديه قبل ركبتيه قاله مالك وقال الاوزاعي أدركنا الناس يضعون أيديهم قبل ركبهم قال ابن أبي داود وهو قول أصحاب الحديث (قلت) وقد روي حديث أبي هريرة بلفظ آخر ذكره البيهقي وهو اذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه على ركبتيه قال البيهقي فان كان محفوظا كان دليلا على انه يضع يديه قبل ركبتيه عند الاهواء الى السجود وحديث وائل بن حجر أولى لوجوه (أحدها) انه ثبت من حديث أبي هريرة قاله الخطابي وغيره (الثاني) ان حديث أبي هريرة مضطرب المتن كما تقدم فمنهم من يقول فيه وليضع يديه قبل ركبتيه ومنهم من يقول بالعكس ومنهم من يقول وليضع يديه على ركبتيه ومنهم من يحذف هذه الجملة رأسا (الثالث) ما تقدم من تعليل البخاري والدارقطني وغيرهما (الرابع) انه على تقدير ثبوته قد ادعي فيه جماعة من أهل العلم النسخ قال ابن المنذر وقد زعم بعض أصحابنا ان وضع اليدين قبل الركبتين منسوخ وقد تقدم ذلك (الخامس) انه الموافق لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بروك كبروك الجمل في الصلاة بخلاف حديث وائل بن حجر (السادس) انه الموافق للمنقول عن الصحابة كعمر بن الخطاب وابنه وعبد الله بن مسعود ولم ينقل عن أحد منهم ما يوافق حديث أبي هريرة الا عن عمر رضي الله عنه على اختلاف عنه (السابع) ان له شواهد من حديث ابن عمر وأنس كما تقدم وليس لحديث أبي هريرة شاهد فلو تقاوما لقدم حديث وائل بن حجر من أجل شواهده فكيف وحديث وائل أقوى كما تقدم (الثامن) ان أكثر الناس عليه والقول الآخر انما يحفظ عن الاوزاعي ومالك وأما قول ابن أبي داود انه قول أهل الحديث فانما أراد به بعضهم والا فاحمد والشافعي واسحق على خلافه (التاسع) انه حديث فيه قصة محكية سيقت لحكاية فعله صلى الله عليه وسلم فهو أولى أن تكون محفوظة لان الحديث اذا كان فيه قصة محكية دل على انه حفظ (العاشر) ان الافعال المحكية فيه كلها ثابتة صحيحة من رواية غيره فهي أفعال معروفة صحيحة وهذا واحد منها فله حكمها ومعارضه ليس مقاوما له فيتعين ترجيحه والله أعلم *وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسجد على جبهته وأنفه دون كور العمامة ولم يثبت عنه السجود على كور العمامة من حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف من حديث أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك وذكره أبو أحمد من حديث جابر ولكنه من رواية عمرو بن شمر عن جابر الجعفي متروك عن متروك وقد ذكر أبو داود في المراسيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي في المسجد فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على الارض كثيرا وعلى الماء والطين وعلى الخمرة المتخذة من خوص النخل وعلى الحصير المتخذ منه وعلى الفروة المدبوغة وكان اذا سجد مكن جبهته وأنفه من الارض ونحى يديه عن جنبيه وجافى بهما حتى يرى بياض أبطيه ولو شاءت بهمة وهي الشاة الصغيرة ان تمر تحتهما لمرت وكان يضع يديه حذو منكبيه وأذنيه وفي صحيح مسلم عن البراء انه عليه السلام قال اذا سجدت فضع كفيك وارفع

فأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يقظة البارقية امرأة من بارق من الاسد من اليمن ويقال هي أم تيم ويقال تيم لهند بنت سرير أم كلاب (قال ابن هشام) بارق بنو عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وهم في شنوءة (٦٠) (قال الكميت بن زيد) وأزد شنوءة اندرؤا علينا * بجم يحسبون لها قرونا

فما قلنا لبارق قد أسأتم
وما قلنا لبارق أعتبونا

قال وهذان البيتان في قصيدة له وانما سموا ببارق لانهم تبعوا البرق * قال ابن اسحق فولد كلاب بن مرة رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدرة من خثعمة الازد من اليمن حلفاء في بني الديل بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة (قال ابن هشام) ويقال خثعمة الاسد وخثعمة الازد وهو خثعمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر ابن زهران بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد ابن الغوث ويقال خثعمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن نصر ابن زهران بن الاسد بن الغوث وانما سموا الجدرة لان عامر بن عمرو ابن خزيمة بن خثعمة تزوج بنت الحرث بن مضاض الجرهمي وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جدارا فسمي عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدرة لذلك * قال ابن اسحق ولسعد بن سيل يقول الشاعر

ما نرى في الناس شخصا واحدا
من علمناه كسعد بن سيل
فارسا أضبط فيه عسرة
واذا ما واقف القرن نزل
فارسا يستدرج الخيل كما استـ
ـدرج الحر القطامي الحجل

(قال ابن هشام) قوله كما استدرج الحر عن بعض أهل العلم بالشعر (قال ابن هشام) ونعم بنت كلاب وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل * قال ابن اسحق فولد قصي بن كلاب أربعة نفر وامرأتين عبد مناف بن قصي وعبد الدار بن قصي وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي وتخمر بنت قصي وبرة بنت قصي وأمهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي (قال ابن هشام)

مرفقيك وكان يعتدل في سجوده ويستقبل باطراف أصابع رجليه القبلة وكان يبسط كفيه وأصابعه ولا يفرج بينهما ولا يقبضهما وفي صحيح ابن حبان كان اذا ركع فرج أصابعه فاذا سجد ضم أصابعه وكان يقول سبحان ربي الاعلى وأمر به وكان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وكان يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح وكان يقول سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت وكان يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وكان يقول اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين وكان يقول اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهي لا اله الا أنت وكان يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا واجعل لي نورا وأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال انه قمن ان يستجاب لكم وهل هذا أمر بان يكثر الدعاء في السجود أو أمر بان الداعي اذا دعا في محل فليكن في السجود وفرق بين الامرين وأحسن ما يحمل عليه الحديث ان الدعاء نوعان دعاء ثناء ودعاء مسألة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في سجوده من النوعين والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين والاستجابة أيضا نوعان استجابة دعاء الطالب باعطائه سؤاله واستجابة دعاء المثني بالثواب وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان والصحيح انه يعم النوعين

(فصل) وقد اختلف الناس في القيام والسجود أيهما أفضل فرجحت طائفة القيام لوجوه أحدها ان ذكره أفضل الاذكار فكان ركنه أفضل الاركان والثاني قوله تعالى قوموا لله قانتين الثالث قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وقالت طائفة السجود أفضل واحتجت بقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وبحديث معدان بن أبي طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت حدثني بحديث عسى الله ان ينفعني به فقال عليك بالسجود فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة قال معدان ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب الاسلمي وقد سأله مرافقته في الجنة أعني على نفسك بكثرة السجود وأول سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ على الاصح وختمها بقوله واسجد واقترب وبان السجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسفليها وبان الساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له وذلك أشرف حالات العبد فلهذا كان أقرب ما يكون من ربه في هذه الحالة وبان السجود هو سر العبودية فان العبودية هي الذل والخضوع يقال طريق معبد أي ذللته الاقدام ووطأته وأذل ما يكون العبد وأخضع اذا كان ساجدا وقالت طائفة طول القيام بالليل أفضل وكثرة الركوع والسجود بالنهار أفضل واحتجت هذه الطائفة بان صلاة الليل قد خصت باسم القيام لقوله تعالى قم الليل وقوله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا ولهذا يقال قيام الليل ولا يقال قيام النهار قالوا وهذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم فانه ما زاد في الليل على أحد عشرة ركعة

(٤) ويقال حبشية بن سلول (قال ابن هشام) فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشم بن عبد مناف وعبد شمس بن عبد مناف والمطلب بن عبد مناف وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة (قال ابن هشام) فهذا (٦١) النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث ابن مازن بن منصور بن عكرمة (قال ابن هشام) وأبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الاخثم وأم سفيان بنو عبد مناف فأم أبي عمرو وريطة امرأة من ثقيف وأم سائر النساء عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف وأمها صفية بنت حوزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وأم صفية بنت عائذ الله بن سعد العشيرة بن مذحج (قال ابن هشام) فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب بن هاشم وأسد بن هاشم وأبا صيفي بن هاشم ونضلة بن هاشم والشفا وخالدة وضعيفة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وأمها عميرة بنت صخر بن الحرث بن ثعلبة بن مازن بن النجار وأم عميرة سلمى بنت عبد الاشهل النجارية وأم أسد قيلة بنت عامر بن مالك الخزاعي وأم أبي صيفي وحية هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية وأم نضلة والشفا امرأة من قضاعة وأم خالدة وضعيفة واقدة بنت أبي عدي المازنية

(أولاد عبد المطلب بن هاشم)

(قال ابن هشام) فولد عبد المطلب ابن هاشم عشرة نفر وست نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحرث وحجلا والمقوم وضرارا وأبا لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة وأم العباس وضرار نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن

(٤) قوله ويقال حبشية ضبط في نسخة والاول بفتح الحاء والباء والثاني بضم الحاء وسكون الباء

ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وكان يصلي الركعة في بعض الليالي بالبقرة وآل عمران والنساء وأما بالنهار فلم يحفظ عنه شيء من ذلك بل كان يخفف السنن * وقال شيخنا الصواب انهما سواء والقيام أفضل بذكره وهو القراءة والسجود أفضل بهيئته فهيئة السجود أفضل من هيئة القيام وذكر القيام أفضل من ذكر السجود وهكذا كان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا أطال القيام أطال الركوع والسجود كما فعل في صلاة الكسوف وفي صلاة الليل وكان اذا خفف القيام خفف الركوع والسجود وكذلك كان يفعل في الفرض كما قاله البراء بن عازب كان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريبا من السواء والله أعلم

(فصل) ثم كان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس مفترشا يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى وذكر النسائي عن ابن عمر قال من سنة الصلاة ان ينصب القدم اليمنى واستقباله باصابعها القبلة والجلوس على اليسرى ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع جلسة غير هذه وكان يضع يديه على فخذيه ويجعل مرفقه على فخذه وطرف يده على ركبته وقبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع أصبعه يدعو بها ويحركها هكذا قال وائل بن حجر عنه وأما حديث أبي داود عن عبد الله بن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشير باصبعه اذا دعا ولا يحركها فهذه الزيادة في صحتها نظر وقد ذكر مسلم الحديث بطوله في صحيحه عنه ولم يذكر هذه الزيادة بل قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه وفرش قدمه اليمنى ووضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وأشار باصبعه وأيضا فليس في حديث أبي داود عنه ان هذا كان في الصلاة وأيضا لو كان في الصلاة لكان نافيا وحديث وائل بن حجر مثبتا وهو مقدم وهو حديث صحيح ذكره أبو حاتم في صحيحه ثم يقول اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني هكذا ذكره ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم وذكر حذيفة انه كان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي وكان هديه صلى الله عليه وسلم اطالة هذا الركن بقدر السجود وهكذا الثابت عنه في جميع الاحاديث وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم وهذه السنة تركها أكثر الناس من بعد انقراض عصر الصحابة ولهذا قال ثابت وكان أنس يصنع شيأ لا أراكم تصنعونه يمكث بين السجدتين حتى نقول قد نسي أو قد أوهم وأما من حكم السنة ولم يلتفت الى ما خالفها فانه لا يعبأ بما خالف هذا الهدي

(فصل) ثم كان صلى الله عليه وسلم ينهض على صدور قدميه وركبتيه معتمدا على فخذيه كما ذكر عنه وائل وأبو هريرة ولا يعتمد على الارض بيديه وقد ذكر عنه مالك بن الحويرث أنه كان لا ينهض حتى يستوي جالسا وهذه هي التي تسمى جلسة الاستراحة واختلف الفقهاء فيها هل هي من سنن الصلاة فيستحب لكل أحد أن يفعلها أو ليست من السنن وانما يفعلها من احتاج اليها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله قال الخلال رجع أحمد الى حديث مالك بن الحويرث في جلسة الاستراحة وقال أخبرني يوسف بن موسى أن أبا امامة سئل عن النهوض فقال على صدور القدمين على حديث رفاعة وفي حديث ابن عجلان ما يدل على أنه كان ينهض على صدور قدميه وقد روي عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسائر من وصف صلاته صلى الله عليه وسلم لم يذكر هذه

قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة وأم حمزة والمقوم وحجل وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله وأم صفية هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأم عبد الله وأبى طالب والزبير وجميع النساء غير صفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر وأم صخرة تخمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم الحرث بن عبد المطلب سمراء بنت جندب بن جحير ابن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة وأم أبى لهب لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى (قال ابن هشام) فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم أم حبيب برة بنت عوف ابن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (قال ابن هشام) فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلى فهى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

(حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحجر

الجلسة وانما ذكرت فى حديث أبى حميد ومالك بن الحويرث ولو كان هديه صلى الله عليه وسلم فعلها دائما لذكرها كل واصف لصلاته صلى الله عليه وسلم ومجرد فعله صلى الله عليه وسلم لها لا يدل على أنها من سنن الصلاة الا اذا علم انه فعلها سنة يقتدى به فيها وأما اذا قدر أنه فعلها للحاجة لم يدل على كونها سنة من سنن الصلاة فهذا من تحقيق المناط فى هذه المسئلة وكان اذا نهض افتتح القراءة ولم يسكت كما كان يسكت عند افتتاح الصلاة فاختلف الفقهاء هل هذا موضع استعاذة أولا بعد اتفاقهم على أنه ليس موضع استفتاح وفى ذلك قولان هما روايتان عن أحمد وقد بناهما بعض أصحابه على أن قراءة الصلاة هل هى قراءة واحدة فيكفى فيها استعاذة واحدة أو قراءة كل ركعة مستقلة برأسها ولا نزاع بينهم ان الاستفتاح لمجموع الصلاة والاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر للحديث الصحيح عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت وانما يكفى استفتاح واحد لانه لم يتخلل القراءتين سكوت بل تخللهما ذكر فهى كالقراءة الواحدة اذا تخللها حمد الله أو تسبيح أو تهليل أو صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الثانية كالاولى سواء الا فى أربعة أشياء السكوت والاستفتاح وتكبيرة الاحرام وتطويلها كالاولى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يستفتح ولا يسكت ولا يكبر للاحرام فيها ويقصرها عن الاولى فتكون الاولى أطول منها فى كل صلاة كما تقدم فاذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وأشار باصبعه السبابة وكان لا ينصبها نصبا ولا ينيمها بل يحنيها شيأ ويحركها كما تقدم فى حديث وائل بن حجر وكان يقبض أصبعين وهما الخنصر والبنصر ويحلق حلقة وهى الوسطى مع الابهام ويرفع السبابة يدعو بها ويرمى ببصره اليها ويبسط الكف اليسرى على الفخذ اليسرى ويتحامل عليها وأما صفة جلوسه فكما تقدم بين السجدتين سواء يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى ولم يرو عنه فى هذه الجلسة غير هذه الصفة وأما حديث عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد فى الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه وفرش قدمه اليمنى فهذا فى التشهد الاخير كما يأتى وهو أحد الصفتين اللتين رويتا عنه ففى الصحيحين من حديث أبى حميد فى صفة صلاته صلى الله عليه وسلم فاذا جلس فى الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب الاخرى واذا جلس فى الركعة الاخيرة قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته فذكر أبو حميد أنه كان ينصب اليمنى وذكر ابن الزبير أنه كان يفرشها ولم يقل أحد عنه صلى الله عليه وسلم ان هذه صفة جلوسه فى التشهد الاول ولا أعلم أحدا قال به بل من الناس من قال يتورك فى التشهدين وهذا مذهب مالك رضى الله عنه ومنهم من قال يفترش فيهما فينصب اليمنى ويفترش اليسرى ويجلس عليها وهو قول أبى حنيفة رضى الله عنه ومنهم من قال يتورك فى كل تشهد يلى السلام ويفترش فى غيره وهو قول الشافعى رضى الله عنه ومنهم من قال يتورك فى كل صلاة فيها تشهدان فى الاخير منهما فرقا بين الجلوسين وهو قول الامام أحمد رحمه الله ومعنى حديث ابن الزبير رضى الله عنه أنه فرش قدمه اليمنى أنه كان يجلس فى هذا الجلوس على مقعدته فيكون قدمه اليمنى مفروشة وقدمه اليسرى بين فخذه وساقه ومقعدته على الارض فوقع الاختلاف فى قدمه اليمنى فى هذا الجلوس هل كانت مفروشة أو منصوبة وهذا والله أعلم ليس اختلافا فى الحقيقة فانه كان لا يجلس على قدمه بل يخرجها عن يمينه فتكون بين المنصوبة والمفروشة فانها تكون على باطنها الايمن

اذا أتى فأمر بحفر زمزم وهي دفن بين صنمي قريش أساف ونائلة عند منحر قريش وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة وهي بئر اسمعيل بن ابراهيم التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستغيثه لاسمعيل ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فهمز له بعقبه في الارض فظهر لها الماء وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه فجاءت تشتد نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب فجعلته حسيا

(أمر جرهم ودفن زمزم)

(قال ابن هشام) وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها الى أن حفر عبد المطلب زمزم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد ابن اسحق قال لما توفي اسمعيل بن ابراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت ابن اسمعيل ما شاء الله ان يليه ثم ولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي (قال ابن هشام) (٢) ويقال مضاض بن عمرو الجرهمي * قال ابن اسحق وبنو اسمعيل وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكة وهما ابنا عم وكانا ظعنا من اليمن فأقبلا سيارة وعلى جرهم مضاض بن عمرو وعلى قطوراء السميدع رجل منهم وكانوا اذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا الا ولهم ملك يقيم أمرهم فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا ماء وشجر فأعجبهما فنزلا به فنزل مضاض بن عمرو ومن معه من جرهم بأعلى مكة بقعيقعان فما حاز ونزل السميدع بقطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها وكل في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه ثم ان جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها ومع مضاض يومئذ بنو اسمعيل وبنو نابت واليه ولاية البيت دون السميدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان في كتيبته سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع بذلك معه

فهي مفروشة بمعنى أنه ليس ناصبا لها جالسا على عقبه ومنصوبة بمعنى أنه ليس جالسا على باطنها وظهورها الى الارض فصح قول أبي حميد ومن معه وعبد الله بن الزبير أو يقال انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا وهذا فكان ينصب قدمه وربما فرشها أحيانا وهذا أروح لها والله أعلم ثم كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة ويعلم أصحابه أن يقولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد ذكر النسائي من حديث أبي الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن بسم الله وبالله التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار ولم تجئ التسمية في أول التشهد الا في هذا الحديث وله علة غير عنعنة أبي الزبير وكان صلى الله عليه وسلم يخفف هذا التشهد جدا حتى كأنه على الرضف وهي الحجارة المحماة ولم ينقل عنه في حديث قط أنه صلى عليه وعلى آله في هذا التشهد ولا كان أيضا يستعيذ فيه من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال ومن استحب ذلك فانما فهمه من عمومات واطلاقات قد صح تبيين موضعها وتقييدها بالتشهد الاخير ثم كان ينهض مكبرا على صدور قدميه وعلى ركبتيه معتمدا على فخذه كما تقدم وقد ذكر مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرفع يديه في هذا الموضع وهي في بعض طرق البخاري أيضا على أن هذه الزيادة ليست متفقا عليها في حديث عبد الله بن عمر فأكثر رواته لا يذكرونها وقد جاء ذكرها مصرحا به في حديث أبي حميد الساعدي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ويقيم كل عضو في موضعه ثم يقرأ ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه معتدلا لا يصوب رأسه ولا يقنع ثم يقول سمع الله لمن حمده ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه حتى يقر كل عضو الى موضعه ثم يهوي الى الارض ويجافي يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثني رجليه فيقعد عليهما ويفتح أصابع رجليه اذا سجد ثم يسجد ثم يكبر ويجلس على رجله اليسرى حتى يرجع كل عضو الى موضعه ثم يقوم فيصنع في الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع عند افتتاح الصلاة ثم يصلي بقية صلاته هكذا حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخرج رجليه وجلس على شقه الايسر متوركا هذا سياق أبي حاتم في صحيحه وهو في صحيح مسلم أيضا وقد ذكره الترمذي مصححا له من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع يديه في هذه المواطن أيضا ثم كان يقرأ الفاتحة وحدها ولم يثبت عنه انه قرأ في الركعتين الاخيرتين بعد الفاتحة شيأ وقد ذهب الشافعي في أحد قوليه وغيره الى استحباب القراءة بما زاد على الفاتحة في الاخيرتين واحتج لهذا القول بحديث أبي سعيد الذي في الصحيح حزرنا قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر في الركعتين الاوليين قدر قراءة الم تنزيل السجدة وحزرنا قيامه في الركعتين الاخيرتين قدر النصف من ذلك وحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين من العصر على قدر قيامه في الركعتين الاخيرتين من الظهر وفي الاخيرتين من العصر على النصف من ذلك وحديث أبي قتادة المتفق عليه ظاهر في الاقتصار على فاتحة الكتاب في الركعتين الاخيرتين قال أبو

(٢) قوله ويقال مضاض ضبط الاول في نسخة بضم الميم والثاني بكسرها

فيقال ما سمى قعيقعان بقعيقعان الا لذلك وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال فيقال ما سمى أجياد أجيادا الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه فالتقوا بفاضح واقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع وفضحت قطوراء فيقال ما سمى فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا بأعلى مكة واصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جمع اليه أمر مكة فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم فاطبخ الناس وأكلوا فيقال ما سميت المطابخ المطابخ الا لذلك وبعض أهل العلم يزعم انها انما سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون * ثم نشر الله ولد اسمعيل بمكة وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسمعيل فى ذلك لخؤلتهم وقرابتهم واعظاما للحرمة ان يكون بها بغى أوقتال فلما ضاقت مكة على ولد اسمعيل انتشروا فى البلاد فلا يناوون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم ثم ان جرهما بغوا بمكة واستحلوا خلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها ففرق أمرهم فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغى فيها أحد الا أخرجته فكانت تسمى (٣) الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه فيقال انها ما سميت ببكة الا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها شيأ (قال ابن هشام) أخبرنى أبو عبيدة ان بكة اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها أى يزدحمون وأنشدنى

اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه

أى فدعه حتى يبك ابله أى يخليها الى الماء فتزدحم عليه وهو موضع البيت والمسجد وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن

قتادة رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيقرأ فى الظهر والعصر فى الركعتين الاولين بفاتحة الكتاب وسورتين ويسمعنا الآية أحيانا زاد مسلم ويقرأ فى الاخيرتين بفاتحة الكتاب والحديثان غير صريحين فى محل النزاع وأما حديث أبى سعيد فانما هو حزر منهم وتخمين ليس اخبارا عن تفسير نفس فعله صلى الله عليه وسلم وأما حديث أبى قتادة فيمكن أن يراد به انه كان يقتصر على الفاتحة وأن يراد به أنه لم يكن يخل بها فى الركعتين الاخيرتين بل كان يقرؤها فيهما كما كان يقرأ فى الاولين فكان يقرأ الفاتحة فى كل ركعة وان كان حديث أبى قتادة فى الاقتصار أظهر فانه فى معرض التقسيم فاذا قال كان يقرأ فى الاولين بالفاتحة والسورة وفى الاخيرتين بالفاتحة كان كالتصريح فى اختصاص كل قسم بما ذكر فيه وعلى هذا فيمكن أن يقال ان هذا أكثر فعله وربما قرأ فى الركعتين الاخيرتين بشئ فوق الفاتحة كما دل عليه حديث أبى سعيد وهذا كما أن هديه صلى الله عليه وسلم تطويل القراءة فى الفجر وكان يخففها أحيانا وتخفيف القراءة فى المغرب وكان يطيلها أحيانا وترك القنوت فى الفجر وكان يقنت فيها أحيانا والاسرار فى الظهر والعصر بالقراءة وكان يسمع الصحابة الآية فيها أحيانا وترك الجهر بالبسملة وكان يجهر بها أحيانا والمقصود أنه كان يفعل فى الصلاة شيأ أحيانا لعارض لم يكن من فعله الراتب ومن هذا لما بعث صلى الله عليه وسلم الفارس طليعة ثم قام الى الصلاة وجعل يلتفت فى الصلاة الى الشعب الذى يجئ منه الطليعة ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم الالتفات فى الصلاة وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وفى الترمذى من حديث سعيد بن المسيب عن أنس رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى اياك والالتفات فى الصلاة فان الالتفات فى الصلاة هلكة فان كان ولا بد ففى التطوع لا فى الفرض ولكن للحديث علتان * احداهما أن رواية سعيد عن أنس لا تعرف * الثانية ان فى طريقه على ابن زيد بن جدعان وقد ذكر البزار فى مسنده من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا صلاة للملتفت فاما حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلحظ فى الصلاة يمينا وشمالا ولا يلوى عنقه خلف ظهره فهذا حديث لا يثبت قال الترمذى فيه حديث غريب ولم يزد وقال الخلال أخبرنى الميمونى أن أبا عبد الله قيل له ان بعض الناس أسند أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ فى الصلاة فأنكر ذلك انكارا شديدا حتى تغير وجهه وتغير لونه وتحرك بدنه ورأيته فى حال ما رأيته فى حال قط سواها وقال النبى كان يلاحظ فى الصلاة يعنى أنه أنكر ذلك وأحسبه قال ليس له اسناد وقال من روى هذا انما هذا من سعيد بن المسيب ثم قال لى بعض أصحابنا ان أبا عبد الله وهن حديث سعيد هذا وضعف اسناده وقال انما هو عن رجل عن سعيد وقال عبد الله بن أحمد حدثت أبى بحديث حسان بن ابراهيم عن عبد الملك الكوفى قال سمعت العلاء قال سمعت مكحولا يحدث عن أبى أمامة وواثلة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة لم يلتفت يمينا ولا شمالا ورمى ببصره فى موضع سجوده فأنكره جدا وقال اضرب عليه فأحمد رحمه الله أنكر هذا وهذا وكان انكاره للاول أشد لانه باطل سندا ومتنا * والثانى انما أنكر سنده والا فمتنه غير منكر والله أعلم ولو ثبت الاول لكان حكاية فعل فعله لعله كان لمصلحة تتعلق بالصلاة ككلامه عليه السلام هو وأبو بكر وعمر وذو اليدين فى الصلاة لمصلحتها أو لمصلحة المسلمين كالحديث الذى رواه

(٣) قوله الناسة وتسمى أيضا الباسة وكلاهما فى القاموس

أبو داود عن أبي كبشة السلولي عن سهيل بن الحنظلية قال ثوب بالصلاة يعني صلاة الصبح فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت الى الشعب قال أبو داود يعني وكان أرسل فارسا الى الشعب من الليل يحرس فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلاة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر اني لاجهز جيشي وأنا في الصلاة فهذا جمع بين الجهاد والصلاة ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه في الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والعلم فهذا لون والتفات الغافلين اللاهين وأفكارهم لون آخر وبالله التوفيق فهديه الراتب صلى الله عليه وسلم اطالته الركعتين الاوليين من الرباعية على الاخيرتين واطالة الاولى من الاوليين على الثانية ولهذا قال سعد لعمر أما أنا فاطيل في الاوليين وأحذف في الاخريين ولا آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان هديه صلى الله عليه وسلم اطالة صلاة الفجر على سائر الصلوات كما تقدم قالت عائشة رضي الله عنها فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد في صلاة الحضر الا الفجر فانها أقرت على حالها من أجل طول القراءة والمغرب لانها وتر النهار رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه وأصله في صحيح البخاري وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم في سائر صلاته اطالة أولها على آخرها كما فعل في الكسوف وفي قيام الليل لما صلى ركعتين طويلتين طويلتين ثم ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم ركعتين وهما دون اللتين قبلهما حتى أتم صلاته ولا يناقض هذا افتتاحه صلى الله عليه وسلم صلاة الليل بركعتين خفيفتين وأمره بذلك لان هاتين الركعتين مفتاح قيام الليل فهي بمنزلة سنة الفجر وغيرها وكذلك الركعتان اللتان كان يصليهما أحيانا بعد وتره تارة جالسا وتارة قائما مع قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا فان هاتين الركعتين لا تنافي هذا الامر كما أن المغرب وتر للنهار وصلاة السنة شفعا بعدها لا يخرجها عن كونها وترا للنهار كذلك الوتر لما كان عبادة مستقلة وهو وتر الليل كان الركعتان بعده جارية مجرى سنة المغرب من المغرب ولما كان المغرب فرضا كانت محافظته عليه السلام على سنتها أكثر من محافظته على سنة الوتر وهذا على أصل من يقول بوجوب الوتر ظاهر جدا وسيأتي مزيد كلام في هاتين الركعتين ان شاء الله تعالى وهي مسئلة شريفة لعلك لا تراها في مصنف وبالله التوفيق

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم اذا جلس في التشهد الاخير جلس متوركا) وكان يفضي بوركه الى الارض ويخرج بقدميه من ناحية واحدة (فهذا) أحد الوجوه الثلاثة التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم في التورك ذكره أبو داود في حديث أبي حميد الساعدي من طريق عبد الله بن لهيعة وقد ذكر أبو حاتم في صحيحه هذه الصفة من حديث أبي حميد الساعدي من غير طريق ابن لهيعة وقد تقدم حديثه (الوجه الثاني) ذكره البخاري في صحيحه من حديث أبي حميد أيضا قال واذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته فهذا هو الموافق للاول في الجلوس على الورك وفيه زيادة وصف في هيأة القدمين لم تتعرض الرواية الاولى لها (الوجه الثالث) ما ذكره مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الزبير انه صلى الله عليه وسلم كان يجعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه ويفرش قدمه اليمنى وهذه هي الصفة التي اختارها أبو القاسم الخرقي في مصنفه مختصره وهذا مخالف للصفتين الاوليين في اخراج اليسرى من جانبه وفي نصب اليمنى فلعله كان يفعل هذا تارة وهذا تارة وهذا أظهر ويحتمل أن يكون من اختلاف الرواة ولم يذكر

ثم * قال ابن اسحق فخرج عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا فقال عمرو بن الحرث بن مضاض في ذلك وليس بمضاض الاكبر

وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالدمع منها المحاجر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فقلت لها والقلب مني كأنما
يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا
صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت
بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا
فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته
فأبناؤه منا ونحن الاصاهر
فان تنثني الدنيا علينا بحالها
فان لها حالا وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة
كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول اذا نام الخلي ولم أنم
أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجها لا أحبها
قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة
بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة
بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه
يظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة
اذا خرجت منه فليست تغادر

(قال ابن هشام) قوله فأبناؤه منا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عمرو بن الحرث أيضا يذكر بكرا وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا أيها الناس سيروا ان قصركم
ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطى وأرخوا من أزمتها
قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا

(قال ابن هشام) هذا ما صح له منها (قال ابن هشام) وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت في حجر باليمن ولم يسم لي قائلها * قال ابن اسحق ثم

ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشانى وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى (قال ابن هشام) يقال حبشية بن سلول * قال ابن اسحق ثم ان قصى بن كلاب خطب الى حليل بن حبشية ابنته حبى فرغب فيه حليل فزوجه فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا فلما انتشر ولد قصى وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر وان قريشا (٢) قرعة اسمعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلم رجالا من قريش وبنى كنانة ودعاهم الى اخراج خزاعة وبنى بكر من مكة فأجابوه وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد هلاك كلاب فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيل وزهرة يومئذ رجل وقصى فطيم فاحتملهما الى بلاده فحملت قصيا معها وأقام زهرة فولدت لربيعة رزاحا فلما بلغ قصى وصار رجلا أتى مكة فأقام بها فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه اخوته حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصى وخزاعة تزعم ان حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصى ما طلب ولم نسمع ذلك من غيرهم فالله أعلم أى ذلك كان

(ما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج) وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلى الاجازة للناس بالحج من عرفة وولده من بعده وكان يقال له ولولده صوفة وانما ولى ذلك الغوث بن مر لان أمه كانت امرأة من جرهم وكانت

(٢) قوله قرعة بالقاف وهى نخبة الشئ وخياره اهـ من هامش

عنه عليه السلام هذا التورك الا فى التشهد الذى يلى السلام قال الامام أحمد ومن وافقه هذا مخصوص بالصلاة التى فيها تشهدان وهذا التورك فيها جعل فرقا بين الجلوس فى التشهد الاول الذى يسن تخفيفه فيكون الجالس فيه متهيأ للقيام وبين الجلوس فى التشهد الثانى الذى يكون الجالس فيه مطمئنا وأيضا فتكون هيأة الجلوسين فارقة بين التشهدين مذكرة للمصلى حاله فيهما وأيضا فان أبا حميد انما ذكر هذه الصفة عنه صلى الله عليه وسلم فى الجلسة التى فى التشهد الثانى فانه ذكر صفة جلوسه فى التشهد الاول وانه كان يجلس مفترشا ثم قال واذا جلس فى الركعة الآخرة وفى لفظ فاذا جلس فى الركعة الرابعة * وأما قوله فى بعض ألفاظه حتى اذا كانت الجلسة التى فيها التسليم أخرج رجليه وجلس على شقه متوركا فهذا قد يحتج به من يرى التورك يشرع فى كل تشهد يليه السلام فيتورك فى الثانية وهو قول الشافعى رضى الله عنه وليس بصريح فى الدلالة بل سياق الحديث يدل على ان ذلك انما كان فى التشهد الذى يلى السلام من الرباعية والثلاثية فانه ذكر صفة جلوسه فى التشهد الاول وقيامه فيه ثم قال حتى اذا كانت السجدة التى فيها التسليم جلس متوركا فهذا السياق ظاهر فى اختصاص هذا الجلوس بالتشهد الثانى

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وضم أصابعه الثلاث ونصب السبابة وفى لفظ وقبض أصابعه الثلاث ووضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ذكره مسلم عن ابن عمر وقال وائل بن حجر جعل حد مرفقه الايمن على فخذه اليمنى ثم قبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع أصبعه فرأيته يحركها يدعو بها وهو فى السنن وفى حديث ابن عمر فى صحيح مسلم عقد ثلاثا وخمسين وهذه الروايات كلها واحدة فان من قال قبض أصابعه الثلاث أراد به ان الوسطى كانت مضمومة لم تكن منشورة كالسبابة ومن قال قبض ثنتين من أصابعه أراد ان الوسطى لم تكن مقبوضة مع البنصر بل الخنصر والبنصر متساويتان فى القبض دون الوسطى وقد صرح بذلك من قال وعقد ثلاثا وخمسين فان الوسطى فى هذا العقد تكون مضمومة ولا تكون مقبوضة مع البنصر (وقد) استشكل كثير من الفضلاء هذا اذ عقد ثلاث وخمسين لا يلائم واحدة من الصفتين المذكورتين فان الخنصر لا بد أن تركب البنصر فى هذا العقد (وقد) أجاب عن هذا بعض الفضلاء بان الثلاثة لها صفتان فى هذا العقد قديمة وهى التى ذكرت فى حديث ابن عمر تكون فيها الاصابع الثلاث مضمومة مع تحليق الابهام مع الوسطى وحديثة وهى المعروفة اليوم بين أهل الحساب والله أعلم وكان يبسط ذراعه على فخذه ولا يجافيها فيكون حد مرفقه عند آخر فخذه وأما اليسرى فممدودة الاصابع على الفخذ اليسرى وكان يستقبل باصابعه القبلة فى رفع يديه فى ركوعه وفى سجوده وفى تشهده ويستقبل أيضا باصابع رجليه القبلة فى سجوده وكان يقول فى كل ركعتين التحيات * وأما المواضع التى كان يدعو فيها فى الصلاة فسبعة مواطن (أحدها) بعد تكبيرة الاحرام فى محل الاستفتاح (الثانى) قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة فى الوتر والقنوت العارض فى الصبح قبل الركوع ان صح ذلك فان فيه نظرا (الثالث) بعد الاعتدال من الركوع كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبى أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرنى من الذنوب والخطايا كما ينقى

لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها و يقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع أخواله من جرهم فولى الاجازة بالناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه انى جعلت رب من بنيه * ربيطة بمكة العليه فبارکن لى بها اليه * واجعله لى من صالح البريه وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه

ان كان اثم فعلى قضاعه

* قال ابن اسحق حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه * قال ابن اسحق فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبى العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجيزى صوفة فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحرث بن شجنة (قال ابن هشام) صفوان بن جناب ابن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم * قال ابن اسحق وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان (وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى) لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا (قال ابن هشام) هذا البيت فى قصيدة لاوس بن مغراء (وأما قول ذى الاصبع) العدوانى واسمه حرثان بن عمرو وانما سمى ذا الاصبع لانه كان له أصبع فقطعها عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض بغى بعضهم ظلما * فلم يرع على بعض

الثوب الابيض من الوسخ (الرابع) فى ركوعه كان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى (الخامس) فى سجوده وكان فيه غالب دعائه (السادس) بين السجدتين (السابع) بعد التشهد وقبل السلام وبذلك أمر فى حديث أبى هريرة وحديث فضالة بن عبيد وأمر أيضا بالدعاء فى السجود * وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديه صلى الله عليه وسلم أصلا ولا روى عنه باسناد صحيح ولا حسن * وأما تخصيص ذلك بصلاتى الفجر والعصر فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه ولا أرشد اليه أمته وانما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما والله أعلم وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وأمر بها فيها وهذا هو اللائق بحال المصلى فانه مقبل على ربه يناجيه مادام فى الصلاة فاذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه فكيف يترك سؤاله فى حال مناجاته والقرب منه والاقبال عليه ثم يسأل اذا انصرف عنه ولا ريب ان عكس هذا الحال هو الاولى بالمصلى الا ان ههنا (نكتة لطيفة) وهو ان المصلى اذا فرغ من صلاته وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالاذكار المشروعة عقيب الصلاة استحب له ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك و يدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية لا لكونه دبر الصلاة فان كل من ذكر الله وحمده وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم استحب له الدعاء عقيب ذلك كما فى حديث فضالة بن عبيد اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قال الترمذى حديث صحيح

(فصل) ثم كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وعن يساره كذلك هذا فعله الراتب رواه عنه خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسهل بن سعد الساعدى ووائل بن حجر وأبو موسى الاشعرى وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وأبو مالك الاشعرى وطلق بن على وأوس بن أوس وأبو رمثة وعدى ابن عميرة رضى الله عنهم وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه ولكن لم يثبت عنه ذلك من وجه صحيح وأجود ما فيه حديث عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول وهو فى السنن لكنه كان فى قيام الليل والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شاهدوه فى الفرض والنفل على ان حديث عائشة ليس صريحا فى الاقتصار على التسليمة الواحدة بل أخبرت انه كان يسلم تسليمة واحدة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم أكثر عددا وأحاديثهم أصح وكثير من أحاديثهم صحيح والباقى حسان قال أبو عمر بن عبد البر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمة واحدة من حديث سعد بن أبى وقاص ومن حديث عائشة ومن حديث أنس الا انها معلولة ولا يصححها أهل العلم بالحديث ثم ذكر حديث سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم فى الصلاة تسليمة واحدة قال وهذا وهم وغلط وانما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره ثم ساق الحديث من طريق ابن المبارك عن مصعب بن ثابت عن اسمعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى كأنى أنظر

الى صفحة خده فقال الزهرى ما سمعنا هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسمعيل ابن محمد أكل حديث رسول الله قد سمعته قال لا قال فنصفه قال لا قال فاجعل هذا من النصف الذى لم تسمع قال وأما حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة فلم يرفعه أحد الا زهير بن محمد وحده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رواه عنه عمرو بن أبى سلمة وغيره وزهير بن محمد ضعيف عند الجميع كثير الخطا لا يحتج به وذكر ليحيى بن معين هذا الحديث فقال عمرو بن أبى سلمة وزهير ضعيفان لا حجة فيهما قال وأما حديث أنس فلم يأت الا من طريق أيوب السختيانى عن أنس ولم يسمع أيوب عن أنس عندهم شيأ قال وقد روى مرسلا عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانوا يسلمون تسليمة واحدة وليس مع القائلين بالتسليمة غير عمل أهل المدينة قالوا وهو عمل قد توارثوه كابرا عن كابر ومثله لا يصح الاحتجاج به لانه لا يخفى لوقوعه فى كل يوم مرارا وهذه طريقة قد خالفهم فيها سائر الفقهاء (والصواب) معهم والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدفع ولا ترد بعمل أهل بلد كائنا من كان وقد أحدث الامراء بالمدينة وغيرها فى الصلاة أمورا استمر عليها العمل ولم يلتفت الى استمراره وعمل أهل المدينة الذى يحتج به ما كان فى زمن الخلفاء الراشدين وأما عملهم بعد موتهم وبعد انقراض عصر من بها من الصحابة فلا فرق بينهم وبين عمل غيرهم والسنة تحكم بين الناس لا عمل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وبالله التوفيق

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فى صلاته فيقول اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم وكان يقول فى صلاته أيضا اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فيما رزقتنى وكان يقول اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم وكان يقول فى سجوده رب اعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقول فى ركوعه وسجوده وجلوسه واعتداله فى الركوع

(فصل والمحفوظ فى أدعيته صلى الله عليه وسلم) فى الصلاة كلها بلفظ الافراد كقوله رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وسائر الادعية المحفوظة عنه ومنها قوله فى دعاء الاستفتاح اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والبرد والماء البارد اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب الحديث وروى الامام أحمد رحمه الله وأهل السنن من حديث ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة فان فعل فقد خانهم قال ابن خزيمة فى صحيحه وقد ذكر حديث اللهم باعد بينى وبين خطاياى الحديث قال فى هذا دليل على رد الحديث الموضوع لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هذا الحديث عندى فى الدعاء الذى يدعو به الامام لنفسه وللمأمومين ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه والله أعلم

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) اذا قام فى الصلاة طأطأ رأسه ذكره الامام أحمد رحمه الله وكان فى التشهد لا يجاوز بصره اشارته وقد تقدم وكان قد جعل الله تعالى قرة عينه ونعيمه وسروره وروحه فى الصلاة وكان يقول يا بلال أرحنا بالصلاة وكان يقول جعلت قرة عينى فى الصلاة ومع

ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض * ومنهم من يجير النا * س بالسنة والفرض ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

وهذه الابيات فى قصيدة له فلأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل ففيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سياره
وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره

قال وكان أبو سيارة يدفع بالناس على اتان له فلذلك يقول سالما حماره * قال ابن اسحق وقوله حكم يقضى يعنى عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة فى قضاء الا أسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختصم اليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة فقالوا أتجعله رجلا أو امرأة ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه فقال حتى أنظر فى أمركم فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلب أمره وينظر فى شأنه لا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه وكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سخيل واذا راحت عليه قال مسيت والله يا سخيل وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس وتؤخر الاراحة حتى يسبقها بعض الناس فلما رأت سهره وقلقه وقلة قراره على فراشه قالت مالك لا أبا لك ما عراك فى ليلتك هذه قال ويلك دعينى أمر ليس من شأنك ثم عادت له بمثل قولها فقال فى نفسه عسى أن تأتى هذا مما أنا فيه بفرج فقال ويحك اختصم الى فى ميراث خنثى أأجعله رجلا أو امرأة فوالله ما أدرى ما أصنع وما يتوجه لى فيه وجه فقالت سبحان الله لا أبا لك أتبع القضاء المبال أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المرأة فهى امرأة قال

أمسى سخيل بغدها أو صبحي فرجنها والله ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذي أشارت عليه به

(غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له)

* قال ابن اسحق فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لنحن أولى به منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا ثم انهم تداعوا الى الصلح والى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وان يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها (قال ابن هشام) (١) ويقال الشداخ * قال ابن اسحق فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك أنه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم منهم

(١) ويقال الشداخ ضبط الأول بفتح الشين وتشديد الدال والثاني بضم الشين وفتح الدال مخففة

هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال اقباله وقربه من الله تعالى وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه وكان يدخل في الصلاة وهو يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة أن يشق على أمه وأرسل مرة فارسا طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت الى الشعب الذي يجيء منه الفارس ولم يشغله ما هو فيه عن مراعاة حال فارسه وكذلك كان يصلي الفرض وهو حامل امامة بنت أبي العاص بن الربيع ابنة بنته على عاتقه اذا قام حملها واذا ركع وسجد وضعها وكان يصلي فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه عن ظهره وكان يصلي فتجيء عائشة من حاجتها والباب مغلق فيمشي فيفتح لها الباب ثم يرجع الى الصلاة وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلاة وقال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم أدركته وهو يصلي فسلمت عليه فأشار الى ذكره مسلم في صحيحه وقال أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يشير في الصلاة ذكره الامام أحمد رحمه الله وقال صهيب مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فرد اشارة قال الراوي لا أعلمه قال الا اشارة باصبعه وهو في السنن والمسند وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء يصلي فيه قال فجاءته الانصار فسلموا عليه وهو في الصلاة فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي قال يقول هكذا وبسط جعفر بن عون كفه وجعل بطنه أسفل وجعل ظهره الى فوق وهو في السنن والمسند وصححه الترمذي ولفظه كان يشير بيده وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما قدمت من الحبشة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فأومأ برأسه ذكره البيهقي وأما حديث أبي غطفان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشار في صلاته اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل ذكره الدارقطني وقال لنا ابن أبي داود أبو غطفان هذا رجل مجهول والصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يشير في صلاته رواه أنس وجابر وغيرهما وكان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتها وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته فأخذه فخنقه حتى سال لعابه على يده وكان يصلي على المنبر ويركع عليه فاذا جاءت السجدة نزل القهقرى فسجد على الأرض ثم صعد عليه وكان يصلي الى جدار فجاءت بهيمة تمر من بين يديه فما زال يدارئها حتى لصق بطنه بالجدار ومرت من ورائه يدارئها يفاعلها من المداراة وهي المدافعة وكان يصلي فجاءته جاريتان من بني عبد المطلب قد اقتتلتا فأخذهما بيده فنزع احداهما من الأخرى وهو في الصلاة ولفظ أحمد فيه فأخذتا بركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فنزع بينهما أو فرق بينهما ولم ينصرف وكان يصلي فمر بين يديه غلام فقال بيده هكذا فرجع ومرت بين يديه جارية فقال بيده هكذا فمضت فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هن أغلب ذكره الامام أحمد وهو في السنن وكان ينفخ في صلاته ذكره الامام أحمد وهو في السنن * وأما حديث النفخ في الصلاة كلام فلا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رواه سعيد في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله ان صح وكان يبكي في صلاته وكان يتنحنح في صلاته قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة آتيه فيها فاذا أتيته استأذنت فان وجدته يصلي تنحنح دخلت وان وجدته فارغا أذن لي ذكره النسائي وأحمد ولفظ أحمد كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى صفحة خده فقال الزهرى ما سمعنا هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسمعيل ابن محمد أكل حديث رسول الله قد سمعته قال لا قال فنصفه قال لا قال فاجعل هذا من النصف الذى لم تسمع قال وأما حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة فلم يرفعه أحد الا زهير بن محمد وحده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رواه عنه عمرو بن أبى سلمة وغيره وزهير بن محمد ضعيف عند الجميع كثير الخطا لا يحتج به وذكر ليحيى بن معين هذا الحديث فقال حديث عمرو بن أبى سلمة وزهير ضعيفان لا حجة فيهما قال وأما حديث أنس فلم يأت الا من طريق أيوب السختيانى عن أنس ولم يسمع أيوب عن أنس عندهم شيأ قال وقد روى مرسلا عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانوا يسلمون تسليمة واحدة وليس مع القائلين بالتسليمة غير عمل أهل المدينة قالوا وهو عمل قد توارثوه كابرا عن كابر ومثله لا يصح الاحتجاج به لانه لا يخفى لوقوعه فى كل يوم مرارا وهذه طريقة قد خالفهم فيها سائر الفقهاء (والصواب) معهم والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدفع ولا ترد بعمل أهل بلد كائنا من كان وقد أحدث الامراء بالمدينة وغيرها فى الصلاة أمورا استمر عليها العمل ولم يلتفت الى استمراره وعمل أهل المدينة الذى يحتج به ما كان فى زمن الخلفاء الراشدين وأما عملهم بعد موتهم وبعد انقراض عصر من بها من الصحابة فلا فرق بينهم وبين عمل غيرهم والسنة تحكم بين الناس لا عمل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وبالله التوفيق

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فى صلاته فيقول اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم وكان يقول فى صلاته أيضا اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فيما رزقتنى وكان يقول اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم وكان يقول فى سجوده رب أعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقول فى ركوعه وسجوده وجلوسه واعتداله فى الركوع

(فصل والمحفوظ فى أدعيته صلى الله عليه وسلم) فى الصلاة كلها بلفظ الافراد كقوله رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وسائر الادعية المحفوظة عنه ومنها قوله فى دعاء الاستفتاح اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والبرد والماء البارد اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب الحديث وروى الامام أحمد رحمه الله وأهل السنن من حديث ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة فان فعل فقد خانهم قال ابن خزيمة فى صحيحه وقد ذكر حديث اللهم باعد بينى وبين خطاياى الحديث قال فى هذا دليل على رد الحديث الموضوع لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هذا الحديث عندى فى الدعاء الذى يدعو به الامام لنفسه وللمأمومين ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه والله أعلم

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) اذا قام فى الصلاة طأطأ رأسه ذكره الامام أحمد رحمه الله وكان فى التشهد لا يجاوز بصره اشارته وقد تقدم وكان قد جعل الله تعالى قرة عينه ونعيمه وسروره وروحه فى الصلاة وكان يقول يا بلال أرحنا بالصلاة وكان يقول جعلت قرة عينى فى الصلاة ومع

ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

وهذه الابيات فى قصيدة له فلأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل ففيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سياره
وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره

قال وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له فلذلك يقول سالما حماره * قال ابن اسحق وقوله حكم يقضى يعنى عامر بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان العدوانى وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة فى قضاء الا أسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختصم اليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة فقالوا أتجعله رجلا أو امرأة ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه فقال حتى أنظر فى أمركم فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلب أمره وينظر فى شأنه لا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه وكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سخيل واذا راحت عليه قال مسيت والله يا سخيل وذلك انها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس وتؤخر الاراحة حتى يسبقها بعض الناس فلما رأت سهره وقلقه وقلة قراره على فراشه قالت مالك لا أبا لك ما عراك فى ليلتك هذه قال ويلك دعينى أمر ليس من شأنك ثم عادت له بمثل قوله فقال فى نفسه عسى أن تأتى هذا مما أنا فيه بفرج فقال ويحك اختصم الى فى ميراث خنثى أأجعله رجلا أو امرأة فوالله ما أدرى ما أصنع وما يتوجه لى فيه وجه فقالت سبحان الله لا أبا لك أتبع القضاء المبال أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المرأة فهى امرأة قال

أمسى سخيل بغدها أو صبحي فرجنها والله ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذى أشارت عليه به

(غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له)

* قال ابن اسحق فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لنحن أولى بهذا منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا ثم انهم تداعوا الى الصلح والى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة فقضى بينهم بان قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وان يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها (قال ابن هشام) (١) ويقال الشداخ * قال ابن اسحق فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا انه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك انه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من

(١) ويقال الشداخ ضبط الاول بفتح الشين وتشديد الدال والثاني بضم الشين وفتح الدال مخففة

هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال اقباله وقربه من الله تعالى وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه وكان يدخل في الصلاة وهو يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة أن يشق على أمه وأرسل مرة فارسا طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت الى الشعب الذي يجيء منه الفارس ولم يشغله ما هو فيه عن مراعاة حال فارسه وكذلك كان يصلي الفرض وهو حامل امامة بنت أبي العاص بن الربيع ابنة بنته على عاتقه اذا قام حملها واذا ركع وسجد وضعها وكان يصلي فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه عن ظهره وكان يصلي فتجيء عائشة من حاجتها والباب مغلق فيمشي فيفتح لها الباب ثم يرجع الى الصلاة وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلاة وقال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم أدركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار الى ذكره مسلم في صحيحه وقال أنس رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يشير في الصلاة ذكره الامام أحمد رحمه الله وقال صهيب مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فرد اشارة قال الراوى لا أعلمه قال الا اشارة باصبعه وهو في السنن والمسند وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء يصلي فيه قال فجاءته الانصار فسلموا عليه وهو في الصلاة فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي قال يقول هكذا وبسط جعفر بن عون كفه وجعل بطنه أسفل وجعل ظهره الى فوق وهو في السنن والمسند وصححه الترمذي ولفظه كان يشير بيده وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما قدمت من الحبشة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاومأ برأسه ذكره البيهقي وأما حديث أبي غطفان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشار في صلاته اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل ذكره الدارقطني وقال قال لنا ابن أبي داود أبو غطفان هذا رجل مجهول والصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يشير في صلاته رواه أنس وجابر وغيرهما وكان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجلها واذا قام بسطتها وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه فخنقه حتى سال لعابه على يده وكان يصلي على المنبر ويركع عليه فاذا جاءت السجدة نزل القهقري فسجد على الارض ثم صعد عليه وكان يصلي الى جدار فجاءت بهيمة تمر من بين يديه فما زال يدارئها حتى لصق بطنه بالجدار ومرت من ورائه يدارئها بفعله من المداراة وهي المدافعة وكان يصلي فجاءته جاريتان من بني عبد المطلب قد اقتتلتا فاخذهما بيده فنزع احداهما من الاخرى وهو في الصلاة ولفظ أحمد فيه فاخذتا بركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فنزع بينهما أو فرق بينهما ولم ينصرف وكان يصلي فمر بين يديه غلام فقال بيده هكذا فرجع ومرت بين يديه جارية فقال بيده هكذا فمضت فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هن أغلب ذكره الامام أحمد وهو في السنن وكان ينفخ في صلاته ذكره الامام أحمد وهو في السنن * وأما حديث النفخ في الصلاة كلام فلا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رواه سعيد في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله ان صح وكان يبكي في صلاته وكان يتنحنح في صلاته قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة آتيه فيها فاذا أتيته استأذنت فان وجدته يصلي تنحنح دخلت وان وجدته فارغا أذن لي ذكره النسائي وأحمد ولفظ أحمد كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريش منازلهم من مكة التي أصفحوا عليها وبزعم الناس ان قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش وما يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم الا في داره يعقده لهم بعض (٧٠) ولده وما تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع من قريش الا في داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها الى أهلها فكان أمره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها (قال ابن هشام) وقال الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

* قال ابن اسحق حدثني عبد الملك ابن راشد عن أبيه قال سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلا يحدث عمر ابن الخطاب وهو خليفة حديث قصي بن كلاب وما جمع من أمر قومه واخراجه خزاعة وبني بكر من مكة وولايته البيت وأمر مكة فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره * قال ابن اسحق فلما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه من قومه * وقال رزاح في اجابته قصيا

لما أتى من قصي رسول
فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نقود الجياد
ونطرح عنا الملول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح
ونكمي النهار لئلا نزول
فهن سراع كورد القطا
يجبن بنا من قصي رسولا
جمعنا من السر من أشمذين
ومن كل حي جمعنا قبيلا
فيا لك حلبة ما ليلة
تزيد على الالف سيبا رسيلا
فلما مررن على (١) عسجر * وأسهلن من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقان * وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحلي ما ذقنه * وعالجن من مر ليلا طويلا
ندني من العوذ أفلاءها * ارادة أن يسترقن الصهيلا
فلما انتهينا الى مكة *

(١) قوله عسجر اسم موضع

مدخلان بالليل والنهار وكنت اذا دخلت عليه وهو يصلي تنحنح رواه أحمد وعمل به فكان يتنحنح في صلاته ولا يرى النحنحة مبطلة للصلاة وكان يصلي حافيا تارة ومنتعلا أخرى كذلك قال عبد الله بن عمرو عنه وأمر بالصلاة بالنعل مخالفة لليهود وكان يصلي في الثوب الواحد تارة وفي الثوبين تارة وهو أكثر * وقنت في الفجر بعد الركوع شهرا ثم ترك القنوت ولم يكن من هديه القنوت فيها دائما ومن المحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في كل غداة بعد اعتداله من الركوع يقول اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت الخ ويرفع بذلك صوته ويؤمن عليه أصحابه دائما الى أن فارق الدنيا ثم لا يكون ذلك معلوما عند الامة بل يضيعه أكثر أمته وجمهور أصحابه بل كلهم حتى يقول من يقول منهم انه محدث كما قال سعيد بن طارق الاشجعي قلت لابي يا أبت انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ههنا وبالكوفة منذ خمس سنين فكانوا يقنتون في الفجر فقال أي بني محدث رواه أهل السنن وأحمد وقال الترمذي حديث حسن صحيح وذكر الدارقطني عن سعيد بن جبير قال أشهد اني سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في صلاة الفجر بدعة وذكر البيهقي عن أبي مجلز قال صليت مع ابن عمر صلاة الصبح فلم يقنت فقلت له لا أراك تقنت فقال لا أحفظه عن أحد من أصحابنا ومن المعلوم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان يقنت كل غداة ويدعو بهذا الدعاء ويؤمن الصحابة لكان نقل الامة لذلك كلهم كنقلهم لجهره بالقراءة فيها وعددها ووقتها وان جاز عليهم تضييع أمر القنوت منها جاز عليهم تضييع ذلك ولا فرق وبهذا الطريق علمنا أنه لم يكن هديه الجهر بالبسملة كل يوم وليلة ست مرات دائما مستمرا ثم يضيع أكثر الامة ذلك ويخفى عليها وهذا من أمحل المحال بل لو كان ذلك واقعا لكان نقله كعدد الصلوات وعدد الركعات والجهر والاخفاء وعدد السجدات ومواضع الاركان وترتيبها والله الموفق والانصاف الذي يرتضيه العالم المنصف أنه جهر وأسر وقنت وترك وكان اسراره أكثر من جهره وتركه القنوت أكثر من فعله وانما قنت عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وتخلصوا من الاسر وأسلم من دعا عليهم وجاؤا تائبين فكان قنوته لعارض فلما زال ترك القنوت ولم يختص بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن أنس وقد ذكره مسلم عن البراء وذكر الامام أحمد عن ابن عباس قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخيرة يدعو على حي من بني سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه ورواه أبو داود وكان هديه صلى الله عليه وسلم القنوت في النوازل خاصة وتركه عند عدمها ولم يكن يخصه بالفجر بل كان أكثر قنوته فيها لاجل ما شرع فيها من الطول ولاتصالها بصلاة الليل وقربها من السحر وساعة الاجابة والتنزل الالهي ولانها الصلاة المشهودة التي يشهدها الله وملائكته أو ملائكة الليل والنهار كما روي هذا وهذا في تفسير قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا * وأما حديث ابن أبي فديك عن عبد الله ابن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع من صلاة الصبح في الركعة الثانية يرفع يديه فيها فيدعو بهذا الدعاء اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت فما أبين الاحتجاج به لو كان صحيحا أو حسنا ولكن

لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه فى القنوت عن أحمد بن عبد الله المزنى حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن أبى فديك فذكره * نعم يصح عن أبى هريرة أنه قال والله لأنا أقربكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو هريرة يقنت فى الركعة الاخيرة من صلاة الصبح بعدما يقول سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فاحب أبو هريرة أن يعلمهم أن مثل هذا القنوت سنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله وهذا رد على أهل الكوفة الذين يكرهون القنوت فى الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة فاهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه عند النوازل وغيرها وهم أسعد بالحديث من الطائفتين فانهم يقنتون حيث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتركونه حيث تركه فيقتدون به فى فعله وتركه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ولا يرون تركه بدعة ولا تاركه مخالفا للسنة بل من قنت فقد أحسن ومن تركه فقد أحسن ولكن الاعتدال محل الدعاء والثناء وقد جمعهما النبى صلى الله عليه وسلم فيه ودعاء القنوت دعاء وثناء فهو أولى بهذا المحل فاذا جهر به الامام أحيانا ليعلم المأمومين فلا بأس بذلك فقد جهر عمر بالافتتاح ليعلم المأمومين وجهر ابن عباس بقراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة ليعلمهم أنها سنة ومن هذا أيضا جهر الامام بالتأمين وهذا من الاختلاف المباح الذى لا يعنف فيه من فعله ولا من تركه وهذا كرفع اليدين فى الصلاة وتركه وكالخلاف فى أنواع التشهدات وأنواع الاذان والاقامة وأنواع النسك من الافراد والقران والتمتع وليس مقصودنا الا ذكر هديه صلى الله عليه وسلم الذى كان يفعله هو فانه قبلة القصد واليه التوجه فى هذا الكتاب وعليه مدار التفتيش والطلب وهذا شئ والجائز الذى لا ينكر فعله وتركه شئ فنحن لم نتعرض فى هذا الكتاب لما يجوز ولما لا يجوز وانما مقصودنا فيه هدى النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يختاره لنفسه فانه أكمل الهدى وأفضله فاذا قلنا لم يكن من هديه المداومة على القنوت فى الفجر ولا الجهر بالبسملة لم يدل ذلك على كراهية غيره ولا أنه بدعة ولكن هديه صلى الله عليه وسلم أكمل الهدى وأفضله والله المستعان * وأما حديث أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا وهو فى المسند والترمذى وغيرهما فابو جعفر قد ضعفه أحمد وغيره وقال ابن المدينى كان يخلط وقال أبو زرعة كان يهم كثيرا وقال ابن حبان كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير * وقال لى شيخنا ابن تيمية قدس الله روحه وهذا الاسناد نفسه هو اسناد حديث واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم حديث أبى بن كعب الطويل وفيه وكان روح عيسى عليه السلام من تلك الارواح التى أخذ عليها العهد والميثاق فى زمن آدم فارسل تلك الروح الى مريم عليها السلام حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فارسله الله فى صورة بشر فتمثل لها بشرا سويا قال فحملت الذى يخاطبها فدخل من فيها وهذا غلط محض فان الذى أرسل اليها الملك الذى قال لها انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ولم يكن الذى خاطبها بهذا هو عيسى بن مريم هذا محال * والمقصود أن أبا جعفر الرازى صاحب مناكير لا يحتج بما تفرد به أحد من أهل الحديث ألبتة ولو صح لم يكن فيه دليل على هذا القنوت المعين ألبتة فانه ليس فيه أن القنوت هذا الدعاء فان القنوت يطلق على القيام والسكوت

أبعنا الرجال قبيلا قبيلا نغاورهم ثم حد السيوف * وفى كل أوب خلسنا العقولا نخبرهم بصلاب النسور * نخبر القوى العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة فى دارها * وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا نفيناهم من بلاد المليك * كما لا يحلون أرضا سهولا فأصبح سبيهم فى الحديد * ومن كل حى شفينا الغليلا (وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحرث بن سعد بن هذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه)

جلبنا الخيل مضمرة تغالى
من الاعراف اعراف الجناب
الى غورى تهامة فالتقينا
من الفيفاء فى قاع يباب
فأما صوفة الخنثى فخلوا
منازلهم محاذرة الضراب
وقام بنو على اذ رأونا
الى الاسياف كالابل الطراب

(وقال قصى بن كلاب)

أنا ابن العاصمين بنى لؤى
بمكة منزلى وبها ربيت
الى البطحاء قد علمت معد
ومروتها رضيت بها رضيت
فلست لغالب ان لم تأثل
بها أولاد قيذر والنبيت
رزاح ناصرى وبه اسامى
فلست أخاف ضيما ما حييت

فلما استقر رزاح بن ربيعة فى بلاده نشره الله ونشر حنا فهما قبيلا عذرة اليوم وقد كان بين رزاح بن ربيعة حين قدم بلاده وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم وهما بطنان من قضاعة شئ فأخافهم حتى لحقوا باليمن واجلوا من بلاد قضاعة فهم اليوم باليمن فقال قصى ابن كلاب وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها لما بينه وبين رزاح من الرحم ولبلائهم عنده اذ أجابوه اذ دعاهم الى نصرته وكره ما صنع بهم رزاح

ألا من مبلغ عنى رزاحا
فانى قد لحيتك فى اثنتين
لحيتك فى بنى نهد بن زيد
كما فرقت بينهم وبينى
وحوتكة بن أسلم ان قوما * عنوهم بالمساءة قد عنونى

(قال ابن هشام) وتروى هذه الابيات لزهير بن جناب الكلبى * قال ابن اسحق فلما كبر قصى ورق عظمه وكان عبد الدار بكره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد العزى وعبد قال قصى لعبد الدار أما والله يا بنى لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت

تقضيه له ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك ولا يشرب أحد بمكة الا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك فأعطاه داره دار الندوة التى لا تقضى قريش أمرا من أمورها الا فيها وأعطاه الحجابة واللوا والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خرجا (٧٢) تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيف الله وأهله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى فى الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج * قال ابن اسحق حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع اليه مما كان بيده أبى اسحق بن يسار عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له نبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى قال الحسن فجعل اليه قصى كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصى لا يخالف ولا يرد عليه شئ صنعه

﴿ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيبين﴾

قال ابن اسحق ثم ان قصى بن كلاب هلك فأقام أمره فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده فاختطوا مكة رباعا بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها فى قومهم وفى غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش عليه معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم ان بنى عبد مناف بن قصى عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على ان يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل الى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى

ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من فى السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت وقال زيد ابن أرقم لما نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين أمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وأنس رضى الله عنه لم يقل لم يزل يقنت بعد الركوع رافعا صوته اللهم اهدنى فيمن هديت الى آخره ويؤمن من خلفه ولا ريب أن قوله ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد الى آخر الدعاء والثناء الذى كان يقوله قنوت وتطويل هذا الركن قنوت وتطويل القراءة قنوت وهذا الدعاء المعين قنوت فمن أين لكم أن أنسا انما أراد هذا الدعاء المعين دون سائر أقسام القنوت ولا يقال تخصيصه القنوت بالفجر دون غيرها من الصلوات دليل على ارادة الدعاء المعين اذ سائر ما ذكرتم من أقسام القنوت مشترك بين الفجر وغيرها وأنس خص الفجر دون سائر الصلوات بالقنوت ولا يمكن أن يقال انه الدعاء على الكفار ولا الدعاء للمستضعفين من المؤمنين لان أنسا قد أخبر أنه كان يقنت شهرا ثم تركه فتعين أن يكون هذا الدعاء الذى داوم عليه هو القنوت المعروف وقد قنت أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والبراء بن عازب وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وأبو موسى الاشعرى وأنس بن مالك وغيرهم * والجواب من وجوه * أحدها أن أنسا قد أخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقنت فى الفجر والمغرب كما ذكره البخارى فلم يخصص القنوت بالفجر وكذلك ذكر البراء بن عازب سواء فما بال القنوت اختص بالفجر فان قلتم قنوت المغرب منسوخ قال لكم منازعوكم من أهل الكوفة وكذلك قنوت الفجر سواء ولا تأتون بحجة على نسخ قنوت المغرب الا كانت دليلا على نسخ قنوت الفجر سواء ولا يمكنكم أبدا أن تقيموا دليلا على نسخ قنوت المغرب واحكام قنوت الفجر * فان قلتم قنوت المغرب كان قنوتا للنوازل لا قنوتا راتبا قال منازعوكم من أهل الحديث * نعم كذلك هو وكذلك قنوت الفجر سواء وما الفرق قالوا ويدل على أن قنوت الفجر كان قنوت نازلة لا قنوتا راتبا أن أنسا نفسه أخبر بذلك وعمدتكم فى القنوت الراتب انما هو أنس وأنس أخبر أنه كان قنوت نازلة ثم تركه ففى الصحيحين عن أنس قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو على حى من أحياء العرب ثم تركه * الثانى أن شبابة روى عن قيس بن الربيع عن عاصم بن سليمان قال قلنا لانس بن مالك ان قوما يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يقنت بالفجر قال كذبوا انما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا واحدا يدعو على حى من أحياء المشركين وقيس بن ربيع وان كان يحيى ضعفه فقد وثقه غيره وليس بدون أبى جعفر الرازى فكيف يكون أبو جعفر حجة فى قوله لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا وقيس ليس بحجة فى هذا الحديث وهو أوثق منه أو مثله والذين ضعفوا أبا جعفر أكثر من الذين ضعفوا قيسا فانما يعرف تضعيف قيس عن يحيى وذكر سبب تضعيفه فقال أحمد بن سعيد بن أبى مريم سألت يحيى عن قيس بن الربيع فقال ضعيف لا يكتب حديثه كان يحدث بالحديث عن عبيدة وهو عنده عن منصور ومثل هذا لا يوجب رد حديث الراوى لان غاية ذلك أن يكون غلط ووهم فى ذكر عبيدة بدل منصور ومن الذى سلم من هذا من المحدثين * الثالث أن أنسا أخبر أنهم لم يكونوا يقنتون وان بدء القنوت هو قنوت النبى صلى الله عليه وسلم يدعو على رعل وذكوان ففى الصحيحين من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال له بئر معونة فقال القوم والله ما اياكم أردنا انما نحن مجتازون في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة فذلك بدء القنوت وما كنا نقنت فهذا يدل على أنه لم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم القنوت دائما وقول أنس فذلك بدء القنوت مع قوله قنت شهرا ثم تركه دليل على أنه أراد بما أثبته من القنوت قنوت النوازل وهو الذي وقته بشهر وهذا كما قنت في صلاة العتمة شهرا كما في الصحيحين عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت في صلاة العتمة شهرا يقول في قنوته اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قال أبو هريرة وأصبح ذات يوم فلم يدع لهم فذكرت ذلك له فقال أوما تراهم قد قدموا فقنوته في الفجر كان هكذا سواء لاجل أمر عارض ونازلة ولذلك وقته أنس بشهر وقد روي عن أبي هريرة أنه قنت لهم أيضا في الفجر شهرا وكلاهما صحيح وقد تقدم ذكر حديث عكرمة عن ابن عباس قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح رواه أبو داود وغيره وهو حديث صحيح وقد ذكر الطبراني في معجمه من حديث محمد بن أنس حدثنا مطرف بن طريف عن أبي الجهم عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي صلاة مكتوبة الا قنت فيها قال الطبراني لم يروه عن مطرف الا محمد ابن أنس انتهى وهذا الاسناد وان كان لا تقوم به حجة فالحديث صحيح من جهة المعنى لان القنوت هو الدعاء ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل صلاة مكتوبة الا دعا فيها كما تقدم وهذا هو الذي أراده أنس في حديث أبي جعفر ان صح أنه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا ونحن لا نشك ولا نرتاب في صحة ذلك وان دعاءه استمر في الفجر الى أن فارق الدنيا * الوجه الرابع ان طرق أحاديث أنس تبين المراد ويصدق بعضها بعضا ولا تتناقض وفي الصحيحين من حديث عاصم الاحول قال سألت أنس بن مالك عن القنوت في الصلاة قال نعم فقلت كان قبل الركوع أو بعده قال قبله قلت وان فلانا أخبرني عنك انك قلت قنت بعده قال كذب انما قلت قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع شهرا وقد ظن طائفة ان هذا الحديث معلول تفرد به عاصم وسائر الرواة عن أنس خالفوه فقالوا عاصم ثقة جدا غير انه خالف أصحاب أنس في موضع القنوتين والحافظ قد يهم والجواد قد يعثر وحكوا عن الامام أحمد تعليله فقال الاثرم قلت لابي عبد الله يعني أحمد بن حنبل أيقول أحد في حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت قبل الركوع غير عاصم الاحول فقال ما علمت أحدا يقوله غيره قال أبو عبد الله خالفهم عاصم كلهم هشام عن قتادة عن أنس والتيمي عن أبي مجلز عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قنت بعد الركوع وأيوب عن محمد قال سألت أنسا وحنظلة السدوسي عن أنس أربعة وجوه وأما عاصم فقال قلت له فقال كذبوا انما قنت بعد الركوع شهرا قيل له من ذكره عن عاصم قال أبو معاوية وغيره قيل لابي عبد الله وسائر الاحاديث أليس انما هي بعد الركوع فقال بلى كلها عن خفاف بن ايماء بن رحضة وأبي هريرة قلت لابي عبد الله فلم ترخص اذا في القنوت قبل الركوع وانما صح الحديث بعد الركوع فقال القنوت في الفجر بعد الركوع وفي الوتر يختار بعد الركوع ومن قنت قبل الركوع فلا بأس لفعل أصحاب النبي

قومهم فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون انهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل اليهم فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف وذلك انه كان أسن بني عبد مناف وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان بنو أسد بن عبد العزى ابن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف وكان بنو مخزوم ابن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فيزعمون ان بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم سوند بين القبائل ولز بعضها ببعض فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار وعبيت زهرة لبني جمح وعبيت بنو تيم لبني مخزوم وعبيت بنو الحرث ابن فهر لبني عدي بن كعب ثم قالوا لتفن كل قبيلة من أسند اليها فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا الحرب اذ تداعوا الى الصلح على ان يعطوا بني عبد مناف

السقاية والرفادة وان يكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في

صلى الله عليه وسلم واختلافهم فاما في الفجر فبعد الركوع فيقال من العجب تعليل هذا الحديث الصحيح المتفق على صحته ورواه أئمة ثقات أثبات حفاظ والاحتجاج بمثل حديث أبي جعفر الرازي وقيس بن الربيع وعمرو بن أيوب وعمرو بن عبيد ودينار وجابر الجعفي وقل من تحمل مذهبا وانتصر له في كل شيء الا اضطر الى هذا المسلك فنقول وبالله التوفيق أحاديث أنس كلها صحاح يصدق بعضها بعضا ولا تتناقض والقنوت الذي ذكره قبل الركوع غير الذي ذكره بعده والذي وقته غير الذي أطلقه فالذي ذكره قبل الركوع هو اطالة القيام للقراءة الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت والذي ذكره بعده هو اطالة القيام للدعاء فعله شهرا يدعو على قوم ويدعو لقوم ثم استمر يطيل هذا الركن للدعاء والثناء الى ان فارق الدنيا كما في الصحيحين عن ثابت عن أنس قال اني لا أزال أصلي بكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا قال وكان أنس يصنع شيأ لا أراكم تصنعونه كان اذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائما حتى يقول القائل قد نسي واذا رفع رأسه من السجدة مكث حتى يقول القائل قد نسي فهذا هو القنوت الذي ما زال عليه حتى فارق الدنيا ومعلوم انه لم يكن يسكت في مثل هذا الوقوف الطويل بل كان يثني على ربه ويمجده ويدعوه وهذا غير القنوت الموقت بشهر فان ذلك دعاء على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ودعاء للمستضعفين الذين كانوا بمكة وأما تخصيص هذا بالفجر فبحسب سؤال السائل فانما ساله عن قنوت الفجر فاجابه عما سأله عنه وأيضا فانه كان يطيل صلاة الفجر دون سائر الصلوات ويقرأ فيها بالستين الى المائة وكان كما قال البراء بن عازب ركوعه واعتداله وسجوده وقيامه متقاربا وكان يظهر من تطويله بعد الركوع في صلاة الفجر ما لا يظهر في سائر الصلوات بذلك ومعلوم انه كان يدعو ربه ويثني عليه ويمجده في هذا الاعتدال كما تقدمت الاحاديث بذلك وهذا قنوت منه لا ريب فنحن لم نشك ولا نرتاب انه لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا ولما صار القنوت في لسان الفقهاء وأكثر الناس هو هذا الدعاء المعروف اللهم اهدني فيمن هديت الى آخره وسمعوا انه لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا وكذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة حملوا القنوت في لفظ الصحابة على القنوت في اصطلاحهم ونشأ من لا يعرف غير ذلك فلم يشك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا مداومين عليه كل غداة وهذا هو الذي نازعهم فيه جمهور العلماء وقالوا لم يكن هذا من فعله الراتب بل ولا يثبت عنه انه فعله وغاية ما روي عنه في هذا القنوت انه علمه للحسن بن علي كما في المسند والسنن الاربع عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت قال الترمذي حديث حسن ولا نعرف في القنوت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيأ أحسن من هذا وزاد البيهقي بعد ولا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ومما يدل على ان مراد أنس بالقنوت بعد الركوع هو القيام للدعاء والثناء ما رواه سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال حدثنا حنظلة امام مسجد قتادة قلت هو السدوسي قال اختلفت انا وقتادة في القنوت في صلاة الصبح فقال قتادة قبل الركوع وقلت أنا بعد الركوع فاتينا أنس بن مالك فذكرنا له ذلك فقال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر فكبر وركع ورفع رأسه ثم سجد ثم قام في الثانية فكبر وركع ثم رفع رأسه فقام ساعة ثم وقع ساجدا

الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة (حلف الفضول) (قال ابن هشام) وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله عن محمد بن اسحق قال تداعت قبائل من قريش الى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي انه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهاد الليثي ان محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي حدثه انه كان بين الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه فقال له حسين أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال حسين ما قال وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي وهذا

* قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهاد الليثي عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي قال قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف وكان محمد بن جبير أعلم قريش فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد

وهذا مثل حديث ثابت عنه سواء وهو يبين مراد أنس بالقنوت فانه ذكره دليلا لمن قال انه قنت بعد الركوع فهذا القيام والتطويل هو كان مراد أنس فاتفقت أحاديثه كلها وبالله التوفيق وأما المروى عن الصحابة فنوعان أحدهما قنوت عند النوازل كقنوت الصديق رضى الله عنه فى محاربة الصحابة لمسيلمة وعند محاربة أهل الكتاب وكذلك قنوت عمر وقنوت على عند محاربته لمعاوية وأهل الشام الثانى مطلق مراد من حكاه عنهم به تطويل هذا الركن للدعاء والثناء والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى سجود السهو ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وكان سهوه فى الصلاة من اتمام نعمة الله على أمته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذى فى الموطأ انما أنسى أو أنسى لابين وكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه أحكام شرعية تجرى على سهو أمته الى يوم القيامة فقام صلى الله عليه وسلم من اثنتين فى الرباعية ولم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين قبل السلام ثم سلم فأخذ من هذا قاعدة ان من ترك شيأ من أجزاء الصلاة التى ليست باركان سهوا سجد له قبل السلام وأخذ من بعض طرقه انه اذا ترك ذلك وشرع فى ركن لم يرجع الى المتروك لانه لما قام سبحوا فأشار اليهم ان قوموا واختلف عنه فى محل هذا السهو ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن بحينة انه صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من الظهر ولم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفى رواية متفق عليها يكبر فى كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وفى المسند من حديث يزيد بن هارون عن المسعودى عن زياد بن علاقة قال صلى بنا المغيرة بن شعبة فلما صلى ركعتين قام ولم يجلس فسبح به من خلفه فأشار اليهم ان قوموا فلما فرغ من صلاته سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم وقال هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الترمذى وذكر البيهقى من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال صلى بنا عقبة بن عامر الجهنى فقام وعليه جلوس فقال الناس سبحان الله سبحان الله فلم يجلس ومضى على قيامه فلما كان فى آخر صلاته سجد سجدتين وهو جالس فلما سلم قال انى سمعتكم آنفا تقولون سبحان الله لكيما اجلس لكن السنة التى صنعت وحديث عبد الله بن بحينة أولى لثلاثة وجوه * أحدها انه أصح من حديث المغيرة * الثانى انه أصرح منه فان قول المغيرة وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يجوز أن يرجع الى جميع ما فعل المغيرة ويكون قد سجد النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا السهو مرة قبل السلام ومرة بعده فحكى ابن بحينة ما شاهده وحكى المغيرة ما شاهده فيكون كلا الامرين جائزا ويجوز أن يريد المغيرة انه صلى الله عليه وسلم قام ولم يرجع ثم سجد للسهو * الثالث ان المغيرة لعله نسى السجود قبل السلام وسجد بعده وهذه صفة السهو وهذا لا يمكن أن يقال فى السجود قبل السلام والله أعلم

(فصل) وسلم صلى الله عليه وسلم من ركعتين فى احدى صلاتى العشى اما الظهر واما العصر ثم تكلم ثم أتمها ثم سلم ثم سجد سجدتين بعد السلام والكلام يكبر حين يسجد ثم يكبر حين يرفع ثم سلم ثم سجد سجدتين وذكر أبو داود والترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم وقال الترمذى حسن غريب وصلى يوما فسلم وانصرف وقد بقى من الصلاة ركعة فأدركه طلحة بن عبيد الله فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد وأمر بلالا فأقام الصلاة فصلى

الملك فلما دخل عليه قال له يا أبا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول قال أنت أعلم قال عبد الملك لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه قال صدقت * قال ابن اسحق فولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف وذلك ان عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة وكان مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا فكان فيما يزعمون اذا حضر الحج قام فى قريش فقال يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وانه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لابد لهم من الاقامة بها فانه والله لو كان مالى يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فيصنع به للحجاج طعام حتى يصدروا منها وكان هاشم فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وانما كان اسمه عمرا فما سمى هاشما الا بهشمه الخبز بمكة لقومه فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
(٢) قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما
سفر الشتاء ورحلة الاصياف

(قال ابن هشام) أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

قوم بمكة مسنتين عجاف

* قال ابن اسحق ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرا فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب ابن عبد مناف وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف فى قومه وفضل وكانت قريش انما تسميه الفيض لسماحته وفضله وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش (قال ابن هشام) ويقال الحريش بن جحجبى ابن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس فولدت له عمرو بن أحيحة وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا

(٢) فى نسخة ورجال مكة مسنتون عجاف

لها الى أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته (٢) شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ثم خرج اليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى لست بمرسلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى ان ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن (٧٦) أهل بيت شرف فى قومنا نلى كثيرا من أمرهم وقومه وبلده وعشيرته خير له من الاقامة فى غيرهم أو كما قال وقال شيبة لعمه المطلب فيما يزعمون لست بمفارقها الا أن تأذن لى فأذنت له ودفعته اليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه معه على بعيره فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه فبها سمى شيبة عبد المطلب فقال المطلب ويحكم انما هو ابن أخى هاشم قدمت به من المدينة ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن فقال رجل من العرب يبكيه

قد ظمئ الحجيج بعد المطلب
بعد الجفان والشراب المنثعب
ليت قريشا بعده على نصب

(وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف وكان نوفل آخرهم هلكا)

ياليلة هيجت ليلات
احدى ليالى القسيات
وما أقاسى من هموم وما
عالجت من رزء المنيات
اذا تذكرت أخى نوفلا
ذكرنى بالاوليات
ذكرنى بالازر الحمر والا
ردية الصفر القشيبات
أربعة كلهم سيد
أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسل
مان وميت بين غزات
وميت أسكن لحدا لدى ال
محجوب شرقى (٣) البنيات
أخلصهم عبد مناف فهم
من لوم من لام بنجات
ان المغيرات وأبناءها * من خير أحياء وأموات

وكان اسم عبد مناف المغيرة وكان أول بنى عبد مناف هلكا هاشم بغزة من أرض الشام ثم عبد شمس بمكة ثم المطلب بردمان من ناحية أرض اليمن ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق فقيل لمطرود فيما يزعمون

للناس ذكره الامام أحمد رحمه الله وصلى الظهر خمسا فقيل له زيد فى الصلاة قال وماذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعد ما سلم متفق عليه وصلى العصر ثلاثا ثم دخل منزله فذكره الناس فخرج فصلى بهم ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم * فهذا مجموع ما حفظ عنه صلى الله عليه وسلم من سهوه فى الصلاة وهو خمسة مواضع وقد تضمن سجوده فى بعضه قبل السلام وفى بعضه بعده فقال الشافعى رحمه الله كله قبل السلام وقال أبو حنيفة رضى الله عنه كله بعد السلام وقال مالك رضى الله عنه كل سهو كان نقصانا فى الصلاة فان سجوده قبل السلام وكل سهو كان زيادة فى الصلاة فان سجوده بعد السلام واذا اجتمع سهوان زيادة ونقصان فالسجود لهما قبل السلام قال أبو عمر بن عبد البر هذا مذهبه لاخلاف عنه فيه ولو سجد أحد عنده لسهوه بخلاف ذلك فجعل السجود كله بعد السلام أو كله قبل السلام لم يكن عليه شئ لانه عنده من باب قضاء القاضى باجتهاده لاختلاف الآثار المرفوعة والسلف من هذه الامة فى ذلك وأما الامام أحمد رضى الله عنه فقال الاثرم سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن سجود السهو قبل السلام أم بعده فقال فى مواضع قبل السلام وفى مواضع بعده كما صنع النبى صلى الله عليه وسلم حين سلم من اثنتين ثم سجد بعد السلام على حديث أبى هريرة فى قصة ذى اليدين ومن سلم من ثلاث سجد أيضا بعد السلام على حديث عمران بن حصين وفى التحرى يسجد بعد السلام على حديث ابن مسعود وفى القيام من اثنتين يسجد قبل السلام على حديث ابن بحينة وفى الشك يبنى على اليقين ويسجد قبل السلام على حديث أبى سعيد الخدرى وحديث عبد الرحمن بن عوف قال الاثرم فقلت لاحمد بن حنبل فما كان سوى هذه المواضع قال يسجد فيها كلها قبل السلام لانه يتم ما نقص من صلاته قال ولولا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لرأيت السجود كله قبل السلام لانه من شأن الصلاة فيقضيه قبل السلام ولكن أقول كل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سجد فيه بعد السلام فانه يسجد فيه بعد السلام وسائر السهو يسجد فيه قبل السلام وقال داود لا يسجد أحد للسهو الا فى الخمسة المواضع التى سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وأما الشك فلم يعرض له صلى الله عليه وسلم بل أمر فيه بالبناء على اليقين واسقاط الشك والسجود قبل السلام فقال الامام أحمد الشك على وجهين اليقين والتحرى فمن رجع الى اليقين ألغى الشك وسجد سجدتى السهو قبل السلام على حديث أبى سعيد الخدرى واذا رجع الى التحرى وهو أكثر الوهم سجد سجدتى السهو بعد السلام على حديث ابن مسعود الذى يرويه منصور انتهى * وأما حديث أبى سعيد فهو اذا شك أحد كم فى صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا أم أربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل ان يسلم وأما حديث ابن مسعود فهو اذا شك أحد كم فى صلاته فليتحر الصواب ثم ليسجد سجدتين متفق عليهما وفى لفظ الصحيحين ثم يسلم ثم يسجد سجدتين وهذا هو الذى قال الامام أحمد واذا رجع الى التحرى سجد بعد السلام والفرق عنده بين التحرى واليقين أن المصلى اذا كان اماما بنى على غالب ظنه وأكثر وهمه وهذا هو التحرى فيسجد له بعد السلام على حديث ابن مسعود وان كان منفردا بنى على اليقين وسجد قبل السلام على حديث أبى سعيد هذه طريقة أكثر أصحابه فى تحصيل ظاهر مذهبه وعنه روايتان أخريان احداهما انه يبنى على اليقين مطلقا وهو مذهب الشافعى ومالك والاخرى على غالب ظنه مطلقا وظاهر نصوصه انما يدل على الفرق بين الشك وبين الظن الغالب القوى فمع الشك يبنى على اليقين ومع أكثر الوهم أو الظن الغالب

(٢) قوله شيبة قال الطبرى سمى شيبة لشيبة كانت فى رأسه ويكنى بابى الحرث أكبر ولده (٣) قوله البنيات أى الكعبة

يتحرى وعلى هذا مدار أجوبته وعلى الحالين حمل الحديثين والله أعلم وقال أبو حنيفة رحمه الله في الشك اذا كان أول ما عرض له استأنف الصلاة فان عرض له كثيرا فان كان له ظن غالب بنى عليه وان لم يكن له ظن بنى على اليقين

(فصل) ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تغميض عينيه في الصلاة وقد تقدم انه كان في التشهد يومئ ببصره الى أصبعه في الدعاء ولا يجاوز بصره اشارته ذكره البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اميطي عني قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي ولو كان يغمض عينيه في صلاته لما عرضت له في صلاته وفي الاستدلال بهذا الحديث نظر لان الذي كان يعرض له في صلاته هل هو تذكر تلك التصاوير بعد رؤيتها أو نفس رؤيتها هذا محتمل وأبين دلالة منه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خميصة لها اعلام فنظر الى اعلامها نظرة فلما انصرف قال اذهبوا بخميصتي هذه الى أبي جهم وأتوني بانجانية أبي جهم فانها ألهتني آنفا عن صلاتي وفي الاستدلال بهذا أيضا ما فيه اذ غايته انه حانت منه التفاتة اليها فشغلته بتلك الالتفاتة ولا يدل حديث التفاته الى الشعب لما أرسل اليه الفارس طليعة لان ذلك النظر والالتفات منه كان للحاجة لاهتمامه بامور الجيش وقد يدل على ذلك مده يده في صلاة الكسوف ليتناول العنقود لما رأى الجنة وكذلك رؤيته النار وصاحبة الهرة فيها وصاحب المحجن وكذلك حديث مدافعته للبهيمة التي أرادت ان تمر بين يديه ورده الغلام والجارية وحجزه بين الجاريتين وكذلك أحاديث رد السلام بالاشارة على من سلم عليه وهو في الصلاة فانه انما كان يشير الى من يراه وكذلك حديث تعرض الشيطان له فاخذه فخنقه وكان ذلك رؤية عين فهذه الاحاديث وغيرها يستفاد من مجموعها العلم بانه لم يكن يغمض عينيه في الصلاة * وقد اختلف الفقهاء في كراهته فكرهه الامام أحمد وغيره وقالوا هو فعل اليهود وأباحه جماعة ولم يكرهوه وقالوا قد يكون أقرب الى تحصيل الخشوع الذي هو روح الصلاة وسرها ومقصودها والصواب أن يقال ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو أفضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوش عليه قلبه فهنالك لا يكره التغميض قطعا والقول باستحبابه في هذا الحال أقرب الى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة والله أعلم

(فصل) فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة الانتقال منها وما شرعه لامته من الاذكار والقراءة بعدها كان اذا سلم استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك بل يسرع الانتقال الى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره وقال ابن مسعود رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره وقال أنس أكثر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وقال عبد الله بن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفتل عن يمينه وعن يساره في الصلاة ثم كان يقبل على المأمومين بوجهه ولا يخص ناحية منهم دون ناحية وكان اذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس وكان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول لا اله الا

لقد قلت فاحسنت ولو كان أقل مما قلت كان أحسن فقال أنظرني ليالي فمكث أياما ثم قال   ياعين جودي وأذري الدمع وانهمري *
وابكي على السر من كعب المغيرات   ياعين واسحنفري بالدمع واحتفلي * وابكي خبيئة نفسي في الملمات   وابكي على كل فياض أخي ثقة *
ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات   محض (١) الضريبة عالي الهم مختلق * جلد النحيزة ناب (٧٧) بالعظيمات   صعب البديهة لا نكس ولا وكل *
ماض العزيمة متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب اذا نسبوا
بحبوحة المجد والشم الرفيعات
ثم اندبي الفيض والفياض مطلبا
واستخرطي بعد فيضات بجمات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا
يالهف نفسي عليه بين أموات
وابكي لك الويل أما كنت باكية
لعبد شمس بشرقي (٢) الثنيات
وهاشم في ضريح وسط بلقعة
تسفي الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصتي
أمسى بسلمان في رمس بموماة
لم ألق مثلهم عجما ولا عربا
اذا استقلت بهم أدم المطيات
أمست ديارهم منهم معطلة
وقد يكونون زينا في السريات
أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم
أم كل من عاش أزواد المنيات
أصبحت أرضى من الاقوام بعدهم
بسط الوجوه والقاء التحيات
ياعين فابكي أبا الشعث الشجيات
يبكينه حسرا مثل (٣) البليات
يبكين أكرم من يمشي على قدم
يعولنه بدموع بعد عبرات
يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر
آبي الهضيمة فراج الجليلات
يبكين عمرو العلا اذ حان مصرعه
سمح السجية بسام العشيات
يبكينه مستكينات على حزن
يا طول ذلك من حزن وعولات
يبكين لما جلاهن الزمان له
خضر الخدود كامثال (٤) الحميات
محتزمات على أوساطهن لما

(١) قوله الضريبة أي الطبيعة وقوله مختلق بفتح اللام أي تام الخلق   (٢) في نسخة البنيات
(٣) قوله البليات جمع بلية وهي الناقة يموت ربها فتشد عند قبره حتى تموت كانوا يقولون صاحبها يحشر عليها اه قاموس
(٤) قوله الحميات كتب عليه صوابه الحميتات يعني أن خدودهن من كثرة اللطم قد اسودت حتى صارت مثل الحميت والحميت الزق

الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ولا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وذكر أبو داود عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من الصلاة قال اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت هذه قطعة من حديث على الطويل الذى رواه مسلم فى استفتاحه عليه الصلاة والسلام وما كان يقوله فى ركوعه وسجوده ولمسلم فيه لفظان أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوله بين التشهد والتسليم وهذا هو الصواب والثانى كان يقوله بعد السلام ولعله كان يقوله فى الموضعين والله أعلم وذكر الامام أحمد عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه أنا شهيد انك الرب وحدك لاشريك لك اللهم ربنا ورب كل شئ أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شئ أنا شهيد أن العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شئ اجعلنى مخلصا لك وأهلى فى كل ساعة من الدنيا والآخرة ياذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله أكبر الله الاكبر الله نور السموات والارض الله أكبر الاكبر حسبى الله ونعم الوكيل الله أكبر الاكبر رواه أبو داود وندب أمته الى أن يقولوا فى دبر كل صلاة سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله كذلك والله أكبر كذلك وتمام المائة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفى صفة أخرى التكبير أربعا وثلاثين فتتم به المائة وفى صفة أخرى خمسا وعشرين تسبيحا ومثلها تحميدا ومثلها تكبيرا ومثلها لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفى صفة أخرى عشر تسبيحات وعشر تحميدات وعشر تكبيرات وفى صفة أخرى احدى عشرة كما فى صحيح مسلم فى بعض روايات حديث أبى هريرة ويسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين احدى عشرة واحدى عشرة واحدى عشرة فذلك ثلاثة وثلاثون والذى يظهر فى هذه الصفة أنها من تصرف بعض الرواة وتفسيره لان لفظ الحديث يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وانما مراده بهذا أن يكون الثلاث والثلاثون فى كل واحدة من كلمات التسبيح والتحميد والتكبير أى قولوا سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين لان راوى الحديث موسى عن أبى صالح وبذلك فسره أبو صالح قال قولوا سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين وأما تخصيصه باحدى عشرة فلا نظير له فى شئ من الاذكار بخلاف المائة فان لها نظائر والعشر لها نظائر أيضا كما فى السنن من حديث أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال فى دبر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك فى حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه فى ذلك اليوم الا الشرك بالله قال الترمذى حديث صحيح وفى مسند الامام أحمد من حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم علمه ابنته فاطمة لما جاءت تسأله الخادم فامرها أن تسبح الله عند النوم ثلاثا وثلاثين وتحمده ثلاثا وثلاثين وتكبره ثلاثا وثلاثين واذا صلت الصبح أن تقول لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات وبعد صلاة المغرب عشر مرات وفى صحيح ابن حبان عن أبى أيوب

الانصارى

حو الزمان من احداث المصيبات أبيت ليلى أراعى النجم من ألم * أبكى وتبكى مع شجوى بنياتى ما فى القروم لهم عدل ولا خطر * ولا لمن تركوا شروى بقيات أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم * خير النفوس لدى جهد الاليات كم وهبوا من طمر سابح أرن * ومن طمرة نهب فى طمرات ومن سيوف من الهند مخلصة (٧٨) * ومن رماح كأشطان الركيات ومن توابع مما يفضلون بها * عند المسائل من بذل العطيات

فلو حسبت وأحصى الحاسبون معى
لم أقض أفعالهم تلك الهنيات
هم المدلون اما معشر فخروا
عند الفخار بانساب نقيات
زين البيوت التى حلوا مساكنها
فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقا مدامعها
لا يبعد الله أصحاب الرزيات

(قال ابن هشام) الفجر العطاء قال أبو خراش الهذلى

عجف أضيافى جميل بن معمر
بذى فجر تأوى اليه الارامل

* قال ابن اسحق أبو الشعث الشجيات هاشم بن عبد مناف قال ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم

(ذكر حفر زمزم)

ثم ان عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر اذ أتى فأمر بحفر زمزم * قال ابن اسحق وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زرير الغافقى انه سمع على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال قال عبد المطلب انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة قال فقلت وما برة قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر المضنونة قال فقلت وما المضنونة قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل

* قال ابن اسحق فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر فعرفت قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم فقالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال نعم قال وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز قال فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال فاني أرى ان يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا قالوا نعم ما أمرت به فقام كل رجل منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه والله ان القاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الارض ولا نبتغي لانفسنا لعجز فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك

الانصاري يرفعه من قال اذا أصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب له بهن عشر حسنات ومحي عنه بهن عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات وكن له عدل عتاقة أربع رقاب وكن له حرزا من الشيطان حتى يمسي ومن قالهن اذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يصبح وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم في الاستفتاح الله أكبر عشرا والحمد لله عشرا وسبحان الله عشرا ولا اله الا الله عشرا ويستغفر الله عشرا ويقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني عشرا ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة عشرا فالعشر في الاذكار والدعوات كثيرة وأما الاحدى عشرة فلم يجئ ذكرها في شئ من ذلك ألبتة الا في بعض طرق حديث أبي هريرة المتقدم والله أعلم وقد ذكر أبو حاتم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند انصرافه من صلاته اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من نقمتك وأعوذ بك منك لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وذكر الحاكم في مستدركه عن أبي أيوب أنه قال ما صليت وراء نبيكم صلى الله عليه وسلم الا سمعته حين ينصرف من صلاته يقول اللهم اغفر لي خطاي وذنوبي كلها اللهم ابعثني وأحيني وارزقني واهدني لصالح الاعمال والاخلاق انه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها الا أنت وذكر ابن حبان في صحيحه عن الحارث بن مسلم التميمي قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك ان مت من يومك كتب الله لك جوارا من النار واذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك ان مت من ليلتك كتب الله لك جوارا من النار وقد ذكر النسائي في الكبير من حديث أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت وهذا الحديث تفرد به محمد بن حمير عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي أمامة ورواه النسائي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حمير وهذا الحديث من الناس من يصححه ويقول الحسين بن بشر قد قال فيه النسائي لا بأس به وفي موضع آخر ثقة وأما المحمدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه قالوا فالحديث على رسمه ومنهم من يقول هو موضوع وأدخله أبو الفرج بن الجوزي في كتابه في الموضوعات وتعلق على محمد بن حمير وان أبا حاتم الرازي قال لا يحتج به وقال يعقوب بن سفيان ليس بقوي وأنكر ذلك عليه بعض الحفاظ ووثقوا محمدا وقال هو أجل من أن يكون له حديث موضوع وقد احتج به أجل من صنف في الحديث الصحيح وهو البخاري ووثقه أشد الناس مقالة في الرجال يحيى بن معين وقد رواه الطبراني في معجمه أيضا من حديث عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله الى الصلاة الاخرى وقد روى هذا الحديث من حديث أبي أمامة وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر والمغيرة بن شعبة وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وفيها كلها ضعف ولكن اذا انضم بعضها الى بعض مع تباين طرقها واختلاف مخارجها دلت على أن الحديث له أصل وليس بموضوع وبلغني عن شيخنا أبي العباس بن تيمية قدس الله روحه أنه قال ما تركتها عقيب كل صلاة وفي المسند والسنن عن عقبة ابن عامر قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولفظ الترمذي بالمعوذتين وفي

زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع وتبعوا وأمعنوا ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه و بينها * قال ابن اسحق فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم * وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب انه قيل له حين أمر بحفر زمزم

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر * يسقى (٨٠) حجيج الله فى كل مبر * ليس يخاف منه شئ ما عمر فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا انى قد أمرت ان أحفر لكم زمزم فقالوا فهل بين لك أين هى قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فان يك حقا من الله يبين لك وان يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتى فقيل له احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم وهى تراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم يكون ميراثا وعقدا محكم ليست كبعض ما قد تعلم وهى بين الفرث والدم (قال ابن هشام) هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث على فى حفر زمزم من قوله لا تنزف أبدا ولا تذم الى قوله عند قرية النمل عندنا سجع وليس شعرا * قال ابن اسحق فزعموا انه حين قيل له ذلك قال وأين هى قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا والله أعلم أى ذلك كان * فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل و وجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش حين رأوا جده فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحرث ذد عنى حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا انه غير نازع خلوا بينه و بين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر وعرف انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة و وجد فيها أسيافا قلعية وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم الى أمر نصف بينى و بينكم

معجم الطبرانى ومسند أبى يعلى الموصلى من حديث عمر بن نبهان وقد تكلم فيه عن جابر يرفعه ثلاث من جاء بهن مع الايمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد فقال أبو بكر رضى الله عنه أو احداهن يا رسول الله قال أو احداهن وأوصى معاذا أن يقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام و بعده وكان شيخنا يرجح أن يكون قبل السلام فراجعته فيه فقال دبر كل شئ منه كدبر الحيوان

(فصل) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الى الجدار جعل بينه و بينه قدر ممر الشاة ولم يكن يتباعد منه بل أمر بالقرب من السترة وكان اذا صلى الى عود أو عمود أو شجرة جعله على حاجبه الايمن أو الايسر ولم يصمد له صمدا وكان يركز الحربة فى السفر والبرية فيصلى اليها فتكون سترته وكان يعرض راحلته فيصلى اليها وكان يأخذ الرحل فيعدله فيصلى الى آخرته وأمر المصلى أن يستتر ولو بسهم أو عصا فان لم يجد فليخط خطا فى الارض قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول الخط عرضا مثل الهلال وقال عبد الله الخط بالطول وأما العصا فتنصب نصبا فان لم يكن سترة فانه صح عنه أنه يقطع صلاته المرأة والحمار والكلب الاسود وثبت ذلك عنه من رواية أبى ذر وأبى هريرة وابن عباس وعبد الله بن مغفل ومعارض هذه الاحاديث قسمان صحيح غير صريح وصريح غير صحيح فلا يترك لمعارض هذا شأنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وعائشة رضى الله عنها نائمة فى قبلته وكان ذلك ليس كالمار فان الرجل محرم عليه المرور بين يدى المصلى ولا يكره له أن يكون لابثا بين يديه وهكذا المرأة يقطع مرورها الصلاة دون لبثها والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى السنن الرواتب) كان صلى الله عليه وسلم يحافظ على عشر ركعات فى الحضر دائما وهى التى قال فيها ابن عمر حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ركعتين قبل الظهر و ركعتين بعدها و ركعتين بعد المغرب فى بيته و ركعتين بعد العشاء فى بيته و ركعتين قبل صلاة الصبح فهذه لم يكن يدعها فى الحضر أبدا ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاهما بعد العصر وداوم عليهما لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقضاء السنن الرواتب فى أوقات النهى عام له ولامته وأما المداومة على تلك الركعتين فى وقت النهى فمختص به كما سيأتى تقرير ذلك فى ذكر خصائصه ان شاء الله تعالى وكان يصلى أحيانا قبل الظهر أربعا كما فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر و ركعتين قبل الغداة فاما أن يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى فى بيته صلى أربعا واذا صلى فى المسجد صلى ركعتين وهذا أظهر واما أن يقال كان يفعل هذا و يفعل هذا فحكى كل من عائشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا يطعن فى واحد منهما وقد يقال ان هذه الاربع لم تكن سنة الظهر بل هى صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال كما ذكره الامام أحمد عن عبد الله بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى أربعا بعد أن تزول الشمس وقال انها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لى فيها عمل صالح وفى السنن أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل أربعا قبل الظهر صلاهن بعدها وقال ابن ماجه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الاربع قبل الظهر صلاها بعد الركعتين بعد العصر وفى الترمذى عن على بن أبى طالب رضى

الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أربعا قبل الظهر وبعدها ركعتين وذكر ابن ماجه أيضا عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أربعا قبل الظهر يطيل فيهن القيام ويحسن فيهن الركوع والسجود فهذه والله أعلم هي الأربع التي أرادت عائشة أنه كان لا يدعهن وأما سنة الظهر فالركعتان اللتان قال عبد الله بن عمر يوضح ذلك أن سائر الصلوات سنتها ركعتان ركعتان والفجر مع كونها ركعتين والناس في وقتها أفرغ ما يكونون ومع هذا سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الأربع التي قبل الظهر وردا مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وكان عبد الله بن مسعود يصلي بعد الزوال ثمان ركعات ويقول إنهن يعدلن بمثلهن من قيام الليل وسر هذا والله أعلم أن انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وأبواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا يفتح فيه أبواب السماء وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بني له بهن بيت في الجنة وزاد النسائي والترمذي فيه أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الفجر قال النسائي وركعتين قبل العصر بدل وركعتين بعد العشاء وصححه الترمذي وذكر ابن ماجه عن عائشة ترفعه من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتا في الجنة أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر وذكر أيضا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ركعتين قبل الفجر وركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين أظنه قال قبل العصر وركعتين بعد المغرب أظنه قال وركعتين بعد العشاء الآخرة وهذا التفسير يحتمل أن يكون من كلام بعض الرواة مدرجا في الحديث ويحتمل أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا والله أعلم * وأما الأربع قبل العصر فلم يصح عنه عليه السلام في فعلها شيء إلا حديث عاصم بن ضمرة عن علي الحديث الطويل أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي في النهار ست عشرة ركعة يصلي إذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا لصلاة الظهر أربع ركعات وكان يصلي قبل الظهر أربع ركعات وبعد الظهر ركعتين وقبل العصر أربع ركعات وفي لفظ كان إذا زالت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند العصر صلى ركعتين وإذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند الظهر صلى أربعا ويصلي قبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا ويفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المؤمنين والمرسلين وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ينكر هذا الحديث ويدفعه جدا ويقول إنه موضوع ويذكر عن أبي إسحق الجوزجاني إنكاره وقد روى أحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا * وقد اختلف في هذا الحديث فصححه ابن حبان وعلله غيره قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول سألت أبا الوليد الطيالسي عن حديث محمد بن مسلم بن المثنى عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا فقال دع ذا فقلت إن أبا داود قد رواه فقال أبو الوليد كان ابن عمر يقول حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم عشر ركعات في اليوم والليلة فلو كان هذا لعده قال أبي كان يقول حفظت ثنتي عشرة ركعة وهذا ليس بعلة أصلا فإن ابن عمر إنما أخبر بما حفظه عن

تضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل وهبل صنم في جوف الكعبة وهو أعظم أصنامهم وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال أعل هبل أي أظهر دينك وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل فضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون * ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج (قال ابن هشام) وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق قال حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف * وحفر هاشم بن عبد مناف بذر وهي البئر التي عند المستنذر خطم الخندمة على فم شعب أبي طالب وزعموا أنه قال حين حفرها لأجعلنها بلاغا للناس (قال ابن هشام) وقال الشاعر

سقى الله أمواها عرفت مكانها
جرابا وملكوما وبذر والغمرا

* قال ابن إسحق وحفر سجلة وهي بئر المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف التي يسقون عليها اليوم ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار * وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه * وحفرت بنو أسد بن عبد العزى سقية وهي بئر بني أسد * وحفرت بنو عبد الدار أم أحراد * وحفرت بنو جمح السنبلة وهي بئر خلف بن وهب * وحفرت بنو سهم الغمر وهي بئر بني سهم وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب وكلاب بن مرة وكبراء قريش الأوائل منها يشربون وهي رم ورم بئر مرة بن

كعب بن لؤي * وخم وخم بئر بني كلاب بن مرة * والحفر قال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي قال ابن هشام وهو أبو أبي جهم ابن حذيفة

وقدما غنينا قبل ذلك حقبة * ولا نستقي الا بخم أو الحفر

(قال ابن هشام) وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها ان شاء الله في موضعها * قال ابن اسحق فعفت زمزم (٨٣) على المياه التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولانها بئر اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب * فقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة وما أقاموا للناس من ذلك وبزمزم حين ظهرت لهم وانما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل

ورثنا المجد من آبا ... ئنا فنمى بنا صعدا
ألم نسق الحجيج ونن ... حر الدلاقة الرفدا
ونلقى عند تصريف الـ ... ـمنايا شددا رفدا
فان نهلك فلم نملك ... ومن ذا خالد أبدا
وزمزم في أرومتنا ... ونفقأ عين من حسدا

(قال ابن هشام) وهذه الابيات في قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي

وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام فأصبحت ... سقايته فخرا على كل ذي فخر

(قال ابن هشام) يعني عبد المطلب بن هاشم وهذان البيتان في قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يزعمون والله أعلم قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني

فعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر عن غير ذلك فلا تنافي بين الحديثين البتة * وأما الركعتان قبل المغرب فانه لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يصليهما وصح عنه انه أقر أصحابه عليهما وكان يراهم يصلونهما فلم يأمرهم ولم ينههم وفي الصحيحين عن عبد الله المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلوا قبل المغرب قال في الثالثة لمن شاء كراهة أن يتخذها الناس سنة وهذا هو الصواب في هاتين الركعتين انهما مستحبتان مندوب اليهما وليستا بسنة راتبة كسائر السنن الرواتب وكان يصلي عامة السنن والتطوع الذي لا سبب له في بيته لا سيما سنة المغرب فانه لم ينقل عنه انه فعلها في المسجد البتة وقال الامام أحمد في رواية حنبل السنة أن يصلي الرجل الركعتين بعد المغرب في بيته كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال السائب بن يزيد لقد رأيت الناس في زمن عمر بن الخطاب اذا انصرفوا من المغرب انصرفوا جميعا حتى لا يبقى في المسجد أحد كأنهم لا يصلون بعد المغرب حتى يصيروا الى أهليهم انتهى كلامه فان صلى الركعتين في المسجد فهل يجزئ عنه وتقع موقعها اختلف قوله فروى عنه ابنه عبد الله انه قال بلغني عن رجل سماه انه قال لو أن رجلا صلى الركعتين بعد المغرب في المسجد ما أجزأه فقال ما أحسن ما قال هذا الرجل وما أجود ما انتزع قال أبو حفص ووجهه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة في البيوت وقال المروزي من صلى ركعتين بعد المغرب في المسجد يكون عاصيا قال ما أعرف هذا قلت له يحكى عن أبي ثور انه قال هو عاص قال لعله ذهب الى قول النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في بيوتكم قال أبو حفص ووجهه انه لو صلى الفرض في البيت وترك المسجد أجزأه فكذلك السنة انتهى كلامه وليس هذا وجهه عند أحمد رحمه الله وانما وجهه ان السنن لا يشترط لها مكان معين ولا جماعة فيجوز فعلها في البيت والمسجد والله أعلم وفي سنة المغرب سنتان احداهما انه لا يفصل بينها وبين المغرب بكلام قال أحمد رحمه الله في رواية الميموني والمروزي يستحب أن لا يكون قبل الركعتين بعد المغرب الى أن يصليهما كلام وقال الحسن بن محمد رأيت أحمد اذا سلم من صلاة المغرب قام ولم يتكلم ولم يركع في المسجد قبل أن يدخل الدار قال أبو حفص ووجهه قول مكحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عليين ولانه يتصل النفل بالفرض انتهى كلامه والسنة الثانية أن تفعل في البيت فقد روى النسائي وأبو داود والترمذي من حديث كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بني عبد الاشهل فصلى فيه المغرب فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها فقال هذه صلاة البيوت رواه ابن ماجه من حديث رافع بن خديج وقال فيه اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم * والمقصود ان هدي النبي صلى الله عليه وسلم فعل عامة السنن والتطوع في بيته كما في الصحيح عن ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل صلاة الصبح وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في بيتي أربعا قبل الظهر ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذلك المحفوظ عنه في سنة الفجر انما كان يصليها في بيته كما قالت حفصة وفي الصحيحين عن حفصة وابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الجمعة في بيته وسيأتي الكلام على ذكر سنة الجمعة بعدها والصلاة قبلها عند ذكر هديه في الجمعة ان شاء الله تعالى وهو

موافق

ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه العقل اذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فان خرج العقل فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم للامر اذا أرادوه يضرب به فى القداح فان خرج قدح نعم عملوا به وقدح فيه لا اذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به الى هبل ومائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا الهنا هذا فلان بن فلان قد اردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فان خرج عليه منكم كان منهم وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وان خرج فيه شئ مما سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون فى امورهم الى ذلك مما خرجت به القداح فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه واخبره بنذره الذى نذر فاعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر (قال ابن هشام) عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان عبد الله فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب اليه وكان عبد المطلب يرى ان السهم اذا أخطأه فقد أشوى وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله فاخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة بيده ثم أقبل به الى

موافق لقوله صلى الله عليه وسلم أيها الناس صلوا فى بيوتكم فان أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة وكان هدى النبى صلى الله عليه وسلم فعل السنن والتطوع فى البيت الا لعارض كما ان هديه كان فعل الفرائض فى المسجد الا لعارض من سفر أو مرض أو غيره مما يمنعه من المسجد وكان تعاهده ومحافظته على سنة الفجر أشد من جميع النوافل ولذلك لم يكن يدعها هى والوتر سفرا وحضرا وكان فى السفر يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن ولم ينقل عنه فى السفر انه صلى الله عليه وسلم صلى سنة راتبة غيرهما ولذلك كان ابن عمر لا يزيد على ركعتين ويقول سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فكانوا لا يزيدون فى السفر على ركعتين وهذا وان احتمل انهم لم يكونوا يربعون الا انهم لم يصلوا السنة لكن قد ثبت عن ابن عمر انه سئل عن سنة الظهر فى السفر فقال لو كنت مسبحا لاتممت وهذا من فقهه رضى الله عنه فان الله سبحانه وتعالى خفف عن المسافر فى الرباعية شطرها فلو شرع له الركعتان قبلها أو بعدها لكان الاتمام أولى به وقد اختلف الفقهاء أى الصلاتين آكد سنة الفجر أو الوتر على قولين ولا يمكن الترجيح باختلاف الفقهاء فى وجوب الوتر فقد اختلفوا أيضا فى وجوب سنة الفجر وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول سنة الفجر تجرى مجرى بداية العمل والوتر خاتمته ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى سنة الفجر والوتر بسورتى الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد والقصد انتهى فسورة الاخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من الاحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذى لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ونفى الولد والوالد الذى هو من لوازم الصمدية وغناه وأحديته ونفى الكفؤ المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل والتنظير فتضمنت هذه السورة اثبات كل كمال له ونفى كل نقص عنه ونفى اثبات شبيه أو مثيل له فى كماله ونفى مطلق الشريك عنه وهذه الاصول هى مجامع التوحيد العلمى الاعتقادى الذى يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان القرآن مداره على الخبر والانشاء والانشاء ثلاثة أمر ونهى واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمى كما خلصت سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك العملى الارادى القصدى ولما كان العلم قبل العمل وهو امامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله كانت سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والاحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن والحديث بذلك فى الترمذى من رواية ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولما كان الشرك العملى الارادى أغلب على النفوس لاجل متابعتها هواها وكثير منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه لما لها فيه من نيل الاغراض وازالته وقلعه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلمى وازالته لان هذا يزول بالعلم والحجة ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشئ على غير ما هو عليه بخلاف شرك الارادة والقصد فان صاحبه يرتكب ما يدله العلم على بطلانه وضرره لاجل غلبة هواه واستيلاء سلطان

الشهوة والغضب على نفسه فجاء من التأكيد والتكرار في سورة قل يا أيها الكافرون المتضمنة لازالة الشرك العملي ما لم يجئ مثله في سورة قل هو الله أحد ولما كان القرآن شطرين شطرا في الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها والامور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها وشطرا في الآخرة وما يقع فيها وكانت سورة اذا زلزلت قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر فلم يذكر فيها الا الآخرة وما يكون فيها من أحوال الارض وسكانها كانت تعدل نصف القرآن فأحرى بهذا الحديث أن يكون صحيحا والله أعلم ولهذا كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف ولأنهما سورتا الاخلاص والتوحيد كان يفتتح بهما عمل النهار ويختمه بهما ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يضطجع بعد سنة الفجر على شقه الايمن هذا الذي ثبت عنه في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه الايمن قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وسمعت ابن تيمية يقول هذا باطل وليس بصحيح وانما الصحيح عنه الفعل لا الامر بها والامر تفرد به عبد الواحد بن زياد وغلط فيه وأما ابن حزم ومن تابعه فانهم يوجبون هذه الضجعة ويبطل ابن حزم صلاة من لم يضطجعها بهذا الحديث وهذا مما تفرد به عن الامة ورأيت مجلدا لبعض أصحابه قد نصر فيه هذا المذهب وقد ذكر عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن أبا موسى ورافع بن خديج وأنس بن مالك رضي الله عنهم كانوا يضطجعون بعد ركعتي الفجر ويأمرون بذلك وذكر عن معمر عن أيوب عن نافع أن ابن عمر كان لا يفعله ويقول كفانا التسليم وذكر عن ابن جريج أخبرني من أصدق أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يضطجع لسنة ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح قال وكان ابن عمر يحصبهم اذا رآهم يضطجعون على أيمانهم وذكر ابن أبي شيبة عن أبي الصديق الناجي أن ابن عمر رأى قوما اضطجعوا بعد ركعتي الفجر فأرسل اليهم فنهاهم فقالوا نريد بذلك السنة فقال ابن عمر ارجع اليهم وأخبرهم أنها بدعة وقال أبو مجلز سألت ابن عمر عنها فقال يلعب بكم الشيطان قال ابن عمر رضي الله عنه ما بال الرجل اذا صلى الركعتين يفعل كما يفعل الحمار اذا تمعك وقد غلا في هذه الضجعة طائفتان وتوسط فيها طائفة ثالثة فأوجبها جماعة من أهل الظاهر وأبطلوا الصلاة بتركها كابن حزم ومن وافقه وكرهها جماعة من الفقهاء وسموها بدعة وتوسط فيها مالك وغيره فلم يروا بها بأسا لمن فعلها راحة وكرهوها لمن فعلها استنانا واستحبها طائفة على الاطلاق سواء استراح بها أم لا واحتجوا بحديث أبي هريرة والذين كرهوها منهم من احتج بآثار الصحابة كابن عمر وغيره حيث كان يحصب من فعلها ومنهم من أنكر فعل النبي صلى الله عليه وسلم لها وقال الصحيح ان اضطجاعه كان بعد الوتر وقبل ركعتي الفجر كما هو مصرح به في حديث ابن عباس قال وأما حديث عائشة فاختلف على ابن شهاب فيه فقال مالك عنه فاذا فرغ يعني من قيام الليل اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين وهذا صريح أن الضجعة قبل سنة الفجر وقال غيره عن ابن شهاب فاذا سكت المؤذن من أذان الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن قالوا واذا اختلف أصحاب ابن شهاب فالقول ما قاله مالك لانه أثبتهم فيه وأحفظهم وقال الآخرون بل الصواب في هذا مع من خالف مالكا وقال أبو بكر الخطيب روى مالك عن الزهري عن

عروة

أساف ونائلة ليذبحه فقامت اليه قريش من أنديتها فقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة وكان عبد الله ابن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق الى الحجاز فان به عرافة لها تابع فسلها وأنت على رأس أمرك ان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاؤها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم فان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ثلاثين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل أربعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ستين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل سبعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح

على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل
فبلغت الابل تسعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل مائة وقام عبد المطلب
يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا ان عبد المطلب قال

عروة عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل احدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة فاذا فرغ منها اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين وخالف مالكا عقيل ويونس وشعيب وابن أبي ذئب والاوزاعي وغيرهم فرووا عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع الركعتين للفجر ثم يضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن فيخرج معه فذكر مالك أن اضطجاعه كان قبل ركعتي الفجر وفي حديث الجماعة أنه اضطجع بعدهما فحكم العلماء أن مالكا أخطأ وأصاب غيره انتهى كلامه وقال أبو طالب قلت لاحمد حدثنا أبو الصلت عن أبي كريب عن أبي سهيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اضطجع بعد ركعتي الفجر قال شعبة لا يرفعه قلت فان لم يضطجع عليه شيء قال لا عائشة ترويه وابن عمر ينكره قال الخلال وأنبأنا المروزي أن أبا عبد الله قال حديث أبي هريرة ليس بذاك قلت ان الاعمش يحدث به عن أبي صالح عن أبي هريرة قال عبد الواحد وحده يحدث به وقال ابراهيم بن الحارث ان أبا عبد الله سئل عن الاضطجاع بعد ركعتي الفجر قال ما أفعله وان فعله رجل فحسن انتهى فلو كان حديث عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن أبي صالح صحيحا عنده لكان أقل درجاته عنده الاستحباب وقد يقال ان عائشة رضي الله عنها روت هذا وروت هذا فكان يفعل هذا تارة وهذا تارة فليس في ذلك خلاف فانه من المباح والله أعلم وفي اضطجاعه على شقه الايمن سر وهو ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجنب الايسر استثقل نوما لانه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على شقه الايمن فانه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه ولهذا استحب الاطباء النوم على الجانب الايسر لكمال الراحة وطيب المنام وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الايمن لئلا يثقل في نومه فينام عن قيام الليل فالنوم على الجانب الايمن أنفع للقلب وعلى الجانب الايسر أنفع للبدن والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في قيام الليل) وقد اختلف السلف والخلف في أنه هل كان فرضا عليه أم لا والطائفتان احتجوا بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قالوا فهذا صريح في عدم الوجوب قال الآخرون أمره بالتهجد في هذه السورة كما أمره في قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ولم يجئ ما ينسخه عنه وأما قوله تعالى نافلة لك فلو كان المراد به التطوع لم يخصه بكونه نافلة له وانما المراد بالنافلة الزيادة ومطلق الزيادة لا يدل على التطوع قال تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة أي زيادة على الولد وكذلك النافلة في تهجد النبي صلى الله عليه وسلم زيادة في درجاته وفي أجره ولهذا خصه بها فان قيام الليل في حق غيره مباح ومكفر للسيآت وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو يعمل في زيادة الدرجات وعلو المراتب وغيره يعمل في التكفير قال مجاهد انما كان نافلة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت طاعته نافلة أي زيادة في الثواب ولغيره كفارة لذنوبه قال ابن المنذر في تفسيره حدثنا علي بن أبي عبيد حدثنا الحجاج عن ابن جريج عن أبي كثير عن مجاهد قال ما سوى المكتوبة فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل في كفارة الذنوب وليست للناس نوافل انما هي للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة والناس جميعا يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها حدثنا محمد حدثنا نصر حدثنا عبد الله حدثنا عمرو عن سعيد وقبيصة عن سفيان عن أبي عثمان عن الحسن في قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال

لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع (قال ابن هشام) ويقال انسان ولا سبع (قال ابن هشام) وبين اضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن احد من أهل العلم بالشعر * قال ابن اسحق ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة ابنة وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا وهي لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن
قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وبرة لام حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب بن فهر وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر فزعموا انه دخل عليها حين أملكها مكانه
فوقع عليها (فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين علي اليوم

ما كنت عرضت على بالامس قالت له فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس لى بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن
نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب انه كائن فى هذه الامة نبى * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار أنه حدث ان عبد الله انما دخل
على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد (٨٦) عمل فى طين له وبه آثار من الطين فدعاها الى نفسه فابطأت عليه لما رأت به من أثر الطين فخرج
من عنده فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ثم خرج عامدا الى آمنة فمر بها فدعته الى نفسها فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فاصابها (فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم) ثم مر بامرأته تلك فقال لها هل لك قالت لا مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فابيت على ودخلت على آمنة فذهبت بها * قال ابن اسحق فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث انه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء أن تكون تلك بى فأبى على ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم ان آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به انه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هلك وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به (ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل * قال ابن اسحق وحدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن
جده قيس بن مخرمة قال ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل فنحن لدتان * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد

لا يكون نافلة الا للنبى صلى الله عليه وسلم وذكر عن الضحاك قال نافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة وذكر سليمان بن حبان حدثنا أبو غالب حدثنا أبو أمامة قال اذا وضعت الطهور مواضعه قمت مغفورا لك فان قمت تصلى كانت لك فضيلة وأجرا فقال رجل يا أبا أمامة أرأيت ان قام يصلى يكون له نافلة قال لا انما النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف يكون له نافلة وهو يسعى فى الذنوب والخطايا يكون له فضيلة وأجرا قلت والمقصود أن النافلة فى الآية لم يرد بها ما يجوز فعله وتركه كالمستحب والمندوب وانما المراد بها الزيادة فى الدرجات وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب فلا يكون قوله نافلة لك نافيا لما دل عليه الامر من الوجوب وسيأتى مزيد بيان لهذه المسئلة ان شاء الله تعالى عند ذكر خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا وكان اذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة فسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول فى هذا دليل على أن الوتر لا يقضى لفوات محله فهو كتحية المسجد وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحوها لان المقصود به أن يكون آخر صلاة الليل وترا كما أن المغرب آخر صلاة النهار فاذا انقضى الليل وصليت الصبح لم يقع الوتر موقعه هذا معنى كلامه وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من نام عن الوتر أو نسيه فليصله اذا أصبح أو ذكر ولكن لهذا الحديث عدة علل * أحدها أنه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف * الثانى أن الصحيح فيه أنه مرسل له عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الترمذى هذا أصح يعنى المرسل * الثالث أن ابن ماجه حكى عن محمد بن يحيى بعد أن روى حديث أبى سعيد الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أوتروا قبل أن تصبحوا قال فهذا الحديث دليل على أن حديث عبد الرحمن واه وكان قيامه صلى الله عليه وسلم بالليل احدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة كما قاله ابن عباس وعائشة فانه ثبت عنهما هذا وهذا ففى الصحيحين عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة وفى الصحيحين عنها أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس فى شئ الا فى آخرهن والصحيح عن عائشة الاول والركعتان فوق الاحدى عشرة هما ركعتا الفجر جاء ذلك مبينا فى هذا الحديث بعينه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ثلاث عشرة ركعة بركعتى الفجر ذكره مسلم فى صحيحه وقال البخارى فى هذا الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة ثم يصلى اذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين وفى الصحيحين عن القاسم بن محمد قال سمعت عائشة رضى الله عنها تقول كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتى الفجر وذلك ثلاث عشرة ركعة فهذا مفسر مبين وأما ابن عباس فقد اختلف عليه ففى الصحيحين عن أبى جمرة عنه كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل لكن قد جاء عنه هذا مفسرا انها بركعتى الفجر قال الشعبى سألت عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل فقالا ثلاث عشرة ركعة منها ثمان ويوتر بثلاث وركعتين قبل صلاة الفجر وفى الصحيحين عن كريب عنه فى قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث أنه صلى الله عليه وسلم صلى ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين وفى لفظ فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى
ركعتين

ركعتين خفيفتين ثم خرج يصلى الصبح فقد حصل الاتفاق على احدى عشرة ركعة واختلف فى الركعتين الاخيرتين هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما فاذا انضاف ذلك الى عدد ركعات الفرض والسنن الراتبة التى كان يحافظ عليها جاء مجموع ورده الراتب بالليل والنهار أربعين ركعة كان يحافظ عليها دائما سبعة عشر فرضا وعشر ركعات أو ثنتا عشرة سنة راتبة واحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل والمجموع أربعون ركعة وما زاد على ذلك فعارض غير راتب كصلاة الفتح ثمان ركعات وصلاة الضحى اذا قدم من سفر وصلاته عند من يزوره وتحية المسجد ونحو ذلك فينبغى للعبد أن يواظب على هذا الورد دائما الى الممات فما أسرع الاجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة والله المستعان

(فصل) فى سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل ووتره وذكر صلاة أول الليل قالت عائشة رضى الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل على الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات ثم يأوى الى فراشه وقال ابن عباس لما بات عنده صلى العشاء ثم جاء ثم صلى ثم نام ذكرهما أبو داود وكان اذا استيقظ بدأ بالسواك ثم يذكر الله تعالى وقد تقدم ذكر ما كان يقوله عند استيقاظه ثم يتطهر ثم يصلى ركعتين خفيفتين كما فى صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين وأمر بذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال اذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم وكان يقوم تارة اذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل وربما كان يقوم اذا سمع الصارخ وهو الديك وهو انما يصيح فى النصف الثانى وكان يقطع ورده تارة و يصليه تارة وهو الاكثر و يقطعه كما قال ابن عباس فى حديث مبيته عنده أنه صلى الله عليه وسلم استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك و يتوضأ و يقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث فأذن المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل من خلفى نورا ومن امامى نورا واجعل لى من فوقى نورا ومن تحتى نورا اللهم أعطنى نورا رواه مسلم ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة فاما انه كان يفعل هذا تارة وهذا تارة واما أن تكون عائشة حفظت ما لم يحفظ ابن عباس وهو الاظهر لمواظبتها له ولمراعاتها ذلك ولكونها أعلم الخلق بقيامه بالليل وابن عباس انما شاهده ليلة المبيت عند خالته واذا اختلف ابن عباس وعائشة فى شئ من أمر قيامه بالليل فالقول ما قالت عائشة وكان قيامه بالليل ووتره أنواعا * فمنها هذا الذى ذكره ابن عباس * النوع الثانى الذى ذكرته عائشة أنه يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتمم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين و يوتر بركعة * النوع الثالث ثلاث عشرة ركعة كذلك * النوع الرابع يصلى ثمان ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس فى شئ الا فى آخرهن * النوع الخامس تسع ركعات يسرد منهن ثمانيا لا يجلس فى شئ منهن الا فى الثامنة يجلس يذكر الله تعالى و يحمده و يدعوه ثم ينهض ولا يسلم ثم يصلى التاسعة ثم يقعد و يتشهد و يسلم ثم يصلى ركعتين جالسا بعد ما يسلم * النوع السادس يصلى سبعا كالتسع

الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارى قال حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت قال والله انى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له ويلك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به * قال محمد بن اسحق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال ابن ستين وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين * قال ابن اسحق فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فأتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به ان تسميه فيزعمون ان عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله و يشكر له ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها * والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء (قال ابن هشام) المراضع وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام وحرمنا عليه المراضع * قال ابن اسحق فاسترضع له من امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبى ذؤيب وأبو ذؤيب عبد الله بن الحرث بن شجنة بن جابر ابن رزام بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان واسم أبيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم الحرث ابن عبد العزى بن رفاعة بن ملان ابن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد ابن بكر بن هوازن (قال ابن هشام) و يقال هلال بن ناصرة * قال ابن اسحق وأخوته من الرضاعة عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث وخدامة بنت الحرث وهى الشيماء غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها الا به وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحرث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم و يذكرون ان الشيماء كانت تحضنه مع أمه اذ كان عندهم * قال ابن اسحق وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحرث بن حاطب الجمحى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أو عمن حدثه عنه قال كانت

المذكورة ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا * النوع السابع انه كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن فهذا رواه الامام أحمد رحمه الله عن عائشة انه كان يوتر بثلاث لا فصل فيهن وروى النسائي عنها كان لا يسلم في ركعتي الوتر وهذه الصفة فيها نظر فقد روى أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس أو سبع ولا تشبهوا بصلاة المغرب قال الدارقطني رواته كلهم ثقات قال مهنى سالت أبا عبد الله الى أي شئ تذهب في الوتر تسلم في الركعتين قال نعم * قلت لاي شئ قال لان الاحاديث فيه أقوى وأكثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الركعتين الزهري عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سلم من الركعتين وقال حارث سئل أحمد عن الوتر قال يسلم في الركعتين وان لم يسلم رجوت أن لا يضره الا أن التسليم أثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو طالب سألت أبا عبد الله الى أي حديث تذهب في الوتر قال اذهب اليها كلها من صلى خمسا لا يجلس الا في آخرهن ومن صلى سبعا لا يجلس الا في آخرهن وقد روى في حديث زرارة عن عائشة كان يوتر بتسع يجلس في الثامنة قال ولكن أكثر الحديث وأقواه ركعة فانا أذهب اليها قلت ابن مسعود يقول ثلاث قال نعم قد عاب على سعد ركعة فقال له سعد أيضا شيأ يرد عليه * النوع الثامن ما رواه النسائي عن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي مثل ما كان قائما فما صلى الا أربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه الى الغداة وأوتر أول الليل ووسطه وآخره وقام ليلة تامة بآية يتلوها ويرددها حتى الصباح وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وكانت صلاته بالليل ثلاثة أنواع * أحدها وهو أكثرها صلاته قائما * الثاني انه كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا * الثالث انه كان يقرأ قاعدا فاذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائما والانواع الثلاثة صحت عنه وأما صفة جلوسه في محل القيام ففي سنن النسائي عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا قال النسائي لا أعلم أحدا روى هذا الحديث غير أبي داود يعني الجعفري وأبو داود ثقة ولا أحسب الا أن هذا الحديث خطأ والله أعلم

(فصل وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم) انه كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا تارة وتارة يقرأ فيهما جالسا فاذا أراد أن يركع قام فركع وفي صحيح مسلم عن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فاذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بين النداء والاقامة من صلاة الصبح وفي المسند عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس وقال الترمذي روى نحو هذا عن عائشة وأبي أمامة وغير واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي المسند عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما باذا زلزلت وقل يا أيها الكافرون وروى الدارقطني نحوه من حديث أنس رضي الله عنه وقد أشكل هذا على كثير من الناس فظنوه معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا وأنكر مالك رحمه الله هاتين الركعتين وقال أحمد لا أفعله ولا أمنع من فعله قال وأنكره مالك وقالت طائفة انما فعل هاتين الركعتين ليبين جواز الصلاة بعد الوتر وان فعله لا يقطع التنفل وحملوا قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا على

الاستحباب

حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته تحدث انها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وهي في سنة شهباء لم تبق لنا شيأ قالت فخرجت على أتان لي (٢) قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغديه (قال ابن هشام) ويقال يغذيه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى ان تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي والله اني لاكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت اليه فأخذته وما حملني على أخذه الا اني لم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري اقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة قالت يقول صاحبي حين اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت والله اني لارجو ذلك قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شئ من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي يا ابنة أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فاقول لهن بلى والله انها لهي هي فيقلن والله ان لها لشأنا قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما

(٢) قوله قمراء قال في القاموس القمرة بالضم لون الى الخضرة أو بياض فيه كدرة حمار أقمر وأتان قمراء اهـ

الاستحباب وصلاة الركعتين بعده على الجواز (والصواب) ان يقال ان هاتين الركعتين تجري مجرى السنة وتكميل الوتر فان الوتر عبادة مستقلة ولاسيما ان قيل بوجوبه فتجري الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب فانها وتر النهار والركعتان بعدها تكميل لها فكذلك الركعتان بعد وتر الليل والله أعلم

(فصل) ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه قنت في الوتر الا في حديث رواه ابن ماجه عن علي ابن ميمون الرقي حدثنا مخلد بن يزيد عن سفيان عن زبيد اليامي عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر فيقنت قبل الركوع وقال أحمد في رواية ابنه عبد الله اختار القنوت بعد الركوع ان كل شيء ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت انما هو في الفجر لما رفع رأسه من الركوع وقنوت الوتر أختاره بعد الركوع ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الوتر قبل أو بعد شيء وقال الخلال أخبرني محمد بن يحيى الكحال انه قال لابي عبد الله في القنوت في الوتر فقال ليس يروى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ولكن كان عمر يقنت من السنة الى السنة وقد روى أحمد وأهل السنن من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت زاد البيهقي والنسائي ولا يعز من عاديت وزاد النسائي في روايته وصلى الله على النبي وزاد الحاكم في المستدرك وقال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم في وتري اذا رفعت رأسي ولم يبق الا السجود رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو وقال الترمذي وفي الباب عن الحسن بن علي رضي الله عنهما هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدي واسمه ربيعة بن شيبان ولا نعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت شيأ أحسن من هذا انتهى والقنوت في الوتر محفوظ عن عمر وابن مسعود والرواية عنهم أصح من القنوت في الفجر والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الفجر أصح من الرواية في قنوت الوتر والله أعلم وقد روى أبو داود والترمذي والنسائي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهذا يحتمل انه قبل فراغه منه وبعده وفي احدى الروايات عن النسائي كان يقول اذا فرغ من صلاته وتبوأ مضجعه وفي هذه الرواية لا أحصي ثناء عليك ولو حرصت وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في السجود فلعله قاله في الصلاة وبعدها وذكر الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وتره ثم أوتر فلما قضى صلاته سمعته يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعل لي يوم لقائك نورا قال كريب وسبع في القنوت فلقيت رجلا من ولد العباس فحدثني بهن فذكر لحمي ودمي وعصبي وشعري وبشري وذكر خصلتين وفي رواية النسائي في هذا الحديث وكان يقول في سجوده وفي رواية لمسلم في هذا الحديث فخرج الى الصلاة يعني صلاة الصبح وهو يقول فذكر هذا الدعاء وفي

أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا قالت فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ فاني أخشى عليه وباء مكة قالت فلم نزل بها حتى ردته معنا قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا باشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولابيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيأ لا أدري ما هو قالت فرجعنا به الى خبائنا قالت وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قالت فقلت قد بلغ الله يا بني وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث عليه فأديته عليك كما تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لبني لشأنا أفلا أخبرك خبره قالت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي به قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة * قال ابن اسحق وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم

رواية له أيضا وفي لساني نورا واجعل في نفسي نورا وأعظم لي نورا وفي رواية له واجعلني نورا وذكر أبو داود والنسائي من حديث أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمد بها صوته في الثالثة ويرفع وهذا لفظ النسائي زاد الدارقطني رب الملائكة والروح وكان صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته ويقف عند كل آية فيقول الحمد لله رب العالمين ويقف الرحمن الرحيم وذكر الزهري ان قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت آية آية مالك يوم الدين وهذا هو الافضل الوقوف على رؤس الآيات وان تعلقت بما بعدها وذهب بعض القراء الى ان تتبع الاغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها واتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم وسنته أولى وممن ذكر ذلك البيهقي في شعب الايمان وغيره ورجح الوقوف على رؤس الآي وان تعلقت بما بعدها وكان صلى الله عليه وسلم يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وقام بآية يرددها حتى الصباح وقد اختلف الناس في الافضل من الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرة القراءة أيهما أفضل على قولين فذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما الى ان الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها واحتج أرباب هذا القول بان المقصود من القراءة فهمه وتدبره والفقه فيه والعمل به وتلاوته وحفظه وسيلة الى معانيه كما قال بعض السلف نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه وان لم يحفظوه عن ظهر قلب وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وان أقام حروفه اقامة السهم قالوا ولان الايمان أفضل الاعمال وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الايمان وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر والمؤمن والمنافق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر والناس في هذا أربع طبقات أهل القرآن والايمان وهم أفضل الناس والثانية من عدم القرآن والايمان الثالثة من أوتي قرآنا ولم يؤت ايمانا الرابعة من أوتي ايمانا ولم يؤت قرآنا قالوا فكما ان من أوتي ايمانا بلا قرآن أفضل ممن أوتي قرآنا بلا ايمان فكذلك من أوتي تدبرا وفهما في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر قالوا وهذا هدى النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وقام بآية حتى الصباح وقال أصحاب الشافعي رحمه الله كثرة القراءة أفضل واحتجوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وصححه قالوا ولان عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعة وذكروا آثارا عن كثير من السلف في كثرة القراءة والصواب في المسألة ان يقال ان ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا وثواب كثرة القراءة أكثر عددا فالاول كمن تصدق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدا قيمته نفيسة جدا والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عددا من العبيد قيمتهم رخيصة وفي صحيح البخاري عن قتادة سألت أنسا عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كان يمد مدا وقال شعبة حدثنا أبو جمرة قال قلت لابن عباس اني رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين فقال ابن عباس لأن أقرأ سورة واحدة أعجب الي من ان أفعل ذلك الذي تفعل فان كنت فاعلا لا بد فاقرأ قراءة تسمع أذنيك ويعيه قلبك وقال ابراهيم قرأ

علقمة

ولا أحسبه الا عن خالد بن معدان الكلاعي ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي انه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه قال ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بامته لوزنها * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله قال وأنا * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر * قال ابن اسحق وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم ان أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله فالتمسته فلم تجده فأتت عبد المطلب فقالت له اني قد قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعلى مكة أضلني فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده فيزعمون انه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب فقالا له هذا ابنك وجدناه باعلى مكة فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له ثم أرسل به الى أمه آمنة * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم ان مما هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ما ذكرت لامه مما أخبرتها عنه ان نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه وسألوها عنه وقلبوه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذي حدثني انها لم تكد تنفلت به منهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب

علقمة على ابن مسعود وكان حسن الصوت فقال رتل فداك أبي وأمي فانه زين القرآن وقال ابن مسعود لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وقال عبد الله أيضا اذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فاصغ لها سمعك فانه خير تؤمر به أو شر تصرف عنه وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى دخلت على امرأة وأنا أقرأ سورة هود فقالت يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود والله اني فيها منذ ستة أشهر وما فرغت من قراءتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر بالقراءة في صلاة الليل تارة ويجهر بها تارة ويطيل القيام تارة ويخففه تارة ويوتر آخر الليل وهو الاكثر واوله تارة واوسطه تارة وكان يصلي التطوع بالليل والنهار على راحلته في السفر قبل أي جهة توجهت به فيركع ويسجد عليها ايماء ويجعل سجوده أخفض من ركوعه وقد روى أحمد وأبو داود عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد ان يصلي على راحلته تطوعا استقبل القبلة فكبر للصلاة ثم خلى عن راحلته ثم صلى أينما توجهت به فاختلف الرواة عن أحمد هل يلزمه ان يفعل ذلك اذا قدر عليه على روايتين فان أمكنه الاستدارة الى القبلة في صلاته كلها مثل أن يكون في محمل أو عمارة ونحوها فهل يلزمه أو يجوز له انه يصلي حيث توجهت به الراحلة فروى محمد بن الحكم عن أحمد من صلى في محمل فانه لا يجزيه الا ان يستقبل القبلة لانه يمكنه ان يدور وصاحب الراحلة والدابة لا يمكنه وروى عنه أبو طالب انه قال الاستدارة في المحمل شديدة يصلي حيث كان وجهه واختلفت الرواية عنه في السجود في المحمل فروى عنه ابنه عبد الله انه قال وان كان محملا فقدر ان يسجد في المحمل فيسجد وروى عنه الميموني اذا صلى في المحمل أحب الي ان يسجد لانه يمكنه وروى عنه الفضل بن زياد يسجد في المحمل اذا أمكنه وروى عنه جعفر بن محمد السجود على المرفعة اذا كان في المحمل وربما أسند على البعير ولكن يومئ ويجعل السجود أخفض من الركوع وكذا روى عنه أبو داود

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في صلاة الضحى روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحة الضحى واني لاسبحها وروى أيضا من حديث مورق العجلي قلت لابن عمر أتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله وذكر عن ابن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجيء من مغيبه قلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بين السور قالت من المفصل وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله وفي الصحيحين عن أم هانئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثمان ركعات وذلك ضحى وقال الحاكم في المستدرك حدثنا الاصم حدثنا الصنعاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا بكر بن مضر حدثنا عمر بن الحرث عن بكر بن الاشج عن الضحاك عن عبد الله عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سفر سبحة الضحى صلى ثمان ركعات فلما انصرف قال اني صليت صلاة رغبة ورهبة فسألت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة

ابن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قد قدمت به على اخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة (قال ابن هشام) أم عبد المطلب بن هاشم سلمى بنت عمرو النجارية فهذه الخؤلة ذكر ابن اسحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع

(وفاة عبد المطلب وما رثي به من الشعر)

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطلب ابن هاشم وذلك بعد الفيل بثماني سنين * قال ابن اسحق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله ان عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين * قال ابن اسحق حدثني محمد بن سعيد بن المسيب ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأميمة وأروى فقال لهن ابكين علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت (قال ابن هشام) ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباها

أرقت لصوت نائحة بليل * على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل * له الفضل المبين على العبيد

على الفياض شيبة ذى المعالى * أبيك الخير وارث كل جود صدوق فى المواطن غير نكس * (١) ولا شخت المقام ولا سنيد طويل
الباع أروع شيظمى * مطاع فى عشيرته حميد رفيع البيت أبلج ذى فضول * وغيث الناس فى الزمن الحرود كريم الجد ليس بذى
وصوم * بروق على المسود والمسود عظيم الحلم من نفر كرام * خضارمة ملاوثة أسود فلو خلد امرؤ لقديم مجد
ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا أخرى الليالى
لفضل المجد والحسب التليد

﴿وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباها﴾

أعينى جودا بدمع درر
على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد
جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات
وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفصل فى النائبات
كثير المكارم جم (٢) الفجر
له فضل مجد على قومه
منير يلوح كضوء القمر
أتته المنايا فلم تشوه
بصرف الليالى وريب القدر

﴿وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها﴾

أعينى جودا ولا تبخلا
بدمعكما بعد نوم النيام
أعينى واسحنفرا واسكبا
وشوبا بكاءكما بالتدام
أعينى واستخرطا واسجما
على رجل غير نكس كهام
على الجحفل الغمر فى النائبات
كريم المساعى (٣) وفى الذمام
على شيبة الحمد وارى الزناد
وذى مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة
ومردى المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طلق اليدين
وفى عدملى صميم لهام
تبنك فى باذخ بيته * رفيع الذؤابة صعب المرام

﴿وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها﴾

سألته ان لا يقتل أمتى بالسنين ففعل وسألته ان لا يظهر عليهم عدوا ففعل وسألته ان لا يلبسهم شيعا فأبى على قال الحاكم صحيح قال الضحاك بن عبد الله هذا ينظر من هو وما حاله وقال الحاكم فى كتاب فضل الضحى حدثنا أبو بكر الفقيه أخبرنا بشر بن يحيى حدثنا محمد بن صالح الدولابى حدثنا خالد بن عبد الله بن الحصين عن هلال بن يساف عن زاذان عن عائشة رضى الله عنها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى ثم قال اللهم اغفرلى وارحمنى وتب على انك أنت التواب الرحيم الغفور حتى قالها مائة مرة حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا أسد بن عاصم حدثنا الحسين بن حفص عن سفيان عن عمر بن ذر عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى ركعتين وأربعا وستا وثمانيا وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عثمان بن عبد الملك العمرى حدثتنا عائشة بنت سعد عن أم درة قالت رأيت عائشة رضى الله عنها تصلى الضحى وتقول ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الا أربع ركعات وقال الحاكم أيضا أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد المروزى حدثنا أبو قلابة حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن مرة عن عمارة بن عمير عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الضحى قال الحاكم أيضا حدثنا اسماعيل بن محمد حدثنا محمد بن عدى بن كامل حدثنا وهب بن بقية الواسطى حدثنا خالد بن عبد الله عن محمد بن قيس عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات ثم روى الحاكم عن اسحق بن بشير المحاملى حدثنا عيسى بن موسى عن جابر عن عمر بن صبيح عن مقاتل بن حبان عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما قالتا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الضحى ثنتى عشرة ركعة وذكر حديثا طويلا قال الحاكم أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفى حدثنا أبو قلابة الرقاشى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبى اسحق عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى وبه الى أبى الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن مرة عن عمارة بن عمير العبدى عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى قال الحاكم وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى وأبى ذر الغفارى وزيد بن أرقم وأبى هريرة وبريدة الاسلمى وأبى الدرداء وعبد الله بن أبى أوفى وعتبان بن مالك وأنس بن مالك وعتبة بن عبد الله السلمى ونعيم بن همار الغطفانى وأبى أمامة الباهلى رضى الله عنهم ومن النساء عائشة بنت أبى بكر وأم هانئ وأم سلمة رضى الله عنهم كلهم شهدوا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصليها وذكر الطبرانى من حديث على وأنس وعائشة وجابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات فاختلف الناس فى هذه الاحاديث على طرق منهم من رجح رواية الفعل على الترك بانها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافى قالوا وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل قالوا وقد أخبرت عائشة وأنس وجابر وأم هانئ وعلى بن أبى طالب انه صلاها قالوا ويؤيد هذا الاحاديث الصحيحة المتضمنة للوصية بها والمحافظة عليها ومدح فاعلها والثناء عليه ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أوصانى خليلى محمد صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحى وان أوتر قبل ان أنام وفى صحيح مسلم نحوه عن أبى الدرداء وفى صحيح مسلم عن أبى ذر يرفعه قال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل
تهليلة

(١) الشخت الدقيق الضامر لا هزالا ويحرك والشيظمى الفتى الجسيم اه قاموس (٢) قوله الفجر بالجيم العطاء والكرم والجود والمعروف والمال وكثرته قاموس (٣) وفى مخفف وفى المضرورة والعدملى قديم الشرف

تهليلة صدقة وكل تكبيرة صـدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة و يجزئ عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى وفي مسند الامام أحمد عن معاذ بن أنس الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الا خيرا غفر الله له خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وفي رواية الترمذي وسنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على سبحة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وفي المسند والسنن عن نعيم بن همار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم لا تعجزن عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره ورواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وأبي ذر وفي جامع الترمذي وسنن ابن ماجه عن أنس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له في الجنة قصرا من ذهب وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم انه رأى قوما يصلون من الضحى في مسجد قباء فقال أما لقد علموا ان الصلاة في غير هذه الساعة أفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال وقوله ترمض الفصال أي يشتد حر النهار فيجد الفصال حرارة الرمضاء وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى في بيت عتبان بن مالك ركعتين وفي مستدرك الحاكم من حديث خالد بن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحافظ على صلاة الضحى الا أواب وقال هذا اسناد قد احتج بمثله مسلم بن الحجاج وانه حدث عن شيوخه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن قال ولعل قائلا يقول قد أرسله حماد بن سلمة وعبد العزيز بن محمد الدراوردي عن محمد بن عمرو فيقال له خالد ابن عبد الله ثقة والزيادة من الثقة مقبولة ثم روى الحاكم حدثنا عبدان بن يزيد حدثنا محمد بن المغيرة السكري حدثنا القاسم بن الحكم العرني حدثنا سليمان بن داود اليمامي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله وقال الترمذي في الجامع حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال حدثني موسى بن فلان عن عمه ثمامة بن أنس بن مالك عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وكان أحمد يرى أصح شئ في هذا الباب حديث أم هانئ قلت وموسى ابن فلان هذا هو موسى بن عبد الله بن المثنى بن أنس بن مالك وفي جامعه أيضا من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها و يدعها حتى نقول لا يصليها قال هذا حديث حسن غريب وقال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو اليمان حدثنا اسمعيل بن عياش عن يحيى بن الحارث الذماري عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر كان له كأجر الحاج المحرم ومن مشى الى سبحة الضحى كان له كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين قال أبو أمامة الغدو والرواح الى هذه المساجد من الجهاد في سبيل الله عز وجل وقال الحاكم حدثنا أبو العباس حدثنا محمد بن اسحق الصنعاني حدثنا أبو الموزع محاضر بن المودع حدثنا أبو الاحوص بن حكيم حدثني

ألا يا عين جودي واستهلي * وبكي ذا الندى والمكرمات ألا يا عين ويحك أسعفيني * بدمع من دموع هاطلات وبكي خير من ركب المطايا * أباك الخير تيار الفرات طويل الباع شيبة ذا المعالي * كريم الخيم محمود الهبات وصولا للقرابة (١) هبرزيا * وغيثا في السنين الممحلات وليثا حين تشتجر العوالي * تروق له عيون الناظرات عقيل بني كنانة والمرجى * اذا ما الدهر أقبل بالهنات ومفزعها اذا ما هاج هيج * بداهية وخصم المعضلات فبكيه (٢) ولا تسمي بحزن * وبكي ما بقيت الباكيات

(وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها)

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد * وساقي الحجيج والمحامي عن المجد
ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته * اذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما تكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن فكل حي الى بعد
فاني لباك ما بقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجدي
سقاك ولي الناس في القبر ممطرا * فسوف أبكيه وان كان في اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيثما كان من حمد

(وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكي أباها)

بكت عيني وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليقة ابطحي * كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمي * أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح أروع ذي فضول * له المجد المقدم والسناء
أبي الضيم أبلج هبرزي * قديم المجد ليس به خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر * وفاصلها اذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا * وبأسا حين تنسكب الدماء
اذا هاب الكماة الموت حتى * كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بذي ربد خشيب * عليه حين تبصره البهاء

(١) الهبرزي الجميل الوسيم (٢) قوله ولا تسمي أي لا تسأمي فسهل الهمزة بالنقل

* قال ابن اسحق فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب انه أشار برأسه وقد أصمت ان هكذا أنا بكيتني (قال ابن هشام) المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي يبكي عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ويذكر فضله وفضل قصي على قريش وفضل ولده من بعده عليهم وذلك انه أخذ بغرم أربعة آلاف

درهم بمكة فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب فافتكه

أعيني جودا بالدموع على الصدر
ولا تسأما أسقيتما سبل القطر
وجودا بدمع واسفحا كل شارق
بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر
على رجل جلد القوى ذي حفيظة
جميل المحيا غير نكس ولا هذر
على الماجد البهلول ذي الباع واللها
ربيع لؤي في القحوط وفي العسر
على خير حاف من معد وناعل
كريم المساعي طيب الخيم والنجر
وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا
وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر
وأولاهم بالمجد والحلم والنهى
وبالفضل عند المجحفات من الغبر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه
يضيء سواد الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم
وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام فأصبحت
سقايته فخرا على كل ذي فخر
ليبك عليه كل عان بكربة
وآل قصي من مقل وذي وفر
بنوه سراة كهلهم وشبابهم
تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
قصي الذي عادى كنانة كلها
ورابط بيت الله في العسر واليسر
فان تك غالته المنايا وصرفها
فقد عاش ميمون النقيبة والامر
وأبقى رجالا سادة غير عزل
مصاليت أمثال الردينية السمر
أبو عتبة الملقى الي حباءه
أغر هجان اللون من نفر غر

وحمزة مثل البدر يهتز للندى * نقي الثياب والذمام من الغدر وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصول لذي القربى رحيم لذي عن الصهر كهولهم خير الكهول ونسلهم * كنسل الملوك لا تبور ولا تحري متى ما تلاقي منهم الدهر ناشئا * تجده (٢) باجريا أوائله يجري

(٢) الاجريا العادة

عبد الله بن عامر الهاني عن منيب ابن عيينة بن عبد السلمي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من صلى الصبح في مسجد جماعة ثم ثبت فيه حتى الضحى ثم يصلي سبحة الضحى كان له كأجر حاج أو معتمر تام له حجته وعمرته وقال ابن أبي شيبة حدثني حاتم بن اسمعيل عن حميد ابن صخر عن المقبري عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فاعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة فقال رجل يا رسول الله ما رأينا بعثا قط أسرع كرة ولا أعظم غنيمة من هذا البعث فقال ألا أخبركم باسرع كرة وأعظم غنيمة رجل توضأ في بيته فاحسن وضوءه ثم عمد الى المسجد فصلى فيه صلاة الغداة ثم أعقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة وفي الباب أحاديث سوى هذه لكن هذه أمثلها قال الحاكم صحبت جماعة من أئمة الحديث الحفاظ الاثبات فوجدتهم يختارون هذا العدد يعني أربع ركعات ويصلون هذه الصلاة أربعا لتواتر الاخبار الصحيحة فيه واليه أذهب واليه أدعو اتباعا للاخبار المأثورة واقتداء بمشايخ الحديث فيه قال ابن جرير الطبري وقد ذكر الاخبار المرفوعة في صلاة الضحى واختلاف عددها وليس في هذه الاحاديث حديث يدفع صاحبه وذلك أن من حكى أنه صلى الضحى أربعا جائز أن يكون رآه في حال فعله ذلك ورآه غيره في حال أخرى صلى ركعتين ورآه آخر في حال أخرى صلاها ثمانيا وسمعه آخر يحث على أن يصلي ستا وآخر يحث على أن يصلي ركعتين وآخر على عشر وآخر على ثنتي عشرة فأخبر كل واحد منهم عما رأى وسمع قال والدليل على صحة قولنا ما روي عن زيد بن أسلم قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لابي ذر أوصني يا عم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى عشرا بنى الله له بيتا في الجنة وقال مجاهد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الضحى ركعتين ثم يوما أربعا ثم يوما ستا ثم يوما ثمانيا ثم ترك فابان هذا الخبر عن صحة ما قلنا من احتمال خبر كل مخبر ممن تقدم أن يكون اخباره لما أخبر عنه في صلاة الضحى على قدر ما شاهده وعاينه * والصواب اذا كان الامر كذلك أن يصليها من أراد على ما شاء من العدد وقد روي هذا عن قوم من السلف حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن ابراهيم سأل رجل الاسود كم أصلي الضحى قال كم شئت * وطائفة ثانية ذهبت الى أحاديث الترك ورجحتها من جهة صحة اسنادها وعمل الصحابة بموجبها فروى البخاري عن ابن عمر أنه لم يكن يصليها ولا أبو بكر ولا عمر قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا أخاله وقال وكيع حدثنا سفيان الثوري عن عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى الا يوما واحدا وقال علي بن المديني حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا شعبة حدثنا فضيل بن فضالة عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال رأى أبو بكرة ناسا يصلون الضحى قال انكم لتصلون صلاة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عامة أصحابه وفي الموطأ عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به فيفترض عليهم وقال أبو الحسن علي بن بطال فاخذ قوم من السلف بحديث عائشة ولم يروا صلاة الضحى وقال قوم انها بدعة وروى الشعبي عن قيس بن عبيد قال كنت اختلف الى ابن مسعود السنة كلها فما رأيته مصليا الضحى وروى شعبة عن سعد بن ابراهيم

عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف كان لا يصلى الضحى وعن مجاهد قال دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة واذا الناس فى المسجد يصلون صلاة الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وقال مرة ونعمت البدعة وقال الشعبى سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون أفضل من صلاة الضحى وسئل أنس بن مالك عن صلاة الضحى فقال الصلاة خمس وذهبت طائفة ثالثة الى استحباب فعلها غبا فتصلى فى بعض الايام دون بعض وهذا أحد الروايتين عن أحمد وحكاه الطبرى عن جماعة قال واحتجوا بما روى الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى قالت لا الا أن يجىء من مغيبه ثم ذكر حديث أبى سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقد تقدم ثم قال كذا ذكر من كان يفعل ذلك من السلف وروى شعبة عن حبيب بن الشهيد عن عكرمة قال كان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة أيام يعنى صلاة الضحى وروى شعبة عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر أنه كان لا يصلى الضحى فاذا أتى مسجد قباء صلى وكان يأتيه كل سبت وروى سفيان عن منصور قال كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة ويصلون ويدعون يعنى صلاة الضحى وعن سعيد بن جبير انى لادع صلاة الضحى وأنا أشتهيها مخافة أن أراها حتما على وقال مسروق كنا نقرأ فى المسجد فنبقى بعد قيام ابن مسعود ثم نقوم فنصلى الضحى فبلغ ابن مسعود ذلك فقال لم تحملون عباد الله مالم يحملهم الله ان كنتم لا بد فاعلين ففى بيوتكم وكان أبو مجلز يصلى الضحى فى منزله قال هؤلاء وهذا أولى لئلا يتوهم متوهم وجوبها بالمحافظة عليها أو كونها سنة راتبة ولهذا قالت عائشة لو نشر لى أبواى ما تركتها فانها كانت تصليها فى البيت حيث لا يراها الناس وذهبت طائفة رابعة الى أنها تفعل بسبب من الاسباب وأن النبى صلى الله عليه وسلم انما فعلها بسبب قالوا وصلاته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثمان ركعات ضحى انما كانت من أجل الفتح وان سنة الفتح أن تصلى عنده ثمان ركعات وكان الامراء يسمونها صلاة الفتح وذكر الطبرى فى تاريخه عن الشعبى قال لما فتح خالد بن الوليد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات لم يسلم فيهن ثم انصرف قالوا وقول أم هانئ وذلك ضحى تريد أن فعله لهذه الصلاة كان ضحى لا ان الضحى اسم لتلك الصلاة قالوا وأما صلاته فى بيت عتبان بن مالك فانما كانت لسبب أيضا فان عتبان قال له انى أنكرت بصرى وان السيول تحول بينى وبين مسجد قومى فوددت أنك جئت فصليت فى بيتى مكانا أتخذه مسجدا فقال أفعل ان شاء الله تعالى فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه بعدما اشتد النهار فاستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فاذنت له فلم يجلس حتى قال أين تحب أن أصلى من بيتك فاشار اليه من المكان الذى أحب أن يصلى فيه فقام وصففنا خلفه وصلى ثم سلم وسلمنا حين سلم متفق عليه فهذا أصل هذه الصلاة وقصتها ولفظ البخارى فيها فاختصره بعض الرواة عن عتبان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى بيتى سبحة الضحى فقاموا وراءه فصلوا وأما قول عائشة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى الا أن يقدم من مغيبه فهذا من أبين الامور أن صلاته لها انما كانت لسبب فانه صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين فهذا كان هديه وعائشة أخبرت بهذا وهذا وهى القائلة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى قط فالذى أثبتته فعلها بسبب كقدومه من سفر وفتحه وزيارته لقوم ونحوه وكذلك اتيانه مسجد قباء للصلاة فيه وكذلك ما رواه يوسف بن

هم ملؤا البطحاء مجدا وعزة * اذا استبق الخيرات فى سالف العصر وفيهم بناة للعلاء وعمارة * وعبد مناف جدهم جابر الكسر بانكاح عوف بنته ليجيرنا من اعدائنا اذ أسلمتنا بنو فهر فسرنا تهامى البلاد ونجدها * بأمنة حتى خاضت العير فى البحر وهم حضروا والناس بادفر يقهم * وليس بها الا شيوخ بنى عمرو بنوها ديارا جة وطووا بها * بثارا تسح الماء من ثبج البحر

لكى يشرب الحجاج منها وغيرهم
اذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثة أيام تظل ركابهم
مخيسة بين الاخاشب والحجر
وقدما غنينا قبل ذلك حقبة
ولا نستقى الا بخم أو الحفر
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه
ويعفون عن قول السفاهة والهجر
وهم جمعوا حلف الاحابيش كلها
وهم نكلوا عنا غواة بنى بكر
فخارج اما أهلكن فلا تزل
لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر
ولا تنس ما أسدى ابن لبنى فانه
قد اسدى يدا محقوقة منك بالشكر
وأنت ابن لبنى من قصى اذا انتموا
بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
وأنت تناولت العلا فجمعتها
الى محتد للمجد ذى ثبج جسر
سبقت وفت القوم بذلا ونائلا
وسدت وليدا كل ذى سودد غمر
وامك سر من خزاعة جوهر
اذا حصل الانساب يوما ذو والخبر
الى سبا الابطال تنمى وتنتمى
فأكرم بها منسوبة فى ذرا الزهر
أبو (٢) شمر منهم وعمرو بن مالك
وذو جدن من قومها وأبو الجبر
وأسعد قاد الناس عشرين حجة
يؤيد فى تلك المواطن بالنصر

(قال ابن هشام) قوله أمك سر من خزاعة يعنى أبا لهب أمه لبنى بنت هاجر الخزاعى وقوله بجر يا أوائله عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب وبنى عبد مناف يا أيها الرجل المحول رحله * هلا سألت عن آل عبد مناف هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جرم ومن اقراف المنعمين اذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الايلاف والمطعمين اذا الرياح تناوحت * حتى تغيب الشمس فى (٣) الرجاف

(٢) شمر بتشديد الميم (٣) الرجاف كشداد البحر لاضطرابه قاموس

أباطلكت أبا الفعال فالجرى * من فوق مثالك عقد ذات نطاق الا أبيك أخى المكارم وتحده * والفيض مطلب أبى الاضياف [illegible]

عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليها بعده العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ من أحدث اخوته سنا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام

وهى بيده فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ما مضى من ولايته فهى الى آل العباس بولاية العباس اياها الى اليوم * وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصى به عمه أبا طالب وذلك لان عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا طالب أخوان لاب وأم أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد ابن عمران بن مخزوم (قال ابن هشام) عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان أباه حدثه ان رجلا من لهب (قال ابن هشام) ولهب من أزد شنوءة كان عائفا فكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فيهم قال فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شىء فلما فرغ قال الغلام على به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن قال فانطلق به أبو طالب

(قصة بحيرا)

قال ابن اسحق ثم ان أبا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير (١) صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا أو كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له وكان اليه علم أهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما

يعقوب حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا سلمة بن رجاء حدثتنا الشعثاء قالت رأيت ابن أبى أوفى صلى الضحى ركعتين يوم بشر برأس أبى جهل فهذا ان صح فهى صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكر الفتح والذى نفته هو ما كان يفعله الناس يصلونها لغير سبب وهى لم تقل ان ذلك مكروه ولا مخالف لسنته ولكن لم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وندب اليها وحض عليها وكان يستغنى عنها بقيام الليل فان فيه غنية عنها وهى كالبدل منه قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا قال ابن عباس والحسن وقتادة عوضا وخلفا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمل فى أحدهما قضاه فى الآخر قال قتادة فادوا لله من أعمالكم خيرا فى هذا الليل والنهار فانهما مطيتان يقحمان الناس الى آجالهم ويقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويجيئان بكل موعود الى يوم القيامة وقال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فاتتنى الصلاة الليلة فقال أدرك مافاتك من ليلتك فى نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا قالوا وفعل الصحابة رضى الله عنهم يدل على هذا فان ابن عباس كان يصليها يوما ويدعها عشرة وكان ابن عمر لا يصليها فاذا أتى مسجد قباء صلاها وكان يأتيه كل سبت وقال سفيان عن منصور كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة ويصلون ويدعون قالوا ومن هذا الحديث الصحيح عن أنس أن رجلا من الانصار كان ضخما فقال للنبى صلى الله عليه وسلم انى لا أستطيع أن أصلى معك فصنع للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما ودعاه الى بيته ونضح له طرف حصير بماء فصلى عليه ركعتين قال أنس مارأيته صلى الضحى غير ذلك اليوم رواه البخارى ومن تأمل الاحاديث المرفوعة وآثار الصحابة وجدها لا تدل الا على هذا القول وأما أحاديث الترغيب فيها والوصية بها فالصحيح منها كحديث أبى هريرة وأبى ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد وانما أوصى أبا هريرة بذلك لانه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فأمره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا أمره أن لا ينام حتى يوتر ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة وعامة أحاديث الباب فى أسانيدها مقال وبعضها منقطع وبعضها موضوع لا يحل الاحتجاج به كحديث يروى عن أنس مرفوعا من داوم على صلاة الضحى ولم يقطعها الا عن علة كنت أنا وهو فى زورق من نور فى بحر من نور وضعه زكريا بن دريد الكندى عن حميد وأما حديث يعلى بن أشدق عن عبد الله ابن جراد عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى منكم صلاة الضحى فليصلها متعبدا فان الرجل ليصليها السنة من الدهر ثم ينساها ويدعها فتحن اليه كما تحن الناقة على ولدها اذا فقدته ويا عجبا للحاكم كيف يحتج بهذا وأمثاله فانه يروى هذا الحديث فى كتاب أفرده للضحى وهذه نسخة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى نسخة يعلى بن الاشدق وقال ابن عدى روى يعلى بن الاشدق عن عمه عبد الله بن جراد عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة منكرة وهو وعمه غير معروفين وبلغنى عن أبى مسهر قال قلت ليعلى بن الاشدق ماسمع عمك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جامع سفيان وموطأ مالك وشيأ من الفوائد وقال أبو حاتم بن حبان لقى يعلى عبد الله ابن جراد فلما كبر اجتمع عليه من لا دين له فوضعوا له شبيها بمائتى حديث فجعل يحدث بها وهو لا يدرى وهو الذى قال له بعض مشايخ أصحابنا أى شىء سمعته من عبد الله بن جراد فقال هذه النسخة وجامع سفيان لا تحل الرواية عنه بحال وكذلك حديث عمر بن صبيح عن مقاتل بن حبان حديث عائشة

المتقدم

(١) قوله صب به من الصبابة وهى رقة الشوق كما فى الزرقانى على المواهب عن السهيلى وفى نسخة ضبث به أى قبض عليه كمه

المتقدم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ثنتي عشرة ركعة وهو حديث طويل ذكره الحاكم في صلاة الضحى وهو حديث موضوع المتهم به عمر بن صبح قال البخاري حدثني يحيى بن علي ابن جبير قال سمعت عمر بن صبح يقول أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عدي منكر الحديث وقال ابن حبان يضع الحديث على الثقات لا يحل كتب حديثه الا على جهة التعجب منه وقال الدارقطني متروك وقال الازدي كذاب وكذلك حديث عبد العزيز بن ابان عن الثوري عن حجاج بن فرافصة عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعا من حافظ على سبحة الضحى غفرت ذنوبه وان كانت بعدد الجراد وأكثر من زبد البحر ذكره الحاكم أيضا وعبد العزيز هذا قال ابن نمير هو كذاب وقال يحيى ليس بشئ كذاب خبيث يضع الحديث وقال البخاري والنسائي والدارقطني متروك الحديث وكذلك حديث النهاس بن فهم عن شداد عن أبي هريرة يرفعه من حافظ على سبحة الضحى غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من زبد البحر والنهاس قال يحيى ليس بشئ ضعيف كان يروي عن عطاء عن ابن عباس أشياء منكرة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي لا يساوي شيأ وقال ابن حبان كان يروي المناكير عن المشاهير ويخالف الثقات لا يجوز الاحتجاج به وقال الدارقطني مضطرب الحديث تركه يحيى القطان وأما حديث حميد بن صخر عن المقبري عن أبي هريرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا الحديث وقد تقدم فحميد هذا ضعفه النسائي ويحيى بن معين ووثقه آخرون وأنكر عليه بعض حديثه وهو ممن لا يحتج به اذا انفرد والله أعلم * وأما حديث محمد بن اسحق عن موسى عن عبد الله بن المثنى عن أنس عن عمه ثمامة عن أنس يرفعه من صلى الضحى بنى الله له قصرا في الجنة من ذهب فمن الاحاديث الغرائب وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه * وأما حديث نعيم بن همار يا ابن آدم لا تعجزني عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره وكذلك حديث أبي الدرداء وأبي ذر فسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هذه الاربع عندي هي الفجر وسنتها

(فصل) وكان من هديه صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر أو اندفاع نقمة كما في المسند عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه أمر يسره خر لله ساجدا شكرا لله تعالى وذكر ابن ماجه عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر بحاجة فخر لله ساجدا وذكر البيهقي باسناد على شرط البخاري أن عليا رضي الله عنه لما كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلام همدان خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام على همدان وصدر الحديث في صحيح البخاري وهذا تمامه باسناده عند البيهقي وفي المسند من حديث عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد شكرا لما جاءه البشرى من ربه أنه من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وفي سنن أبي داود من حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه فسأل الله ساعة ثم خر ساجدا ثلاث مرات ثم قال اني سألت ربي وشفعت لامتي فاعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدا شكرا لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لامتي فاعطاني الثلث الثاني فخررت ساجدا شكرا لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لامتي فاعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدا لربي وسجد كعب بن مالك لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه ذكره البخاري وذكر أحمد عن علي عليه السلام أنه سجد حين وجد ذا الثدية في قتلى الخوارج وذكر سعيد بن منصور أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سجد حين جاءه قتل مسيلمة

[redacted]راو كانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو في صومعته يزعمون انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم قال ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك لشأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم قال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي قالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلاما وهو أحدث القوم سنا فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم قال فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده وقد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسألني باللات والعزى شيأ فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عما

بها الى أن يفعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده (قال ابن هشام) وكان مثل اثر المحجم * قال ابن اسحق فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ماهذا الغلام منك قال ابنى قال له بحيرا ماهو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشأم فزعموا فيما روى الناس ان زريرا وتماما ودريسا وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مارآه بحيرا فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبي طالب فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وانهم ان أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من اقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه فى قومه الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لى يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته انه قال لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك قال فأخذته وشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى (حرب الفجار) (قال ابن هشام) فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى سجود القران) كان صلى الله عليه وسلم اذا مر بسجدة كبر وسجد وربما قال فى سجوده سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته وربما قال اللهم احطط عنى بها وزرا واكتب لى بها أجرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود وذكرهما أهل السنن ولم يذكر عنه أنه كان يكبر للرفع من هذا السجود ولذلك لم يذكره الخرقى ومتقدمو الاصحاب ولا نقل فيه عنه تشهد ولا سلام ألبتة وأنكر أحمد والشافعى رضى الله عنهما السلام فيه فالمنصوص عن الشافعى أنه لا تشهد فيه ولا سلام وقال أحمد أما التسليم فلا أدرى ماهو وهذا هو الصواب الذى لا ينبغى غيره وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سجد فى الم تنزيل وفى ص وفى النجم وفى اذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك الذى خلق وذكر أبو داود عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان وأما حديث أبي الدرداء سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى عشرة سجدة ليس فيها من المفصل شئ الاعراف والرعد والنحل وبنى اسرائيل ومريم والحج وسجدة الفرقان والنمل والسجدة وص وسجدة الحواميم فقال أبو داود روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم احدى عشرة سجدة واسناده واه وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد فى المفصل منذ تحول الى المدينة رواه أبو داود فهو حديث ضعيف فى اسناده أبو قدامة الحارث بن عبيد لا يحتج بحديثه قال الامام أحمد أبو قدامة مضطرب الحديث وقال يحيى بن معين ضعيف وقال النسائى صدوق عنده مناكير وقال أبو حاتم البستى كان شيخا صالحا ممن كثر وهمه وعلله ابن القطان بمطر الوراق قال كان يشبهه فى سوء الحفظ محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وعيب على مسلم اخراج حديثه انتهى كلامه ولا عيب على مسلم فى اخراج حديثه لانه ينتقى من أحاديث هذا الضرب ما يعلم أنه حفظه كما يطرح من أحاديث الثقة ما يعلم أنه غلط فيه فغلط فى هذا المقام من استدرك عليه اخراج جميع أحاديث الثقة ومن ضعف جميع حديث سيئ الحفظ فالاولى طريقة الحاكم وأمثاله والثانية طريقة أبى محمد بن حزم وأشكاله وطريقة مسلم هى طريقة أئمة هذا الشأن والله المستعان وقد صح عن أبى هريرة أنه سجد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك الذى خلق وفى اذا السماء انشقت وهو انما أسلم بعد مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بست سنين أو سبع فلو تعارض الحديثان من كل وجه وتقاوما فى الصحة لتعين تقديم حديث أبى هريرة لانه مثبت معه زيادة علم خفيت على ابن عباس فكيف وحديث أبى هريرة فى غاية الصحة متفق على صحته وحديث ابن عباس فيه من الضعف مافيه والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الجمعة) وذكر خصائص يومها ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون الاولون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه وحذيفة رضى الله عنه قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى المسند والسنن

أو بضع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثني أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن (١) أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أتجيرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن (٢) ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار وقال البراض في ذلك

وداهية تهم الناس قبلي ... شددت لها بني بكر ضلوعي

هدمت بها بيوت بني كلاب ... وأرضعت الموالي بالضروع

رفعت له (٣) بذي طلال كفي ... فخر يميد كالجذع الصريع

(وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب)

أبلغ ان عرضت بني كلاب ... وعامر والخطوب لها موالي

وبلغ ان عرضت بني نمير ... وأخوال القتيل بني هلال

بان الوافد الرحال أمسى ... مقيما عند تيمن ذي طلال

وهذه الابيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام فأتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت انبل على أعمامي أي أرد عنهم نبل عدوهم اذا

من حديث أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني قد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ورواه الحاكم وابن حبان في صحيحهما وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة قال حديث حسن صحيح وصححه الحاكم وفي صحيحه أيضا عن أبي هريرة مرفوعا سيد الايام يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة وروى مالك في الموطأ عن أبي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت لا بل كل جمعة فقرأ التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب قال قد علمت أي ساعة هي قلت فاخبرني بها قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي وفي صحيح ابن حبان مرفوعا لا تطلع الشمس على يوم خير من يوم الجمعة وفي مسند الشافعي رضي الله عنه من حديث أنس بن مالك قال أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه يوم الجمعة فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب من مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل سبحانه ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل انا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة بما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة رواه الشافعي عن ابراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد عن عمير بن أنس ثم قال وأخبرنا ابراهيم قال حدثني أبو عمران ابراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وكان الشافعي رحمه الله حسن الرأي في شيخه ابراهيم هذا لكن قال فيه الامام أحمد رحمه الله معتزلي جهمي قدري كل بلاء فيه ورواه أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فذكره ورواه محمد بن شعيب عن عمر مولى عفرة عن أنس ورواه أبو طيبة عن عثمان بن عمير عن أنس وجمع أبو بكر بن أبي داود طرقه وفي مسند أحمد من حديث علي بن أبي طلحة عن أبي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لأي شيء سمي

(١) قوله اجار في نسخة أجاز بالزاي وكلاهما صحيح (٢) قال في القاموس وذو طلال ككتاب ماء أو موضع ببلاد بني مرة اهـ (٣) قوله بذي طلال كفي بتشديد اللام الاولى للوزن

ومو همهما * قال ابن اسحق هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وانما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة حتى اذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس (قال ابن هشام) وحديث الفجار أطول مما ذكرت وانما منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها)

(قال ابن هشام) فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني * قال ابن اسحق وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشئ تجعله لهم وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب الى ميسرة فقال له من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم قال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي * ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم ولم
أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة وكان ميسرة فيما يزعمون اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من اظلال الملكين اياه

يوم الجمعة قال لان فيه طبعت طينة أبيك آدم وفيه الصعقة والبعثة وفيه البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وقال الحسن بن سفيان النسوي في مسنده حدثني أبو مروان هشام بن خالد الازرق حدثنا الحسن بن يحيى الخشني حدثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة حدثني أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبرائيل وفي يده كهيأة المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل فقال هذه الجمعة بعثت بها اليك تكون عيدا لك ولامتك من بعدك فقلت وما لنا فيها يا جبريل قال لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله شيأ الا أعطاه قلت فما هذه النكتة السوداء يا جبريل قال هذه الساعة تكون في يوم الجمعة وهو سيد الايام ونحن نسميه عندنا يوم المزيد قلت وما يوم المزيد يا جبريل قال ذلك بان ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عز وجل من عرشه الى كرسيه ويحف الكرسي بمنابر من النور فيجلس عليها النبيون وتحف المنابر بكراسي من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان المسك لا يرون لاهل المنابر والكراسي فضلا في المجلس ثم يتبدى لهم ذو الجلال والاكرام تبارك وتعالى فيقول سلوني فيقولون باجمعهم نسألك الرضى يا رب فيشهد لهم على الرضى ثم يقول سلوني فيسألونه حتى تنتهي نهمة كل عبد منهم قال ثم يسعى عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يرتفع الجبار من كرسيه الى عرشه ويرتفع أهل الغرف الى غرفهم وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زمردة خضراء ليس فيها فصم ولا وصم منورة فيها أنهارها أو قال مطردة متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها قال فاهل الجنة يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة كما يتباشر أهل الدنيا في الدنيا بالمطر * وقال ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة حدثني أزهر بن مروان الرقاشي حدثني عبد الله بن عرادة الشيباني حدثنا القاسم بن الطيب عن الاعمش بن أبي وائل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وفي كفه مرآة كاحسن المرائي وأضوئها واذا في وسطها لمعة سوداء فقلت ما هذه اللمعة التي أرى فيها قال هذه الجمعة قلت وما الجمعة قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله في الدنيا وما يرجى فيه لاهله وأخبرك باسمه في الآخرة فاما شرفه وفضله في الدنيا فان الله عز وجل جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه لاهله فان فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسأل الله تعالى فيها خيرا الا أعطاهما اياه وأما شرفه وفضله في الآخرة واسمه فان الله تبارك وتعالى اذا صير أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جرت عليهم هذه الايام وهذه الليالي ليس فيها ليل ولا نهار فاعلم الله عز وجل مقدار ذلك وساعاته فاذا كان يوم الجمعة حين يخرج أهل الجمعة الى جمعتهم نادى أهل الجنة مناد يا أهل الجنة اخرجوا الى وادي المزيد ووادي المزيد لا يعلم سعة طوله وعرضه الا الله فيه كثبان المسك رؤسها في السماء قال فيخرج غلمان الانبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت فاذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله عليهم ريحا تدعى المثيرة تثير ذلك المسك وتدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع اليها كل طيب على وجه الارض قال ثم يوحي الله تبارك وتعالى الى حملة عرشه ضعوه بين أظهرهم فيكون أول ما يسمعونه منه الى يا عبادي الذين أطاعوني بالغيب

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه * وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر * وأمها فاطمة بنت زائدة بن الاصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ابن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن عمرو بن منقذ بن عمرو ابن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد ابن أسد فخطبها اليه فتزوجها (قال ابن هشام) وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله عنها * قال ابن اسحق فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم * القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم والطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام (قال ابن هشام) أكبر بنيه القاسم ثم الطيب ثم الطاهر وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة (قال ابن اسحق) فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وأما ابراهيم فأمه مارية (قال ابن هشام) حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة قال أم ابراهيم مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم التى أهداها اليه المقوقس من حفن من كورة انصنا * قال ابن اسحق وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن

ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى سلوا فهذا يوم المزيد فيجمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا فيرجع الله اليهم ان يا أهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم دارى فسلونى فهذا يوم المزيد فيجمعون على كلمة واحدة يا ربنا وجهك ننظر اليه فيكشف تلك الحجب فيتجلى لهم عز وجل فيغشاهم من نوره شئ لولا انه قضى ان لا يحترقوا لاحترقوا لما يغشاهم من نوره ثم يقال لهم ارجعوا الى منازلكم فيرجعون الى منازلهم وقد أعطى كل واحد منهم الضعف على ما كانوا فيه فيرجعون الى أزواجهم وقد خفوا عليهن وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فاذا رجعوا تراد النور حتى يرجعوا الى صورهم التى كانوا عليها فتقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك لان الله عز وجل تجلى لنا فنظرنا منه قال وانه والله ما أحاط به خلق ولكنه قد أراهم من عظمته وجلاله ما شاء ان يريهم قال فذلك قولهم فنظرنا منه قال فهم يتقلبون فى مسك الجنة ونعيمها فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ورواه أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث عصمة بن محمد حدثنا موسى بن عقبة عن أبى صالح عن أنس شبيها به وذكر أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث المسعودى عن المنهال عن أبى عبيدة عن عبد الله قال سارعوا الى الجمعة فى الدنيا فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة فى كل جمعة على كثيب من كافور أبيض فيكونون بالقرب على قدر سرعتهم الى الجمعة ويحدث لهم من الكرامة شيأ لم يكونوا رأوه قبل ذلك فيرجعون الى أهليهم وقد أحدث لهم

(فصل فى مبدأ الجمعة) قال ابن اسحق حدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل عن أبيه قال حدثنى عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى حين كف بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان لها استغفر لابى أمامة أسعد بن زرارة فكنت حينا أسمع ذلك منه فقلت ان عجزا أن لا أسأله عن هذا فخرجت به كما كنت أخرج فلما سمع الاذان للجمعة استغفر له فقلت يا أبتاه أرأيت استغفارك لاسعد بن زرارة كلما سمعت الاذان يوم الجمعة قال أى بنى كان أسعد أول من جمع بنا بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدم من حرة بنى بياضة فى بقيع يقال له بقيع الخضمات قلت فكم كنتم يومئذ قال أربعون رجلا قال البيهقى ومحمد بن اسحق اذا ذكر سماعه من الراوية وكان الراوى ثقة استقام الاسناد وهذا حديث حسن صحيح الاسناد انتهى قلت وهذا كان مبدأ الجمعة ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاقام بقباء فى بنى عمرو بن عوف كما قاله ابن اسحق يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس أسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تأسيس مسجده قال ابن اسحق وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ونعوذ بالله ان نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل انه قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيأ ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يتقى بوجهه من النار ولو بشق من

ثمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال ابن اسحق ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال ان الحمد لله أحمده واستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس انه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه قد سماه خيرته من الاعمال والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقد تقدم طرف من خطبته عليه السلام عند ذكر هديه فى الخطب

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره وقد اختلف العلماء هل هو أفضل أم يوم عرفة على قولين هما وجهان لاصحاب الشافعى وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى فجره بسورتى الم تنزيل وهل أتى على الانسان ويظن كثير ممن لا علم عنده ان المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة واذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحب قراءة سورة أخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الائمة المداومة على قراءة هذه السورة فى فجر الجمعة دفعا لتوهم الجاهلين وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول انما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين فى فجر الجمعة لانهما تضمنتا ما كان ويكون فى يومها فانهما اشتملتا على خلق آدم وعلى ذكر المعاد وحشر العباد وذلك يكون يوم الجمعة وكان فى قراءتهما فى هذا اليوم تذكير للامة بما كان فيه ويكون والسجدة جاءت تبعا ليست مقصودة حتى يقصد المصلى قراءتها حيث اتفقت * فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة * الخاصة الثانية استحباب كثرة الصلاة فيه على النبى صلى الله عليه وسلم وفى ليلته لقوله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فى هذا اليوم مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهى ان كل خير نالته أمته فى الدنيا والآخرة فانما نالته على يده فجمع الله لامته به بين خيرى الدنيا والآخرة فاعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم فى الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم فى الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان يكثر من الصلاة عليه فى هذا اليوم وليلته * الخاصة الثالثة صلاة الجمعة التى هى من آكد فروض الاسلام ومن أعظم مجامع المسلمين وهى أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة ومن تركها تهاونا بها طبع الله على قلبه وقرب أهل الجنة يوم القيامة وسبقهم الى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الامام يوم الجمعة وتبكيرهم * الخاصة الرابعة الامر بالاغتسال فى يومها وهو أمر مؤكد جدا ووجوبه أقوى من وجوب الوتر وقراءة البسملة فى الصلاة ووجوب الوضوء من مس النساء ووجوب الوضوء من مس الذكر ووجوب الوضوء من القهقهه فى الصلاة

ووجوب

نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمد النبى هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبى ينتظر هذا زمانه أو كما قال فجعل ورقة يستبطئ الامر ويقول حتى متى فقال ورقة فى ذلك

لججت وكنت فى الذكرى لجوجا * لهم طالما بعث النشيجا

ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظارى يا خديجا

ببطن المكتين على رجائى * حديثك أن أرى منه خروجا

بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يعوجا

بأن محمدا سيسود فينا * ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهر فى البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تموجا

فيلقى من يحاربه خسارا * ويلقى من يسالمه فلوجا

فياليتى اذا ما كان ذاكم * شهدت وكنت أكثرهم ولوجا

ولوجا فى الذى كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا

أرجى بالذى كرهوا جميعا * الى ذى العرش (٥) ان سفلوا عروجا

وهل أمر السفالة غير كفر * بمن يختار من سمك البروجا

فان يبقوا وأبق يكن أمور * يضج الكافرون لها ضجيجا

وان أهلك فكل فتى سيلقى * من الاقدار متلفة حروجا

(حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر)

* قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة (قال ابن هشام) فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك

(١) قوله ان سفلوا فى نسخة ان سفهوا وقوله وهل أمر السفالة فى نسخة السفاهة

ووجوب الوضوء من الرعاف والحجامة والقيء ووجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير ووجوب القراءة على المأموم وللناس في وجوبه ثلاثة أقوال النفي والاثبات والتفصيل بين من به رائحة يحتاج الى ازالتها فيجب عليه ومن هو مستغن عنه فيستحب له والثلاثة لاصحاب أحمد * الخاصة الخامسة التطيب فيه وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الاسبوع * الخاصة السادسة السواك فيه وله مزية على السواك في غيره * الخاصة السابعة التبكير للصلاة * الخاصة الثامنة ان يشتغل بالصلاة والذكر والقراءة حتى يخرج الامام * الخاصة التاسعة الانصات للخطبة اذا سمعها وجوبا في أصح القولين فان تركه كان لاغيا ومن لغى فلا جمعة له وفي المسند مرفوعا والذي يقول لصاحبه أنصت فلا جمعة له * الخاصة العاشرة قراءة سورة الكهف في يومها فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء به يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين وذكره سعيد بن منصور من قول أبي سعيد الخدري وهو أشبه * الحادي عشر أنه لا يكره فعل الصلاة فيه وقت الزوال عند الشافعي رضي الله عنه ومن وافقه وهو اختيار شيخنا أبي العباس بن تيمية ولم يكن اعتماده على حديث ليث عن مجاهد عن أبي الخليل عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة وانما كان اعتماده على أن من جاء الى الجمعة يستحب له أن يصلي حتى يخرج الامام وفي الحديث الصحيح لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهن أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى رواه البخاري فندبه الى الصلاة ما كتب له ولم يمنعه عنها الا في وقت خروج الامام ولهذا قال غير واحد من السلف منهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وتبعه عليه الامام أحمد بن حنبل خروج الامام يمنع الصلاة وخطبته تمنع الكلام فجعلوا المانع من الصلاة خروج الامام لا انتصاف النهار وأيضا فان الناس يكونون في المسجد تحت السقوف ولا يشعرون بوقت الزوال والرجل يكون متشاغلا بالصلاة لا يدري بوقت الزوال ولا يمكنه أن يخرج ويتخطى رقاب الناس وينظر الى الشمس ويرجع ولا يشرع له ذلك وحديث أبي قتادة هذا قال أبو داود وهو مرسل لان أبا الخليل لم يسمع من أبي قتادة والمرسل اذا اتصل به عمل وعضده قياس أو قول صحابي أو كان مرسله معروفا باختيار الشيوخ ورغبته عن الرواية عن الضعفاء والمتروكين ونحو ذلك مما يقتضي قوته عمل به وأيضا فقد عضده شواهد أخر منها ما ذكره الشافعي في كتابه فقال روي عن اسحق بن عبد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس الا يوم الجمعة هكذا رواه في كتاب اختلاف الحديث ورواه في كتاب الجمعة حدثنا ابراهيم بن محمد عن اسحق ورواه أبو خالد الاحمر عن شيخ من أهل المدينة يقال له عبد الله بن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه البيهقي في المعرفة من حديث عطاء بن عجلان عن أبي نضرة عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة ولكن اسناده فيه من لا يحتج به قال البيهقي ولكن اذا انضمت هذه الاحاديث الى حديث أبي قتادة أحدثت بعض القوة قال الشافعي من شأن الناس التهجير الى الجمعة والصلاة الى خروج الامام قال البيهقي والذي

وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد الا (١) احزألت وكشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها فبيناهي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم (قال ابن هشام) عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * قال ابن اسحق وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي انه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو يطوف بالبيت فسأل عنه فقيل هذا ابن لجعدة بن هبيرة فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك جد هذا يعني أبا وهب الذي أخذ حجرا من الكعبة حين اجتمعت قريش لهدمها فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا لا تدخلوا فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس * قال ابن اسحق وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا وله يقول شاعر من العرب

ولو بأبي وهب أنخت مطيتي * غدت من نداه رحلها غير خائب
بأبيض من فرعى لؤي بن غالب * اذا حصلت أنسابها في الذوائب
أبي لاخذ الضيم يرتاح للندى

(١) قوله احزألت أي رفعت رأسها وقوله كشت أي صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض

أشار اليه الشافعي موجود في الاحاديث الصحيحة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في التبكير الى الجمعة وفي الصلاة الى خروج الامام من غير استثناء وذلك موافق هذه الاحاديث التي أبيحت فيها الصلاة نصف النهار يوم الجمعة وروينا الرخصة في ذلك عن عطاء والحسن ومكحول قلت اختلف الناس في كراهة الصلاة نصف النهار على ثلاثة أقوال أحدها أنه ليس وقت كراهة بحال وهو مذهب مالك رحمه الله الثاني وقت كراهة في يوم الجمعة وغيرها وهو مذهب أبي حنيفة والمشهور من مذهب احمد والثالث أنه وقت كراهة الا يوم الجمعة فليس وقت كراهة وهذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى * الثانية عشر قراءة سورة الجمعة والمنافقين أو سبح والغاشية في صلاة الجمعة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهن في الجمعة ذكره مسلم في صحيحه وفيه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيها بالجمعة وهل أتاك حديث الغاشية وثبت عنه ذلك كله ولا يستحب أن يقرأ من كل سورة بعضها أو يقرأ احداهما في الركعتين فانه خلاف السنة وجهال الائمة يداومون على ذلك * الثالثة عشر أنه يوم عيد متكرر في الاسبوع وقد روى أبو عبد الله بن ماجه في سننه من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم الى الارض وفيه توفى آدم وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيأ الا أعطاه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا شجر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة * الرابعة عشر أنه يستحب أن يلبس فيه أحسن الثياب التي يقدر عليها فقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان له ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ثم يركع ان بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينهما وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر في يوم الجمعة ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته * الخامسة عشر أنه يستحب فيه تجمير المسجد فقد ذكر سعيد بن منصور عن نعيم بن عبد الله المجمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن يجمر مسجد المدينة كل جمعة حين ينتصف النهار قلت ولذلك سمي نعيم المجمر * السادسة عشر أنه لا يجوز السفر في يومها لمن تلزمه الجمعة قبل فعلها بعد دخول وقتها وأما قبله فللعلماء ثلاثة أقوال وهي روايات منصوصات عن أحمد أحدها لا يجوز والثاني يجوز والثالث يجوز للجهاد خاصة وأما مذهب الشافعي رحمه الله فيحرم عنده انشاء السفر يوم الجمعة بعد الزوال ولهم في سفر الطاعة وجهان أحدهما تحريمه وهو اختيار النووي والثاني جوازه وهو اختيار الرافعي وأما السفر قبل الزوال فللشافعي فيه قولان القديم جوازه والجديد أنه كالسفر بعد الزوال وأما مذهب مالك فقال صاحب التفريع ولا يسافر أحد يوم الجمعة بعد الزوال حتى تصلى الجمعة ولا بأس أن يسافر قبل الزوال والاختيار أن لا يسافر اذا طلع الفجر وهو حاضر حتى يصلي الجمعة وذهب أبو حنيفة الى جواز السفر مطلقا وقد روى الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سافر من دار اقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن

* توسط خداه فروع الاطايب عظيم زمادة القترة الاخفانة * تعن انتفريه لوهن مثل النصائب ثم ان قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن العزى بن قصي ولبني عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع (قال ابن هشام) ويقال لم نزغ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم افضوا الى حجارة خضر (٢) كالاسنة آخذ بعضها بعضا * قال ابن اسحق فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الاساس * قال ابن اسحق وحدثت ان قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لاهلها في الماء واللبن (قال ابن هشام) أخشباها جبلاها * قال ابن اسحق وحدثت انهم وجدوا في المقام كتابا فيه مكة الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها * قال ابن اسحق وزعم ليث بن أبي سليم انهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ان كان ما ذكر حقا مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا لا

(٢) قوله كالاسنة وفي نسخة كالاسنمة

لا يصحب في سفره وهو من حديث ابن لهيعة وفي مسند الامام أحمد من حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة قال فغدا أصحابه وقال أتخلف وأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك أن تغدو مع أصحابك فقال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت ما في الارض ما أدركت فضل غدوتهم وأعل هذا الحديث بان الحكم لم يسمع من مقسم هذا اذا لم يخف المسافر فوت رفقته فان خاف فوت رفقته وانقطاعه بعدهم جاز له السفر مطلقا لان هذا عذر يسقط الجمعة والجماعة ولعل ما روى عن الاوزاعي أنه سئل عن مسافر سمع أذان الجمعة وقد أسرج دابته فقال ليمض على سفره محمول على هذا وكذلك قول ابن عمر رضي الله عنه الجمعة لا تحبس عن السفر وان كان مرادهم جواز السفر مطلقا فهي مسئلة نزاع والدليل هو الفاصل على أن عبد الرزاق قد روى في مصنفه عن معمر عن خالد الحذاء عن ابن سيرين أو غيره أن عمر بن الخطاب رأى رجلا عليه ثياب السفر بعد ما قضى الجمعة فقال ما شأنك قال أردت سفرا فكرهت أن أخرج حتى أصلي فقال عمر ان الجمعة لا تمنعك السفر مالم يحضر وقتها فهذا قول من يمنع السفر بعد الزوال ولا يمنع منه قبله وذكر عبد الرزاق أيضا عن الثوري عن الاسود بن قيس عن أبيه قال أبصر عمر بن الخطاب رجلا عليه هيأة السفر وقال الرجل ان اليوم يوم جمعة فلولا ذلك لخرجت فقال عمر ان الجمعة لا تحبس مسافرا فاخرج مالم يحن الرواح وذكر أيضا عن الثوري عن ابن ذؤيب عن صالح ابن دينار عن الزهري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسافرا يوم الجمعة ضحى قبل الصلاة وذكر عن معمر قال سألت يحيى بن أبي كثير هل يخرج الرجل يوم الجمعة فكرهه فجعلت أحدثه بالرخصة فيه فقال لى قلما يخرج رجل في يوم الجمعة الا رأى ما يكرهه لو نظرت في ذلك وجدته كذلك وذكر ابن المبارك عن الاوزاعي عن حسان بن أبي عطية قال اذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لا يعان على حاجته ولا يصاحب في سفره وذكر الاوزاعي عن ابن المسيب أنه قال السفر يوم الجمعة بعد الصلاة قال ابن جريج قلت لعطاء أبلغك أنه كان يقال اذا أمسى في قرية جامعة من ليلة الجمعة فلا يذهب حتى يجمع قال ان ذلك ليكره قلت فمن يوم الخميس قال لا ذلك النهار فلا يضره * السابعة عشر ان للماشي الى الجمعة بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها قال عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ودنا من الامام فأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير ورواه الامام أحمد في مسنده قال الامام أحمد غسل بالتشديد جامع أهله وكذلك فسره وكيع * الثامنة عشر أنه يوم تكفير السيئات فقد روى الامام أحمد في مسنده عن سلمان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرى ما يوم الجمعة قلت هو اليوم الذى جمع الله فيه أباكم آدم قال ولكني أدرى ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتى الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته الا كانت كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة وفي المسند أيضا من حديث عطاء الخراساني عن نبيشة الهذلي أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل الى المسجد لا يؤذي أحدا فان لم يجد الامام خرج صلى ما بدا له وان وجد الامام خرج جلس واستمع وأنصت حتى يقضي الامام جمعته غفر له وان لم يغفر له

يحصدنا مه تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب * قال ابن اسحق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها فقال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضيناه هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى الامين فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب * الى الثعبان وهى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش * واحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدت * تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت * عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت * لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء * لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه * وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بنى لؤى * فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى * ومرة قد تقدمها كلاب

فبوأنا المليك بذلك عزا * وعند الله يلتمس الثواب (قال ابن هشام) ويروى على مساو بنا ثياب وكانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف

(حديث الحمس) * قال ابن اسحق (١٠٦) وقد كانت قريش لا أدرى قبل الفيل أو بعده ابتدعت رأى الحمس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها فليس لاحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيأ من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويرون لسائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك (قال ابن هشام) وحدثنى أبو عبيدة النحوى ان بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك وأنشدنى لعمرو بن معديكرب

أعباس لو كانت شيارا جيادنا
بتثليث ما (١) ناصيت بعدى الاحامسا

(قال ابن هشام) تثليث موضع من بلادهم والشيار الحسان يعنى بالاحامس بنى عامر بن صعصعة وعباس عباس بن مرداس السلمى وكان أغار على بنى زبيد بتثليث وهذا البيت فى قصيدة لعمرو وأنشدنى للقيط بن زرارة الدارمى فى يوم جبلة

اجذم اليك انها بنو عبس * المعشر الجلة فى القوم الحمس

لان بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر

(١) قوله ناصيت أى واصلت

في جمعته ثلاث ذنوب كلها تكون كفارة للجمعة التى تليها وفى صحيح البخارى عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفى مسند أحمد من حديث أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة ثم لبس ثيابه ومس طيبا ان كان عنده ثم مشى الى الجمعة وعليه السكينة ولم يتخط أحدا ولم يؤذه وركع ما قضى له ثم انتظر حتى ينصرف الامام غفر له ما بين الجمعتين * التاسعة عشر ان جهنم تسجر كل يوم الا يوم الجمعة وقد تقدم حديث أبى قتادة فى ذلك وسر ذلك والله أعلم أنه أفضل الايام عند الله ويقع فيه من الطاعات والعبادات والدعوات والابتهال الى الله سبحانه وتعالى ما يمنع من تسجير جهنم فيه ولذلك تكون معاصى أهل الايمان فيه أقل من معاصيهم فى غيره حتى ان أهل الفجور ليمتنعون فيه مما لا يمتنعون منه فى يوم السبت وغيره وهذا الحديث الظاهر منه أن المراد سجر جهنم فى الدنيا وانها توقد كل يوم الا يوم الجمعة وأما يوم القيامة فانه لا يفتر عذابها ولا يخفف عن أهلها الذين هم أهلها يوما من الايام ولذلك يدعون الخزنة أن يدعوا ربهم فيخفف عنهم يوما من العذاب فلا يجيبونهم الى ذلك * العشرون أن فيه ساعة الاجابة وهى الساعة التى لا يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وقال بيده يقللها وفى المسند من حديث أبى لبابة المنذرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيد الايام يوم الجمعة وأعظمها عند الله وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الاضحى وفيه خمس خصال خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله عز وجل آدم وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيأ الا آتاه الله اياه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا أرض ولا رياح ولا بحر ولا جبال ولا شجر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة

(فصل) وقد اختلف الناس فى هذه الساعة هل هى باقية أو قد رفعت على قولين حكاهما ابن عبد البر وغيره والذين قالوا هى باقية ولم ترفع اختلفوا هل هى فى وقت من اليوم بعينه أم هى غير معينة على قولين ثم اختلف من قال بعدم تعيينها هل هى تنتقل فى ساعات اليوم أولا على قولين أيضا والذين قالوا بتعيينها اختلفوا على أحد عشر قولا * قال ابن المنذر روينا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال هى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروب الشمس * الثانى أنها عند الزوال ذكره ابن المنذر عن الحسن البصرى وأبى العالية * الثالث أنها اذا أذن المؤذن بصلاة الجمعة قال ابن المنذر روينا ذلك عن عائشة رضى الله عنها * الرابع أنها اذا جلس الامام على المنبر يخطب حتى يفرغ قال ابن المنذر رويناه عن الحسن البصرى * الخامس قاله أبو بردة هى الساعة التى اختار الله وقتها للصلاة * السادس قاله أبو السوار العدوى وقال كانوا يرون أن الدعاء مستجاب ما بين زوال الشمس الى أن تدخل الصلاة * السابع قاله أبو ذر أنها ما بين ان ترتفع الشمس شبرا الى ذراع * الثامن أنها ما بين العصر الى غروب الشمس قاله أبو هريرة وعطاء وعبد الله بن سلام وطاوس حكى ذلك كله ابن المنذر * التاسع أنها آخر ساعة بعد العصر وهو قول أحمد وجمهور الصحابة والتابعين * العاشر أنها من حين خروج الامام الى فراغ الصلاة حكاه النووى وغيره * الحادى عشر أنها الساعة الثالثة من النهار حكاه صاحب المغنى فيه وقال كعب لو قسم الانسان جمعة فى جمع أتى على تلك الساعة وقال

في عمران طلب حاجة في يوم ليسير وأرجح هذه الاقوال قولان تضمنتهما الاحاديث الثابتة وأحدهما أرجح من الآخر الاول أنها من جلوس الامام الى انقضاء الصلاة وحجة هذا القول ماروى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى أن عبد الله بن عمر قال له أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة شيأ قال نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين أن يجلس الامام الى أن يقضي الصلاة وروى ابن ماجه والترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجمعة ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيأ الا آتاه الله اياه قالوا يارسول الله أية ساعة هي قال حين تقام الصلاة الى الانصراف منها والقول الثاني أنها بعد العصر وهذا أرجح القولين وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة والامام أحمد وخلق وحجة هذا القول مارواه أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه وهي بعد العصر وروى أبو داود والنسائي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة اثنا عشر ساعة فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة فتفرقوا ولم يختلفوا انها آخر ساعة من يوم الجمعة وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله يعني التوراة في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله عز وجل شيأ الا قضى الله له حاجته قال عبد الله فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة قلت صدقت يارسول الله أو بعض ساعة قلت أي ساعة هي قال هي آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يجلسه الا الصلاة فهو في صلاة وفي مسند أحمد من حديث أبي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لاي شيء سمي يوم الجمعة قال لان فيه طبعت طينة أبيك آدم وفيها الصعقة والبعثة وفيها البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ومامن دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل حاجة الا أعطاه اياها قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة فلقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب فقال عبد الله بن سلام وقد علمت أي ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها فقال عبد الله بن سلام هي آخر ساعة من يوم الجمعة فقلت كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي قال فقلت بلى فقال هو ذاك قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي الصحيحين بعضه وأما من قال انها من حين يفتتح الامام الخطبة الى فراغه من الصلاة فاحتج بما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري قال قال عبد الله بن عمر

ابن صعصعة و يوم جبلة يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم و بين بني عامر بن صعصعة فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة وقتل يومئذ لقيط بن زرارة بن عدس وأسر حاجب بن زرارة بن عدس وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة ففيه يقول جرير للفرزدق

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يالدارم

وهذا البيت في قصيدة له ثم التقوا يوم ذي نجب فكان الظفر لحنظلة على بني عامر وقتل يومئذ حسان ابن معاوية الكندي وهو أبو كبشة وأسر يزيد بن الصعق الكلابي وانهزم الطفيل بن مالك ابن جعفر بن كلاب أبو عامر بن الطفيل ففيه يقول الفرزدق

ومنهن اذ نجى طفيل بن مالك * على قرزل رجلا ركوض الهزائم
ونحن ضربنا هامة ابن خويلد * يزيد على أم الفراخ الجوائم

وهذان البيتان في قصيدة له فقال جرير

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه * ولاقى امرأ في ضمة الخيل مصقعا

وهذا البيت في قصيدة له وحديث يوم جبلة ويوم ذي نجب أطول مما ذكرنا وانما منعني من استقصائه ماذكرت في حديث يوم الفجار * قال ابن اسحق ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم حتى قالوا لا ينبغي للحمس ان يأتقطوا الاقط (١) ولا يسلؤوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا ان استظلوا الا في بيوت الادم ما كانوا حرما ثم رفعوا في ذلك فقالوا لا ينبغي لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيأ طافوا بالبيت عراة فان تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبدا وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقى فحملوا على ذلك العرب فدانت به ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة أما الرجال فيطوفون

(١) يقال سلأت السمن واستلأته اذا طبخ وعولج والاسم السلاء بالكسر ممدودا

عراة وأما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه فقالت امرأة من العرب وهي كذلك تطوف بالبيت
اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره فقال قائل
من العرب يذكر شيأ تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه كفى حزنا كرى عليها كأنها * لقى بين أيدي الطائفين حريم
يقول لا تمس فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه حين أحكم له دينه وشرع له سنن حجه ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا لله ان الله غفور رحيم يعني قريشا الناس العرب فرفعهم في سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها وأنزل الله عليه فيما كانوا احرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاؤا به من الحل من الطعام يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه عن الناس بالاسلام حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم *قال ابن اسحق حدثني عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي وانه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

﴿أخبار الكهان من العرب والاحبار من يهود والرهبان من النصارى﴾

*قال ابن اسحق وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه أما الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه وأما الكهان من العرب

أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة قال قلت نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين أن يجلس الامام الى أن يقضي الصلاة وأما من قال هي ساعة الصلاة فاحتج بما رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الجمعة لساعة لا يسأل الله العبد فيها شيأ الا آتاه الله اياه قالوا يا رسول الله أية ساعة قال حين تقام الصلاة الى الانصراف منها ولكن هذا الحديث ضعيف قال أبو عمر بن عبد البر هو حديث لم يروه فيما علمت الا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده وليس هو ممن يحتج بحديثه وقد روى روح بن عبادة عن عوف عن معاوية بن قرة عن أبي بردة عن أبي موسى انه قال لعبد الله بن عمر هي الساعة التي يخرج فيها الامام الى أن يقضي الصلاة فقال ابن عمر أصاب الله بك وروى عبد الرحمن بن حجيرة عن أبي ذر أن امرأته سألته عن الساعة التي يستجاب فيها يوم الجمعة للعبد المؤمن فقال لها هي مع رفع الشمس بيسير فان سألتني بعدها فانت طالق واحتج هؤلاء أيضا بقوله في حديث أبي هريرة وهو قائم يصلي وبعد العصر لا صلاة في ذلك الوقت والاخذ بظاهر الحديث أولى قال أبو عمر يحتج أيضا من ذهب الى هذا بحديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زالت الشمس وفاءت الافياء وراحت الارواح فاطلبوا الى الله حوائجكم فانها ساعة الاوابين ثم تلا انه كان للاوابين غفورا وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الساعة التي تذكر يوم الجمعة ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وكان سعيد بن جبير اذا صلى العصر لم يكلم أحدا حتى تغرب الشمس وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الاحاديث ويليه القول بانها ساعة الصلاة وبقية الاقوال لا دليل عليها وعندي ان ساعة الصلاة ساعة يرجى فيها الاجابة أيضا فكلاهما ساعة اجابة وان كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر واما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت لان لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم الى الله تعالى تأثيرا في الاجابة فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الاجابة وعلى هذا تتفق الاحاديث كلها ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد حض أمته على الدعاء والابتهال الى الله تعالى في هاتين الساعتين ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدكم هذا وأشار الى مسجد المدينة وهذا لا ينفي أن يكون مسجد قباء الذي نزلت فيه الآية مؤسسا على التقوى بل كل منهما مؤسس على التقوى فكذلك قوله في ساعة الجمعة هي ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة لا ينافي قوله في الحديث الآخر فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر ويشبه هذا في الاسماء قوله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الرقوب فيكم قالوا من لم يولد له قال الرقوب من لم يقدم من ولده شيأ فاخبر ان هذا هو الرقوب اذ لم يحصل له من ولده من الاجر ما حصل لمن قدم منهم فرطا وهذا لا ينافي ان يسمى من لم يولد له رقوبا ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ما تعدون المفلس فيكم قالوا من لا درهم له ولا متاع قال المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال ويأتي وقد لطم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته الحديث ومثله قوله ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يتفطن له فيتصدق عليه وهذه الساعة هي آخر ساعة بعد العصر يعظمها جميع أهل الملل وعند أهل الكتاب هي ساعة الاجابة وهذا

فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع اذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقي العرب لذلك فيه بالاحتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لامر حدث من أمر الله فى العباد يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجن اذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وأنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا ألن تقول الانس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها انما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشئ من خبر السماء فيلتبس على أهل الارض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم الآية وكان قول الجن وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم اذا سافر فنزل بطن واد من الارض ليبيت فيه قال انى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه (قال ابن هشام) الرهق الطغيان والسفه قال رؤبة بن العجاج * اذ تستبى الهيامة المرهقا * وهذا البيت فى أرجوزة له والرهق أيضا طلبك الشئ حتى تدنو منه فتأخذه أولا تأخذه قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش بصبصن واقشعررن من خوف الرهق * وهذا البيت فى أرجوزة

وهذا انما لاغرض لهم فى تبديله وتحريفه وقد اعترف به مؤمنهم * وأما من قال بتنقلها فرام الجمع بذلك بين الاحاديث كما قيل ذلك فى ليلة القدر وهذا ليس بقوى فان ليلة القدر قد قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم فالتمسوها فى خامسة تبقى فى سادسة تبقى فى سابعة تبقى فى تاسعة تبقى ولم يجئ مثل ذلك فى ساعة الجمعة وأيضا فالاحاديث التى فى ليلة القدر ليس فيها حديث صريح بانها ليلة كذا وكذا بخلاف أحاديث ساعة الجمعة فظهر الفرق بينهما * وأما قول من قال انها رفعت فهو نظير قول من قال انها رفعت ليلة القدر وهذا القائل ان أراد انها كانت معلومة فرفع علمها عن الامة فيقال له لم يرفع علمها عن كل الامة وان رفع عن بعضهم وان أراد أن حقيقتها وكونها ساعة اجابة رفعت فقول باطل مخالف للاحاديث الصحيحة الصريحة فلا يعول عليه والله أعلم * الحادية والعشرون ان فيه صلاة الجمعة التى خصت من بين سائر الصلوات المفروضات بخصائص لا توجد فى غيرها من الاجتماع والعدد المخصوص واشتراط الاقامة والاستيطان والجهر بالقراءة وقد جاء من التشديد فيها ما لم يأت نظيره الا فى صلاة العصر ففى السنن الاربعة من حديث أبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه قال الترمذى حديث حسن وسألت محمدا عن اسم أبى الجعد الضمرى فقال لم يعرف اسمه وقال لا أعرف له عن النبى صلى الله عليه وسلم الا هذا الحديث وقد جاء فى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر لمن تركها أن يتصدق بدينار فان لم يجد فنصف دينار رواه أبو داود والنسائى من رواية قدامة بن وبرة عن سمرة بن جندب ولكن قال أحمد قدامة بن وبرة لا يعرف وقال يحيى بن معين ثقة وحكى عن البخارى انه لا يصح سماعه من سمرة وأجمع المسلمون على ان الجمعة فرض عين الا قولا يحكى عن الشافعى انها فرض كفاية وهذا غلط عليه منشؤه انه قال وأما صلاة العيد فتجب على كل من تجب عليه صلاة الجمعة فظن هذا القائل ان العيد لما كانت فرض كفاية كانت الجمعة كذلك وهذا فاسد بل هذا نص من الشافعى ان العيد واجب على الجميع وهذا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فرض عين كالجمعة وان يكون فرض كفاية فان فرض الكفاية يجب على الجميع كفرض الاعيان سواء وانما يختلفان بسقوطه عن البعض بعد وجوبه بفعل الآخرين * الثانية والعشرون ان فيه الخطبة التى يقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة وتذكير العباد بايامه وتحذيرهم من بأسه ونقمته ووصيتهم بما يقربهم اليه والى جنانه ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها * الثالثة والعشرون انه اليوم الذى يستحب ان يتفرغ فيه للعبادة وله على سائر الايام مزية بانواع العبادات واجبة ومستحبة فالله سبحانه جعل لاهل كل ملة يوما يتفرغون فيه للعبادة ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا فيوم الجمعة يوم عبادة وهو فى الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم سلمت له سائر جمعته ومن صح له رمضان وسلم سلمت له سائر سنته ومن صحت له حجته وسلمت له صح له سائر عمره فيوم الجمعة ميزان الاسبوع ورمضان ميزان العام والحج ميزان العمر وبالله التوفيق * الرابعة والعشرون انه لما كان فى الاسبوع كالعيد فى العام وكان العيد مشتملا على صلاة وقربان وكان يوم الجمعة يوم صلاة جعل الله سبحانه التعجيل فيه الى المسجد بدلا من القربان وقائما مقامه فيجتمع للرائح فيه الى المسجد الصلاة والقربان كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه

له والرهق أيضا مصدر لقول الرجل للرجل رهقت الاثم والعسر الذي أرهقتني رهقا شديدا أي حملت الاثم والعسر الذي حملتني حملا شديدا وفي كتاب الله تعالى فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وقوله ولا ترهقني من أمري عسرا * قال ابن اسحق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث ان أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها هذا الحي من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج قال وكان أدهى العرب وأمكرها رأيا فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لامر أراد الله به هذا الخلق فما هو * قال ابن اسحق فذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عن عبد الله ابن عباس عن نفر من الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به قالوا يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ملك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان اذا قضى في خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيتحدثوا به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم يأتوا به الكهان من أهل الارض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين بهذه

القول

وسلم انه قال من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا وقد اختلف الفقهاء في هذه الساعة على قولين أحدهما انها من أول النهار وهذا هو المعروف في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما والثاني انها أجزاء من الساعة السادسة بعد الزوال وهذا هو المعروف في مذهب مالك واختاره بعض الشافعية واحتجوا عليه بحجتين احداهما ان الرواح لا يكون الا بعد الزوال وهو مقابل الغدو والذي لا يكون الا قبل الزوال قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر قال الجوهري لا يكون الا بعد الزوال الحجة الثانية ان السلف كانوا أحرص شيء على الخير ولم يكونوا يغدون الى الجمعة من وقت طلوع الشمس وأنكر مالك التبكير اليها في أول النهار وقال لم ندرك عليه أهل المدينة واحتج أصحاب القول الاول بحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة اثنا عشر ساعة قالوا والساعات المعهودة هي الساعات التي هي اثنا عشر ساعة وهي نوعان ساعات معتدلة وساعات زمانية قالوا ويدل على هذا القول ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بلغ بالساعات الى ست ولم يزد عليها ولو كانت الساعة أجزاء صغارا من الساعة التي تفعل فيها الجمعة لم تنحصر في ستة أجزاء بخلاف ما اذا كان المراد بها الساعات المعهودة فان الساعة السادسة متى خرجت ودخلت السابعة خرج الامام وطويت الصحف ولم يكتب لاحد قربان بعد ذلك كما جاء مصرحا به في سنن أبي داود من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها الى الاسواق فيرمون الناس بالترابيث أو الربائث ويثبطونهم عن الجمعة وتغدو الملائكة فتجلس على أبواب المساجد فيكتبون الرجل من ساعة والرجل من ساعتين حتى يخرج الامام قال عمر بن عبد البر اختلف أهل العلم في تلك الساعات فقالت طائفة منهم أراد الساعات من طلوع الشمس وصفائها والافضل عندهم التبكير في ذلك الوقت الى الجمعة وهو قول الثوري وأبي حنيفة رحمه الله والشافعي رحمه الله وأكثر العلماء يستحب البكور اليها قال الشافعي رحمه الله ولو بكر اليها بعد الفجر وقبل طلوع الشمس كان حسنا وذكر الاثرم قال قيل لاحمد بن حنبل كان مالك بن أنس يقول لا ينبغي التهجير يوم الجمعة باكرا فقال هذا خلاف حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقال سبحان الله الى أي شيء ذهب في هذا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كالمهدي جزورا قال وأما مالك رحمه الله فذكر يحيى بن عمر عن حرملة انه سأل ابن وهب عن تفسير هذه الساعات أهو الغدو من أول ساعات النهار أو انما أراد بهذا القول ساعات الرواح فقال ابن وهب سألت مالكا عن هذا فقال أما الذي يقع بقلبي فانه انما أراد ساعة واحدة تكون فيها هذه الساعات من راح من أول تلك الساعة أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة أو السادسة ولو لم يكن كذلك ما صليت الجمعة حتى يكون النهار تسع ساعات في وقت العصر أو قريبا من ذلك وكان ابن حبيب ينكر قول مالك هذا ويميل الى القول الاول وقال قول مالك هذا تحريف في تأويل الحديث ومحال من وجوه وقال يدلك انه لا يجوز ساعات في ساعة واحدة أن الشمس انما تزول في الساعة السادسة من النهار وهو وقت الاذان وخروج الامام الى الخطبة فدل ذلك على أن الساعات في هذا الحديث هي ساعات النهار المعروفات فبدأ بأول ساعات النهار فقال من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ثم قال في الساعة الخامسة بيضة ثم انقطع التهجير وحان وقت الاذان فشرح الحديث بين في لفظه ولكنه حرف عن موضعه وشرح بالخلف من

النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة * قال ابن اسحق وحدثني عمرو بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم ان امرأة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي فانقض

تحتها ثم قال أدر ما أدر يوم عقر ونحر قالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال شعوب ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ان هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا انه الذي كان جاء به الى صاحبته (قال ابن هشام) الغيطلة من بني مرة بن عبد مناة ابن كنانة أخوة مدلج بن مرة وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
بني خلف قيضا بنا والغياطل

فقيل لولدها الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث ان عمر بن الخطاب بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر بن الخطاب فلما نظر اليه عمر رضي الله عنه قال ان هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر رضي الله عنه هل أسلمت قال نعم يا أمير المؤمنين قال له فهل كنت كاهنا في

القول وما لا يكون وزهد شارحه الناس فيما رغبهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التهجير من أول النهار وزعم ان ذلك كله انما يجتمع في ساعة واحدة قرب زوال الشمس قال وقد جاءت الآثار بالتهجير الى الجمعة في أول النهار وقد سقنا ذلك في موضعه من كتاب واضح السنن بما فيه بيان وكفاية هذا كله قول عبد الملك بن حبيب ثم رد عليه أبو عمر وقال هذا تحامل منه على مالك رحمه الله تعالى فهو الذي قال القول الذي أنكره وجعله خلفا وتحريفا من التأويل والذي قاله مالك تشهد له الآثار الصحاح من رواية الأئمة ويشهد له أيضا العمل بالمدينة عنده وهذا مما يصح فيه الاحتجاج بالعمل لانه أمر يتردد كل جمعة لا يخفى على عامة العلماء فمن الآثار التي يحتج بها مالك ما رواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم الجمعة قام على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس الاول فالاول فالمهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة فاذا جلس الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة قال ألا ترى الى ما في هذا الحديث فانه قال يكتبون الناس الاول فالاول فالمهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه فجعل الاول مهجرا وهذه اللفظة انما هي مأخوذة من الهاجرة والتهجير وذلك وقت النهوض الى الجمعة وليس ذلك وقت طلوع الشمس لان ذلك الوقت ليس بهاجرة ولا تهجير وفي الحديث ثم الذي يليه ثم الذي يليه ولم يذكر الساعة قال والطرق بهذا اللفظ كثيرة مذكورة في التمهيد وفي بعضها المتعجل الى الجمعة كالمهدي بدنة وفي أكثرها المهجر كالمهدي جزورا الحديث وفي بعضها ما يدل على أنه جعل الرائح الى الجمعة في أول الساعة كالمهدي بدنة وفي آخرها كذلك وفي أول الساعة الثانية كالمهدي بقرة وفي آخرها كذلك وقال بعض أصحاب الشافعي لم يرد صلى الله عليه وسلم بقوله المهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة الناهض في الهاجرة التهجير والهاجرة وانما أراد التارك لأشغاله وأعماله من اغراض أهل الدنيا للنهوض الى الجمعة كالمهدي بدنة وذلك مأخوذ من الهجرة وهو ترك الوطن والنهوض الى غيره ومنه سمي المهاجرون وقال الشافعي رضي الله عنه أحب التبكير الى الجمعة ولا تؤتى الا مشيا هذا كله كلام أبي عمر * قلت ومدار انكار التبكير أول النهار على ثلاثة أقوال * أحدها على لفظة الرواح وانها لا تكون الا بعد الزوال * والثاني لفظة التهجير وهي انما تكون بالهاجرة وقت شدة الحر * والثالث عمل أهل المدينة فانهم لم يكونوا يأتون من أول النهار فأما لفظة الرواح فلا ريب أنها تطلق على المضي بعد الزوال وهذا انما يكون في الاكثر اذا قرنت بالغدو كقوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وقوله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد وراح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح وقول الشاعر

نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي

وقد يطلق الرواح بمعنى الذهاب والمضي وهذا انما يجيء اذا كانت مجردة عن الاقتران بالغدو وقال الازهري في التهذيب سمعت بعض العرب يستعمل الرواح في السير في كل وقت يقول راح القوم اذا ساروا وغدوا ويقول أحدهم لصاحبه تروح ويخاطب أصحابه فيقول روحوا أي سيروا ويقول الآخر ألا تروحوا ونحو ذلك ما جاء في الاخبار الصحيحة الثابتة وهو بمعنى المضي الى الجمعة والسير اليها لا بمعنى الرواح بالعشي وأما لفظ التهجير والمهجر فمن الهجير والهاجرة قال الجوهري هي نصف النهار عند اشتداد الحر تقول منه هجر النهار قال امرؤ القيس

الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد ظننت فيّ واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لاحد من رعيتك منذ وليت ما وليت فقال عمر اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام ونعتنق الاوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فأخبرني ما جاءك به صاحبك قال جاءني قبل الاسلام بشهر (١) أو شيعة فقال ألم تر الى الجن وابلاسها وإياسها من دينها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها (قال ابن هشام) هذا الكلام سجع وليس بشعر قال عبد الله بن كعب فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس والله اني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر أو شيعه يقول يا ذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله الا الله (قال ابن هشام) ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله الا الله (وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر)

عجبت للجن وابلاسها
وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمنو الجن كأنجاسها

*قال ابن اسحق فهذا ما بلغنا عن الكهان من العرب

(انذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من

فدعها وسل الهم عنها بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجرا

ويقال أتينا أهلنا مهجرين أي في وقت الهاجرة والتهجير السير في الهاجرة فهذا ما يقرره قول أهل المدينة قال الآخرون الكلام في لفظ التهجير كالكلام في لفظ الرواح فانه يطلق ويراد به التبكير وقال الازهري في التهذيب روى مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا اليه وفي حديث آخر مرفوع المهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة قال ويذهب كثير من الناس الى أن التهجير في هذه الاحاديث من الهاجرة وقت الزوال وهو غلط والصواب فيه ما روى أبو داود المصاحفي والنضر بن شميل أنه قال التهجير الى الجمعة وغيرها التبكير قال وسمعت الخليل يقول ذلك قاله في تفسير هذا الحديث قال الازهري وهذا صحيح وهي لغة أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال لبيد

* راح القطين بهجر بعدما ابتكروا * فقرن الهجر بالابتكار والرواح عندهم الذهاب والمضي يقال راح القوم اذا مضوا وساروا أي وقت كان وقوله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا اليه أراد التبكير الى جميع الصلوات وهو المضي اليها في جميع أول أوقاتها قال الازهري وسائر العرب يقولون هجر الرجل اذا خرج بالهاجرة وروى أبو عبيدة عن أبي زيد هجر الرجل اذا خرج بالهاجرة قال وهي نصف النهار ثم قال الازهري أنشدني المنذري فيما روى لثعلب عن ابن الاعرابي في نوادره قال قال جبهة بن جواس الربيعي في ناقته

هل تذكرين قسمي ونذري * أزمان أنت بعروض الجفر
اذ أنت مضرار جواد الحضر * على ان لم تنهضي بوقر
بأربعين قدرت بقدري * بالخالدي لا بصاع حجر
وتصحبي أيانقا في سفري * يهجرون بهجير الفجر
ثمت تسري ليلهم فتسري * تطوي آثار الفجاج العبري
* طي أخي التجر برود التجر *

قال الازهري يهجرون تهجير الفجر أي يبكرون بوقت الفجر وأما كون أهل المدينة لم يكونوا يروحون الى الجمعة أول النهار فهذا غاية عملهم في زمان مالك رحمه الله وهذا ليس بحجة ولا عند من يقول اجماع أهل المدينة حجة فان هذا ليس فيه الا ترك الرواح الى الجمعة من أول النهار وهذا جائز بالضرورة وقد يكون اشتغال الرجل بمصالحه ومصالح أهله ومعاشه وغير ذلك من أمور دينه ودنياه أفضل من رواحه الى الجمعة من أول النهار ولا ريب أن انتظار الصلاة بعد الصلاة وجلوس الرجل في مصلاه حتى يصلي الصلاة الاخرى أفضل من ذهابه وعوده في وقت آخر للثانية كما قال صلى الله عليه وسلم والذي ينتظر الصلاة ثم يصليها مع الامام أفضل من الذي يصلي ثم يروح الى أهله وأخبر أن الملائكة لم تزل تصلي عليه ما دام في مصلاه وأخبر أن انتظار الصلاة بعد الصلاة مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات وانه الرباط وأخبر أن الله يباهي ملائكته بمن قضى فريضة وجلس ينتظر أخرى وهذا يدل على أن من صلى الصبح ثم جلس ينتظر الجمعة فهو أفضل ممن يذهب ثم يجيء في وقتها وكون أهل المدينة وغيرهم لا يفعلون ذلك لا يدل على أنه مكروه فهكذا المجيء اليها والتبكير في أول النهار والله أعلم * الخامسة والعشرون ان للصدقة فيه مزية عليها في سائر الايام والصدقة فيه

بالنسبة

(١) قوله أو شيعه أي مقداره وشيع كل شيء تبع له اه هامش

بالنسبة الى سائر أيام الاسبوع كالصدقة فى شهر رمضان بالنسبة الى سائر الشهور وشاهدت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه اذا خرج الى الجمعة يأخذ ما وجد فى البيت من خبز أو غيره فيتصدق به فى طريقه سرا وسمعته يقول اذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدى مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصدقة بين يدى مناجاته أفضل وأولى بالفضيلة * وقال أحمد بن زهير بن حرب حدثنا أبى حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أبو هريرة وكعب فقال أبو هريرة ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم فى صلاة يسأل الله عز وجل شيأ الا آتاه اياه فقال كعب أنا أحدثكم عن يوم الجمعة انه اذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والارض والبر والبحر والجبال والشجر والخلائق كلها الا ابن آدم والشياطين وحفت الملائكة بأبواب المسجد فيكتبون من جاء الاول فالاول حتى يخرج الامام فاذا خرج الامام طووا صحفهم فمن جاء بعد جاء لحق الله وما كتب له عمل وحق على كل حالم أن يغتسل يومئذ كاغتساله من الجنابة والصدقة فيه أعظم من الصدقة فى سائر الايام ولم تطلع الشمس ولم تغرب على مثل يوم الجمعة فقال ابن عباس هذا حديث كعب وأبى هريرة وأنا أرى ان كان لاهله طيب يمس منه * السادسة والعشرون أنه يوم يتجلى الله عز وجل فيه لاوليائه المؤمنين فى الجنة وزيارتهم له فيكون أقربهم منه أقربهم من الامام وأسبقهم الى الزيارة أسبقهم الى الجمعة * وروى يحيى بن يمان عن شريك عن أبى اليقظان عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى قوله عز وجل ولدينا مزيد قال يتجلى لهم فى كل جمعة وذكر الطبرانى فى معجمه من حديث أبى نعيم المسعودى عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة قال قال عبد الله سارعوا الى الجمع فان الله عز وجل يبرز لاهل الجنة فى كل جمعة فى كثيب من كافور فيكونون منه فى القرب على قدر تسارعهم الى الجمعة فيحدث الله سبحانه لهم من الكرامة شيأ لم يكونوا قد رأوه قبل ذلك ثم يرجعون الى أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم قال ثم دخل عبد الله المسجد فاذا هو برجلين فقال عبد الله رجلان وأنا الثالث ان يشأ الله يبارك فى الثالث وذكر البيهقى فى الشعب عن علقمة بن قيس قال رحت مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الى جمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد ثم قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس يجلسون يوم القيامة من الله على قدر رواحهم الى الجمعة الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع قال وما رابع أربعة ببعيد * قال الدارقطنى حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن محمد حدثنا مروان بن جعفر حدثنا نافع أبو الحسن مولى بنى هاشم حدثنا عطاء بن أبى ميمون عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم فاحدثهم عهدا بالنظر اليه من بكر فى كل جمعة وتراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر حدثنا محمد بن نوح حدثنا محمد بن موسى بن سفيان السكرى حدثنا عبد الله بن الجهم الرازى حدثنا عمرو بن أبى قيس عن أبى طيبة عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل وفى يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذا يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها الله عليك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك قلت وما لنا فيها قال لكم فيها خير أنت فيها الاول واليهود والنصارى من بعدك ولك فيها ساعة لا يسأل الله عز وجل عبد فيها شيأ هو له قسم الا أعطاه أو ليس قسم الا أعطاه أفضل منه وأعاذه الله من شر ما هو مكتوب عليه والا دفع عنه ما هو أعظم من ذلك قال قلت وما هذه النكتة

البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (قال ابن هشام) يستفتحون يستنصرون ويستفتحون أيضا يتحاكمون وفى كتاب الله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الاشهل عن سلمة بن سلامة ابن وقش وكان سلمة من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الاشهل قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على بردة لى مضطجع فيها بفناء أهلى فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون ان بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به (١) ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن فقالوا ومتى تراه قال فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا قال فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى هل تدرى عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بنى هدل اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الاسلام قال قلت لا قال فان رجلا

(١) قوله ويود فى نسخة ولود

من يهود من أهل الشام يقال له ابن (١) الهيبان قدم علينا قبيل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا فلا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس
أفضل منه فأقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة
فنقول له كم فيقول صاعا من تمر أو مدين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح
من مجلسه حتى تمر السحابة ونسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع قال قلنا أنت أعلم قال فاني انما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله انه للنبي الذي كان عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم * قال ابن اسحق فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

(حديث اسلام سلمان رضي الله عنه)

* قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري عن محمود ابن لبيد عن عبد الله بن عباس قال حدثني سلمان الفارسي من فيه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله اليه لم يزل
به حبه اياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها منه
لا يتركها تخبو ساعة قال وكانت لابي ضيعة عظيمة قال فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب

(١) قوله الهيبان بفتح الهاء وتشديد الياء التحتية وفتح الموحدة المخففة

السوداء قال هي الساعة تقوم يوم الجمعة وهو عندنا سيد الايام ويدعوه أهل الآخرة يوم المزيد قال قلت يا جبريل وما يوم المزيد قال ذلك ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بمنابر من ذهب فيجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل فينظرون اليه فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه الرضى قال رضاي أنزلكم داري وأنيلكم كرامتي فسلوني فيسألونه الرضى قال فيشهد لهم بالرضى ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يفتح لهم يوم الجمعة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ثم يرتفع رب العزة ويرتفع معه النبيون والشهداء ويجيء أهل الغرف الى غرفهم قال كل غرفة من لؤلؤة لا وصل فيها ولا فصم ياقوتة حمراء وغرفة من زبرجدة خضراء أبوابها وعلاليها وسقائفها وأغلاقها منها أنهارها مطردة متدلية فيها أثمارها فيها أزواجها وخدمها قال فليسوا الى شيء أحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا من كرامة الله عز وجل ونظرا الى وجهه الكريم فذلك يوم المزيد ولهذا الحديث عدة طرق ذكرها أبو الحسن الدارقطني في كتاب الرؤية * السابعة والعشرون انه قد فسر الشاهد الذي أقسم الله به في كتابه بيوم الجمعة قال حميد بن زنجويه حدثنا عبد الله بن موسى أنبأنا موسى بن عبيدة عن أيوب ابن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود هو يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير الا استجاب له أو يستعيذه من شر الا أعاذه منه وروى الحارث بن أبي اسامة في مسنده عن روح عن موسى به وله طرق عن موسى بن عبيدة وفي معجم الطبراني من حديث اسمعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا وصلاة الوسطى صلاة العصر وقد روي من حديث جبير بن مطعم قلت والظاهر والله أعلم أنه من تفسير أبي هريرة فقد قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة * الثامنة والعشرون انه اليوم الذي تفزع منه السموات والارض والجبال والبحار والخلائق كلها الا شياطين الانس والجن فروى أبو الجواب عمار بن رزيق عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع كعب وأبو هريرة فقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خير الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه فقال كعب ألا أحدثكم عن يوم الجمعة انه اذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والارض والجبال والبحار والخلائق كلها الا ابن آدم والشياطين وحفت الملائكة بأبواب المساجد فيكتبون الاول فالاول حتى يخرج الامام فاذا خرج الامام طووا صحفهم ومن جاء بعد جاء لحق الله وما كتب عليه ويحق على كل حالم أن يغتسل فيه كاغتساله من الجنابة والصدقة فيه أفضل من الصدقة في سائر الايام ولم تطلع الشمس ولم تغرب على يوم كيوم الجمعة قال ابن عباس هذا حديث كعب وأبي هريرة وأنا أرى من كان لاهله طيب أن يمس

منه يومئذ وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة ومامن دابة الا وهى تفزع ليوم الجمعة الا هذين الثقلين من الجن والانس وهذا حديث صحيح وذلك أنه اليوم الذى تقوم فيه الساعة ويطوى العالم وتخرب فيه الدنيا ويبعث فيه الناس الى منازلهم من الجنة والنار * التاسعة والعشرون أنه اليوم الذى ادّخره الله لهذه الامة وأضل عنه أهل الكتاب قبلهم كما فى الصحيح من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ماطلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة هدانا الله له وضل الناس عنه فالناس لنا فيه تبع هو لنا ولليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد وفى حديث آخر ذخره الله لنا وقال الامام أحمد حدثنا على بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت بينا انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ استأذن رجل من اليهود فاذن له فقال السام عليك قال النبى صلى الله عليه وسلم وعليك قالت فهممت أن أتكلم قالت ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم وعليك قالت فهممت أن أتكلم ثم دخل الثالثة فقال السام عليكم قالت فقلت بل السام عليكم وغضب الله اخوان القردة والخنازير أتحيون رسول الله بما لم يحيه به الله عز وجل قالت فنظر الى فقال مه ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولا فرددناه عليهم فلم يضرنا شيأ ولزمهم الى يوم القيامة انهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفى بيد لغتان بالباء وهى المشهورة وميد بالميم حكاها أبو عبيدة وفى هذه الكلمة قولان أحدهما انها بمعنى غير وهو أشهر معنييها والثانى بمعنى على ان وأنشد أبو عبيدة شاهدله

عمدا فعلت ذاك بيد انى * أخال لو هلكت لن ترنى

ترنى تفعلى من الرنين * الثلاثون انه خيرة الله من أيام الاسبوع كما ان شهر رمضان خيرته من شهور العام وليلة القدر خيرته من الليالى ومكة خيرته من الارض ومحمد صلى الله عليه وسلم خيرته من خلقه قال آدم بن أبى اياس حدثنا شيبان أبو معاوية عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن كعب الاحبار قال ان الله عز وجل اختار الشهور واختار شهر رمضان واختار الايام واختار يوم الجمعة واختار الليالى واختار ليلة القدر واختار الساعات واختار ساعة الصلاة والجمعة تكفر مابينها وبين الجمعة الاخرى وتزيد ثلاثا ورمضان يكفر مابينه وبين رمضان والحج يكفر مابينه وبين الحج والعمرة تكفر مابينها وبين العمرة ويموت الرجل بين حسنتين حسنة قضاها وحسنة ينتظرها يعنى صلاتين وتصفد الشياطين فى رمضان وتغلق أبواب النار وتفتح فيه أبواب الجنة ويقال فيه ياباغى الخير هلم رمضان أجمع ومامن ليالى أحب الى الله فيهن العمل من ليالى العشر * الحادية والثلاثون ان الموتى تدنو أرواحهم من قبورهم وتوافيها فى يوم الجمعة فيعرفون زوارهم ومن يمر بهم ويسلم عليهم ويلقاهم فى ذلك اليوم أكثر من معرفتهم بهم فى غيره من الايام فهو يوم تلتقى فيه الاحياء والاموات فاذا قامت فيه الساعة التقى الاولون والآخرون وأهل الارض وأهل السماء والرب

اليها فاطلعها وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فانك ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من أمرى قال فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت أولم أكن عهدت اليك ما عهدت قال قلت ياأبت مررت باناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه قال قلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافنى فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته قال وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبرونى بهم قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فاخبرونى بهم فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنونى بهم قال فلما أرادوا الرجعة الى بلادهم أخبرونى بهم فالقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة قال فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين فاحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك فأتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه قال وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيأ منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق قال فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيأ قال فقالوا لى وما علمك بذلك قال قلت لهم أنا أدلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه

والعبد والعامل وعمله والمظلوم وظالمه والشمس والقمر ولم تلتقيا قبل ذلك قط وهو يوم الجمع واللقاء ولهذا يلتقي الناس فيه في الدنيا أكثر من التقائهم في غيره فهو يوم التلاق قال أبو التياح لاحق بن حميد كان مطرف بن عبد الله يبدر فيدخل كل جمعة فادلج حتى اذا كان عند المقابر يوم الجمعة قال فرأيت صاحب كل قبر جالسا على قبره فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة قال فقلت لهم وتعلمون عندكم الجمعة قالوا نعم ونعلم ما تقول فيه الطير قلت وما تقول فيه الطير قالوا تقول رب سلم سلم يوم صالح وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وغيره عن بعض أهل عاصم الجحدري قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته لسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فاين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا لكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله وليلة السبت الى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته وذكر ابن أبي الدنيا أيضا عن محمد بن واسع انه كان يذهب كل غداة سبت حتى يأتي الجبانة فيقف على القبور فيسلم عليهم ويدعو لهم ثم ينصرف فقيل له لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وذكر عن سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك انه قال من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له كيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة * الثانية والثلاثون أنه يكره افراد يوم الجمعة بالصوم هذا منصوص أحمد قال الاثرم قيل لابي عبد الله صيام يوم الجمعة فذكر حديث النهي ان يفرد ثم قال الا أن يكون في صيام كان يصومه وأما ان يفرد فلا قلت رجل كان يصوم يوما ويفطر يوما فوقع فطره يوم الخميس وصومه يوم الجمعة وفطره يوم السبت فصار الجمعة مفردا قال هذا الآن يتعمد صومه خاصة انما كره ان يتعمد الجمعة وأباح مالك وأبو حنيفة صومه كسائر الايام قال مالك لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه قال ابن عبد البر اختلفت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام يوم الجمعة فروى ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وقال قل ما رأيته مفطرا يوم الجمعة وهذا حديث صحيح وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر يوم الجمعة قط ذكره ابن أبي شيبة عن حفص بن غياث عن ليث بن أبي سليم عن عمير بن أبي عمير عن ابن عمر وروى ابن عباس انه كان يصومه ويواظب عليه وأما الذي ذكره مالك فيقولون انه محمد بن المنكدر وقيل صفوان بن سليم وروى الدراوردي عن صفوان بن سليم عن رجل من بني خيثم انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب له عشرة أيام غرر زهر من أيام الآخرة لا يشاكلهن أيام الدنيا والاصل في صوم يوم الجمعة انه عمل بر لا يمنع منه الا بدليل لا معارض له قلت قد صح المعارض صحة لا مطعن فيها البتة ففي الصحيحين عن محمد بن عباد قال سألت جابرا أنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الجمعة قال نعم وفي صحيح مسلم عن محمد ابن عباد قال سألت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الجمعة قال نعم ورب هذه البنية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله

صلى

قال فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا قال فلما رأوه قالوا والله لا يدفنه أبدا قال فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه قال يقول سلمان فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى انه كان أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه قال فأحببته حبا لم أحبه شيأ قبله مثله قال فأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيأ قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال أي بني والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان ان فلانا أوصاني عند موته ان ألحق بك واخبرني أنك على أمره قال فقال لي أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلانا أوصاني اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحباي فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان ان فلانا كان أوصاني الى فلان ثم أوصاني فلان اليك فالى من توصيني وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فأته فانه على أمرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فأوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني قال أي

صلى الله عليه وسلم يقول لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا ان يصوم يوما قبله أو يوما بعده واللفظ للبخارى وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين سائر الايام الا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم وفى صحيح البخارى عن جويرية بنت الحرث ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهى صائمة فقال أصمت أمس قالت لا قال فتريدين ان تصومى غدا قالت لا قال فافطرى وفى مسند أحمد عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم الجمعة وحده وفى مسنده أيضا عن جنادة الازدى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فى سبعة من الازد أنا ثامنهم وهو يتغدى فقال هلموا الى الغداء فقلنا يارسول الله انا صيام فقال أصمتم أمس قلنا لا قال فتصومون غدا قلنا لا قال فافطروا قال فاكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما خرج وجلس على المنبر دعا باناء من ماء فشرب وهو على المنبر والناس ينظرون اليه يريهم انه لا يصوم يوم الجمعة وفى مسنده أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا ان تصوموا قبله أو بعده وذكر ابن أبى شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمران بن ظبيان عن حكيم بن سعيد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال من كان منكم متطوعا من الشهر أياما فليكن فى صومه يوم الخميس ولا يصم يوم الجمعة فانه يوم طعام وشراب وذكر فيجمع الله له يومين صالحين يوم صيامه ويوم نسكه مع المسلمين وذكر ابن جرير عن مغيرة عن ابراهيم انهم كرهوا صوم يوم الجمعة ليقووا على الصلاة قلنا المأخذ فى كراهيته ثلاثة أمور هذا أحدها ولكن يشكل عليه زوال الكراهة بضم يوم قبله أو بعده اليه والثانى انه يوم عيد وهو الذى أشار اليه صلى الله عليه وسلم وقد أورد على هذا التعليل اشكالان أحدهما ان صومه ليس بحرام وصوم يوم العيد حرام والثانى أن الكراهة تزول بعدم افراده وأجيب عن الاشكالين بانه ليس عيد العام بل عيد الاسبوع والتحريم انما هو لصوم عيد العام وأما اذا صام يوما قبله أو يوما بعده فلا يكون قد صامه لاجل كونه جمعة وعيدا فتزول المفسدة الناشئة من تخصيصه بل يكون داخلا فى صيامه تبعا وعلى هذا يحمل مارواه الامام أحمد رحمه الله فى مسنده والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن مسعود ان صح قال قل مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر يوم جمعة فان صح هذا تعين حمله على انه كان يدخل فى صيامه تبعا لا انه كان يفرده لصحة النهى عنه وأين أحاديث النهى الثابتة فى الصحيحين من حديث الجواز الذى لم يروه أحد من أهل الصحيح وقد حكم الترمذى بغرابته فكيف يعارض به الاحاديث الصحيحة الصريحة ثم يقدم عليها والمأخذ الثالث سد الذريعة من ان يلحق بالدين ماليس فيه ويوجب التشبه باهل الكتاب فى تخصيص بعض الايام بالتجرد عن الاعمال الدنيوية وينضم الى هذا المعنى ان هذا اليوم لما كان ظاهر الفضل على الايام كان الداعى الى صومه قويا فهو فى مظنة تتابع الناس فى صومه واحتفالهم به مالا يحتفلون بصوم يوم غيره وفى ذلك الحاق بالشرع ماليس منه ولهذا المعنى والله أعلم نهى عن تخصيص ليلة الجمعة بالقيام من بين الليالى لانها من أفضل الليالى حتى فضلها بعضهم على ليلة القدر وحكيت رواية عن أحمد فهى فى مظنة تخصيصها بالعبادة فحسم الشارع الذريعة وسدها بالنهى عن تخصيصها بالقيام والله أعلم فان قيل ماتقولون فى تخصيص يوم غيره بالصيام قيل أما تخصيص ماخصصه الشارع كيوم الاثنين ويوم عرفة ويوم عاشوراء فسنة وأما تخصيص غيره كيوم السبت

نبى والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس مرك به أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين (١) حرتين بينهما نخل به علامات لاتخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مربى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم فاعطيتهموها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فاحتملنى الى المدينة فوالله ماهو الا أن رأيتها عرفتها بصفة صاحبى فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة والله انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبى (قال ابن هشام) قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الاوس والخزرج (قال النعمان بن بشير الانصارى يمدح الاوس والخزرج)

بها ليل من أولاد قيلة لم يجد
عليهم خليط فى مخالطة عتبا
مساميح أبطال يراحون للندى
يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال قال سلمان فلما سمعتها أخذتنى العرواء (قال ابن هشام) العرواء الرعدة من البرد والانتفاض فان كان مع ذلك عرق فهى الرحضاء وكلاهما ممدود حتى ظننت انى سأسقط على سيدى

(١) الحرة كل أرض ذات حجارة سود

والثلاثاء والاحد والاربعاء فمكروه وما كان منها اقرب الى التشبه بالكفار لتخصيص أيام أعيادهم بالتعظيم والصيام فاشد كراهة واقرب الى التحريم * الثالثة والثلاثون انه يوم اجتماع الناس وتذكيرهم بالمبدأ والمعاد وقد شرع الله سبحانه وتعالى لكل أمة فى الاسبوع يوما يتفرغون فيه للعبادة ويجتمعون فيه لتذكر المبدأ والمعاد والثواب والعقاب ويتذكرون به اجتماعهم يوم الجمع الاكبر قياما بين يدى رب العالمين وكان أحق الايام بهذا الغرض المطلوب اليوم الذى يجمع الله فيه الخلائق وذلك يوم الجمعة فادخره الله لهذه الامة لفضلها وشرفها فشرع اجتماعهم فى هذا اليوم لطاعته وقدر اجتماعهم فيه مع الامم لنيل كرامته فهو يوم الاجتماع شرعا فى الدنيا وقدرا فى الآخرة وفى مقدار انتصافه وقت الخطبة والصلاة تكون أهل الجنة فى منازلهم وأهل النار فى منازلهم كما ثبت عن ابن مسعود من غير وجه انه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى منازلهم وأهل النار فى منازلهم وقرأ ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وكذلك هى فى قراءته ولهذا كون الايام سبعة انما تعرفه الامم التى لها كتاب فاما أمة لا كتاب لها فلا تعرف ذلك الا من تلقاه منهم عن أمم الانبياء فانه ليس هنا علامة حسية يعرف بها كون الايام سبعة بخلاف الشهر والسنة وفصولها ولما خلق الله السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وتعرف بذلك الى عباده على السنة رسله وأنبيائه شرع لهم فى الاسبوع يوما يذكرهم فيه بذلك وحكمة الخلق وما خلقوا له وبأجل العالم وطى السموات والارض وعود الامر كما بدأه سبحانه وعدا عليه حقا وقولا صدقا ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى فجر يوم الجمعة سورتى الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان لما اشتملتا عليه هاتان السورتان مما كان ويكون من المبدأ والمعاد وحشر الخلائق وبعثهم من القبور الى الجنة والنار لا لاجل السجدة كما يظنه من نقص علمه ومعرفته فيأتى بسجدة من سورة أخرى ويعتقد ان فجر يوم الجمعة فضل بسجدة وينكر على من لم يفعلها وهكذا كانت قراءته صلى الله عليه وسلم فى المجامع الكبار كالاعياد ونحوها بالسورة المشتملة على التوحيد والمبدأ والمعاد وقصص الانبياء مع أممهم وما عامل به من كذبهم وكفرهم من الهلاك والشقاء ومن آمن منهم وصدقهم من النجاة والعافية كما كان يقرأ فى العيدين بسورتى ق والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر وتارة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وتارة يقرأ فى الجمعة بسورة الجمعة لما تضمنت من الامر بهذه الصلاة وايجاب السعى اليها وترك العمل العائق عنها والامر باكثار ذكره ليحصل لهم الفلاح فى الدارين فان فى نسيان ذكره العطب والهلاك فى الدارين ويقرأ فى الثانية بسورة اذا جاءك المنافقون تحذيرا للامة من النفاق المردى وتحذيرا لهم ان يشغلهم أموالهم وأولادهم عن صلاة الجمعة وعن ذكره وانهم ان فعلوا ذلك خسروا ولابد وحضا لهم على الانفاق الذى هو من أكبر أسباب سعادتهم وتحذيرا لهم من هجوم الموت وهم على حالة يطلبون الاقالة ويتمنون الرجعة ولا يجابون اليها وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك عند قدوم وفد يريد ان يسمعهم القرآن وكان يطيل قراءة الصلاة الجهرية لذلك كما صلى المغرب بالاعراف وبالطور وق وكان يصلى الفجر بنحو مائة آية وكذلك كان خطبه صلى الله عليه وسلم انما هى تقرير لاصول الايمان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار وما أعد الله لاوليائه وأهل طاعته وما أعد لاعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبته ايمانا وتوحيدا ومعرفة بالله

فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول فغضب سيدى فلكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك قال قلت لا شئ انما أردت أن استثبته عما قال وقد كان عندى شئ قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ قد كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل قال فقلت فى نفسى هذه واحدة قال ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته به فقلت له انى قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها قال فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان قال ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه على شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف انى أستثبت فى شئ وصف لى فالقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له (1) بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده

وايامه

(1) قوله بالفقير قال فى القاموس الفقير البئر تغرس فيها الفسيلة الجمع فقر بضمتين وقد فقر لها تفقيرا اهـ

وأيامه لا كخطب غيره التي انما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فان هذا أمر لا يحصل في القلب ايمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق الى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير انهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلي التراب أجسامهم فياليت شعري أي ايمان حصل بهذا وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الايمان الكلية والدعوة الى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه الى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم اليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه الى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم اليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ثم طال العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغي الاخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها فمما حفظ من خطبه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر ان يخطب بالقرآن وسورة ق قالت أم هشام بنت الحرث بن النعمان ما حفظت ق الا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يخطب بها على المنبر وحفظ من خطبته صلى الله عليه وسلم من رواية علي بن زيد بن جدعان وفيها ضعف يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا ان الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي جحودا بها أو استخفافا بها وله امام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا وضوء له ألا ولا صوم له ألا ولا زكاة له ألا ولا حج له ألا ولا بركة له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه ألا ولا تؤمن امرأة رجلا ألا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه وحفظ من خطبته أيضا الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ رواه أبو داود وسيأتي ان شاء الله تعالى ذكر خطبه في الحج

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في خطبه كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالي وعلي رواه مسلم وفي لفظ كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته فذكره وفي لفظ يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله وفي لفظ للنسائي وكل

حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر لها فاذا فرغت فائتني أكن أنا أضعها بيدي قال ففقرت وأعانني أصحابي حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسي المكاتب قال فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان قال قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي فقال خذها فان الله سيؤدي بها عنك قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهد * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان انه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني من لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز بن مروان انه قال حدثت عن سلمان انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج في كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم الا شفي فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى أتيت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك حتى خرج تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الأخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخل الا منكبه قال فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم قال انك لتسأل عن شيء ما يسأل

بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وكان يقول فى خطبته بعد التحميد والثناء والتشهد أما بعد وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع وكان يقول ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وكان يعلم أصحابه فى خطبته قواعد الاسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم فى خطبته اذا عرض له أمر أونهى كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين ونهى المتخطى رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض والسؤال لاحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود الى خطبته فيتمها وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمها كما نزل لاخذ الحسن والحسين وأخذهما ثم رقى بهما المنبر فاتم خطبته وكان يدعو الرجل فى خطبته تعال اجلس يافلان صل يافلان وكان يأمرهم بمقتضى الحال فى خطبته فاذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها وكان يشير باصبعه السبابة فى خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه وكان يستسقى بهم اذا قحط المطر فى خطبته وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فاذا اجتمعوا خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال فى الاذان فاذا فرغ منه قام النبى صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر وكان فى الحرب يعتمد على قوس وفى الجمعة يعتمد على عصا ولم يحفظ عنه انه اعتمد على سيف ومايظنه بعض الجهال انه كان يعتمد على السيف دائما وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله فانه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر انه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره ولا قبل اتخاذه انه أخذ بيده سيفا ألبتة وانما كان يعتمد على عصا أو قوس وكان منبره ثلاث درجات وكان قبل اتخاذه يخطب الى جذع يستند اليه فلما تحول الى المنبر حن الجذع حنينا سمعه أهل المسجد ونزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه قال أنس حن لما فقد ما كان يسمع من الوحى وفقده التصاق النبى صلى الله عليه وسلم ولم يوضع المنبر فى وسط المسجد وانما وضع فى جانبه الغربى قريبا من الحائط وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة وكان اذا جلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى غير الجمعة أو خطب قائما فى الجمعة استدار أصحابه اليه بوجوههم وكان وجهه قبلهم فى وقت الخطبة وكان يقوم فيخطب ثم يجلس جلسة خفيفة ثم يقوم فيخطب الثانية فاذا فرغ منها أخذ بلال فى الاقامة وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات ويخبرهم ان الرجل اذا قال لصاحبه انصت فقد لغا ويقول من لغا فلا جمعة له وكان يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذى يقول له انصت ليست له جمعة رواه الامام أحمد رحمه الله وقال أبى بن كعب قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا بأيام الله وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزنى فقال متى أنزلت هذه السورة فانى لم أسمعها الى الآن فاشار اليه ان اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرنى فقال انه ليس لك من صلاتك اليوم الا مالغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وأخبره بالذى قال له أبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبى ذكره ابن ماجه وسعيد بن منصور وأصله فى مسند أحمد وقال صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها يلغو وهو حظه منها ورجل حضر بدعاء فهو رجل دعا الله عز وجل ان شاء أعطاه وان شاء

قبله الناس اليوم قد أطل زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فانه فهو يحمل الله عليه قال ثم دخل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان لئن كنت صدقتنى ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام

(ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحرث وزيد بن عمرو بن نفيل)

* قال ابن اسحق واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى * وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب * وعثمان بن الحويرث ابن أسد بن عبد العزى بن قصى * وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ماقومكم على شئ لقد أخطؤا دين أبيهم ابراهيم ماحجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ياقوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شئ فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيا * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم هنالك من أرض الحبشة فيقولون فقحنا وصأصأتم أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك ان ولد الكلب اذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر وقوله فقح فتح عينيه * قال ابن اسحق وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت

منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة له الى يوم الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ذكره أحمد وأبو داود وكان اذا فرغ بلال من الاذان أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة ولم يكن الاذان الا واحدا وهذا يدل على ان الجمعة كالعيد لا سنة لها قبلها وهذا أصح قولى العلماء وعليه تدل السنة فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته فاذا رقى المنبر أخذ بلال فى أذان الجمعة فاذا أكمله أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة من غير فصل وهذا كان رأى عين فمتى كانوا يصلون السنة ومن ظن انهم كانوا اذا فرغ بلال من الاذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة وهذا الذى ذكرناه من انه لا سنة قبلها هو مذهب مالك رحمه الله وأحمد رحمه الله فى المشهور عنه وأحد الوجهين لاصحاب الشافعى والذين قالوا ان لها سنة منهم من احتج انها ظهر مقصورة فيثبت لها أحكام الظهر وهذه حجة ضعيفة جدا فان الجمعة صلاة مستقلة بنفسها تخالف الظهر فى الجهر والعدد والخطبة والشروط المعتبرة لها وتوافقها فى الوقت وليس الحاق مسئلة النزاع بمورد الاتفاق أولى من الحاقها بموارد الافتراق بل الحاقها بموارد الافتراق أولى لانها أكثر مما اتفقا فيه ومنهم من أثبت السنة لها هنا بالقياس على الظهر وهو أيضا قياس فاسد فان السنة ما كان ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو سنة خلفائه الراشدين وليس فى مسألتنا شئ من ذلك ولا يجوز اثبات السنن فى مثل هذا بالقياس لان هذا مما انعقد سبب فعله فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فاذا لم يفعله ولم يشرعه كان تركه هو السنة ونظير هذا ان يشرع لصلاة العيد سنة قبلها أو بعدها بالقياس فلذلك كان الصحيح انه لا يسن الغسل للمبيت بمزدلفة ولا لرمى الجمار ولا للطواف ولا الكسوف ولا الاستسقاء لان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يغتسلوا لذلك مع فعلهم لهذه العبادات ومنهم من احتج بما ذكره البخارى فى صحيحه فقال باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وقبل العشاء ركعتين وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين وهذا لا حجة فيه ولم يرد به البخارى اثبات السنة قبل الجمعة وانما مراده انه هل ورد فى الصلاة قبلها أو بعدها شئ ثم ذكر هذا الحديث أى انه لم يرو عنه فعل السنة الا بعدها ولم يرد قبلها شئ وهذا نظير ما فعل فى كتاب العيدين فانه قال باب الصلاة قبل العيد وبعدها وقال أبو العلاء سمعت سعيدا عن ابن عباس انه كره الصلاة قبل العيد ثم ذكر حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر صلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ومعه بلال الحديث فترجم للعيد مثل ما ترجم للجمعة وذكر للعيد حديثا دالا على انه لا تشرع الصلاة قبلها ولا بعدها فدل على ان مراده من الجمعة كذلك وقد ظن بعضهم ان الجمعة لما كانت بدلا عن الظهر وقد ذكر فى الحديث السنة قبل الظهر وبعدها دل على ان الجمعة كذلك وانما قال وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف بيانا لموضع صلاة السنة بعد الجمعة فانه بعد الانصراف وهذا الظن غلط منه لان البخارى قد ذكر فى باب التطوع بعد المكتوبة حديث ابن عمر رضى الله عنه صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعد الظهر وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة فهذا صريح فى ان الجمعة عند الصحابة صلاة مستقلة بنفسها غير

أبى سفيان بن حرب * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن على بن حسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فخطبها عليه النجاشى فزوجه اياها واصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار فقال محمد بن على ما نرى عبد الملك ابن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار الا عن ذلك وكان الذى أملكها النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص * قال ابن اسحق وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده (قال ابن هشام) ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث منعنى من ذكره ما ذكرت فى حديث الفجار * قال ابن اسحق وأما زيد ابن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الاوثان ونهى عن قتل الموؤدة وقال أعبد رب ابراهيم وبادى قومه بعيب ما هم عليه * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن أمه اسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذى نفس زيد ابن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته * قال ابن اسحق وحدثت ان ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتستغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث أمة وحده (وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه وما كان لقى منهم فى ذلك)

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى عمرو أزور
(١) ولا غنما أدين وكان ربا * لنا فى الدهر اذ حلمى يسير

(١) قوله غنما هو صنم لهم

عجبت وفي الليالي معجبات * وفي الايام يعرفها البصير بأن الله قد أفنى رجالا [illegible] شأنهم الفجور وأبقى آخرين ببر قوم (١)فيربل منهم الطفل الصغير وبينا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن المطير ولكن أعبد الرحمن ربي * ليغفر ذنبي الرب الغفور فتقوى الله ربكم احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبور (١٣٢) ترى الابرار دارهم جنان * وللكفار حامية سعير وتخزى في الحياة وان يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضا

(قال ابن هشام) هي لامية بن أبي الصلت في قصيدة له الا البيتين الاولين والبيت الخامس وآخرها بيتا وعجز البيت الاول عن غير ابن اسحق

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا
وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقه
اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان اياك والردى
فانك لا تخفى من الله خافيا
واياك لا تجعل مع الله غيره
فان سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك (٢) ان الجن كانت رجاءهم
وأنت الهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى
أدين الها غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منّ ورحمة
بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهرون فادعوا
الى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له آأنت سويت هذه
بلا وتد حتى اطمأنت كما هي
وقولا له آأنت (٣) رفعت هذه
بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
وقولا له آأنت سويت وسطها
منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة
فيصبح ما مست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى
فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤسه
وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا * وقد بات في اضعاف حوت لياليا
وانى ولو سبحت باسمك ربنا العدد

(١) قوله فيربل يقال ربل الطفل اذا شب وكبر اه من هامش (٢) قوله ان الجن قال في القاموس والجن بالكسر حي من الجن منهم الكلاب السود البهم أو سفلة الجن وضعفاؤهم أو كلابهم أو خلق بين الجن والانس اه (٣) قوله رفعت يقرأ بتشديد الفاء

الظهر والالم يحتج الى ذكرها لدخولها تحت اسم الظهر فلما لم يذكرها سنة الا بعدها علم انه لا سنة لها قبلها ومنهم من احتج بما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة وجابر قال جاء سليك الغطفاني ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له أصليت ركعتين قبل ان تجيء قال لا قال فصل ركعتين وتجوز فيهما واسناده ثقات قال أبو البركات ابن تيمية وقوله قبل ان تجيء يدل على ان هاتين الركعتين سنة الجمعة وليست تحية المسجد قال شيخنا حفيده أبو العباس وهذا غلط والحديث المعروف في الصحيحين عن جابر قال دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال أصليت قال لا قال فصل ركعتين وقال اذا جاء أحدكم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما فهذا هو المحفوظ في هذا الحديث وأفراد ابن ماجه في الغالب غير صحيحة هذا معنى كلامه وقال شيخنا أبو الحجاج الحافظ المزي هذا تصحيف من الرواة وانما هو أصليت قبل ان تجلس فغلط فيه الناسخ قال وكتاب ابن ماجه انما تداولته شيوخ لم يعتنوا به بخلاف صحيح البخاري ومسلم فان الحفاظ تداولوهما واعتنوا بضبطهما وتصحيحهما قال ولذلك وقع فيه اغلاط وتصحيف * قلت ويدل على صحة هذا ان الذين اعتنوا بضبط سنن الصلاة قبلها وبعدها وصنفوا في ذلك من أهل الاحكام والسنن وغيرها لم يذكر واحد منهم هذا الحديث في سنة الجمعة قبلها وانما ذكروه في استحباب فعل تحية المسجد والامام على المنبر واحتجوا به على من منع من فعلها في هذه الحال فلو كانت هي سنة الجمعة لكان ذكرها هنالك والترجمة عليها وحفظها وشهرتها أولى من تحية المسجد ويدل عليه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بهاتين الركعتين الا الداخل لاجل انها تحية المسجد ولو كانت سنة الجمعة لامر بها القاعدين أيضا ولم يخص بها الداخل وحده ومنهم من احتج بما رواه أبو داود في سننه قال حدثنا مسدد قال حدثنا اسمعيل حدثنا أيوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وهذا لا حجة فيه على ان للجمعة سنة قبلها وانما أراد بقوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك انه كان يصلي الركعتين بعد الجمعة في بيته لا يصليهما في المسجد وهذا هو الافضل فيهما كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي السنن عن ابن عمر انه اذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ثم تقدم فصلى أربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل بالمسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك وأما اطالة ابن عمر الصلاة قبل الجمعة فانه تطوع مطلق وهذا هو الاولى لمن جاء الى الجمعة أن يشتغل بالصلاة حتى يخرج الامام كما تقدم من حديث أبي هريرة ونبيشة الهذلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصلى ما قدر له ثم انصت حتى يفرغ الامام من خطبته ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وفي حديث نبيشة الهذلي ان المسلم اذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل الى المسجد لا يؤذي أحدا فان لم يجد الامام خرج صلى ما بدا له وان وجد الامام خرج استمع وانصت حتى يقضي الامام جمعته وكلامه ان لم يغفر له في جمعته تلك ذنوبه كلها تكون كفارة للجمعة التي تليها هكذا كان هدى الصحابة رضي الله عنهم قال ابن المنذر روينا عن ابن عمر انه كان يصلي قبل الجمعة ثنتي عشرة ركعة وعن ابن عباس انه كان يصلي ثمان ركعات وهذا دليل على ان ذلك كان منهم من باب التطوع المطلق ولذلك اختلف في

لأ كثرالاماغفرت خطائيا * فرب العباد ألق سيباورحمة * على وبارك فى بنى وماليا وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى (قال ابن هشام) واسم الحضرمى عبدالله بن عباد أحد الصدف واسم الصدف عمرو بن مالك أحد السكون بن اشرس بن كندى ويقال كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا * قال ابن اسحق وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الارض يطلب الحنيفية دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لامه وكان يعاتبه على فراق دين قومه وكان الخطاب قد وكل صفية به وقال اذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنيني به فقال زيد

لاتحبسيني فى الهوا
ن صفى مادابى ودابه
انى اذا خفت الهوا
ن مشيع ذلل ركابه
دعموص أبواب الملو
ك وجائب للخرق نابه
قطاع أسباب تذل
بغير اقران صعابه
وانما أخذ الهوا
ن العير اذ يوهى اهابه
ويقول انى لا أذ
ل بصك جنبيه صلابه
وأخى ابن أمى ثم عمـ
ـى لا يواتينى خطابه
واذا يعاتبنى بسو
ء قلت أعيانى جوابه
ولو أشاء لقلت ما
عندى مفاتحه وبابه

* قال ابن اسحق وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل ان زيدا كان اذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال

أنفى لك اللهم عان راغم * مهما تجشمنى فانى جاشم
البر أبغى (١) لا الخال ليس مهجر كمن قال (قال ابن هشام) ويقال البر

(١) قوله الخال أى الخيلاء والكبر

العدد المروى عنهم فى ذلك وقال الترمذى فى الجامع وروى عن ابن مسعود انه كان يصلى قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا واليه ذهب ابن المبارك والثورى وقال اسحق بن ابراهيم بن هانئ النيسابورى رأيت أبا عبدالله اذا كان يوم الجمعة يصلى الى ان يعلم ان الشمس قد قاربت ان تزول فاذا قاربت امسك عن الصلاة حتى يؤذن المؤذن فاذا أخذ فى الاذان قام فصلى ركعتين أو أربعا يفصل بينهما بالسلام فاذا صلى الفريضة انتظر فى المسجد ثم يخرج منه فيأتى بعض المساجد التى بحضرة الجامع فيصلى فيه ركعتين ثم يجلس وربما صلى أربعا ثم يجلس ثم يقوم فيصلى ركعتين أخريين وذلك ست ركعات على حديث على وربما صلى بعد الست ستا أخر أو أقل أو أكثر وقد أخذ من هذا بعض أصحابه رواية ان للجمعة قبلها سنة ركعتين أو أربعا وليس هذا بصريح بل ولا ظاهر فان أحمد كان يمسك عن الصلاة فى وقت النهى فاذا زال وقت النهى قام فاتم تطوعه الى خروج الامام فربما أدرك أربعا وربما لم يدرك الا ركعتين ومنهم من احتج على ثبوت السنة قبلها بما رواه ابن ماجه فى سننه حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية عن مبشر بن عبيد عن حجاج بن ارطاة عن عطية العوفى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعا لا يفصل بينها فى شئ منها قال ابن ماجه باب الصلاة قبل الجمعة فذكره وهذا الحديث فيه عدة بلايا * احداها بقية بن الوليد امام المدلسين وقد عنعنه ولم يصرح بالسماع * الثانية مبشر بن عبيد المنكر الحديث * الثالثة الحجاج بن أرطاة الضعيف المدلس * الرابعة عطية العوفى قال البخارى كان هشيم يتكلم فيه وضعفه أحمد وغيره وقال عبدالله بن أحمد سمعت أبى يقول شيخ كان يقال له مبشر بن عبيد كان بحمص أظنه كوفيا روى عنه بقية وأبو المغيرة أحاديثه أحاديث موضوعة كذب وقال الدارقطنى مبشر بن عبيد متروك الحديث أحاديثه لا يتابع عليها وقال البيهقى عطية العوفى لا يحتج به ومبشر بن عبيد الحمصى منسوب الى وضع الحديث والحجاج بن أرطاة لا يحتج به قال بعضهم ولعل الحديث انقلب على بعض هؤلاء الثلاثة الضعفاء لعدم ضبطهم واتقانهم فقال قبل الجمعة أربعا وانما هو بعد الجمعة فيكون موافقا لما ثبت فى الصحيح ونظير هذا قول الشافعى فى رواية عبدالله بن عمر العمرى للفارس سهمين وللراجل سهما قال الشافعى كانه سمع نافعا يقول للفرس سهمين وللراجل سهما فقال للفارس سهمين وللراجل سهما حتى يكون موافقا لحديث أخيه عبيدالله قال وليس يشك أحد من أهل العلم فى تقديمه عبيدالله بن عمر على أخيه فى الحفظ * قلت ونظير هذا ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى حديث أبى هريرة لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وأما الجنة فينشئ الله لها خلقا آخرين فانقلب على بعض الرواة فقال أما النار فينشئ الله لها خلقا آخرين * قلت ونظير هذا حديث عائشة ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وهو فى الصحيحين فانقلب على بعض الرواة فقال ابن أم مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ونظيره أيضا عندى حديث أبى هريرة اذا صلى أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه وأظنه وهم والله أعلم بما قاله رسوله الصادق المصدوق وليضع ركبتيه قبل يديه كما قال وائل بن حجر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه وقال الخطابى وغيره وحديث وائل بن حجر أصح من حديث أبى هريرة وقد سبقت المسئلة مستوفاة فى هذا الكتاب والحمد لله وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى

الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين سنتها وأمر من صلاها أن يصلى بعدها أربعا قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية ان صلى فى المسجد صلى أربعا وان صلى فى بيته صلى ركعتين * قلت وعلى هذا تدل الاحاديث وقد ذكر أبو داود عن ابن عمر كان اذا صلى فى المسجد صلى أربعا واذا صلى فى بيته صلى ركعتين وفى الصحيحين عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين فى بيته وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى العيدين) كان صلى الله عليه وسلم يصلى العيدين فى المصلى وهو المصلى الذى على باب المدينة الشرقى وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة أصابهم مطر فصلى بهم العيد فى المسجد ان ثبت الحديث وهو فى سنن أبي داود وابن ماجه وهديه كان فعلهما فى المصلى دائما وكان يلبس للخروج اليهما أجمل ثيابه وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ومرة كان يلبس بردين أخضرين ومرة بردا أحمر ليس هو أحمر مصمتا كما يظنه بعض الناس فانه لو كان كذلك لم يكن بردا وانما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية فسمى أحمر باعتبار ما فيه من ذلك وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير معارض النهى عن لبس المعصفر والاحمر وأمر عبد الله بن عمر لما رأى عليه ثوبين أحمرين أن يحرقهما فلم يكن ليكره الاحمر هذه الكراهة الشديدة ثم يلبسه والذى يقوم عليه الدليل تحريم لباس الاحمر أو كراهيته كراهية شديدة وكان يأكل قبل خروجه فى عيد الفطر تمرات ويأكلهن وترا وأما فى عيد الاضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته وكان يغتسل للعيدين صح الحديث فيه وفيه حديثان ضعيفان حديث ابن عباس من رواية جبارة بن مغلس وحديث الفاكه بن سعد من رواية يوسف بن خالد السمتى ولكن ثبت عن ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة أنه كان يغتسل يوم العيد قبل خروجه وكان صلى الله عليه وسلم يخرج ماشيا والعنزة تحمل بين يديه فاذا وصل الى المصلى نصبت بين يديه ليصلى اليها فان المصلى كان اذ ذاك فضاء لم يكن فيه بناء ولا حائط وكانت الحربة سترته وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الاضحى وكان ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة لا يخرج حتى تطلع الشمس ويكبر من بيته الى المصلى وكان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى الى المصلى أخذ فى الصلاة من غير أذان ولا اقامة ولا قول الصلاة جامعة والسنة أنه لا يفعل شئ من ذلك ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون اذا انتهوا الى المصلى شيأ قبل الصلاة ولا بعدها وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة فيصلى ركعتين يكبر فى الاولى سبع تكبيرات متوالية بتكبيرة الافتتاح يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات ولكن ذكر عن ابن مسعود أنه قال يحمد الله ويثنى عليه ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الخلال وكان ابن عمر مع تحريه للاتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتم التكبير أخذ فى القراءة فقرأ فاتحة الكتاب ثم قرأ بعدها ق والقرآن المجيد فى احدى الركعتين وفى الاخرى اقتربت الساعة وانشق القمر وربما قرأ فيهما سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية صح عنه هذا وهذا ولم يصح عنه غير ذلك فاذا فرغ من القرءة كبر وركع ثم اذا أكمل الركعة وقام من السجود كبر خمسا متوالية فاذا أكمل التكبير أخذ فى القراءة فيكون التكبير أول ما يبدأ به فى الركعتين والقراءة تلى الركوع وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم والى بين القراءتين

أبتى لا انطال ليس مهجر كمن قال قال وقوله مستقبل الكعبة عن بعض أهل العلم * قال ابن اسحق وقال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت * على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هى سيقت الى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا

وكان الخطاب قد آذى زيدا حتى أخرجه الى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها الا سرا منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية ان يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراقه فقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه

لاهم انى (١) محرم لاحله
وان بيتى أوسط المحله
عند الصفا ليس بذى مضله

ثم خرج يطلب دين ابراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى الى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهى اليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيأ منهما فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما * تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله * وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وادراكك الدين الذى قد طلبته * ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها

(١) قوله محرم أى ساكن فى الحرم وبالجيم وهم اه من هامش

تعلل فيها بالكرامة لاهيا تسلا في خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبارا الى النار هاويا وقد تدلى الانسان رحمة ربه
* ولو كان تحت الارض سبعين واديا (قال ابن هشام) يروى لامية بن أبي الصلت البيتان الاولان منها وآخرها بيتا في قصيدة له وقوله
أوثان الطواغي عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقد
كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم انه قال من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا اني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا انهم يعزونني وأيضا للرب ولكن لابد من ان تتم الكلمة التي في الناموس انهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد على وأنتم أيضا لانكم قديما كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا والمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس صلى الله عليه وعلى آله وسلم

﴿مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى أي ثقل ما حملتكم من عهدي قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

فكبر أولا ثم قرأ وركع فلما قام في الثانية قرأ وجعل التكبير بعد القراءة ولكن لم يثبت هذا عنه فانه من رواية محمد بن معاوية النيسابوري قال البيهقي رماه غير واحد بالكذب وقد روى الترمذي من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الثانية خمسا قبل القراءة قال الترمذي سألت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث قال ليس في الباب شيء أصح من هذا وبه أقول وقال وحديث عبد الله ابن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في هذا الباب هو صحيح أيضا * قلت يريد حديثه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كبر في عيد ثنتي عشرة تكبيرة سبعا في الاولى وخمسا في الثانية ولم يصل قبلها ولا بعدها قال أحمد وأنا أذهب الى هذا قلت وكثير بن عبد الله بن عمرو هذا ضرب أحمد على حديثه في المسند وقال لا يساوي حديثه شيأ والترمذي تارة يصحح حديثه وتارة يحسنه وقد صرح البخاري بأنه أصح شيء في الباب مع حكمه بصحة حديث عمرو بن شعيب وأخبر أنه يذهب اليه والله أعلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا أكمل الصلاة انصرف فقام مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم وينهاهم وان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ولم يكن هنالك منبر يرقى عليه ولم يكن يخرج منبر المدينة وانما كان يخطبهم قائما على الارض قال جابر شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن متفق عليه وقال أبو سعيد الخدري كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول ما يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم الحديث رواه مسلم وذكر أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم العيد فيصلي بالناس ركعتين ثم يسلم فيقف على راحلته مستقبل الناس وهم صفوف جلوس فيقول تصدقوا فاكثر من يتصدق النساء بالقرط والخاتم والشيء فاذا كانت له حاجة يريد أن يبعث بعثا يذكره لهم والا انصرف وقد كان يقع لي ان هذا وهم فان النبي صلى الله عليه وسلم انما كان يخرج الى العيد ماشيا والعنزة بين يديه وانما خطب على راحلته يوم النحر بمنى الى أن رأيت بقي بن مخلد الحافظ قد ذكر هذا الحديث في مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا داود بن قيس حدثنا عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم العيد من يوم الفطر فيصلي بالناس تينك الركعتين ثم يسلم فيستقبل الناس فيقول تصدقوا وكان أكثر من يتصدق النساء وذكر الحديث ثم قال حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا أبو عامر حدثنا داود عن عياض عن أبي سعيد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم الفطر فيصلي بالناس فيبدأ بالركعتين ثم يستقبلهم وهم جلوس فيقول تصدقوا فذكر مثله وهذا اسناد ابن ماجه الا أنه رواه عن أبي كريب عن أبي أسامة عن داود ولعله ثم يقوم على رجليه كما قال جابر قام متوكئا على بلال فتصحف على الكاتب براحلته والله أعلم فان قيل فقد أخرجا في الصحيحين عن ابن عباس قال شهدت صلاة الفطر مع نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب قال فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى جاء الى النساء ومعه

الشاهدين فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين
*قال ابن اسحق فذكر الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها انها حدثته أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصادقة لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به رؤيا فى نومه الا جاءت

بلال فقال يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ فتلا الآية حتى فرغ منها الحديث وفى الصحيحين أيضا عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس بعد فلما فرغ نبى الله صلى الله عليه وسلم نزل فاتى النساء فذكرهن الحديث وهو يدل على أنه كان يخطب على منبر أو على راحلته ولعله كان قد بنى له منبر من لبن أو طين أو نحوه قيل لا ريب فى صحة هذين الحديثين ولا ريب أن المنبر لم يكن ليخرج من المسجد وأول من أخرجه مروان بن الحكم فانكر عليه وأما منبر اللبن والطين فاول من بناه كثير بن الصلت فى امارة مروان على المدينة كما هو فى الصحيحين فلعله صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى المصلى على مكان مرتفع أو دكان وهى التى تسمى مصطبة ثم ينحدر منه الى النساء فيقف عليهن فيخطبهن فيعظهن ويذكرهن والله أعلم وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله ولم يحفظ عنه فى حديث واحد أنه كان يفتتح خطبتى العيدين بالتكبير وانما روى ابن ماجه فى سننه عن سعد مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التكبير أضعاف الخطبة ويكثر التكبير فى خطبتى العيدين وهذا لا يدل على أنه كان يفتتحها به وقد اختلف الناس فى افتتاح خطبة العيدين والاستسقاء فقيل يفتتحان بالتكبير وقيل يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وقيل يفتتحان بالحمد قال شيخ الاسلام ابن تيمية هو الصواب لان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله ورخص صلى الله عليه وسلم لمن شهد العيد أن يجلس للخطبة وأن يذهب ورخص لهم اذا وقع العيد يوم الجمعة أن يجتزوا بصلاة العيد عن حضور الجمعة وكان صلى الله عليه وسلم يخالف الطريق يوم العيد فيذهب فى طريق ويرجع فى أخرى فقيل ليسلم على أهل الطريقين وقيل لينال بركته الفريقان وقيل ليقضى حاجة من له حاجة منهما وقيل ليظهر شعائر الاسلام فى سائر الفجاج والطرق وقيل ليغيظ المنافقين برؤيتهم عزة الاسلام وأهله وقيام شعائره وقيل لتكثر شهادة البقاع فان الذاهب الى المسجد والمصلى احدى خطوتيه ترفع درجة والاخرى تحط خطيئة حتى يرجع الى منزله وقيل وهو الاصح أنه لذلك كله ولغيره من الحكم التى لا يخلو فعله عنها وروى عنه أنه كان يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة الى العصر من آخر أيام التشريق الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى صلاة الكسوف لما كسفت الشمس خرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد مسرعا فزعا يجر رداءه وكان كسوفها فى أول النهار على مقدار رمحين أو ثلاثة من طلوعها فتقدم فصلى ركعتين قرأ فى الاولى بفاتحة الكتاب وسورة طويلة جهر بالقراءة ثم ركع فاطال الركوع ثم رفع رأسه من الركوع فاطال القيام وهو دون القيام الاول وقال لما رفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم أخذ فى القراءة ثم ركع فاطال الركوع وهو دون الركوع الاول ثم رفع رأسه من الركوع ثم سجد سجدة طويلة فاطال السجود ثم فعل فى الركعة الاخرى مثل ما فعل فى الاولى فكان فى كل ركعة ركوعان وسجودان فاستكمل فى الركعتين أربع ركعات وأربع سجدات ورأى فى صلاته تلك الجنة والنار وهم أن يأخذ عنقودا من الجنة فيريهم اياه ورأى أهل العذاب فى النار ورأى امرأة تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا ورأى عمرو بن مالك يجر أمعاءه فى النار وكان أول من غير دين ابراهيم ورأى فيها سارق الحاج يعذب ثم انصرف فخطب بهم خطبة

كفلق الصبح قالت وحبب الله تعالى اليه الخلوة فلم يكن شئ أحب اليه من أن يخلو وحده *وقال ابن اسحق وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان بن العلاء ابن جارية الثقفى وكان واعية عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان *قال ابن اسحق وحدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام قال فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء من كل سنة شهرا
وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية والتحنث التبرر * قال ابن اسحق وقال أبو طالب
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى فى حراء ونازل (قال ابن هشام) تقول العرب التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون
الفاء من الثاء كما قالوا جدف وجدث يريدون القبر (قال رؤبة بن العجاج) لو كان أحجارى مع الاجداف * يريد الاجداث وهذا البيت فى
بليعة

أرجوزة له و بيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها ان شاء الله في موضعها (قال ابن هشام) وحدثني أبو عبيدة ان العرب تقول فم في موضع ثم يبدلون الفاء من الثاء * قال ابن اسحق حدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قال قلت ماذا أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قال فقلت ماذا أقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا قال فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى الى السماء أنظر فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل قال فوقفت انظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء قال فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك فمازلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست

بليغة حفظ منها قوله ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال لقد رأيت فى مقامى هذا كل شئ وعدتم به حتى لقد رأيتنى أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى أتقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتمونى تأخرت وفى لفظ ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط أفظع منها ورأيت أكثر أهل النار النساء قالوا وبم يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان ولو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط ومنها ولقد أوحى الى انكم تفتنون فى القبور مثل أو قريبا من فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فاما المؤمن أو قال الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فاجبنا وآمنا واتبعنا فيقال له نم صالحا فقد علمنا ان كنت لمؤمنا وأما المنافق أو قال المرتاب فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيأ فقلته وفى طريق أخرى لاحمد بن حنبل أنه صلى الله عليه وسلم لما سلم حمد الله وأثنى عليه وشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم قال أيها الناس أنشدكم بالله هل تعلمون انى قصرت فى شئ من تبليغ رسالات ربى لما أخبرتمونى بذلك فقام رجل فقال نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت الذى عليك ثم قال أما بعد فان رجالا يزعمون ان كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الارض وانهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده فينظر من يحدث منهم توبة وايم الله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقوه من أمر دنيا كم وآخرتكم وانه والله أعلم لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الاعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبى تحيى لشيخ حينئذ من الانصار بينه وبين حجرة عائشة وانه متى يخرج فسوف يزعم انه الله فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه صالح من عمله سلف ومن كفر به وكذبه لم يعاقب بشئ من عمله سلف وانه سيظهر على الارض كلها الا الحرم وبيت المقدس وانه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس فيتزلزلون زلزالا شديدا ثم يهلكه الله عز وجل وجنوده حتى ان جذم الحائط أو قال أصل الحائط أو أصل الشجرة لينادى يا مسلم يا مؤمن هذا يهودى أو قال هذا كافر فتعال فاقتله قال ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم بينكم شأنها فى أنفسكم وتسألون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا وحتى تزول جبال عن مراتبها ثم على أثر ذلك القبض فهذا الذى صح عنه صلى الله عليه وسلم من صفة صلاة الكسوف وخطبتها وقد روى عنه انه صلاها على صفات أخر منها كل ركعة بثلاث ركوعات ومنها كل ركعة باربع ركوعات ومنها انها كاحدى صلاة صليت كل ركعة بركوع واحد ولكن كبار الائمة لا يصححون ذلك كالامام أحمد والبخارى والشافعى ويرونه غلطا قال الشافعى وقد سأله سائل فقال روى بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى ثلاث ركعات فى كل ركعة قال الشافعى فقلت له أتقول به أنت قال لا ولكن لم لم تقل به أنت وهو زيادة على حديثكم يعنى حديث الركوعين فى الركعة فقلت هو من وجه منقطع ونحن لا نثبت المنقطع على الانفراد ووجه نراه والله أعلم غلطا قال البيهقى أراد بالمنقطع قول عبيد بن عمير حدثنى من أصدق قال عطاء حسبته يريد عائشة الحديث وفيه فركع فى كل ركعة ثلاث ركوعات وأربع سجدات وقال قتادة عن عطاء عن

الى نفذها (١) مضيفا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الي ثم حدثها بالذي رأيت فقالت ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن (١٢٨) قصي وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع فقال ورقة بن نوفل قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة فقولي له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فالقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى (٢) ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله * قال ابن اسحق وحدثني اسمعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرني به فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم

عبيد بن عمير عنها ست ركعات في أربع سجدات فعطاء انما أسنده عن عائشة بالظن والحسبان لا باليقين وكيف يكون ذلك محفوظا عن عائشة وقد ثبت عن عروة وعمرة عن عائشة خلافه وعروة وعمرة أخص بعائشة والزم لها من عبيد بن عمير وهما اثنان فروايتهما أولى ان تكون هي المحفوظة قال وأما الذي يراه الشافعي غلطا فاحسبه حديث عطاء عن جابر انكسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس انما انكسفت الشمس لموت ابراهيم فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس ست ركعات في أربع سجدات الحديث قال البيهقي من نظر في قصة هذا الحديث وقصة حديث أبي الزبير علم انها قصة واحدة وان الصلاة التي أخبر عنها انما فعلها مرة واحدة وذلك في يوم توفي ابنه ابراهيم عليه السلام قال ثم وقع الخلاف بين عبد الملك يعني ابن أبي سليمان عن عطاء عن جابر وبين هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر في عدد الركوع في كل ركعة فوجدنا رواية هشام أولى يعني ان في كل ركعة ركوعين فقط لكونه مع أبي الزبير أحفظ من عبد الملك ولموافقة روايته في عدد الركوع رواية عمرة وعروة عن عائشة ورواية كثير بن عباس وعطاء بن يسار عن ابن عباس ورواية أبي سلمة عن عبد الله بن عمر ثم رواية يحيى بن سليم وغيره وقد خولف عبد الملك في روايته عن عطاء فرواه ابن جريج وقتادة عن عطاء عن عبيد بن عمير ست ركعات في أربع سجدات فرواية هشام عن أبي الزبير عن جابر التي لم يقع فيها الخلاف ويوافقها عدد كثير أولى من روايتي عطاء اللتين انما اسناد أحدهما بالتوهم والاخرى يتفرد بها عنه عبد الملك بن أبي سليمان الذي قد أخذ عليه الغلط في غير حديث قال وأما حديث حبيب بن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى في الكسوف فقرأ ثم ركع ثم قرأ ثم ركع والاخرى مثلها فرواه مسلم في صحيحه وهو مما تفرد به حبيب بن أبي ثابت وحبيب وان كان ثقة فكان يدلس ولم يبين فيه سماعه من طاوس فيشبه أن يكون حمله عن غير موثوق به وقد خالفه في رفعه ومتنه سليمان الاحول فرواه عن طاوس عن ابن عباس من فعله ثلاث ركعات في ركعة وقد خولف سليمان أيضا في عدد الركوع فرواه جماعة عن ابن عباس من فعله كما رواه عطاء بن يسار وغيره عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني في كل ركعة ركوعان قال وقد أعرض محمد بن اسمعيل البخاري عن هذه الروايات الثلاث فلم يخرج شيأ منهن في الصحيح لمخالفتهن ما هو أصح اسنادا وأكثر عددا وأوثق رجالا وقال البخاري في رواية أبي عيسى الترمذي عنه أصح الروايات عندي في صلاة الكسوف أربع ركعات في أربع سجدات قال البيهقي وروي عن حذيفة مرفوعا أربع ركعات في كل ركعة واسناده ضعيف وروي عن أبي بن كعب مرفوعا خمس ركوعات في كل ركعة وصاحبا الصحيح لم يحتجا بمثل اسناد حديثه قال وذهب جماعة من أهل الحديث الى تصحيح الروايات في عدد الركعات وحملوها على أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها مرارا وان الجميع جائز فممن ذهب اليه اسحق بن راهويه ومحمد بن اسحق بن خزيمة وأبو بكر بن اسحق الصبغي وأبو سليمان الخطابي واستحسنه ابن المنذر والذي ذهب اليه البخاري والشافعي من ترجيح الاخبار أولى لما ذكرنا من رجوع الاخبار الى حكاية صلاته يوم توفي ابنه صلى الله عليه وسلم قلت والمنصوص عن أحمد أيضا أخذه بحديث عائشة وحده في كل ركعة ركوعان وسجودان قال في رواية المروزي وأذهب الى صلاة الكسوف أربع ركعات وأربع سجدات في كل ركعة ركعتان وسجدتان وأذهب الى حديث

عائشة

(١) قوله مضيفا أي مائلا (٢) قوله ولتكذبنه بضم التاء وفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة مبنيا للمجهول والهاء للسكت وكذا قوله ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه كلها مبنية للمجهول والهاء للسكت

عائشة أكثر الاحاديث على هذا وهذا اختيار أبي بكر وقدماء الاصحاب وهو اختيار شيخنا أبي العباس ابن تيمية وكان يضعف كل ما خالفه من الاحاديث ويقول هي غلط وانما صلى صلى الله عليه وسلم الكسوف مرة واحدة يوم مات ابنه ابراهيم والله أعلم وأمر صلى الله عليه وسلم في الكسوف بذكر الله والصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتاقة والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء) ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه استسقى على وجوه أحدها يوم الجمعة على المنبر في اثناء خطبته وقال اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا الثاني انه صلى الله عليه وسلم وعد الناس يوما يخرجون فيه الى المصلى فخرج لما طلعت الشمس متواضعا متبذلا متخشعا متوسلا متضرعا فلما وافى المصلى صعد المنبر ان صح والا ففي القلب منه شيء فحمد الله وأثنى عليه وكبره وكان مما حفظ من خطبته ودعائه الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا اله الا الله يفعل ما يريد اللهم أنت الله لا اله الا أنت تفعل ما تريد اللهم لا اله الا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته علينا قوة وبلاغا لي حين ثم رفع يديه وأخذ في التضرع والابتهال والدعاء وبالغ في الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره واستقبل القبلة وحول اذ ذاك رداءه وهو مستقبل القبلة فجعل الايمن على الايسر والايسر على الايمن وظهر الرداء لبطنه وبطنه لظهره وكان الرداء خميصة سوداء وأخذ في الدعاء مستقبل القبلة والناس كذلك ثم نزل فصلى بهم ركعتين كصلاة العيد من غير أذان ولا اقامة ولا نداء ألبتة جهر فيهما بالقراءة وقرأ في الاولى بعد فاتحة الكتاب سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية هل أتاك حديث الغاشية * الوجه الثالث انه استسقى على منبر المدينة استسقاء مجردا في غير يوم جمعة ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الاستسقاء صلاة * الوجه الرابع انه استسقى وهو جالس في المسجد فرفع يديه ودعا الله عز وجل فحفظ من دعائه حينئذ اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار * الوجه الخامس انه استسقى عند احجار الزيت قريبا من الزوراء وهي خارج باب المسجد الذي يدعى اليوم باب السلام نحو قذفة حجر ينعطف عن يمين الخارج من المسجد * الوجه السادس انه استسقى في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الماء فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوقد قالوها عسى ربكم أن يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى أظلهم السحاب وأمطر وافعم السيل الوادي فشرب الناس فارتووا وحفظ من دعائه في الاستسقاء اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل وأغيث صلى الله عليه وسلم في كل مرة استسقى فيها واستسقى مرة فقام اليه أبو لبابة فقال يا رسول الله ان التمر في المرابد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب مربده بازاره فامطرت فاجتمعوا الى أبي لبابة فقالوا انها لن تقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فاستهلت السماء ولما كثر المطر سألوه الاستصحاء فاستصحى لهم وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر وكان صلى الله عليه وسلم اذا رأى مطرا قال اللهم صيبا نافعا وكان يحسر ثوبه حتى يصيبه من المطر فسئل عن ذلك فقال لانه

يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى قال فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت له هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان * قال ابن اسحق وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة الا اني سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا لملك وما هو بشيطان * قال ابن اسحق فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان يقول الله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وقال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر وقال الله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر * قال ابن اسحق وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان * قال ابن اسحق ثم تتام الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه

حديث عهد بربه قال الشافعي رضي الله عنه أخبرني من لا أتهم عن يزيد بن الهاد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سال السيل قال اخرجوا بنا الى هذا الذي جعله الله طهورا فنتطهر منه ونحمد الله عليه وأخبرني من لا اتهم عن اسحق بن عبد الله أن عمر كان اذا سال السيل ذهب باصحابه اليه وقال ما كان ليجيء من مجيئه أحد الا تمسحنا به وكان صلى الله عليه وسلم اذا رأى الغيم والريح عرف ذلك في وجهه فاقبل وأدبر فاذا أمطرت سرى عنه وذهب عنه ذلك وكان يخشى أن يكون فيه العذاب قال الشافعي وروى عن سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعا انه كان اذا استسقى قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا غدقا مجللا عاما طبقا سحا دائما اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكوه الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا قال الشافعي رضي الله عنه وأحب ان يدعو الامام بهذا قال وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا في الاستسقاء رفع يديه وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمطر في أول مطره حتى يصيب جسده قال وبلغني أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أصبح وقد مطر الناس قال مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قال وأخبرني من لا أتهم عن عبد العزيز بن عمر عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث قال وقد حفظت عن غير واحد طلب الاجابة عند نزول الغيث واقامة الصلاة قال البيهقي وقد روينا في حديث موصول عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء لا يرد عند النداء وعند البأس وتحت المطر وروينا عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن عند التقاء الصفوف وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في سفره وعبادته فيه) كانت أسفاره دائرة بين أربعة أسفار سفر لهجرته وسفر للجهاد وهو أكثرها وسفر العمرة وسفر الحج وكان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها سافر بها معه ولما حج سافر بهن جميعا وكان اذا سافر خرج من أول النهار وكان يستحب الخروج يوم الخميس ودعا الله تبارك وتعالى ان يبارك لامته في بكورها وكان اذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار وأمر المسافرين اذا كانوا ثلاثة ان يؤمروا أحدهم ونهى ان يسافر الرجل وحده وأخبر ان الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وذكر عنه أنه كان يقول حين ينهض للسفر اللهم اليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت وكان اذا قدمت اليه دابته ليركبها يقول بسم الله حين يضع رجله في الركاب واذا استوى على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يقول الحمد لله الحمد لله الحمد لله الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثم يقول سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وكان يقول اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة

المنقلب

لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله سبحانه وتعالى قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب (قال ابن هشام) القصب ههنا اللؤلؤ المجوف (قال ابن هشام) وحدثني من أثق به ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ خديجة السلام من ربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك فقالت خديجة الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام * قال ابن اسحق ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ما ودعه ربه وما قلاه فقال تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى يقول ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك وللآخرة خير لك من الاولى أي لما عندي في مرجعك الي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته (قال ابن هشام) سجى سكن قال أمية بن أبي الصلت الثقفي اذ أتى موهنا وقد نام صحبي * وسجا الليل بالظلام البهيم وهذا البيت في قصيدة له ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية وسجا

ظرفها قال جرير ولقد رمينك حين رحن بأعين * يقتلن من خلل الستور سواجى وهذا البيت فى قصيدة له والعائل الفقير قال أبو خراش الهذلى الى بيته يأوى (١) الصريك اذا شتا * ومستنبح بالى الدريسين عائل وجمعه عالة وعيل وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله والعائل أيضا الذى يعول العيال والعائل أيضا الخائف وفى كتاب الله تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا وقال أبو طالب

بميزان قسط لا يخس شعيرة
له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها والعائل أيضا الشئ المثقل المعيى يقول الرجل قد عالنى هذا الامر أى أثقلنى وأعيانى قال الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش
اذا ما الامر فى الحدثان عالا

وهذا البيت فى قصيدة له فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر أى لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فاحشا فظا على الضعفاء من عباد الله وأما بنعمة ربك فحدث أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث اذكرها وادع اليها * فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته

(ابتداء ما افترض الله سبحانه على النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها)

* قال ابن اسحق وحدثنى صالح ابن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الاول ركعتين * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو باعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم

المقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وكان هو وأصحابه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا الاودية سبحوا وكان اذا أشرف على قرية يريد دخولها يقول اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها وذكر عنه انه كان يقول اللهم انى أسألك من خير هذه القرية وخير ما جمعت فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها اللهم ارزقنا جناها واعذنا من وباها وحببنا الى أهلها وحبب صالحى أهلها الينا وكان يقصر الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا الى ان يرجع الى المدينة ولم يثبت عنه انه أتم الرباعية فى سفره البتة وأما حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصر فى السفر ويتم ويفطر ويصوم فلا يصح وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى كان يقصر وتتم الاول بالياء آخر الحروف والثانى بالتاء المثناة من فوق وكذلك يفطر وتصوم أى تأخذ هى بالعزيمة فى الموضعين قال شيخنا ابن تيمية وهذا باطل ما كانت أم المؤمنين لتخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع أصحابه فتصلى خلاف صلاتهم كيف والصحيح عنها ان الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة زيد فى صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر فكيف يظن بها مع ذلك ان تصلى بخلاف صلاة النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه قلت وقد أتمت عائشة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وغيره انها تأولت كما تأول عثمان وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصر دائما فركب بعض الرواة من الحديثين حديثا وقال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصر وتتم هى فغلط بعض الرواة فقال كان يقصر ويتم أى هو والتأويل الذى تأولته قد اختلف فيه فقيل ظنت ان القصر مشروط بالخوف والسفر فاذا زال الخوف زال سبب القصر وهذا التأويل غير صحيح فان النبى صلى الله عليه وسلم سافر آمنا وكان يقصر الصلاة والآية قد أشكلت على عمر رضى الله عنه وغيره فسأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابه بالشفاء وان هذا صدقة من الله وشرع شرعه للامة وكان هذا بيان ان حكم المفهوم غير مراد وان الجناح مرتفع فى قصر الصلاة عن الآمن والخائف وغايته انه نوع تخصيص للمفهوم أو رفع له وقد يقال ان الآية اقتضت قصرا يتناول قصر الاركان بالتخفيف وقصر العدد بنقصان ركعتين وقيد ذلك بامرين الضرب بالارض والخوف فاذا وجد الامران أبيح القصر فيصلون صلاة الخوف مقصورة عددها وأركانها وان انتفى الامران فكانوا آمنين مقيمين انتفى القصران فيصلون صلاة تامة كاملة وان وجد أحد السببين ترتب عليه قصره وحده فاذا وجد الخوف والاقامة قصرت الاركان واستوفى العدد وهذا نوع قصر وليس بالقصر المطلق فى الآية فان وجد السفر والامن قصر العدد واستوفى الاركان وسميت صلاة أمن وهذا نوع قصر وليس بالقصر المطلق وقد تسمى هذه الصلاة مقصورة باعتبار نقصان العدد وقد تسمى تامة باعتبار تمام أركانها وانها لم تدخل فى قصر الآية والاول اصطلاح كثير من الفقهاء المتأخرين والثانى يدل عليه كلام الصحابة كعائشة وابن عباس وغيرهما قالت عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة زيد فى صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر فهذا يدل على ان صلاة السفر عندها غير مقصورة من أربع وانما هى

(١) قوله الصريك أى الفقير وقوله اذا شتا أى أجدب فى الشتاء كما فى القاموس

ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه
جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل

مفروضة كذلك وان فرض المسافر ركعتان وقال ابن عباس فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة متفق على حديث عائشة وانفرد مسلم بحديث ابن عباس وقال عمر بن الخطاب صلاة السفر ركعتان والجمعة ركعتان والعيد ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد خاب من افترى وهذا ثابت عن عمر رضي الله عنه وهو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته ولا تناقض بين حديثيه فان النبي صلى الله عليه وسلم لما أجابه بان هذه صدقة الله عليكم ودينه اليسر السمح علم عمر انه ليس المراد من الآية قصر العدد كما فهمه كثير من الناس فقال صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر وعلى هذا فلا دلالة في الآية على ان قصر العدد مباح منفي عنه الجناح فان شاء المصلي فعله وان شاء أتم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواظب في أسفاره على ركعتين ركعتين ولم يربع قط الا شيأ فعله في بعض صلاة الخوف كما سنذكره هنالك ونبين ما فيه ان شاء الله تعالى وقال أنس خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة متفق عليه ولما بلغ عبد الله بن مسعود ان عثمان بن عفان صلى بمنى أربع ركعات قال انا لله وانا اليه راجعون صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان متفق عليه ولم يكن ابن مسعود ليسترجع من فعل عثمان أحد الجائزين المخير بينهما بل الاولى على قول وانما استرجع لما شاهده من مداومة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه على صلاة ركعتين في السفر وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان في السفر لا يزيد على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان يعني في صدر خلافة عثمان والا فعثمان قد أتم في آخر خلافته وكان ذلك أحد الاسباب التي أنكرت عليه وقد خرج لفعله تأويلات أحدها ان الاعراب كانوا قد حجوا تلك السنة فاراد ان يعلمهم ان فرض الصلاة أربع لئلا يتوهموا انها ركعتان في الحضر والسفر ورد هذا التأويل بانهم كانوا أحرى بذلك في حج النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا حديثي عهد بالاسلام والعهد بالصلاة قريب ومع هذا فلم يربع بهم النبي صلى الله عليه وسلم الثاني انه كان اماما للناس والامام حيث نزل فهو عمله ومحل ولايته فكأنه وطنه ورد هذا التأويل بان امام الخلائق على الاطلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو أولى بذلك وكان هو الامام المطلق ولم يربع التأويل الثالث ان منى كانت قد بنيت وصارت قرية كثر فيها المساكن في عهده ولم يكن ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانت فضاء ولهذا قيل له يا رسول الله الا نبني لك بمنى بيتا يظلك من الحر فقال لا منى مناخ من سبق فتأول عثمان ان القصر انما يكون في حال السفر ورد هذا التأويل بان النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة عشرا يقصر الصلاة التأويل الرابع انه أقام بها ثلاثا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يقيم المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثا فسماه مقيما والمقيم غير مسافر ورد هذا التأويل بان هذه اقامة مقيدة في أثناء السفر ليست بالاقامة التي هي قسيم السفر وقد أقام صلى الله عليه وسلم بمكة عشرا يقصر الصلاة وأقام بمنى بعد نسكه أيام الجمار الثلاث يقصر الصلاة التأويل الخامس انه كان قد عزم على الاقامة والاستيطان بمنى واتخاذها دار الخلافة فلهذا أتم ثم بدا له ان يرجع الى المدينة وهذا التأويل أيضا مما لا يقوى فان عثمان رضي الله عنه من

فصلت بصلاته * قال ابن اسحق وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تيم عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس * قال ابن اسحق ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج قال كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير

ان قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى

يتكشف عن الناس ماهم فيه فقال لهما اذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئتما (قال ابن هشام) ويقال عقيلا وطالبا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا فاتبعه على رضى الله عنه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه * قال ابن اسحق وذكر بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا ثم ان أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ماهذا الدين الذى أراك تدين به قال أى عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم أو كما قال صلى الله عليه وسلم بعثنى الله به رسولا الى العباد وأنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابنى اليه وأعاننى عليه أو كما قال فقال أبو طالب أى ابن أخى انى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شئ تكرهه مابقيت وذكروا انه قال لعلى أى بنى ماهذا الدين الذى أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا انه قال له أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه * قال ابن اسحق ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرئ القيس الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب (قال ابن هشام) زيد ابن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه خديجة بنت خويلد وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اختارى يا عمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت

المهاجرين الاولين وقد منع صلى الله عليه وسلم المهاجرين من الاقامة بمكة بعد نسكه ورخص لهم فيها ثلاثة أيام فقط فلم يكن عثمان ليقيم بها وقد منع النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وانما رخص فيها ثلاثا وذلك لانهم تركوها لله وما ترك لله فانه لا يعاد فيه ولا يسترجع ولهذا منع النبى صلى الله عليه وسلم من شراء المتصدق لصدقته وقال لعمر لا تشترها ولا تعد فى صدقتك فجعله عائدا فى صدقته مع أخذها بالثمن التأويل السادس انه كان قد تأهل بمنى والمسافر اذا أقام فى موضع وتزوج فيه أو كان له به زوجة أتم ويروى فى ذلك حديث مرفوع عن النبى صلى الله عليه وسلم فروى عكرمة بن ابراهيم الازدى عن أبى ذباب عن أبيه قال صلى عثمان باهل منى أربعا وقال يا أيها الناس لما قدمت تأهلت بها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تأهل الرجل ببلدة فانه يصلى بها صلاة مقيم رواه الامام أحمد رحمه الله فى مسنده وعبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده أيضا وقد أعله البيهقى بانقطاعه وتضعيفه عكرمة بن ابراهيم قال أبو البركات ابن تيمية ويمكن المطالبة بسبب الضعف فان البخارى ذكره فى تاريخه ولم يطعن فيه وعادته ذكر الجرح والمجروحين وقد نص أحمد وابن عباس قبله ان المسافر اذا تزوج لزمه الاتمام وهذا قول أبى حنيفة رحمه الله ومالك وأصحابهما وهذا أحسن مااعتذر به عن عثمان وقد اعتذر عن عائشة انها كانت أم المؤمنين فحيث نزلت فكان وطنها وهو أيضا اعتذار ضعيف فان النبى صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين أيضا وأمومة أزواجه فرع عن أبوته ولم يكن يتم لهذا السبب وقد روى هشام بن عروة عن أبيه انها كانت تصلى فى السفر أربعا فقلت لها لو صليت ركعتين فقالت يا ابن أختى انه لا يشق على قال الشافعى رحمه الله لو كان فرض المسافر ركعتين لما أتمها عثمان ولا عائشة ولا ابن مسعود ولم يجز أن يتمها مسافر مع مقيم وقد قالت عائشة كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم وقصر ثم روى عن ابراهيم بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء ابن أبى رباح عن عائشة قالت كل ذلك فعل النبى صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة فى السفر وأتم قال البيهقى وكذلك رواه المغيرة بن زياد عن عطاء وأصح اسناد فيه ما أخبرنا أبو بكر الحارثى عن الدارقطنى عن المحاملى حدثنا سعيد بن محمد بن أيوب حدثنا أبو عاصم حدثنا عمر بن سعيد عن عطاء عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقصر الصلاة فى السفر ويتم ويفطر ويصوم قال الدارقطنى وهذا اسناد صحيح ثم ساق من طريق أبى بكر النيسابورى عن عباس الدورى أنبأنا أبو نعيم حدثنا العلاء ابن زهير حدثنى عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة انها اعتمرت مع النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابى أنت وأمى قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هذا الحديث كذب على عائشة ولم تكن عائشة تصلى بخلاف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الصحابة وهى تشاهدهم يقصرون ثم تتم هى وحدها بلا موجب كيف وهى القائلة فرضت الصلاة ركعتين فزيد فى صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر فكيف يظن انها تزيد على مافرض الله وتخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال الزهرى لعروة لما حدثه عن أبيه عنها بذلك فما شأنها كانت تتم الصلاة فقال تأولت كما تأول عثمان فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد حسن فعلها وأقرها عليه فما للتأويل حينئذ وجه ولا يصح ان يضاف اتمامها الى التأويل على هذا التقدير وقد أخبر ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يزيد فى السفر على ركعتين ولا أبو بكر ولا عمر أفيظن لعائشة أم المؤمنين مخالفتهم

وهى تراهم يقصرون وأما بعد موته صلى الله عليه وسلم فانها أتمت كما أتم عثمان وكلاهما تأول تأويلا والحجة فى روايتهم لافى تأويل الواحد منهم مع مخالفة غيره له والله أعلم وقد قال أمية بن خالد لعبد الله بن عمر انا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف فى القرآن ولا نجد صلاة السفر فى القرآن فقال له ابن عمر يا أخى ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيأ فانما نفعل كما رأينا محمدا صلى الله عليه وسلم يفعل وقد قال أنس خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وقال ابن عمر صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لا يزيد فى السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وهذه كلها أحاديث صحيحة

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) فى سفره الاقتصار على الفرض ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها الا ما كان من الوتر وسنة الفجر فانه لم يكن ليدعهما حضرا ولا سفرا قال ابن عمر وقد سئل عن ذلك فقال صحبت النبى صلى الله عليه وسلم فلم أره يسبح فى السفر وقال الله عز وجل لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ومراده بالتسبيح السنة والا فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه وفى الصحيحين عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت يومئ ايماء صلاة الليل الا الفرائض ويوتر على راحلته قال الشافعى رحمه الله وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يتنفل ليلا وهو يقصر وفى الصحيحين عن عامر بن ربيعة انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى السبحة بالليل فى السفر على ظهر راحلته فهذا قيام الليل وسئل الامام أحمد رحمه الله عن التطوع فى السفر فقال أرجو أن لا يكون بالتطوع فى السفر بأس وروى عن الحسن قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافرون فيتطوعون قبل المكتوبة وبعدها وروى هذا عن عمر وعلى وابن مسعود وجابر وأنس وابن عباس وأبى ذر وأما ابن عمر فكان لا يتطوع قبل الفريضة ولا بعدها الا من جوف الليل مع الوتر وهذا هو الظاهر من هدى النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يصلى قبل الفريضة المقصورة ولا بعدها شيأ ولم يكن يمنع من التطوع قبلها ولا بعدها فهو كالتطوع المطلق لا انه سنة راتبة للصلاة كسنة صلاة الاقامة ويؤيد هذا ان الرباعية قد خففت الى ركعتين تخفيفا على المسافر فكيف يجعل لها سنة راتبة يحافظ عليها وقد خفف الفرض الى ركعتين فلولا قصد التخفيف على المسافر والا كان الاتمام أولى به ولهذا قال عبد الله بن عمر لو كنت مسبحا لأتممت وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى يوم الفتح ثمان ركعات ضحى وهو اذ ذاك مسافر وأما ما رواه أبو داود فى السنن من حديث الليث عن صفوان بن سليم عن أبى بسرة الغفارى عن البراء ابن عازب قال سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم أره ترك ركعتين عند زيغ الشمس قبل الظهر قال الترمذى هذا حديث غريب قال وسألت محمدا عنه فلم يعرفه الا من حديث الليث بن سعد ولم يعرف اسم أبى بسرة ورآه حسنا وبسرة بالباء الموحدة المضمومة وسكون السين المهملة وأما حديث عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها فرواه البخارى فى صحيحه ولكنه ليس بصريح لفعله ذلك فى السفر ولعلها أخبرت عن أكثر أحواله وهو الاقامة والرجال أعلم بسفره من النساء وقد أخبر ابن عمر انه لم يزد على ركعتين ولم يكن ابن عمر يصلى قبلها ولا بعدها شيأ والله أعلم

زيدا فاخذته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وذلك قبل أن يوحى اليه وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحى فيرجى أم أتى دونه الاجل
فوالله ما أدرى وانى لسائل * أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل
وياليت شعرى هل لك الدهر أوبة * فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * ويعرض ذكراه اذا غربها أفل
وان هبت الارواح هيجن ذكره * فياطول ما حزنى عليه وماوجل
سأعمل نص العيس فى الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل
حياتى أو تأتى على منيتى * فكل امرئ فان وان غره الامل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاقم عندى وان شئت فانطلق مع أبيك فقال بل أقيم عندك فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه فلما أنزل الله عز وجل ادعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة * قال ابن اسحق ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة واسمه عتيق واسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (قال ابن هشام) واسم أبى بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه * قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه أظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الله والى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعائه فيما بلغنى عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب * والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن (وصل)

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم صلاة التطوع على راحلته حيث توجهت به) وكان يومئ ايماء برأسه في ركوعه وسجوده وسجوده أخفض من ركوعه وروى أحمد وأبو داود عنه من حديث أنس انه كان يستقبل بناقته القبلة عند تكبيرة الافتتاح ثم يصلي سائر الصلاة حيث توجهت به وفي هذا الحديث نظر وسائر من وصف صلاته صلى الله عليه وسلم على راحلته أطلقوا انه كان يصلي عليها قبل أي جهة توجهت به ولم يستثنوا من ذلك تكبيرة الاحرام ولا غيرها كعامر بن ربيعة وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأحاديثهم أصح من حديث أنس هذا والله أعلم وصلى على الراحلة وعلى الحمار ان صح عنه وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر وصلى الفرض بهم على الرواحل لاجل المطر والطين ان صح الخبر بذلك وقد رواه أحمد والترمذي والنسائي أنه عليه الصلاة والسلام انتهى الى مضيق هو وأصحابه وهو على راحلته والسماء من فوقهم والبلة من أسفل منهم فحضرت الصلاة فأمر المؤذن فأذن وأقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فصلى بهم يومئ ايماء فجعل السجود أخفض من الركوع قال الترمذي حديث غريب تفرد به عمر بن الرماح وثبت ذلك عن أنس من فعله

(فصل) وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه اذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زالت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب وكان اذا أعجله السير أخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء في وقت العشاء وقد روي عنه في غزوة تبوك أنه كان اذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر وان ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى ينزل للعصر فيصليهما جميعا وكذلك في المغرب والعشاء لكن اختلف في هذا الحديث فمن مصحح له ومن محسن ومن قادح فيه وجعله موضوعا كالحاكم واسناده على شرط الصحيح لكن رمي بعلة عجيبة قال الحاكم حدثنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن بالويه حدثنا موسى بن هارون حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك اذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يجمعها الى العصر ويصليهما جميعا واذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعا ثم سار وكان اذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليها مع العشاء واذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب قال الحاكم هذا الحديث رواته أئمة ثقات وهو شاذ الاسناد والمتن ثم لا نعرف له علة نعلله بها فلو كان الحديث عن الليث عن أبي الزبير عن أبي الطفيل لعللنا به الحديث ولو كان عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل لعللنا به فلما لم نجد له العلتين خرج عن أن يكون معلولا ثم نظرنا فلم نجد ليزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل رواية ولا وجدنا هذا المتن بهذه السياقة عن أحد من أصحاب أبي الطفيل ولا عن أحد ممن روى عن معاذ بن جبل غير أبي الطفيل فقلنا الحديث شاذ وقد حدثوا عن أبي العباس الثقفي قال كان قتيبة بن سعيد يقول لنا على هذا الحديث علامة أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبو بكر بن أبي شيبة وأبي خيثمة حتى عد قتيبة سبعة من أئمة الحديث كتبوا عنه هذا الحديث وأئمة الحديث انما سمعوه من قتيبة تعجبا من اسناده ومتنه ثم لم يبلغنا عن أحد منهم أنه ذكر للحديث علة ثم قال فنظرنا فاذا الحديث موضوع وقتيبة ثقة مأمون ثم ذكر باسناده الى البخاري قال قلت لقتيبة بن سعيد مع من كتبت عن الليث بن سعد حديث يزيد بن أبي حبيب

عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي * وسعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي * وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغني ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه (قال ابن هشام) قوله عكم تلبث قال رؤبة بن العجاج * فأصاع وثابهم اوماعكم (قال ابن هشام) قوله بدعائه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله * ثم أسلم أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر * وأبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي * والارقم بن أبي الارقم واسم أبي الارقم عبد مناف ابن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي * وعثمان بن مظعون بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب * وعبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي * وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله ابن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي * وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أخت عمر بن الخطاب * وأسماء بنت أبي بكر * وعائشة بنت أبي بكر وهي يومئذ صغيرة * وخباب بن الارت حليف بني زهرة (قال ابن هشام) خباب بن الارت من بني تميم ويقال هو من خزاعة * قال ابن اسحق وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص * وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن

فضالة بن كامل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة * ومسعود بن القارى وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة (قال ابن هشام) والقارة لقب ولهم يقال قد انصف القارة من راماها وكانوا رماة * قال ابن اسحق وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى * وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية * وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * وعامر بن ربيعة ابن عنز بن وائل حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى (قال ابن هشام) عنز بن وائل أخو بكر بن وائل من ربيعة بن نزار * قال ابن اسحق وعبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة * وأخوه أبو أحمد بن جحش حليفا بني أمية بن عبد شمس * وجعفر بن أبي طالب * وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وأخوه خطاب بن الحرث وامرأته فكيهة بنت يسار * ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب * والمطلب بن ازهر بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد أخو بني عدى بن كعب بن لؤى (قال ابن هشام) هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى

قوله

عن أبي الطفيل قال كتبته مع خالد بن المدائني قال البخاري وكان خالد بن المدائني يدخل الاحاديث على الشيوخ * قلت وحكمه بالوضع على هذا الحديث غير مسلم فان أبا داود رواه عن يزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب الرملي حدثنا المفضل بن فضالة عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ فذكره فهذا المفضل قد تابع قتيبة وان كان قتيبة أجل من المفضل وأحفظ لكن زال تفرد قتيبة به ثم ان قتيبة صرح بالسماع فقال حدثنا ولم يعنعنه فكيف يقدح في سماعه مع أنه بالمكان الذي جعله الله به من الامانة والحفظ والثقة والعدالة وقد روى اسحاق بن راهويه حدثنا شبابة حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا كان في سفر فزالت الشمس صلى الظهر والعصر ثم ارتحل وهذا اسناده كما ترى وشبابة هو شبابة بن سوار الثقة المتفق على الاحتجاج بحديثه وقد روى له مسلم في صحيحه عن الليث ابن سعد بهذا الاسناد على شرط الشيخين واقل درجاته أن يكون مقويا لحديث معاذ وأصله في الصحيحين لكن ليس فيه جمع التقديم ثم قال أبو داود وروى هشام عن عروة عن حسين بن عبد الله عن كريب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث المفضل يعني حديث معاذ في جمع التقديم ولفظه عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن كريب عن ابن عباس أنه قال ألا أخبركم عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في السفر كان اذا زالت الشمس وهو في منزله جمع بين الظهر والعصر في الزوال واذا سافر قبل أن تزول الشمس أخر الظهر حتى يجمع بينها وبين العصر في وقت العصر قال وأحسبه قال في المغرب والعشاء مثل ذلك رواه الشافعي من حديث ابن أبي يحيى عن حسين ومن حديث ابن عجلان بلاغا عن حسين قال البيهقي هكذا رواه الاكابر هشام بن عروة وغيره عن حسين بن عبد الله ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن حسين عن عكرمة وعن كريب كلاهما عن ابن عباس ورواه أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس قال ولا أعلمه الا مرفوعا وقال اسمعيل بن اسحاق حدثنا اسمعيل بن أبي ادريس قال حدثني أخي عن سليمان بن مالك عن هشام ابن عروة عن كريب عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جد به السير فراح قبل أن تزيغ الشمس ركب فسار ثم نزل فجمع بين الظهر والعصر واذا لم يرح حتى تزيغ الشمس جمع بين الظهر والعصر ثم ركب واذا أراد أن يركب ودخلت صلاة المغرب جمع بين المغرب وبين صلاة العشاء قال أبو العباس ابن شريح روى يحيى بن عبد الحميد عن أبي خالد الاحمر عن الحجاج عن الحكم عن المقسم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يرتحل حتى تزيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعا فاذا كانت لم تزغ أخرها حتى يجمع بينهما في وقت العصر قال شيخ الاسلام ابن تيمية ويدل على جمع التقديم جمعه بعرفة بين الظهر والعصر لمصلحة الوقوف ليتصل وقت الدعاء ولا يقطعه بالنزول لصلاة العصر مع امكان ذلك بلا مشقة فالجمع كذلك لاجل المشقة والحاجة أولى قال الشافعي وكان أرفق به يوم عرفة تقديم العصر لان يتصل له الدعاء فلا يقطعه بصلاة العصر وأرفق بالمزدلفة أن يتصل له المسير ولا يقطعه بالنزول للمغرب لما في ذلك من التضييق على الناس والله أعلم

(فصل) ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم الجمع راكبا في سفره كما يفعله كثير من الناس ولا الجمع حال نزوله أيضا وانما كان يجمع اذا جد به السير واذا سار عقيب الصلاة كما ذكرنا في قصة

ابن كعب بن لؤي وانما سمي النحام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد سمعت نحمه في الجنة (قال ابن هشام) نحمه صوته وحسه * قال ابن اسحق وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه (قال ابن هشام) عامر بن فهيرة مولد من مولدي الاسد اسود اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم * قال ابن اسحق وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس

قبولك وأما حجه وهو نازل غير مسافر فلم ينقل ذلك عنه الا بعرفة لاجل اتصال الوقوف كما قال الشافعي رحمه الله وشيخنا ولهذا خصه أبو حنيفة بعرفة وجعله من تمام النسك ولا تأثير للسفر عنده فيه وأحمد ومالك والشافعي جعلوا سببه السفر ثم اختلفوا فجعل الشافعي وأحمد في احدى الروايات عنه التأثير للسفر الطويل ولم يجوزاه لاهل مكة وجوزه مالك وأحمد في الرواية الاخرى عنه لاهل مكة الجمع والقصر بعرفة واختارها شيخنا وأبو الخطاب في عباداته ثم طرد شيخنا هذا وجعله أصلا في جواز القصر والجمع في طويل السفر وقصيره كما هو مذهب كثير من السلف وجعله مالك وأبو الخطاب مخصوصا باهل مكة ولم يحد صلى الله عليه وسلم لامته مسافة محدودة للقصر والفطر بل أطلق لهم ذلك في مطلق السفر والضرب في الارض كما أطلق لهم التيمم في كل سفر وأما ما يروى عنه من التحديد باليوم أو اليومين أو الثلاثة فلم يصح عنه منها شيء ألبتة والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في قراءة القرآن واستماعه وخشوعه وبكائه عند قراءته واستماعه وتحسين صوته به وتوابع ذلك كان له صلى الله عليه وسلم حزب يقرؤه ولا يخل به وكانت قراءته ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد فيمد الرحمن ويمد الرحيم وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وربما كان يقول اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وكان تعوذه قبل القراءة وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره وأمر عبد الله ابن مسعود فقرأ عليه وهو يسمع وخشع صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه وكان يقرأ القرآن قائما وقاعدا ومضطجعا ومتوضئا ومحدثا ولم يكن يمنعه من قراءته الا الجنابة وكان يتغنى به ويرجع صوته به أحيانا كما رجع يوم الفتح في قراءته انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله ابن مغفل ترجيعه آا آ ثلاث مرات ذكره البخاري واذا جمعت هذه الاحاديث الى قوله زينوا القرآن باصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن علمت أن هذا الترجيع منه صلى الله عليه وسلم كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسى به وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فنسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا وقد استمع ليلة لقراءة أبي موسى الاشعري فلما أخبره بذلك قال لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا أي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وروى أبو داود في سننه عن عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبد الله بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيأة فسمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت اذا لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع * قلت لا بد من كشف هذه المسألة وذكر اختلاف الناس فيها واحتجاج كل فريق وما لهم وعليهم في احتجاجهم وذكر الصواب في ذلك بحول الله تبارك وتعالى ومعونته فقالت طائفة تكره قراءة الالحان وممن نص على ذلك أحمد ومالك وغيرهما فقال أحمد في رواية علي بن سعيد في قراءة الالحان ما تعجبني وهو محدث وقال في رواية المروزي القراءة بالالحان بدعة لا تسمع وقال في رواية عبد الرحمن المتطبب قراءة الالحان بدعة وقال

بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي * وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع ابن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة (قال ابن هشام) ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واسمه مهشم فيما قال ابن هشام ابن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي * وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني عدي بن كعب (قال ابن هشام) جاءت به باهلة فباعوه من الخطاب بن نفيل فتبناه فلما أنزل الله تعالى ادعوهم لآبائهم قال أنا واقد بن عبد الله فيما قال أبو عمرو المدني * قال ابن اسحق وخالد وعامر وعاقل واياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب ابن غيرة من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب * وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة (قال ابن هشام) عمار بن ياسر عنسي من مذحج * قال ابن اسحق وصهيب بن سنان أحد النمر بن قاسط حليف بني تيم بن مرة (قال ابن هشام) النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار

ويقال أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ويقال صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال انه رومي فقال بعض من ذكر انه من النمر بن قاسط انما كان أسيرا في أرض الروم فاشترى منهم وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم صهيب سابق

الروم * قال ابن اسحق ثم دخل الناس فى الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ثم ان الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه وأن ينادى الناس بأمره وأن يدعو اليه وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به الى أن أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغنى من مبعثه ثم قال الله تعالى له فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل انى أنا النذير المبين (قال ابن هشام) اصدع افرق بين الحق والباطل * قال أبو ذؤيب الهذلى واسمه خويلد بن خالد يصف أتن وحش وفحلها

وكأنهن (١) ربابه وكأنه
يسر يفيض على القداح ويصدع

أى يفرق على القداح ويبين أنصباءها وهذا البيت فى قصيدة له * وقال رؤبة بن العجاج

أنت الحليم والامير المنتقم
تصدع بالحق وتنفى من ظلم

وهذان البيتان فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم اهريق فى الاسلام * قال ابن اسحق فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه فيما بلغنى حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهر الامره لا يرده عنه قال

فى رواية ابنه عبد الله ويوسف بن موسى ويعقوب بن الحبان والاثرم وابراهيم بن الحارث القراءة بالالحان لا تعجبنى الا أن يكون ذلك حزنا فيقرأ بحزن مثل صوت أبى موسى وقال فى رواية صالح زينوا القرآن باصواتكم معناه أن يحسنه وقال فى رواية المروزى ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن وفى رواية قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقال كان ابن عيينة يقول يستغنى به وقال الشافعى يرفع صوته وذكر له حديث معاوية بن قرة فى قصة قراءة سورة الفتح والترجيع فيها فانكر أبو عبد الله أن يكون على معنى الالحان وأنكر الاحاديث التى يحتج بها فى الرخصة فى الالحان وروى ابن القاسم عن مالك أنه سئل عن الالحان فى الصلاة فقال لا تعجبنى وقال انما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم وممن رويت عنه الكراهة أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين وابراهيم النخعى وقال عبد الله بن يزيد العكبرى سمعت رجلا يسأل أحمد ما تقول فى القراءة بالالحان فقال ما اسمك قال محمد قال يسرك ما يقال لك يا موحمد ممدودا قال القاضى أبو يعلى هذه مبالغة فى الكراهة وقال الحسن بن عبد العزيز الحرولى أوصى الى رجل بوصية وكان فيما خلف جارية تقرأ بالالحان وكانت أكثر تركته أو عامتها فسألت أحمد بن حنبل والحرث بن مسكين وأبا عبيد كيف أبيعها فقالوا بعها ساذجة فاخبرتهم بما فى بيعها من النقصان فقالوا بعها ساذجة قال القاضى وانما قالوا ذلك لان سماع ذلك منها مكروه فلا يجوز أن يعاوض عليه كالغناء قال ابن بطال وقالت طائفة التغنى بالقرآن هو تحسين الصوت به والترجيع بقراءته والتغنى بما شاء من الاصوات واللحون قال فهو قول ابن مبارك والنضر بن شميل قال وممن أجاز الالحان فى القرآن ذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لابى موسى ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى ويتلاحن وقال من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتا بالقرآن فقال له عمر أعرض على سورة كذا فعرض عليه فبكى عمر وقال ما كنت أظن أنها نزلت قال واجازه ابن عباس وابن مسعود وروى عن عطاء بن أبى رباح قال وكان عبد الرحمن بن الاسود بن أبى يزيد يتتبع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان وذكر الطحاوى رحمه الله عن أبى حنيفة وأصحابه رحمهم الله انهم كانوا يستمعون القرآن بالالحان وقال محمد بن عبد الحكم رأيت أبى والشافعى رحمه الله ويوسف ابن عمرو يستمعون القرآن بالالحان وهذا اختيار ابن جرير الطبرى قال المجوزون واللفظ لابن جرير الدليل على ان معنى الحديث تحسين الصوت والغناء المعقول الذى هو تحزين القارئ سامع قراءته كما ان الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذى يطرب سامعه ما روى سفيان عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى حسن الترنم بالقرآن ومعقول عند ذوى الحجى ان الترنم لا يكون الا بالصوت اذا حسنه المترنم وطرب به وروى فى هذا الحديث ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به قال الطبرى وهذا الحديث من ابين البيان ان ذلك كما قلنا قال ولو كان كما قال ابن عيينة يعنى يستغنى به عن غيره لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف فى كلام العرب ان التغنى انما هو الغناء الذى هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

تغن بالشعر ان ما كنت قائله * ان الغناء لهذا الشعر مضمار

(١) الربابة بكسر الراء شبيهة بالكنانة التى تجمع فيها سهام الميسر كذا بهامش

شيء فلما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا ان عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب * وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن

عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قال ابن هشام) واسم أبي سفيان صخر * قال ابن اسحق وأبو البختري واسمه العاص ابن هشام بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي (قال ابن هشام) أبو البختري العاص بن هاشم * قال ابن اسحق والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي * وأبو جهل بن هشام واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي * والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي * ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * والعاص بن وائل (قال ابن هشام) العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي * قال ابن اسحق أو من مشى منهم فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم (١) شرى الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم انهم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا

قال وأما ادعاء الزاعم ان تغنيت بمعنى استغنيت فاش في كلام العرب فلم نعلم أحدا قال به من أهل العلم بكلام العرب وأما احتجاجه لتصحيح قوله بقول الاعشى

وكنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغني

وزعم أنه أراد بقوله طويل التغني طويل الاستغناء فانه غلط منه وانما عنى الاعشى بالتغني في هذا الموضع الاقامة من قول العرب غني فلان بمكان كذا اذا أقام به ومنه قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها واستشهاده بقول الآخر

كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

فانه اغفال منه وذلك لان التغاني تفاعل من تغنى اذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه كما يقال تضارب الرجلان اذا ضرب كل واحد منهما صاحبه وتشاتما وتقاتلا ومن قال هذا في فعل اثنين لم يجز ان يقول مثله في فعل الواحد فيقول تغانى زيد وتضارب عمرو وذلك غير جائز ان يقول تغنى زيد بمعنى استغنى الا ان يريد به قائله انه أظهر الاستغناء وهو غير مستغن كما يقال تجلد فلان اذا أظهر جلدا من نفسه وهو غير جليد وتشجع وتكرم فان وجه موجه التغني بالقرآن الى هذا المعنى على بعده من مفهوم كلام العرب كانت المصيبة في خطئه في ذلك أعظم لانه يوجب من تأوله أن يكون الله تعالى ذكره لم يأذن لنبيه ان يستغني بالقرآن وانما أذن له ان يظهر من نفسه لنفسه خلاف ما هو به من الحال وهذا لا يخفى فساده قال ومما يبين فساد تأويل ابن عيينة أيضا ان الاستغناء عن الناس بالقرآن من المحال ان يوصف أحد انه يؤذن له فيه أو لا يؤذن الا أن يكون الاذن عند ابن عيينة بمعنى الاذن الذي هو اطلاق واباحة وان كان كذلك فهو غلط من وجهين أحدهما من اللغة والثاني من احالة المعنى عن وجهه أما اللغة فان الاذن مصدر قوله أذن فلان لكلام فلان فهو يأذن له اذا استمع له وانصت كما قال تعالى وأذنت لربها وحقت بمعنى سمعت لربها وحق لها ذلك كما قال عدي بن زيد

ان همي في سماع وأذن * بمعنى في سماع واستماع فمعنى

قوله ما أذن الله لشيء انما هو ما استمع الله لشيء من كلام الناس ما استمع لنبي يتغنى بالقرآن وأما الاحالة في المعنى فلان الاستغناء بالقرآن عن الناس غير جائز وصفه بانه مسموع ومأذون له انتهى كلام الطبري قال أبو الحسن بن بطال وقد وقع الاشكال في هذه المسألة أيضا بما رواه ابن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني موسى بن أبي رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من المخاض من العقل قال وذكر عمر بن أبي شيبة قال ذكرت لابي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في قوله يتغنى بالقرآن يستغني به فقال لم يصنع ابن عيينة شيئا حدثنا ابن جريج عن عطاء بن عبيد بن عمير قال كانت لداود نبي الله صلى الله عليه وسلم معزفة يتغنى عليها يبكي ويبكي وقال ابن عباس انه كان يقرأ الزبور بسبعين لحنا يكون فيهن ويقرأ قراءة يطرب منها الجموع وسئل الشافعي رحمه الله عن تأويل ابن عيينة فقال نحن أعلم بهذا لو أراد به الاستغناء لقال من لم يستغن بالقرآن ولكن لما قال يتغنى بالقرآن علمنا انه أراد به التغني قالوا ولان تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في النفوس وأدعى الى الاستماع والاصغاء اليه ففيه تنفيذ للفظه الى الاسماع ومعانيه الى القلوب وذلك عون

(١) قوله شرى أي اشتد

على المقصود وهو بمنزلة الحلاوة التى تجعل فى الدواء لتنفذه الى موضع الداء وبمنزلة الافاويه والطيب الذى يجعل فى الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا وبمنزلة الطيب والتحلى وتجمل المرأة لبعلها ليكون ادعى الى مقاصد النكاح قالوا ولا بد للنفس من طرب واشتياق الى الغناء فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه كما عوضت عن الاستقسام بالازلام بالاستخارة التى هى محض التوحيد والتوكل وعن السفاح بالنكاح وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل وعن السماع الشيطانى بالسماع الرحمانى القرآنى ونظائره كثيرة جدا قالوا والمحرم لابد ان يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة وقراءة التطريب والالحان لا يتضمن شيأ من ذلك فانها لا تخرج الكلام عن وضعه ولا تحول بين السامع وبين فهمه ولو كانت متضمنة لزيادة الحروف كما ظن المانع منها لأخرجت الكلمة عن موضعها وحالت بين السامع وبين فهمها ولم يدر ما معناها والواقع بخلاف ذلك قالوا وهذا التطريب والتلحين أمر راجع الى كيفية الاداء وتارة يكون سليقة وطبيعة وتارة يكون تكلفا وتعملا وكيفيات الاداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته بل هى صفات لصوت المؤدى جارية مجرى ترقيقه وتفخيمه وامالته وجارية مجرى مدود القراء الطويلة والمتوسطة لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف وكيفيات الالحان والتطريب متعلقة بالاصوات والآثار فى هذه الكيفيات لا يمكن نقلها بخلاف كيفيات أداء الحروف فلهذا نقلت تلك بالفاظها ولم يمكن نقل هذه بالفاظها بل نقل منها ما أمكن نقله كترجيع النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة الفتح بقوله آآآ قالوا والتطريب والتلحين راجع الى أمرين مد وترجيع وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يمد صوته بالقراءة يمد الرحمن ويمد الرحيم وثبت عنه الترجيع كما تقدم قال المانعون من ذلك الحجة لنا من وجوه أحدها ما رواه حذيفة بن اليمان عن النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الكتاب والفسق فانه سيجىء من بعدى أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم رواه أبو الحسن ورزين فى تجريد الصحاح ورواه أبو عبد الله الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول واحتج به القاضى أبو يعلى فى الجامع واحتج معه بحديث آخر انه صلى الله عليه وسلم ذكر شرائط الساعة وذكر أشياء منها أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم الا ليغنيهم غناء قالوا وقد جاء زياد النهدى الى أنس رضى الله عنه مع القراء فقيل له اقرأ فرفع صوته وطرب وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه وكان على وجهه خرقة سوداء وقال يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان اذا رأى شيأ ينكره رفع الخرقة عن وجهه قالوا وقد منع النبى صلى الله عليه وسلم المؤذن المطرب فى أذانه من التطريب كما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن رواه الدارقطنى وروى عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم المد ليس فيها ترجيع قالوا والترجيع والتطريب يتضمن همز ما ليس بمهموز ومد ما ليس بممدود وترجيع الالف الواحد ألفات والواو واوات والياء ياآت فيؤدى ذلك الى زيادة فى القرآن وذلك غير جائز قالوا ولا حد لما يجوز من ذلك وما لا يجوز منه فان حد بحد

معين

ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا له ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه *قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث ان قريشا حين قالوا لابى طالب هذه المقالة بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا للذى كانوا قالوا له فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا أطيق قال فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد بدا لعمه فيه بدو انه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخى قال فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا *قال ابن اسحق ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه واجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنى يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل برجل قال والله لبئس ما تسوموننى أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيأ فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك أو كما قال قال فحقب الامر

معين كان تحكما فى كتاب الله تعالى ودينه وان لم يجد بحد أفضى الى ان يطلق لفاعله ترديد الاصوات وكثرة الترجيعات والتنوع فى أصناف الايقاعات والالحان المشبهة للغناء كما يفعل أهل الغناء بالابيات وكما يفعله كثير من القراء امام الجنائز و يفعله كثير من قراء الاصوات مما يتضمن تغيير كتاب الله والغناء به على نحو الحان الشعر والغناء و يوقعون الايقاعات عليه مثل الغناء سواء اجتراء على الله وكتابه وتلعبا بالقرآن وركونا الى تزيين الشيطان ولا يجيز ذلك أحد من علماء الاسلام ومعلوم ان التطريب والتلحين ذريعة مفضية الى هذا افضاء قريبا فالمنع منه كالمنع من الذرائع الموصلة الى الحرام فهذا نهاية اقدام الفريقين ومنتهى احتجاج الطائفتين وفصل النزاع ان يقال التطريب والتغنى على وجهين أحدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز وان أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبى صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب فى القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكاف لا متكلف فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه و يستمعونه وهو التغنى الممدوح المحمود وهو الذى يتأثر به السامع والتالى وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها الوجه الثانى ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس فى الطبع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركبة على ايقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هى التى كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأنكروا على من قرأ بها وأدلة أرباب هذا القول انما تتناول هذا الوجه وبهذا التفصيل يزول الاشتباه و يتبين الصواب من غيره وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا انهم برآء من القراءة بالالحان الموسيقى المتكلفة التى هى ايقاع وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم أتقى لله من ان يقرؤا بها و يسوغوها و يعلم قطعا انهم كانوا يقرؤن بالتحزين والتطريب و يحسنون أصواتهم بالقرآن و يقرؤنه بشجى تارة و بطرب تارة و بشوق تارة وهذا أمر فى الطباع تقاضيه ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له بل أرشد اليه وندب اليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وفيه وجهان أحدهما انه اخبار بالواقع الذى كلنا نفعله والثانى انه نفى لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى عيادة المرضى) كان يعود من مرض من أصحابه وعاد غلاما كان يخدمه من أهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم اليهودى وكان يدنو من المريض و يجلس عند رأسه و يسأله عن حاله فيقول كيف تجدك وذكر انه كان يسأل المريض عما يشتهيه فيقول هل تشتهى شيأ فان اشتهى شيأ وعلم انه لا يضره أمر له به وكان يمسح بيده اليمنى على المريض و يقول اللهم رب الناس اذهب البأس واشف وأنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وكان يقول امسح البأس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له الا أنت وكان يدعو للمريض ثلاثا كما قاله لسعد اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا وكان اذا دخل على المريض يقول له لا بأس طهور ان شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور وكان يرقى من به قرحة

وجيشت الحرب وتنابذ القوم و بادى بعضهم بعضا فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى و يعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش و يذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظى من حياطتكم بكر
من الحور (١) حبحاب كثير رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطر
تخاف خلف الورد ليس بلاحق * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا * اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر
بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذى علق صخر
أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم فى أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صفر
هما أشركا فى المجد من لا أبا له * من الناس الا ان يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم * وكانوا لنا مولى اذا بغى النصر
فوالله لا ينفك منا عداوة * ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

(قال ابن هشام) تركنا منها بيتين أقذع فيهما * قال ابن اسحق ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم و بنى المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه الى ما دعاهم اليه الا ما كان من أبى لهب عدو الله الملعون فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره فى جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم و يذكر قديمهم و يذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره فقال

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت (٢) أشراف عبد منافها

(١) الحبحاب الجمل الضئيل (٢) أشراف فى نسخة أنساب

أو جرح أو شكوى فيضع سبابته بالارض ثم يرفعها ويقول بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا هذا فى الصحيحين وهو يبطل اللفظة التى جاءت فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وانهم لا يرقون ولا يسترقون فقوله فى الحديث لا يرقون غلط من الراوى سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول ذلك قال وانما الحديث هم الذين لا يسترقون (قلت) وذلك لان هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم ولهذا نفى عنهم الاسترقاء وهو سؤال الناس ان يرقوهم ولهذا قال وعلى ربهم يتوكلون فلكمال توكلهم على ربهم وسكونهم اليه وثقتهم به ورضاهم عنه وانزال حوائجهم به لا يسألون الناس شيأ لا رقية ولا غيرها ولا يحصل لهم طيرة تصدهم عما يقصدونه فان الطيرة تنقص التوحيد وتضعفه قال والراقى متصدق محسن والمسترقى سائل والنبى صلى الله عليه وسلم رقى ولم يسترق وقال من استطاع منكم ان ينفع أخاه فلينفعه فان قيل فما تصنعون بالحديث الذى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ويمسح بهما ما استطاع من جسده ويبدأ بهما على رأسه ووجهه ما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات قالت عائشة فلما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامرنى ان أفعل ذلك فالجواب ان هذا الحديث قد روى بثلاثة ألفاظ أحدها هذا والثانى انه كان ينفث على نفسه والثالث قالت كنت أنفث عليه بهن وامسح بيده نفسه لبركتها وفى لفظ رابع كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث وهذه الالفاظ يفسر بعضها بعضا وكان صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه وضعفه ووجعه يمنعه من امرار يده على جسده كله فكان يامر عائشة ان تمر يده على جسده بعد نفثه هو وليس ذلك من الاسترقاء فى شئ وهى لم تقل كان يامرنى ان أرقيه وانما ذكرت المسح بيده بعد النفث على جسده ثم قالت كان يامرنى ان أفعل ذلك به أى ان أمسح جسده بيده كما كان هو يفعل ولم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام أن يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات بل شرع لامته عيادة المرضى ليلا ونهارا وفى سائر الاوقات وفى المسند عنه اذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى فى خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وان كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وفى لفظ ما من مسلم يعود مسلما الا بعث الله له سبعين ألف ملك يصلون عليه أى ساعة من النهار كانت حتى يمسى وأى ساعة من الليل كانت حتى يصبح وكان يعود من الرمد وغيره وكان احيانا يضع يده على جبهة المريض ثم يمسح صدره وبطنه ويقول اللهم اشفه وكان يمسح وجهه أيضا وكان اذا يئس من المريض قال انا لله وانا اليه راجعون

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الجنائز) والصلاة عليها واتباعها ودفنها وما كان يدعو به للميت فى صلاة الجنازة وبعد الدفن وتوابع ذلك كان هديه صلى الله عليه وسلم فى الجنائز أكمل الهدى مخالفا الهدى سائر الامم مشتملا على الاحسان للميت ومعاملته بما ينفعه فى قبره ويوم معاده وعلى الاحسان الى أهله وأقاربه وعلى اقامة عبودية الحى فيما يعامل به الميت وكان من هديه فى الجنائز اقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الاحوال والاحسان الى الميت وتجهيزه الى الله على أحسن أحواله وأفضلها ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفا يحمدون الله ويستغفرون له

* ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة * اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وانما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس قال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة (قال ابن هشام) ويقال لغدق وما أنتم بقائلين من هذا شيأ الا عرف أنه باطل وان أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا أى خصيما (قال ابن هشام) عنيد معاند مخالف قال رؤبة بن العجاج * ونحن ضرابون رأس العند * وهذا البيت فى أرجوزة له سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ويسألونه

ثم نظر ثم عبس وبسر (قال ابن هشام) بسر كره وجهه قال العجاج * (١) مضبر اللحيين بسرا منهسا * يصف كراهية وجهه وهذا البيت في أرجوزة له ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * قال ابن اسحق وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين أي أصنافا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون (قال ابن هشام) واحدة العضين عضة يقول عضوه فرقوه قال رؤبة بن العجاج وليس دين الله بالمعضى * وهذا البيت في أرجوزة له * قال ابن اسحق فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها فلما خشي أبو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشئ أبدا حتى يهلك دونه فقال أبو طالب

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم
وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة
يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة
وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي واخوتي
وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه
لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم * بمفضى السيول من اساف ونائل موسمة الأعضاد أو قصراتها * مخيسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أوملح بباطل

(١) مضبر بضاد معجمة موثق

ويسألونه المغفرة والرحمة والتجاوز عنه ثم المشي بين يديه الى ان يودعه حفرته ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان اليه ثم يتعاهده بالزيارة الى قبره والسلام عليه والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا فاول ذلك تعاهده في مرضه وتذكيره الآخرة وأمره بالوصية والتوبة وأمر من حضره بتلقينه شهادة أن لا اله الا الله لتكون آخر كلامه ثم النهي عن عادة الامم التي لا تؤمن بالبعث والنشور من لطم الخدود وشق الثياب وحلق الرؤس ورفع الصوت بالندب والنياحة وتوابع ذلك وسن الخشوع للميت والبكاء الذي لا صوت معه وحزن القلب وكان يفعل ذلك ويقول تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وسن لامته الحمد والاسترجاع والرضى عن الله ولم يكن ذلك منافيا لدمع العين وحزن القلب ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه وأعظمهم له حمدا وبكى مع ذلك يوم مات ابراهيم رأفة منه ورحمة للولد ورقة عليه والقلب ممتلئ بالرضى عن الله عز وجل وشكره واللسان مشتغل بذكره وحمده ولما ضاق هذا المشهد والجمع بين الامرين على بعض العارفين يوم مات ولده جعل يضحك فقيل له أتضحك في هذه الحالة قال ان الله تعالى قضى بقضاء فاحببت ان أرضى بقضائه فاشكل هذا على جماعة من أهل العلم فقالوا كيف يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه ابراهيم وهو أرضى الخلق عن الله ويبلغ الرضى بهذا العارف الى أن يضحك فسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هدي نبينا صلى الله عليه وسلم كان أكمل من هدي هذا العارف فانه أعطى العبودية حقها فاتسع قلبه للرضى عن الله ورحمة الولد والرقة عليه فحمد الله ورضي عنه في قضائه وبكى رحمة ورأفة فحملته الرأفة على البكاء وعبوديته لله ومحبته لله على الرضى والحمد وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الامرين ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) الاسراع بتجهيز الميت الى الله وتطهيره وتنظيفه وتطييبه وتكفينه في الثياب البيض ثم يؤتى به اليه فيصلي عليه بعد ان كان يدعى الى الميت عند احتضاره فيقيم عنده حتى يقضي ثم يحضر تجهيزه ثم يصلي عليه ويشيعه الى قبره ثم رأى الصحابة ان ذلك يشق عليه فكانوا اذا قضى الميت دعوه فحضر تجهيزه وغسله وتكفينه ثم رأوا ان ذلك يشق عليه فكانوا هم يجهزون ميتهم ويحملونه اليه صلى الله عليه وسلم على سريره فيصلي عليه خارج المسجد ولم يكن من هديه الراتب الصلاة عليه في المسجد وانما كان يصلي على الجنازة خارج المسجد وربما كان يصلي احيانا على الميت في المسجد كما صلى على سهيل بن بيضاء وأخيه في المسجد ولكن لم يكن ذلك سنته وعادته وقد روى أبو داود في سننه من حديث صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على جنازة في المسجد فلا شئ له وقد اختلف في لفظ الحديث فقال الخطيب في روايته لكتاب السنن في الاصل فلا شئ عليه وغيره يرويه فلا شئ له وقد رواه ابن ماجه في سننه ولفظه فليس له شئ لكن قد ضعف الامام أحمد وغيره هذا الحديث قال الامام أحمد هو مما انفرد به صالح مولى التوأمة وقال البيهقي هذا حديث ثقة في افراد صالح وحديث عائشة أصح منه وصالح مختلف في عدالته كان مالك يجرحه ثم ذكر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما انه صلى عليهما في المسجد (قلت) وصالح ثقة في نفسه كما قال عباس عن ابن معين هو ثقة في نفسه وقال ابن أبي مريم ويحيى ثقة حجة فقلت له ان مالكا تركه فقال ان مالكا أدركه بعد ان خرف والثوري انما

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق فى الدين بالم يحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر المسود اذ يمسحونه * اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
وموطئ ابراهيم فى الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل
واشواط بين المروتين الى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل

أدركه بعد ان خرف فسمع منه لكن ابن أبي ذؤيب سمع منه قبل أن يخرف وقال علي بن المديني هو ثقة الا انه خرف وكبر فسمع منه الثوري بعد ان خرف وسماع ابن أبي ذؤيب منه قبل ذلك وقال ابن حبان تغير في سنة خمس وعشرين ومائة وجعل يأتي بما يشبه الموضوعات عن الثقات فاختلط حديثه الاخير بحديثه القديم ولم يتميز فاستحق الترك انتهى كلامه وهذا الحديث حسن فانه من رواية ابن أبي ذؤيب عنه وسماعه منه قديم قبل اختلاطه فلا يكون اختلاطه موجبا لرد ما حدث به قبل الاختلاط وقد سلك الطحاوي في حديث أبي هريرة هذا وحديث عائشة مسلكا آخر فقال صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء في المسجد منسوخة وترك ذلك آخر الفعلين من رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل انكار عامة الصحابة ذلك على عائشة وما كانوا ليفعلوه الا لما علموا خلاف ما نقلت ورد ذلك على الطحاوي جماعة منهم البيهقي وغيره قال البيهقي ولو كان عند أبي هريرة نسخ ما روته عائشة لذكره يوم صلى على أبي بكر الصديق في المسجد ويوم صلى على عمر بن الخطاب في المسجد ولذكره من أنكر على عائشة أمرها بادخاله المسجد وذكره أبو هريرة حين روت فيه الخبر وانما أنكره من لم يكن له معرفة بالجواز فلما روت فيه الخبر سكتوا ولم ينكروه ولا عارضوه بغيره قال الخطابي وقد ثبت أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما صلي عليهما في المسجد ومعلوم ان عامة المهاجرين والانصار شهدوا الصلاة عليهما وفي تركهم الانكار الدليل على جوازه قال ويحتمل أن يكون معنى حديث أبي هريرة ان ثبت متأولا على نقصان الاجر وذلك أن من صلى عليها في المسجد فالغالب انه ينصرف الى أهله ولا يشهد دفنه وان من سعى الى الجنازة فصلى عليها بحضرة المقابر شهد دفنه واحرز أجر القيراطين وقد يؤجر أيضا على كثرة خطاه وصار الذي يصلي عليه في المسجد منقوص الاجر بالاضافة الى من يصلي عليه خارج المسجد وتأولت طائفة معنى قوله فلا شيء له أي فلا شيء عليه ليتحد معنى اللفظين ولا يتناقضان كما قال تعالى وان أسأتم فلها أي فعليها فهذه طرق الناس في هذين الحديثين * والصواب ما ذكرناه أولا وان سنته وهديه الصلاة على الجنازة خارج المسجد الا لعذر وكلا الامرين جائز والافضل الصلاة عليها خارج المسجد والله أعلم

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) تسجية الميت اذا مات وتغميض عينيه وتغطية وجهه وبدنه وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى وكذلك الصديق أكب عليه ليقبله بعد موته صلى الله عليه وسلم وكان يأمر بغسل الميت ثلاثا أو خمسا أو أكثر بحسب ما يراه الغاسل ويأمر بالكافور في الغسلة الاخيرة وكان لا يغسل الشهيد قتيل المعركة وذكر الامام أحمد انه نهى عن تغسيلهم وكان ينزع عنهم الجلود والحديد ويدفنهم في ثيابهم ولم يصل عليهم وكان اذا مات المحرم أمر أن يغسل بماء وسدر ويكفن في ثوبيه وهما ثوبا احرامه ازاره ورداؤه وينهى عن تطييبه وتغطية رأسه وكان يأمر من ولي الميت أن يحسن كفنه ويكفنه في البياض وينهى عن المغالاة في الكفن وكان اذا قصر الكفن عن ستر جميع البدن غطى رأسه وجعل على رجليه من العشب

(فصل) وكان اذا قدم اليه ميت يصلي عليه سأل هل عليه دين أم لا فان لم يكن عليه دين صلى عليه وان كان عليه دين لم يصل عليه وأذن لاصحابه أن يصلوا عليه فان صلاته شفاعة وشفاعته موجبة والعبد مرتهن بدينه ولا يدخل الجنة حتى يقضى عنه فلما فتح الله عليه كان يصلي على المدين ويتحمل

ومن حج بيت الله من كل راكب
ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له
(١) الال الى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية
يقيمون بالايدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى
وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع اذا ما المقربات أجزنه
سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها
يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة اذ هم بالحصاب عشية
تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له
وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الرماح وسرحه
وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ
وهل من معيذ يتقي الله عاذل
يطاع بنا أمر العدا ود أننا
يسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة
ونظعن الا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد اليكم
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى ترى ذا الضغن (٢) يركب ردعه
من الطعن فعل الانكب المتحامل
وانا لعمر الله ان جد ما أرى
لتلتبسا أسيافنا بالاماثل
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

دينه

(١) قوله الال قال في القاموس وكسحاب وكتاب جبل بعرفات أو جبل رمل عن يمين الامام بعرفة اهـ (٢) يقال ركب ردعه اذا خر صريعا لوجهه والانكب الذي يمشي على شق

دينـه ويدع ماله لورثته فاذا أخذ في الصلاة عليه كبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى ابن عباس على جنازة فقرأ بعد التكبيرة الاولى بفاتحة الكتاب جهرا وقال لتعلموا انها سنة وكذلك قال أبو أمامة ابن سهل ان قراءة الفاتحة في الاولى سنة ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر أن يقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب ولا يصح اسناده قال شيخنا لا يجب قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة بل هي سنة وذكر أبو أمامة بن سهل عن جماعة من الصحابة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة على الجنازة وروى يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة انه سأل عبادة بن الصامت عن الصلاة على الجنازة فقال أنا والله أخبرك تبدأ فتكبر ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتقول اللهم ان عبدك فلانا كان لا يشرك بك وأنت أعلم به ان كان محسنا فزد في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده

(فصل ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت) وكذلك حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فحفظ من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار وحفظ من دعائه اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام والسنة ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده وحفظ من دعائه اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر ومن عذاب النار فانت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم وحفظ من دعائه أيضا اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للاسلام وأنت قبضت روحها تعلم سرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باخلاص الدعاء للميت وكان يكبر أربع تكبيرات وصح عنه انه كبر خمسا وكان الصحابة بعده يكبرون أربعا وخمسا وستا فكبر زيد بن أرقم خمسا وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كبرها ذكره مسلم وكبر الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سهل بن حنيف ستا وكان يكبر على أهل بدر ستا وعلى غيرهم من الصحابة خمسا وعلى سائر الناس أربعا ذكره الدارقطني وذكر سعيد ابن منصور عن الحكم عن ابن عيينة انه قال كانوا يكبرون على أهل بدر خمسا وستا وسبعا وهذه آثار صحيحة فلا موجب للمنع منها والنبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع مما زاد على الاربع بل فعله هو وأصحابه من بعده والذين منعوا من الزيادة على الاربع منهم من احتج بحديث ابن عباس ان آخر جنازة صلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم كبر أربعا قالوا وهذا آخر الامرين وانما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعله صلى الله عليه وسلم هذا وهذا الحديث قد قال الخلال في العلل أخبرني حارث قال سئل الامام أحمد عن حديث أبي المليح عن ميمون عن ابن عباس فذكر الحديث فقال أحمد هذا كذب ليس له أصل انما رواه محمد بن زياد الطحان وكان يضع الحديث واحتجوا بان ميمون بن مهران روى عن ابن عباس ان الملائكة لما صلت على آدم عليه الصلاة والسلام كبرت عليه أربعا وقالوا تلك سنتكم يا بني آدم وهذا الحديث قد قال فيه الاثرم جرى ذكر محمد بن معاوية النيسابوري الذي كان بمكة فسمعت أبا عبد الله قال رأيت أحاديثه موضوعة فذكر منها عن أبي المليح عن ميمون بن مهران عن ابن عباس

شهورا وأياما وحولا محرما * علينا وتأتي حجة بعد قابل
وما ترك قوم لا أبا لك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره * الى بغضنا وجزآنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سبيع ونوفل * وكل تولى معرضا لم يجامل
فان يلفيا أو يمكن الله منهما * نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا * ليظعننا في أهل شاء وجامل
يناجى بنا في كل ممسى ومصبح * فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويؤلي لنا بالله ما ان يغشنا * بلى قد نراه جهرة غير خائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة * من الارض بين أخشب فمجادل
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه * ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذي دغاول
ومر أبو سفيان عني معرضا * كما مر قيل من عظام المقاول
يفر الى نجد وبرد مياهه * ويزعم أني لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفي عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة * ولا معظم عند الامور الجلائل
ولا يوم خصم اذ أتوك ألدة * أولي جدل من الخصوم المساجل
أمطعم ان القوم ساموك خطة * واني متى أوكل فلست بوائل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الاوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا * علينا العدا من كل (١) طمل وخامل
فعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل
لعمري لقد وهنتم وعجزتم * وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم * ألان حطاب أقدر ومراجل
(٢) ليهن بني عبد مناف عقوقنا * وخذلاننا وتركنا في المعاقل

فان نك قوما نتئر ما صنعتم * وتحتلبوها لقحة غير باهل

وسائط كانت في لؤي بن غالب * نفاهم الينا كل صقر حلاحل
ورهط نفيل شر من وطئ الحصى * وألأم حاف من معد وناعل
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة * اذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * لكنا أسى عند النساء المطافل
فكل صديق وابن أخت نعده * لعمري وجدنا غبه غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * براء الينا من معقة خاذل
وهنا لهم حتى تبدد جمعهم * ويحسر عنا كل باغ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم * ونحن الكدى من غالب والكواهل
شباب من المطيبين وهاشم * كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما * ولا حالفوا الا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم * ضواري أسود فوق لحم خرادل
بني أمة محبوبة (٣) هندكية * بني جمح عبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لسادة * بهم نعي الاقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمي * الى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد * واخوته داب المحب المواصل

ان الملائكة لما صلت على آدم فكبرت عليه أربعا واستعظمه أبو عبد الله وقال أبو المليح كان أصح حديثا وأتقى لله من أن يروى مثل هذا واحتجوا بما رواه البيهقي من حديث يحيى عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لما صلت على آدم فكبرت عليه أربعا وقالت هذه سنتكم يا بني آدم وهذا لا يصح وقد روى مرفوعا وموقوفا وكان أصحاب معاذ يكبرون خمسا قال علقمة قلت لعبد الله ان ناسا من أصحاب معاذ قدموا من الشام فكبروا على ميت لهم خمسا فقال عبد الله ليس على الميت في التكبير وقت كبر ما كبر الامام فاذا انصرف الامام فانصرف

(فصل وأما هديه صلى الله عليه وسلم) في التسليم من صلاة الجنازة فروى انه كان يسلم واحدة وروى عنه انه كان يسلم تسليمتين فروى البيهقي وغيره من حديث المقبري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فكبر أربعا وسلم تسليمة واحدة لكن قال الامام أحمد في رواية الاثرم وهذا الحديث عندي موضوع ذكره الخلال في العلل وقال ابراهيم الهجري حدثنا عبد الله ابن أبي أوفى انه صلى على جنازة ابنته فكبر أربعا فمكث ساعة حتى ظننا انه يكبر خمسا ثم سلم عن يمينه وعن شماله فلما انصرف قلنا له ما هذا فقال انى لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع أو هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود ثلاث خلال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلهن تركهن الناس احداهن التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة ذكرهما البيهقي ولكن ابراهيم بن مسلم الهجري ضعفه ابن معين والنسائي وأبو حاتم وحديثه هذا قد رواه الشافعي في كتاب حرملة عن سفيان عنه وقال كبر عليها أربعا ثم قام ساعة فسبح به القوم فسلم ثم قال كنتم ترون انى أزيد على أربع وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر أربعا ولم يقل عن يمينه وشماله ورواه ابن ماجه من حديث المحاربي عنه كذلك ولم يقل عن يمينه وشماله وذكر السلام عن يمينه وعن شماله انفرد بها شريك عنه قال البيهقي ثم عزاه للنبي صلى الله عليه وسلم في التكبير فقط أو في التكبير وغيره (قلت) والمعروف عن ابن أبي أوفى خلاف ذلك انه كان يسلم واحدة ذكره الامام أحمد عنه وأحمد بن القاسم قيل لابي عبد الله أتعرف عن أحد من الصحابة انه كان يسلم على الجنازة تسليمتين قال لا ولكن عن ستة من الصحابة انهم كانوا يسلمون تسليمة واحدة خفيفة عن يمينه فذكر ابن عمر وابن عباس وأبا هريرة وواثلة بن الاسقع وابن أبي أوفى وزيد بن ثابت وزاد البيهقي علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبا أمامة بن سهل بن حنيف فهؤلاء عشرة من الصحابة وأبو أمامة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسماه باسم جده لامه أبي أمامة أسعد بن زرارة وهو معدود في الصحابة ومن كبار التابعين * وأما رفع اليدين فقال الشافعي ترفع للاثر والقياس على السنة في الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في كل تكبيرة كبرها في الصلاة وهو قائم قلت يريد بالاثر ما رواه عن ابن عمر وأنس بن مالك انهما كانا يرفعان أيديهما كلما كبرا على الجنازة ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرفع يديه في أول التكبير ويضع اليمنى على اليسرى ذكره البيهقي في السنن وفي الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على يده اليسرى في صلاة الجنازة وهو ضعيف بيزيد بن سنان الرهاوي

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) اذا فاته الصلاة على الجنازة صلى على القبر فصلى مرة على قبر بعد ليلة ومرة بعد ثلاث ومرة بعد شهر ولم يوقت في ذلك وقتا قال أحمد رحمه الله من يشك

(١) الطمل الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع والشيم والاحمق واللص الفاسق قاموس — في
(٢) قوله ليهن الخ دخله الكف وهو حذف السابع من مفاعيلن وهو قبيح عند الخليل (٣) قال في القاموس رجل هندكي بكسر الهاء والدال من أهل الهند وليس من لفظه لان الكاف ليست من حروف الزيادة اه

فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن والى ورب المشاكل
فمن مثله في الناس أي مؤمل * إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي إلها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة * تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد في أرومة
تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر دينا حقه غير باطل
رجال كرام غير ميل نماهم
إلى الخير آباء كرام المحاصل
فإن تك كعب من لؤي صقيبة
فلا بد يوما مرة من تزايل

(قال ابن هشام) هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها (قال ابن هشام) وحدثني من أثق به قال أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حوالها كالإكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال أجل (قال ابن هشام) وقوله وشبرقه عن غير ابن إسحق * قال ابن إسحق والغياطل من بني سهم ابن عمرو بن هصيص * وأبو سفيان ابن حرب بن أمية * ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف * وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب * قال ابن إسحق وأسيد وبكره عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي * وعثمان بن عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله التيمي * وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة * وأبو الوليد عتبة بن ربيعة * وأبي الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني

في الصلاة على القبر ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا فاتته الجنازة صلى على القبر من ستة أوجه كلها حسان فحد الامام أحمد الصلاة على القبر بشهر إذ هو أكثر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى بعده وحده الشافعي رحمه الله بما إذا لم يبل الميت ومنع منها مالك رحمه الله وأبو حنيفة رحمه الله إلا للولي إذا كان غائبا وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم عند رأس الرجل ووسط المرأة

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) الصلاة على الطفل فصح عنه أنه قال الطفل يصلى عليه وفي سنن ابن ماجه مرفوعا صلوا على أطفالكم فإنهم من أفراطكم قال أحمد بن أبي عبيدة سألت أحمد متى تجب أن يصلى على السقط قال إذا أتى عليه أربعة أشهر لأنه ينفخ فيه الروح قلت فحديث المغيرة ابن شعبة الطفل يصلى عليه قال صحيح مرفوع قلت ليس في هذا بيان الأربعة الأشهر ولا غيرها قال قد قاله سعيد بن المسيب فإن قيل فهل صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم يوم مات قيل قد اختلف في ذلك فروى أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر شهرا فلم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام أحمد حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثني أبي عن ابن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة فذكره وقال أحمد في رواية حنبل هذا حديث منكر جدا ووهى ابن إسحق وقال الخلال وقرئ على عبد الله حدثني أبي حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل قال حدثنا جابر عن عامر عن البراء بن عازب قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم وهو ابن ستة عشر شهرا وذكر أبو داود عن البهي قال لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقاعد وهو مرسل والبهي اسمه عبد الله بن يسار كوفي وذكر عن عطاء بن أبي رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ابنه إبراهيم وهو ابن سبعين ليلة وهذا مرسل وهم فيه عطاء فإنه قد كان تجاوز السن فاختلف الناس في هذه الآثار فمنهم من أثبت الصلاة عليه ومنع صحة حديث عائشة كما قال الامام أحمد وغيره قالوا وهذه المراسيل مع حديث البراء يشد بعضها بعضا ومنهم من ضعف حديث البراء بجابر الجعفي وضعف هذه المراسيل وقال حديث ابن إسحق أصح منها ثم اختلف هؤلاء في السبب الذي لأجله لم يصل عليه فقالت طائفة استغنى ببنوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة التي هي شفاعة كما استغنى الشهيد بشهادته عن الصلاة عليه وقالت طائفة أخرى إنه مات يوم كسفت الشمس فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه وقالت طائفة لا تعارض بين هذه الآثار فإنه أمر بالصلاة عليه فقيل صلى عليه ولم يباشرها بنفسه لاشتغاله بصلاة الكسوف وقيل لم يصل عليه وقالت فرقة رواية المثبت أولى لأن معه زيادة علم وإذا تعارض النفي والإثبات قدم الإثبات

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلي على من قتل نفسه ولا على من غل في الغنيمة) واختلف عنه في الصلاة على المقتول حدا كالزاني المرجوم فصح عنه أنه صلى الله عليه وسلم صلى على الجهنية التي رجمها فقال عمر تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت فقال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أنها جادت بنفسها لله ذكره مسلم وذكر البخاري في صحيحه قصة ماعز بن مالك وقال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وصلى عليه وقد

اختلف على الزهرى فى ذكر الصلاة عليه فاثبتها محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عنه وخالفه ثمانية من أصحاب عبد الرزاق فلم يذكروها وهم اسحق بن راهويه ومحمد بن يحيى الذهلى ونوح بن حبيب والحسن بن على ومحمد بن المتوكل وحميد بن زنجويه وأحمد بن منصور الرمادى قال البيهقى وقول محمود بن غيلان انه صلى عليه خطأ لاجماع أصحاب عبد الرزاق على خلافه ثم اجماع أصحاب الزهرى على خلافه وقد اختلف فى قصة ماعز بن مالك فقال أبو سعيد الخدرى ما استغفر له ولا سبه وقال بريدة بن الحصيب انه قال استغفروا لماعز بن مالك فقالوا غفر الله لماعز بن مالك ذكرهما مسلم وقال جابر فصلى عليه وذكره البخارى وهو حديث عبد الرزاق المعلل وقال أبو برزة الاسلمى لم يصل عليه النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينه عن الصلاة عليه ذكره أبو داود قلت حديث الغامدية لم يختلف فيه انه صلى عليها وحديث ماعز اما ان يقال لا تعارض بين ألفاظه فان الصلاة فيه هى دعاؤه له ان يغفر الله له وترك الصلاة فيه هى تركه الصلاة على جنازته تاديبا وتحذيرا واما أن يقال اذا تعارضت ألفاظه عدل عنه الى حديث الغامدية

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على ميت تبعه الى المقابر ماشيا أمامه) وهذه كانت سنة خلفائه الراشدين من بعده وسن لمن تبعها ان كان راكبا ان يكون وراءها وان كان ماشيا ان يكون قريبا منها اما خلفها أو امامها أو عن يمينها أو عن شمالها وكان يأمر بالاسراع بها حتى ان كانوا ليرملون بها رملا واما دبيب الناس اليوم خطوة خطوة فبدعة مكروهة مخالفة للسنة ومتضمنة للتشبه بأهل الكتاب اليهود وكان أبو بكرة يرفع السوط على من يفعل ذلك ويقول لقد رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نرمل رملا قال ابن مسعود رضى الله عنه سألنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن المشى مع الجنازة فقال مادون الخبب رواه أهل السنن وكان يمشى اذا تبع الجنازة ويقول لم أكن لاركب والملائكة يمشون فاذا انصرف عنها فربما مشى وربما ركب وكان اذا تبعها لم يجلس حتى توضع وقال اذا تبعتم الجنازة فلا تجلسوا حتى توضع قال شيخ الاسلام ابن تيمية والمراد وضعها على الارض (قلت) قال أبو داود روى هذا الحديث الثورى عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال وفيه حتى توضع على الارض ورواه أبو معاوية عن سهيل وقال حتى توضع فى اللحد قال وسفيان أحفظ من معاوية وقد روى أبو داود عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم فى الجنازة حتى توضع فى اللحد لكن فى اسناده بشر بن رافع قال الترمذى ليس بالقوى فى الحديث وقال البخارى لا يتابع فى حديثه وقال أحمد ضعيف وقال ابن معين حدث بمناكير وقال النسائى ليس بالقوى وقال ابن حبان يروى أشياء موضوعة كأنه المتعمد لها

(فصل ولم يكن من هديه وسنته الصلاة على كل ميت غائب) فقد مات خلق كثير من المسلمين وهم غيب فلم يصل عليهم وصح عنه انه صلى على النجاشى صلاته على الميت فاختلف فى ذلك على ثلاثة طرق أحدها ان هذا تشريع منه وسنة للامة الصلاة على كل غائب وهذا قول الشافعى وأحمد رحمهما الله فى احدى الروايتين عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله ومالك رحمه الله هذا خاص به وليس ذلك لغيره قال أصحابهما ومن الجائز ان يكون رفع له سريره فصلى عليه وهو يرى صلاته على الحاضر المشاهد وان كان على مسافة من البعد والصحابة وان لم يروه فهم تابعون للنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قالوا ويدل على هذا انه لم ينقل عنه انه كان يصلى على كل الغائبين غيره وتركه سنة كما ان

زهرة بن كلاب (قال ابن هشام) وانما سمى الاخنس لانه خنس بالقوم يوم بدر وانما اسمه أبى وهو من بنى علاج وهو علاج بن أبى سلمة بن عوف بن عقدة * والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب * وسبيع بن خالد أخو بلحرث بن فهر * ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش وهو الذى قرن بين أبى بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما فى حبل حين أسلما فبذلك كانا يسميان القرينين قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر * وأبو عمرو قرظة بن عبد عمرو ابن نوفل بن عبد مناف وقوم علينا أظنة بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فهؤلاء الذين عدد أبو طالب فى شعره من العرب (فلما انتشر) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار يهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بنى واقف (قال ابن هشام) نسب ابن اسحق أبا قيس هذا ههنا الى بنى واقف ونسبه فى حديث الفيل الى خطمة لان العرب قد تنسب الرجل الى أخى جده الذى هو أشهر منه (قال ابن هشام) حدثنى أبو عبيدة ان الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نعيلة أخى غفار وهو غفار بن مليل ونعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى وهو من ولد مازن بن منصور وسليم ابن منصور (قال ابن هشام) فأبو قيس بن الاسلت من بنى وائل ووائل وواقف وخطمة اخوة من الاوس * قال ابن اسحق فقال أبو قيس بن الاسلت وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وكان يقيم عندهم السنين بامرأته قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرهم

فعله

فعله سنة ولا سبيل الى أحد بعده الى أن يعاين سرير الميت من المسافة البعيدة و يرفع له حتى يصلى عليه فعلم ان ذلك مخصوص به وقد روى عنه انه صلى على معاوية بن معاوية الليثى وهو غائب ولكن لا يصح فان فى اسناده العلاء بن زياد و يقال زيدل قال على بن المدينى كان يضع الحديث ور واه محمود ابن هلال عن عطاء بن ميمون عن أنس قال البخارى لا يتابع عليه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية الصواب ان الغائب ان مات ببلد لم يصل عليه فيه صلى عليه صلاة الغائب كما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى لانه مات بين الكفار ولم يصل عليه وان صلى عليه حيث مات لم يصل عليه صلاة الغائب لان الفرض قد سقط بصلاة المسلمين عليه والنبى صلى الله عليه وسلم صلى على الغائب وتركه وفعله وتركه سنة وهذا له موضع وهذا له موضع والله أعلم والاقوال ثلاثة فى مذهب أحمد وأصحها هذا التفصيل والمشهور عند أصحابه الصلاة عليه مطلقا

(فصل وصح عنه صلى الله عليه وسلم) أنه قام للجنازة لما مرت به وأمر بالقيام لها وصح عنه انه قعد فاختلف فى ذلك فقيل القيام منسوخ والقعود آخر الامرين وقيل بل الامران جائزان وفعله بيان للاستحباب وتركه بيان للجواز وهذا أولى من ادعاء النسخ

(فصل) وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا يدفن الميت عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا حين يقوم قائم الظهيرة وكان من هديه اللحد وتعميق القبر وتوسيعه من عند رأس الميت و رجليه و يذكر عنه انه كان اذا وضع الميت فى القبر قال بسم الله و بالله وعلى ملة رسول الله وفى رواية بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله و يذكر عنه أيضا انه كان يحثو التراب على قبر الميت اذا دفن من قبل رأسه ثلاثا وكان اذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه وسأل له التثبيت وأمرهم أن يسألوا له التثبيت ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم وأما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يافلان فانه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يستوى قاعدا ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون ثم يقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا وبمحمد نبيا و بالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه و يقول انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف أمه قال فينسبه الى حواء يافلان ابن حواء فهذا حديث لا يصح رفعه ولكن قال الاثرم قلت لابى عبد الله فهذا الذى يصنعونه اذا دفن الميت يقف الرجل و يقول يافلان ابن فلانة اذكر ما فارقت عليه شهادة أن لا اله الا الله فقال ما رأيت أحدا فعل هذا الا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء انسان فقال ذلك وكان أبو المغيرة يروى فيه عن أبى بكر بن أبى مريم عن أشياخهم انهم كانوا يفعلونه وكان ابن عياش يروى فيه * قلت يريد حديث اسمعيل بن عياش هذا الذى رواه الطبرانى عن أبى أمامة وقد ذكر سعيد بن منصور فى سننه عن راشد بن سعد وضمرة بن جندب وحكيم بن عمير قالوا اذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون ان يقال للميت عند قبره يافلان قل لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله ثلاث مرات يافلان قل ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد ثم ينصرف

بلاء الله عنده * ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم فقال
يا راكبا اما عرضت فبلغا * مغلغلة عنى لؤى بن غالب
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم * على النأى محزون بذلك ناصب
وقد كان عندى للهموم معرس * فلم أقض منها حاجتى ومآربى
نبيتكم شرجين كل قبيلة * لها أزمل من بين مذك وحاطب
أعيذكم بالله من شر صنعكم * وشر تباغيكم ودس العقارب
واظهار اخلاق ونجوى سقيمة * كوخز الاشافى وقعها حق صائب
فذكرهم بالله أول وهلة * واحلال احرام الظباء الشوازب
وقل لهم والله يحكم حكمه * ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هى الغول للاقصين أو للاقارب
تقطع أرحاما وتهلك أمة * وتبرى (١) السديف من سنام وغارب
وتستبدلوا بالاتحمية بعدها * شليلا وأصداء ثياب المحارب
و بالمسك والكافور غبرا سوابغا * كأن قتيريها عيون الجنادب
فاياكم والحرب لا تعلقنكم * وحوضا وخيم الماء مر المشارب
تزين للاقوام ثم يرونها * بعاقبة اذ بينت أم صاحب
تحرق لا تشوى ضعيفا وتنتحى * ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسود * طويل العماد ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمد أمره * وذى شيمة محض كريم المضارب
وماء هريق فى الضلال كأنما * أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم * بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا * حسابكم والله خير محاسب
ولى امرئ فاختار دينا فلا يكن * عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم * لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمون والاحلام غير عوازب
وأنتم اذا ما حصل الناس جوهر * لكم سرة البطحاء شم الارانب
تصونون أجسادا كراما عتيقة

(١) السديف هو شحم السنام

(فصل ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم) تعلية القبور ولا بناؤها بآجر ولا بحجر ولبن ولا تشييدها ولا تطيينها ولا بناء القباب عليها فكل هذا بدعة مكروهة مخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم وقد بعث على بن أبي طالب رضى الله عنه ان لا يدع تمثالا الا طمسه ولا قبرا مشرفا الا سواه فسنته صلى الله عليه وسلم تسوية هذه القبور المشرفة كلها ونهى أن يجصص القبر وان يبنى عليه وان يكتب عليه وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة وهكذا كان قبره الكريم وقبر صاحبيه وقبره صلى الله عليه وسلم مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبنى ولا مطين وهكذا كان قبر صاحبيه وكان يعلم قبر من يريد تعرف قبره بصخرة

(فصل ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واشتد نهيه في ذلك حتى لعن فاعله ونهى عن الصلاة الى القبور ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا ولعن زوارات القبور وكان هديه أن لا تهان القبور وتوطأ ويجلس عليها ويتكأ عليها ولا تعظم بحيث تتخذ مساجد فيصلى عندها واليها وتتخذ أعيادا وأوثانا

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في زيارة القبور كان اذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم وهذه هي الزيارة التي سنها لامته وشرعها لهم وأمرهم أن يقولوا اذا زاروها السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة عليه من الدعاء والترحم والاستغفار فأبى المشركون الا دعاء الميت والاشراك به والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه اليه بعكس هديه صلى الله عليه وسلم فانه هدى توحيد واحسان الى الميت وهدى هؤلاء شرك واساءة الى نفوسهم والى الميت وهم ثلاثة أقسام اما أن يدعوا الميت أو يدعوا به أو عنده ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد ومن تأمل هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين له الفرق بين الامرين وبالله التوفيق

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) تعزية أهل الميت ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره وكل هذا بدعة حادثة مكروهة وكان من هديه السكون والرضا بقضاء الله والحمد لله والاسترجاع ويبرأ ممن خرق لاجل المصيبة ثيابه أو رفع صوته بالندب والنياحة أو حلق لها شعره وكان من هديه ان أهل الميت لا يتكلفون الطعام للناس بل أمر ان يصنع الناس لهم طعاما يرسلونه اليهم وهذا من أعظم مكارم الاخلاق والشيم والحمل عن أهل الميت فانهم في شغل بمصابهم عن اطعام الناس وكان من هديه ترك نعى الميت بل كان ينهى عنه ويقول هو من عمل الجاهلية وقد كره حذيفة أن يعلم به أهله الناس اذا مات وقال أخاف أن يكون من النعى

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) في صلاة الخوف أن أباح الله سبحانه وتعالى قصر أركان الصلاة وعددها اذا اجتمع الخوف والسفر وقصر العدد وحده اذا كان سفر لا خوف معه وقصر الاركان وحدها اذا كان خوف لا سفر معه وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم وبه يعلم الحكمة في تقييد القصر في الآية بالضرب في الارض والخوف وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف اذا كان العدو بينه وبين القبلة أن يصف المسلمين كلهم خلفه ويكبر ويكبرون جميعا ثم يركع فيركعون جميعا ثم يرفع ويرفعون جميعا معه ثم ينحدر بالسجود والصف الذى يليه خاصة

مهذبة الانساب غير أشائب * يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم عصائب هلكى تهتدى بعصائب * لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل (١) الجباجب * وأفضله رأيا وأعلاه سنة وأقوله للحق وسط المواكب * فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الاخاشب فعندكم منه بلاء ومصدق * غداة أبي يكسوم هادى الكتائب كتيبته بالسهل تمشى ورجله على القاذفات في رؤس المناقب فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب فولوا سراعا هاربين ولم يؤب الى أهله ملحبش غير عصائب فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسم يعاش بها قول امرئ غير كاذب (قال ابن هشام) أنشدنى بيته وماء هريق وبيته فبيعوا الحراب وقوله ولى امرئ فاختار وقوله على القاذفات في رؤس المناقب أبو زيد الانصارى وغيره (قال ابن هشام) وأما قوله ألم تعلموا ما كان في حرب داحس فحدثنى أبو عبيدة النحوى ان داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان اجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى ابن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها الغبراء فدس حذيفة قوما وأمرهم ان يضربوا وجه داحس ان رأوه قد جاء سابقا فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه وجاءت الغبراء فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ثم ان أبا الجنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * فان تطلبوا منا سوى الحق تندموا

ويقوم وهذا البيت في أبيات له (وقال الربيع بن زياد العبسى)

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

وهذا البيت

(١) قوله الجباجب المراد بها هنا اجبال مكة أو أسواقها

ويقوم الصف المؤخر يواجه العدو فاذا فرغ من الركعة الاولى ونهض الى الثانية سجد الصف المؤخر بعد قيامه سجدتين ثم قاموا فتقدموا الى مكان الصف الاول ويؤخر الصف الاول مكانهم لتحصل فضيلة الصف الاول للطائفتين وليدرك الصف الثاني مع النبي صلى الله عليه وسلم السجدتين في الركعة الثانية كما أدرك الاول معه السجدتين في الاولى فيستوي الطائفتان فيما أدركوا معه وفيما قضوا لانفسهم وذلك غاية العدل فاذا ركع صنع الطائفتان كما صنعوا أول مرة فاذا جلس للتشهد سجد الصف المؤخر سجدتين ولحقوه في التشهد فيسلم بهم جميعا وان كان العدو في غير جهة القبلة فانه كان تارة يجعلهم فرقتين فرقة بازاء العدو وفرقة تصلي معه فيصلي معه احدى الفرقتين ركعة ثم تنصرف في صلاتها الى مكان الفرقة الاخرى وتجيء الاخرى الى مكان هذه فتصلي معه الركعة الثانية ثم تسلم وتقضي كل طائفة ركعة ركعة بعد سلام الامام وتارة كان يصلي باحدى الطائفتين ركعة ثم يقوم الى الثانية وتقضي هي ركعة وهو واقف وتسلم قبل ركوعه وتاتي الطائفة الاخرى فتصلي معه الركعة الثانية فاذا جلس في التشهد قامت فقضت ركعة وهو ينتظرها في التشهد فاذا تشهدت يسلم بهم وتارة كان يصلي باحدى الطائفتين ركعتين فيسلم قبله وتاتي الطائفة الاخرى فتصلي معه الركعتين الاخيرتين ويسلم بهم فيكون له أربعا ولهم ركعتين ركعتين وتارة كان يصلي باحدى الطائفتين ركعتين ويسلم بهم وتاتي الاخرى فيصلي بهم ركعتين ويسلم فيكون قد صلى بهم بكل طائفة صلاة وتارة كان يصلي باحدى الطائفتين ركعة فتذهب ولا يقضي شيأ وتجيء الاخرى فيصلي بهم ركعة ولا تقضي شيأ فيكون له ركعتان ولهم ركعة ركعة وهذه الاوجه كلها تجوز الصلاة بها قال الامام أحمد كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز وقال ستة أوجه أو سبعة يروى فيها كلها جائزة وقال الاثرم قلت لابي عبد الله تقول بالاحاديث كلها كل حديث في موضعه أو تختار واحدا منها قال أنا أقول من ذهب اليها كلها فحسن وظاهر هذا انه جوز أن يصلي كل طائفة معه ركعة ركعة ولا تقضي شيأ وهذا مذهب ابن عباس وجابر بن عبد الله وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة والحكم واسحق بن راهويه قال صاحب المغني وعموم كلام أحمد يقتضي جواز ذلك وأصحابنا ينكرونه وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف صفات أخر ترجع كلها الى هذا وهذه أصولها وربما اختلف بعض ألفاظها وقد ذكرها بعضهم عشر صفات وذكرها أبو محمد بن حزم نحو خمس عشرة صفة والصحيح ما ذكرناه أولا وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من اختلاف الرواة والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الصدقة والزكاة) هديه في الزكاة أكمل هدى في وقتها وقدرها ونصابها ومن تجب عليه ومصرفها وراعى فيها مصلحة أرباب الاموال ومصلحة المساكين وجعلها الله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه وقيد النعمة به على الاغنياء فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته بل يحفظه عليه وينميه له ويدفع عنه بها الآفات ويجعلها سورا عليه وحصنا له وحارسا له ثم انه جعلها في أربعة أصناف من المال وهي أكثر الاموال دورا بين الخلق وحاجتهم اليها ضرورية أحدها الزرع والثمار الثانية بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم الثالث الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة الرابع أموال التجارة على اختلاف أنواعها ثم انه

في قصيدة له فوقعت الحرب بين عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حذيفة ويجزع عليه

كم فارس يدعى وليس بفارس * وعلى الهباءة فارس ذو مصدق

فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله * حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان في أبيات له (وقال قيس بن زهير)

على ان الفتى حمل بن بدر * بغى والظلم مرتعه وخيم

وهذا البيت في ابيات له (وقال الحرث بن زهير اخو قيس بن زهير)

تركت على الهباءة غير فخر * حذيفة عنده قصد العوالي

وهذا البيت في ابيات له (قال ابن هشام) ويقال أرسل قيس داحسا والغبراء وارسل حذيفة الخطار والحنفاء والاول أصح الحديثين وهو حديث طويل منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) واما قوله حرب حاطب فيعني حاطب بن الحرث بن قيس ابن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الاوس كان قتل يهوديا جارا للخزرج فخرج اليه زيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن قسحم وقسحم أمه وهي امرأة من القين بن جسر ليلا في نفر من بني الحرث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر للخزرج على الاوس وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس قتله المجذر بن ذياد البلوي واسمه عبد الله ابن ذياد البلوي (١) حلف بني عوف بن الخزرج فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه الحرث بن سويد بن صامت فوجد الحرث بن سويد غرة من المجذر فقتله بأبيه وسأذكر حديثه في موضعه ان شاء الله تعالى ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حرب داحس * قال ابن اسحق وقال حكيم بن أمية

(١) قوله حليف بني عوف في نسخة حليف بني عبد عوف

ابن حارثة بن الاوقص السلمى حليف بنى أمية وقد أسلم بورغ قومته بما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهم شريفا مطاعا هل قائل قولا من الحق قاعد * عليه وهل غضبان للرشد سامع وهل سيد ترجو العشيرة نفعه * لأقصى الموالى والاقارب جامع تبرأت الاوجه من علات الصبا * واهجركم (١٥٢) مادام مدل ونازع وأسلم وجهى للاله ومنطق * ولو راعنى من الصديق روائع

* قال ابن اسحق ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فاغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لامر الله لا يستخفى به مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم * قال ابن اسحق فحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبيناهم فى ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدهم فيه وصاة قبل ذلك (١) ليرفؤه بأحسن

(١) قوله ليرفؤه أى يسكته و يرفق به

أوجبها مرة كل عام وجعل حول الزروع والثمار عند كمالها واستوائها وهذا أعدل ما يكون اذ وجوبها كل شهر او كل جمعة يضر بأرباب الاموال و وجوبها فى العمر مرة مما يضر بالمساكين فلم يكن أعدل من وجوبها كل عام مرة ثم انه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعى أرباب الاموال فى تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته فاوجب الخمس فيما صادفه الانسان مجموعا محصلا من الاموال وهو الركاز ولم يعتبر له حولا بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به وأوجب نصفه وهو العشر فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك وذلك فى الثمار والزروع التى يباشر حرث أرضها وسقيها وبذرها ويتولى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء ولا اثارة بئر ودولاب وأوجب نصف العشر فيما تولى العبد سقيه بالكلفة والدوالى والنواضح وغيرها وأوجب نصف ذلك وهو ربع العشر فيما كان النماء فيه موقوفا على عمل متصل من رب المال بالضرب فى الارض تارة وبالادارة تارة وبالتربص تارة ولا ريب ان كلفة هذا أعظم من كلفة الزرع والثمار وأيضا فان نمو الزرع والثمار أظهر وأكثر من نمو التجارة فكان واجبها أكثر من واجب التجارة وظهور النمو فيما يسقى بالسماء والانهار أكثر مما يسقى بالدوالى والنواضح وظهوره فيما وجد محصلا مجموعا كالكنز أكثر وأظهر من الجميع ثم انه لما كان لا يحتمل المواساة كل مال وان قل جعل للمال الذى يحتمل المواساة نصبا مقدرة المواساة فيها لا تجحف بأرباب الاموال وتقع موقعها من المساكين فجعل للورق مائتى درهم وللذهب عشرين مثقالا وللحبوب والثمار خمسة أوسق وهى خمسة أحمال من أحمال ابل العرب وللغنم أربعين شاة وللبقر ثلاثين وللابل خمسا لكن لما كان نصابها لا يحتمل المواساة من جنسه أوجب فيها شاة فاذا تكررت الخمس خمس مرات وصارت خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا منها فكان هو الواجب ثم انه لما قدر سن هذا الواجب فى الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها من ابن مخاض وبنت مخاض وفوقه ابن لبون وبنت لبون وفوقه الحق والحقة وفوقه الجذع والجذعة وكلما كثرت الابل زاد السن الى ان يصل السن الى منتهاه فحينئذ جعل زيادة عدد الواجب فى مقابلة زيادة عدد المال فاقتضت حكمته ان جعل فى الاموال قدرا يحتمل المواساة ولا يجحف بها ويكفى المساكين ولا يحتاجون معه الى شئ ففرض فى أموال الاغنياء ما يكفى الفقراء فوقع الظلم من الطائفتين الغنى يمنع ما وجب عليه والآخذ يأخذ ما لا يستحقه فتولد من بين الطائفتين ضرر عظيم على المساكين وفاقة شديدة أوجبت لهم أنواع الحيل والالحاف فى المسألة والرب سبحانه تولى قسمة الصدقة بنفسه وجزأها ثمانية أجزاء يجمعها صنفان من الناس أحدهما من يأخذ بحاجته فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفى الرقاب وابن السبيل والثانى من يأخذ لمنفعته وهم العاملون والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة فى سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له فى الزكاة

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) اذا علم من الرجل انه من أهل الزكاة أعطاه وان سأله أحد من أهل الزكاة ولم يعرف حاله أعطاه بعد ان يخبره انه لا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب وكان يأخذها من أهلها ويضعها فى حقها وكان من هديه تفريق الزكاة على المستحقين الذين فى بلد المال وما فضل عنهم منها حملت اليه ففرقها هو صلى الله عليه وسلم ولذلك كان يبعث سعاته الى البوادى ولم يكن يبعثهم الى القرى بل أمر معاذا ان يأخذ الصدقة من أهل اليمن و يعطيها فقراءهم ولم يأمره بحملها

اليه ولم يكن من هديه ان يبعث سعاته الا الى أهل الاموال الظاهرة من المواشى والزروع والثمار وكان يبعث الخارص يخرص على أرباب النخيل تمر نخيلهم وينظر كم يجىء منه وسقا فيحسب عليهم من الزكاة بقدره وكان يأمر الخارص ان يدع لهم الثلث أو الربع فلا يخرصه عليهم لما يعرو النخيل من النوائب وكان هذا الخرص لكى تحصى الزكاة قبل ان تؤكل الثمار وتصرم وليتصرف فيها أربابها بما شاؤا ويضمنوا قدر الزكاة ولذلك كان يبعث الخارص الى من ساقاه من أهل خيبر وزارعه فيخرص عليهم الثمار والزروع ويضمنهم شطرها وكان يبعث اليهم عبد الله بن رواحة فاذا أرادوا ان يرشوه فقال عبد الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولانتم أبغض الى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى لكم وحبى اياه ان لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والارض ولم يكن من هديه أخذ الزكاة من الخيل والرقيق ولا البغال ولا الحمير ولا الخضراوات ولا الاباطخ والمقاثى والفواكه التى لا تكال ولا تدخر الا العنب والرطب فانه كان يأخذ الزكاة منه جملة ولم يفرق بين ما يبس وما لم ييبس

(فصل واختلف عنه صلى الله عليه وسلم) فى العسل فروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء هلال أحد بنى متعان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشور نحل له وكان سأله ان يحمى واديا يقال له سلبة فحمى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوادى فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب اليه سفيان بن وهب يسأله عن ذلك فقال عمر ان أدى اليك ما كان يؤدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشور نحله فاحم له سلبة والا فانما هو ذباب غيث يأكله من يشاء وفى رواية فى هذا الحديث من كل عشر قرب قربة وروى ابن ماجه فى سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه أخذ من العسل العشر وفى مسند الامام أحمد عن أبى سيارة المتقى قال قلت يا رسول الله ان لى نحلا قال أد العشر قلت يا رسول الله احمها لى فحماها لى وروى عبد الرزاق عن عبد الله بن محرر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن ان يؤخذ من العسل العشر قال الشافعى رحمه الله أخبرنا أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبى ذباب عن أبيه عن سعد بن أبى ذباب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم قلت يا رسول الله اجعل لقومى من أموالهم ما أسلموا عليه ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعملنى عليهم ثم استعملنى أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما قال وكان معه من أهل السواد قال فكلمت قومى فى العسل فقلت لهم فيه زكاة فانه لا خير فى ثمرة لا تزكى فقالوا كم ترى قلت العشر فاخذت منهم العشر فلقيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاخبرته بما كان قال فقبضه عمر ثم جعل ثمنه فى صدقات المسلمين ورواه الامام أحمد ولفظه للشافعى واختلف أهل العلم فى هذه الاحاديث وحكمها فقال البخارى ليس فى زكاة العسل شئ يصح قال الترمذى لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب كثير شئ وقال ابن المنذر ليس فى وجوب صدقة العسل حديث ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجماع فلا زكاة فيه وقال الشافعى الحديث فى ان فى العسل العشر ضعيف وفى انه لا يؤخذ منه العشر ضعيف الا عن عمر بن عبد العزيز قال هؤلاء وأحاديث الوجوب كلها معلولة أما حديث ابن عمر فهو من رواية صدقة بن عبد الله بن موسى بن يسار عن نافع عنه وصدقة ضعفه الامام أحمد ويحيى بن معين وغيرهما وقال البخارى هو عن نافع عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسل وقال

ثم جعدوا من القول حتى انه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذى أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه قال فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط * قال ابن اسحق وحدثنى بعض آل أم كلثوم ابنة أبى بكر انها قالت رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر (قال ابن هشام) حدثنى بعض أهل العلم ان أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش انه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس الا كذبه وآذاه لا حر ولا عبد فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه يا أيها المدثر قم فأنذر

(اسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم)

* قال ابن اسحق حدثنى رجل من أسلم كان واعية ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة فى مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد الى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى فى

النسائي صدقة ليس بشيء وهذا حديث منكر وأما حديث أبي سيارة المتقي فهو من رواية سليمان بن موسى عنه قال البخاري سليمان بن موسى لم يدرك أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما حديث عمرو بن شعيب الآخر ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ من العسل العشر ففيه أسامة بن زيد يرويه عن عمرو وهو ضعيف عندهم قال ابن معين بنو زيد ثلاثتهم ليسوا بشيء وقال الترمذي ليس في ولد زيد بن أسلم ثقة وأما حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة فما أظهر دلالته لو سلم من عبد الله بن محرر راويه عن الزهري قال البخاري في حديثه هذا عبد الله بن محرر متروك الحديث وليس في زكاة العسل شيء يصح وأما حديث الشافعي رضي الله عنه فقال البيهقي رواه الصلت بن محمد عن أنس بن عياض عن الحرث بن أبي ذباب عن منير بن عبد الله عن أبيه عن سعد وكذلك رواه صفوان بن عيسى عن الحرث بن أبي ذباب قال البخاري عبد الله والد منير عن سعد بن أبي ذباب لم يصح حديثه وقال يحيى بن المديني منير هذا لا نعرفه الا في هذا الحديث كذا قال لي قال الشافعي وسعد بن أبي ذباب يحكي ما يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمره بأخذ الصدقة من العسل وانما هو شيء رآه فتطوع له به أهله قال الشافعي واختياري أن لا يؤخذ منه لان السنن والآثار ثابتة فيما يؤخذ منه وليست ثابتة فيه فكان عفوا وقد روى يحيى بن آدم حدثنا حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال ليس في العسل زكاة قال يحيى وسئل حسن بن صالح عن العسل فلم ير فيه شيأ وذكر عن معاذ انه لم يأخذ من العسل شيأ قال الحميدي حدثنا سفيان حدثنا ابراهيم بن ميسرة عن طاوس عن معاذ بن جبل انه أتي بوقص البقر والعسل فقال معاذ كلاهما لم يأمرني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وقال الشافعي أخبرنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر قال جاءنا كتاب من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى أبي وهو بمنى ان لا يأخذ من الخيل ولا من العسل صدقة والى هذا ذهب مالك والشافعي وذهب أحمد وأبو حنيفة وجماعة الى ان في العسل زكاة وان هذه الآثار يقوي بعضها بعضا وقد تعددت مخارجها واختلفت طرقها ومرسلها يعضد بمسندها وقد سئل أبو حاتم الرازي عن عبد الله والد منير عن سعد بن أبي ذباب يصح حديثه قال نعم قالوا ولانه يتولد من نور الشجر والزهر ويكال ويدخر فوجبت فيه الزكاة كالحبوب والثمار قالوا والكلفة في أخذه دون الكلفة في الزرع والثمار ثم قال أبو حنيفة انما يجب فيه العشر اذا أخذ من أرض العشر فان أخذ من أرض الخراج لم يجب فيه شيء عنده لان أرض الخراج قد وجب على مالكها الخراج لاجل ثمارها وزرعها فلم يجب فيها حق آخر لاجلها وأرض العشر لم يجب في ذمته حق عنها فلذلك وجب الحق فيما يكون منها وسوى الامام أحمد بين الارضين في ذلك وأوجبه فيما أخذ من ملكه أو موات عشرية كانت الارض أو خراجية ثم اختلف الموجبون له هل له نصاب أم لا على قولين أحدهما انه يجب في قليله وكثيره وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله والثاني ان له نصابا معينا ثم اختلف في قدره فقال أبو يوسف هو عشرة أرطال وقال محمد هو خمسة أفراق والفرق ستة وثلاثون رطلا بالعراقي وقال أحمد نصابه عشرة أفراق ثم اختلف أصحابه في الفرق على ثلاثة أقوال أحدها انه ستون رطلا والثاني انه ستة وثلاثون رطلا والثالث ستة عشر رطلا وهو ظاهر كلام الامام أحمد

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الرجل بالزكاة دعا له فتارة يقول اللهم بارك فيه وفي ابله وتارة يقول اللهم صل عليه ولم يكن من هديه أخذ كرائم الاموال في الزكاة بل وسط المال ولهذا

قريش وأشد شكيمة فلما سرى بالموالاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى

لم يقف على أحد معدا لابي جهل اذا لقيه ان يوقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول ما يقول فرد ذلك على ان استطعت فقامت رجال بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فاني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة رضي الله عنه على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك

نهى معاذا عن ذلك

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم ينهى المتصدق ان يشترى صدقته وكان يبيح للغنى ان يأكل من الصدقة اذا أهداها اليه الفقير وأكل صلى الله عليه وسلم من لحم تصدق به على بريرة وقال هو عليها صدقة ولنا منها هدية وكان احيانا يستدين لمصالح المسلمين على الصدقة كما جهز جيشا فنفدت الابل فأمر عبد الله بن عمرو أن يأخذ من قلائص الصدقة وكان يسم ابل الصدقة بيده وكان يسمها فى آذانها وكان اذا عراه أمر استسلف الصدقة من أربابها كما استسلف من العباس رضى الله عنه صدقة عامين

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى زكاة الفطر فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلم وعلى من يمونه من صغير وكبير ذكر وأنثى حر وعبد صاعا من تمر أو صاعا من شعير او صاعا من أقط أو صاعا من زبيب وروى عنه أو صاعا من دقيق وروى عنه نصف صاع من بر والمعروف أن عمر بن الخطاب جعل نصف صاع من بر مكان الصاع من هذه الاشياء ذكره أبو داود وفى الصحيحين أن معاوية هو الذى قوم ذلك وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم آثار مرسلة ومسندة يقوى بعضها بعضا فمنها حديث ثعلبة بن عبد الله بن أبى صعير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاع من بر او قمح على كل اثنين رواه الامام أحمد وأبو داود وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث مناديا فى فجاج مكة ألا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكر وانثى حر أو عبد صغيرا وكبير مدان من قمح أو سواه صاعا من طعام قال الترمذى حديث حسن غريب وروى الدارقطنى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمرو بن حزم فى زكاة الفطر بنصف صاع من حنطة وفيه سليمان بن موسى وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم قال الحسن البصرى خطب ابن عباس فى آخر رمضان على منبر البصرة فقال أخرجوا صدقة صومكم فكأن الناس لم يعلموا فقال من ههنا من أهل المدينة قوموا الى اخوانكم فعلموهم فانهم لا يعلمون فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصدقة صاعا من تمر أو شعير أو نصف صاع قمح على كل حر او مملوك ذكر أو أنثى صغيرا وكبير فلما قدم على رضى الله عنه رأى رخص السعر قال قد وسع الله عليكم فلو جعلتموها صاعا من كل شئ رواه أبو داود وهذا لفظه والنسائى وعنده فقال على أما اذ وسع الله عليكم فأوسعوا اجعلوها صاعا من بر وغيره وكان شيخنا رحمه الله يقوى هذا المذهب ويقول هو قياس قول أحمد فى الكفارات ان الواجب فيها من البر نصف الواجب من غيره

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) اخراج هذه الصدقة قبل صلاة العيد وفى السنن عنه انه قال من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات وفى الصحيحين عن ابن عمر قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر ان تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة ومقتضى هذين الحديثين انه لا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد وانها تفوت بالفراغ من الصلاة وهذا هو الصواب فانه لا معارض لهذين الحديثين ولا ناسخ ولا اجماع يدفع القول بهما وكان شيخنا يقوى ذلك وينصره ونظيره ترتيب الاضحية على صلاة الامام لا على وقتها وان من ذبح قبل صلاة الامام لم تكن ذبيحته أضحية بل شاة لحم وهذا أيضا هو الصواب فى المسألة الاخرى وهذا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموضعين

وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال أفعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت وأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم * قال ابن اسحق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان اشراف قريش من كل قبيلة كما حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحرث أخو بنى عبد الدار وأبو البخترى بن هشام والاسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام لعنه الله وعبد الله بن أبى أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) تخصيص المساكين بهذه الصدقة ولم يكن يقسمها على الاصناف الثمانية قبضة قبضة ولا أمر بذلك ولا فعله أحد من أصحابه ولا من بعدهم بل أحد القولين عندنا انه لا يجوز اخراجها الا على المساكين خاصة وهذا القول أرجح من القول بوجوب قسمتها على الاصناف الثمانية

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في صدقة التطوع كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده وكان لا يستكثر شيأ أعطاه لله تعالى ولا يستقله ولا يسأله أحد شيأ عنده الا أعطاه قليلا كان أو كثيرا وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر وكان العطاء والصدقة أحب شئ اليه وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه وكان أجود الناس بالخير يمينه كالريح المرسلة وكان اذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه وتارة بلباسه وكان يتنوع في أصناف عطائه وصدقته فتارة بالهبة وتارة بالصدقة وتارة بالهدية وتارة بشراء الشئ ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعا كما فعل بجابر وتارة كان يقترض الشئ فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر ويشتري الشئ فيعطي أكثر من ثمنه ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها تلطفا وتنوعا في ضروب الصدقة والاحسان بكل ممكن وكانت صدقته واحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها ويدعو اليها بحاله وقوله فاذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله الى البذل والعطاء وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى وكان هديه صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاحسان والصدقة والمعروف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم أشرح الخلق صدرا وأطيبهم نفسا وأنعمهم قلبا فان للصدقة وفعل المعروف تأثيرا عجيبا في شرح الصدور وانضاف ذلك الى ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها وشرح صدره حسا واخراج حظ الشيطان منه

(فصل في أسباب شرح الصدور وحصولها على الكمال له صلى الله عليه وسلم) فأعظم أسباب شرح الصدر التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه ومنها النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الايمان فانه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب فاذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج وصار في أضيق سجن وأصعبه وقد روى الترمذي في جامعه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا وما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله فيصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور وكذلك النور الحسي والظلمة الحسية هذه تشرح الصدر وهذه تضيقه ومنها العلم فانه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع وليس هذا لكل علم بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلم النافع فأهله أشرح الناس صدرا وأوسعهم قلوبا وأحسنهم أخلاقا وأطيبهم عيشا ومنها الانابة الى الله سبحانه وتعالى ومحبته بكل القلب والاقبال عليه والتنعم بعبادته

أو من اجتمع منهم قال اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك أو كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيأ مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله وسلامه

بعبادته فلاشئ أشرح لصدر العبد من ذلك حتى انه ليقول أحيانا انى اذا كنت فى الجنة فى مثل هذه الحالة فانى اذا فى عيش طيب وللمحبة تأثير عجيب فى انشراح الصدر وطيب النفس ونعيم القلب لايعرفه الامن حس به وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح ولايضيق الاعند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشان فرؤيتهم قذى عينه ومخالطتهم حمى روحه ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الاعراض عن الله تعالى وتعلق القلب بغيره والغفلة عن ذكره ومحبة سواه فان من أحب شيأ غير الله عذب به وسجن قلبه فى محبة ذلك الغير فمافى الارض أشقى منه ولا أكسف بالاولا أنكد عيشا ولا أتعب قلبا فهما محبتان محبة هى جنة الدنيا وسرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح وغذاؤها ودواؤها بل حياتها وقرة عينها وهى محبة الله وحده بكل القلب وانجذاب قوى الميل والارادة والمحبة كلها اليه ومحبة هى عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب وضيق الصدر وهى سبب الالم والنكد والعناء وهى محبة ما سواه سبحانه ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكره على كل حال وفى كل موطن فللذكر تأثير عجيب فى انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب فى ضيقه وحبسه وعذابه ومنها الاحسان الى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الاحسان فان الكريم المحسن أشرح الناس صدرا وأطيبهم نفسا وأنعمهم قلبا والبخيل الذى ليس فيه احسان أضيق الناس صدرا وأنكدهم عيشا وأعظمهم هما وغما وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للبخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد كلما هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت حتى يجر ثيابه ويعفى أثره وكلما هم البخيل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها ولم تتسع عليه فهذا مثل انشراح صدر المؤمن المتصدق وانفساح قلبه ومثل ضيق صدر البخيل وانحصار قلبه ومنها الشجاعة فان الشجاع منشرح الصدر واسع البطان متسع القلب والجبان أضيق الناس صدرا وأحصرهم قلبا لافرحة له ولاسرور ولالذة له ولانعيم الامن جنس ما للحيوان البهيمى وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل وعلى كل معرض عن الله سبحانه غافل عن ذكره جاهل به وباسمائه تعالى وصفاته ودينه متعلق القلب بغيره وان هذا النعيم والسرور يصير فى القبر رياضا وجنة وذلك الضيق والحصر ينقلب فى القبر عذابا وسجنا فحال العبد فى القبر كحال القلب فى الصدر نعيما وعذابا وسجنا واطلاقا ولاعبرة بانشراح صدر هذا العارض ولابضيق صدر هذا العارض فان العوارض تزول بزوال أسبابها وانما المعول على الصفة التى قامت بالقلب توجب انشراحه وحبسه فهى الميزان والله المستعان ومنها بل من أعظمها اخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التى توجب ضيقه وعذابه وتحول بينه وبين حصول البرء فان الانسان اذا أتى الاسباب التى تشرح صدره ولم يخرج تلك الاوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل وغايته أن يكون له مادتان تعتوران على قلبه وهو للمادة الغالبة عليه منهما ومنها ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والاكل والنوم فان هذه الفضول تستحيل آلاما وغموما وهموما فى القلب تحصره وتحبسه وتضيقه ويتعذب بها بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها فلا اله الا الله ما أضيق صدر من ضرب فى كل آفة من هذه الآفات بسهم وما أنكد عيشه وما أسوأ حاله وما أشد حصر قلبه ولا اله الا الله ما أنعم عيش من ضرب فى كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم وكانت همته دائرة عليها حائمة حولها فلهذا نصيب وافر من قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم

عليه ما جئت بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فاذ لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل وما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا أو كما قال فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فاسقط علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل قالوا يا محمد أفما علم ربك انا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذ لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل أو كما قال له فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك معك أربعة من

الملائكة تشهدون انك انك كما تقول وايم الله ان لو فعلت ذلك ماظننت انى أصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا آسفا لما فاته لما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل لعنه الله يامعشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه احلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله أو كما قال فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لانسلمك لشئ أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته الى الشام فكان اذا صلى صلى بين الركنين الركن اليمانى والاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه رجال قريش فقالوا له مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل به ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله مارأيت مثل هامته ولا (١) قصرته ولا انيابه لفحل قط فهم بى أن يأكلنى * قال ابن اسحق فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل عليه السلام لودنا لاخذه فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى (قال ابن هشام) كذلك ويقال النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف * قال ابن اسحق فقال يامعشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد

ولذلك نصيب وافر من قوله تعالى ان الفجار لفى جحيم وبينهما مراتب متفاوتة لايحصيها الا الله تبارك وتعالى والمقصود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق فى كل صفة يحصل بها انشراح الصدر واتساع القلب وقرة العين وحياة الروح فهو أكمل الخلق فى هذا الشرح والحياة وقرة العين مع ماخص به من الشرح الحسى وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحا ولذة وقرة عين على حسب متابعته ينال العبد من انشراح صدره وقرة عينه ولذة روحه ماينال فهو فى ذروة الكمال من شرح الصدر ورفع الذكر ووضع الوزر ولاتباعه من ذلك بحسب نصيبهم من اتباعه والله المستعان وهكذا لاتباعه نصيب من حفظ الله لهم وعصمته اياهم ودفاعه عنهم واعزازه لهم ونصره لهم بحسب نصيبهم من المتابعة فمستقل ومستكثر فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى الصيام لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب مافيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ماتزكو به مما فيه حياتها الابدية ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها ويذكرها بحال الاكباد الجائعة من المساكين وتضيق مجارى الشيطان من العبد بتضييق مجارى الطعام والشراب وتحبس قوى الاعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها فى معاشها ومعادها ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر الاعمال فان الصائم لايفعل شيأ وانما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها ايثارا لمحبة الله ومرضاته وهو سر بين العبد وربه لايطلع عليه سواه والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لايطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم وللصوم تأثير عجيب فى حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التى اذا استولت عليها أفسدتها واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد اليها ما استلبته منها أيدى الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصوم جنة وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولاقدرة له عليه بالصيام وجعله وجاء هذه الشهوة والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة لهم واحسانا اليهم وحمية وجنة وكان هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أكمل الهدى وأعظم تحصيل للمقصود وأسهله على النفوس ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الامور وأصعبها تأخر فرضه الى وسط الاسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة وألفت أوامر القرآن فنقلت اليه بالتدريج وكان فرضه فى السنة الثانية من الهجرة فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات وفرض أولا على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكينا ثم نقل من ذلك التخيير الى تحتم الصوم وجعل الاطعام للشيخ الكبير والمرأة اذا لم يطيقا الصيام فانهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا وللحامل والمرضع اذا خافتا على أنفسهما

(١) القصرة أصل العنق كما فى القاموس

كذلك فان خافتا على ولديهما زادتا مع القضاء اطعام مسكين لكل يوم فان فطرهما لم يكن لخوف مرض وانما كان مع الصحة فجبر باطعام المسكين كمفطر الصحيح في أول الاسلام وكان للصوم رتب ثلاث أحدها ايجابه بوصف التخيير والثانية تحتمه لكن كان الصائم اذا نام قبل ان يطعم حرم عليه الطعام والشراب الى الليلة القابلة فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة وهي التي استقر عليها الشرع الى يوم القيامة

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) في شهر رمضان الاكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن في رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان يكثر فيه من الصدقة والاحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور حتى انه كان ليواصل فيه احيانا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة وكان ينهى أصحابه عن الوصال فيقولون له انك تواصل فيقول لست كهيأتكم اني أبيت وفي رواية اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني وقد اختلف الناس في هذا الطعام والشراب المذكورين على قولين أحدهما انه طعام وشراب حسي للفم قالوا وهذه حقيقة اللفظ ولا موجب للعدول عنها الثاني ان المراد به ما يغذيه الله به من المعارف وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الاجسام مدة من الزمان كما قيل

لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور يستضاء به * ومن حديثك في أعقابها حادي
اذا شكت من كلال السير أوعدها * روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضا عنه وألطاف محبوبه وهداياه وتحفه تصل اليه كل وقت ومحبوبه حفي به معتن بامره مكرم له غاية الاكرام مع المحبة التامة له أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء أجل منه ولا أعظم ولا أجمل ولا أكمل ولا أعظم احسانا اذا امتلأ قلب المحب بحبه وملك حبه جميع أجزاء قلبه وجوارحه وتمكن حبه منه أعظم تمكن وهذا حاله مع حبيبه أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ولو كان ذلك طعاما وشرابا للفم لما كان صائما فضلا عن كونه مواصلا وأيضا فلو كان ذلك في الليل لم يكن مواصلا ولقال لاصحابه اذا قالوا له انك تواصل لست أواصل ولم يقل لست كهيأتكم بل أقرهم على نسبة الوصال اليه وقطع الالحاق بينه وبينهم في ذلك بما بينه من الفارق كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصل في رمضان فواصل الناس فنهاهم فقيل له انت تواصل فقال اني لست مثلكم اني أطعم وأسقى وسياق البخاري لهذا الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فقالوا انك تواصل قال وأيكم مثلي لست مثلكم اني أطعم وأسقى وفي الصحيحين من حديث

قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ماهو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه في مجلسه اذا قام ثم قال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلم الي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا مني (قال ابن هشام) وهو الذي قال فيما بلغني سأنزل مثل ما أنزل الله * قال ابن اسحق وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله عز وجل اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ما ذكر فيه الاساطير من القرآن فلما قال لهم ذلك النضر ابن الحرث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها

مما كان نبؤه وسلوه عن الروح ماهي فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره مابدا لكم فاقبل النضر ابن الحرث وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أحبار يهود ان نسأله عن أشياء أمرونا بها فان أخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ماهي قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح * قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انك رسول مني أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك ولم يجعل ان له عوجا قيما أي معتدلا لا اختلاف فيه لينذر بأسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا أليما في الآخرة أي من عند ربك الذي بعثك رسولا و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا أي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما

أبي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فقال رجل من المسلمين انك يا رسول الله تواصل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيكم مثلي اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما نهاهم عن الوصال فأبوا ان ينتهوا واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا ان ينتهوا عن الوصال وفي لفظ آخر لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم اني لست مثلكم أوقال انكم لستم مثلي فاني أظل يطعمني ربي ويسقيني فأخبر انه يطعم ويسقى مع كونه مواصلا وقد فعل فعلهم منكلا لهم معجزا لهم فلو كان يأكل ويشرب لما كان ذلك تنكيلا ولا تعجيزا بل ولا وصالا وهذا بحمد الله واضح وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة للامة وأذن فيه الى السحر وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل الى السحر فان قيل فما حكم هذه المسألة وهل الوصال جائز أو محرم أو مكروه قيل اختلف الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال * أحدها انه جائز ان قدر عليه وهو مروي عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام وحجة أرباب هذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم واصل الصحابة مع نهيه لهم عن الوصال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة انه نهى عن الوصال وقال اني لست كهيئتكم فلما أبوا ان ينتهوا واصل بهم يوما ثم يوما فهذا وصاله بهم بعد نهيه عن الوصال ولو كان النهي للتحريم لما أبوا ان ينتهوا ولما أقرهم عليه بعد ذلك قالوا فلما فعلوه بعد نهيه وهو يعلم ويقرهم علم انه أراد الرحمة بهم والتخفيف عنهم وقد قالت عائشة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم متفق عليه * وقالت طائفة أخرى لا يجوز الوصال منهم مالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري رحمهم الله قال ابن عبد البر وقد حكاه عنهم انهم لم يجيزوه لاحد * قلت الشافعي رحمه الله نص على كراهته واختلف أصحابه هل كراهته تحريم أو تنزيه على وجهين واحتج المحرمون بنهي النبي صلى الله عليه وسلم والنهي يقتضي التحريم قالوا وقول عائشة رحمة لهم لا يمنع أن يكون للتحريم بل يؤكده فان من رحمته بهم أن حرمه عليهم بل سائر مناهيه للامة رحمة وحمية وصيانة قالوا وأما مواصلته بهم بعد نهيه فلم يكن تقريرا لهم كيف وقد نهاهم ولكن تقريعا وتنكيلا فاحتمل منهم الوصال بعد نهيه لاجل مصلحة النهي في تأكيد زجرهم و بيان الحكمة في نهيهم عنه بظهور المفسدة التي نهاهم لاجلها فاذا ظهرت لهم مفسدة الوصال وظهرت حكمة النهي عنه كان ذلك أدعى الى قبولهم وتركهم له فانهم اذا ظهر لهم ما في الوصال وأحسوا منه بالملل في العبادة والتقصير فيما هو أهم وأرجح من وظائف الدين من القوة في أمر الله والخشوع في فرائضه والاتيان بحقوقها الظاهرة والباطنة والجوع الشديد ينافي ذلك ويحول بين العبد وبينه تبين لهم حكمة النهي عن الوصال والمفسدة التي فيه لهم دونه صلى الله عليه وسلم قالوا وليس اقراره لهم على الوصال لهذه المصلحة الراجحة بأعظم من اقرار الاعرابي على البول في المسجد لمصلحة التأليف ولئلا ينفر عن الاسلام ولا بأعظم من اقراره المسيء في صلاته على الصلاة التي أخبرهم صلى الله عليه وسلم انها ليست بصلاة وان فاعلها غير مصل بل هي صلاة باطلة في دينه فأقره عليها لمصلحة تعليمه وقبوله بعد الفراغ فانه أبلغ في التعليم والتعلم قالوا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه قالوا وقد ذكر في الحديث ما يدل على

ان الوصال من خصائصه فقال اني لست كهيئتكم ولو كان مباحا لم يكن من خصائصه قالوا وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وفي الصحيح نحوه من حديث عبد الله بن أبي أوفى قالوا فجعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يحيل الوصل شرعا قالوا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي على الفطرة ولا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وفي السنن عنه لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر ان اليهود والنصارى يؤخرون وفي السنن عنه قال قال الله عز وجل أحب عبادي الى أعجلهم فطرا وهذا يقتضي كراهة تأخير الفطر فكيف تركه واذا كان مكروها لم يكن عبادة فان أقل درجات العبادة أن تكون مستحبة * والقول الثالث وهو أعدل الاقوال ان الوصال يجوز من سحر الى سحر وهذا هو المحفوظ عن أحمد واسحق لحديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل الى السحر رواه البخاري وهو أعدل الوصال وأسهله على الصائم وهو في الحقيقة بمنزلة عشائه الا انه تأخر فالصائم له في اليوم والليلة أكلة فاذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل الى آخره والله أعلم

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) أن لا يدخل في صوم رمضان الا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد كما صام بشهادة ابن عمر وصام مرة بشهادة اعرابي واعتمد على خبرهما ولم يكلفهما لفظ الشهادة فان كان ذلك اخبارا فقد اكتفى في رمضان بخبر الواحد وان كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة فان لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يوما وكان اذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب أكمل عدة شعبان ثلاثين يوما ثم صام ولم يكن يصوم يوم الاغمام ولا أمر به بل أمر بان يكمل عدة شعبان ثلاثين اذا غم وكان يفعل كذلك فهذا فعله وهذا أمره ولا يناقض هذا قوله فان غم عليكم فاقدروا له فان القدر هو الحساب المقدر والمراد به الاكمال كما قال فأكملوا العدة والمراد بالاكمال اكمال عدة الشهر الذي غم كما قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري فأكملوا عدة شعبان وقال لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة والذي أمر باكمال عدته هو الشهر الذي يغم وهو عند صيامه وعند الفطر منه وأصرح من هذا قوله الشهر تسعة وعشرون فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة وهذا راجع الى أول الشهر بلفظه والى آخره بمعناه فلا يجوز الغاء ما دل عليه لفظه واعتبار ما دل عليه من جهة المعنى وقال الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون فان غم عليكم فعدوا ثلاثين وقال لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان حالت دونه غمامة فأكملوا ثلاثين وقال لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤيته فان غم عليه عد شعبان ثلاثين يوما ثم صام صححه الدارقطني وابن حبان وقال صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا ثلاثين وقال لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه فان أغمي عليكم فاقدروا له وقال لا تقدموا رمضان وفي لفظ لا تقدموا بين يدي رمضان بيوم أو يومين الا رجلا كان يصوم صياما فليصمه * والدليل على ان يوم الاغمام داخل في هذا النهي حديث ابن عباس يرفعه لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان حالت دونه غمامة فأكملوا ثلاثين

تحنث به مما كذبك به غيرهم وتجلوا بما أمرتهم به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم انا نعبد الملائكة وهي بنات الله مالهم به من علم ولا لآبائهم الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي لقولهم ان الملائكة بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك يا محمد على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم أي لا تفعل (قال ابن هشام) باخع نفسك أي مهلك نفسك فيما حدثني أبو عبيدة قال ذو الرمة

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه ... لشيء نحته عن يديه المقادر

وهذا البيت في قصيدة له وجمعه باخعون وبخعة وتقول العرب قد بخعت له نصحي ونفسي أي جهدت له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * قال ابن اسحق أي أيهم أتبع لامري وأعمل بطاعتي وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أي الارض وان ما عليها لفان وزائل وان المرجع الى فأجزي كلا بعمله فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها (قال ابن هشام) الصعيد الارض وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا

كأنه بالضحى ترمي الصعيد به ... دبابة في عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت في قصيدة له والصعيد أيضا الطريق وقد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطريق والجرز التي لا تنبت شيأ وجمعها اجراز ويقال سنة جرز وسنون اجراز وهي التي لا يكون فيها مطر وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا

طوى النحز والاجراز ما في بطونها ... فما بقيت الا الضلوع الجراشع

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك (قال ابن هشام) والرقيم الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج * ومستقر المصحف المرقم * وهذا البيت في أرجوزة له

قال ابن اسحق ثم قال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ثم قال تعالى نحن نقص عليك نبأهم بالحق أى بصدق الخبر انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ماليس لكم به علم (قال ابن هشام) والشطط الغلو ومجاوزة الحق قال أعشى بن قيس بن ثعلبة

لا ينتهون ولا ينهى ذوى شطط
كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا البيت فى قصيدة له هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين * قال ابن اسحق أى بحجة بالغة فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه (قال ابن هشام) تزاور تميل وهو من الزور وقال امرؤ القيس

وانى زعيم ان رجعت مملكا
بسير ترى منه (١) الغرانق ازورا

وهذا البيت فى قصيدة له وقال أبو الزحف الكلبي يصف بلدا

جأب المندى عن هوانا أزور
ينضى المطايا خمسه العشنزر (٢)

وهذان البيتان فى أرجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم وتتركهم عن شمالها قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أقواز مشرف
شمالا وعن أيمانهن الفوارس

وهذا البيت فى قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجاء قال الشاعر

ألبست قومك مخزاة ومنقصة * حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار

ذلك من آيات الله أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له الى

ذكره ابن حبان فى صحيحه فهذا صريح فى ان صوم يوم الاغمام من غير رؤية ولا اكمال ثلاثين صوم قبل رمضان وقال لا تقدموا الشهر الا أن تروا الهلال أو تكملوا العدة ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة وقال صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان حال بينكم وبينه سحاب فاكملوا العدة ثلاثين ولا تستقبلوا الشهر استقبالا قال الترمذى حديث حسن صحيح وفى النسائى من حديث يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما ثم صوموا ولا تصوموا قبله يوما فان حال بينكم وبينه سحاب فاكملوا العدة عدة شعبان وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس تمارى الناس فى رؤية هلال رمضان فقال بعضهم اليوم وبعضهم غدا فجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر انه رآه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال نعم فامر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا فنادى فى الناس صوموا ثم قال صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فقدروا ثلاثين يوما ثم صوموا ولا تصوموا قبله يوما وكل هذه الاحاديث صحيحة فبعضها فى الصحيحين وبعضها فى صحيح ابن حبان والحاكم وغيرهما وان كان قد أعل بعضها بما لا يقدح فى صحة الاستدلال بمجموعها وتفسير بعضها ببعض واعتبار بعضها ببعض وكلها يصدق بعضها بعضا والمراد منها متفق عليه فان قيل فاذا كان هذا هديه صلى الله عليه وسلم فكيف خالفه عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبو هريرة ومعاوية وعمرو بن العاص والحكم بن أيوب الغفارى وعائشة وأسماء بنت أبى بكر وخالفه سالم بن عبد الله ومجاهد وطاوس وأبو عثمان النهدى ومطرف بن الشخير وميمون بن مهران وبكر بن عبد الله المزنى وكيف خالفه امام أهل الحديث والسنة أحمد بن حنبل ونحن نوجدكم أقوال هؤلاء مسندة فاما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال الوليد بن مسلم أخبرنا ثوبان عن أبيه عن مكحول ان عمر بن الخطاب كان يصوم اذا كانت السماء فى تلك الليلة مغيمة ويقول ليس هذا بالتقدم ولكنه التحرى وأما الرواية عن على رضى الله عنه فقال الشافعى أخبرنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أمه فاطمة بنت حسين ان على بن أبى طالب قال لان أصوم يوما من شعبان أحب الى من أن أفطر يوما من رمضان وأما الرواية عن ابن عمر ففى كتاب عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن عمر قال كان اذا كان سحاب أصبح صائما وان لم يكن سحاب أصبح مفطرا وفى الصحيحين عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا وان غم عليكم فاقدروا له زاد الامام أحمد رحمه الله باسناد صحيح عن نافع قال كان عبد الله اذا مضى من شعبان تسعة وعشرون يوما يبعث من ينظر فان رأى فذاك وان لم ير ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتراء أصبح مفطرا وان حال دون منظره سحاب أو قتراء أصبح صائما وأما الرواية عن أنس رضى الله عنه فقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا يحيى بن أبى اسحق قال رأيت الهلال اما الظهر واما قريبا منه فافطر ناس من الناس فاتينا أنس بن مالك فأخبرناه برؤية الهلال وبافطار من أفطر فقال هذا اليوم يكمل لى أحد وثلاثون يوما وذلك لان الحكم بن أيوب أرسل الى قبل صيام الناس انى صائم غدا فكرهت الخلاف عليه فصمت وأنا متم يومى هذا الى الليل وأما الرواية عن معاوية فقال أحمد حدثنا المغيرة حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال حدثنى مكحول وابن حلبس ان معاوية بن أبى سفيان كان يقول لان أصوم يوما من شعبان أحب

(١) الغرانق الشاب الابيض الجميل (٢) العشنزر الشديد الخلق العظيم من كل شئ وهى بهاء قاموس

وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد (قال ابن هشام) الوصيد الباب
قال العبسي واسمه عبيد بن وهب بأرض فلاة لا يسد وصيدها * على ومعروفي بها غير منكر وهذا البيت في أبيات له والوصيد أيضا
الفناء وجمعه وصائد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا الى قوله قال الذين غلبوا على
أمرهم أهل السلطان والملك منهم
لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون
يعني أحبار يهود الذين أمروهم
بالمسئلة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
رجما بالغيب أي لا علم لهم
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل
ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل
فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا أي
لا تكابرهم ولا تستفت فيهم منهم
أحدا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء
الله واذكر ربك اذا نسيت وقل
عسى أن يهديني ربي لأقرب من
هذا رشدا أي ولا تقولن لشيء سألوك
عنه كما قلت في هذا اني مخبركم غدا
واستثن مشيئة الله واذكر ربك
اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي
لخير مما سألتموني عنه رشدا فانك
لا تدري ما أنا صانع في ذلك ولبثوا
في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا أي سيقولون ذلك قل الله
أعلم بما لبثوا له غيب السموات
والارض أبصر به وأسمع ما لهم
من دونه من ولي ولا يشرك في
حكمه أحدا أي لم يخف عليه شيء
مما سألوك عنه * وقال فيما سألوه
عنه من أمر الرجل الطواف
ويسألونك عن ذي القرنين قل
سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له
في الارض وآتيناه من كل شيء سببا
فأتبع سببا حتى انتهى الى آخر
قصة خبره * وكان من خبر ذي
القرنين انه أوتي ما لم يؤت أحد
غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها لا يطأ أرضا الا سلط على أهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى
ما ليس وراءه شيء من الخلق * قال ابن اسحق فحدثني من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلا من أهل
مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح (قال ابن هشام) واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه

الى أن أفطر يوما من رمضان وأما الرواية عن عمرو بن العاص فقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عمرو بن العاص انه كان يصوم اليوم الذي يشك فيه من رمضان وأما الرواية عن أبي هريرة فقال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن أبي مريم قال سمعت أبا هريرة يقول لان أتعجل في صوم رمضان بيوم أحب الي من ان أتأخر لاني اذا تعجلت لم يفتني واذا تأخرت فاتني وأما الرواية عن عائشة رضي الله عنها فقال سعيد بن منصور حدثنا أبو عوانة عن يزيد بن خمير عن الرسول الذي أتى عائشة في اليوم الذي يشك فيه من رمضان قال قالت عائشة لان أصوم يوما من شعبان أحب الي من ان أفطر يوما من رمضان وأما الرواية عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقال سعيد أيضا حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر قالت ما غم هلال رمضان الا كانت أسماء متقدمة بيوم وتأمر بتقدمه وقال أحمد حدثنا روح بن عبادة عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن فاطمة عن أسماء انها كانت تصوم اليوم الذي يشك فيه من رمضان وكل ما ذكرناه عن أحمد فمن مسائل الفضل بن زياد عنه وقال في رواية الاثرم اذا كان في السماء سحابة أو علة أصبح صائما وان لم يكن في السماء علة أصبح مفطرا وكذلك نقل عنه ابناه صالح وعبد الله والمروزي والفضل بن زياد وغيرهم فالجواب من وجوه أحدها ان يقال ليس فيما ذكرتم عن الصحابة أثر صالح صريح في وجوب صومه حتى يكون فعلهم مخالفا لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما غاية المنقول عنهم صومه احتياطا وقد صرح أنس بانه انما صامه كراهة للخلاف على الامراء ولهذا قال الامام أحمد في رواية الناس تبع للامام في صومه وافطاره والنصوص التي حكيناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعله وقوله انما تدل على انه لا يجب صوم يوم الاغمام ولا تدل على تحريمه فمن أفطره أخذ بالجواز ومن صامه أخذ بالاحتياط الثاني ان الصحابة كان بعضهم يصومه كما حكيتم وكان بعضهم لا يصومه وأصح وأصرح من روى عنه صومه عبد الله بن عمر قال ابن عبد البر والى قوله ذهب طاوس اليماني وأحمد بن حنبل وروى مثل ذلك عن عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر ولا أعلم أحدا ذهب مذهب ابن عمر غيرهم قال وممن روى عنه كراهة صوم يوم الشك عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وحذيفة وابن عباس وأبو هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهم (قلت) المنقول عن علي وعمر وعمار وحذيفة وابن مسعود المنع من صيام آخر يوم من شعبان تطوعا وهو الذي قال فيه عمار من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم فأما صوم يوم الغيم احتياطا على انه ان كان من رمضان فهو فرضه والا فهو تطوع فالمنقول عن الصحابة يقتضي جوازه وهو الذي كان يفعله ابن عمر وعائشة هذا مع رواية عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غم هلال شعبان عد ثلاثين يوما ثم صام وقد رد حديثها هذا بانه لو كان صحيحا لما خالفته وجعل صيامها علة في الحديث وليس الامر كذلك فانها لم توجب صيامه وانما صامته احتياطا وفهمت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأمره ان الصيام لا يجب حتى تكمل العدة ولم تفهم هي ولا ابن عمر انه لا يجوز وهذا أعدل الاقوال في المسألة وبه تجتمع الاحاديث والآثار ويدل عليه ما رواه معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهلال رمضان اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له ثلاثين يوما ورواه ابن أبي داود عن نافع عنه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين وقال مالك وعبيد الله عن نافع عنه فاقدروا له فدل على ان ابن

عمر لم يفهم من الحديث وجوبا كمال الثلاثين بل جوازه فانه اذا صام يوم الثلاثين فقد أخذ باحد الجائزين احتياطا ويدل على ذلك انه رضى الله عنه لو فهم من قوله صلى الله عليه وسلم اقدروا له تسعا وعشرين ثم صوموا كما يقوله الموجبون لصومه لكان يأمر بذلك أهله وغيرهم ولم يكن يقتصر على صومه فى خاصة نفسه ولا يأمر به ولا تبين ان ذلك هو الواجب على الناس وكان ابن عباس رضى الله عنه لا يصومه ويحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين وذكر مالك فى موطئه هذا بعد ان ذكر حديث ابن عمر كانه جعله مفسرا لحديث ابن عمر وقوله فاقدروا له وكان ابن عباس يقول عجبت ممن يتقدم الشهر بيوم أو يومين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدموا رمضان بيوم ولا يومين كانه ينكر على ابن عمر وكذلك كان هذان الصاحبان الامامان أحدهما يميل الى التشديد والآخر الى الترخيص وذلك فى غير مسألة وعبد الله بن عمر كان يأخذ من التشديدات باشياء لا يوافقه عليها الصحابة فكان يغسل داخل عينيه فى الوضوء حتى عمى من ذلك وكان اذا مسح رأسه أفرد أذنيه بماء جديد وكان يمنع من دخول الحمام وكان اذا دخله اغتسل منه وابن عباس كان يدخل الحمام وكان يتيمم بضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين ولا يقتصر على ضربة واحدة ولا على الكفين وكان ابن عباس يخالفه ويقول التيمم ضربة للوجه والكفين وكان ابن عمر يتوضأ من قبلة امرأته ويفتى بذلك وكان اذا قبل أولاده تمضمض ثم صلى وكان ابن عباس يقول ما أبالى قبلتها أو شممت ريحانا وكان يأمر من ذكر ان عليه صلاة وهو فى أخرى ان يتمها ثم يصلى الصلاة التى ذكرها ثم يعيد الصلاة التى كان فيها وروى أبو يعلى الموصلى فى ذلك حديثا مرفوعا فى مسنده والصواب انه موقوف على ابن عمر قال البيهقى وقد روى عن ابن عمر مرفوعا ولا يصح قال وقد روى عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح والمقصود ان عبد الله بن عمر كان يسلك طريق التشديد والاحتياط وقد روى معمر عن أيوب عن نافع عنه انه كان اذا أدرك مع الامام ركعة أضاف اليها أخرى فاذا فرغ من صلاته سجد سجدتى السهو قال الزهرى ولا أعلم أحدا فعله غيره (قلت) وكان هذا السجود لما حصل له من الجلوس عقيب الركعة وانما محله عقيب الشفع ويدل على ان الصحابة لم يصوموا هذا اليوم على سبيل الوجوب انهم قالوا لان نصوم يوما من شعبان أحب الينا من ان نفطر يوما من رمضان ولو كان هذا اليوم من رمضان حتما عندهم لقالوا هذا اليوم من رمضان فلا يجوز لنا فطره والله أعلم ويدل على انهم انما صاموه استحبابا وتحريا ما روى عنهم من فطره بيانا للجواز فهذا ابن عمر قد قال حنبل فى مسائله حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد العزيز بن حكيم الحضرمى قال سمعت ابن عمر يقول لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم الذى يشك فيه قال حنبل وحدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبيدة بن حميد قال أخبرنا عبد العزيز بن حكيم قال سألوا ابن عمر قالوا نسبق قبل رمضان حتى لا يفوتنا منه شئ فقال أف أف صوموا مع الجماعة فقد صح عن ابن عمر انه قال لا يتقدمن الشهر منكم أحد وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صوموا لرؤية الهلال وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين وكذلك قال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا رأيتم الهلال فصوموا لرؤيته واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاكملوا العدة وقال ابن مسعود رضى الله عنه فان غم عليكم فعدوا ثلاثين فهذه الآثار ان قدر انها معارضة لتلك الآثار التى رويت عنهم فى الصوم فهذه أولى لموافقتها

قال ابن اسحق وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى وكان رجلا قد أدرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب * وقال خالد سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول ياذا القرنين فقال عمر اللهم غفرا مارضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة * قال ابن اسحق والله أعلم أى ذلك كان أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا الحق ما قال * وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا * قال ابن اسحق وحدثت عن ابن عباس انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار يهود يا محمد أرأيت قولك وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك قال كلا قالوا فانك تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه قال فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم أى ان التوراة فى هذا من علم الله قليل * قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الارض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أى لا أصنع من ذلك الا ما شئت * وأنزل عليه فى قولهم خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك أى من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وأنزل عليه فى ذلك من قولهم وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون

النصوص

النصوص المرفوعة لفظا ومعنى وان قدر انها لا تعارض بينها فههنا طريقان من الجمع أحدهما حملها على غير صورة الاغمام أو على الاغمام فى آخر الشهر كما فعله الموجبون للصوم والثانى حمل آثار الصوم عنهم على التحرى والاحتياط استحبابا لا وجوبا وهذه الآثار صريحة فى نفى الوجوب وهذه الطريقة أقرب الى موافقة النصوص وقواعد الشرع وفيها السلامة من التفريق بين يومين متساويين فى الشك فيجعل أحدهما يوم شك والثانى يوم يقين مع حصول الشك فيه قطعا وتكليف العبد اعتقاد كونه من رمضان قطعا مع شكه هل هو منه أم لا تكليف بما لا يطاق وتفريق بين المتماثلين والله أعلم

(فصل) وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أمر الناس بالصوم بشهادة الرجل الواحد المسلم وخروجهم منه بشهادة اثنين وكان من هديه اذا شهد الشاهدان برؤية الهلال بعد خروج وقت العيد ان يفطر ويأمرهم بالفطر ويصلى العيد من الغد فى وقتها وكان يعجل الفطر ويحض عليه ويتسحر ويحث على السحور ويؤخره ويرغب فى تأخيره وكان يحض على الفطر بالتمر فان لم يجد فعلى الماء هذا من كمال شفقته على أمته ونصحهم فان اعطاء الطبيعة الشئ الحلو مع خلو المعدة أدعى الى قبوله وانتفاع القوى به ولا سيما القوة الباصرة فانها تقوى به وحلاوة المدينة التمر ومرباهم عليه وهو عندهم قوت وأدم ورطبه فاكهة وأما الماء فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده ولهذا كان الاولى بالظمآن الجائع ان يبدأ قبل الاكل بشرب قليل من الماء ثم يأكل بعده هذا مع ما فى التمر والماء من الخاصية التى لها تأثير فى صلاح القلب لا يعلمها الا أطباء القلوب

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلى وكان فطره على رطبات ان وجدها فان لم يجدها فعلى تمرات فان لم يجد فعلى حسوات من ماء ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند فطره اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبل منا انك أنت السميع العليم ولا يثبت وروى عنه أيضا انه كان يقول اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ذكره أبو داود وعن معاذ بن زهرة انه بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروى عنه انه كان يقول اذا أفطر ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله تعالى ذكره أبو داود من حديث الحسين بن واقد عن مروان بن سالم المقفع عن ابن عمر ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد رواه ابن ماجه وصح عنه انه قال اذا أقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم وفسر بأنه قد أفطر حكما وان لم ينوه وبانه قد دخل وقت فطره كأصبح وأمسى ونهى الصائم عن الرفث والصخب والسباب وجواب السباب فأمره أن يقول لمن سابه انى صائم فقيل يقوله بلسانه وهو أظهر وقيل بقلبه تذكيرا لنفسه بالصوم وقيل يقوله فى الفرض بلسانه وفى التطوع فى نفسه لانه أبعد عن الرياء

(فصل) وسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فصام وافطر وخير الصحابة بين الامرين وكان يأمرهم بالفطر اذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله فلو اتفق مثل هذا فى الحضر وكان فى الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر فيه قولان أصحهما دليلا ان لهم ذلك وهو اختيار ابن تيمية وبه أفتى العساكر الاسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق ولا ريب ان الفطر لذلك أولى من

الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت ان أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت * ونزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا (قال ابن هشام) والينبوع ما نبع من الماء من الارض وغيرها وجمعه ينابيع قال ابن هرمة واسمه ابراهيم بن عبد الله الفهرى

واذا هرقت بكل واد عبرة
نزف (١) الشؤن ودمعك الينبوع

وهذا البيت فى قصيدة له والكسف القطع من العذاب وواحدته كسفة مثل سدرة وسدر وهى أيضا واحدة الكسف والقبيل يكون مقابلة ومعاينة وهو كقوله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا أى عيانا وأنشدنى أبو عبيدة لاعشى بن قيس ابن تعلبة

أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها
كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

يعنى القابلة لانها تقابلها وتقبل ولدها وهذا البيت فى قصيدة له ويقال القبيل وجمعه قبل وهى الجماعات وفى كتاب الله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا فقبل جمع قبيل مثل سبل جمع سبيل وسرر جمع سرير وقمص جمع قميص والقبيل أيضا فى مثل من الامثال وهو قولهم ما نعرف قبيلا من دبير أى لا نعرف ما أقبل مما أدبر قال الكميت بن زيد

تفرقت الامور بوجهتيهم
فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انما أريد بهذا الفتل فما فتل الى الذراع فهو القبيل وما فتل الى اطراف الاصابع فهو الدبير وهو من الاقبال والادبار الذى ذكرت ويقال فتل المغزل فاذا فتل الى الركبة فهو القبيل واذا فتل الى الورك فهو الدبير والقبيل أيضا قوم الرجل والزخرف

(١) الشؤن مجارى الدمع وهى طباق الرأس وهى أربعة للرجل وثلاثة للمرأة كذا ذكره أهل التشريح

الفطر لمجرد السفر بل اباحة لفطر المسافر تنبيه على اباحته فى هـذه الحالة فانها أحق بجوازه ولان القوة هنا تختص بالمسافر والقوة هناك له وللمسلمين ولان مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر ولان المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد أعظم من المصلحة بفطر المسافر ولان الله تعالى قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة والنبى صلى الله عليه وسلم قد فسر القوة بالرمى وهو لا يتم ولا يحصل به مقصوده الا بما يقوى ويعين عليه من الفطر والغذاء ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم فافطروا أقوى لكم وكانت رخصة ثم نزلوا منزلا آخر فقال انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فافطروا فكانت عزمة فعلل بدنوهم من عدوهم واحتياجهم الى القوة التى يلقون بها العدو وهذا سبب آخر غير السفر والسفر مستقل بنفسه ولم يذكره فى تعليله ولا أشار اليه بالتعليل به اعتبارا لما ألغاه الشارع فى هذا الفطر الخاص والغاء وصف القوة التى يقاوم بها العدو واعتبار السفر المجرد الغاء لما اعتبره الشارع وعلل به وبالجملة فتنبيه الشارع وحكمته يقتضى أن الفطر لاجل الجهاد أولى منه لمجرد السفر فكيف وقد أشار الى العلة ونبه عليها وصرح بحكمها وعزم عليهم بان يفطروا لاجلها ويدل عليه ما رواه عيسى بن يونس عن شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوم فتح مكة انه يوم قتال فافطروا تابعه سعيد بن الربيع عن شعبة فعلل بالقتال ورتب عليه الامر بالفطر بحرف الفاء وكل أحد يفهم من هذا اللفظ ان الفطر لاجل القتال وأما اذا تجرد السفر عن الجهاد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الفطر انه رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب ان يصوم فلا جناح عليه

(فصل) وسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فى أعظم الغزوات وأجلها فى غزاة بدر وفى غزاة الفتح قال عمر بن الخطاب غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان غزوتين يوم بدر والفتح فافطرنا فيهما وأما ما رواه الدارقطنى وغيره عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة فى رمضان الحديث فغلط اما عليها وهو الاظهر او منها واصابها فيه ما أصاب ابن عمر فى قوله اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب فقالت يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو معه وما اعتمر فى رجب قط وكذلك أيضا عمره كلها فى ذى القعدة وما اعتمر فى رمضان قط

(فصل) ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تقدير المسافة التى يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه فى ذلك شئ وقد افطر دحية بن خليفة الكلبى فى سفر ثلاثة أميال وقال لمن صام قد رغبوا عن هدى محمد صلى الله عليه وسلم وكان الصحابة حين ينشؤن السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت ويخبرون ان ذلك سنته وهديه صلى الله عليه وسلم كما قال عبيد بن جبير ركبت مع أبى بسرة الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفينة من الفسطاط فى رمضان فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة قال اقترب قلت ألست ترى البيوت قال أبو بسرة أترغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود وأحمد ولفظ أحمد ركبت مع أبى بسرة من الفسطاط الى الاسكندرية فى سفينة فلما دنونا من مرساها أمر بسفرته فقربت ثم دعانى الى الغداء وذلك فى رمضان فقلت يا أبا بسرة والله ما تغيبت عنا منازلنا بعد قال أترغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا قال فكل قال فلم نزل

الذهب والمزخرف المزين بالذهب قال العجاج من طلل أمسى يخال المصحفا * رسومه والمذهب المزخرفا (١) وهذان البيتان فى أرجوزة له ويقال أيضا لكل مزين مزخرف * قال ابن اسحق وأنزل عليه فى قولهم انا قد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبدا كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب * وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام لعنه الله وما هم به أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة (قال ابن هشام) لنسفعا لنجذبن ولنأخذن قال الشاعر

قوم اذا سمعوا الصراخ رأيتهم
من بين ملجم مهره أو سافع

والنادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقصون فيه أمورهم وفى كتاب الله تعالى وتأتون فى ناديكم المنكر وهو الندى وفى كتاب الله تعالى وأحسن نديا وجمعه أندية يقول فليدع أهل ناديه كما قال تعالى واسئل القرية يريد أهل القرية * قال سلامة بن جندل أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية
ويوم سير الى الاعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له وقال الكميت بن زيد

لا مهاذير فى الندى مكاثيـ
ـر ولا مصمتين بالافحام

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال النادى الجلساء والزبانية الغلاظ الشداد وهم فى هذا الموضع خزنة النار والزبانية أيضا فى الدنيا اعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد زبنية قال ابن الزبعرى فى ذلك

مطاعيم فى المقرى مطاعين فى الوغى
زبانية غلب عظام حلومها

يقول شداد وهذا البيت فى أبيات له * وقال صخر بن عبد الله الهذلى وهو صخر الغى * ومن كبير نفر زبانيه * (٢) وهذا البيت فى أبيات له * قال ابن اسحق ونزل الله تعالى عليه مطر بن

(١) قوله وهذان البيتان هذا على أنه من مشطور الرجز والا فهو بيت واحد (٢) بعده لو أن أصحابى بنو معاويه * ما تركونى للذئاب العاديه * ولا لبرذون أغر الناصيه

مفطر بن حتى دلغنا وقال محمد بن كعب أتيت أنس بن مالك في رمضان وهو يريد السفر وقد رحلت راحلته وقد لبس ثياب السفر فدعا بطعام فأكل فقلت له سنة قال سنة ثم ركب قال الترمذي حديث حسن وقال الدارقطني فيه فأكل وقد تقارب غروب الشمس وهذه الآثار صريحة في ان من أنشأ السفر في أثناء يوم من رمضان فله الفطر فيه

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان وشبه قبلة الصائم بالمضمضة بالماء وأما ما رواه أبو داود عن مصدع بن يحيى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها فهذا الحديث قد اختلف فيه فضعفه طائفة بمصدع هذا وهو مختلف فيه قال السعدي زائغ جائر عن الطريق وحسنه طائفة وقالوا هو ثقة صدوق روى له مسلم في صحيحه وفي اسناده محمد بن دينار الطاحي البصري مختلف فيه أيضا قال يحيى ضعيف وفي رواية عنه ليس به بأس وقال غيره صدوق وقال ابن عدي قوله ويمص لسانها لا يقوله الا محمد بن دينار وهو الذي رواه وفي اسناده أيضا سعد بن أوس مختلف فيه أيضا قال يحيى بصري ضعيف وقال غيره ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وأما الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل قبل امرأته وهما صائمان فقال قد أفطرا فلا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أبو يزيد الضني رواه عن ميمونة وهي بنت سعد قال الدارقطني ليس بمعروف ولا يثبت هذا وقال البخاري هذا لا أحدث به هذا حديث منكر وأبو يزيد رجل مجهول ولا يصح عنه صلى الله عليه وسلم التفريق بين الشاب والشيخ ولم يجئ من وجه يثبت وأجود ما فيه حديث أبي داود عن نصر بن علي عن أبي أحمد الزبيري ثنا اسرائيل عن الاعرج عن أبي هريرة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له وأتاه آخر فسأله فنهاه فاذا الذي رخص له شيخ واذا الذي نهاه شاب واسرائيل وان كان البخاري ومسلم قد احتجا به وبقية الستة فعلة هذا الحديث أن بينه وبين الاعرج فيه أبا العنبس العدوي الكوفي واسمه الحارث بن عبيد سكتوا عنه

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) اسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيا وان الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه فليس هذا الأكل والشرب يضاف اليه فيفطر به فانما يفطر بما فعله وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه اذ لا تكليف بفعل النائم ولا بفعل الناسي

(فصل والذي صح عنه صلى الله عليه وسلم) ان الذي يفطر به الصائم الأكل والشرب والحجامة والقيء والقرآن دال على ان الجماع مفطر كالأكل والشرب لا يعرف فيه خلاف ولا يصح عنه في الكحل شيء وصح عنه انه كان يستاك وهو صائم وذكر الامام أحمد عنه انه كان يصب الماء على رأسه وهو صائم وكان يتمضمض ويستنشق وهو صائم ومنع الصائم من المبالغة في الاستنشاق ولا يصح عنه انه احتجم وهو صائم وقد رواه البخاري في صحيحه قال حدثنا يحيى بن سعيد قال قال شعبة لم يسمع الحكم حديث مقسم في الحجامة في الصيام يعني حديث سعيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم محرم قال مهنا وسألت أحمد عن حديث حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم محرم فقال ليس بصحيح قد أنكره يحيى بن سعيد الانصاري انما كانت أحاديث ميمون بن مهران عن

فيما عرضوا من أموالهم قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون أي اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد انما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا وكثرة فيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له وكان الرجل منهم اذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع وان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذي يستمع انهم لا يستمعون شيأ من قراءته وسمع هو شيأ دونهم أصاخ له يستمع منه * قال ابن اسحق وحدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان ان عكرمة مولى ابن عباس حدثهم ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم انما أنزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا من أجل أولئك النفر يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي الى بعض ما يستمع فينتفع به * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه قال اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه قال دعوني فان الله سيمنعني قال فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا

ابن عباس نحو خمسة عشر حديثا وقال الاثرم سمعت أبا عبد الله ذكر هذا الحديث فضعفه وقال مهنا سألت أحمد عن حديث قبيصة عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما محرما فقال هو خطأ من قبل قبيصة وسألت يحيى عن قبيصة بن عقبة فقال رجل صدوق والحديث الذي يحدث به عن سفيان عن سعيد بن جبير خطأ من قبله قال أحمد في كتاب الاشجعي عن سعيد بن جبير مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم ولا يذكر فيه صائما قال مهنا وسألت أحمد عن حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم محرم فقال ليس فيه صائم انما هو محرم ذكره سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه وهو محرم ورواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم وروح عن زكريا بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عطاء وطاوس عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم وهؤلاء أصحاب ابن عباس لا يذكرون صائما وقال حنبل حدثنا أبو عبد الله حدثنا وكيع عن ياسين الزيات عن رجل عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في رمضان بعد ما قال أفطر الحاجم والمحجوم قال أبو عبد الله الرجل أراه أبان بن أبي عياش يعني ولا يحتج به وقال الاثرم قلت لابي عبد الله روى محمد بن معاوية النيسابوري عن أبي عوانة عن السدي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم فأنكر هذا ثم قال السدي عن أنس قلت نعم فعجب من هذا قال أحمد وفي قوله أفطر الحاجم والمحجوم غير حديث ثابت وقال اسحق قد ثبت هذا من خمسة أوجه عن النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود انه لم يصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه احتجم وهو صائم ولا صح عنه انه نهى الصائم عن السواك أول النهار ولا آخره بل قد روي عنه خلافه ويذكر عنه من خير خصال الصائم السواك رواه ابن ماجه من حديث مجالد وفيه ضعف

(فصل وروي عنه صلى الله عليه وسلم) أنه اكتحل وهو صائم وروي عنه أنه خرج عليهم في رمضان وعيناه مملوأتان من الاثمد ولا يصح وروي عنه أنه قال في الاثمد ليتقه الصائم ولا يصح قال أبو داود وقال لي يحيى بن معين هذا حديث منكر

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في صيام التطوع كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وما استكمل صيام شهر غير رمضان وما كان يصوم في شهر أكثر مما يصوم في شعبان ولم يكن يخرج عنه شهر حتى يصوم منه ولم يصم الثلاثة الاشهر سردا كما يفعله بعض الناس ولا صام رجبا قط ولا استحب صيامه بل روي عنه النهي عن صيامه ذكره ابن ماجه وكان يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس وقال ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر أيام البيض في سفر ولا حضر ذكره النسائي وكان يحض على صيامها وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام ذكره أبو داود والنسائي وقالت عائشة لم يكن يبالي من أي الشهر صامها ذكره مسلم ولا تناقض بين هذه الآثار وأما صيام عشر ذي الحجة فقد اختلف فيه فقالت عائشة ما رأيته صائما في العشر قط ذكره مسلم وقالت حفصة أربع لم يكن يدعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام يوم عاشوراء والعشر وثلاث أيام من كل شهر وركعتا الفجر وذكره الامام أحمد رحمه الله وذكر الامام أحمد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

بها صوته الرحمن علم القرآن قال ثم استقبلها يقرؤها قال وتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد قال ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا في وجهه فقالوا له هذا الذي خشينا عليك قال ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون *قال ابن اسحق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري انه حدث ان أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والاخنس بن شريق بن عمرو ابن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد

وسلم انه كان يصوم تسع ذى الحجة ويصوم عاشوراء وثلاثة أيام من الشهر أو الاثنين من الشهر والخميس وفى لفظ والخميسين والمثبت مقدم على النافى ان صح * وأما صيام ستة أيام من شوال فصح عنه انه قال صيامها مع رمضان يعدل صيام الدهر * وأما صيام يوم عاشوراء فانه كان يتحرى صومه على سائر الايام ولما قدم المدينة وجد اليهود تصومه وتعظمه فقال نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وذلك قبل فرض رمضان فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه وقد استشكل بعض الناس هذا وقال انما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء وفيه اشكال آخر وهو أنه قد ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة انها قالت كانت قريش تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية وكان عليه الصلاة والسلام يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه واشكال آخر وهو ما ثبت فى الصحيحين أن الاشعث بن قيس دخل على عبد الله بن مسعود وهو يتغدى فقال يا أبا محمد ادن الى الغداء فقال أوليس اليوم يوم عاشوراء فقال وهل تدرى ما يوم عاشوراء قال وما هو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه قبل أن ينزل صوم رمضان فلما نزل رمضان تركه وقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه فقالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا فيه أن صومه والامر بصيامه قبل وفاته بعام وحديثه المتقدم فيه ان ذلك كان عند مقدمه المدينة ثم ان ابن مسعود أخبر أن يوم عاشوراء ترك برمضان وهذا يخالفه حديث ابن عباس المذكور ولا يمكن أن يقال ترك فرضه لانه لم يفرض لما ثبت فى الصحيحين عن معاوية بن أبى سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر ومعاوية انما سمع هذا بعد الفتح قطعا واشكال آخر وهو أن مسلما روى فى صحيحه عن عبد الله بن عباس انه لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا اليوم تعظمه اليهود والنصارى قال لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع فلم يأت العام القابل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم روى مسلم فى صحيحه عن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه فى زمزم فقلت له أخبرنى عن صوم عاشوراء فقال اذا رأيت هلال المحرم فاعدد تسعا وأصبح التاسع صائما فقلت فهكذا كان يصومه محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم واشكال آخر وهو أن صومه ان كان واجبا مفروضا فى أول الاسلام فلم يأمرهم بقضائه وقد فات تبييت النية من الليل وان لم يكن فرضا فكيف أمر باتمام الامساك من كان أكل كما فى المسند والسنن من وجوه متعددة انه عليه السلام أمر من كان طعم فيه أن يصوم بقية يومه وهذا انما يكون فى الواجب وكيف يصح قول ابن مسعود فلما فرض رمضان ترك عاشوراء واستحبابه لم يترك واشكال آخر وهو ان ابن عباس جعل يوم عاشوراء يوم التاسع وأخبر أن هكذا كان يصومه صلى الله عليه وسلم وهو الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا يوما قبله ويوما بعده ذكره أحمد وهو الذى روى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم عاشوراء يوم العاشر ذكره الترمذى * فالجواب عن هذه الاشكالات بعون الله وتأييده وتوفيقه * أما الاشكال

بها قال الاخنس وأنا والذى حلفت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال فقام عنه الاخنس وتركه * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله قالوا يهزؤن به قلوبنا فى أكنة لا نفقه ما تقول وفى آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا وبينك فاعمل بما أنت عليه انا عاملون بما نحن عليه انا لا نفقه عنك شيأ فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الى قوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أى كيف فهموا توحيدك ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم أى انى لم أفعل ذلك نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به اليهم انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى أخطؤا المثل الذى ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ولا يعتدل لهم فيه قول وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أى قد جئت تخبرنا انا سنبعث بعد موتنا اذا كنا عظاما ورفاتا وذلك ما لا يكون قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب باعز من ذلك عليه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سألته عن قول الله تعالى أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ما الذى أراد الله به فقال الموت

(ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالاذى والفتنة) * قال ابن اسحق ثم

الاول وهو انه لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوم عاشوراء فليس فيه أن يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم يوم الاثنين فى ربيع الاول ثانى عشره ولكن أول علمه بذلك بوقوع القصة فى اليوم الثانى الذى كان بعد قدومه المدينة ولم يكن وهو بمكة هذا ان كان حساب أهل الكتاب فى صومه بالاشهر الهلالية وان كان بالشمسية زال الاشكال بالكلية ويكون اليوم الذى نجى الله فيه موسى هو يوم عاشوراء من أول المحرم فضبطه أهل الكتاب بالشهور الشمسية فوافق ذلك مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فى ربيع الاول وصوم أهل الكتاب انما هو بحساب سير الشمس وصوم المسلمين انما هو بالشهر الهلالى وكذلك حجهم وكل ما تعتبر له الاشهر من واجب أو مستحب فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم فظهر حكم هذه الاولوية فى تعظيم هذا اليوم وفى تعيينه وهم اخطؤا تعيينه لدورانه فى السنة الشمسية كما أخطأ النصارى فى تعيين صومهم بان جعلوه فى فصل من السنة تختلف فيه الاشهر

﴿فصل وأما الاشكال﴾ الثانى وهو أن قريشا كانت تصوم عاشوراء فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلا ريب ان قريشا كانت تعظم هذا اليوم وكانوا يكسون الكعبة فيه وصومه من تمام تعظيمه ولكن انما كانوا يعدون بالاهلة فكان عندهم عاشر المحرم فلما قدم المدينة وجدهم يعظمون ذلك اليوم ويصومونه فسألهم عنه فقالوا هو اليوم الذى نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون فقال نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه تقريرا لتعظيمه وتأكيدا وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أحق بموسى من اليهود فاذا صامه موسى شكرا لله كنا أحق أن نقتدى به من اليهود لاسيما اذا قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالفه شرعنا* فان قيل من أين لكم أن موسى صامه *قلنا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سألهم عنه فقالوا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه وغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا لله فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه فلما أقرهم على ذلك ولم يكذبهم علم أن موسى صامه شكرا لله فانضم هذا القدر الى التعظيم الذى كان قبل الهجرة فازداد تأكيدا حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى فى الامصار بصومه وامساك من كان أكل والظاهر انه حتم ذلك عليهم وأوجبه كما سيأتى تقريره

﴿فصل وأما الاشكال﴾ الثالث وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم عاشوراء قبل أن ينزل فرض رمضان فلما نزل فرض رمضان تركه فهذا لا يمكن التخلص منه الا بان صيامه كان فرضا قبل رمضان وحينئذ فيكون المتروك وجوب صومه لا استحبابه ويتعين هذا ولا بد لانه عليه السلام قال قبل وفاته بعام وقد قيل له ان اليهود يصومونه لئن عشت الى قابل لاصومن التاسع أى معه وقال خالفوا اليهود وصوموا يوما قبله ويوما بعده أى معه ولا ريب أن هذا كان فى آخر الامر وأما فى أول الامر فكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ فعلم ان استحبابه لم يترك ويلزم من قال أن صومه لم يكن واجبا أحد الامرين اما أن يقول بترك استحبابه ولم يبق مستحبا أو يقول هذا قاله عبد الله بن مسعود رضى الله عنه برأيه وخفى عليه استحباب صومه وهذا بعيد فان النبى صلى الله عليه وسلم حثهم على صيامه وأخبر أن صومه يكفر السنة الماضية واستمر الصحابة على صيامه الى حين وفاته ولم يرو عنه حرف واحد بالنهى عنه وكراهة صومه فعلم ان الذى ترك وجوبه لا استحبابه فان

انهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جمح مولدا من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أحد أحد * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا (١) لاتخذنه حنانا حتى مر به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى قال أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر افعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قد قبلت قال هو لك فاعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذه فأعتقه ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر المدينة ست رقاب بلال سابعهم *عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا* (٢) وأم عبيس وزنيرة فاصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر قيل

---

(١) قوله لاتخذنه حنانا أراد لاجعلن قبره موضع حنان أى مظنة رحمة فاتمسح به متبركا كما تتمسح بقبور الصالحين والشهداء

(٢) قال الزرقانى وأم عنيس بعين مهملة مضمومة فنون وقيل بموحدة فتحتية فسين مهملة أمة بنى زهرة اه

اللات والعزى وما تنفعان فرد الله اليها بصرها * وأعتق النهدية وبنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر رضى الله عنه حل يا أم فلان فقالت حل أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ارجعا اليها طحينها قالتا أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده اليها قال ذلك ان شئتما

* ومر بجارية بنى مؤمل حى من بنى عدى بن كعب وكانت مسلمة وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام وهو يومئذ مشرك وهو يضربها حتى اذا مل قال انى أعتذر اليك انى لم أتركك الا ملالة فتقول كذلك فعل الله بك فابتاعها أبو بكر فأعتقها * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عبد الله ابن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله ابن الزبير عن بعض أهله قال قال أبو قحافة لابى بكر يا بنى انى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك قال فقال أبو بكر رضى الله عنه يا أبت انى انما أريد ما أريد لله قال فيتحدث انه ما نزل هؤلاء الآيات الا فيه وفيما قال له أبوه فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى * قال ابن اسحق وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار ابن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت اسلام اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغنى صبرا آل ياسر موعدكم الجنة فاما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش اذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك (1) ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به * قال ابن اسحق حدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس أ كان

قيل ان حديث معاوية المتفق على صحته صريح فى عدم فرضيته وانه لم يفرض قط فالجواب ان حديث معاوية صريح فى نفى استمرار وجوبه وانه الآن غير واجب ولا ينفى وجوبا متقدما منسوخا فانه لا يمتنع أن يقال لما كان واجبا ونسخ وجوبه ان الله لم يكتبه علينا وجواب ثان أن غايته أن يكون النفى عاما فى الزمان الماضى والحاضر فيخص بادلة الوجوب فى الماضى ويترك النفى على استمرار الوجوب وجواب ثالث وهو انه صلى الله عليه وسلم انما نفى أن يكون فرضه ووجوبه مستفادا من جهة القرآن ويدل على هذا قوله لم يكتبه علينا وهذا لا ينفى الوجوب بغير ذلك فان الواجب الذى كتبه الله على عباده هو ما أخبرهم بانه كتبه عليهم كقوله كتب عليكم الصيام فاخبر صلى الله عليه وسلم أن صوم يوم عاشوراء لم يكن داخلا فى هذا المكتوب الذى كتبه الله علينا دفعا لتوهم من يتوهم انه داخل فيما كتبه الله علينا فلا تناقض بين هذا وبين الامر السابق بصيامه الذى صار منسوخا بهذا الصيام المكتوب يوضح هذا ان معاوية انما سمع هذا بعد فتح مكة واستقرار فرض رمضان ونسخ وجوب عاشوراء به والذين شهدوا أمره بصيامه والنداء بذلك وبالامساك لمن أكل شهدوا ذلك قبل فرض رمضان عند مقدمه المدينة وفرض رمضان كان فى السنة الثانية من الهجرة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات فمن شهد الامر بصيامه شهده قبل نزول فرض رمضان ومن شهد الاخبار عن عدم فرضه شهده فى آخر الامر بعد فرض رمضان وان لم يسلك هذا المسلك تناقضت أحاديث الباب واضطربت فان قيل فكيف يكون فرضا ولم يحصل تبييت النية من الليل وقد قال لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل * فالجواب ان هذا الحديث مختلف فيه هل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم أو من قول حفصة وعائشة فاما حديث حفصة فاوقفه عليها معمر والزهرى وسفيان بن عيينة ويونس بن يزيد الايلى عن الزهرى ورفعه بعضهم وأكثر أهل الحديث يقولون الموقوف أصح وقد قال الترمذى وقد روى نافع عن ابن عمر قوله وهو أصح ومنهم من يصحح رفعه لثقة رافعه وعدالته وحديث عائشة أيضا روى مرفوعا وموقوفا واختلف فى تصحيح رفعه فان لم يثبت رفعه فلا كلام وان ثبت رفعه فمعلوم ان هذا انما قاله بعد فرض رمضان وذلك متأخر عن الامر بصيام يوم عاشوراء وذلك تجديد حكم واجب وهو التبييت وليس نسخا لحكم ثابت بخطاب فاجزاء صيام يوم عاشوراء بنية من النهار كان قبل فرض رمضان وقبل فرض التبييت من الليل ثم نسخ وجوب صومه برمضان وتجدد وجوب التبييت فهذه طريقة وطريقة ثانية هى طريقة أصحاب أبى حنيفة رحمه الله ان وجوب صيام يوم عاشوراء تضمن أمرين وجوب صوم ذلك اليوم واجزاء صومه بنية من النهار ثم نسخ تعيين الواجب بواجب آخر فبقى حكم الاجزاء بنية من النهار غير منسوخ وطريقة ثالثة وهى ان الواجب تابع للعلم ووجوب عاشوراء انما علم من النهار وحينئذ لم يكن التبييت ممكنا فالنية وجبت وقت تجدد الوجوب والعلم به والا كان تكليفا بما لا يطاق وهو ممتنع قالوا وعلى هذا اذا قامت البينة بالرؤية فى أثناء النهار أجزأ صومه بنية مقارنة للعلم بالوجوب وأصله صوم يوم عاشوراء وهذه طريقة شيخنا وهى كما تراها أصح الطرق وأقربها الى موافقة أصول الشرع وقواعده وعليها تدل الاحاديث ويجتمع شملها الذى يظن تفرقه ويتخلص من دعوى النسخ بغير ضرورة وغير هذه الطريقة لا بد فيه من مخالفة قاعدة من قواعد الشرع أو مخالفة بعض الآثار واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر أهل قباء باعادة الصلاة التى

(1) قوله لنفيلن رأيك أى لنقبحنه ونخطئنه كما فى القاموس

المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم قال ثم والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى الهك من دون الله فيقول نعم حتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له هذا الجعل الهك من دون الله فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده

* قال ابن اسحق وحدثني الزبير ابن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد انه حدث ان رجالا بني مخزوم مشوا الى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا منهم سلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة قال فقالوا له وخشوا شرهم انا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا فانا لا نأمن بذلك في غيره قال هذا فعليكم به فعاتبوه واياكم ونفسه فقال

ألا لا يقتلن أخي عييش
فيبقى بيننا أبدا تلاحي

احذروا على نفسه فاقسم بالله لئن قتلتموه لاقتلن أشرفكم رجلا قال فقالوا اللهم العنه من يغرر بهذا الخبيث فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلا فتركوه ونزعوا عنه قال وكان ذلك مما دفع الله به عنهم

(ذكر الهجرة الاولى الى أرض الحبشة)

بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وانه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الاسلام * وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن

صلوا بعضها الى القبلة المنسوخة اذ لم يبلغهم وجوب التحول فكذلك من لم يبلغه وجوب فرض الصوم أو لم يتمكن من العلم بسبب وجوبه لم يؤمر بالقضاء ولا يقال انه ترك التبييت الواجب اذ وجوب التبييت تابع للعلم بوجوب المبيت وهذا في غاية الظهور ولا ريب أن هذه الطريقة أصح من طريقة من يقول كان عاشوراء فرضا وكان يجزئ صيامه بنية من النهار ثم نسخ الحكم بوجوبه فنسخت متعلقاته ومن متعلقاته اجزاء صيامه بنية من النهار لان متعلقاته تابعة له واذا زال المتبوع زالت توابعه وتعلقاته فان اجزاء الصوم الواجب بنية من النهار لم يكن من تعلقات خصوص هذا اليوم بل من متعلقات الصوم الواجب والصوم الواجب لم يزل وانما زال تعيينه فنقل من محل الى محل والاجزاء بنية من النهار وعدمه من توابع أصل الصوم لا تعيينه وأصح من طريقة من يقول انه صوم يوم عاشوراء لم يكن واجبا قط لانه قد ثبت الامر به وتأكيد الامر بالنداء العام وزيادة تأكيده بالامر لمن كان أكل بالامساك وكل هذا ظاهر قوي في الوجوب ويقول ابن مسعود انه لما فرض رمضان ترك عاشوراء ومعلوم ان استحبابه لم يترك بالادلة التي تقدمت وغيرها فيتعين أن يكون المتروك وجوبه فهذه خمس طرق للناس في ذلك والله أعلم

(فصل وأما الاشكال الرابع) وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع وانه توفي قبل العام المقبل وقول ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم التاسع فان ابن عباس روى هذا وهذا وصح عنه هذا وهذا ولا تنافي بينهما اذ من الممكن أن يصوم التاسع ويخبر انه ان بقي الى العام القابل صامه أو يكون ابن عباس أخبر عن فعله مستندا الى ما عزم عليه ووعد به ويصح الاخبار عن ذلك مقيدا أي كذلك كان يفعل لو بقي ومطلقا اذا علم الحال وعلى كل واحد من الاحتمالين فلا تنافي بين الخبرين

(فصل وأما الاشكال الخامس) فقد تقدم جوابه بما فيه كفاية

(فصل وأما الاشكال السادس) وهو قول ابن عباس اعدد تسعا وأصبح يوم التاسع صائما فمن تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال وسعة علم ابن عباس فانه لم يجعل عاشوراء هو اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل أن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس كلهم يوم عاشوراء فارشد السائل الى صيام التاسع معه وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصومه كذلك فاما أن يكون فعل ذلك هو الاولى واما أن يكون حمل فعله على الامر به وعزمه عليه في المستقبل ويدل على ذلك انه هو الذي روى صوموا يوما قبله ويوما بعده وهو الذي روى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام يوم عاشوراء يوم العاشر وكل هذه الآثار عنه يصدق بعضها بعضا ويؤيد بعضها بعضا فمراتب صومه ثلاثة أكملها أن يصام قبله يوم وبعده يوم ويلي ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الاحاديث ويلي ذلك افراد العاشر وحده بالصوم وأما افراد التاسع فمن نقص فهم الآثار وعدم تتبع ألفاظها وطرقها وهو بعيد من اللغة والشرع والله الموفق للصواب وقد سلك بعض أهل العلم مسلكا آخر فقال قد ظهر ان القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة مع الاتيان بها وذلك يحصل باحد أمرين اما بنقل العاشر الى التاسع أو بصيامهما معا وقوله اذا كان العام المقبل صمنا التاسع يحتمل الامرين فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يتبين لنا مراده فكان الاحتياط صيام اليومين معا والطريقة التي ذكرناها أصوب

ان شاء الله ومجموع أحاديث ابن عباس عليها تدل لان قوله فى حديث أحمد خالفوا اليهود وصوموا يوما قبله ويوما بعده وقوله فى حديث الترمذى أمرنا بصيام عاشوراء يوم العاشر يبين صحة الطريقة التى سلكناها والله أعلم

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) افطار يوم عرفة بعرفة ثبت عنه ذلك فى الصحيحين وروى عنه انه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة رواه عنه أهل السنن وصح عنه ان صيامه يكفر السنة الماضية والباقية ذكره مسلم وقد ذكر لفطره بعرفة عدة حكم منها انه أقوى على الدعاء ومنها ان الفطر فى السفر أفضل فى فرض الصوم فكيف بنفله ومنها ان ذلك اليوم كان يوم الجمعة وقد نهى عن افراده بالصوم فاحب أن يرى الناس فطره فيه تأكيد النهيه عن تخصيصه بالصوم وان كان صومه لكونه يوم عرفة لا يوم جمعة وكان شيخنا رضى الله عنه يسلك مسلكا آخر وهو انه يوم عيد لاهل عرفة لاجتماعهم فيه كاجتماع الناس يوم العيد وهذا الاجتماع يختص بمن بعرفة دون أهل الآفاق قال وقد أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى هذا فى الحديث الذى رواه أهل السنن يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام ومعلوم أن كونه عيدا هو لاهل ذلك الجمع لاجتماعهم فيه والله أعلم

(فصل) وقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم السبت والاحد كثيرا يقصد بذلك مخالفة اليهود والنصارى كما فى المسند وسنن النسائى عن كريب مولى ابن عباس قال أرسلنى ابن عباس رضى الله عنه وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى أم سلمة أسألها أى الايام كان النبى صلى الله عليه وسلم أكثرها صياما قالت يوم السبت والاحد ويقول انهما عيد المشركين فانا أحب ان أخالفهم وفى صحة هذا الحديث نظر فانه من رواية محمد بن عمر بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد استنكر بعض حديثه وقد قال عبد الحق فى أحكامه من حديث ابن جريج عن عباس بن عبد الله ابن عباس عن عمه الفضل زار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عباسا فى بادية لنا قال اسناده ضعيف قال ابن القطان هو كما ذكر ضعيف ولا يعرف حال محمد بن عمر وذكر حديثه هذا عن أم سلمة فى صوم يوم السبت والاحد وقال سكت عنه عبد الحق مصححا له ومحمد بن عمر هذا لا يعرف حاله ويرويه عنه ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ولا يعرف أيضا حاله فالحديث أراه حسنا والله أعلم وقد روى الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن بشر السلمى عن أخته الصماء أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم وان لم يجد أحدكم الا لحاء عنب أو عود شجرة فليمضغه فاختلف الناس فى هذين الحديثين فقال مالك رحمه الله هذا كذب يريد حديث عبد الله بن بشر ذكره عنه أبو داود قال الترمذى هو حديث حسن وقال أبو داود هذا الحديث منسوخ وقال النسائى هو حديث مضطرب وقال جماعة من أهل العلم لا تعارض بينه وبين حديث أم سلمة فان النهى عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم أبو داود فقال باب النهى ان يخص يوم السبت بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده وبهذا يزول الاشكال الذى ظنه من قال ان صومه نوع تعظيم له فهو موافقة لاهل الكتاب فى تعظيمه وان تضمن مخالفتهم فى صومه فان التعظيم انما يكون اذا أفرد بالصوم ولا ريب أن الحديث لم يجئ بافراده وأما اذا صامه مع غيره لم يكن فيه تعظيم والله أعلم

(فصل ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وصيام الدهر) بل قد قال ان من صام الدهر

ثا ابت بن فهر عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو وأخى بنى عامر بن لؤى ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة (ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد (ومن بنى عبد الدار بن قصى) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار (ومن بنى زهرة بن كلاب) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث ابن زهرة (ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة) أبو سلمة بن عبد الاسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ومن بنى جمح بن عمر بن هصيص بن كعب) عثمان ابن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح (ومن بنى عدى بن كعب) عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل مع امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم ابن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب (ومن بنى عامر بن لؤى) أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر ويقال هو كان أول من قدمها (ومن بنى الحرث بن فهر) سهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحرث فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغنى (قال ابن هشام) وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر لى بعض أهل العلم * قال ابن اسحق ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بارض الحبشة فكانوا بها منهم من خرج باهله معه ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه (من بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر) جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم معه امرأته اسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن جعفر رجل (ومن

لاصام ولاأفطر وليس مراده بهذا من صام الايام المحرمة فانه ذكر ذلك جوابا لمن قال أرأيت من صام الدهر ولا يقال فى جواب من فعل المحرم لاصام ولاأفطر فان هذا يؤذن بانه سواء فطره وصومه لا يثاب عليه ولا يعاقب وليس كذلك من فعل ماحرم الله عليه من الصيام فليس هذا جوابا مطابقا للسؤال عن المحرم من الصوم وأيضا فان هذا عند من استحب صوم الدهر قد فعل مستحبا وحراما وهو عندهم قد صام بالنسبة الى أيام الاستحباب وارتكب محرما بالنسبة الى أيام التحريم وفى كل منهما لا يقال لاصام ولاأفطر فتنزيل قوله على ذلك غلط ظاهر وأيضا فان أيام التحريم مستثناة بالشرع غير قابلة للصوم شرعا فهى بمنزلة الليل شرعا وبمنزلة أيام الحيض فلم يكن الصحابة ليسألوه عن صومها وقد علموا عدم قبولها للصوم ولم يكن ليجيبهم لو لم يعلموا التحريم بقوله لاصام ولاأفطر فان هذا ليس فيه بيان للتحريم فهاية الذى لاشك فيه ان صيام يوم وفطر يوم أفضل من صوم الدهر وأحب الى الله ومسرد صيام الدهر مكروه فانه لو لم يكن مكروها لزم أحد ثلاثة أمور ممتنعة أن يكون أحب الى الله من صوم يوم وفطر يوم وأفضل منه لانه زيادة عمل وهذا مردود بالحديث الصحيح ان أحب الصيام الى الله صيام داود انه لاأفضل منه واما أن يكون مساويا له فى الفضل وهو ممتنع أيضا واما أن يكون مباحا متساوى الطرفين لا استحباب فيه ولا كراهة وهذا ممتنع اذ ليس هذا شأن العبادات بل اما أن تكون راجحة أو مرجوحة والله أعلم فان قيل فقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم من صام رمضان واتبعه ستة أيام من شوال فكأنما صام الدهر وقال فيمن صام ثلاثة أيام من كل شهر ان ذلك يعدل صوم الدهر وذلك يدل على ان صوم الدهر أفضل مما عدل به وانه أمر مطلوب وثوابه أكثر من ثواب الصائمين حتى شبه به من صام هذا الصيام قيل نفس هذا التشبيه فى الامر المقدر لا يقتضى جوازه فضلا عن استحبابه وانما يقتضى التشبيه به فى ثوابه لو كان مستحبا والدليل عليه من نفس الحديث فانه جعل صيام ثلاثة أيام من كل شهر بمنزلة صيام الدهر اذ الحسنة بعشر أمثالها وهذا يقتضى ان يحصل له ثواب من صام ثلاثمائة وستين يوما ومعلوم ان هذا حرام قطعا فعلم ان المراد به حصول هذا الثواب على تقدير شرعية صيام ثلاثمائة وستين يوما وكذلك قوله فى صيام ستة أيام من شوال انه يعدل مع صيام رمضان السنة ثم قرأ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فهذا صيام ستة وثلاثين يوما تعدل صيام ثلثمائة وستين يوما وهو غير جائز بالاتفاق بل قد يجىء مثل هذا فيما يمتنع فعل المشبه به عادة بل يستحيل وانما شبه به من فعل ذلك على تقدير امكانه كقوله لمن سأله عن عمل يعدل الجهاد هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تقوم ولا تفتر وان تصوم ولا تفطر ومعلوم ان هذا ممتنع عادة كامتناع صوم ثلثمائة وستين يوما شرعا وقد شبه العمل الفاضل بكل منهما يزيده وضوحا ان أحب القيام الى الله قيام داود وهو أفضل من قيام الليل كله بصريح السنة الصحيحة وقد مثل من صلى العشاء الآخرة والصبح فى جماعة بمن قام الليل كله فان قيل فما تقولون فى حديث أبى موسى الاشعرى من صام الدهر ضيقت عليه جهنم حتى تكون هكذا وقبض كفه وهو فى مسند أحمد قيل قد اختلف فى معنى هذا الحديث فقيل ضيقت عليه حصرا له فيها لتشديده على نفسه وحمله عليها ورغبته عن هدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتقاده أن غيره أفضل منه وقال آخرون بل ضيقت عليه فلا يبقى له فيها موضع ورجحت هذه الطائفة هذا التأويل بان الصائم لما ضيق على نفسه مسالك الشهوات وطرقها بالصوم ضيق الله عليه النار فلا يبقى له فيها مكان لانه ضيق طرقها عنه ورجحت

بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف) عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرق بن شق بن رقبة بن مخدج الكنانى * وأخوه خالد ابن سعيد بن العاص بن أمية معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة (قال ابن هشام) ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق ولدت له بارض الحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد وتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير (ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة) عبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عبيد الله بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب بن أمية * وقيس بن عبد الله رجل من بنى أسد بن خزيمة معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية * ومعيقيب بن أبى فاطمة وهؤلاء آل سعيد بن العاص سبعة نفر (قال ابن هشام) معيقيب من دوس * قال ابن اسحق ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف * أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس * وأبو موسى الاشعرى واسمه عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة رجلان (ومن بنى نوفل بن عبد مناف) عتبة بن غزوان ابن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان حليف لهم رجل (ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * والاسود بن نوفل بن خويلد ابن أسد * ويزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد * وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد أربعة نفر (ومن بنى عبد بن قصى) طليب بن عمير ابن وهب بن أبى كثير بن عبد رجل (ومن بنى عبد الدار بن قصى) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار * وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته

الطائفة

الطائفة الاولى تأو يلها بان قالت لو أراد هذا المعنى لقال ضيقت عنه وأما التضيق عليه فلا يكون الا وهو فيها قالوا وهذا التأويل موافق أحاديث كراهة صوم الدهر وان فاعله بمنزلة من لم يصم والله أعلم

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يدخل على أهله فيقول هل عندكم شئ فان قالوا لا قال انى اذا صائم فينشئ النية للتطوع من النهار وكان احيانا ينوى صوم التطوع ثم يفطر بعد أخبرت عنه عائشة رضى الله عنها بهذا وهذا فالاول فى صحيح مسلم والثانى فى كتاب النسائى وأما الحديث الذى فى السنن عن عائشة كنت أنا وحفصة صائمتين فعرض لنا طعام اشتهيناه فأكلنا منه فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبدرتنى اليه حفصة وكانت ابنة أبيها فقالت يارسول الله انا كنا صائمتين فعرض لنا طعام اشتهيناه فأكلنا منه فقال اقضيا يوما مكانه فهو حديث معلول قال الترمذى رواه مالك بن أنس ومعمر وعبيد الله بن عمر وزياد بن سعد وغير واحد من الحفاظ عن الزهرى عن عائشة مرسلا لم يذكروا فيه عن عروة وهذا أصح ورواه أبو داود والنسائى عن شريك عن زميل مولى عروة عن عروة عن عائشة موصولا قال النسائى زميل ليس بالمشهور وقال البخارى لا يعرف لزميل سماع من عروة ولا لشريك من زميل ولا تقوم به الحجة وكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان صائما ونزل على قوم أتم صيامه ولم يفطر كما دخل على أم سليم فأتته بتمر وسمن فقال أعيدوا سمنكم فى سقائه وتمركم فى وعائه فانى صائم ولكن أم سليم كانت عنده بمنزلة أهل بيته وقد ثبت عنه فى الصحيح اذا دعى أحدكم الى طعام وهو صائم فليقل انى صائم وأما الحديث الذى رواه ابن ماجه والترمذى والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها ترفعه من نزل على قوم فلا يصوم من تطوعا الا باذنهم فقال الترمذى هذا الحديث منكر لا نعرف أحدا من الثقات روى هذا الحديث عن هشام بن عروة

(فصل) وكان من هديه صلى الله عليه وسلم كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم فعلا منه وقولا فصح النهى عن افراده بالصوم من حديث جابر بن عبد الله وأبى هريرة وجويرية بنت الحرث وعبد الله بن مسعود وجنادة الازدى وغيرهم وشرب يوم الجمعة وهو على المنبر يريهم انه لا يصوم يوم الجمعة ذكره الامام أحمد وعلل المنع من صومه بانه يوم عيد فروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصوموا قبله أو بعده فان قيل فيوم العيد لا يصام مع ما قبله ولا بعده قيل لما كان يوم الجمعة مشبها بالعيد أخذ من شبهه النهى عن تحرى صيامه فاذا صام ما قبله أو ما بعده لم يكن قد تحراه وكان حكمه حكم صوم الشهر أو العشر منه أو صوم يوم وفطر يوم أو صوم يوم عرفة وعاشوراء اذا وافق يوم جمعة فانه لا يكره صومه فى شئ من ذلك فان قيل فما تصنعون بحديث عبد الله بن مسعود قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفطر فى يوم الجمعة رواه أهل السنن قيل نقبله ان كان صحيحا ويتعين حمله على صومه مع ما قبله أو بعده ونرده ان لم يصح فانه من الغرائب قال الترمذى هذا حديث غريب

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الاعتكاف) لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره الى الله تعالى متوقفا على جمعيته على الله ولم شعثه باقباله بالكلية على الله تعالى فان شعث القلب لا يلمه الا الاقبال على الله تعالى وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الانام وفضول الكلام وفضول المنام مما يزيده شعثا ويشتته فى كل واد ويقطعه عن سيره الى الله تعالى أو يضعفه أو يعوقه

أم حرملة بنت عبد الاسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة * وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم * وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار خمسة نفر (ومن بنى زهرة بن كلاب) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث ابن زهرة * وعامر بن أبى وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة * والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد ابن سعد بن سهم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن المطلب (ومن حلفائهم من هذيل) * عبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل * وأخوه عتبة بن مسعود (ومن بهراء) المقداد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير ابن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد ابن هزل بن فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة (قال ابن هشام) ويقال هزل بن فاس بن ذر ودهير بن ثور * قال ابن اسحق وكان يقال له المقداد بن الاسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة وذلك انه كان تبناه فى الجاهلية وحالفه ستة نفر (ومن بنى تيم بن مرة) الحرث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم معه امرأته ريطة بنت الحرث بن جبيلة ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ولدت له بارض الحبشة موسى بن الحرث وعائشة بنت الحرث وزينب بنت الحرث وفاطمة بنت الحرث * وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم رجلان (ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة) أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ولدت له بارض الحبشة زينب بنت أبى سلمة واسم أبى سلمة عبد الله واسم أم سلمة هند * وشماس بن عثمان بن عبد بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم (قال ابن هشام) اسم شماس عثمان

ويوقفه اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده ان شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره الى الله تعالى وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليه بدلها ويصير الهم به كله والخطرات كلها بذكره والفكرة في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير أنسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق فيعده بذلك لانسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه فهذا مقصود الاعتكاف الاعظم ولما كان هذا المقصود انما يتم مع الصوم شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم وهو العشر الاخير من رمضان ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اعتكف مفطرا قط بل قد قالت عائشة لا اعتكاف الا بصوم ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف الا مع الصوم ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا مع الصوم فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف ان الصوم شرط في الاعتكاف وهو الذي كان يرجحه شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية وأما الكلام فانه شرع للامة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة وأما فضول المنام فانه شرع لهم من قيام الليل ما هو من أفضل السهر وأحمده عاقبة وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن ولا يعوق عن مصلحة العبد ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الاركان الاربعة وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي ولم ينحرف انحراف الغالين ولا قصر تقصير المفرطين وقد ذكرنا هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صيامه وقيامه وكلامه فلنذكر هديه في اعتكافه كان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل وتركه مرة فقضاه في شوال واعتكف مرة في العشر الاول ثم الاوسط ثم العشرة الاخيرة يلتمس ليلة القدر ثم تبين له انها في العشر الاخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل وكان اذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله فأمر به مرة فضرب فأمر أزواجه بأخبيتهن فضربت فلما صلى الفجر نظر فرأى تلك الاخبية فأمر بخبائه فقوض وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف في العشر الاول من شوال وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام فلما كان في العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما وكان يعارضه جبريل بالقرآن كل سنة مرة فلما كان ذلك العام عارضه به مرتين وكان يعرض عليه القرآن أيضا في كل سنة مرة فعرض عليه تلك السنة مرتين وكان اذا اعتكف دخل قبته وحده وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه الا لحاجة الانسان وكان يخرج رأسه من المسجد الى بيت عائشة فترجله وتغسله وهو في المسجد وهي حائض وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف فاذا قامت تذهب قام معها يقلبها وكان ليلا ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا غيرها وكان اذا اعتكف طرح له فراشه ووضع له سريره في معتكفه وكان اذا خرج لحاجته مر بالمريض وهو على طريقه فلا يعرج له ولا يسأل عنه واعتكف مرة في قبة تركية وجعل على سدتها حصيرا كل هذا تحصيلا لمقصود الاعتكاف وروحه عكس ما يفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عشرة ومجلبة للزائرين وأخذهم بأطراف الاحاديث بينهم فهذا لون والاعتكاف النبوي لون والله الموفق

(فصل

وانما سمي شماسا لان شماسا من (١) الشمامسة قدم مكة في الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان [illegible] شماس فانا آتيكم بشماس أحسن منه فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان فسمي شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره * قال ابن اسحق وهبار بن سفيان بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وأخوه عبد الله بن سفيان * وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ومن حلفائهم) معتب بن عوف ابن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب ابن عمرو من خزاعة وهو الذي يقال له عيهامة ثمانية نفر (قال ابن هشام) ويقال حبشية بن سلول وهو الذي يقال له معتب بن حمراء (ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب ابن عثمان * وأخواه قدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وابناه محمد بن حاطب والحرث بن حاطب وهما لبنت المجلل * وأخوه خطاب بن الحرث معه امرأته فكيهة ابنة يسار * وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح معه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ومعه امرأته حسنة وهي أمهما * وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة أحد الغوث (قال ابن هشام) شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث ابن مر أخي تميم بن مر * قال ابن اسحق وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح أحد عشر رجلا (ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب) خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وعبد الله بن الحرث بن قيس بن عدي

(١) الشمامسة هم الرهبان لانهم يشمسون أنفسهم يريدون تعذيب النفوس بذلك كذا بهامش

(فصل) فى هديه صلى الله عليه وسلم فى عمره اعتمر صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة أربع عمر كلهن فى ذى القعدة الاولى عمرة الحديبية وهى أولاهن سنة ست فصده المشركون عن البيت فنحر البدن حيث صد بالحديبية وحلق هو وأصحابه رؤسهم وحلوا من احرامهم ورجع من عامه الى المدينة الثانية عمرة القضية فى العام المقبل دخلها فاقام بها ثلاثا ثم خرج بعد اكمال عمرته واختلف هل كانت قضاء للعمرة التى صد عنها فى العام الماضى أم عمرة مستأنفة على قولين للعلماء وهما روايتان عن الامام أحمد أحدهما انها قضاء وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله والثانى ليست بقضاء وهو قول مالك رحمه الله والذين قالوا كانت قضاء احتجوا بانها سميت عمرة القضاء وهذا الاسم تابع للحكم قال آخرون القضاء هنا من المقاضاة لانه قاضى أهل مكة عليها لا انه من قضى يقضى قضاء قالوا ولهذا سميت عمرة القضية قالوا والذين صدوا عن البيت كانوا ألفا وأربعمائة وهؤلاء كلهم لم يكونوا معه فى عمرة القضية ولو كانت قضاء لم يتخلف منهم أحد وهذا القول أصح لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر من كان معه بالقضاء الثالثة عمرته التى قرنها مع حجته فانه كان قارنا لبضعة عشر دليلا سنذكرها عن قريب ان شاء الله الرابعة عمرته من الجعرانة لما خرج الى حنين ثم رجع الى مكة فاعتمر من الجعرانة داخلا اليها ففى الصحيحين عن أنس بن مالك قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع عمر كلهن فى ذى القعدة الا التى كانت مع حجته عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية فى ذى القعدة وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة وعمرة مع حجته ولم يناقض هذا ما فى الصحيحين عن البراء بن عازب قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذى القعدة قبل ان يحج مرتين لانه أراد العمرة المفردة المستقلة التى تمت ولا ريب انهما ثنتان فان عمرة القران لم تكن مستقلة وعمرة الحديبية صد عنها وحيل بينه وبين اتمامها ولذلك قال ابن عباس اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضاء من قابل والثالثة من الجعرانة والرابعة مع حجته ذكره الامام أحمد ولا تناقض بين حديث أنس انهن فى ذى القعدة الا التى مع حجته وبين قول عائشة وابن عباس لم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا فى ذى القعدة لان مبدأ عمرة القران كان فى ذى القعدة ونهايتها كان فى ذى الحجة مع انقضاء الحج فعائشة وابن عباس أخبرا عن ابتدائها وأنس أخبر عن انقضائها فاما قول عبد الله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر أربعا احداهن فى رجب فوهم منه رضى الله عنه قالت عائشة لما بلغها ذلك عنه يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرة قط الا وهو شاهد وما اعتمر فى رجب قط وأما ما رواه الدارقطنى عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عمرة فى رمضان فافطر وصمت وقصر وأتممت فقلت بابى وأمى أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال أحسنت يا عائشة فهذا الحديث غلط فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعتمر فى رمضان قط وعمره مضبوطة العدد والزمان ونحن نقول يرحم الله أم المؤمنين ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى رمضان قط وقد قالت عائشة رضى الله عنها لم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا فى ذى القعدة رواه ابن ماجه وغيره ولا خلاف ان عمره لم تزد على أربع فلو كان قد اعتمر فى رجب لكانت خمسا ولو كان قد اعتمر فى رمضان لكانت ستا الا ان يقال بعضهن فى رجب وبعضهن فى رمضان وبعضهن فى ذى القعدة وهذا لم يقع وانما الواقع اعتماره فى ذى القعدة كما قال أنس رضى الله عنه

...سعيد بن سهم * وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم (قال ابن هشام) العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم * قال ابن إسحق وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * والحرث بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وبشر ابن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو * وسعيد بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * والسائب ابن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم * ومحمية بن الجزء حليف لهم من بنى زبيد أربعة عشر رجلا (ومن بنى عدى بن كعب) معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج ابن عدى * وعروة بن عبد العزى ابن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وعدى بن نضلة ابن عبد العزى بن حرثان بن عوف ابن عبيد بن عويج بن عدى * وابنه النعمان بن عدى * وعامر ابن ربيعة حليف لآل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم خمسة نفر (ومن بنى عامر بن لؤى) أبو سبرة ابن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وعبد الله ابن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر * وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر * وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وأخوه السكران بن عمرو ومعه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن

وابن عباس رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وقد روى أبو داود في سننه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر في شوال وهذا ان كان محفوظا فلعله في عمرة الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما أحرم بها في ذي القعدة

(فصل) ولم يكن في عمره عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعل كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة وقد أقام بعد الوحي بمكة ثلاثة عشر سنة لم ينقل عنه انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة أصلا فالعمرة التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرعها فهي عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده أحد قط الا عائشة وحدها من بين سائر من كان معه لانها كانت قد أهلت بالعمرة فحاضت فامرها فادخلت الحج على العمرة وصارت قارنة وأخبرها ان طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجتها وعمرتها فوجدت في نفسها ان ترجع صواحباتها بحج وعمرة مستقلين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها فامر أخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ولم يعتمر هو من التنعيم في تلك الحجة ولا أحد ممن كان معه وسيأتي مزيد تقرير لهذا وبسط له عن قريب ان شاء الله تعالى

(فصل) دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة بعد الهجرة خمس مرات سوى المرة الاولى فانه وصل الى الحديبية وصد عن الدخول اليها أحرم في أربع منهن من الميقات لا قبله فاحرم عام الحديبية من ذي الحليفة ثم دخلها المرة الثانية فقضى عمرته وأقام بها ثلاثا ثم خرج ثم دخلها المرة الثالثة عام الفتح في رمضان بغير احرام ثم خرج منها الى حنين ثم دخلها بعمرة من الجعرانة ودخلها في هذه العمرة ليلا وخرج ليلا فلم يخرج من مكة الى الجعرانة ليعتمر كما يفعل أهل مكة اليوم وانما أحرم منها في حال دخوله الى مكة ولما قضى عمرته ليلا رجع من فوره الى الجعرانة فبات بها فلما أصبح وزالت الشمس خرج من بطن سرف حتى جامع الطريق ولهذا خفيت هذه العمرة على كثير من الناس والمقصود ان عمره كلها كانت في أشهر الحج مخالفة لهدي المشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة في أشهر الحج ويقولون هي من أفجر الفجور وهذا دليل على ان الاعتمار في أشهر الحج أفضل منه في رجب بلا شك وأما التفضيل بينه وبين الاعتمار في رمضان فموضع نظر فقد صح عنه انه امر أم معقل لما فاتها الحج معه ان تعتمر في رمضان وأخبرها ان عمرة في رمضان تعدل حجة وأيضا فقد اجتمع في عمرة رمضان أفضل الزمان وأفضل البقاع ولكن لم يكن الله ليختار لنبيه صلى الله عليه وسلم في عمره الا أولى الاوقات وأحقها بها فكانت العمرة في أشهر الحج نظير وقوع الحج في أشهره وهذه الاشهر قد خصها الله تعالى بهذه العبادة وجعلها وقتا لها والعمرة حج أصغر فاولى الازمنة بها أشهر الحج وذو القعدة أوسطها وهذا مما نستخير الله فيه فمن كان عنده فضل علم فليرشد اليه وقد يقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يشتغل في رمضان من العبادات بما هو أهم من العمرة ولم يكن يمكنه الجمع بين تلك العبادات وبين العمرة فاخر العمرة الى أشهر الحج ووفر نفسه على تلك العبادات في رمضان مع ما في ترك ذلك من الرحمة بامته والرأفة بهم فانه لو اعتمر في رمضان لبادرت الامة الى ذلك وكان يشق عليها الجمع بين العمرة والصوم وربما لا تسمح أكثر النفوس بالفطر في هذه العبادة حرصا على تحصيل العمرة وصوم رمضان فتحصل المشقة فأخرها الى أشهر الحج وقد كان يترك كثيرا من العمل وهو يحب أن يعمله خشية المشقة عليهم ولما دخل البيت خرج منه حزينا فقالت له عائشة

نصر بن مالك بن حسل بن عامر ومعه امرأته عمرة بنت السعدي بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وا
حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسعد بن خولة حليف لهم ثمانية نفر (قال ابن هشام) سعد
ابن خولة من اليمن * قال ابن اسحق (ومن بني الحرث بن فهر) * أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبدالله بن الجرا
ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وسهيل ابن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحرث ولكن أمه غلبت على نسبه فهو ينسب اليها وهي دعد بنت جحدم ابن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهر وكانت تدعى بيضاء * وعمرو ابن أبي سرح بن ربيعة بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحرث * وعياض بن زهير بن أبي شداد ابن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث ويقال بل ربيعة ابن هلال بن مالك بن ضبة * وعمرو ابن الحرث بن زهير بن أبي شداد ابن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحرث * وعمرو بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحرث * وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب ابن الحرث * والحرث بن عبد قيس بن فهر بن لقيط بن عامر ابن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهر ثمانية نفر * فكان جميع من لحق بارض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه فكان مما قيل من الشعر في الحبشة ان عبدالله بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم حين أمنوا بارض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به فقال

يا راكبا بلغا عني مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز * ي في الممات وعيب غير مأمون

لما تبعنا رسول الله واطرحوا * قول النبي وعالوا فى الموازين فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا * وعاذ بك ان يغلوا فيطغونى
وقال عبد الله بن الحرث أيضا يذكر نفى قريش اياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه فى ذلك أبت كبدى لا أكذبنك قتالهم
علىّ وتأباه علىّ أناملى * وكيف قتالى معشرا أدبوكم على الحق أن لا تأشبوه بباطل
نفتهم عباد الجن من حر أرضهم
فاضحوا على أمر شديد البلابل
فان تك كانت فى عدى امانة
عدى بن سعد عن تقى أو تواصل
فقد كنت أرجو ان ذلك فيكم
بحمد الذى لا يطبى بالجعائل
وبدلت شبلا شبل كل خبيثة
بذى فجر مأوى الضعاف الارامل
وقال عبد الله بن الحرث أيضا
تلك قريش تجحد الله حقه
كما جحدت عاد ومدين والحجر
فان انا لم أبرق فلا يسعننى
من الارض برذو فضاء ولا بحر
بارض بها عبد الاله محمد
أبين ما فى النفس اذ بلغ (١) النقر
فسمى عبد الله بن الحرث رحمه الله
ببيته الذى قال المبرق * وقال
عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن
خلف بن وهب بن حذافة بن جمح
وهو ابن عمه وكان يؤذيه فى اسلامه
وكان أمية شريفا فى قومه فى زمانه
ذلك
أتيم بن عمرو للذى جاء بغضه
ومن دونه (٢) الشرمان والبرك اكتع
أأخرجتنى من بطن مكة آمنا
وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها
وتبرى نبالا ريشها لك اجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة
وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم ان نابتك يوما ملمة
وأسلمك الاوباش ما كنت تصنع
وتيم بن عمرو والذى كان يدعى
عثمان بن جمح كان اسمه تيما
* قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بارض الحبشة وانهم قد أصابوا بها دارا وقرارا
ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين الى النجاشى فيردهم عليهم ليفتنوهم فى دينهم ويخرجوهم من دارهم التى

في ذلك فقال انى أخاف أن أكون قد شققت على أمتى وهم أن ينزل يستسقى مع سقاة زمزم للحاج فخاف أن يغلب أهلها على سقايتهم بعده والله أعلم

(فصل ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم) أنه اعتمر فى السنة الا مرة واحدة ولم يعتمر فى سنة مرتين وقد ظن بعض الناس أنه اعتمر فى سنة مرتين واحتج بما رواه أبو داود فى سننه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر عمرتين عمرة فى ذى القعدة وعمرة فى شوال قالوا وليس المراد بها ذكر مجموع ما اعتمره فان أنسا وعائشة وابن عباس وغيرهم قد قالوا انه اعتمر أربع عمر فعلم أن مرادها أنه اعتمر فى سنة مرتين مرة فى ذى القعدة ومرة فى شوال وهذا الحديث وهم وان كان محفوظا عنها فان هذا لم يقع قط فانه اعتمر أربع عمر بلا ريب العمرة الاولى كانت فى ذى القعدة عمرة الحديبية ثم لم يعتمر الى العام القابل عمرة القضية فى ذى القعدة ثم رجع الى المدينة ولم يخرج الى مكة حتى فتحها سنة ثمان فى رمضان ولم يعتمر ذلك العام ثم خرج الى حنين وهزم الله أعداءه فرجع الى مكة وأحرم بعمرة وكان ذلك فى ذى القعدة كما قال أنس وابن عباس فمتى اعتمر فى شوال ولكن لقى العدو فى شوال وخرج فيه من مكة وقضى عمرته لما فرغ من أمر العدو فى ذى القعدة ليلا ولم يجمع ذلك العام بين عمرتين ولا قبله ولا بعده ومن له عناية بأيامه وسيرته وأحواله لا يشك ولا يرتاب فى ذلك فان قيل فبأى شئ يستحبون العمرة فى السنة مرارا اذا لم يثبتوا ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قيل قد اختلف فى هذه المسألة فقال مالك أكره أن يعتمر فى السنة أكثر من عمرة واحدة وخالفه مطرف من أصحابه وابن المواز قال مطرف لا بأس بالعمرة فى السنة مرارا وقال ابن المواز أرجو ان لا يكون به بأس وقد اعتمرت عائشة مرتين فى شهر ولا أدرى أن يمنع أحد من التقرب الى الله بشئ من الطاعات ولا من الازدياد من الخير فى موضع ولم يأت بالمنع منه نص وهذا قول الجمهور الا ان أبا حنيفة رحمه الله تعالى استثنى خمسة أيام لا يعتمر فيها يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق واستثنى أبو يوسف رحمه الله تعالى يوم النحر وأيام التشريق خاصة واستثنت الشافعية البائت بمنى لرمى أيام التشريق واعتمرت عائشة فى سنة مرتين فقيل للقاسم لم ينكر عليها أحد فقال أعلى أم المؤمنين وكان أنس اذا حمم رأسه خرج فاعتمر ويذكر عن على رضى الله عنه أنه كان يعتمر فى السنة مرارا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ويكفى فى هذا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اعمر عائشة من التنعيم سوى عمرتها التى كانت أهلت بها وذلك فى عام واحد ولا يقال عائشة كانت قد رفضت العمرة فهذه التى أهلت بها من التنعيم قضاء عنها لان العمرة لا يصح رفضها وقد قال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسعك طوافك لحجك وعمرتك وفى لفظ حللت منهما جميعا فان قيل فقد ثبت فى صحيح البخارى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لها ارفضى عمرتك وانقضى رأسك وامتشطى وفى لفظ آخر انقضى رأسك وامتشطى وفى لفظ أهلى بالحج ودعى العمرة فهذا صريح فى رفضها من وجهين * أحدهما قوله ارفضيها ودعيها * والثانى أمره لها بالامتشاط قيل معنى قوله ارفضيها اتركى أفعالها والاقتصار عليها وكونى فى حجة معها ويتعين أن يكون هذا المراد بقوله حللت منهما جميعا لما قضت أعمال الحج وقوله يسعك طوافك لحجك وعمرتك فهذا صريح ان احرام العمرة لم يرتفض وانما رفضت أعمالها والاقتصار عليها وانها بانقضاء حجها انقضى حجها وعمرتها ثم أعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها اذ تأتى بعمرة مستقلة كصواحباتها ويوضح ذلك ايضاحا بينا ما روى مسلم فى صحيحه من حديث الزهرى عن عروة عنها

(١) قوله النقر أى البحث عن الشئ (٢) قوله الشرمان تثنية شرم وهو البحر أى المالح والعذب

الأحمار بها وأمنوا بها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما اليه فيهم
فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا بهما فيه أبياتا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر * وعمرو وأعداء العدو الاقارب فهل نال أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بان الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب

وانك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الاعادي نفعها والاقارب

* قال ابن اسحق قال حدثني محمد ابن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص فأمروهما بأمرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشي هداياه ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم انه قد (١) ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم

قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع فحضت فلم أزل حائضا حتى كان يوم عرفة ولم أهل الا بعمرة فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن انقض رأسي وامتشط وأهل بالحج واترك العمرة قالت ففعلت ذلك حتى اذا قضيت حجي بعث معي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الرحمن بن أبي بكر وأمرني أن اعتمر من التنعيم مكان عمرتي التي أدركني الحج ولم أحلل منها فهذا حديث في غاية الصحة والصراحة انها لم تكن أحلت من عمرتها وانها بقيت محرمة بها حتى أدخلت عليها الحج فهذا أخبرها عن نفسها وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها كل منهما وافق الآخر وبالله التوفيق وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة دليل على التفريق بين الحج والعمرة في التكرار وتنبيه على ذلك اذ لو كانت العمرة كالحج لا تفعل في السنة الا مرة لسوى بينهما ولم يفرقا وروى الشافعي رحمه الله عن علي رضي الله عنه أنه قال اعتمر في كل شهر مرة وروى وكيع عن اسرائيل عن سويد بن أبي ناجية عن أبي جعفر قال قال علي رضي الله عنه اعتمر في الشهر ان أطقت مرارا وذكر سعيد بن منصور عن سفيان بن أبي حسين عن بعض ولد انس أن أنسا كان اذا كان بمكة فحمم رأسه خرج الى التنعيم واعتمر

(فصل) في سياق هديه صلى الله عليه وآله وسلم في حجته لاخلاف أنه لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهي حجة الوداع ولاخلاف انها كانت سنة عشر واختلف هل حج قبل الهجرة فروى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث سفيان قال وسألت محمدا يعني البخاري عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري وفي رواية لا يعد هذا الحديث محفوظا ولما نزل فرض الحج بادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الحج من غير تأخير فان فرض الحج تأخر الى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله فانها وان نزلت سنة ست عام الحديبية فليس فيها فرضية الحج وانما فيها الامر باتمامه واتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء فان قيل فمن أين لكم تأخير نزول فرضه الى التاسعة أو العاشرة قيل لان صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية انما نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر أهل الكتاب ودعاهم الى التوحيد والمباهلة ويدل عليه ان أهل مكة وجدوا في نفوسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فأعاضهم الله تعالى من ذلك بالجزية ونزول هذه الآيات والمناداة بها انما كان في سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك في مكة في مواسم الحج وأردفه بعلي رضي الله عنه وهذا الذي ذكرناه قد قاله غير واحد من السلف والله أعلم

(فصل ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم) على الحج أعلم الناس أنه حاج فتجهزوا للخروج معه وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذي القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعا وخطبهم قبل ذلك خطبة

(١) قوله ضوى أي أوى

اليناولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا ايهما نعم ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشي فقبلهما منهما ثم كلماه فقالا
له أيها الملك انه قد ضوى الى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا
اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شئ أبغض الى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي قالت فقالت بطارقته حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم قالت فغضب النجاشي ثم قال لاها الله اذا لا أسلمهم اليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني قالت ثم أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن فلما جاؤا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على
ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كان نعبد نحن وآباؤنا من دونه
من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول
الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيأ وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قالت فعدد عليه أمور

خطبة علمهم فيها الاحرام وواجباته وسننه قال ابن حزم وكان خروجه يوم الخميس * قلت والظاهر أن خروجه كان يوم السبت واحتج ابن حزم على قوله بثلاث مقدمات * أحداها أن خروجه كان لست بقين من ذي القعدة * والثانية أن استهلال ذي الحجة كان يوم الخميس * والثالثة أن يوم عرفة كان يوم الجمعة واحتج على ان خروجه كان لست بقين من ذي القعدة بما روى البخاري من حديث ابن عباس انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة بعدما ترجل وادهن فذكر الحديث وقال وذلك لخمس بقين من ذي القعدة قال ابن حزم وقد نص ابن عمر على أن يوم عرفة كان يوم الجمعة وهو التاسع واستهلال ذي الحجة بلا شك ليلة الخميس فآخر ذي القعدة يوم الاربعاء فاذا كان خروجه لست ليال بقين من ذي القعدة كان يوم الخميس اذ الباقي بعده ست ليال سواه ووجه ما اخترناه أن الحديث صريح في أنه خرج لخمس بقين وهي يوم السبت والاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء فهذه خمس وعلى قوله يكون خروجه لسبع بقين فان لم يعد يوم الخروج كان لست وأيهما كان فهو خلاف الحديث وان اعتبر الليالي كان خروجه لست ليال بقين لا لخمس فلا يصح الجمع بين خروجه يوم الخميس وبين بقاء خمس من الشهر ألبتة بخلاف ما اذا كان الخروج يوم السبت كان الباقي بيوم الخروج خمس بلا شك ويدل عليه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لهم في خطبته شأن الاحرام وما يلبس المحرم بالمدينة على منبره والظاهر ان هذا كان يوم الجمعة لانه لم ينقل أنه جمعهم ونادى فيهم لحضور الخطبة وقد شهد ابن عمر رضي الله عنهما هذه الخطبة بالمدينة على منبره وكان عادته صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلمهم في كل وقت ما يحتاجون اليه اذا حضر فعله فأولى الاوقات به الجمعة التي تلي خروجه والظاهر انه لم يكن ليدع الجمعة وبينه وبينها بعض يوم من غير ضرورة وقد اجتمع اليه الخلق وهو أحرص الناس على تعليمهم الدين وقد حضر ذلك الجمع العظيم والجمع بينه وبين الحج ممكن لا تفويت والله أعلم ولما علم أبو محمد بن حزم أن قول ابن عباس رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها خرج لخمس بقين من ذي القعدة لا يلتئم على قوله أوله بأن قال معناه ان اندفاعه من ذي الحليفة كان لخمس قال وليس بين ذي الحليفة وبين المدينة الا أربعة أميال فقط فلم تعد هذه المرحلة القريبة لقلتها وبهذا تأتلف جميع الاحاديث قال ولو كان خروجه من المدينة لخمس بقين لذي القعدة لكان خروجه بلا شك يوم الجمعة وهذا خطأ لان الجمعة لا تصلى أربعا وقد ذكر أنس أنهم صلوا الظهر معه بالمدينة أربعا قال ويزيده وضوحا ثم ساق من طريق البخاري حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج في سفر اذا خرج الا يوم الخميس وفي لفظ آخر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب أن يخرج يوم الخميس فبطل خروجه يوم الجمعة لما ذكرنا عن أنس وبطل خروجه يوم السبت لانه حينئذ يكون خارجا من المدينة لاربع بقين من ذي القعدة وهذا ما لم يقله أحد قال وأيضا قد صح مبيته بذي الحليفة الليلة المستقبلة من يوم خروجه من المدينة فكان يكون اندفاعه من ذي الحليفة يوم الاحد يعني لو كان خروجه يوم السبت وصح مبيته بذي طوى ليلة دخوله مكة وصح عنه انه دخلها صبح رابعة من ذي الحجة فعلى هذا يكون مدة سفره من المدينة الى مكة سبعة أيام لانه كان يكون خارجا من المدينة لو كان ذلك لاربع بقين لذي القعدة واستوى على مكة لثلاث خلون لذي الحجة وفي استقبال الليلة الرابعة فتلك سبع ليال لا مزيد وهذا خطأ باجماع وأمر لم يقله أحد فصح أن خروجه كان لست بقين لذي القعدة وتأتلف الروايات كلها وانتفى التعارض عنها بحمد الله انتهى * قلت هي متآلفة متوافقة

الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيأ وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك

ايها الملك قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شئ قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه على قالت فقرأ عليه صدرا من كهيعص قالت فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ولا يكادون قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم قالت فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا نفعل فان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد قالت ثم غدا عليه الغد فقال أيها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه قالت فارسل اليهم ليسألهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها قط فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ماذا تقولون في عيسى بن مريم قالت فقال جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله

وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشي بيده الى الارض واخذ منها عودا ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال وان نخرتم والله اذهبوا فأنتم شيوم بارضي والشيوم الآمنون من سبكم غرم ثم قال من سبكم غرم ثم قال من سبكم غرم ما أحب ان لي دبرا من ذهب (قال ابن هشام) ويقال دبرا

في

والتعارض منتف عنها مع خروجه يوم السبت ويزول عنها الاستكراه الذي أولها عليه كما ذكرناه *وأما قول أبي محمد بن حزم لو كان خروجه من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة لكان خروجه يوم الجمعة الى آخره فغير لازم بل يصح أن يخرج لخمس ويكون خروجه يوم السبت والذي غر أبا محمد انه رأى الراوي قد حذف التاء من العدد وهي انما تحذف مع المؤنث ففهم لخمس ليال بقين وهذا انما يكون اذا كان الخروج يوم الجمعة فلو كان يوم السبت لكان لاربع ليال بقين وهذا بعينه ينقلب عليه فانه لو كان خروجه يوم الخميس لم يكن لخمس ليال بقين وانما يكون لست ليال بقين ولهذا اضطر الى أن يؤول الخروج المقيد بالتاريخ المذكور بخمس على الاندفاع من ذي الحليفة ولا ضرورة له الى ذلك اذ من الممكن أن يكون شهر ذي القعدة كان ناقصا فوقع الاخبار عن تاريخ الخروج بخمس بقين منه بناء على المعتاد من الشهر وهذه عادة العرب والناس في تواريخهم أن يؤرخوا بما بقي من الشهر بناء على كماله ثم يقع الاخبار عنه بعد انقضائه وظهور نقصه كذلك لئلا يختلف عليهم التاريخ فيصح أن يقول القائل يوم الخامس والعشرين كتب لخمس بقين ويكون الشهر تسعا وعشرين وأيضا فان الباقي كان خمسة أيام لا شك بيوم الخروج والعرب اذا اجتمعت الليالي والايام في التاريخ غلبت لفظ الليالي لانها أول الشهر وهي أسبق من اليوم فتذكر الليالي ومرادها الايام فيصح أن يقال لخمس بقين باعتبار الايام ويذكر لفظ العدد باعتبار الليالي فصح حينئذ أن يكون خروجه لخمس بقين ولا يكون يوم الجمعة وأما حديث كعب فليس فيه انه لم يكن يخرج قط الا يوم الخميس وانما فيه ان ذلك كان أكثر خروجه ولا ريب انه لم يكن يتقيد في خروجه الى الغزوات بيوم الخميس *وأما قوله لو خرج يوم السبت لكان خارجا لاربع فقد تبين أنه لا يلزم لا باعتبار الليالي ولا باعتبار الايام *وأما قوله ان بات بذي الحليفة الليلة المستقبلة من يوم خروجه من المدينة الى آخره فانه يلزم من خروجه يوم السبت أن تكون مدة سفره سبعة أيام فهذا عجيب منه فانه اذا خرج يوم السبت وقد بقي من الشهر خمسة أيام ودخل مكة لاربع مضين من ذي الحجة فبين خروجه من المدينة ودخوله مكة تسعة أيام وهذا غير مشكل بوجه من الوجوه فان الطريق التي سلكها الى مكة بين المدينة وبينها هذا المقدار وسير العرب أسرع من سير الحضر بكثير ولا سيما مع عدم المحامل والكجاوات والزوامل الثقال والله أعلم *عدنا الى سياق حجه فصلى الظهر بالمدينة بالمسجد أربعا ثم ترجل وادهن ولبس ازاره ورداءه وخرج بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر فصلى بها خمس صلوات وكان نساؤه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة فلما أراد الاحرام اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع الاول ولم يذكر ابن حزم أنه اغتسل غير الغسل الاول للجنابة وقد ترك بعض الناس ذكره فاما أن يكون تركه عمدا لانه لم يثبت عنده واما أن يكون سهوا منه وقد قال زيد بن ثابت أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجرد لاهلاله واغتسل قال الترمذي حديث حسن غريب وذكر الدارقطني عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمي واشنان ثم طيبته عائشة بيدها بذريرة وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان وبيص المسك يرى في مفارقه ولحيته ثم استدامه ولم يغسله ثم لبس ازاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ولم ينقل عنه انه صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر وقلد قبل الاحرام بدنه نعلين وأشعرها

في جانبها الايمن فشق صفحة سنامها وسلت الدم عنها وانما قلنا انه أحرم قارنا البضعة وعشرين حديثا صحيحة صريحة في ذلك * أحدها ما أخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج وذكر الحديث * وثانيها ما أخرجاه في الصحيحين أيضا عن عروة عن عائشة أخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمثل حديث ابن عمر سواء * وثالثها ما روى مسلم في صحيحه من حديث قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر انه قرن الحج الى العمرة وطاف لهما طوافا واحدا ثم قال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم * ورابعها ما روى أبو داود عن النفيلي حدثنا زهير هو ابن معاوية حدثنا أبو اسحق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مرتين فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرن بحجته ولم يناقض هذا قول ابن عمر انه صلى الله عليه وآله وسلم قرن بين الحج والعمرة لانه أراد العمرة الكاملة المفردة ولا ريب انهما عمرتان عمرة القضاء وعمرة الجعرانة وعائشة رضى الله عنها أرادت العمرتين المستقلتين وعمرة القران والتي صد عنها ولا ريب انها أربع * وخامسها ما رواه سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ابن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة رواه الترمذي وغيره * وسادسها ما رواه أبو داود عن النفيلي وقتيبة قالا حدثنا أبو داود بن عبد الرحمن العطار عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع عمر عمرة الحديبية والثانية حين تواطؤا على عمرة من قابل والثالثة من الجعرانة والرابعة التي قرن مع حجته * وسابعها ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوادي العقيق يقول أتاني الليلة آت من ربي عز وجل فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة * وثامنها ما رواه أبو داود عن البراء بن عازب قال كنت مع علي كرم الله وجهه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اليمن فاصبت معه أواقي فلما قدم علي من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وجدت فاطمة رضى الله عنها قد لبست ثيابا صبيغا وقد نضحت البيت بنضوح فقالت مالك فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر أصحابه فاحلوا قال فقلت لها اني أهللت باهلال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي كيف صنعت قال قلت أهللت باهلال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فاني قد سقت الهدى وقرنت وذكر الحديث * وتاسعها ما رواه النسائي عن عمران بن يزيد الدمشقي حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الاعمش عن مسلم البطين عن علي بن الحسين عن مروان بن الحكم قال كنت جالسا عند عثمان فسمع عليا رضى الله عنه يلبي بحج وعمرة فقال ألم يكن نهى عن هذا قال بلى لكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبي بهما جميعا فلم أدع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقولك * وعاشرها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن حميد بن هلال قال سمعت مطرفا قال قال عمران بن حصين أحدثك حديثا عسى الله أن ينفعك به ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين حج وعمرة ثم لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل قرآن يحرمه * وحادي عشرها ما رواه يحيى ابن سعيد القطان وسفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال انما

من ذهب ثم قال فانتم سيوم وأني آذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاآ به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا على ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه قالت فوالله ما علمتنا حزنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه قالت وسار اليه النجاشي وبينهما عرض النيل قالت فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوام انا فقالوا فانت وكان من أحدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله انا على ذلك متوقعون لما هو كائن اذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول الا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة * قال ابن اسحق قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه قال قلت لا قال فان عائشة أم المؤمنين حدثتني ان أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو انا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وان لاخيه من صلبه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا فعدوا على أبي النجاشي

فقتلوه وملكوا أخاه فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما من الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وانا لنتخوف أن يملكه علينا وان ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف انا نحن قتلنا أباه فمشوا الى عمه فقالوا اما أن تقتل

هذا الفتى واما أن تخرجه من بين أظهرنا فانا قد خفناه على أنفسنا قال ويلكم قتلت أباه بالامس واقتله اليوم بل أخرجه من بلادكم قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه فى سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشى من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته قالت ففزعت الحبشة الى ولده فاذا هو محمق ليس فى ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غدوة فان كان لكم بامر الحبشة حاجة فأدركوه قالت فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه فاخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملكوه فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه فقال اما أن تعطونى مالى واما أن أكلمه فى ذلك قالوا لا نعطيك شيأ قال اذا والله أكلمه قالوا فدونك واياه قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال أيها الملك ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الى غلامى وأخذوا دراهمى حتى اذا سرت بغلامى أدركونى فاخذوا غلامى ومنعونى دراهمى قالت فقال لهم النجاشى لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه قالت فلذلك يقول ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه قالت وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لما مات النجاشى كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر بن محمد عن أبيه قال اجتمعت الحبشة

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحج والعمرة لانه علم انه لا يحج بعدها وله طرق صحيحة اليهما * وثانى عشرها مارواه الامام أحمد من حديث سراقة بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيامة قال وقرن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع اسناده ثقات * وثالث عشرها مارواه الامام أحمد وابن ماجه من حديث أبى طلحة الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الحج والعمرة ورواه الدارقطنى وفيه الحجاج بن ارطاة * ورابع عشرها مارواه أحمد من حديث الهرماس بن زياد الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرن فى حجة الوداع بين الحج والعمرة * وخامس عشرها مارواه البزار باسناد صحيح ان ابن أبى أوفى قال انما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحج والعمرة لانه علم انه لا يحج بعد عامه ذلك وقد قيل ان يزيد بن عطاء أخطأ فى اسناده وقال آخرون لا سبيل الى تخطئته بغير دليل * وسادس عشرها مارواه الامام أحمد من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرن بالحج والعمرة فطاف لهما طوافا واحدا ورواه الترمذى وفيه الحجاج بن ارطاة وحديثه لا ينزل عن درجة الحسن ما لم ينفرد بشئ أو يخالف الثقات * وسابع عشرها مارواه الامام أحمد من حديث أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أهلوا يا آل محمد بعمرة فى حج * وثامن عشرها ما أخرجاه فى الصحيحين واللفظ لمسلم عن حفصة قالت قلت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ما شأن الناس حلوا ولم تحل أنت من عمرتك قال انى قلدت هديى ولبدت رأسى فلا أحل حتى أحل من الحج وهذا يدل على انه كان فى عمرة معها حج فانه لا يحل من العمرة حتى يحل من الحج وهذا على أصل مالك والشافعى رحمه الله ألزم لان المعتمر عمرة مفردة لا يمنعه عندهما الهدى عن التحلل وانما يمنعه عمرة القران فالحديث على أصلهما نص * وتاسع عشرها مارواه النسائى والترمذى عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب انه سمع سعد بن أبى وقاص والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبى سفيان وهما يذكران التمتع بالعمرة الى الحج فقال الضحاك لا يصنع ذلك الا من جهل أمر الله فقال سعد بئس ماقلت يا ابن أخى قال الضحاك فان عمر بن الخطاب نهى عن ذلك قال سعد قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصنعناها معه قال الترمذى حديث حسن صحيح ومراده بالتمتع هنا بالعمرة الى الحج أحد نوعيه وهو تمتع القران فانه لغة القرآن والصحابة الذين شهدوا التنزيل والتأويل شهدوا بذلك ولهذا قال ابن عمر تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة الى الحج فبدأ فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج وكذلك قالت عائشة وأيضا فان الذى صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو متعة القران بلا شك كما قطع به أحمد ويدل على ذلك ان عمران بن حصين قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتمتعنا معه متفق عليه وهو الذى قال لمطرف أحدثك حديثا عسى الله أن ينفعك به ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين حج وعمرة ثم لم ينه عنه حتى مات وهو فى صحيح مسلم فاخبر عن قرانه بقوله تمتع وبقوله جمع بين حج وعمرة ويدل عليه أيضا ما ثبت فى الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال اجتمع على وعثمان بعسفان فقال كان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال على ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنهى عنه قال عثمان دعنا منك فقال انى لا أستطيع ان أدعك فلما رأى على ذلك أهل بهما جميعا هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى اختلف على وعثمان وهما بعسفان فى المتعة فقال على ما تريد الا أن تنهى عن

أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأى ذلك على أهل بهما جميعا وأخرج البخاري وحده
من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عليا وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى
على ذلك أهل بهما لبيك بحجة وعمرة وقال ما كنت أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول
أحد فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقد وافقه عثمان على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك فانه لما قال له ما تريد
الى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنهى عنه لم يقل له لم يفعله رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ولولا انه وافقه على ذلك لانكره ثم قصد على موافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاقتداء
به في ذلك وبيان ان فعله لم ينسخ وأهل بهما جميعا تقريرا للاقتداء به ومتابعته في القران واظهارا
لسنة نهى عنها عثمان متأولا وحينئذ فهذا دليل مستقل تمام العشرين * الحادي والعشرون
ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدى
فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا رواه في الموطأ ومعلوم انه كان معه الهدى
فهو أولى من بادر الى ما أمر به وقد دل عليه سائر الاحاديث التي ذكرناها ونذكرها وقد ذهب جماعة
من السلف والخلف الى ايجاب القران على من ساق الهدى والتمتع بالعمرة المفردة على من لم يسق
الهدى منهم عبد الله بن عباس وجماعة فعندهم لا يجوز العدول عما فعله رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وأمر به أصحابه فانه قرن وساق الهدى وأمر كل من لا هدى معه بالفسخ الى عمرة مفردة
فالواجب أن يفعل كما فعله أو كما أمر وهذا القول أصح من قول من حرم فسخ الحج الى العمرة من وجوه
كثيرة سنذكرها ان شاء الله تعالى * الثاني والعشرون ما خرجاه في الصحيحين عن أبي قلابة عن أنس
ابن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذي
الحليفة ركعتين فبات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء حمد الله وسبح ثم أهل
بحج وعمرة وأهل الناس بهما فلما قدمنا أمر الناس فحلوا حتى اذا كان يوم التروية أهلوا بالحج وفي
الصحيحين أيضا عن بكر بن عبد الله المزني عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبي
بالحج والعمرة جميعا قال بكر فحدثت بذلك ابن عمر فقال لبى بالحج وحده فلقيت أنسا فحدثته بقول ابن
عمر فقال أنس ما يعدوننا الا صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لبيك عمرة وحجا
وبين أنس وابن عمر في السن سنة أو سنة وشئ وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي اسحق وعبد العزيز بن
صهيب وحميد انهم سمعوا أنسا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل بهما لبيك عمرة
وحجا وروى أبو يوسف القاضي عن يحيى بن سعيد الانصاري عن أنس قال سمعت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم يقول لبيك بحج وعمرة معا وروى النسائي من حديث أبي أسماء عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم يلبي بهما وروى أيضا من حديث الحسن البصري عن أنس أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم أهل بالحج والعمرة حين صلى الظهر وروى البزار من حديث زيد بن أسلم مولى
عمر بن الخطاب عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بحج وعمرة ومن حديث سليمان
التيمي عن أنس كذلك وعن أبي قدامة عن أنس مثله وذكر وكيع حدثنا مصعب بن سليم قال
سمعت أنسا مثله قال وحدثنا ابن أبي ليلى عن ثابت البناني عن أنس مثله وذكر الخشني حدثنا

فقالوا النجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه قال فأرسل الى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هزمت
فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن
عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة
وصفوا له فقال يا معشر الحبشة
ألست أحق الناس بكم قالوا بلى
قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم قالوا
خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت
ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فما
تقولون أنتم في عيسى قالوا نقول
هو ابن الله فقال النجاشي ووضع
يده على صدره على قبائه هو
يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على
هذا شيأ وانما يعني ما كتب فرضوا
وانصرفوا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فلما مات النجاشي صلى
عليه واستغفر له * قال ابن
اسحق ولما قدم عمرو بن العاص
وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش
ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وردهم النجاشي بما يكرهون
وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا
ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره
امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبحمزة حتى عازوا
قريشا وكان عبد الله بن مسعود
يقول ما كنا نقدر على أن نصلي
عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم
عمر قاتل قريشا حتى صلى عند
الكعبة وصلينا معه وكان اسلام
عمر بعد خروج من خرج من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الحبشة * حدثنا ابن
هشام قال حدثني مسعر بن كدام
عن سعد بن ابراهيم قال قال عبد الله
ابن مسعود ان اسلام عمر كان فتحا
وان هجرته كانت نصرا وان
امارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى
أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه * قال ابن اسحق فحدثني عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي
ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت والله انا لنترحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في

بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه قالت وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا قالت فقال انه الانطلاق يا أم عبد الله قالت فقلت نعم والله لنخرجن في أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال أطمعت في اسلامه قالت قلت نعم قال فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام

(ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

* قال ابن اسحق وكان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفي باسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة فلقيه نعيم ابن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر فقال أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأي أهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى أخته

محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي قزعة عن أنس مثله وفي صحيح البخاري عن قتادة عن أنس اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع عمر فذكرها وقال وعمرة مع حجته وقد تقدم وذكر عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة وحميد بن هلال عن أنس مثله فهؤلاء ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن أنس ان لفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اهلالا بحج وعمرة معا وهم الحسن البصري وأبو قلابة وحميد بن هلال وحميد بن عبد الرحمن الطويل وقتادة ويحيى بن سعيد الانصاري وثابت البناني وبكر بن عبد الله المزني وعبد العزيز بن صهيب وسليمان التيمي ويحيى بن أبي اسحق وزيد بن أسلم ومصعب بن سليم وأبو أسماء وأبو قدامة عاصم ابن حسين وأبو قزعة وهو سويد بن حجر الباهلي فهذه أخبار أنس عن لفظ اهلاله الذي سمعه منه وهذا علي والبراء يخبران عن اخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه بالقران وهذا علي أيضا يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربه أمره بان يفعله وعلمه اللفظ الذي يقوله عند الاحرام وهذا علي أيضا يخبر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بهما جميعا وهؤلاء بقية من ذكرنا يخبرون عنه بانه فعله وهذا هو صلى الله عليه وسلم يأمر به آله ويأمر به من ساق الهدي وهؤلاء الذين رووا القران بغاية البيان عائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي وتقريره علي رضي الله عنه له وعمران بن الحصين والبراء بن عازب وحفصة أم المؤمنين وأبو قتادة وابن أبي أوفى وأبو طلحة والهرماس بن زياد وأم سلمة وأنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص فهؤلاء هم سبعة عشر صحابيا رضي الله عنهم منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى أمره به فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابرا وعائشة وابن عباس وهذه عائشة تقول أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ أفرد الحج والاول في الصحيحين والثاني في مسلم له لفظان هذا أحدهما والثاني أهل بالحج مفردا وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول أفرد الحج رواه ابن ماجه قيل ان كانت الاحاديث عن هؤلاء تعارضت وتساقطت فان أحاديث الباقين لم تتعارض فهب ان أحاديث من ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا على الافراد لتعارضها فما الموجب للعدول عن أحاديث الباقين مع صراحتها وصحتها كيف وأحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها وانما ظن من ظن التعارض لعدم احاطته بمراد الصحابة من ألفاظهم وحملها على الاصطلاح الحادث بعدهم ورأيت لشيخ الاسلام فصلا حسنا في اتفاق أحاديثهم نسوقه بلفظه * قال والصواب أن الاحاديث في هذا الباب متفقة ليست مختلفة الا اختلافا يسيرا يقع مثله في غير ذلك فان الصحابة ثبت عنهم انه تمتع والتمتع عندهم يتناول القران والذي روي عنهم انه أفرد روي عنهم انه تمتع أما الاول ففي الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي رضي الله عنه ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا أستطيع أن أدعك فلما رأى علي رضي الله عنه ذلك أهل بهما جميعا فهذا يبين أن من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان هذا هو الذي فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووافقه عثمان

على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا أم لا
وهل شرع فسخ الحج الى العمرة في حقنا كما تنازع فيه الفقهاء فقد اتفق على وعثمان على أنه تمتع والمراد
بالتمتع عندهم القران وفي الصحيحين عن مطرف قال قال عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم جمع بين حج وعمرة ثم انه لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه وفي رواية عنه تمتع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتمتعنا معه فهذا عمران وهو من أجل السابقين الاولين أخبر أنه
تمتع وانه جمع بين الحج والعمرة والقارن عند الصحابة متمتع ولهذا أوجبوا عليه الهدى ودخل في قوله
تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى وذكر حديث عمر أتاني آت من ربي فقال صل
في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وقال فهؤلاء الخلفاء الراشدون عمر وعثمان وعلى وعمران بن
حصين روى عنهم بأصح الاسانيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرن بين العمرة والحج وكانوا
يسمون ذلك تمتعا وهذا أنس يذكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا
وما ذكره بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر أنه لبى بالحج وحده فجوابه ان الثقات الذين هم أثبت في
ابن عمر من بكر مثل سالم ابنه ونافع رووا عنه أنه قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة الى
الحج وهؤلاء أثبت من بكر في ابن عمر فتغليط بكر عن ابن عمر أولى من تغليط سالم عنه وتغليطه هو على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشبه أن ابن عمر قال له أفرد الحج فظن أنه قال لبى بالحج فان افراد الحج
كانوا يطلقونه ويريدون به افراد أعمال الحج وذلك ردمنهم على من قال انه قرن قرانا طاف فيه
طوافين وسعى فيه سعيين وعلى من يقول انه حل من احرامه فرواية من روى من الصحابة أنه أفرد الحج
ترد على هؤلاء يبين هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع عن ابن عمر قال أهللنا مع رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بالحج مفردا وفي رواية أهل بالحج مفردا فهذه الرواية اذا قيل ان مقصودها أن النبي
صلى الله عليه وسلم أهل بحج مفردا قيل له فقد ثبت باسناد أصح من ذلك عن ابن عمر أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم تمتع بالعمرة الى الحج وأنه بدأ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وهذا من رواية الزهري عن سالم
عن ابن عمر وما عارض هذا عن ابن عمر اما أن يكون غلطا عليه واما أن يكون مقصوده موافقا له واما
أن يكون ابن عمر لما علم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحل ظن أنه أفرد كما وهم في قوله انه اعتمر
في رجب وكان ذلك نسيانا منه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يحل من احرامه وكان هذا حال
المفرد ظن أنه أفرد ثم ساق حديث الزهري عن سالم عن أبيه تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الحديث وقول الزهري وحدثني عروة عن عائشة بمثل حديث سالم عن أبيه قال فهذا من أصح حديث
على وجه الارض وهو من حديث الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة عن سالم عن أبيه وهو من أصح
حديث ابن عمر وعائشة وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم اعتمر أربع عمر الرابعة مع حجته ولم يعتمر بعد الحج باتفاق العلماء فيتعين أن يكون متمتعا تمتع
قران أو التمتع الخاص وقد صح عن ابن عمر أنه قرن بين الحج والعمرة وقال هكذا فعل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم رواه البخاري في الصحيح قال وأما الذين نقل عنهم افراد الحج فهم ثلاثة عائشة وابن
عمر وجابر والثلاثة نقل عنهم التمتع وحديث عائشة وابن عمر أنه تمتع بالعمرة الى الحج أصح من
حديثهما وما صح في ذلك عنهما فمعناه افراد أعمال الحج أو أن يكون وقع منه غلط كنظائره فان
أحاديث التمتع متواترة رواها أكابر الصحابة كعمر وعثمان وعلى وعمران بن حصين ورواها أيضا

وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت
فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت
قالا له ما سمعت شيأ قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش
بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته
فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن
زوجها فضربها فشجها فلما فعل
ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد
أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع
ما بدا لك فلما رأى عمر ما بأخته من
الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال
لاخته أعطيني هذه الصحيفة التي
سمعتكم تقرؤن آنفا أنظر ما هذا
الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا
فلما قال ذلك قالت له أخته انا
نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف
لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها
فلما قال ذلك طمعت في اسلامه
فقالت له يا أخي انك نجس على
شركك وانه لا يمسها الا الطاهر
فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة
وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها
صدرا قال ما أحسن هذا الكلام
وأكرمه فلما سمع ذلك خباب
خرج اليه فقال له يا عمر والله اني
لارجو أن يكون الله قد خصك
بدعوة نبيه فاني سمعته أمس وهو
يقول اللهم أيد الاسلام بأبي
الحكم بن هشام أو بعمر بن
الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند
ذلك عمر فدلني يا خباب على محمد حتى
آتيه فأسلم فقال له خباب هو في
بيت عند الصفا معه فيه نفر من
أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم
عمد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب
فلما سمعوا صوته قام رجل من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنظر من خلل الباب فرآه
متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة بن عبد
المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل
ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب

عائشة وابن عمر وجابر بل رواها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بضعة عشر من الصحابة قلت وقد اتفق أنس وعائشة وابن عمر وابن عباس على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر أربع عمر وانما وهم ابن عمر في كون احداهن في رجب وكلهم قالوا وعمرة مع حجته وهم سوى ابن عباس قالوا انه أفرد الحج وهم سوى أنس قالوا تمتع فقالوا هذا وهذا وهذا ولا تناقض بين أقوالهم فانه تمتع تمتع قران وأفرد أعمال الحج وقرن بين النسكين وكان قارنا باعتبار جمعه بين النسكين ومفردا باعتبار اقتصاره على أحد الطوافين والسعيين ومتمتعا باعتبار ترفهه بترك أحد السفرين ومن تأمل ألفاظ الصحابة وجمع الاحاديث بعضها الى بعض واعتبر بعضها ببعض وفهم لغة الصحابة أسفر له صبح الصواب وانقشعت عنه ظلمة الاختلاف والاضطراب والله الهادي لسبيل الرشاد والموفق لطريق السداد فمن قال انه أفرد الحج وأراد به انه أتى بالحج مفردا ثم فرغ منه وأتى بالعمرة بعده من التنعيم أو غيره كما يظن كثير من الناس فهذا غلط لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الائمة الاربعة ولا أحد من أئمة الحديث وان أراد به أنه حج حجا مفردا لم يعتمر معه كما قال طائفة من السلف والخلف فوهم أيضا والاحاديث الصحيحة الصريحة ترده كما تبين وان أراد به أنه اقتصر على أعمال الحج وحده ولم يفرد للعمرة أعمالا فقد أصاب وعلى قوله يدل جميع الاحاديث ومن قال انه قرن فان أراد به أنه طاف للحج طوافا على حدة وللعمرة طوافا على حدة وسعى للحج سعيا وللعمرة سعيا فالاحاديث الثابتة ترد قوله وان أراد أنه قرن بين النسكين وطاف لهما طوافا واحدا وسعى لهما سعيا واحدا فالاحاديث الصحيحة تشهد لقوله وقوله هو الصواب ومن قال انه تمتع فان أراد أنه تمتع تمتعا حل منه ثم أحرم بالحج احراما مستأنفا فالاحاديث ترد قوله وهو غلط وان أراد أنه تمتع تمتعا لم يحل منه بل بقي على احرامه لاجل سوق الهدي فالاحاديث الكثيرة ترد قوله أيضا وهو أقل غلطا وان أراد تمتع القران فهو الصواب الذي يدل عليه جميع الاحاديث الثابتة ويأتلف به شملها ويزول عنها الاشكال والاختلاف

﴿ فصل غلط في عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس طوائف ﴾ * أحدها من قال انه اعتمر في رجب وهذا غلط فان عمره مضبوطة محفوظة لم يخرج في رجب الى شيء منها البتة * الثانية من قال انه اعتمر في شوال وهذا أيضا وهم والظاهر والله أعلم أن بعض الرواة غلط في هذا وانه اعتكف في شوال فقال اعتمر في شوال لكن سياق الحديث وقوله اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عمر عمرة في شوال وعمرتين في ذي القعدة يدل على أن عائشة أو من دونها انما قصد العمرة * الثالثة من قال انه اعتمر من التنعيم بعد حجه وهذا لم يقله أحد من أهل العلم وانما يظنه العوام ومن لا خبرة له بالسنة * الرابعة من قال انه لم يعتمر في حجته أصلا والسنة الصحيحة المستفيضة التي لا يمكن ردها تبطل هذا القول * الخامسة من قال انه اعتمر عمرة حل منها ثم أحرم بعدها بالحج من مكة والاحاديث الصحيحة تبطل هذا القول وترده

﴿ فصل ﴾ ووهم في حجه خمس طوائف * الطائفة الاولى التي قالت حج حجا مفردا لم يعتمر معه * الثانية من قال حج متمتعا تمتعا حل فيه ثم أحرم بعده بالحج كما قاله القاضي أبو يعلى وغيره * الثالثة من قال حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا كما قاله أبو محمد صاحب المغني وغيره * الرابعة من قال حج قارنا قرانا طاف له طوافين وسعى له سعيين * الخامسة من قال حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم

﴿ فصل وغلط في احرامه خمس طوائف ﴾ * أحدها من قال لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها * الثانية

فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر بن الخطاب حين أسلم * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد أو عمن روى ذلك ان اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه انه كان يقول كنت للاسلام مباعدا وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دور آل عمر ابن عبد بن عمران المخزومي قال فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك قال فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا قال فقلت لو اني جئت فلانا الخمار وكان بمكة يبيع الخمر لعلي أجد عنده خمرا فأشرب منها قال فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الركن الاسود والركن اليماني قال فقلت حين رأيته والله لو اني استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه استمع منه لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة قال فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف وكان اذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكانت طريقه حتى يجيز على المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ثم على دار الاخنس بن شريق من

من قال ابي بالحج وحده واستمر عليه * الثالثة من قال لبى بالحج مفردا ثم أدخل عليه العمرة وزعم أن ذلك خاص به * الرابعة من قال لبى بالعمرة وحدها ثم أدخل عليها الحج فى ثانى الحال * الخامسة من قال أحرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه والصواب أنه أحرم بالحج والعمرة معا من حين أنشأ الاحرام ولم يحل حتى حل منهما جميعا فطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا وساق الهدى كما دلت عليه النصوص المستفيضة التى تواترت تواترا يعلمه أهل الحديث والله أعلم

(فصل) فى أعذار القائلين بهذه الاقوال وبيان منشأ الوهم والغلط أما عذر من قال اعتمر فى رجب فحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر فى رجب متفق عليه وقد غلطته عائشة وغيرها كما فى الصحيحين عن مجاهد قال دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فاذا عبد الله ابن عمر جالسا الى حجرة عائشة واذا ناس يصلون فى المسجد صلاة الضحى قال فسألناه عن صلاتهم فقال بدعة ثم قلنا له كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعا احداهن فى رجب فكرهنا أن نرد عليه قال وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين فى الحجرة فقال عروة يا أمه أو يا أم المؤمنين ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت ما يقول قال يقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر أربع عمر احداهن فى رجب قالت يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة قط الا وهو شاهد وما اعتمر فى رجب قط وكذلك قال أنس وابن عباس أن عمره كلها كانت فى ذى القعدة وهذا هو الصواب

(فصل وأما من قال اعتمر فى شوال) فعذره ما رواه مالك فى الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعتمر الا ثلاثا احداهن فى شوال واثنتين فى ذى القعدة ولكن هذا الحديث مرسل وهو غلط أيضا اما من هشام واما من عروة أصابه فيه ما أصاب ابن عمر وقد رواه أبو داود مرفوعا عن عائشة وهو غلط أيضا لا يصح رفعه قال ابن عبد البر وليس روايته مسندا مما يذكر عن مالك فى صحة النقل قلت ويدل على بطلانه عن عائشة أن عائشة وابن عباس وأنس بن مالك قالوا لم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا فى ذى القعدة وهذا هو الصواب فان عمرة الحديبية والقضية كانتا فى ذى القعدة وعمرة القران انما كانت فى ذى القعدة وعمرة الجعرانة أيضا كانت فى أول ذى القعدة وانما وقع الاشتباه أنه خرج من مكة فى شوال للقاء العدو وفرغ من عدوه وقسم غنائمهم ودخل مكة ليلا معتمرا من الجعرانة وخرج منها ليلا فخفيت عمرته هذه على كثير من الناس وكذلك قال محرش الكعبى والله أعلم

(فصل وأما من ظن انه اعتمر من التنعيم) بعد الحج فلا أعلم له عذرا فان هذا خلاف المعلوم المستفيض من حجته ولم ينقله أحد قط ولا قاله امام ولعل ظان هذا سمع أنه أفرد الحج ورأى أن كل من أفرد الحج من أهل الآفاق لا بد له أن يخرج بعده الى التنعيم نزل حجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك وهذا عين الغلط

(فصل) وأما من قال انه لم يعتمر فى حجته أصلا فعذره أنه لما سمع أنه أفرد الحج وعلم يقينا أنه لم يعتمر بعد حجته قال انه لم يعتمر فى تلك الحجة اكتفاء منه بالعمرة المتقدمة والاحاديث المستفيضة الصحيحة ترد قوله كما تقدم من أكثر من عشرين وجها وقد قال هذه عمرة استمتعنا بها وقالت له حفصة ما شأن الناس حلوا ولم تحل أنت من عمرتك وقال سراقة بن مالك تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك قال ابن عمر وعائشة وعمران بن حصين وابن عباس وصرح أنس وابن عباس وعائشة أنه

حتى يدخل بيته وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان قال عمر رضى الله عنه فتبعته حتى اذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى انما تبعته لاوذيه فنهمنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قد هداك الله يا عمر ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته * قال ابن اسحق والله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال لما أسلم أبى عمر قال أى قريش أنقل للحديث قال قيل له جميل بن معمر الجمحى قال فغدا عليه قال عبد الله بن عمر وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام اعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول باب الكعبة ألا ان عمر بن الخطاب قد صبا قال يقول عمر من خلفه كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم قال (١) وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا قال فبينما هم على ذلك اذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبا عمر فقال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لابى بعد أن هاجر الى المدينة يا أبت من الرجل الذى زجر القوم

(١) قوله طلح أى أعيا

بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك فقال ذلك أي بني العاص بن وائل السهمي (قال ابن هشام) حدثني بعض أهل العلم انه قال يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك يوم أسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يا بني ذاك العاص بن وائل لا جزاه الله خيرا * قال ابن اسحق وحدثني عبد الرحمن بن الحرث عن بعض آل عمر أو بعض أهله قال قال عمر لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فاخبره أني قد أسلمت قال قلت أبو جهل وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة قال فاقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه قال فخرج الى أبو جهل فقال مرحبا وأهلا بابن أختي ما جاء بك قال قلت جئت لاخبرك اني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به قال فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به

(خبر الصحيفة)

* قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا وان النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم وان عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الاسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيأ ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (قال ابن هشام) ويقال النضر بن الحرث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل بعض أصابعه * قال ابن اسحق فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه فاجتمعوا اليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش فظاهرهم * قال ابن اسحق حدثني حسين بن عبد الله ان أبا لهب لقي هندا بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا

وقرنت

اعتمر في حجته وهي احدى عمره الاربع

(فصل وأما من قال انه اعتمر عمرة حل منها) كما قاله القاضي أبو يعلى ومن وافقه فعذرهم أنه ما صح عن ابن عمر وعائشة وعمران بن حصين وغيرهم أنه تمتع وهذا يحتمل أنه تمتع حل منه ويحتمل أنه لم يحل فلما أخبر معاوية أنه قصر عن رأسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين دل على أنه حل من احرامه ولا يمكن أن يكون هذا في غير حجة الوداع لان معاوية انما أسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن أن يكون في عمرة الجعرانة لوجهين * أحدهما أن في بعض الفاظ الحديث الصحيح ذلك في حجته * والثاني أن في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك في أيام العشر وهذا انما كان في حجته وحمل هؤلاء رواية من روى أن المتعة كانت له خاصة على أن طائفة منهم خصوا بالتحليل من الاحرام مع سوق الهدى دون من ساق الهدى من الصحابة وأنكر ذلك عليهم آخرون منهم شيخنا أبو العباس وقالوا من تأمل الاحاديث المستفيضة الصحيحة تبين له أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحل لا هو ولا أحد ممن ساق الهدى

(فصل) في أعذار الذين وهموا في صفة حجته اما من قال انه حج حجا مفردا لم يعتمر فيه فعذره ما في الصحيحين عن عائشة أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بحج وأهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحج وقالوا هذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل بالحج مفردا وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبى بالحج وحده وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل بالحج وفي سنن ابن ماجه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفرد الحج وفي صحيح مسلم عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينوي الا الحج لسنا نعرف العمرة وفي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير قال حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرتني عائشة أنه أول شئ بدأ به حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم حج أبو بكر رضي الله عنه فكان أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم عمر مثل ذلك ثم حج عثمان فرأيته أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم معاوية ثم عبد الله بن عمر ثم حججت مع ابن الزبير بن العوام فكان أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم رأيت المهاجرين والانصار يفعلون ذلك ثم لم تكن عمرة ثم آخر من رأيت فعل ذلك ابن عمر ثم لم ينقضها بعمرة ولا أحد ممن مضى ما كانوا يبدؤن بشئ حين يضعون أقدامهم أول من الطواف بالبيت ثم لا يحلون وقد رأيت أمي وخالتي حين تقدمان لا تبدآن بشئ أول من البيت تطوفان به ثم لا تحلان وقد أخبرتني أمي أنها أقبلت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة فقط فلما مسحوا الركن حلوا وفي سنن أبي داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد بن سلمة ووهب بن خالد كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موافين لهلال ذي الحجة فلما كان بذي الحليفة قال من شاء أن يهل بحج فليفعل ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل ثم انفرد حماد في حديثه بان قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم فاني لولا اني أهديت لاهللت بعمرة وقال الآخر وأما انا فاهل بالحج فصح بمجموع الروايتين أنه أهل بالحج مفردا فأرباب هذا القول عذرهم ظاهر كما ترى ولكن ما عذرهم في حكمه وخبره الذي حكم به على نفسه وأخبر عنها بقوله سقت الهدى

فقال يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة * قال ابن اسحق وحدثت انه كان يقول في بعض ما يقول يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم انها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد ذلك ثم ينفخ في يديه و يقول تبا لكما ما أرى فيكما شيأ مما يقول محمد فانزل الله تعالى فيه تبت يدا أبي لهب وتب (قال ابن هشام) تبت خسرت والتباب الخسار وقال حبيب بن خدرة الخارجي أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة

يا طيب أنا في معشر ذهبت
مسعاتهم في التبار والتبب

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب

ألا أبلغا عني على ذات بيننا
لؤيا وخصا من لؤي بني كعب

ألم تعلموا انا وجدنا محمدا
نبيا كموسى خط في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة
ولا خير ممن خصه الله بالحب

وان الذي ألصقتم من كتابكم
لكم كائن نحسا كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
و يصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا
أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما
أمر على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا
(١) لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ولما تبن منا ومنكم سوالف
وأيد أترت (٢) بالقساسية الشهب

بمعترك ضيق ترى كسر القنا
به والنسور الطخم يعكفن كالشرب

كأن ضحال الخيل في حجراته
ومعمعة الابطال معركة الحرب

أليس أبونا هاشم شد أزره
وأوصى بنيه بالطعان و بالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب

ولكننا أهل الحفائظ والنهى
* اذا طار أرواح الكماة من الرعب

فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سرا

وقرنت وخبر من هو تحت بطن ناقته وأقرب اليه حينئذ من غيره فهو من أصدق الناس بسمعه يقول لبيك بحجة وعمرة وخبر من هو من أعلم الناس عنه صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين يخبر انه أهل بهما جميعا ولبى بهما جميعا وخبر زوجته حفصة في تقريره لها على انه معتمر بعمرة لم يحل منها فلم ينكر ذلك عليها بل صدقها وأجابها بانه مع ذلك حاج وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر على باطل يسمعه أصلا بل ينكره وما عذره عن خبره عن نفسه بالوحي الذي جاءه من ربه يامره فيه ان يهل بحجة في عمرة وما عذره عن خبر من أخبر عنه من الصحابة انه قرن لانه علم انه لا يحج بعدها وخبر من أخبر عنه انها تمت مع حجته وليس مع من قال انه أفرد الحج شيء من ذلك ألبتة فلم يقل أحد منهم عنه اني أفردت ولا أتاني آت من ربي يامرني بالافراد ولا قال أحد ما بال الناس حلوا ولم تحل من حجتك كما حلوا هم بعمرة ولا قال أحد انه سمعه يقول لبيك بعمرة مفردة ألبتة ولا بحج مفرد ولا قال أحد انه اعتمر أربع عمر الرابعة بعد حجته وقد شهد عليه أربعة من الصحابة انهم سمعوه يخبر عن نفسه بانه قارن ولا سبيل الى دفع ذلك الا بان يقال لم يسمعوه ومعلوم قطعا ان تطرق الوهم والغلط الى من أخبر عما فهمه هو من فعله يظنه كذلك أولى من تطرق التكذيب الى من قال سمعته يقول كذا وكذا وانه لم يسمعه فان هذا لا يتطرق اليه الا التكذيب بخلاف خبر من أخبر عما ظنه من فعله وكان واهما فانه لا ينسب الى الكذب ولقد نزه الله عليا وأنسا والبراء وحفصة عن أن يقولوا سمعناه يقول كذا ولم يسمعوه ونزهه ربه تبارك وتعالى ان يرسل اليه ان افعل كذا وكذا ولم يفعله هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل فكيف والذين ذكروا الافراد عنه لم يخالفوا هؤلاء في مقصودهم ولا ناقضوهم وانما أرادوا افراد الاعمال واقتصاره على عمل المفرد فانه ليس في عمله زيادة على عمل المفرد ومن روى عنهم ما يوهم خلاف هذا فانه عبر بحسب ما فهمه كما سمع بكر بن عبد الله بن عمر يقول أفرد الحج فقال لبى بالحج وحده فحمله على المعنى وقال سالم ابنه عنه ونافع مولاه انه تمتع فبدأ فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج فهذا سالم يخبر بخلاف ما أخبر به بكر ولا يصح تاويل هذا عنه بانه أمر به فانه فسره بقوله و بدأ فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج وكذا الذين رووا الافراد عن عائشة رضي الله عنها فهما عروة والقاسم وروى القران عنها عروة ومجاهد وأبو الاسود يروي عن عروة الافراد والزهري يروي عنه القران فان قدرنا تساقط الروايتين سلمت رواية مجاهد وان حملت رواية الافراد على انه أفرد أعمال الحج تصادقت الروايات وصدق بعضها بعضا ولا ريب ان قول عائشة وابن عمر افرد الحج محتمل لثلاث معان * أحدها الاهلال به مفردا * الثاني افراد أعماله * الثالث انه حج حجة واحدة لم يحج معها غيرها بخلاف العمرة فانها كانت أربع مرات وأما قولهما تمتع بالعمرة الى الحج وبدأ فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج فحكيا فعله فهذا صريح لا يحتمل غير معنى واحد فلا يجوز رده بالمجمل وليس في رواية الاسود وعمرة عن عائشة انه أهل بالحج ما يناقض رواية مجاهد وعروة عنها انه قرن فان القارن حاج مهل بالحج قطعا وعمرته جزء من حجته فمن أخبر عنها انه مهل بالحج فهو غير صادق فاذا ضمت رواية مجاهد الى رواية عمرة والاسود ثم ضمتا الى رواية عروة تبين من مجموع الروايات انه كان قارنا وصدق بعضها بعضا حتى لو لم يحتمل قول عائشة وابن عمر الا معنى الاهلال به مفردا حيث يوجب قطعنا أن يكون سبيله سبيل قول ابن عمر اعتمر في رجب وقول عائشة أو عروة انه صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر في شوال الا ان تلك الاحاديث الصحيحة الصريحة لا سبيل أصلا الى تكذيب رواتها ولا تاويلها وحملها على

(١) العزاء السنة الشديدة قاموس (٢) القساسية سيوف منسوبة الى معدن بارمينية يقال له القساس كغراب كما في القاموس والطخم السود جمع أطخم

مستخفيا به من أراد اصابتهم من قريش وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبو البخترى بن هشام بن الحرث بن أسد فقال مالك وله فقال يحمل الطعام الى بنى هاشم فقال أبو البخترى طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل قال فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتوا بهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بأمر الله لا يتقى فيه أحدا من الناس فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه وحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزؤن به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل فى قريش باحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم فمنهم من سمى لنا ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار فكان ممن سمى لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب وانما سماها الله تعالى حمالة الحطب لانها كانت فيما بلغنى تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر فأنزل الله تعالى فيهما تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد .ان

(قال ابن هشام) الجيد العنق قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد * أسيل تزينه الاطواق

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه اجياد والمسد شجر يدق كما يدق الكتان فيفتل منه حبال قال النابغة الذبيانى واسمه زياد بن عمرو بن معاوية

غير ما دلت عليه ولا سبيل الى تقديم هذه الرواية المجملة التى قد اضطربت على رواتها واختلف عنهم وعارضهم من هو أوثق منهم أو مثلهم عليها وأما قول جابر انه أفرد الحج فالصريح من حديثه ليس فيه شئ من هذا وانما فيه اخباره عنهم أنفسهم انهم لا ينوون الا الحج فأين فى هذا ما يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبى بالحج مفردا وأما حديثه الآخر الذى رواه ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفرد الحج فله ثلاث طرق أجودها طريق الدراوردى عن جعفر بن محمد عن أبيه وهذا يقينا مختصر من حديثه الطويل فى حجة الوداع ومروى بالمعنى والناس خالفوا الدراوردى فى ذلك وقالوا أهل بالحج وأهل بالتوحيد والطريق الثانى فيها مطرف بن مصعب عن عبد العزيز بن أبى حازم عن جعفر ومطرف قال ابن حزم هو مجهول قلت ليس بمجهول ولكنه ابن أخت مالك روى عنه البخارى وبشر بن موسى وجماعة قال أبو حاتم صدوق مضطرب الحديث هو أحب الى من اسمعيل ابن أبى أويس وقال ابن عدى يأتى بمناكير وكان أبا محمد رأى فى النسخة مطرف بن مصعب فجهله وانما هو مطرف أبو مصعب وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار وممن غلط فى هذا أيضا محمد بن عثمان الذهبى فى كتابه الضعفاء فقال مطرف بن مصعب المدنى عن ابن أبى ذئب منكر الحديث قلت والراوى عن ابن أبى ذئب والدراوردى ومالك هو مطرف أبو مصعب المدنى وليس بمنكر الحديث وانما غره قول ابن عدى يأتى بمناكير ثم ساق له منها ابن عدى جملة لكن هى من رواية أحمد بن داود بن صالح عنه كذبه الدارقطنى والبلاء فيها منه والطريق الثالث لحديث جابر فيها محمد بن عبد الواهب ينظر فيه من هو وما حاله عن محمد بن مسلم ان كان الطائفى فهو ثقة عند ابن معين ضعيف عند الامام أحمد وقال ابن حزم ساقط البتة ولم أر هذه العبارة فيه لغيره وقد استشهد به مسلم قال ابن حزم وان كان غيره فلا أدرى من هو قلت ليس بغيره بل هو الطائفى يقينا وبكل حال فلو صح هذا عن جابر لكان حكمه حكم المروى عن عائشة وابن عمر وسائر الرواة الثقات انما قالوا أهل بالحج فلعل هؤلاء حملوه على المعنى وقالوا أفرد الحج ومعلوم ان العمرة اذا دخلت فى الحج فمن قال أهل بالحج لا يناقض من قال أهل بهما بل هذا فصل وذاك أجمل ومن قال أفرد الحج يحتمل ما ذكرنا من الوجوه الثلاثة ولكن هل قال أحد قط عنه انه سمعه يقول لبيك بحجة مفردة هذا ما لا سبيل اليه حتى لو وجد ذلك لم يقدم على تلك الاساطين التى ذكرناها التى لا سبيل الى دفعها البتة وكان تغليط هذا أو حمله على أول الاحرام وانه صار قارنا فى اثنائه متعينا فكيف ولم يثبت ذلك وقد قدمنا عن سفيان الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرن فى حجة الوداع رواه زكريا الساجى عن عبد الله بن أبى زياد القطوانى عن زيد بن الحباب عن سفيان ولا تناقض بين هذا وبين قوله أهل بالحج وأفرد بالحج ولبى بالحج كما تقدم

(فصل) فصل الترجيح لرواية من روى القران لوجوه عشرة * أحدها انهم أكثر كما تقدم * الثانى ان طرق الاخبار بذلك تنوعت كما بيناه * الثالث ان فيهم من أخبر عن سماعه ولفظه صريحا وفيهم من أخبر عن اخباره عن نفسه بأنه فعل ذلك ومنهم من أخبر عن أمر ربه له بذلك ولم يجئ شئ من ذلك فى الافراد * الرابع تصديق روايات من روى انه اعتمر أربع عمر لها * الخامس انها صريحة لا تحتمل التأويل بخلاف روايات الافراد * السادس انها متضمنة زيادة سكت عنها أهل الافراد أو نفوها والذاكر الزائد مقدم على الساكت والمثبت مقدم على النافى * السابع

ان رواة الافراد أربعة عائشة وابن عمر وجابر وابن عباس والاربعة رووا القران فان صرنا الى تساقط رواياتهم سلمت رواية من عداهم للقران عن معارض وان صرنا الى الترجيح وجب الاخذ برواية من لم تضطرب الرواية عنه ولا اختلفت كالبراء وأنس وعمر بن الخطاب وعمران بن حصين وحفصة ومن معهم ممن تقدم * الثامن انه النسك الذى أمر به من ربه فلم يكن ليعدل عنه * التاسع انه النسك الذى أمر به كل من ساق الهدى فلم يكن ليأمرهم به اذا ساقوا الهدى ثم يسوق هو الهدى ويخالفه * العاشر انه النسك الذى أمر به آله وأهل بيته واختاره لهم ولم يكن ليختار لهم الا ما اختار لنفسه * وثمة ترجيح حادى عشر وهو قوله دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيمة وهذا يقتضى انها قد صارت جزأ منه أو كالجزء الداخل فيه بحيث لا يفصل بينها وبينه وانما يكون مع الحج كما يكون الداخل فى الشئ معه * وترجيح ثانى عشر وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه للصبى بن معبد وقد أهل بحج وعمرة فانكر عليه زيد بن صوحان أو سلمان بن ربيعة فقال له عمر هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يوافق رواية عمر أن الوحى جاءه من الله بالاهلال بهما جميعا فدل على ان القران سنته التى فعلها وامتثل أمر الله له بها * وترجيح ثالث عشر ان القارن تقع أعماله عن كل من النسكين فيقع احرامه وطوافه وسعيه عنهما معا وذلك أكمل من وقوعه عن أحدهما وعمل كل فعل على حدة * وترجيح رابع عشر وهو ان النسك الذى اشتمل على سوق الهدى أفضل بلا ريب من نسك خلا عن الهدى فاذا قرن كان هديه عن كل واحد من النسكين فلم يخل نسك منهما عن هدى ولهذا والله أعلم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ساق الهدى ان يهل بالحج والعمرة معا وأشار الى ذلك فى المتفق عليه من حديث البراء بقوله انى سقت الهدى وقرنت * وترجيح خامس عشر وهو انه قد ثبت ان التمتع أفضل من الافراد لوجوه كثيرة منها انه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بفسخ الحج اليه ومحال ان ينقلهم من الفاضل الى المفضول الذى هو دونه ومنها انه تأسف على كونه لم يفعله بقوله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها متعة ومنها انه أمر به كل من لم يسق الهدى ومنها ان الحج الذى استقر عليه فعله وفعل أصحابه القران لمن ساق الهدى والتمتع لمن لم يسق الهدى ولوجوه كثيرة غير هذه والمتمتع اذا ساق الهدى فهو أفضل من متمتع اشتراه من مكة بل فى أحد القولين لا هدى الا ما جمع فيه بين الحل والحرم واذا ثبت هذا فالقارن السائق أفضل من متمتع لم يسق ومن متمتع ساق الهدى لانه قد ساق من حين أحرم والمتمتع انما يسوق الهدى من أدنى الحل فكيف يجعل مفرد لم يسق هديا أفضل من متمتع ساقه من أدنى الحل فكيف اذا جعل أفضل من قارن ساقه من الميقات وهذا بحمد الله واضح

《فصل》 وأما قول من قال انه حج متمتعا تمتعا حل فيه من احرامه ثم أحرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدى فعذره ما تقدم من حديث معاوية انه قص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمشقص فى العشر وفى لفظ وذلك فى حجته وهذا مما أنكره الناس على معاوية وغلطوه فيه وأصابه فيه ما أصاب ابن عمر فى قوله انه اعتمر فى رجب فان سائر الاحاديث الصحيحة المستفيضة من الوجوه المتعددة كلها تدل على انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يحل من احرامه الى يوم النحر ولذلك أخبر عن نفسه بقوله لولا ان معى الهدى لاحللت وقوله انى سقت الهدى وقرنت فلا أحل حتى أنحر وهذا خبره عن نفسه فلا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه لا سيما خبر يخالف ما أخبر به عن نفسه

مقذوفة (١) بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

وهذا البيت فى قصيدة له وواحدته مسدة (قال ابن اسحق) فذكر لى ان أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه اما والله انى لشاعرة فقالت

مذمما عصينا * وأمره أبينا

ودينه قلينا ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك فقال ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى (قال ابن هشام) قولها ودينه قلينا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وكانت قريش انما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون لما صرف الله عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد (وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح) كان اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فانزل الله تعالى فيه ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده الى آخر السورة كلها (قال ابن هشام) والهمزة الذى يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به قال حسان بن ثابت

همزتك فاختضعت لذل نفس * بقافية تأجج كالشواظ

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه همزات واللمزة الذى يعيب الناس سرا ويؤذيهم قال رؤبة بن العجاج

* فى ظل عصرى باطلى ولمزى *

وهذا البيت فى أرجوزة له وجمعه لمزات * قال ابن اسحق والعاص ابن وائل السهمى كان خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة يعمل السيوف وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى اذا كان له عليه مال جاءه يتقاضاه

(١) الدخيس اللحم المكتنز الكثير والقعو البكرة

فقال له يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى
قال فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني
ولا أعظم حظا في ذلك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى قوله تعالى ونرثه

ما يقول ويأتينا فردا ولقي أبو جهل بن هشام لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني فقال له والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى عليه فيه ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله (والنضر بن الحرث بن كلدة ابن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي) كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه الى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الامم الخالية خلفه في مجلسه اذا قام فحدثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ثم يقول والله ما محمد بأحسن حديثا مني وما حديثه الا أساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبتها فأنزل الله فيه وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما ونزل فيه اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ونزل فيه ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم (قال ابن هشام) الافاك الكذاب وفي كتاب الله تعالى ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال رؤبة * مالامرئ أفك قولا افكا * وهذا البيت في أرجوزة له * قال ابن اسحق وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم في المجلس وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه

وأخبر عنه به الجم الغفير انه لم يأخذ من شعره شيأ لا بتقصير ولا حلق وانه بقي على احرامه حتى حلق يوم النحر ولعل معاوية قصر عن رأسه في عمرة الجعرانة فانه كان حينئذ قد أسلم ثم نسي فظن ان ذلك كان في العشر كما نسي ابن عمر ان عمرته كانت في ذي القعدة وقال كانت في رجب وقد كان معه فيها والوهم جائز على من سوى الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا قام الدليل عليه صار واجبا وقد قيل أن معاوية لعله قصر عن رأسه بقية شعر لم يكن استوفاه الحلاق يوم النحر فاخذه معاوية على المروة ذكره أبو محمد ابن حزم وهذا أيضا من وهمه فان الحلاق لا يبقي غلطا شعرا يقصر منه ثم يبقى منه بعد التقصير بقية يوم النحر وقد قسم شعر رأسه بين الصحابة فاصاب أبا طلحة أحد الشقين وبقية الصحابة اقتسموا الشق الآخر الشعرة والشعرتين والشعرات وأيضا فانه لم يسع بين الصفا والمروة الا سعيا واحدا وهو سعيه الاول لم يسع عقب طواف الافاضة ولا اعتمر بعد الحج قطعا فهذا وهم محض وقيل هذا الاسناد الى معاوية وقع فيه غلط وخطأ أخطأ فيه الحسن بن علي فجعله عن معمر عن طاوس وانما هو عن هشام بن حجير عن ابن طاوس وهشام ضعيف قلت والحديث الذي في البخاري عن معاوية قصرت عن رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمشقص ولم يزد على هذا والذي عند مسلم قصرت عن رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمشقص على المروة وليس في الصحيحين غير ذلك وأما رواية من روى في أيام العشر فليست في الصحيح وهي معلولة أو وهم عن معاوية قال قيس بن سعد راويها عن عطاء عن ابن عباس عنه والناس ينكرون هذا على معاوية وصدق قيس فنحن نحلف بالله ان هذا ما كان في العشر قط وشبه هذا وهم معاوية في الحديث الذي رواه أبو داود عن قتادة عن أبي شيخ الهنائي ان معاوية قال لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل تعلمون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن كذا وعن ركوب جلود النمور قالوا نعم قال فتعلمون انه نهى ان يقرن بين الحج والعمرة قالوا اما هذه فلا فقال أما انها معها ولكنكم نسيتم ونحن نشهد بالله ان هذا وهم من معاوية أو كذب عليه فلم ينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك قط وأبو شيخ شيخ لا يحتج به فضلا عن ان يقدم على الثقات الحفاظ الاعلام وان روى عنه قتادة ويحيى بن أبي كثير واسمه خيوان بن خالد بالخاء المعجمة وهو مجهول

(فصل) وأما من قال حج متمتعا تمتعا لم يحل منه لاجل سوق الهدى كما قاله صاحب المغني وطائفة فعذرهم قول عائشة وابن عمر تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقول حفصة ما شان الناس حلوا ولم تحل من عمرتك وقول سعد في المتعة قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصنعناها معه وقول ابن عمر لمن سأله عن متعة الحج هي حلال فقال له السائل ان أباك قد نهى عنها فقال أرأيت ان كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أأمر أبي تتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الرجل بل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال هؤلاء ولولا الهدى لحل كما يحل المتمتع الذي لا هدى معه ولهذا قال لولا ان معي الهدى لاحللت فاخبر ان المانع له من الحل سوق الهدى والقارن انما يمنعه من الحل القران لا الهدى وأرباب هذا القول قد يسمون هذا المتمتع قارنا لكونه أحرم بالحج قبل التحلل من العمرة ولكن القران المعروف أن يحرم بهما جميعا أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل الطواف والفرق بين القارن والمتمتع السابق من وجهين * أحدهما

من الاحرام فان القارن هو الذي يحرم بالحج قبل الطواف اما في ابتداء الاحرام أو في أثنائه * والثاني ان القارن ليس عليه الا سعي واحد فان أتى به أولا والا سعى عقيب طواف الافاضة والمتمتع عليه سعيان عند الجمهور وعن أحمد رواية أخرى انه يكفيه سعي واحد كالقارن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسع سعيا ثانيا عقيب طواف الافاضة فكيف يكون متمتعا على هذا القول * فان قيل فعلى الرواية الاخرى يكون متمتعا ولا يتوجه الالزام ولها وجه قوي من الحديث الصحيح وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا طوافه الاول هذا مع ان أكثرهم كانوا متمتعين وقد روى سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل قال حلف طاوس ما طاف أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحجه وعمرته الا طوافا واحدا قيل الذين نظروا انه كان متمتعا تمتعا خاصا لا يقولون بهذا القول بل يوجبون عليه سعيين والمعلوم من سنته صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يسع الا سعيا واحدا كما ثبت في الصحيح عن ابن عمر انه قرن وقدم مكة فطاف بالبيت وبالصفا والمروة ولم يزد على ذلك ولم يحلق ولا قصر ولا حل من شئ حرم منه حتى كان يوم النحر فنحر وحلق رأسه ورأى انه قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الاول وقال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومراده بطوافه الاول الذي قضى به حجه وعمرته الطواف بين الصفا والمروة بلا ريب وذكر الدارقطني عن عطاء ونافع عن ابن عمر وجابر أن النبي صلى الله عليه وسلم انما طاف لحجه وعمرته طوافا واحدا وسعيا واحدا ثم قدم مكة فلم يسع بينهما بعد الصدر فهذا يدل على أحد أمرين ولا بد اما أن يكون قارنا وهو الذي لا يمكن من أوجب على المتمتع سعيين أن يقول غيره واما أن المتمتع يكفيه سعي واحد ولكن الاحاديث التي تقدمت في بيان انه كان قارنا صريحة في ذلك فلا يعدل عنها * فان قيل فقد روى شعبة عن حميد بن هلال عن مطرف عن عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاف طوافين وسعى سعيين رواه الدارقطني عن ابن صاعد حدثنا محمد بن يحيى الازدي حدثنا عبد الله بن داود عن شعبة قيل هذا خبر معلول وهو غلط قال الدارقطني يقال ان محمد بن يحيى حدث بهذا من حفظه ووهم في متنه والصواب بهذا الاسناد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرن بين الحج والعمرة والله أعلم وسيأتي ان شاء الله تعالى ما يدل على أن هذا الحديث غلط وأظن أن الشيخ أبا محمد قدس روحه انما ذهب الى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان متمتعا لانه رأى الامام أحمد قد نص على أن التمتع أفضل من القران ورأى ان الله سبحانه لم يكن ليختار لرسوله الا الافضل ورأى الاحاديث قد جاءت بانه تمتع ورأى انها صريحة في انه لم يحل وأخذ من هذه المقدمات الاربع انه تمتع تمتعا خاصا لم يحل منه ولكن أحمد لم يرجح التمتع لكون النبي صلى الله عليه وسلم حج متمتعا كيف وهو القائل لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قارنا وانما اختار التمتع لكونه آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أمر به الصحابة أن يفسخوا حجهم اليه وتأسف على فوته ولكن نقل عنه المروزي انه اذا ساق الهدي فالقران أفضل فمن أصحابه من جعل هذا رواية ثانية ومنهم من جعل المسألة رواية واحدة وانه ان ساق الهدي فالقران أفضل وان لم يسق فالتمتع أفضل وهذه هي طريقة شيخنا وهي التي تليق باصول أحمد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتمن انه كان جعلها عمرة مع سوقه الهدي بل ود انه كان جعلها عمرة ولم يسق الهدي * بقي أن يقال فاي الامرين أفضل أن يسوق ويقرن أو يترك السوق

وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون (قال ابن هشام) حصب جهنم كل ما أوقدت به قال أبو ذؤيب الهذلي واسمه خويلد بن خالد

فاطفئ ولا توقد ولا تك محصبا * لنار العداة أن تطير (١) شكاتها

وهذا البيت في أبيات له ويروى ولا تك محضا قال الشاعر

حضأت له ناري فأبصر ضوءها * وما كان لولا حضأة النار يهتدي

* قال ابن اسحق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله ابن الزبعرى السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى بن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته فأنزل الله تعالى عليه في ذلك ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون أي عيسى ابن مريم وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون الى قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم انه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره

(١) الشكاة العيب

ويتمتع كما ود النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله قيل قد تعارض في هذه المسألة أمران * أحدهما انه صلى الله عليه وسلم قرن وساق الهدي ولم يكن الله سبحانه ليختار له الا أفضل الامور ولاسيما وقد جاءه الوحي به من ربه تعالى وخير الهدي هديه * والثاني قوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فهذا يقتضي انه لو كان هذا الوقت الذي تكلم فيه هو وقت احرامه لكان أحرم بعمرة ولم يسق الهدي لان الذي استدبره هو الذي فعله ومضى فصار خلفه والذي استقبله هو الذي لم يفعله بعد بل هو امامه فبين انه لو كان مستقبلا لما استدبره وهو الاحرام بالعمرة دون هدي ومعلوم انه لا يختار ان ينتقل عن الافضل الى المفضول بل انما يختار الافضل وهذا يدل على أن آخر الامرين منه ترجيح التمتع ولمن رجح القران مع السوق أن يقول هو صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا لاجل ان الذي فعله مفضول مرجوح بل لان الصحابة شق عليهم ان يحلوا من احرامهم مع بقائه هو محرما وكان يختار موافقتهم ليفعلوا ما أمروا به مع انشراح وقبول ومحبة وقد ينتقل عن الافضل الى المفضول لما فيه من الموافقة وائتلاف القلوب كما قال لعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين فهذا ترك ما هو الاولى لاجل الموافقة والتأليف فصار هذا هو الاولى في هذه الحال فكذلك اختياره للمتعة بلا هدي وفي هذا جمع بين ما فعله وبين ما وده وتمناه ويكون الله سبحانه قد جمع له بين الامرين أحدهما بفعله له والثاني بتمنيه ووداده له فاعطاه أجر ما فعله وأجر ما نواه من الموافقة وتمناه وكيف يكون نسك يتخلله التحلل ولم يسق فيه الهدي أفضل من نسك لم يتخلله تحلل وقد ساق فيه مائة بدنة وكيف يكون نسك أفضل في حقه من نسك اختاره الله له وأتاه الوحي من ربه فان قيل والتمتع وان تخلله تحلل لكن قد تكرر فيه الاحرام وانشاؤه عبادة محبوبة للرب والقران لا يتكرر فيه الاحرام قيل في تعظيم شعائر الله بسوق الهدي والتقرب اليه بذلك من الفضل ما ليس في مجرد تكرر الاحرام ثم ان استدامته قائمة مقام تكرره وسوق الهدي لا مقابل له يقوم مقامه فان قيل فايما أفضل افراد يأتي عقيبه بالعمرة وتمتع يحل منه ثم يحرم بالحج عقيبه قيل معاذ الله ان نظن ان نسكا قط أفضل من النسك الذي اختاره الله لافضل الخلق وسادات الامة وان نقول في نسك لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة الذين حجوا معه بل ولا غيرهم من أصحابه انه أفضل مما فعلوه معه بامره فكيف يكون حج على وجه الارض أفضل من الحج الذي حجه صلوات الله عليه وأمر به أفضل الخلق واختاره لهم وأمرهم بفسخ ما عداه من الانساك اليه وود انه كان فعله ولا حج قط أكمل من هذا وهذا وان صح عنه الامر لمن ساق الهدي بالقران ولمن لم يسق بالتمتع ففي جواز خلافه نظر ولا يوحشك قلة القائلين بوجوب ذلك فان فيهم البحر الذي لا ينزف عبد الله بن عباس وجماعة من أهل الظاهر والسنة هي الحكم بين الناس والله المستعان

(فصل) وأما من قال انه حج قارنا قرانا طاف له طوافين وسعى له سعيين كما قاله كثير من فقهاء الكوفة فعذره ما رواه الدارقطني من حديث مجاهد عن ابن عمر انه جمع بين حج وعمرة معا وقال سبيلهما واحد قال وطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت وعن علي بن أبي طالب انه جمع بينهما وطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت وعن علي رضي الله عنه أيضا ان النبي صلى الله

من جهته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أي يصدون عن محمد بذلك من قولهم ذكر عيسى بن مريم فقال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها أي ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم (والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة) وكان من أشراف القوم وممن يسمع منه فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه فانزل الله تعالى فيه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الى قوله تعالى زنيم ولم يقل زنيم لعيب في نسبه لان الله لا يعيب أحدا بنسب ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف والزنيم العديد للقوم وقد قال الخطيم التميمي في الجاهلية

زنيم تداعاه الرجال زيادة
كما زيد في عرض الاديم الاكارع

(والوليد بن المغيرة) فقال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو ابن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين فانزل الله تعالى فيه فيما بلغني وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الى قوله تعالى مما يجمعون (وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح وعقبة بن أبي معيط) وكانا متصافيين حسنا ما بينهما فكان عقبة قد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه فبلغ ذلك أبيا فأتى عقبة فقال ألم يبلغني انك جالست محمدا وسمعت منه ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك واستغلظ له من اليمين ان أنت جلست اليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله فانزل الله تعالى فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع عليه
الرسول سبيلا الى قوله تعالى للانسان خذولا ومشى أبي بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد (١) ارفت فقال يا محمد أنت

(١) قوله ارفت بتشديد التاء وقوله أرم بفتح الهمزة والراء وتشديد الميم

تزعم ان الله يبعث هذا بعدما أرم ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله واياك بعدما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار فأنزل الله تعالى فيه وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون * واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فيما بلغنى الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص ابن وائل السهمى وكانوا ذوى اسنان فى قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت فى الامر فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة كلها أى ان كنتم لا تعبدون الله الا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لى بذلك منكم لكم دينكم جميعا ولى دين (وأبو جهل بن هشام) لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم قال يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد قالوا لا قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقما فأنزل الله تعالى فيه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم أى ليس كما يقول (قال ابن هشام) المهل كل شئ أذبته من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرنى أبو عبيدة وبلغنا عن الحسن بن أبى الحسن انه قال كان عبد الله ابن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة وانه أمر يوما بفضة فاذيبت فجعلت تلون ألوانا فقال هل بالباب من أحد قالوا نعم قال فادخلوهم فادخلوا فقال ان أدنى ما أنتم راؤون شبها بالمهل لهذا وقال الشاعر

يسقيه ربى حميم المهل يجرعه * يشوى الوجوه (١) فهو فى بطنه صهر

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى

عليه وسلم كان قارنا فطاف طوافين وسعى سعيين وعن علقمة عن عبد الله قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجته وعمرته طوافين وسعى سعيين وأبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وعن عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم طاف طوافين وسعى سعيين وما أحسن هذا العذر لو كانت هذه الاحاديث صحيحة بل لا يصح منها حرف واحد أما حديث ابن عمر ففيه الحسن بن عمارة وقال الدارقطنى لم يروه عن الحكم غير الحسن بن عمارة وهو متروك الحديث وأما حديث على رضى الله عنه الاول فيرويه حفص بن أبى داود وقال أحمد ومسلم حفص متروك الحديث وقال ابن خراش هو كذاب يضع الحديث وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ضعيف وأما حديثه الثانى فيرويه عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال الدارقطنى عيسى بن عبد الله يقال له مبارك وهو متروك الحديث وأما حديث علقمة عن عبد الله فيرويه أبو بردة عمرو بن زيد عن حماد عن ابراهيم عن علقمة قال الدارقطنى وأبو بردة ضعيف ومن دونه فى الاسناد ضعفاء انتهى وفيه عبد العزيز بن أبان قال يحيى هو كذاب خبيث وقال الرازى والنسائى متروك الحديث وأما حديث عمران بن حصين فهو مما غلط فيه محمد بن يحيى الازدى وحدث به من حفظه فوهم فيه وقد حدث به على الصواب مرارا ويقال انه رجع عن ذكر الطواف والسعى وقد روى الامام أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث الدراوردى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرن بين حجه وعمرته أجزأه لهما طواف واحد ولفظ الترمذى من أحرم بالحج والعمرة أجزأه طواف وسعى واحد منهما حتى يحل منهما جميعا وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فأهللنا بعمرة ثم قال من كان معه هدى فليهل بالحج والعمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فطاف الذين أهلوا بالعمرة ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد ان رجعوا من منى وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة فانما طافوا طوافا واحدا وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان طوافك بالبيت وبالصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك وروى عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف طوافا واحدا لحجه وعمرته وعبد الملك أحد الثقات المشهورين احتج به مسلم وأصحاب السنن وكان يقال له الميزان ولا يتكلم فيه بضعف ولا جرح وانما أنكر عليه حديث الشفعة وتلك شكاة ظاهر عنه عارها وقد روى الترمذى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرن بين الحج والعمرة وطاف لهما طوافا واحدا وهذا وان كان فيه الحجاج بن ارطاة فقد روى عنه سفيان وشعبة وابن نمير وعبد الرزاق والخلق عنه قال الثورى وما بقى أحد أعرف بما يخرج من رأسه منه وعيب عليه التدليس وقل من سلم منه وقال أحمد كان من الحفاظ وقال ابن معين ليس بالقوى وهو صدوق يدلس وقال أبو حاتم اذا قال حدثنا فهو صادق لا نرتاب فى صدقه وحفظه وقد روى الدارقطنى من حديث ليث بن أبى سليم قال حدثنى عطاء وطاوس ومجاهد عن جابر وعن ابن عمر وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يطف هو وأصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا لعمرتهم وحجهم وليث بن أبى سليم احتج به أهل السنن الاربعة واستشهد به مسلم وقال ابن معين لا بأس به وقال الدارقطنى كان صاحب سنة وانما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد حسب وقال عبد الوارث كان من أوعية العلم وقال أحمد مضطرب الحديث ولكن

(١) قوله فهو بضم الهاء وسكون الواو للوزن

[illegible] منهم عاش عبدا وان عث * فتى الثار يسقى مهلها ورسلتها [illegible] وهذا البيت فى قصيدة له ويقال ان المهل صديد الجسد بلغنا ان أبا
بكر الصديق رضى الله عنه لما حضر أمر بثوبين لبيسين يغسلان فيكفن فيهما فقالت له عائشة قد أغناك الله يا أبت عنهما فاشتر كفنا فقال انما
هى ساعة حتى يصير الى المهل قال الشاعر شاب بالماء منه مهلا كريها * ثم علّ المتون بعد النهال *قال ابن اسحق
فأنزل الله تعالى فيه والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه وقد طمع فى اسلامه فبينا هو فى ذلك اذ مر به ابن أم مكتوم الاعمى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجره وذلك انه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله تعالى فيه عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى قوله تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أى انما بعثتك بشيرا ونذيرا لم أخص بك أحدا دون أحد فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تتصدبه لمن لا يريده (قال ابن هشام) ابن أم مكتوم أحد بنى عامر ابن لؤى واسمه عبد الله ويقال عمرو * قال ابن اسحق وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا الى أرض الحبشة اسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى اذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل منهم أحد الا بجوار أو مستخفيا فكان ممن قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر الى المدينة فشهد معه بدرا ومن حبس عنه
حتى فاته بدر وغيره ومن مات بمكة (منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى) عثمان بن عفان بن أبى العاص وقول
ابن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة
بنت سهيل (ومن حلفائهم) عبد الله بن جحش بن رئاب (ومن بنى نوفل بن عبد مناف) عتبة بن غزوان حليف لهم من قيس عيلان (ومن

حدث عنه الناس وضعفه النسائى ويحيى فى رواية عنه ومثل هذا حديثه حسن وان لم يبلغ رتبة الصحة وفى الصحيحين عن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة ثم وجدها تبكى فقالت قد حضت وقد حل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت فقال اغتسلى ثم أهلى بالحج ففعلت ثم وقفت المواقف حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وبالصفا والمروة ثم قال قد حللت من حجك وعمرتك جميعا وهذا يدل على ثلاثة أمور * أحدها انها كانت قارنة * والثانى أن القارن يكفيه طواف واحد وسعى واحد * والثالث انه لا يجب عليها قضاء تلك العمرة التى حاضت فيها ثم أدخلت عليها الحج وانها لم ترفض احرام العمرة بحيضها وانما رفضت أعمالها والاقتصار عليها وعائشة لم تطف أولا طواف القدوم بل لم تطف الا بعد التعريف وسعت مع ذلك فاذا كان طواف الافاضة والسعى بعد يكفى القارن فلان يكفيه طواف القدوم مع طواف الافاضة وسعى واحد مع أحدهما بطريق الاولى لكن عائشة تعذر عليها الطواف الاول فصارت قصتها حجة فان المرأة التى يتعذر عليها الطواف الاول تفعل كما فعلت عائشة تدخل الحج على العمرة وتصير قارنة ويكفيها لهما طواف الافاضة والسعى عقيبه قال شيخ الاسلام ابن تيمية ومما يبين انه صلى الله عليه وسلم لم يطف طوافين ولا سعى سعيين قول عائشة رضى الله عنها وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فانما طافوا طوافا واحدا متفق عليه وقول جابر لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا طوافه الاول رواه مسلم وقوله لعائشة يجزئ عنك طوافك بالصفا والمروة عن حجك وعمرتك رواه مسلم وقوله لها فى رواية أبى داود طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك جميعا وقوله لها فى الحديث المتفق عليه لما طافت بالكعبة وبين الصفا والمروة قد حللت من حجك وعمرتك جميعا قال والصحابة الذين نقلوا حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم نقلوا انهم لما طافوا بالبيت وبين الصفا والمروة أمرهم بالتحليل الا من ساق الهدى فانه لا يحل الا يوم النحر ولم ينقل أحد منهم ان أحدا منهم طاف وسعى ثم طاف وسعى ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعى على نقله فلما لم ينقله أحد من الصحابة علم انه لم يكن وعمدة من قال بالطوافين والسعيين أثر يرويه الكوفيون عن على رضى الله عنه وآخر عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد روى جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله عنه أن القارن يكفيه طواف واحد وسعى واحد خلاف ما روى أهل الكوفة وما رواه العراقيون منه ما هو منقطع ومنه ما رجاله مجهولون أو مجروحون ولهذا طعن علماء النقل فى ذلك حتى قال ابن حزم كل ما روى فى ذلك عن الصحابة لا يصح منه ولا كلمة واحدة وقد نقل فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ما هو موضوع بلا ريب وقد حلف طاوس ما طاف أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجته وعمرته الا طوافا واحدا وقد ثبت مثل ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم رضى الله عنهم وهم أعلم الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخالفوها بل هذه الآثار صريحة فى انهم لم يطوفوا بالصفا والمروة الا مرة واحدة وقد تنازع الناس فى القارن والمتمتع هل عليهما سعيان أو سعى واحد على ثلاثة أقوال فى مذهب أحمد وغيره * أحدها ليس على واحد منهما الا سعى واحد كما نص عليه أحمد فى رواية ابنه عبد الله قال عبد الله قلت لابى المتمتع كم يسعى بين الصفا والمروة قال ان طاف طوافين فهو أجود وان طاف طوافا واحدا فلا بأس قال شيخنا وهذا منقول عن غير واحد من السلف * الثانى المتمتع عليه سعيان والقارن عليه سعى واحد وهذا هو القول الثانى فى مذهبه

وقول من يقوله من أصحاب مالك رحمه الله والشافعي رحمه الله * والثالث أن على كل واحد منهما سعيين كمذهب أبي حنيفة رحمه الله ويذكر قولا في مذهب أحمد رحمه الله والله أعلم والذي تقدم هو بسط قول شيخنا وشرحه والله أعلم

(فصل وأما الذين قالوا انه حج حجا مفردا) اعتمر عقيبه من التنعيم فلا يعلم لهم عذر البتة الا ما تقدم من انهم سمعوا انه أفرد الحج وان عادة المفردين ان يعتمروا من التنعيم فتوهموا انه فعل كذلك

(فصل وأما الذين غلطوا في اهلاله) فمن قال انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها فعذره انه سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمتع والمتمتع عنده من أهل بعمرة مفردة بشروطها وقد قالت له حفصة رضي الله عنها ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك وكل هذا لا يدل على انه قال لبيك بعمرة مفردة ولم ينقل هذا أحد عنه البتة فهو وهم محض والاحاديث الصحيحة المستفيضة في لفظه في اهلاله تبطل هذا

(فصل وأما من قال انه لبى بالحج وحده واستمر عليه فعذره) ما ذكرنا عمن قال أفرد الحج ولبى بالحج وقد تقدم الكلام على ذلك وانه لم يقل أحد قط انه قال لبيك بحجة مفردة وان الذين نقلوا لفظه صرحوا بخلاف ذلك

(فصل وأما من قال انه لبى بالحج وحده) ثم أدخل عليه العمرة وظن انه بذلك تجتمع الاحاديث فعذره انه رأى أحاديث افراده بالحج صحيحة فحملها على ابتداء احرامه ثم انه أتاه آت من ربه تعالى فقال قل عمرة في حجة فادخل العمرة حينئذ على الحج فصار قارنا ولهذا قال للبراء بن عازب اني سقت الهدي وقرنت فكان مفردا في ابتداء احرامه قارنا في أثنائه وأيضا فان أحدا لم يقل انه أهل بالعمرة ولا لبى بالعمرة ولا أفرد العمرة ولا قال خرجنا لا ننوي الا العمرة وقالوا أهل بالحج ولبى بالحج وأفرد الحج وخرجنا لا ننوي الا الحج وهذا يدل على ان الاحرام وقع أولا بالحج ثم جاءه الوحي من ربه تعالى بالقران فلبى بهما فسمعه أنس يلبي بهما وصدق وسمعته عائشة وابن عمر وجابر يلبي بالحج وحده أولا وصدقوا قالوا وبهذا تتفق الاحاديث ويزول عنها الاضطراب وأرباب هذه المقالة لا يجيزون ادخال العمرة على الحج ويرونه لغوا ويقولون ان ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره قالوا ومما يدل على ذلك ان ابن عمر لبى بالحج وحده وأنس قال أهل بهما جميعا وكلاهما صادقان فلا يمكن أن يكون اهلاله بالقران سابقا على اهلاله بالحج وحده لانه اذا أحرم قارنا لم يكن بان يحرم بعد ذلك بحج مفرد وينقل الاحرام الى الافراد فتعين انه أحرم بالحج مفردا فسمعه ابن عمر وعائشة وجابر فنقلوا ما سمعوه ثم أدخل عليه العمرة فاهل بهما جميعا لما جاءه الوحي من ربه فسمعه أنس يهل بهما فنقل ما سمعه ثم أخبر عن نفسه بانه قرن وأخبر عنه من تقدم ذكره من الصحابة بالقران فاتفقت أحاديثهم وزال عنها الاضطراب والتناقض قالوا ويدل عليه قول عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ومن أراد أن يهل بحج فليهل ومن أراد أن يهل بعمرة فليهل قالت عائشة فاهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج وأهل به ناس معه فهذا يدل على انه كان مفردا في ابتداء احرامه فعلم أن قرانه كان بعد ذلك ولا ريب أن في هذا القول من مخالفة الاحاديث المتقدمة ودعوى التخصيص للنبي صلى الله عليه وسلم باحرام لا يصح في حق الامة ما يرده ويبطله ومما يرده أن أنسا قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالبيداء ثم ركب وصعد

بني أسد بن عبد العزى بن قصي) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد (ومن بني عبد الدار بن قصي) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف *وسويبط بن سعد بن حريملة (ومن بني عبد بن قصي) طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد (ومن بني زهرة بن كلاب) عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة *والمقداد بن عمرو حليف لهم * وعبد الله بن مسعود حليف لهم (ومن بني مخزوم بن يقظة) أبو سلمة ابن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة * وشماس بن عثمان بن الشريد ابن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم *وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عمه بمكة فلم يقدم الا بعد بدر واحد والخندق * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه الى المدينة ولحق به أخواه لامه أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام فرجعا به الى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق (ومن حلفائهم) عمار بن ياسر يشك فيه أكان خرج الى الحبشة أم لا * ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة (ومن بني جمح بن عمرو ابن هصيص بن كعب) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب ابن عثمان وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون (ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب) خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي * وهشام بن العاص بن وائل حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق (ومن بني عدي بن كعب بن لؤي) عامر بن ربيعة حليف لهم معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم (ومن بني عامر بن لؤي) عبد الله ابن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس *وعبد الله بن سهيل بن عمرو وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا *وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو *والسكران ابن عمرو بن عبد شمس معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخلف رسول الله صلى

جبل البيداء وأهل بالحج والعمرة حين صلى الظهر وفى حديث عمران الذى جاءه من ربه قال له صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة فكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذى روى عمر انه أمر به وروى أنس انه فعله سواء فصلى الظهر بوادى الحليفة ثم قال لبيك حجا وعمرة واختلف الناس فى جواز ادخال العمرة على الحج على قولين وهما روايتان عن أحمد رضى الله عنه أشهرهما أنه لا يصح والذين قالوا بالصحة كابى حنيفة وأصحابه رحمهم الله بنوه على أصولهم وان القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين فاذا أدخل العمرة على الحج فقد التزم زيادة عمل على الاحرام بالحج وحده ومن قال يكفيه طواف واحد وسعى واحد قال لم يستفد بهذا الادخال الا سقوط أحد السفرين ولم يلتزم به زيادة عمل بل نقصانه فلا يجوز وهذا مذهب الجمهور

(فصل وأما القائلون) انه أحرم بعمرة ثم أدخل عليها الحج فعذرهم قول ابن عمر تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج متفق عليه وهذا ظاهر فى انه أحرم أولا بالعمرة ثم أدخل عليها الحج وبين ذلك أيضا ان ابن عمر لما حج زمن ابن الزبير أهل بعمرة ثم قال أشهد كم انى قد أوجبت حجا مع عمرتى وأهدى هديا اشتراه بقديد ثم انطلق يهل بهما جميعا حتى قدم مكة فطاف بالبيت وبالصفا والمروة ولم يزد على ذلك ولم ينحر ولم يحلق ولم يقصر ولم يحلل من شئ حرم منه حتى كان يوم النحر فنحر وحلق ورأى ان ذلك قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الاول وقال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعند هؤلاء انه كان متمتعا فى ابتداء احرامه قارنا فى أثنائه وهؤلاء أعذر من الذين قبلهم وادخال الحج على العمرة جائز بلا نزاع يعرف وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها بادخال الحج على العمرة فصارت قارنة ولكن سياق الاحاديث الصحيحة يرد على أرباب هذه المقالة فان أنسا أخبر أنه حين صلى الظهر أهل بهما جميعا وفى الصحيح عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع موافين لهلال ذى الحجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد منكم ان يهل بعمرة فليهل فلولا انى أهديت لاهللت بعمرة قالت وكان من القوم من أهل بعمرة ومنهم من أهل بالحج فقالت فكنت أنا ممن أهل بعمرة وذكرت الحديث رواه مسلم فهذا صريح فى انه لم يهل اذ ذاك بعمرة فاذا جمعت بين قول عائشة هذا وبين قولها فى الصحيح تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وبين قولها وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج والكل فى الصحيح علمت انها انما نفت عمرة مفردة وانها لم تنف عمرة القران وكانوا يسمونها تمتعا كما تقدم وان ذلك لا يناقض اهلاله بالحج فان عمرة القران فى ضمنه وجزء منه ولا ينافى قولها أفرد الحج فان أعمال العمرة لما دخلت فى أعمال الحج وأفردت أعماله كان ذلك افرادا بالفعل وأما التلبية بالحج مفردا فهو افراد بالقول وقد قيل ان حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمتع فى حجة الوداع بالعمرة الى الحج وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج مروى بالمعنى من حديثه الآخر وان ابن عمر هو الذى فعل ذلك عام حجه فى فتنة ابن الزبير وانه بدأ وأهل بالعمرة ثم قال ما شأنهما الا واحد أشهد كم انى قد أوجبت حجا مع عمرتى فاهل بهما جميعا ثم قال فى آخر الحديث هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أراد اقتصاره على طواف واحد وسعى واحد فحمل على المعنى وروى به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فاهل بالعمرة ثم أهل

بالحج

الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة (ومن حلفائهم) سعد بن خولة (ومن بنى الحرث بن فهر) أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبى شداد * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال * وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا وكان من دخل منهم بجوار فيمن سمى لنا عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى دخل بجوار من الوليد بن المغيرة * وأبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال المخزومى دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب وكان خاله وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب * قال ابن اسحق فاما عثمان بن مظعون فان صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان قال لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والاذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال لم يا ابن أخى لعله آذاك أحد من قومى قال لا ولكنى أرضى بجوار الله ولا أريد ان أستجير بغيره قال فانطلق الى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية قال فانطلقنا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى قال صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ثم انصرف وعثمان ولبيد ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل * قال عثمان صدقت قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد بن ربيعة يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله

بالحج وانما الذى نعل ذلك ابن عمر وهــذا ليس ببعيد بل متعين فان عائشــة قالت عنــه لولا أن معى الهدى لاهللت بعمرة وأنس قال عنه انه حين صلى الظهر أوجب حجا وعمرة وعمر رضى الله عنه أخبر عنه ان الوحى جاءه من ربه بامره بذلك فان قيل فما تصنعون بقول الزهرى ان عروة أخبره عن عائشة بمثل حديث سالم عن ابن عمر قيل الذى أخبرت به عائشــة من ذلك هو أنه صــلى الله عليه وسلم طاف طوافا واحــدا عن حجه وعمرته وهذا هو الموافق لرواية عروة عنها فى الصحيحين وطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت و بين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد ان رجعوا من منى لحجهم وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فانما طافوا طوافا واحدا فهذا مثل الذى رواه سالم عن أبيه سواء وكيف تقول عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج وقد قالت ان رسول الله صــلى الله عليه وســلم قال لولا ان معى الهدى لاهللت بعمرة وقالت وأهل رسول الله صــلى الله عليه وســلم بالحج فعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يهل فى ابتداء احرامه بعمرة مفردة والله أعلم

(فصل) وأما الذين قالوا انه أحرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد ذلك لما جاءه القضاء وهو بين الصفا والمروة وهو أحد أقوال الشافعى رحمه الله نص عليه فى كتاب اختلاف الحــديث قال وثبت انه خرج ينتظر القضاء فنزل عليــه القضاء وهو ما بين الصفا والمروة فامر أصحابه ان من كان منهم أهل ولم يكن معه هدى ان يجعلها عمرة ثم قال ومن وصف انتظار النبى صــلى الله عليــه وســلم القضاء اذ لم يحج من المدينــة بعد نزول الفرض طلبا للاختيار فيما وسع الله من الحج والعمرة فيشبه أن يكون أحفظ لانه قد أتى بالمتلاعنين فانتظر القضاء كذلك حفظ عنــه فى الحج ينتظر القضاء وعذر أرباب هذا القول ما ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صــلى الله عليه وسلم لانذكر حجا ولا عمرة وفى لفظ يلبى لا يذكر حجا ولا عمرة وفى رواية عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لانرى الا الحج حتى اذا دنونا من مكة أمر رسول الله صــلى الله عليه وســلم من لم يكن معه هدى اذا طاف بالبيت و بين الصفا والمروة ان يحل وقال طاوس خرج رسول الله صــلى الله عليه وسلم من المدينــة لا يسمى حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل القضاء وهو بين الصفا والمروة فامر أصحابه من كان منهم أهل بالحج ولم يكن معه هدى أن يجعلها عمرة الحديث وقال جابر فى حديثــه الطويل فى سياق حجة النبى صــلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا اســتوت به ناقته على البيداء نظرت الى مد بصرى من بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك و رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله فما عمل به من شئ عملنا به فاهل بالتوحيد لبيــك اللهــم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وأهل الناس بهــذا الذى يهلون به ولزم رسول الله صلى الله عليه وســلم تلبيته فاخبر جابر انه لم يزد على هــذه التلبية ولم يذكر انه أضاف اليها حجا ولا عمرة ولا قرانا وليس فى شئ من هــذه الاعذار ما يناقض أحاديث تعيينه النســك الذى أحرم به فى الابتداء وانه القران فاما حديث طاوس فهو مرسل لا يعارض به الاساطين المســندات ولا يعرف اتصاله بوجه صحيح ولا حسن ولو صح فانتظاره للقضاء كان فيما بينه و بين الميقات فجاءه القضاء وهو بذلك الوادى أتاه آت من ربه تعالى فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة فهــذا القضاء الذى انتظره جاءه قبــل الاحرام فعــين له القران وقول طاوس نزل عليــه القضاء وهو بين الصفا

فردعليه عثمان حتى (١) شرى أمرهما فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخى ان كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت فى ذمة منيعة قال يقول عثمان بل والله ان عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله وانى والله لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبــد شمس فقال له الوليــد هلم يا ابن أخى ان شئت الى جوارك فعــد فقال لا * قال ابن اسحق وأما أبو سلمة بن عبــد الاسد فحدثنى أبى اسحق بن يسار عــن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة انه حــدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب مشى اليــه رجال بنى مخزوم فقالوا يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعــه منا قال انه استجار بى وهو ابن أختى وان أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هــــذا الشيخ ما تزالون تتوا ثبون عليه فى جواره من بين قومه والله لتنتهن عنه أو لنقومن معــه فى كل ما قام فيــه حتى يبلغ ما أراد قال فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبــة وكان لهــم وليا وناصرا على رسول الله صــلى الله عليه وســلم فابقوا على ذلك فطمع فيــه أبو طالب حين سمعــه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرض أبا لهب عــلى نصرته ونصرة رسول الله صــلى الله عليه وســلم

ان امرأ أبو عتيبة عمه
لفى روضة ما ان يسام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتى
أبا معتب ثبت سوادك قائما
فلا تقبلن الدهر ما عشت خطة
تسب بها اما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم
فانك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى * أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة * ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبــد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

(١) قوله شرى أى زاد وعظم

والمروة هو قضاء آخر غير القضاء الذي نزل عليه باحرامه فان ذلك كان بوادي العقيق وانما القضاء الذي نزل عليه بين الصفا والمروة قضاء الفسخ الذي أمر به الصحابة الى العمرة فحينئذ أمر كل من لم يكن معه هدي منهم ان يفسخ الى عمرة وقال لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة وكان هذا أمر حتم بالوحي فانهم لما توقفوا فيه قال انظروا الذي آمركم به فافعلوه فاما قول عائشة خرجنا لا نذكر حجا ولا عمرة فهذا ان كان محفوظا عنها وجب حمله على ماقبل الاحرام والا ناقض سائر الروايات الصحيحة عنها ان منهم من أهل عند الميقات بحج ومنهم من أهل بعمرة وانها ممن أهل بعمرة وأما قولها نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة فهذا في ابتداء الاحرام ولم يقل انهم استمروا على ذلك الى مكة هذا باطل قطعا فان الذين سمعوا احرام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أهل به شهدوا على ذلك وأخبروا به ولا سبيل الى رد رواياتهم ولو صح عن عائشة ذلك لكان غايته انها لم تحفظ اهلالهم عند الميقات أو نفته وحفظه غيرها من الصحابة فاثبته والرجال بذلك أعلم من النساء وأما قول جابر رضي الله عنه وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد فليس فيه الاخباره عن صفة تلبيته وليس فيه نفي لتعيينه النسك الذي أحرم به بوجه من الوجوه وبكل حال ولو كانت هذه الاحاديث صريحة في نفي التعيين لكانت أحاديث أهل الاثبات أولى بالاخذ منها لكثرتها وصحتها واتصالها وانها مثبتة مبينة متضمنة لزيادة خفيت على من نفى وهذا بحمد الله واضح وبالله التوفيق

(فصل ولنرجع الى سياق حجته صلى الله عليه وسلم) ولبد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل وهو بالغين المعجمة على وزن كفل وهو ما يغسل به الرأس من خطمي ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر وأهل في مصلاه ثم ركب على ناقته وأهل أيضا ثم أهل لما استقلت به على البيداء قال ابن عباس وايم الله لقد أوجب في مصلاه وأهل حين استقلت به ناقته وأهل حين علا على شرف البيداء وكان يهل بالحج والعمرة تارة وبالحج تارة لان العمرة جزء منه فمن ثم قيل قرن وقيل تمتع وقيل أفرد قال ابن حزم كان ذلك قبل الظهر بيسير وهذا وهم منه والمحفوظ انه انما أهل بعد صلاة الظهر ولم يقل أحد قط أن احرامه كان قبل الظهر ولا أدري من أين له هذا وقد قال ابن عمر ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من عند الشجرة حين أقام به بعيره وقد قال أنس انه صلى الظهر ثم ركب والحديثان في الصحيح فاذا جمعت أحدهما الى الآخر تبين انه انما أهل بعد صلاة الظهر ثم لبى فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وكان حجه على رحل لا في محمل ولا هودج ولا عمارية وزاملته تحته وقد اختلف في جواز ركوب المحرم في المحمل والهودج والعمارية ونحوها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله أحدهما الجواز وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله والثاني المنع وهو مذهب مالك

(فصل) ثم انه صلى الله عليه وسلم خيرهم عند الاحرام بين الانساك الثلاثة ثم ندبهم عند دنوهم من مكة الى فسخ الحج والقران الى العمرة لمن لم يكن معه هدي ثم حتم ذلك عليهم عند المروة وولدت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضي الله عنهما بذي الحليفة محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستثفر بثوب وتحرم وتهل وكان في قصتها ثلاث سنن *أحدها غسل المحرم * والثانية أن الحائض تغتسل لاحرامها * والثالثة أن الاحرام يصح من الحائض

بتفريقهم من بعد ودّ وألفة * جماعتنا كيما ينال المحارما . كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما (قال ابن هشام) نبزى نسلب (قال ابن هشام) بقي منها بيت تركناه * قال ابن اسحق وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنهما حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الاذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فاذن له فخرج أبو بكر مهاجرا معه حتى اذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه (١) ابن الدغنة أخو بني الحرث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش * قال ابن اسحق والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة ابن كنانة والهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة (قال ابن هشام) تحالفوا جميعا فسموا (٢) الاحابيش للحلف ويقال ابن الدغينة * قال ابن اسحق وحدثني الزهري عن عروة عن عائشة قالت فقال ابن الدغنة أين يا أبا بكر قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال ولم فوالله انك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدم ارجع وأنت في جواري فرجع معه حتى اذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش اني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد الا بخير قالت فكفوا عنه قالت وكان لابي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا اذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته قالت فمشى رجال من قريش الى ابن الدغنة فقالوا يا ابن الدغنة انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا انه رجل اذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على

---

(١) قوله ابن الدغنة ضبطه القسطلاني بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون مخففة وبضم الدال والغين وفتح النون مشددة (٢) قوله الاحابيش هم أحياء من القارة انضموا الى بني ليث والتحبش التجمع وقيل حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا بأسفل مكة فسموا بذلك

الحائض ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبى بتلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون وهو يقرهم ولا ينكر عليهم ولزم تلبيته فلما كانوا بالروحاء رأى حمار وحش عقيرا فقال دعوه فانه يوشك أن يأتى صاحبه فجاء صاحبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق وفى هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال اذا لم يصده لاجله وأما كون صاحبه لم يحرم فلعله لم يمر بذى الحليفة فهو كأبى قتادة فى قصته وتدل هذه القصة على أن الهبة لا تفتقر الى لفظ وهبت لك بل تصح بلفظ يدل عليها وتدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتحرى وتدل على أن الصيد يملك بالاثبات وازالة امتناعه وانه لمن أثبته لا لمن أخذه وعلى حل أكل لحم الحمار الوحشى وعلى التوكيل فى القسمة وعلى كون القاسم واحدا

(فصل) ثم مضى حتى اذا كان بالاثاية بين الرويثة والعرج اذا ظبى حاقف فى ظل فيه سهم فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزوا والفرق بين قصة الظبى وقصة الحمار ان الذى صاد الحمار كان حلالا فلم يمنع من أكله وهذا لم يعلم أنه حلال وهم محرمون فلم يأذن لهم فى أكله ووكل من يقف عنده لئلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة فى عدم الحل اذ لو كان حلالا لم تضع ماليته

(فصل) ثم سار حتى اذا نزل بالعرج وكانت زاملته وزاملة أبى بكر واحدة وكانت مع غلام لابى بكر فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى جانبه وعائشة الى جانبه الآخر وأسماء زوجته الى جانبه وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة اذ طلع الغلام ليس معه البعير فقال أين بعيرك فقال أضللته البارحة فقال أبو بكر بعير واحد تضله قال فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يقول ذلك ويتبسم ومن تراجم أبى داود على هذه القصة باب المحرم يؤدب غلامه

(فصل) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالابواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشى فرده عليه فقال انا لم نرده عليك الا أنا حرم وفى الصحيحين أنه أهدى له حمارا وحشيا وفى لفظ لمسلم لحم حمار وحشى وقال الحميدى كان سفيان يقول فى الحديث أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حمار وحشى وربما قال سفيان يقطر دما وربما لم يقل ذلك وكان فيما خلا ربما قال حمار وحش ثم صار الى لحم حتى مات وفى رواية شق حمار وحشى وفى رواية رجل حمار وحش وروى يحيى بن سعيد عن جعفر عن عمرو بن أمية الضمرى عن أبيه عن الصعب أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحشى وهو بالجحفة فأكل منه وأكل القوم قال البيهقى وهذا اسناد صحيح فان كان محفوظا فكأنه رد الحى وقبل اللحم وقال الشافعى رحمه الله فان كان الصعب بن جثامة أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم الحمار حيا فليس للمحرم ذبح حمار وحشى وان كان أهدى له لحم الحمار فقد يحتمل أن يكون علم أنه صيد له فرده عليه وايضاحه فى حديث جابر قال وحديث مالك أنه أهدى له حمارا أثبت من حديث من حدث أنه أهدى له من لحم حمار قلت أما حديث يحيى بن سعيد عن جعفر فغلط بلا شك فان الواقعة واحدة وقد اتفق الرواة انه لم يأكل منه الا هذه الرواية الشاذة المنكرة وأما الاختلاف فى كون الذى أهداه حيا أو لحما فرواية من روى لحما أولى لثلاثة أوجه * أحدها أن راويها قد

صبياننا ونساءنا وضعفتنا ان يفتنهم فأنه فمره ان يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء قالت فمشى ابن الدغنة اليه فقال له يا أبا بكر انى لم أجرك لتؤذى قومك انهم قد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت قال أو أردد عليك جوارك وأرضى بجوار الله قال فاردد على جوارى قال قد رددته عليك قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش ان ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على رأسه ترابا قال فمر بأبى بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل قال فقال أبو بكر ألا ترى الى ما يصنع هذا السفيه قال أنت فعلت ذلك بنفسك قال وهو يقول أى رب ما أحلمك أى رب ما أحلمك أى رب ما أحلمك

(حديث نقض الصحيفة)

* قال ابن اسحق وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوا ثم انه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نفر من قريش ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة ابن الحرث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى وذلك انه كان ابن أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لامه وكان هشام لبنى هاشم واصلا وكان ذا شرف فى قومه فكان فيما بلغنى يأتى بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلا قد أوقره طعاما حتى اذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك * قال ابن اسحق ثم انه مشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم أما انى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك اليه أبدا قال ويحك يا هشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله

حفظها وضبط الواقعة حتى ضبطها أنه يقطر دما وهذا يدل على حفظه للقصة حتى لهذا الامر الذى لا يؤبه له * الثانى ان هذا صريح فى كونه بعض الحمار وانه لحم منه فلا يناقض قوله أهدى له حمارا بل يمكن حمله على رواية من روى لحما تسمية للحم باسم الحيوان وهذا مما لا تاباه اللغة * الثالث أن سائر الروايات متفقة على انه بعض من أبعاضه وانما اختلفوا فى ذلك البعض هل هو عجزه أو شقه أو رجله أو لحم منه ولا تناقض بين هذه الروايات اذ يمكن أن يكون الشق الذى فيه العجز وفيه الرجل فصح التعبير عنه بهذا وهذا وقد رجع ابن عيينة عن قوله حمارا وثبت على قوله لحم حمار حتى مات وهذا يدل على انه تبين له انه أهدى له لحما لا حيوانا ولا تعارض بين هذه وبين أكله لما صاده أبو قتادة فان قصة أبى قتادة كانت عام الحديبية سنة ست وقصة الصعب قد ذكر غير واحد انها كانت فى حجة الوداع منهم المحب الطبرى فى كتاب حجة الوداع له وغيره وهذا مما ينظر فيه وفى قصة الظبى وحمار يزيد ابن كعب السلمى البهزى هل كانت فى حجة الوداع أو فى بعض عمره والله أعلم فان حمل حديث أبى قتادة على انه لم يصده لاجله وحديث الصعب على انه صيد لاجله زال الاشكال وشهد لذلك حديث جابر المرفوع صيد البر لكم حلال مالم تصيدوه أو يصاد لكم وان كان الحديث قد أعل بأن المطلب بن حنطب راويه عن جابر لا يعرف له سماع منه قاله النسائى قال الطبرى فى حجة الوداع له فلما كان فى بعض الطريق اصطاد أبو قتادة حمارا وحشيا ولم يكن محرما فأحله النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه بعد أن سألهم هل أمره أحد منكم بشئ أو أشار اليه وهذا وهم منه رحمه الله فان قصة أبى قتادة انما كانت عام الحديبية هكذا روى فى الصحيحين من حديث عبد الله ابنه عنه قال انطلقنا مع النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأحرم أصحابه ولم أحرم فذكر قصة الحمار الوحشى

(فصل) فلما مر بوادى عسفان قال يا أبا بكر أى وادى هذا قال وادى عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق ذكره الامام أحمد فى المسند فلما كان بسرف حاضت عائشة رضى الله عنها وقد كانت أهلت بعمرة فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى قال ما يبكيك لعلك نفست قالت نعم قال هذا شئ قد كتبه الله على بنات آدم افعلى ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفى بالبيت وقد تنازع العلماء فى قصة عائشة هل كانت متمتعة أو مفردة فاذا كانت متمتعة فهل رفضت عمرتها أو انتقلت الى الافراد وأدخلت عليها الحج وصارت قارنة وهل العمرة التى أتت بها من التنعيم كانت واجبة أم لا واذا لم تكن واجبة فهل هى مجزية عن عمرة الاسلام أم لا واختلفوا أيضا فى موضع حيضها وموضع طهرها ونحن نذكر البيان الشافى فى ذلك بحول الله وتوفيقه واختلف الفقهاء فى مسألة مبنية على قصة عائشة وهى أن المرأة اذا أحرمت بالعمرة فحاضت ولم يمكنها الطواف قبل التعريف فهل ترفض الاحرام بالعمرة وتهل بالحج مفردا أو تدخل الحج على العمرة وتصير قارنة فقال بالقول الاول فقهاء الكوفة منهم أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله وبالثانى فقهاء الحجاز منهم الشافعى ومالك رحمهما الله وهو مذهب أهل الحديث كالامام أحمد رحمه الله واتباعه قال الكوفيون ثبت فى الصحيحين عن عروة عن عائشة أنها قالت أهللت بعمرة فقدمت مكة وأنا حائض لم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة فشكوت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انقضى رأسك وامتشطى وأهلى بالحج ودعى العمرة قالت ففعلت فلما قضيت الحج أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن بن أبى بكر الى التنعيم فاعتمرت

أنا ولو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها قال قد وجدت رجلا قال من هو قال أنا قال له زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى فقال له يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا قال ويحك فماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبى أمية قال ابغنا رابعا فذهب الى أبى البخترى بن هشام فقال له نحوا مما قال لمطعم بن عدى فقال وهل من أحد يعين على هذا قال نعم قال من هو قال زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له وهل على هذا الامر الذى تدعونى اليه من أحد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك فاجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون اول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال أبو جهل وكان فى ناحية المسجد كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابها حيث كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال أبو جهل هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون (قال ابن هشام) وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب يا عم ان الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها

وثقفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله مايدخل عليك أحد ثم خرج الى قريش فقال يامعشر قريش ان ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخى فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا * قال ابن اسحق فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا فى نقضها يمدحهم

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا
على نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وان كل مالم يرضه الله مفسد
تراوحها أفك وسحر مجمع
ولم يلف سحرا آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
فطائرها فى رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بأثيمة
ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتين فيهربوا
فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره
أيتهم (١) فيها عند ذاك وينجد
وتصعد بين الاخشبين كتيبة
لها حدج سهم وقوس ومرهد
فمن ينس من حضار مكة عزه
فعزتنا فى بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها (٢) قليل
فلم ننفكك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
اذا جعلت أيدى المفيضين ترعد
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا
على ملا يهدى لحزم ويرشد
قعودا لدى حطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه
اذا ما مشى فى رفرف الدرع أجرد
جرئ على جل الخطوب كأنه * شهاب بكفى قابس يتوقد
من الاكرمين من لؤى بن غالب * اذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه * على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد * يحض على مقرى الضيوف ويحشد

(١) قوله فيها فى نسخة فيه (٢) قوله قليل بضم القاف وفتح اللام وتشديد التحتية مصغر قليل وقوله تتابعوا فى نسخة تبايعوا

وعمرت معه فقال هذه مكان عمرتك قالوا فهذا يدل على انها كانت متمتعة وعلى انها رفضت عمرتها وأحرمت بالحج لقوله صلى الله عليه وسلم دعى عمرتك ولقوله انقضى رأسك وامتشطى ولو كانت باقية على احرامها لما جاز لها أن تمتشط ولانه قال للعمرة التى أتت بها من التنعيم هذه مكان عمرتك ولو كانت عمرتها الاولى باقية لم تكن هذه مكانها بل كانت عمرة مستقلة قال الجمهور ولو تأملتم قصة عائشة حق التأمل وجمعتم بين طرقها وأطرافها لتبين لكم أنها قرنت ولم ترفض العمرة ففى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال أهلت عائشة بعمرة حتى اذا كانت بسرف عركت ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة فوجدها تبكى فقال ماشأنك قالت شأنى أنى قد حضت وقد أحل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن فقال ان هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وبالصفا والمروة ثم قال قد حللت من حجك وعمرتك قالت يارسول الله انى أجد فى نفسى انى لم أطف بالبيت حتى حججت قال فاذهب بها ياعبد الرحمن فأعمرها من التنعيم وفى صحيح مسلم من حديث طاوس عنها أهللت بعمرة وقدمت ولم أطف حتى حضت فنسكت المناسك كلها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم يوم النفر يسعك طوافك لحجك وعمرتك فهذه نصوص صريحة انها كانت فى حج وعمرة لا فى حج مفرد وصريحة فى أن القارن يكفيه طواف واحد وسعى واحد وصريحة فى أنها لم ترفض احرام العمرة بل بقيت فى احرامها كما هى لم تحل منه وفى بعض ألفاظ الحديث كونى فى عمرتك فعسى الله أن يرزقكها ولا يناقض هذا قوله دعى عمرتك فلو كان المراد به رفضها وتركها لما قال لها يسعك طوافك لحجك وعمرتك فعلم أن المراد دعى أعمالها ليس المراد به رفض احرامها وأما قوله انقضى رأسك وامتشطى فهذا مما أعضل على الناس ولهم فيه أربعة مسالك * أحدها أنه دليل على رفض العمرة كما قالت الحنفية * المسلك الثانى أنه دليل على انه يجوز للمحرم أن يمشط رأسه ولا دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع على منعه من ذلك ولا تحريمه وهذا قول ابن حزم وغيره * المسلك الثالث تعليل هذه اللفظة وردها بأن عروة انفرد بها وخالف بها سائر الرواة وقد روى حديثها طاوس والقاسم والاسود وغيرهم فلم يذكر أحد منهم هذه اللفظة قالوا وقد روى حماد عن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حديث حيضها فى الحج فقال فيه حدثنى غير واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها دعى عمرتك وانقضى رأسك وامتشطى وذكر تمام الحديث قالوا فهذا يدل على أن عروة لم يسمع هذه الزيادة عن عائشة * المسلك الرابع أن قوله دعى العمرة أى دعيها بحالها لا تخرجى منها وليس المراد تركها قالوا ويدل عليه وجهان * أحدهما قوله يسعك طوافك لحجك وعمرتك * الثانى قوله كونى فى عمرتك قالوا وهذا أولى من حمله على رفضها لسلامته من التناقض قالوا وأما قوله هذه مكان عمرتك فعائشة أحبت أن تأتى بعمرة مفردة فأخبرها النبى صلى الله عليه وسلم أن طوافها وقع عن حجتها وعمرتها وان عمرتها قد دخلت فى حجها فصارت قارنة فأبت الا عمرة مفردة كما قصدت أولا فلما حصل لها ذلك قال هذه مكان عمرتك وفى سنن الاثرم عن الاسود قال قلت لعائشة اعتمرت بعد الحج قالت والله ما كانت عمرة ما كانت الا زيارة زرت البيت قال الامام أحمد انما أعمر النبى صلى الله عليه وسلم عائشة حين ألحت عليه فقالت يرجع الناس بنسكين وارجع بنسك فقال ياعبد الرحمن أعمرها فنظر الى أدنى الحل فأعمرها منه

وتبني لأبناء العشيرة صالحا * اذا نحن طفنا في البلاد ونمهد   ألظ بهذا الصلح كل مبرأ * عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد   هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الاقوام في جل أمرنا *   وكنا قديما قبلها نتودد   وكنا قديما لا نقر ظلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد

(فصل) واختلف الناس فيما أحرمت به عائشة أولا على قولين * أحدهما أنه عمرة مفردة وهذا هو الصواب لما ذكرنا من الاحاديث وفي الصحيح عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع موافين لهلال ذي الحجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد منكم أن يهل بعمرة فليهل فلولا أني أهديت لاهللت بعمرة قالت وكان من القوم من أهل بعمرة ومنهم من أهل بالحج قالت فكنت أنا ممن أهل بعمرة وذكرت الحديث وقوله في الحديث دعي العمرة وأهلي بالحج قاله لها بسرف قريبا من مكة وهو صريح في أن احرامها كان بعمرة * القول الثاني انها أحرمت أولا بالحج وكانت مفردة قال ابن عبد البر روى القاسم بن محمد والاسود بن يزيد وعمرة كلهم عن عائشة ما يدل على انها كانت محرمة بحج لا بعمرة منها حديث عمرة عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرى الا أنه الحج وحديث الاسود بن يزيد مثله وحديث القاسم لبينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج قال وغلطوا عروة في قوله عنها كنت فيمن أهل بعمرة قال اسمعيل بن اسحق قد اجتمع هؤلاء يعني الاسود والقاسم وعمرة على الروايات التي ذكرنا فعلمنا بذلك أن الروايات التي رويت عن عروة غلط قال ويشبه أن يكون الغلط انما وقع فيه أن يكون لم يمكنها الطواف بالبيت وان تحل بعمرة كما فعل من لم يسق الهدى فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك الطواف وتمضي على الحج فتوهموا بهذا المعنى انها كانت معتمرة وانها تركت عمرتها وابتدأت بالحج قال أبو عمر وقد روى جابر بن عبد الله انها كانت مهلة بعمرة كما روى عنها عروة قالوا والغلط الذي دخل على عروة انما كان في قوله انقضي رأسك وامتشطي ودعي العمرة وأهلي بالحج وروى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه حدثني غير واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها دعي عمرتك وانقضي رأسك وامتشطي وافعلي ما يفعل الحاج فبين حماد أن عروة لم يسمع هذا الكلام عن عائشة قلت من العجب رد هذه النصوص الصحيحة الصريحة التي لا مدفع لها ولا مطعن فيها ولا تحتمل تأويلا البتة بلفظ مجمل ليس ظاهرا في أنها كانت مفردة فان غاية ما احتج به من زعم انها كانت مفردة قولها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرى الا أنه الحج فيالله العجب أيظن بالمتمتع أنه خرج لغير الحج بل خرج للحج متمتعا كما أن المغتسل للجنابة اذا بدأ فتوضأ لا يمتنع أن يقول خرجت لغسل الجنابة وصدقت أم المؤمنين رضي الله عنها اذا كانت لا ترى الا أنه الحج حتى أحرمت بعمرة بأمره صلى الله عليه وسلم وكلامها يصدق بعضه بعضا وأما قولها لبينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فقد قال جابر عنها في الصحيحين انها أهلت بعمرة وكذلك قال طاوس عنها في صحيح مسلم وكذلك قال مجاهد عنها فلو تعارضت الروايات عنها فرواية الصحابة عنها أولى أن يؤخذ بها من رواية التابعين كيف ولا تعارض في ذلك البتة فان القائل فعلنا كذا يصدق ذلك منه بفعله وفعل أصحابه ومن العجب انهم يقولون في قول ابن عمر تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج معناه تمتع أصحابه فاضاف الفعل اليه لامره به فهلا قلتم في قول عائشة لبينا بالحج أن المراد به جنس الصحابة الذين لبوا بالحج وقولها فعلنا كما قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسافرنا معه ونحوه ويتعين قطعا ان لم تكن هذه الرواية غلطا أن تحمل على ذلك للاحاديث الصحيحة الصريحة انها كانت أحرمت بعمرة وكيف ينسب عروة في ذلك الى الغلط وهو أعلم الناس بحديثها وكان يسمع منها مشافهة بلا واسطة وأما قوله في رواية حماد حدثني غير واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

فيا لقصي هل لكم في نفوسكم
وهل لكم فيما يجيء به غد
فاني واياكم كما قال قائل
لديك البيان لو تكلمت (١) أسود
* وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم ابن عدي حين مات ويذكر قيامه في نقض الصحيفة
أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي
بدمع وان أنزفته فاسكبي الدما
وبكي عظيم المشعرين كليهما
على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا
من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا
عبيدك مالبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها
وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره
وذمته يوما اذا ما تذمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم
على مثله فيهم أعز وأعظما
وآبى اذا يأبى وأعظم شيمة
وأنوم عن جار اذا الليل أظلما
(قال ابن هشام) قوله كليهما عن غير ابن اسحق (قال ابن هشام) وأما قوله أجرت رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه الى ما دعاهم اليه من تصديقه ونصرته صار الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث الى المطعم بن عدي فأجابه الى ذلك ثم تسلح المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله فذلك الذي يعني   لها

(١) قوله أسود هو جبل قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا كذا بهامش

لها دعى عمرتك فهذا انما يحتاج الى تعليله ورده اذا خالف الروايات الثابتة عنها فأما اذا وافقها وصدقها وشهد لها انها أحرمت بعمرة فهذا يدل على انه محفوظ وان الذى حدثه ضبطه وحفظه هذا مع ان حماد بن زيد انفرد بهذه الرواية المعللة وهى قوله فحدثنى غير واحد وخالفه جماعة فروه متصلا عن عروة عن عائشة فلو قدر التعارض فالاكثرون أولى بالصواب فيا لله العجب كيف يكون تغليط أعلم الناس بحديثها وهو عروة فى قوله عنها وكنت فيمن أهل بعمرة سائغا بلفظ مجمل محتمل و يقضى به على النص الصحيح الصريح الذى شهد له سياق القصة من وجوه متعددة قد تقدم ذكر بعضها فهؤلاء أربعة رووا عنها أنها أهلت بعمرة جابر وعروة وطاوس ومجاهد فلو كانت رواية القاسم وعمرة والاسود معارضة لرواية هؤلاء لكانت روايتهم أولى بالتقديم لكثرتهم ولان فيهم جابرا ولفضل عروة وعلمه بحديث خالته رضى الله عنها ومن العجب قوله ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أمرها ان تترك الطواف وتمضى على الحج توهموا لهذا انها انما كانت معتمرة والنبى صلى الله عليه وسلم انما أمرها ان تدع العمرة وتنشئ اهلالا بالحج فقال لها وأهلى بالحج ولم يقل استمرى عليه ولا امضى فيه وكيف يغلط راوى الامر بالامتشاط بمجرد مخالفته لمذهب الراد فاين فى كتاب الله وسنة رسوله أو اجماع الامة ما يحرم على المحرم تسريح شعره ولا يسوغ تغليط الثقات لنصرة الآراء والتقليد والمحرم ان أمن من تقطيع الشعر لم يمنع من تسريح رأسه وان لم يأمن من سقوط شئ من الشعر بالتسريح فهذا المنع منه محل نزاع واجتهاد والدليل يفصل بين المتنازعين فان لم يدل كتاب ولا سنة ولا اجماع على منعه فهو جائز

(فصل) وللناس فى هذه العمرة التى أتت بها عائشة من التنعيم أربعة مسالك * أحدها انها كانت زيادة تطييبا لقلبها وجبرا لها والا فطوافها وسعيها وقع عن حجها وعمرتها وكانت متمتعة ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة وهذا أصح الاقوال والاحاديث لا تدل على غيره وهذا مسلك الشافعى وأحمد وغيرهما * المسلك الثانى انها لما حاضت أمرها ان ترفض عمرتها وتنتقل عنها الى حجة مفردة فلما حلت من الحج أمرها ان تعتمر قضاء لعمرتها التى أحرمت بها أولا وهذا مسلك أبى حنيفة ومن تبعه وعلى هذا القول فهذه العمرة كانت فى حقها واجبة ولا بد منها وعلى القول الاول كانت جائزة وكل متمتعة حاضت ولم يمكنها الطواف قبل التعريف فهى على هذين القولين اما أن تدخل الحج على العمرة وتصير قارنة واما أن تنتقل عن العمرة الى الحج وتصير مفردة وتقضى العمرة * المسلك الثالث انها لما قرنت لم يكن بد من ان تأتى بعمرة مفردة لان عمرة القارن لا تجزئ عن عمرة الاسلام وهذا أحد الروايتين عن أحمد * المسلك الرابع انها كانت مفردة وانما امتنعت من طواف القدوم لاجل الحيض واستمرت على الافراد حتى طهرت وقضت الحج وهذه العمرة هى عمرة الاسلام وهذا مسلك القاضى اسمعيل بن اسحق وغيره من المالكية ولا يخفى ما فى هذا المسلك من الضعف بل هو أضعف المسالك فى الحديث وحديث عائشة هذا يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك * أحدها اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد * الثانى سقوط طواف القدوم عن الحائض كما ان حديث صفية أصل فى سقوط طواف الوداع عنها * الثالث ان ادخال الحج على العمرة للحائض جائز كما يجوز للطاهر وأولى لانها معذورة محتاجة الى ذلك * الرابع ان الحائض تفعل أفعال الحج كلها الا انها لا تطوف بالبيت * الخامس ان التنعيم من

لحسان بن ثابت * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يمدح هشام بن عمرو لقيامه فى الصحيفة

هل يوفين بنو أمية ذمة * عقدا كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم * للحارث بن (١) حبيب بن سخام
واذا بنو حسل أجاروا ذمة * أوفوا وادوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام (قال ابن هشام) و يقال شحام * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيأ قال فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت ان لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغنى شئ من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة قال فقمت منه قريبا فأبى الله الا ان يسمعنى بعض قوله قال فسمعت كلاما حسنا قال فقلت فى نفسى واثكل أمى والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا للذى قالوا فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله الا ان يسمعنى قولك فسمعته قولا

(١) قوله حبيب بصيغة المصغر

الحل * السادس جواز عمرتين في سنة واحدة بل في شهر واحد * السابع ان المشروع في حق المتمتع اذا لم يامن الفوات ان يدخل الحج على العمرة وحديث عائشة أصل فيه * الثامن انه أصل في العمرة المكية وليس مع من يستحبها غيره فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد ممن حج معه من مكة خارجا منها الا عائشة وحدها فجعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلا لقولهم ولا دلالة لهم فيها فان عمرتها اما أن تكون قضاء للعمرة المرفوضة عند من يقول انها رفضتها فهي واجبة قضاء لها أو تكون زيادة محضة وتطييبا لقلبها عند من يقول انها كانت قارنة وان طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها والله أعلم

(فصل) وأما كون عمرتها تلك مجزئة عن عمرة الاسلام ففيه قولان للفقهاء وهما روايتان عن أحمد والذين قالوا لا تجزى قالوا العمرة المشروعة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلها نوعان لا ثالث لهما عمرة التمتع وهي التي أذن فيها عند الميقات وندب اليها في اثناء الطريق وأوجبها على من لم يسق الهدى عند الصفا والمروة الثانية العمرة المفردة التي ينشأ لها سفر كعمره المتقدمة ولم يشرع عمرة مفردة غيرهاتين وفي كلتيهما المعتمر داخل الى مكة وأما عمرة الخارج الى أدنى الحل فلم تشرع وأما عمرة عائشة فكانت زيادة محضة والا فعمرة قرانها قد أجزأت عنها بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان عمرة القارن تجزئ عن عمرة الاسلام وهذا هو الصواب المقطوع به فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يسعك طوافك لحجك وعمرتك وفي لفظ يجزئك وفي لفظ يكفيك وقال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأمر كل من ساق الهدي ان يقرن بين الحج والعمرة ولم يامر أحدا ممن قرن معه وساق الهدى بعمرة أخرى غير عمرة القران فصح اجزاء عمرة القارن عن عمرة الاسلام قطعا وبالله التوفيق

(فصل) وأما موضع حيضها فهو بسرف بلا ريب وموضع طهرها قد اختلف فيه فقيل بعرفة هكذا روى مجاهد عنها وروى عروة عنها انها أظلها يوم عرفة وهي حائض ولا تنافي بينهما والحديثان صحيحان وقد حملهما ابن حزم على معنيين فطهر عرفة هو الاغتسال للوقوف عنده قال لانها قالت تطهرت بعرفة والتطهر غير الطهر قال وقد ذكر القاسم يوم طهرها انه يوم النحر وحديثه في صحيح مسلم قال وقد اتفق القاسم وعروة على انها كانت يوم عرفة حائضا وهما أقرب الناس منها وقد روى أبو داود حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موافين هلال ذي الحجة فذكرت الحديث وفيه فلما كانت ليلة البطحاء طهرت عائشة وهذا اسناد صحيح لكن قال ابن حزم انه حديث منكر مخالف لما روى هؤلاء كلهم عنها وهو قوله انها طهرت ليلة البطحاء وليلة البطحاء كانت بعد يوم النحر باربع ليال وهذا محال الا اننا لما تدبرنا وجدنا هذه اللفظة ليست من كلام عائشة فسقط التعلق بها لانها هي مما دون عائشة وهي أعلم بنفسها قال وقد روى حديث حماد بن سلمة هذا وهيب بن خالد وحماد بن زيد فلم يذكرا هذه اللفظة قلت يتعين تقديم حديث حماد بن زيد ومن معه على حديث حماد بن سلمة لوجوه * أحدها انه أحفظ واثبت من حماد بن سلمة * الثاني ان حديثهم فيه اخبارها عن نفسها وحديثه فيه الاخبار عنها * الثالث ان الزهري روى عن عروة عنها الحديث وفيه فلم أزل حائضا حتى كان يوم عرفة وهذه الغاية هي التي بينها مجاهد والقاسم عنها لكن قال عنها فتطهرت بعرفة

والقاسم

خشيت على أمرك قال فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم اليه قال اللهم اجعل له آية قال فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال قلت اللهم في غير وجهي اني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي قال فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط اليهم من الثنية قال حتى جئتهم فأصبحت فيهم قال فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخا كبيرا قال فقلت اليك عني يا أبت فلست منك ولست مني قال لم يا بني قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أي بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه قال ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ثم أتتني صاحبتي فقلت اليك عني فلست منك ولست مني قالت لم بأبي أنت وأمي قال فرق بيني وبينك الاسلام وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فديني دينك قال قلت فاذهبي الى حنى ذي الشرى (قال ابن هشام) ويقال حمى ذي الشرى فتطهري منه وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه له به وشل من ماء يهبط من جبل قال قالت بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيأ قال قلت لا أنا ضامن لذلك قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام وأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطؤا علي ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له يا نبي الله انه قد غلبني على دوس (١) الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر

(١) قوله الزنا هو لهو مع شغل قلب وبصر وغلبة هوى كما في القاموس

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قال قلت (٢٠٩) يا رسول الله ابعثني الى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه * قال ابن اسحق فخرج اليه فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول

(١) ياذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا

قال ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة فقال لاصحابه اني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي رأيت ان رأسي حلق وانه خرج من فمي طائر وانه لقيتني امرأة فادخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عني قالوا خيرا قال أما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسي فوضعه وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالارض تحفر لي فأغيب فيها وأما طلب ابني اياي ثم حبسه عني فاني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا (قال ابن هشام) حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ان أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن

والقاسم قال يوم النحر

(فصل) عدنا الى سياق حجته صلى الله عليه وسلم فلما كان بسرف قال لاصحابه من لم يكن معه هدي فأحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدي فلا وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الميقات فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدي معه ان يجعلها عمرة و يحل من احرامه ومن معه هدي أن يقيم على احرامه ولم ينسخ ذلك شيء البتة بل سأله سراقة بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ اليها هل هي لعامهم ذلك أم للابد قال بل للابد وان العمرة قد دخلت في الحج الى يوم القيامة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم الامر بفسخ الحج الى العمرة أربعة عشر من أصحابه وأحاديثهم كلها صحاح وهم عائشة وحفصة أما المؤمنين وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماء بنت أبي بكر الصديق وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وأنس ابن مالك وأبو موسى الاشعري وعبد الله بن عباس وسبرة بن معبد الجهني وسراقة بن مالك المدلجي رضي الله عنهم ونحن نشير الى هذه الاحاديث ففي الصحيحين عن ابن عباس قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم ان يجعلوها عمرة فتعاظم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله أي الحل فقال الحل كله وفي لفظ لمسلم قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لاربع خلون من العشر الى مكة وهم يلبون بالحج فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعلوها عمرة وفي لفظ وأمر أصحابه ان يجعلوا احرامهم بعمرة الا من كان معه الهدي وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله أهل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة وقدم علي رضي الله عنه من اليمن ومعه هدي فقال أهللت بما أهل به النبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلوه عمرة و يطوفوا و يقصروا و يحلوا الا من كان معه الهدي قالوا ننطلق الى منى وذكر أحدنا يقطر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا ان معي الهدي لاحللت وفي لفظ فقام فينا فقال لقد علمتم اني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا ان معي الهدي لحللت كما تحلون ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي فحلوا فحللنا وسمعنا وأطعنا وفي لفظ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أحللنا ان نحرم اذا توجهنا الى منى قال فأهللنا من الابطح فقال سراقة بن مالك بن جعشم يا رسول الله لعامنا هذا أم للابد قال للابد وهذه الالفاظ كلها في الصحيح وهذا اللفظ الاخير صريح في ابطال قول من قال ان ذلك كان خاصا بهم فانه حينئذ يكون لعامهم ذلك وحده لا للابد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه للابد وفي المسند عن ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأصحابه مهلين بالحج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء ان يجعلها عمرة الا من كان معه الهدي قالوا يا رسول الله أيروح أحدنا الى منى وذكره يقطر منيا قال نعم وسطعت المجامر وفي السنن عن الربيع بن سبرة عن أبيه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بعسفان قال سراقة بن مالك المدلجي يا رسول الله اقض لنا قضاء قوم كأنما ولدوا اليوم فقال ان الله عز وجل قد أدخل عليكم في حجكم عمرة فاذا قدمتم فمن تطوف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة فقد حل الا من كان معه هدي وفي الصحيحين عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج فذكرت الحديث وفيه فلما قدمت مكة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجعلوها عمرة فأحل الناس الا من كان معه الهدي وذكرت باقي الحديث وفي

(١) قوله ياذا الكفين قال السهيلي بالتشديد خففه للضرورة وقيل هو مخفف فان صح فهو محذوف اللام كأنه تثنية كف من كفأت الاناء أو كف بمعنى كفء ثم سهلت الهمزة وألقيت حركتها على الفاء كما يقال الخب والخبء اهـ ذكره الزرقاني على المواهب

لفظ البخارى خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى الا الحج لما قدمنا تطوفنا بالبيت فأمر النبى صلى الله عليه وسلم من لم يكن ساق الهدى ان يحل فحل من لم يكن ساق الهدى ونساؤه لم يسقن فأحللن وفى لفظ لمسلم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار قال أوماشعرت انى أمرت الناس بامر فاذا هم يترددون ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ماسقت الهدى معى حتى اشتريه ثم أحل كما حلوا وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت سمعت عائشة تقول خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين من ذى القعدة ولا نرى الا انه الحج فلما دنونا من مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه هدى اذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ان يحل قال يحيى بن سعيد فذكرت هذا الحديث للقاسم بن محمد فقال أتتك والله بالحديث على وجهه وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال حدثتنى حفصة ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه ان يحللن عام حجة الوداع فقلت ما منعك ان تحل فقال انى لبدت رأسى وقلدت بدنى فلا أحل حتى أنحر الهدى وفى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما خرجنا محرمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدى فليقم على احرامه ومن لم يكن معه هدى فليحلل فحللت وذكرت الحديث وفى صحيح مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرخ بالحج صراخا فلما قدمنا مكة أمرنا ان نجعلها عمرة الا من ساق الهدى فلما كان يوم التروية ورحنا الى منى أهللنا بالحج وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى وذكر الحديث وفى السنن عن البراء بن عازب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاحرمنا بالحج فلما قدمنا مكة قال اجعلوا حجكم عمرة فقال الناس يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة فقال انظروا ما آمركم به فافعلوه فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة وهو غضبان فرأت الغضب فى وجهه فقالت من أغضبك أغضبه الله فقال ومالى لا أغضب وأنا امر أمرا فلا يتبع ونحن نشهد الله علينا انا لو أحرمنا بحج لرأينا فرضا علينا فسخه الى عمرة تفاديا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعا لامره فوالله مانسخ هذا فى حياته ولا بعده ولا صح حرف واحد يعارضه ولا خص به أصحابه دون من بعدهم بل أجرى الله سبحانه على لسان سراقة ان يسأله هل ذلك مختص بهم فاجاب بان ذلك كائن لابد الابد فما ندرى ما نقدم على هذه الاحاديث وهذا الامر المؤكد الذى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خالفه ولله در الامام أحمد رحمه الله اذ يقول لسلمة بن شبيب وقد قال له يا أبا عبد الله كل أمرك عندى حسن الا خلة واحدة قال وما هى قال تقول بفسخ الحج الى العمرة فقال يا سلمة كنت أرى لك عقلا عندى فى ذلك أحد عشر حديثا صحاحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أأتركها لقولك وفى السنن عن البراء بن عازب ان عليا رضى الله عنه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن أدرك فاطمة وقد لبست ثيابا صبيغا ونضحت البيت بنضوح فقال ما بالك فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه فحلوا وقال ابن أبى شيبة حدثنا ابن فضيل عن يزيد عن مجاهد قال قال عبد الله بن الزبير أفردوا الحج ودعوا قول أعماكم هذا فقال عبد الله بن عباس

...وانى تخرج لحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم   ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا *
وبت كما بات السليم مسهدا   وماذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم (١) خلة مهددا   ولكن أرى الدهر الذى هو خائن *
اذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا   كهولا وشبانا فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف تردّدا
ومازلت أبغى المال مذ أنا يافع
وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تعتلى
مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلى أين يممت
فان لها فى أهل يثرب موعدا
فان تسألى عنى فيارب سائل
حفى عن الاعشى به حيث أصعدا
أجدت برجليها النجاء وراجعت
يداها خنافا لينا غير أحردا
وفيها اذا ما هجرت عجرفية
اذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
وآليت لا آوى لها من كلالة
ولا من حفى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبى يرى مالا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
له صدقات ماتغب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد
نبى الاله حيث أوصى وأشهدا
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
فترصد للموت الذى كان أرصدا
فاياك والميتات لا تقربنها
ولا تأخذا سهما حديدا لتفصدا
ولا النصب المنصوب لا تنسكنه
ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا
ولا تقربن (٢) حرة كان سرها
عليك حراما فانكحا أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه
لعاقبة ولا الاسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى * ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا   ولا تسخرا من بائس ذى ضرارة *
ولا تحسبن المال للمرء مخلدا   فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فساله عن أمره فاخبره انه جاء يريد رسول الله ان

(١) قوله خلة فى نسخة صحبة   (٢) قوله حرة فى نسخة جارة

صلى الله عليه وسلم يسلم فقال له يا أبا بصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لامر مالى فيه من أرب فقال له يا أبا بصير فانه يحرم الخمر فقال الاعشى اما هذه فوالله ان فى النفس منها العلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام لعنه الله مع عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغضه اياه وشدته عليه يذله الله له اذا رآه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى وكان واعية قال قدم رجل من اراش (قال ابن هشام) ويقال اراشة بابل له بمكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها فاقبل الاراشى حتى وقف على نادٍ من قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالس فقال يا معشر قريش من رجل يؤدينى على أبى الحكم ابن هشام فانى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حقى قال فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزؤن به لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة اذهب اليه فانه يؤديك عليه قال فاقبل الاراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه يأخذ لى حقى منه فاشاروا الى اليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله قال انطلق اليه فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه انظر ماذا يصنع قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا فقال محمد فاخرج الى فخرج اليه وما فى وجهه من رائحة قد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للاراشى الحق بشأنك فاقبل الاراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لى حقى قال وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال عجبا من العجب والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه

ان الذى أعمى الله قلبه لأنت ألا تسأل أمك عن هذا فارسل اليها فقالت صدق ابن عباس جئنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا فجعلناها عمرة فحللنا الاحلال كله حتى سطعت المجامر بين الرجال والنساء وفى صحيح البخارى عن ابن شهاب قال دخلت على عطاء أستفتيه فقال حدثنى جابر ابن عبد الله انه حج مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم ساق البدن معه وقد أهلوا بالحج مفردا فقال لهم أهلوا من احرامكم بطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا ثم أقيموا حلالا حتى اذا كان يوم التروية فاهلوا بالحج واجعلوا التى قدمتم بها متعة فقالوا كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج فقال افعلوا ما آمركم به فلولا انى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ولكن لا يحل منى احرام حتى يبلغ الهدى محله ففعلوا وفى صحيحه أيضا عنه أهل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحج وذكر الحديث وفيه فامر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يجعلوها عمرة ويطوفوا ثم يقصروا الا من ساق الهدى فقالوا أننطلق الى منى وذكر أحدنا يقطر فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولولا ان معى الهدى لاحللت وفى صحيح مسلم عنه فى حجة الوداع حتى اذا قدمنا مكة طفنا بالكعبة وبالصفا والمروة فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحل منا من لم يكن معه هدى قال فقلنا حل ماذا قال الحل كله فواقعنا النساء وتطيبنا بالطيب ولبسنا ثيابنا وليس بيننا وبين عرفة الا أربع ليال ثم أهللنا يوم التروية وفى لفظ آخر لمسلم فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فحل الناس كلهم وقصروا الا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية توجهوا الى منى فأهلوا بالحج وفى مسند البزار باسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أهل هو وأصحابه بالحج والعمرة فلما قدموا مكة طافوا بالبيت والصفا والمروة وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحلوا فهابوا ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحلوا فلولا أن معى الهدى لاحللت فاحلوا حتى حلوا الى النساء وفى صحيح البخارى عن أنس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء حمد الله وسبح ثم أهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما فلما قدمنا أمر الناس فحلوا حتى اذا كان يوم التروية أهلوا بالحج وذكر باقى الحديث وفى صحيحه أيضا عن أبى موسى الاشعرى قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى قومى باليمن فجئت وهو بالبطحاء فقال بم أهللت فقلت أهللت باهلال النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من هدى قلت لا فأمرنى فطفت بالبيت وبالصفا والمروة ثم أمرنى فأحللت وفى صحيح مسلم أن رجلا قال لابن عباس ما هذه الفتيا التى قد شغبت بها الناس ان من طاف بالبيت فقد حل فقال سنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وان زعمتم صدق ابن عباس كل من طاف بالبيت ممن لا هدى معه من مفرد أو قارن أو متمتع فقد حل اما وجوبا واما حكما هذه هى السنة التى لا رادّ لها ولا مدفع وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أدبر النهار من ههنا وأقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم اما أن يكون المعنى أفطر حكما أو دخل وقت افطاره وصار الوقت فى حقه وقت افطار فهكذا هذا الذى قد طاف بالبيت اما أن يكون قد حل حكما واما أن يكون ذلك الوقت فى حقه ليس وقت احرام بل هو وقت حل ليس الا ما لم يكن معه هدى وهذا صريح السنة وصحيح مسلم أيضا عن عطاء قال كان ابن عباس يقول لا يطوف بالبيت حاج ولا غير حاج الا حل وكان يقول بعد

وجهه فقال له أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه قال ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني * قال ابن اسحق وحدثني

المعرف وقبله وكان يأخذ ذلك من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أمرهم أن يحلوا في حجة الوداع وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن معه الهدي فليحل الحل كله فقد دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال من جاء مهلا بالحج فان الطواف بالبيت يصيره الى عمرة شاء أو أبى قلت ان الناس ينكرون ذلك عليك قال هي سنة نبيهم وان زعموا وقد روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من سميناوغيرهم وروى ذلك عنهم طوائف من كبار التابعين حتى صار منقولا نقلا يرفع الشك ويوجب اليقين ولا يمكن أحدا أن ينكره أو يقول لم يقع وهو مذهب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومذهب حبر الامة وبحرها ابن عباس وأصحابه ومذهب أبي موسى الاشعري ومذهب امام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل واتباعه وأهل الحديث معه ومذهب عبد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ومذهب أهل الظاهر والذين خالفوا هذه الاحاديث لهم أعذار * العذر الاول انها منسوخة * العذر الثاني انها مخصوصة بالصحابة لا يجوز لغيرهم مشاركتهم في حكمها * العذر الثالث معارضتها بما يدل على خلاف حكمها وهذا مجموع ما اعتذر وا به عنها ونحن نذكر هذه الاعذار عذرا عذرا ونبين ما فيها بمعونة الله وتوفيقه أما العذر الاول وهو النسخ فيحتاج الى أربعة أمور لم يأتوا منها بشئ الى نصوص أخر تكون تلك النصوص معارضة لهذه ثم تكون مع المعارضة مقاومة لها ثم يثبت تأخرها عنها قال المدعون للنسخ قال أبو داود السجستاني حدثنا الفارابي حدثنا أبان بن أبي حازم قال حدثني أبو بكر بن حفص عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما ولي يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحل لنا المتعة ثم حرمها علينا رواه البزار في مسنده عنه قال المبيحون للفسخ عجبا لكم في مقاومة الجبال الرواسي التي لا تزعزعها الرياح بكثيب مهيل تسفيه الرياح يمينا وشمالا فهذا الحديث لا سند ولا متن أما سنده فانه لا يقوم به حجة علينا عند أهل الحديث وأما متنه فان المراد بالمتعة فيه متعة النساء التي أحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم حرمها لا يجوز فيها غير ذلك البتة لوجوه * أحدها اجماع الامة على ان متعة الحج غير محرمة بل اما واجبة أو أفضل الانساك على الاطلاق أو مستحبة أو جائزة ولا نعلم للامة قولا خامسا فيها بالتحريم * الثاني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صح عنه من غير وجه أنه قال لو حججت لتمتعت ثم لو حججت لتمتعت ذكره الاثرم في سننه وغيره وذكر عبد الرزاق في مصنفه عن سالم بن عبد الله أنه سئل عن نهي عمر عن متعة الحج قال لا أبعد كتاب الله تعالى وذكر عن نافع أن رجلا قال له أنهى عمر عن متعة الحج قال لا وذكر أيضا عن ابن عباس أنه قال هذا الذي يزعمون أنه نهى عن المتعة يعني عمر سمعته يقول لو اعتمرت ثم حججت لتمتعت قال أبو محمد بن حزم صح عن عمر الرجوع الى القول بالتمتع بعد النهي عنه وهذا محال أن يرجع الى القول بما صح عنده أنه منسوخ * الثالث أنه من المحال أن ينهى عنها وقد قال لمن سأله هل هي لعامهم ذلك أم للابد فقال بل للابد وهذا قطع لتوهم ورود النسخ عليها وهذا أحد الاحكام التي يستحيل ورود النسخ عليها وهو الحكم الذي أخبر الصادق المصدوق باستمراره ودوامه فانه لا خلف لخبره

(فصل) العذر الثاني دعوى اختصاص ذلك بالصحابة واحتجوا بوجوه * أحدها ما رواه عبد الله ابن الزبير الحميدي حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن المرفع عن أبي ذر أنه قال كان فسخ الحج من

أبي اسحق بن يسار قال كان ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف أشد قريش فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه قال اني لو أعلم ان الذي تقول حق لاتبعتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيت ان صرعتك أتعلم أن ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيأ ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه قال قال يا محمد والله ان هذا للعجب أتصرعني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وأعجب من ذلك ان شئت ان أريكه ان اتقيت الله واتبعت أمري قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني قال ادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال لها ارجعي الى مكانك قال فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع * قال ابن اسحق ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن

(١) قوله وأعجب من ذلك هكذا في النسخ بواو بعدها فاء ولعل الواو عاطفة لمحذوف فليحرر

فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا ويقال ان النفر من النصارى من أهل نجران فالله أعلم أى ذلك كان فيقال والله أعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين الى قوله لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين * قال ابن اسحق وقد سالت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لى مازلت أسمع من علمائنا انهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه والآيات من المائدة قوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المسجد فجلس اليه المستضعفون من أصحابه خباب وعمار وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية (١) بن محرث وصهيب واشباههم من المسلمين هزأت بهم قريش فقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق لو كان ماجاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا فانزل الله تعالى فيهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وكان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنا خاصة وقال وكيع حدثنا موسى بن عبيدة حدثنا يعقوب بن زيد عن أبى ذر قال لم يكن لاحد بعدنا أن يجعل حجته فى عمرة انها كانت رخصة لنا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا سلمة بن الفضل حدثنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن الاسدى عن يزيد بن شريك قلنا لابى ذر كيف تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم معه فقال ما أنتم وذاك انما ذاك شئ رخص لنا فيه يعنى المتعة وقال البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن المهاجر عن أبى بكر التيمى عن أبيه والحرث بن سويد قالا قال أبو ذر فى الحج والمتعة رخصة أعطاناها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو داود حدثنا هناد بن السرى عن أبى زائدة أخبرنا محمد بن اسحق بن عبد الرحمن بن الاسود عن سليمان أو سليم بن الاسود أن أبا ذر كان يقول من حج ثم فسخها الى عمرة لم يكن ذلك الا للركب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال كانت المتعة فى الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وفى لفظ كانت لنا رخصة يعنى المتعة فى الحج وفى لفظ آخر لا تصح المتعتان الا لنا خاصة يعنى متعة النساء ومتعة الحج وفى لفظ آخر انما كانت لنا خاصة دونكم يعنى متعة الحج وفى سنن النسائى باسناد صحيح عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر فى متعة الحج ليست لكم ولستم منها فى شئ انما كانت رخصة لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى سنن أبى داود والنسائى من حديث بلال بن الحرث قال قلت يا رسول الله أرأيت فسخ الحج الى العمرة لنا خاصة أم للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل لنا خاصة ورواه الامام أحمد وفى سنن أبى داود باسناد صحيح عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال سئل عثمان عن متعة الحج فقال كانت لنا ليست لكم هذا مجموع ما استدلوا به على التخصيص بالصحابة قال المجوزون للفسخ والموجبون له لا حجة لكم فى شئ من ذلك فان هذه الآثار بين باطل لا يصح عمن نسب اليه البتة وبين صحيح عن قائل غير معصوم لا يعارض به نصوص المعصوم أما الاول فان المرفع ليس ممن يقوم بروايته حجة فضلا عن أن يقدم على النصوص الصحيحة غير المدفوعة وقد قال أحمد بن حنبل وقد عورض بحديثه ومن المرفع الاسدى وقد روى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الامر بفسخ الحج الى العمرة وغاية ما نقل عنه ان صح أن ذلك مختص بالصحابة وهو رأيه وقد قال ابن عباس وأبو موسى الاشعرى ان ذلك عام للامة فرأى أبى ذر معارض لرأيهما وسلمت النصوص الصحيحة الصريحة ثم من المعلوم أن دعوى الاختصاص باطلة بنص النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن تلك العمرة التى وقع السؤال عنها وكانت عمرة فسخ لابد الابد لا تختص بقرن دون قرن وهذا أصح سندا من المروى عن أبى ذر وأولى أن يؤخذ به منه لو صح عنه وأيضا فاذا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اختلفوا فى أمر قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه فعله وأمر به فقال بعضهم انه منسوخ أو خاص وقال بعضهم هو باق الى الابد فقول من ادعى نسخه أو اختصاصه مخالف للاصل فلا يقبل الا ببرهان وان أقل ما فى الباب معارضته بقول من ادعى بقاءه وعمومه والحجة تفصل بين المتنازعين والواجب الرد عند التنازع الى الله ورسوله فاذا قال أبو ذر وعثمان ان الفسخ منسوخ أو خاص وقال أبو موسى وعبد الله بن عباس انه باق وحكمه عام فعلى من ادعى النسخ والاختصاص الدليل وأما حديثه المرفوع حديث بلال بن الحارث فحديث لا يكتب ولا يعارض بمثله تلك الاساطين الثابتة قال عبد الله بن أحمد كان أبى يرى للمهل بالحج أن يفسخ حجه ان

(١) قوله ابن محرث فى نسخة ابن محريب

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون
والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به الا جبر النصراني غلام ابن الحضرمي فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون

اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (قال ابن هشام) يلحدون اليه يميلون اليه والالحاد الميل عن الحق قال رؤبة بن
العجاج * اذا تبع الضحاك كل ملحد
(قال ابن هشام) يعني الضحاك
الخارجي وهذا البيت في أرجوزة
له * قال ابن اسحق وكان العاص
ابن وائل السهمي فيما بلغني اذا
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دعوه فانما هو رجل ابتر لا عقب
له لو قد مات لقد انقطع ذكره
واسترحتم منه فأنزل الله في ذلك من
قوله انا أعطيناك الكوثر ما هو
خير لك من الدنيا وما فيها
والكوثر العظيم * قال ابن اسحق
قال لبيد بن ربيعة الكلابي

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه
وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول عظيم (قال ابن هشام) وهذا
البيت في قصيدة له (قال ابن هشام)
وصاحب ملحوب عوف بن
الاحوص بن جعفر بن كلاب مات
بملحوب وقوله وعند الرداع بيت
آخر كوثر يعني شريح بن
الاحوص بن جعفر بن كلاب
مات بالرداع والكوثر أراد الكثير
ولفظه مشتق من لفظ الكثير
(قال ابن هشام) قال الكميت
ابن زيد يمدح هشام بن عبد الملك
ابن مروان

وأنت كثير يا ابن مروان طيب
وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت في قصيدة له (قال ابن
هشام) وقال أمية بن أبي عائذ
الهذلي يصف حمار وحش

يحمي الحقيق اذا ما احتدمن
سن حمحم في كوثر كالجلال

يعني بالكوثر الغبار الكثير شبهه لكثرته عليه بالجلال وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق حدثني
جعفر بن عمرو (قال ابن هشام) هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن عبد الله بن مسلم أخي محمد بن شهاب الزهري
عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له يا رسول الله ما الكوثر الذي أعطاك الله قال نهر كما بين صنعاء الى أيلة آنيته

طاف بالبيت وبين الصفا والمروة وقال في المتعة هو آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوا حجكم عمرة قال عبد الله فقلت لابي فحديث بلال بن الحرث في فسخ الحج يعني قوله لنا خاصة قال لا أقول به لا يعرف هذا الرجل هذا حديث ليس اسناده بالمعروف ليس حديث بلال بن الحرث عندي يثبت هذا لفظه قلت ومما يدل على صحة قول الامام أحمد وان هذا الحديث لا يصح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن تلك المتعة التي أمرهم أن يفسخوا حجهم اليها انها للابد الابد فكيف يثبت عنه بعد هذا انها لهم خاصة هذا من أمحل المحال وكيف يأمرهم بالفسخ ويقول دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ثم يثبت عنه أن ذلك مختص بالصحابة دون من بعدهم فنحن نشهد بالله أن حديث بلال بن الحرث هذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلط عليه وكيف تقدم رواية بلال بن الحرث على روايات الثقات الاثبات حملة العلم الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلاف روايته ثم كيف يكون هذا ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عباس رضي الله عنه يفتي بخلافه ويناظر عليه طول عمره بمشهد من الخاص والعام وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون ولا يقول له رجل واحد منهم هذا كان مختصا بنا ليس لغيرنا حتى يظهر بعد موت الصحابة أن أبا ذر كان يرى اختصاص ذلك بهم وأما قول عثمان رضي الله عنه في متعة الحج انها كانت لهم ليست لغيرهم فحكمه حكم قول أبي ذر سواء على أن المروي عن أبي ذر وعثمان يحتمل ثلاثة أمور * أحدها اختصاص جواز ذلك بالصحابة وهو الذي فهمه من حرم الفسخ الثاني اختصاص وجوبه بالصحابة وهو الذي كان يراه شيخنا قدس الله روحه ويقول انهم كانوا فرض عليهم الفسخ لامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم به وحتمه عليهم وغضبه عندما توقفوا في المبادرة الى امتثاله وأما الجواز والاستحباب فللامة الى يوم القيامة لكن أبى ذلك البحر ابن عباس وجعل الوجوب للامة الى يوم القيامة وان فرضا على كل مفرد وقارن لم يسق الهدي أن يحل ولا بد بل قد حل وان لم يشأ وأنا الى قوله أميل مني الى قول شيخنا * الاحتمال الثالث انه ليس لاحد من بعد الصحابة أن يبتدي حجا قارنا أو مفردا بلا هدي بل هذا يحتاج معه الى الفسخ لكن فرض عليه أن يفعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في آخر الامر من التمتع لمن لم يسق الهدي والقران لمن ساق كما صح عنه ذلك وأما أن يحرم بحج مفرد ثم يفسخه عند الطواف الى عمرة مفردة ويجعله متعة فليس له ذلك بل هذا انما كان للصحابة فانهم ابتدؤا الاحرام بالحج المفرد قبل أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمتع والفسخ اليه فلما استقر أمره بالتمتع والفسخ اليه لم يكن لاحد أن يخالفه ويفرد ثم يفسخه واذا تأملت هذين الاحتمالين الاخيرين رأيتهما اما راجحين على الاحتمال الاول أو مساويين له وتسقط معارضة الاحاديث الثابتة الصريحة به جملة وبالله التوفيق وأما ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر ان المتعة في الحج كانت لهم خاصة فهذا ان أريد به أصل المتعة فهذا لا يقول به أحد من المسلمين بل المسلمون متفقون على جوازها الى يوم القيامة وان أريد به متعة الفسخ احتمل الوجوه الثلاثة المتقدمة وقال الاثرم في سننه وذكر لنا أحمد ابن حنبل أن عبد الرحمن بن مهدي حدثه عن سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبي ذر في متعة الحج كانت لنا خاصة وقال أحمد بن حنبل رحمه الله أبا ذر هي في كتاب الرحمن فمن تمتع بالعمرة الى الحج قال المانعون من الفسخ قول أبي ذر وعثمان ان ذلك منسوخ أو خاص بالصحابة لا يقال مثله بالرأي

كعلد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كاعناق الابل قال يقول عمر بن الخطاب انها يارسول الله لناعمة قال آكلها أنعم منها * قال ابن اسحق وقد سمعنا في هذا الحديث أو غيره انه قال صلى الله عليه وسلم من شرب منه لا يظمأ أبدا * قال ابن اسحق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه الى الاسلام وكلمهم فابلغ اليهم فقال له زمعة بن الاسود والنضر بن الحرث والاسود بن عبد يغوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس و يرى معك فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون * قال ابن اسحق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني بالوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف وبأبي جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن

(ذكر الاسراء والمعراج)

بسم الله الرحمن الرحيم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال ثم أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايلياء وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها * قال ابن اسحق كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية بن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسري به صلى الله عليه وسلم وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من أمر الله على يقين فاسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد فكان عبد الله بن

بالرأي فعم قائله زيادة علم خفيت على من ادعى بقاءه وعمومه فانه مستصحب لحال النص بقاء وعموما فهو بمنزلة صاحب اليد في العين المدعاة ومدعي فسخه واختصاصه بمنزلة صاحب البينة التي تقدم على صاحب اليد قال المجوزون للفسخ هذا قول فاسد لا شك فيه بل هذا رأي لا شك فيه وقد صرح بأنه رأي من هو أعظم من عثمان وأبي ذر عمران بن حصين ففي الصحيحين واللفظ للبخاري تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل القران فقال رجل برأيه ما شاء ولفظ مسلم نزلت آية المتعة في كتاب الله عز وجل يعني متعة الحج وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم تنزل اية تنسخ متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مات قال رجل برأيه ما شاء وفي لفظ يريد عمر وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عنها وقال له ان أباك نهى عنها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحق أن يتبع أو أبي وقال ابن عباس لمن كان يعارضه فيها بابي بكر وعمر يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر فهذا جواب العلماء لا جواب من يقول عثمان وأبو ذر اعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم وهلا قال ابن عباس وعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر اعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا ولم يكن أحد من الصحابة ولا أحد من التابعين يرضى بهذا الجواب في دفع نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا اعلم بالله ورسوله واتقى له من أن يقدموا على قول المعصوم رأي غير المعصوم ثم قد ثبت النص عن المعصوم بانها باقية الى يوم القيامة وقد قال ببقائها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وابن عباس وأبو موسى وسعيد بن المسيب وجمهور التابعين ويدل على ان ذلك رأي محض لا ينسب الى انه مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نهى عنها قال له أبو موسى الاشعري يا أمير المؤمنين ما أحدثت في شأن النسك فقال ان نأخذ بكتاب ربنا فان الله يقول وأتموا الحج والعمرة لله وان نأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحل حتى نحر فهذا اتفاق من أبي موسى وعمر على أن منع الفسخ الى المتعة والاحرام بها ابتداء انما هو رأي منه أحدثه في النسك ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان استدل له بما استدل وأبو موسى كان يفتي الناس بالفسخ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه كلها وصدرا من خلافة عمر حتى فاوض عمر رضي الله عنه في نهيه عن ذلك واتفقا على انه رأي أحدثه عمر رضي الله عنه في النسك ثم صح عنه الرجوع عنه

(فصل وأما العذر الثالث) وهو معارضة أحاديث الفسخ بما يدل على خلافها فذكروا منها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج حتى قدمنا مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن أحرم بعمرة وأهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن أهل بحج فليتم حجه وذكر باقي الحديث ومنها ما رواه في صحيحه أيضا من حديث مالك عن أبي الاسود عن عروة عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بالحج وأهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحج فاما من أهل بعمرة فحل وأما من أهل بحج أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر ومنها ما رواه ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر العبدي عن محمد بن عمرو بن علقمة حدثني يحيى بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر عبد لابن الحضرمى وكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتى به الا جبر النصرانى غلام ابن الحضرمى فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين (قال ابن هشام) يلحدون اليه يميلون اليه والالحاد الميل عن الحق قال رؤبة بن

العجاج * اذ تبع الضحاك كل ملحد (قال ابن هشام) يعنى الضحاك الخارجى وهذا البيت فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان العاص ابن وائل السهمى فيما بلغنى اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانما هو رجل ابتر لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه فأنزل الله فى ذلك من قوله انا أعطيناك الكوثر ما هو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر العظيم * قال ابن اسحق قال لبيد ابن ربيعة الكلابى

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه
وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول عظيم (قال ابن هشام) وهذا البيت فى قصيدة له (قال ابن هشام) وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب وقوله وعند الرداع بيت آخر كوثر يعنى شريح بن الاحوص بن جعفر بن كلاب مات بالرداع والكوثر أراد الكثير ولفظه مشتق من لفظ الكثير (قال ابن هشام) قال الكميت ابن زيد يمدح هشام بن عبد الملك ابن مروان

وأنت كثير يا ابن مروان طيب
وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت فى قصيدة له (قال ابن هشام) وقال أمية بن أبى عائذ الهذلى يصف حمار وحش

يحمى الحقيق اذا ما احتد م
ن حمحم فى كوثر كالجلال

يعنى بالكوثر الغبار الكثير شبهه لكثرته عليه بالجلال وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق حدثنى جعفر بن عمرو (قال ابن هشام) هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له يا رسول الله ما الكوثر الذى أعطاك الله قال نهر كما بين صنعاء الى أيلة آنيته

طاف بالبيت وبين الصفا والمروة وقال فى المتعة هو آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوا حجكم عمرة قال عبد الله فقلت لابى فحديث بلال بن الحرث فى فسخ الحج يعنى قوله لنا خاصة قال لا أقول به لا يعرف هذا الرجل هذا حديث ليس اسناده بالمعروف ليس حديث بلال بن الحرث عندى يثبت هذا لفظه قلت ومما يدل على صحة قول الامام أحمد وان هذا الحديث لا يصح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن تلك المتعة التى أمرهم أن يفسخوا حجهم اليها انها الابد الابد فكيف يثبت عنه بعد هذا انها لهم خاصة هذا من أمحل المحال وكيف يأمرهم بالفسخ ويقول دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيامة ثم يثبت عنه أن ذلك مختص بالصحابة دون من بعدهم فنحن نشهد بالله أن حديث بلال بن الحرث هذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلط عليه وكيف تقدم رواية بلال بن الحرث على روايات الثقات الاثبات حملة العلم الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلاف روايته ثم كيف يكون هذا ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عباس رضى الله عنه يفتى بخلافه ويناظر عليه طول عمره بمشهد من الخاص والعام وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون ولا يقول له رجل واحد منهم هذا كان مختصا بنا ليس لغيرنا حتى يظهر بعد موت الصحابة أن أبا ذر كان يرى اختصاص ذلك بهم وأما قول عثمان رضى الله عنه فى متعة الحج انها كانت لهم ليست لغيرهم فحكمه حكم قول أبى ذر سواء على أن المروى عن أبى ذر وعثمان يحتمل ثلاثة أمور * أحدها اختصاص جواز ذلك بالصحابة وهو الذى فهمه من حرم الفسخ الثانى اختصاص وجوبه بالصحابة وهو الذى كان يراه شيخنا قدس الله روحه ويقول انهم كانوا فرض عليهم الفسخ لامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم به وحتمه عليهم وغضبه عندما توقفوا فى المبادرة الى امتثاله وأما الجواز والاستحباب فللامة الى يوم القيامة لكن أبى ذلك البحر ابن عباس وجعل الوجوب للامة الى يوم القيامة وان فرضا على كل مفرد وقارن لم يسق الهدى أن يحل ولا بد بل قد حل وان لم يشأ وأنا الى قوله أميل منى الى قول شيخنا * الاحتمال الثالث انه ليس لاحد من بعد الصحابة أن يبتدى حجا قارنا أو مفردا بلا هدى بل هذا يحتاج معه الى الفسخ لكن فرض عليه أن يفعل ما أمر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فى آخر الامر من التمتع لمن لم يسق الهدى والقران لمن ساق كما صح عنه ذلك واما أن يحرم بحج مفرد ثم يفسخه عند الطواف الى عمرة مفردة ويجعله متعة فليس له ذلك بل هذا انما كان للصحابة فانهم ابتدؤا الاحرام بالحج المفرد قبل أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالتمتع والفسخ اليه فلما استقر أمره بالتمتع والفسخ اليه لم يكن لاحد أن يخالفه ويفرد ثم يفسخه واذا تأملت هذين الاحتمالين الاخيرين رأيتهما اما راجحين على الاحتمال الاول أو مساويين له وتسقط معارضة الاحاديث الثابتة الصريحة به جملة وبالله التوفيق وأما ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى ذر ان المتعة فى الحج كانت لهم خاصة فهذا ان أريد به أصل المتعة فهذا لا يقول به أحد من المسلمين بل المسلمون متفقون على جوازها الى يوم القيامة وان أريد به متعة الفسخ احتمل الوجوه الثلاثة المتقدمة وقال الاثرم فى سننه وذكر لنا أحمد ابن حنبل أن عبد الرحمن بن مهدى حدثه عن سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبى ذر فى متعة الحج كانت لنا خاصة فقال أحمد بن حنبل رحمه الله أبا ذر هى فى كتاب الرحمن فمن تمتع بالعمرة الى الحج قال المانعون من الفسخ قول أبى ذر وعثمان ان ذلك منسوخ أو خاص بالصحابة لا يقال مثله بالرأى

... كأعناق الابل قال يقول عمر بن الخطاب انها يا رسول الله لناعمة قال آكلها أنعم منها * قال ابن اسحق وقد سمعنا في هذا الحديث أو غيره انه قال صلى الله عليه وسلم من شرب منه لا يظمأ أبدا * قال ابن اسحق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه الى الاسلام وكلمهم فأبلغ اليهم فقال له زمعة بن الاسود والنضر بن الحرث والاسود بن عبد يغوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون * قال ابن اسحق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني بالوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف وبأبي جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن

(ذكر الاسراء والمعراج)

بسم الله الرحمن الرحيم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال ثم أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايلياء وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها * قال ابن اسحق كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية بن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسري به صلى الله عليه وسلم وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسري به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد فكان عبد الله بن

بالرأي فمع قائله زيادة علم خفيت على من ادعى بقاءه وعمومه فانه مستصحب لحال النص بقاء وعموما فهو بمنزلة صاحب اليد في العين المدعاة ومدعي فسخه واختصاصه بمنزلة صاحب البينة التي تقدم على صاحب اليد قال المجوزون للفسخ هذا قول فاسد لا شك فيه بل هذا رأي لا شك فيه وقد صرح بأنه رأي من هو أعظم من عثمان وأبي ذر عمران بن حصين ففي الصحيحين واللفظ للبخاري تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل القرآن فقال رجل برأيه ما شاء ولفظ مسلم نزلت آية المتعة في كتاب الله عز وجل يعني متعة الحج وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم تنزل آية تنسخ متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مات قال رجل برأيه ما شاء وفي لفظ يريد عمر وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عنها وقال له ان أباك نهى عنها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحق أن يتبع أو أبي وقال ابن عباس لمن كان يعارضه فيها بأبي بكر وعمر يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر فهذا جواب العلماء لا جواب من يقول عثمان وأبو ذر أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم وهلا قال ابن عباس وعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا ولم يكن أحد من الصحابة ولا أحد من التابعين يرضى بهذا الجواب في دفع نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا أعلم بالله ورسوله وأتقى له من أن يقدموا على قول المعصوم رأي غير المعصوم ثم قد ثبت النص عن المعصوم بأنها باقية الى يوم القيامة وقد قال ببقائها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وابن عباس وأبو موسى وسعيد بن المسيب وجمهور التابعين ويدل على ان ذلك رأي محض لا ينسب الى انه مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نهى عنها قال له أبو موسى الاشعري يا أمير المؤمنين ما أحدثت في شأن النسك فقال ان نأخذ بكتاب ربنا فان الله يقول وأتموا الحج والعمرة لله وان نأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحل حتى نحر فهذا اتفاق من أبي موسى وعمر على أن منع الفسخ الى المتعة والاحرام بها ابتداء انما هو رأي منه أحدثه في النسك ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان استدل له بما استدل وأبو موسى كان يفتي الناس بالفسخ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه كلها وصدرا من خلافة عمر حتى فاوض عمر رضي الله عنه في نهيه عن ذلك واتفقا على انه رأي أحدثه عمر رضي الله عنه في النسك ثم صح عنه الرجوع عنه

(فصل وأما العذر الثالث) وهو معارضة أحاديث الفسخ بما يدل على خلافها فذكروا منها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج حتى قدمنا مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن أحرم بعمرة وأهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن أهل بحج فليتم حجه وذكر باقي الحديث ومنها ما رواه في صحيحه أيضا من حديث مالك عن أبي الاسود عن عروة عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بالحج وأهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحج فأما من أهل بعمرة فحل وأما من أهل بحج أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر ومنها ما رواه ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشير العبدي عن محمد بن عمرو بن علقمة حدثني يحيى بن

[illegible] فيما بلغني عنه يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول حين عرضت على ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته وان أخذ الخمر غوى وغوت أمته وان أخذ اللبن هدى وهديت أمته قال فأخذت اناء اللبن فشربت منه فقال لي جبريل عليه السلام هديت وهديت أمتك يا محمد * قال ابن اسحق وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت الى مضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت الى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته * قال ابن اسحق وحدثت عن قتادة انه قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع فوالله يا براق ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قرحتى ركبته قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم أتى باناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت أمتك يا محمد وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما أصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال أكثر

عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحج على ثلاثة أنواع فمنا من أهل بعمرة وحجة ومنا من أهل بحج مفرد ومنا من أهل بعمرة مفردة فمن كان أهل بحج وعمرة معا لم يحلل من شئ مما حرم منه حتى يقضى مناسك الحج ومن أهل بحج مفرد لم يحل من شئ مما حرم منه حتى يقضى مناسك الحج ومن أهل بعمرة مفردة فطاف بالبيت وبالصفا والمروة حل مما حرم منه حتى يستقبل حجا ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن محمد ابن نوفل أن رجلا من أهل العراق قال له سل لي عروة بن الزبير عن رجل أهل بالحج فاذا طاف بالبيت أيحل أم لا فذكر الحديث وفيه قد حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرتني عائشة ان أول شئ بدأ به حين قدم مكة انه توضأ ثم طاف بالبيت ثم حج أبو بكر ثم كان أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم عمر مثل ذلك ثم حج عثمان فرأيته أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم معاوية ثم عبد الله بن عمر ثم حججت مع ابن الزبير بن العوام فكان أول شئ بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم رأيت المهاجرين والانصار يفعلون ذلك ثم لم تكن عمرة ثم آخر من رأيت فعل ذلك ابن عمر ثم لم ينقضها بعمرة فهذا ابن عمر عندهم أفلا يسألونه ولا أحد ممن مضى ما كانوا يبدؤن بشئ حين يضعون أقدامهم أول من الطواف بالبيت ثم لا يحلون وقد رأيت أمي وخالتي حين تقدمان لا تبدآن بشئ أول من الطواف بالبيت تطوفان به ثم تحلان فهذا مجموع ما عارضوا به أحاديث الفسخ ولا معارضة فيها بحمد الله ومنه أما الحديث الاول وهو حديث الزهري عن عروة عن عائشة فغلط فيه عبد الملك بن شعيب أو أبوه شعيب أو جده الليث أو شيخه عقيل فان الحديث رواه مالك ومعمر والناس عن الزهري عن عروة عنها وبينوا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من لم يكن معه هدى اذا طاف وسعى أن يحل فقال مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخمس ليال بقين لذي القعدة ولا نرى الا الحج فلما دنونا من مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يكن معه هدى اذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة أن يحل وذكر الحديث قال يحيى فذكرت هذا الحديث للقاسم بن محمد فقال أتتك والله بالحديث على وجهه وقال منصور عن ابراهيم عن الاسود عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نرى الا الحج فلما قدمنا تطوفنا بالبيت فامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم يكن ساق الهدى أن يحل فحل من لم يكن ساق الهدى ونساؤه لم يسقن فأحللن وقال مالك ومعمر كلاهما عن ابن شهاب عن عروة عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان معه هدى فليهل بالحج مع العمرة ولا يحل حتى يحل منهما جميعا وقال ابن شهاب عن عروة عنها بمثل الذي أخبره سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج فاهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة الى الحج فكان من الناس من أهدى فساق معه الهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للناس من كان منكم أهدى فانه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن أهدى فليطف بالبيت وبين الصفا والمروة وليقصر وليحل ثم ليهل بالحج فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله وذكر باقي الحديث وقال عبد العزيز الماجشون

الماجشون عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانذكر الا الحج فذكر الحديث وفيه قالت فلما قدمت مكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه اجعلوها عمرة فأحل الناس الا من كان معه الهدى وقال الاعمش عن ابراهيم عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانذكر الا الحج فلما قدمنا أمرنا أن نحل وذكر الحديث وقال عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولانذكر الا الحج فلما جئنا بسرف طمثت قالت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أبكى فقال ما يبكيك قالت فقلت والله لوددت انى لاأحج العام فذكر الحديث وفيه فلما قدمنا مكة قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها عمرة قالت فحل الناس الا من كان معه الهدى وكل هذه الالفاظ فى الصحيح وهذا موافق لما رواه جابر وابن عمر وأنس وأبو موسى وابن عباس وأبو سعيد وأسماء والبراء وحفصة وغيرهم من أمره صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه كلهم بالاحلال الا من ساق الهدى وان يجعلوا حجهم عمرة وفى اتفاق هؤلاء كلهم على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه كلهم أن يحلوا وان يجعلوا الذى قدموا به متعة الا من ساق الهدى دليل على غلط هذه الرواية ووهم وقع فيها يبين ذلك انها من رواية الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة والليث بعينه هو الذى روى عن عقيل عن الزهرى عن عروة عنها مثل ما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيه فى تمتع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمر من لم يكن أهدى أن يحل ثم تأملنا فاذا أحاديث عائشة يصدق بعضها بعضا وانما بعض الرواة زاد على بعض وبعضهم اختصر الحديث وبعضهم اقتصر على بعضه وبعضهم رواه بالمعنى والحديث المذكور ليس فيه منع من أهل بالحج من الاحلال وانما فيه أمره أن يتم الحج فان كان هذا محفوظا فالمراد به بقاؤه على احرامه فيتعين أن يكون هذا قبل الامر بالاحلال وجعله عمرة ويكون هذا أمرا زائدا قد طرأ على الامر بالاتمام كما طرأ على التخيير بين الافراد والتمتع والقران ويتعين هذا ولا بد والا كان هذا ناسخا للامر بالفسخ والامر بالفسخ ناسخا للاذن بالافراد وهذا محال قطعا فانه بعد أن أمرهم بالحل لم يأمرهم بنقضه والبقاء على الاحرام الاول هذا باطل قطعا فيتعين ان كان محفوظا أن يكون قبل الامر لهم بالفسخ ولا يجوز غير هذا البتة والله أعلم

(فصل وأما حديث أبى الاسود عن عروة عنها) وفيه وأما من أهل بحج أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر وحديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عنها فمن كان أهل بحج وعمرة معا لم يحلل من شئ مما حرم منه حتى يقضى مناسك الحج ومن أهل بحج مفرد كذلك فهذان حديثان قد أنكرهما الحفاظ وهما أهل أن ينكرا قال الاثرم حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن مالك ابن أنس عن أبى الاسود عن عروة عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنا من أهل بالحج ومنا من أهل بالعمرة ومنا من أهل بالحج والعمرة وأهل بالحج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأما من أهل بالعمرة فأحلوا حين طافوا بالبيت وبالصفا والمروة وأما من أهل بالحج والعمرة فلم يحلوا الى يوم النحر فقال أحمد بن حنبل ايش فى هذا الحديث من العجب هذا خطأ فقال الاثرم فقلت له الزهرى عن عروة عن عائشة بخلافه فقال نعم وهشام بن عروة وقال الحافظ أبو محمد بن حزم هذان حديثان منكران جدا قال ولابى الاسود فى هذا النحو حديث لاخفاء بنكرته ووهنه وبطلانه والعجب كيف جاز على من رواه ثم ساق من طريق البخارى عنه ان عبد الله مولى أسماء

الناس هذا والله (١) الامر البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان أسلم وذهب الناس الى أبى بكر فقالوا هل لك يا أبا بكر فى صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال فقال لهم أبو بكر انكم تكذبون عليه فقالوا بلى هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس فقال أبو بكر والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنى ان الخبر ليأتيه من الله من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فاصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم انك أتيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبى الله فصفه لى فانى قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر ويقول أبو بكر صدقت أشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيأ قال صدقت أشهد انك رسول الله قال حتى انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق * قال ابن اسحق قال الحسن وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن اسلامه لذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة * قال ابن اسحق وحدثنى بعض آل أبى بكر ان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الاخنس ان معاوية بن أبى سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله تعالى صادقة فلم ينكر

(١) قوله الامر بكسر الهمزة أى العظيم الشنيع

ذلك من قولهما القول الحسن ان هذه الآية أنزلت في ذلك قول الله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ولقول الله تعالى في الخبر عن ابراهيم أن قال لابنه يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك ثم مضى على ذلك فعرفت ان الوحي من الله يأتي الانبياء أيقاظا ونياما

قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغني تنام عيني وقلبي يقظان والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أي حاليه كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق * قال ابن اسحق وزعم الزهري عن سعيد ابن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لاصحابه ابراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة فقال اما ابراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه واما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى بن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء وليس به ماء أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي (قال ابن هشام) وكانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن ابراهيم بن محمد ابن علي بن أبي طالب قال كان علي ابن أبي طالب عليه السلام اذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الاشفار جليل المشاش والكتد دقيق المسربة أجرد شثن الكفين والقدمين اذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب واذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس بذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم * قال محمد بن اسحق وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها واسمها هند في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كانت تقول ما أسري برسول الله صلى الله عليه

حدثه انه كان يسمع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تقول كلما مرت بالحجون صلى الله على رسوله لقد نزلنا معه ههنا ونحن يومئذ خفاف قليل ظهرنا قليلة أزوادنا فاعتمرت أنا وأختي عائشة والزبير وفلان وفلان فلما مسحنا البيت احللنا ثم أهللنا من العشي بالحج قال وهذه وهلة لا تخفى بها على أحد ممن له أقل علم بالحديث لوجهين باطلين فيه بلا شك * أحدهما قوله فاعتمرت أنا وأختي عائشة ولا خلاف بين أحد من أهل النقل في ان عائشة لم تعتمر في أول دخولها مكة ولذلك أعمرها من التنعيم بعد تمام الحج ليلة الحصبة هكذا رواه جابر بن عبد الله ورواه عن عائشة الاثبات كأبي الاسود وابن أبي مليكة والقاسم بن محمد وعروة وطاوس ومجاهد * الموضع الثاني قوله فيه فلما مسحنا البيت أحللنا ثم أهللنا من العشي بالحج وهذا باطل لا شك فيه لان جابرا وأنس بن مالك وعائشة وابن عباس كلهم رووا ان الاحلال كان يوم دخولهم مكة وان احلالهم بالحج كان يوم التروية وبين اليومين المذكورين ثلاثة أيام بلا شك قلت الحديث ليس بمنكر ولا باطل وهو صحيح وانما أتى أبو محمد فيه من فهمه فان أسماء أخبرت انها اعتمرت هي وعائشة وهكذا وقع بلا شك وأما قوله فلما مسحنا البيت احللنا فاخبار منها عن نفسها وعمن لم يصبه عذر الحيض الذي أصاب عائشة وهي لم تصرح بان عائشة مسحت البيت يوم دخولهم مكة وانها حلت ذلك اليوم ولا ريب ان عائشة قدمت بعمرة ولم تزل عليها حتى حاضت بسرف فادخلت عليها الحج وصارت قارنة فاذا قيل اعتمرت عائشة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قدمت بعمرة لم يكن هذا كذبا وأما قولها ثم اهللنا من العشي بالحج فهي لم تقل انهم أهلوا من عشي يوم القدوم ليلزم ما قال أبو محمد وانما أرادت عشي يوم التروية ومثل هذا الاحتجاج في ظهوره وبيانه الى أن يصرح فيه بعشي ذلك اليوم بعينه لعلم الخاص والعام به وانه مما لا تذهب الاوهام الى غيره فرد أحاديث الثقات بمثل هذا الوهم مما لا سبيل اليه قال أبو محمد وأسلم الوجوه للحديثين المذكورين عن عائشة يعني اللذين أنكرهما ان يخرج روايتهما على أن المراد بقولها ان الذين أهلوا بحج أو بحج وعمرة لم يحلوا حتى كان يوم النحر حين قضوا مناسك الحج انما عنت بذلك من كان معه الهدي وبهذا تنتفي النكرة عن هذين الحديثين وبهذا تأتلف الاحاديث كلها لان الزهري عن عروة يذكر خلاف ما ذكره أبو الاسود عن عروة والزهري بلا شك احفظ من أبي الاسود وقد خالف يحيى بن عبد الرحمن عن عائشة في هذا الباب من لا يقرن يحيى بن عبد الرحمن اليه لا في حفظ ولا في ثقة ولا في جلالة ولا في بطانة لعائشة كالاسود بن زيد والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبي عمرو ذكوان مولى عائشة وعمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة وهؤلاء هم أهل الخصوصية والبطانة بها فكيف ولو لم يكونوا كذلك لكانت روايتهم أو رواية واحد منهم لو انفرد هي الواجب أن يؤخذ بها لان فيها زيادة على رواية أبي الاسود ويحيى وليس من جهل أو غفل حجة على من علم وذكر وأخبر فكيف وقد وافق هؤلاء الجلة عن عائشة فسقط التعلق بحديث أبي الاسود ويحيى اللذين ذكرنا قال وأيضا فان حديثي أبي الاسود ويحيى موقوفان غير مسندين لانهما انما ذكرا عنها قول من فعل ما ذكرت دون أن يذكرا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن لا يحلوا ولا حجة في أحد دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلو صح ما ذكراه وقد صح أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لا هدي معه بالفسخ فتمادى المأمورون بذلك ولم يحلوا لكانوا عصاة لله تعالى وقد أعاذهم الله من ذلك وبرأهم منه فثبت يقينا أن حديث أبي الاسود ويحيى انما عني فيه من كان معه هدي وهكذا جاءت الاحاديث الصحاح التي أوردناها

أوردناها بانه صلى الله عليه وآله وسلم أمر من معه الهدى بان يجمع مجامع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا ثم ساق من طريق مالك عن ابن شهاب عن عروة عنها ترفعه من كان معه هدى فليهل بالحج والعمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا قال فهذا الحديث كما ترى من طريق عروة عن عائشة يبين ما ذكرنا انه المراد بلا شك في حديث أبي الاسود عن عروة وحديث يحيى عن عائشة وارتفع الآن الاشكال جملة والحمد لله رب العالمين قال ومما تبين ان في حديث أبي الاسود حذفا قوله فيه عن عروة أن أمه وخالته والزبير اقبلوا بعمرة فقط فلما مسحوا الركن حلوا ولا خلاف بين أحد ان من أقبل بعمرة لا يحل بمسح الركن حتى يسعى بين الصفا والمروة بعد مسح الركن فصح ان في الحديث حذفا بينه سائر الاحاديث الصحاح التي ذكرنا وبطل التشغب به جملة وبالله التوفيق

(فصل) وأما ما في حديث أبي الاسود عن عروة من فعل أبي بكر وعمر والمهاجرين والانصار وابن عمر فقد أجابه ابن عباس فاحسن جوابه فيكتفى بجوابه فروى الاعمش عن فضيل بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس أراهم سيهلكون أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول قال أبو بكر وعمر وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب قال قال عروة لابن عباس الا تتقي الله ترخص في المتعة فقال ابن عباس سل أمك يا عرية فقال عروة أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا فقال ابن عباس والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن أبي بكر وعمر فقال عروة انهما أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع لها منك وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة عن عروة ابن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمر الناس بالعمرة في هؤلاء العشر وليس فيها عمرة قال أولا تسأل أمك عن ذلك قال عروة فان أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك قال الرجل من ههنا هلكتم ما أرى الله عز وجل الا سيعذبكم اني أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبروني بابي بكر وعمر قال عروة انهما والله كانا أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فسكت الرجل ثم أجاب أبو محمد بن حزم عروة عن قوله هذا بجواب نذكره ونذكر جوابا أحسن منه لشيخنا قال أبو محمد ونحن نقول لعروة ابن عباس أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبابي بكر وعمر منك وخير منك وأولى بهم ثلاثتهم منك لا يشك في ذلك مسلم وعائشة أم المؤمنين أعلم وأصدق منك ثم ساق من طريق الثوري عن أبي اسحق السبيعي عن عبد الله قال قالت عائشة من استعمل على الموسم قالوا ابن عباس قالت هو أعلم الناس بالحج قال أبو محمد مع انه قد روي عنها خلاف ما قاله عروة ومن هو خير من عروة وأفضل وأعلم وأصدق وأوثق ثم ساق من طريق البزار عن الاشج عن عبد الله بن ادريس الاودي عن ليث عن عطاء وطاوس عن ابن عباس تمتع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر وأول من نهى عنه معاوية ومن طريق عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن طاوس عن ابن عباس تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى مات وعمر وعثمان كذلك وأول من نهى عنها معاوية قلت حديث ابن عباس هذا رواه الامام أحمد في المسند والترمذي وقال حديث حسن وذكر عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال قال أبي بن كعب وأبو موسى لعمر بن الخطاب ألا تقوم فتبين للناس أمر هذه المتعة فقال عمر وهل بقي أحد الا وقد علمها أما أنا فافعلها وذكر علي بن عبد العزيز البغوي حدثنا حجاج بن المنهال قال حدثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي

وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فاخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه وكأنه قبطية مطوية فقلت له يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك قال والله لاحدثنهموه قال فقلت لجارية لي حبشية ويحك اتبعي محمدا رسول الله حتى تسمعي ما يقول للناس وما يقولون له فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قط قال آية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك ان عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء قالت فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه مملوأ ماء ثم غطوه وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا اصدق والله لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى أخذناه * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر شيأ قط أحسن منه وهو الذي يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر فاصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي الى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له اسمعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث وما يعلم

سليمان أو حميد عن الحسن ان عمر أراد أن يأخذ مال الكعبة وقال الكعبة غنية عن ذلك المال وأراد أن ينهى أهل اليمن ان يصبغوا بالبول وأراد أن ينهى عن متعة الحج فقال أبي بن كعب قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هذا المال وبه وباصحابه الحاجة اليه فلم يأخذه وأنت فلا تأخذه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يلبسون الثياب اليمانية فلم ينه عنها وقد علم انها تصبغ بالبول وقد تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينه عنها ولم ينزل الله تعالى فيها نهيا وقد تقدم قول عمر لو اعتمرت في وسط السنة ثم حججت لتمتعت ولو حججت خمسين حجة لتمتعت ورواه حماد بن سلمة عن قيس عن طاوس عن ابن عباس عنه لو اعتمرت في سنة مرتين ثم حججت لفعلت في حجتي عمرة والثورى عن سلمة بن كهيل عن طاوس عن ابن عباس عنه لو اعتمرت ثم اعتمرت ثم حججت لتمتعت وابن عيينة عن هشام بن محمد وليث عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال هذا الذى يزعمون انه نهى عن المتعة يعنى عمر سمعته يقول لو اعتمرت ثم حججت لتمتعت قال ابن عباس كذا وكذا مرة ماتمت حجة رجل قط لا بمتعة وأما الجواب الذى ذكره شيخنا فهو ان عمر رضى الله عنه لم ينه عن المتعة البتة وانما قال ان أتم لحجكم وعمرتكم ان تفصلوا بينهما فاختار عمر لهم أفضل الامور وهو افراد كل واحد منهما بسفر ينشئه له من بلده وهذا أفضل من القران والتمتع الخاص بدون سفرة أخرى وقد نص على ذلك أحمد وأبو حنيفة ومالك والشافعى رحمهم الله تعالى وغيرهم وهذا هو الافراد الذى فعله أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكان عمر يختاره للناس وكذلك على رضى الله عنهما وقال عمر وعلى رضى الله عنهما فى قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله قالا اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة فى عمرتها أجرك على قدر نصبك فاذا رجع الحاج الى دويرة أهله فانشأ العمرة منها واعتمر قبل أشهر الحج وأقام حتى يحج أو اعتمر فى أشهره ورجع الى أهله ثم حج فههنا قد أتى بكل واحد من النسكين من دويرة أهله وهذا اتيان بهما على الكمال فهو أفضل من غيره قلت فهذا الذى اختاره عمر للناس فظن من غلط منهم انه نهى عن المتعة ثم منهم من حمل نهيه على متعة الفسخ ومنهم من حمله على ترك الاولى ترجيحا للافراد عليه ومنهم من عارض روايات النهى عنه بروايات الاستحباب وقد ذكرناها ومنهم من جعل فى ذلك روايتين عن عمر كما عنه روايتان فى غيرهما من المسائل ومنهم من جعل النهى قولا قديما ورجع عنه أخيرا كما سلك أبو محمد بن حزم ومنهم من يعد النهى رأيا رآه من عنده لكراهته ان يظل الحاج معرسين بنسائهم فى ظل الاراك قال أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم النخعى عن الاسود بن يزيد قال بينما أنا واقف مع عمر بن الخطاب بعرفة عشية عرفة فاذا هو برجل مرجل شعره يفوح منه ريح الطيب فقال له عمر أمحرم أنت قال نعم فقال عمر ماهيأتك بهيأة محرم انما المحرم الاشعث الاغبر الاذفر قال انى قدمت متمتعا وكان معى أهلى وانما أحرمت اليوم فقال عمر عند ذلك لا تتمتعوا فى هذه الايام فانى لو رخصت فى المتعة لهم لعرسوا بهن فى الاراك ثم راحوا بهن حجاجا وهذا يبين ان هذا من عمر رأى رآه قال ابن حزم وكان ماذا وحبذا ذلك وقد طاف النبى صلى الله عليه وسلم على نسائه ثم أصبح محرما ولا خلاف ان الوطء مباح قبل الاحرام بطرفة عين والله أعلم

(فصل) وقد سلك المانعون من الفسخ طريقتين أخريين نذكرهما ونبين فسادهما الطريقة الاولى قالوا اذا اختلف الصحابة ومن بعدهم فى جواز الفسخ فالاحتياط يقتضى المنع منه صيانة

للعبادة

فبطل ذرية آلاهو قال فلما دخل بي قال من هذا يا جبريل قال محمد قال (١) أوقد بعث قال نعم قال فدعا لي بخير وقاله * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقنى ملك الا ضاحكا مستبشرا يقول خيرا ويدعو به حتى لقينى ملك من الملائكة فقال مثل ماقالوا ودعا بمثل ما دعوا به الا انه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره فقلت لجبريل ياجبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل الذى رأيت منهم قال فقال لى جبريل اما انه لو كان ضحك الى أحد كان قبلك أو كان ضاحكا الى أحد بعدك لضحك اليك ولكنه لا يضحك هذا مالك خازن النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لجبريل وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم مطاع ثم أمين الا تأمره ان يرينى النار فقال بلى يامالك أر محمدا النار قال فكشف عنها غطاءها ففارت وارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى قال فقلت لجبريل ياجبريل مره فليردها الى مكانها قال فأمره فقال لها اخبى فرجعت الى مكانها الذى خرجت منه فما شبهت رجوعها الا وقوع الظل حتى اذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها * قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال قلت من هذا ياجبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب واذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل فى

(١) قوله أوقد بعث هكذا فى النسخ التى بأيدينا والذى فى بعض الروايات أوقد بعث اليه

للعبادة عما لا يجوز فيها عند كثير من أهل العلم بل أكثرهم والطريقة الثانية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالفسخ ليبين لهم جواز العمرة فى أشهر الحج لان الجاهلية كانوا يكرهون العمرة فى أشهر الحج وكانوا يقولون اذا أدبر الدبر وعفى الاثر وانسلخ صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالفسخ ليبين لهم جواز العمرة فى أشهر الحج وهاتان الطريقتان باطلتان * أما الاولى فلان الاحتياط انما يشرع اذا لم تتبين السنة فاذا تبينت فالاحتياط هو اتباعها وترك ما خالفها فان كان تركها لاجل الاختلاف احتياطا فترك ما خالفها واتباعها أحوط وأحوط فالاحتياط نوعان احتياط للخروج من خلاف العلماء واحتياط للخروج من خلاف السنة ولا يخفى رجحان أحدهما على الآخر وأيضا فان الاحتياط ممتنع هنا فان للناس فى الفسخ ثلاثة أقوال * أحدها انه محرم * الثانى انه واجب وهو قول جماعة من السلف والخلف * الثالث انه مستحب فليس الاحتياط بالخروج من خلاف من حرمه أولى بالاحتياط بالخروج من خلاف من أوجبه واذا تعذر الاحتياط بالخروج من الخلاف تعين الاحتياط بالخروج من خلاف السنة

(فصل) وأما الطريقة الثانية فاظهر بطلانا من وجوه عديدة * أحدها أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر قبل ذلك عمره الثلاث فى أشهر الحج فى ذى القعدة كما تقدم ذلك وهو أوسط أشهر الحج فكيف يظن ان الصحابة لم يعلموا جواز الاعتمار فى أشهر الحج الا بعد أمرهم بفسخ الحج الى العمرة وقد تقدم فعله لذلك ثلاث مرات * الثانى انه قد ثبت فى الصحيحين انه قال لهم عند الميقات من شاء ان يهل بعمرة فليفعل ومن شاء ان يهل بحجة فليفعل ومن شاء ان يهل بحج وعمرة فليفعل فبين لهم جواز الاعتمار فى أشهر الحج عند الميقات وعامة المسلمين معه فكيف لم يعلموا جوازها الا بالفسخ ولعمر الله ان لم يكونوا يعلمون جوازها بذلك فهم أجدر ان لا يعلموا جوازها بالفسخ * الثالث انه أمر من لم يسق الهدى أن يتحلل وأمر من ساق الهدى ان يتم على احرامه حتى يبلغ الهدى محله ففرق بين محرم ومحرم وهذا يدل على ان سوق الهدى هو المانع من التحلل لا مجرد الاحرام الاول والعلة التى ذكروها لا تختص بمحرم دون محرم فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل التاثير فى الحل وعدمه للهدى وجودا وعدما لا لغيره * الرابع ان يقال اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قصد مخالفة المشركين كان هذا دليلا على ان الفسخ أفضل لهذه العلة لانه اذا كان انما أمرهم بذلك لمخالفة المشركين كان هذا دليلا على ان الفسخ يكون مشروعا الى يوم القيامة اما وجوبا واما استحبابا فان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه لامته فى المناسك مخالفة لهدى المشركين هو مشروع الى يوم القيامة اما وجوبا أو استحبابا فان المشركين كانوا يفيضون من عرفة قبل غروب الشمس وكانوا لا يفيضون من مزدلفة حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال خالف هدينا هدى المشركين فلم نفض من عرفة حتى غربت الشمس وهذه المخالفة اما ركن كقول مالك واما واجب يجبره دم كقول أحمد وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله فى أحد القولين واما سنة كالقول الآخر له والافاضة من مزدلفة قبل طلوع الشمس سنة باتفاق المسلمين وكذلك قريش كانت لا تقف بعرفة بل تفيض من جمع فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بعرفات وأفاض منها وفى ذلك نزل قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهذه المخالفة من أركان الحج باتفاق المسلمين فالامور التى خالف فيها المشركين هى الواجب أو المستحب ليس فيها مكروه فكيف يكون فيها محرم وكيف

أيديهم قطع من نار كالافهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما قال ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار يطؤنهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا قال ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن قال ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتى ادخلن على الرجال من ليس من أولادهم * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر ابن عمرو عن القاسم بن محمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فأكل (١) حرائبهم واطلع على عوراتهم * قال ابن اسحق ثم رجع الى حديث أبي سعيد الخدرى قال ثم أصعدنى الى السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا قال ثم أصعدنى الى السماء الثالثة فاذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أخوك يوسف بن يعقوب قال ثم أصعدنى الى السماء الرابعة فاذا فيها رجل فسألته من هو فقال هذا ادريس قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعناه مكانا عليا قال ثم أصعدنى الى السماء الخامسة فاذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون لم أر كهلا أجمل منه قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا المحبب فى قومه هرون بن عمران قال ثم أصعدنى الى السماء السادسة فاذا فيها رجل آدم طويل اقنى كانه من رجال شنوءة فقلت له من هذا يا جبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران ثم أصعدنى الى السماء السابعة فاذا فيها كهل جالس على كرسى الى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك

(١) قوله حرائبهم أى أموالهم التى يعيشون بها

لا ترجعون فيه الى يوم القيامة ثم أرى رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك ابراهيم قال ثم دخل بي الى الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألتها لمن أنت وقد أعجبتني حين رأيتها فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة * قال ابن اسحق ومن حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغني ان جبريل لم يصعد به الى سماء من السموات الا قالوا له حين يستأذن في دخولها من هذا يا جبريل فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون أو قد بعث اليه فيقول نعم فيقولون حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى به الى السماء السابعة ثم انتهى به الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألني كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم فقال ان الصلاة ثقيلة وان أمتك ضعيفة فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك وعن أمتك فرجعت فسألت ربي ان يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي ان يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشرا ثم رجعت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع عني عشرا فمررت على موسى ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت اليه قال فارجع فاسأل حتى انتهيت الى ان وضع ذلك عني الا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثم رجعت الى موسى فقال لي مثل ذلك فقلت قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه فما أنا بفاعل فمن أداهن منكم ايمانا بهن واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة صلوات الله على محمد صلى الله عليه وسلم الى

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابرا محتسبا مؤديا الى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والاذى والاستهزاء وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوي أسنان وشرف في

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بنسك يخالف نسك المشركين مع كون الذي نهاهم عنه أفضل من الذي أمرهم به أو يقال من حج كما حج المشركون فلم يتمتع فحجه أفضل من حج السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم * الخامس انه قد ثبت في الصحيحين عنه انه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقيل له عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للابد فقال لا بل لابد الابد دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وكان سؤالهم عن عمرة الفسخ كما جاء صريحا في حديث جابر الطويل قال حتى اذا كان آخر طواف على المروة قال لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن مالك فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم للابد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الاخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لابد الابد وفي لفظ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم صبح رابعة مضت من ذي الحجة فامرنا ان نحل فقلنا لما لم يكن بيننا وبين عرفة الا خمس أمرنا ان نفضي الى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني فذكر الحديث وفيه فقال سراقة بن مالك لعامنا هذا أم للابد فقال للابد وفي صحيح البخاري عنه ان سراقة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ألكم خاصة هذه يا رسول الله قال بل للامة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تلك العمرة التي فسخ من فسخ منهم حجه اليها للابد وان العمرة دخلت في الحج الى يوم القيامة وهذا يبين ان عمرة التمتع بعض الحج وقد اعترض بعض الناس على الاستدلال بقوله بل لابد الابد باعتراضين * أحدهما ان المراد ان سقوط الفرض بها لا يختص بذلك العام بل يسقطه الى الابد وهذا الاعتراض باطل فانه لو أراد ذلك لم يقل للابد فان الابد لا يكون في حق طائفة معينة بل انما يكون لجميع المسلمين ولانه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ولانهم لو أرادوا بذلك السؤال عن تكرار الوجوب لما اقتصروا على العمرة بل كان السؤال عن الحج ولانهم قالوا له عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للابد ولو أرادوا تكرر وجوبها كل عام لقالوا له كما قالوا له في الحج أكل عام يا رسول الله ولاجابهم بما أجابهم به في الحج بقوله ذروني ما تركتكم لو قلت نعم لوجب ولانهم قالوا له هذه لكم خاصة فقال بل لابد الابد فهذا السؤال والجواب صريحان في عدم الاختصاص * الثاني قوله ان ذلك انما يريد به جواز الاعتمار في أشهر الحج وهذا الاعتراض أبطل من الذي قبله فان السائل انما سأل النبي صلى الله عليه وسلم فيه عن المتعة التي هي فسخ الحج لا عن جواز العمرة في أشهر الحج لانه انما سأله عقب أمره من لا هدى معه بفسخ الحج فقال له حينئذ هذا لعامنا أم للابد فاجابه صلى الله عليه وسلم عن نفس ما سأله عنه لا عما لم يسأله عنه وفي قوله دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة عقب أمره من لا هدى معه بالاحلال بيان جلي ان ذلك مستمر الى يوم القيامة فبطل دعوى الخصوص وبالله التوفيق * السادس ان هذه العلة التي ذكرتموها ليست في الحديث ولا فيه اشارة اليها فان كانت باطلة بطل اعتراضكم بها وان كانت صحيحة فانها لا تلزم الاختصاص بالصحابة بوجه من الوجوه بل ان صحت اقتضت دوام معلولها واستمراره كما ان الرمل شرع ليرى المشركين قوته وقوة أصحابه واستمرت مشروعيته الى يوم القيامة فبطل الاحتجاج بتلك العلة على الاختصاص بهم على كل تقدير * السابع ان الصحابة رضى الله عنهم اذا لم يكتفوا بالعلم بجواز العمرة في أشهر الحج على فعلهم لها معه ثلاثة أعوام ولا باذنه لهم عند الميقات حتى يأمر بفسخ الحج الى العمرة فمن بعدهم أحرى ان لا يكتفي بذلك حتى يفسخ الحج

الى العمرة اتباعا لامر النبي صلى الله عليه وسلم واقتداء بالصحابة الا أن يقول قائل انا نحن نكتفي من ذلك بدون ما اكتفى به الصحابة ولا يحتاج في الجواز الى ما احتاجوا هم اليه وهذا جهل نعوذ بالله منه * الثامن انه لا يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر أصحابه بالفسخ الذي هو حرام ليعلمهم بذلك مباحا يمكن تعليمه بغير ارتكاب هذا المحظور و بأسهل منه بيانا وأوضح دلالة وأقل كلفة فان قيل لم يكن الفسخ حين أمرهم به حراما قيل فهو اذا اما واجب أو مستحب وقد قال بكل واحد منهما طائفة فمن الذي حرمه بعد ايجابه أو استحبابه وأى نص أو اجماع رفع هذا الوجوب أو الاستحباب فهذه مطالبة لا محيص عنها * التاسع انه صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة أفترى تجدد له صلى الله عليه وسلم عند ذلك العلم بجواز العمرة في أشهر الحج حتى تأسف على فواتها هذا من أعظم المحال * العاشر انه أمر بالفسخ الى العمرة من كان أفرد ومن قرن ولم يسق الهدى ومعلوم ان القارن قد اعتمر في أشهر الحج مع حجته فكيف يأمره بفسخ قرانه الى عمرة ليبين له جواز العمرة في أشهر الحج وقد أتى بها وضم اليها الحج * الحادى عشر ان فسخ الحج الى العمرة موافق لقياس الاصول لا مخالف لها ولو لم يرد به النص لكان القياس يقتضى جوازه فجاء النص به على وفق القياس قاله شيخ الاسلام و يقرره بان المحرم اذا التزم أكثر مما كان لزمه جاز باتفاق الائمة فلو أحرم بالعمرة ثم أدخل عليها الحج جاز بلا نزاع واذا أحرم بالحج ثم أدخل عليه العمرة لم يجز عند الجمهور وهو مذهب مالك وأحمد والشافعي رحمهم الله في ظاهر مذهبه وأبو حنيفة يجوز ذلك بناء على أصله في ان القارن يطوف طوافين و يسعى سعيين قال وهذا قياس الرواية المحكية عن أحمد في القارن انه يطوف طوافين و يسعى سعيين واذا كان كذلك فالمحرم بالحج لم يلتزم الا الحج فاذا صار متمتعا صار ملتزما للعمرة والحج فكان ما التزمه بالفسخ أكثر مما كان عليه فجاز ذلك ولما كان أفضل كان مستحبا وانما أشكل هذا على من ظن انه فسخ حج الى عمرة وليس كذلك فانه لو أراد أن يفسخ الحج الى عمرة مفردة لم يجز بلا نزاع وانما الفسخ جائز لمن كان من نيته أن يحج بعد العمرة والمتمتع من حين يحرم بالعمرة فهو داخل في الحج كما قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ولهذا يجوز له أن يصوم الايام الثلاثة من حين يحرم بالعمرة فدل على انه في تلك الحال في الحج وأما احرامه بالحج بعد ذلك فكما يبدأ الجنب بالوضوء ثم يغتسل بعده وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل اذا اغتسل من الجنابة وقال للنسوة في غسل ابنته ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها فغسل مواضع الوضوء بعض الغسل فان قيل هذا باطل لثلاثة أوجه * أحدها أنه اذا فسخ استفاد بالفسخ حلا كان ممنوعا منه باحرامه الاول فهو دون ما التزمه * الثاني أن النسك الذي كان قد التزمه أولا أكمل من النسك الذي فسخ اليه ولهذا لا يحتاج الاول الى جبران والذي يفسخ اليه يحتاج الى هدى جبرانا له ونسك لا جبران فيه أفضل من نسك مجبور * الثالث أنه اذا لم يجز ادخال العمرة على الحج فلأن لا يجوز ابداله بها وفسخه اليها بطريق الاولى والاحرى * فالجواب عن هذه الوجوه من طريقين مجمل ومفصل * أما المجمل فهو ان هذه الوجوه اعتراضات على مجرد السنة والجواب عنها بالتزام تقديم الوحى على الآراء وان كل رأى يخالف السنة فهو باطل قطعا وبيان بطلانه لمخالفة السنة الصحيحة الصريحة له والآراء تبع للسنة وليست السنة تبعا للآراء * وأما المفصل وهو الذي نحن بصدده فانا التزمنا ان الفسخ على وفق القياس فلا بد من الوفاء بهذا الالتزام وعلى هذا

قومهم (من بني أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب) الاسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من اذاه واستهزائه به فقال اللهم أعم بصره واثكله ولده (ومن بني زهرة بن كلاب) الاسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة (ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب) العاص بن وائل بن هشام (قال ابن هشام) العاص ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم (ومن بني خزاعة) الحرث بن الطلاطلة ابن عمرو بن الحرث بن عبد عمرو ابن ملكان فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء ان جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه (١) حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى أثر جرح باسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله وذلك انه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فاشار الى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ومر به الحرث بن الطلاطلة فاشار الى رأسه فامتخض قيحا فقتله * قال ابن اسحق فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد فقال لهم أى بنى أوصيكم بثلاث فلا تضيعوا فيهن دمى في خزاعة فلا تطلنه والله انى لأعلم أنهم منه برآء

(١) قال في القاموس الحبن محركة داء في البطن يعظم منه و يرم اهـ

ولكنى أخشى ان تسبوا به بعد اليوم ورباى فى ثقيف فلا تدعوه حتى [redacted] عند أبى أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به وكان أبو أزيهر
قد زوجه بنتاله ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد وقالوا
انما قتله سهم صاحبكم وكان لبنى كعب حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا

فالوجه الاول جوابه بان التمتع وان تخلله الاحلال فهو أفضل من الافراد الذى لا حل فيه لامر النبى صلى الله عليه وسلم من لا هدى معه بالاحرام به ولامره أصحابه بفسخ الحج اليه ولتمنيه أنه كان أحرم به ولانه النسك المنصوص عليه فى كتاب الله ولان الامة أجمعت على جوازه بل على استحبابه واختلفوا فى غيره على قولين فان النبى صلى الله عليه وسلم غضب حين أمرهم بالفسخ اليه بعد الاحرام بالحج فتوقفوا ولانه من المحال قطعا أن يكون حج قط أفضل من حجة خير القرون وأفضل العالمين مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد أمرهم كلهم بأن يجعلوها متعة الا من ساق الهدى فمن المحال أن يكون غير هذا الحج أفضل منه الا حج من قرن وساق الهدى كما اختاره الله سبحانه لنبيه فهذا هو الذى اختاره الله لنبيه واختار لاصحابه التمتع فأى حج أفضل من هذين ولانه من المحال أن ينقلهم من النسك الفاضل الى المفضول المرجوح ولوجوه أخر كثيرة ليس هذا موضعها فرجحان هذا النسك أفضل من البقاء على الاحرام الذى يفوته بالفسخ وقد تبين بهذا بطلان الوجه الثانى وأما قولكم انه نسك مجبور بالهدى فكلام باطل من وجوه * أحدها ان الهدى فى التمتع عبادة مقصودة وهو من تمام النسك وهو دم شكران لا دم جبران وهو بمنزلة الاضحية للمقيم وهو من تمام عبادة هذا اليوم فالنسك المشتمل على الدم بمنزلة العيد المشتمل على الاضحية فانه ما تقرب الى الله فى ذلك اليوم بمثل اراقة دم سائل وقد روى الترمذى وغيره من حديث أبى بكر الصديق أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل فقال العج والثج والعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دم الهدى فان قيل يمكن المفرد أن يحصل هذه الفضيلة قيل مشروعيتها انما جاءت فى حق القارن والمتمتع وعلى تقدير استحبابها فى حقه فأين ثوابها من ثواب هدى المتمتع والقارن * الوجه الثانى انه لو كان دم جبران لما جاز الاكل منه وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أكل من هديه فانه أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فأكل من لحمها وشرب من مرقها وان كان الواجب عليه سبع بدنة فانه أكل من كل بدنة من المائة والواجب فيها مشاع لم يتعين بقسمة وأيضا فانه قد ثبت فى الصحيحين انه أطعم نساءه من الهدى الذى ذبحه عنهن وكن متمتعات احتج به الامام أحمد فثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنه أهدى عن نسائه ثم أرسل اليهن من الهدى الذى ذبحه عنهن وأيضا فان الله سبحانه وتعالى قال فيما يذبح بمنى من الهدى فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير وهذا يتناول هدى التمتع والقران قطعا ان لم يختص به فان المشروع هناك ذبح هدى المتعة والقران ومن ههنا والله أعلم أمر النبى صلى الله عليه وسلم من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر امتثالا للامر بالاكل ليعم به جميع هديه * الوجه الثالث أن سبب الجبران محظور فى الاصل فلا يجوز الاقدام عليه الا لعذر فانه اما ترك واجب أو فعل محظور والتمتع مأمور به اما أمر ايجاب عند طائفة كابن عباس وغيره أو أمر استحباب عند الاكثرين فلو كان دمه دم جبران لم يجز الاقدام على سببه بغير عذر فبطل قولهم انه دم جبران وعلم أنه دم نسك وهذا وسع الله به على عباده وأباح لهم بسببه التحلل فى اثناء الاحرام لما فى استمرار الاحرام عليهم من المشقة فهو بمنزلة القصر والفطر فى السفر وبمنزلة المسح على الخفين وكان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه فعل هذا وهذا والله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته فمحبته لاخذ العبد بما يسره عليه وسهله له مثل كراهته منه لارتكاب ما حرمه عليه ومنعه منه والهدى وان كان بدلا عن ترفهه بسقوط أحد

السفرين

أشعارا وغلظ بينهم الامر وكان الذى أصاب الوليد سهمه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم

انى زعيم أن تسيروا فتهربوا
وان تتركوا الظهران تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا
وأن تسألوا أى الاراك أطايبه
فانا اناس لا تطل دماؤنا
ولا يتعالى صاعدا من نحاربه

وكانت ظهران واراكه منازل بنى كعب من خزاعة * فاجابه الجون ابن أبى الجون أخو بنى كعب بن عمرو الخزاعى فقال

والله لا نؤتى الوليد ظلامة
ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويصرع منكم مسمن عند مسمن
ويفتح بعد الموت قسرا مشاربه
اذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم
فكلكم باكى الوليد ونادبه

ثم ان الناس ترادوا وعرفوا أنما يخشى القوم السبة فاعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبى الجون

وقائلة لما اصطلحنا تعجبا
لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة
ولما تروا يوما كثير البلابل
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت
فأم هواه آمنا كل راجل

ثم لم ينته الجون بن أبى الجون حتى افتخر بقتل الوليد وذكر انهم أصابوه وكان ذلك باطلا فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذر فقال الجون بن أبى الجون

ألا زعم المغيرة ان كعبا * بمكة منهم قدر كبير
فلا تفخر مغيرة أن تراها * بها يمشى المعلهج والمهير
بها آباؤنا وبها ولدنا * كما أرسى بمثبته ثبير
وما قال المغيرة ذاك الا * ليعلم شأننا أو يستثير

السفرين فهو أفضل لمن قدم في أشهر الحج من آن يأتي بحج مفرد و يعتمر عقيبه والبدل قد يكون واجبا كالجمعة عند من جعلها بدلا وكالتيمم لعاجز عن استعمال الماء فانه واجب عليه وهو بدل فاذا كان البدل قد يكون واجبا فكونه مستحبا أولى بالجواز وتخلل الاحلال لا يمنع أن يكون الجميع عبادة واحدة كطواف الافاضة فانه ركن بالاتفاق ولا يفعل الا بعد التحلل الاول وكذلك رمى الجمار أيام منى وهو يفعل بعد الحل التام وصوم رمضان يتخلله الفطر في لياليه ولا يمنع ذلك أن يكون عبادة واحدة ولهذا قال مالك وغيره انه يجزئ بنية واحدة للشهر كله لانه عبادة واحدة والله أعلم

(فصل) وأما قولكم اذا لم يجز ادخال العمرة على الحج فلان لا يجوز فسخه اليها أولى وأحرى فنسمع جعجعة ولا نرى طحنا وما وجه التلازم بين الامرين وما الدليل على هذه الدعوى التي ليس بأيديكم برهان عليها ثم القائل بهذا ان كان من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله فهو غير معترف بفساد هذا القياس وان كان من غيرهم طولب بصحة قياسه فلا يجد اليه سبيلا ثم يقال مدخل العمرة قد نقص مما كان التزمه فانه كان يطوف طوافا للحج ثم طوافا آخر للعمرة فاذا قرن كفاه طواف واحد وسعي واحد بالسنة الصحيحة وهو قول الجمهور وقد نقص عما كان يلتزمه وأما الفاسخ فانه لم ينقص مما التزمه بل نقل نسكه الى ما هو أكمل منه وأفضل وأكثر واجبات فبطل القياس على كل تقدير ولله الحمد

(فصل عدنا الى سياق حجته صلى الله عليه وسلم) ثم نهض صلى الله عليه وسلم الى أن نزل بذي طوى وهي المعروفة الآن بآبار الزاهر فبات بها ليلة الاحد لاربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة فدخلها نهارا من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون وكان في العمرة يدخل من أسفلها وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها ثم سار حتى دخل المسجد وذلك ضحى وذكر الطبراني أنه دخله من باب بني عبد مناف الذي يسميه الناس اليوم باب بني شيبة وذكر الامام أحمد أنه كان اذا دخل مكانا من دار يعلى استقبل البيت فدعا وذكر الطبراني أنه كان اذا نظر الى البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وروى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر ويقول اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا وهو مرسل ولكن سمع هذا سعيد بن المسيب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوله فلما دخل المسجد عمد الى البيت ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام الطواف فلما حاذى الحجر الاسود استلمه ولم يزاحم عليه ولم يتقدم عنه الى جهة الركن اليماني ولم يرفع يديه ولم يقل نويت بطوافي هذا الاسبوع كذا وكذا ولا افتتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة كما يفعله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرات ولا حاذى الحجر الاسود بجميع بدنه ثم انفتل عنه وجعله على شقه بل استقبله واستلمه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ولم يدع عند الباب بدعاء ولا تحت الميزاب ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكرا معينا لا بفعله ولا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ورمل في طوافه هذا الثلاثة الاشواط الاول وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه واضطبع بردائه فجعله على أحد كتفيه وأبدى كتفه الآخر ومنكبه وكلما حاذى الحجر الاسود أشار اليه واستلمه بمحجنه وقبل المحجن والمحجن عصا محنية الرأس وثبت عنه

(١) فان دم الوليد يطل انا * نطل دماء أنت بها خبير كساه الفاتك الميمون سهما * ذعافا وهو ممتلئ بهير نخر ببطن مكة مسلحبا * كأنه عند وجبته بعير * سيكفيني مطال أبي هشام صغار جعدة الاوبار خور * (قال ابن هشام) تركنا منها بيتا واحدا اقذع فيه * قال ابن اسحق ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أبي أزيهر وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده لوصية أبيه اياه وذلك بعد ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأصيب به من أصيب من اشراف قريش من المشركين فخرج يزيد بن أبي سفيان فجمع بني عبد مناف وأبو سفيان بذي المجاز فقال الناس أخفر أبو سفيان في صهره فهو ثائر به فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد وكان أبو سفيان رجلا حليما منكرا يحب قومه حبا شديدا انحط سريعا الى مكة وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر فأتى ابنه وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيبين فأخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ثم قال له قبحك الله أتريد ان تضرب قريشا بعضها ببعض في رجل من دوس سنؤتيهم العقل ان قبلوه واطفأ ذلك الامر فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان خفرته ويجبنه فقال

غدا أهل ضوجي ذي المجاز كليهما
وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو
كساك هشام بن الوليد ثيابه
فأبل وأخلف مثلها جددا بعد
قضى وطرا منه فأصبح ماجدا
وأصبحت رخوا ما تخب وما تعدو
فلو ان اشياخا ببدر تشاهدوا
لبل نعال القوم معتبط ورد

ولم يمنع العير الضرور ذماره * وما منعت مخزاة والدها هند

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال يريد حسان ان يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس بئس والله ما ظن * ولما أسلم أهل الطائف كلم

(١) قوله فان دم بتشديد الميم لغة في الدم مخففا كما في القاموس وقوله دماء من غير تنوين وقوله كأنه بتخفيف النون

رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف لما كان أبوه أوصاه به * قال ابن اسحق فذكر لى بعض أهل العلم ان هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين الى آخر القصة فيها ولم يكن فى أبى أزيهر ثار نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس الا ان ضرار

ابن الخطاب بن مرداس الفهرى خرج فى نفر من قريش الى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر فقامت دونهم أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك

جزى الله عنا أم غيلان صالحا
ونسوتها اذهن شعث عواطل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه
وقد برزت للثائرين المقاتل
دعت دعوة دوسا فسالت شعابها
بعز وأدتها الشراج القوابل
وعمرا جزاه الله خيرا فما ونى
وما بردت منه لدىّ المفاصل
فجردت سيفى ثم قمت بنصله
وعن أى نفس بعد نفسى أقاتل

(قال ابن هشام) وحدثنى أبو عبيدة ان التى قامت دون ضرار أم جميل ويقال أم غيلان قال ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل وهى ترى انه أخوه فلما انتسبت له عرف القصة فقال انى لست بأخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفت منتك عليه فأعطاها على انها ابنة سبيل قال الراوى (قال ابن هشام) وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد اسلامه * قال ابن اسحق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته أبو لهب والحكم بن العاص بن امية * وعقبة ابن أبى معيط * وعدى بن حمراء الثقفى * وابن الاصداء الهذلى وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد الا الحكم بن أبى العاص وكان أحدهم فيما ذكر لى يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلى وكان أحدهم يطرحها فى برمته اذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله

أنه استلم الركن اليمانى ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه وفيه عبد الله بن مسلم ابن هرمز قال الامام أحمد صالح الحديث وضعفه غيره ولكن المراد بالركن اليمانى ههنا الحجر الاسود فانه يسمى الركن اليمانى مع الركن الآخر يقال لهما اليمانيان ويقال له مع الركن الذى يلى الحجر من ناحية الباب العراقيان ويقال للركنين اللذين يليان الحجر الشاميان ويقال للركن اليمانى والذى يلى الحجر من ظهر الكعبة الغربيان ولكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الاسود وثبت عنه أنه استلمه بيده فوضع يده عليه ثم قبلها وثبت عنه أنه استلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات وروى عنه أيضا أنه وضع شفتيه عليه طويلا يبكى وذكر الطبرانى عنه باسناد جيد أنه كان اذا استلم الركن اليمانى قال بسم الله والله أكبر وكان كلما أتى على الحجر الاسود قال الله أكبر وذكر أبو داود والطيالسى وأبو عاصم النبيل عن جعفر بن عبد الله بن عثمان قال رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه ثم قال رأيت ابن عباس يقبله ويسجد عليه وقال ابن عباس رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ففعلت وروى البيهقى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليمانى ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات وذكر أيضا عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر ولم يستلم صلى الله عليه وسلم ولم يمس من الاركان الا اليمانيين فقط قال الشافعى رحمه الله ولم يدع أحد استلامهما هجرة لبيت الله ولكن استلم ما استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسك عما أمسك عنه

(فصل) فلما فرغ من طوافه جاء الى خلف المقام فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتى الاخلاص وقراءته الآية المذكورة بيان منه لتفسير القرآن ومراد الله منه لفعله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من صلاته أقبل الى الحجر الاسود فاستلمه ثم خرج الى الصفا من الباب الذى يقابله فلما قرب منه قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به وفى رواية النسائى ابدؤا على الامر ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات وقام ابن مسعود على الصدع وهو الشق الذى فى الصفا فقيل له ههنا يا أبا عبد الرحمن قال هذا والذى لا اله غيره مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة ذكره البيهقى ثم نزل الى المروة يمشى فلما انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى اذا جاوز الوادى وأصعد مشى هذا الذى صح عنه وذلك اليوم قبل الميلين الاخضرين فى أول السعى وآخره والظاهر ان الوادى لم يتغير عن وضعه هكذا قال جابر عنه فى صحيح مسلم وظاهر هذا انه كان ماشيا وقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول طاف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس وليشرف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا قال ابن حزم لا تعارض بينهما لان الراكب اذا انصب به بعيره فقد انصب كله وانصبت قدماه أيضا مع سائر جسده وعندى فى الجمع بينهما وجه آخر أحسن من هذا وهو انه سعى ماشيا أولا ثم أتم سعيه راكبا وقد جاء ذلك مصرحا به ففى صحيح مسلم عن أبى الطفيل قال قلت لابن عباس أخبرنى عن

الطواف

عليه وسلم حجرا يستتر به منهم اذا صلى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طرحوا عليه ذلك الاذى كما حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود فيقف به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق * قال ابن اسحق ثم ان خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك خديجة وكانت له وزير صدق على الاسلام يشكو اليها وبهلاك عمه أبي طالب وكان له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصرا على قومه وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا * قال ابن اسحق فحدثني هشام ابن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك قال ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب * قال ابن اسحق ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا والله ما نأمن ان يبتزونا أمرنا * قال ابن اسحق فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال فمشوا الى أبي طالب فكلموه وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم فقالوا يا أبا طالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه أبو طالب فجاءه فقال يا ابن اخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك

الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو فان قومك يزعمون أنه سنة قال صدقوا وكذبوا قال قلت ما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد حتى خرج عليه العواتق من البيوت قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه قال فلما كثر عليه ركب والمشي أفضل

(فصل) وأما طوافه بالبيت عند قدومه فاختلف فيه هل كان على قدميه أو كان راكبا ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حول الكعبة على بعيره يستلم الركن كراهة أن يضرب عنه الناس وفي سنن أبي داود عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشتكي فطاف على راحلته كلما أتى الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين قال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف حول البيت على بعيره يستلم الحجر بمحجنه ثم يقبله رواه مسلم دون ذكر البعير وهو عند البيهقي باسناد مسلم بذكر البعير وهذا والله أعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل في الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي قال الشافعي رحمه الله أما سعيه الذي طافه لمقدمه فعلى قدميه لان جابرا حكى عنه فيه انه رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة فلا يجوز أن يكون جابر يحكي عنه الطواف ماشيا وراكبا في سعي واحد وقد حفظ ان سعيه الذي ركب فيه في طوافه يوم النحر ثم ذكر الشافعي عن ابن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يهجروا بالافاضة وأفاض في نسائه ليلا على راحلته يستلم الركن بمحجنه احسبه قال فيقبل طرف المحجن قلت هذا مع أنه مرسل فهو خلاف ما رواه جابر عنه في الصحيح أنه طاف طواف الافاضة يوم النحر نهارا وكذلك رواية عائشة وابن عمر كما سيأتي وقول ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته كلما أتى الركن استلمه هذا ان كان محفوظا فهو في احدى عمره والا فقد صح عنه الرمل في الثلاثة الاول من طواف القدوم الا أن يقول كما قال ابن حزم في السعي أنه رمل على بعيره فان من رمل على بعيره فقد رمل لكن ليس في شئ من الاحاديث انه كان راكبا في طواف القدوم والله أعلم

(فصل) وقال ابن حزم وطاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة أيضا سبعا راكبا على بعيره يخب ثلاثا ويمشي أربعا وهذا من أوهامه وغلطه رحمه الله فان أحدا لم يقل هذا قط غيره ولا رواه أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم البتة وهذا انما هو في الطواف بالبيت فغلط أبو محمد ونقله الى الطواف بين الصفا والمروة وأعجب من ذلك استدلاله عليه بما رواه من طريق البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف حين قدم مكة واستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة أطواف ومشى أربعا فركع حين قضى طوافه بالبيت وصلى عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط وذكر باقي الحديث قال ولم نجد عدد الرمل بين الصفا والمروة منصوصا ولكنه متفق عليه هذا لفظه قلت المتفق عليه السعي في بطن الوادي في الاشواط كلها وأما الرمل في الثلاثة الاول خاصة فلم يقله ولا نقله فيما نعلم غيره وسألت شيخنا عنه فقال هذا من أغلاطه وهو لم يحج رحمه الله تعالى وشبيه هذا الغلط غلط من قال انه سعى أربع عشرة مرة وكان يحتسب بذهابه ورجوعه مرة واحدة وهذا غلط عليه صلى الله عليه وسلم لم ينقله عنه أحد ولا قاله أحد من الائمة الذين اشتهرت أقوالهم وان ذهب اليه بعض المتأخرين من المنتسبين الى الائمة ومما يبين بطلان هذا القول أنه

صلى الله عليه وسلم لا خلاف عنه أنه ختم سعيه بالمروة ولو كان الذهاب والرجوع مرة واحدة لكان ختمه انما يقع على الصفا وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقى عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لا هدى معه أن يحل حتما ولا بد قارنا كان أو مفردا وأمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس المخيط وان يبقوا كذلك الى يوم التروية ولم يحل هو من أجل هديه وهنالك قال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة وقد روى انه أحل هو أيضا وهو غلط قطعا قد بيناه فيما تقدم وهنالك دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة وهنالك سأله سراقة بن مالك بن جعشم عقيب أمره اهم بالفسخ والاحلال هل ذلك لعامهم خاصة أم للابد فقال بل للابد ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا على ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى وأما نساؤه صلى الله عليه وسلم فاحللن وكن قارنات الا عائشة فانها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها وفاطمة حلت لانها لم يكن معها هدى وعلى رضى الله عنه لم يحل من أجل هديه وأمر من أهل باهلال كاهلاله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على احرامه ان كان معه هدى وان يحل ان لم يكن معه هدى وكان يصلى مدة مقامه بمكة الى يوم التروية بمنزله الذى هو نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة فاقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين الى منى فاحرم بالحج من كان أحل منهم من رحالهم ولم يدخلوا الى المسجد فاحرموا منه بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم فلما وصل الى منى فنزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها وكان ليلة الجمعة فلما طلعت الشمس سار منها الى عرفة وأخذ على طريق ضب على يمين طريق الناس اليوم وكان من أصحابه الملبى ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء فوجد القبة قد ضربت له بنمرة بامره وهى قرية شرقى عرفات وهى خراب اليوم فنزل بها حتى اذا زالت الشمس أمر بناقته القصوى فرحلت ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرنة فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قرر فيها قواعد الاسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرر فيها تحريم المحرمات التى اتفقت الملل على تحريمها وهى الدماء والاموال والاعراض ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله وأوصاهم بالنساء خيرا وذكر الحق الذى لهن وعليهن وان الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقدير وأباح للازواج ضربهن اذا أدخلن الى بيوتهن من يكرهه أزواجهن وأوصى الامة فيها بالاعتصام بكتاب الله وأخبر انهم لم يضلوا ما داموا معتصمين به ثم أخبرهم انهم مسؤلون عنه واستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون فقالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع أصبعه الى السماء واستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم قال ابن حزم وأرسلت اليه أم الفضل بنت الحرث الهلالية وهى أم عبد الله ابن عباس بقدح لبن فشربه امام الناس وهو على بعيره فلما أتم الخطبة أمر بلالا فاقام الصلاة وهذا من وهمه رحمه الله فان قصة شربه اللبن انما كانت بعد هذا حين سار الى عرفة ووقف بها هكذا جاء فى الصحيحين مصرحا به عن ميمونة أن الناس شكوا فى صيام النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فارسلت اليه بحلاب وهو واقف فى الموقف فشرب منه والناس ينظرون وفى لفظ وهو واقف بعرفة وموضع خطبته لم يكن من الموقف فانه خطب بعرنة وليست من الموقف وهو صلى الله عليه وسلم نزل بنمرة

وليانه نتوأسنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا عم كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قال فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه قال فصفقوا بأيديهم ثم قالوا أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجب قال ثم قال بعضهم لبعض انه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه قال ثم تفرقوا قال فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا قال فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسلامه فجعل يقول له أى عم فأنت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة قال فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قال يا ابن أخى والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وان تظن قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها الا لأسرك بها قال فلما تقارب من أبى طالب الموت قال نظر العباس اليه يحرك شفتيه قال فاصغى اليه باذنه قال فقال يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته ان يقولها قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع قال وأنزل الله تعالى فى الرهط الذين كانوا اجتمعوا اليه وقال لهم ما قال وردوا عليه ما ردوا ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق الى قوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة يعنون النصارى لقولهم ان الله ثالث ثلاثة ان هذا الا اختلاق ثم هلك أبو طالب * قال ابن اسحق ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج اليهم وحده * وخطب

قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف

هم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومسعود [redacted] عمير وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف
ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس [redacted] رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله
وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة

وخطب بعرنة ووقف بعرفة وخطب خطبة واحدة ولم تكن خطبتين جلس بينهما ثم أمر بلالا فأذن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة فدل على أن المسافر لا يصلي جمعة ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجمعا بلا ريب ولم يأمرهم بالاتمام ولا بترك الجمع ومن قال انه قال لهم أتموا صلاتكم فانا قوم سفر فقد غلط فيه غلطا بينا ووهم وهما قبيحا وانما قال لهم ذلك في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ولهذا كان أصح أقوال العلماء ان أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة ولا بأيام معلومة ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة وانما التأثير لما جعله الله سببا وهو السفر هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب اليه المحددون فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف في ذيل الجبل عند الصخرات واستقبل القبلة وجعل حبل المشاة بين يديه وكان على بعيره فأخذ في الدعاء والتضرع والابتهال الى غروب الشمس وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال وقفت ههنا وعرفة كلها موقف وأرسل الى الناس أن يكونوا على مشاعرهم ويقفوا بها فانها من ارث أبيهم ابراهيم وكذلك هناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج أيام منى ثلاثة أيام التشريق فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه وكان في دعائه رافعا يديه الى صدره كاستطعام المسكين وأخبرهم ان خير الدعاء دعاء يوم عرفة وذكر من دعائه صلى الله عليه وسلم في الموقف اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح ذكره الترمذي ومما ذكر من دعائه هنالك اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم أنفه لك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا خير المعطين ذكره الطبراني وذكر الامام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير وذكر البيهقي من حديث علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال أكثر دعائي ودعاء الانبياء من قبلي بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي صدري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر اللهم اني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر وأسانيد هذه الادعية فيها لين وهنالك أنزلت عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وهنالك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله تعالى يبعثه يوم القيامة يلبي وفي هذه القصة اثنا عشر حكما * الاول وجوب غسل

ان كان الله أرسلك وقال الآخر اما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه (قال ابن هشام) وقوله ويذئرهم يعني يحرش بينهم قال عبيد بن الابرص

ولقد أتاني عن تميم انهم
ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقي من سفهاء أهل الطائف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما ذكر لي اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ

فلقطفا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل أي البلاد أنت

الميت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به * الحكم الثاني انه لا ينجس بالموت لانه لو نجس بالموت لم يزده غسله الا نجاسة لان نجاسة الموت للحيوان عينية فان ساعد المنجسون على انه يطهر بالغسل بطل أن يكون نجسا بالموت وان قالوا لا يطهر لم يزد الغسل أكفانه وثيابه وغاسله الا نجاسة * الحكم الثالث أن المشروع في حق الميت أن يغسل بماء وسدر لا يقتصر به على الماء وحده وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسدر في ثلاثة مواضع هذا أحدها والثاني في غسل ابنته بالماء والسدر والثالث في غسل الحائض وفي وجوب السدر في حق الحائض قولان في مذهب أحمد * الحكم الرابع أن تغير الماء بالطاهرات لا يسلبه طهوريته كما هو مذهب الجمهور وهو أنص الروايتين عن أحمد وان كان المتأخرون من أصحابه على خلافها ولم يأمر بغسله بعد ذلك بماء قراح بل أمر في غسل ابنته أن يجعل في الغسلة الاخيرة شيأ من الكافور ولو سلبه الطهورية لنهى عنه وليس القصد مجردا كتساب الماء من رائحته حتى يكون تغير مجاورة بل هو تطييب البدن وتصليبه وتقويته وهذا انما يحصل بكافور مخالط لا مجاور * الحكم الخامس اباحة الغسل للمحرم وقد تناظر في هذا عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة ففصل بينهما أبو أيوب الانصاري بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل وهو محرم واتفقوا على انه يغتسل من الجنابة ولكن كره مالك رحمه الله أن يغيب رأسه في الماء لانه نوع ستر له والصحيح انه لا بأس به فقد فعله عمر بن الخطاب وابن عباس * الحكم السادس ان المحرم غير ممنوع من الماء والسدر وقد اختلف في ذلك وأباحه الشافعي رحمه الله وأحمد رحمه الله في أظهر الروايتين عنه ومنع منه مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله في رواية ابنه صالح عنه قال فان فعل أهدى وقال صاحبا أبي حنيفة رحمهم الله ان فعل فعليه صدقة وللمانعين ثلاث علل * أحدها انه يقتل الهوام من رأسه وهو ممنوع من التفلي * الثانية انه ترفه وازالة شعث ينافي في الاحرام * الثالثة انه يستلذ رائحته فاشبه الطيب ولا سيما الخطمي والعلل الثلاث واهية جدا والصواب جوازه للنص ولم يحرم الله ورسوله على المحرم ازالة الشعث بالاغتسال ولا قتل القمل وليس السدر من الطيب في شيء * الحكم السابع أن الكفن مقدم على الميراث وعلى الدين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يكفن في ثوبيه ولم يسأل عن وارثه ولا عن دين عليه ولو اختلف الحال لسأل وكما أن كسوته في الحياة مقدمة على قضاء دينه فكذلك بعد الممات هذا كلام الجمهور وفيه خلاف شاذ لا يعول عليه * الحكم الثامن جواز الاقتصار في الكفن على ثوبين وهما ازار ورداء وهذا قول الجمهور وقال القاضي أبو يعلى لا يجوز أقل من ثلاثة أثواب عند القدرة لانه لو جاز الاقتصار على ثوبين لم يجز التكفين بالثلاثة لمن له أيتام والصحيح خلاف قوله وما ذكره ينتقض بالخشن مع الرفيع * الحكم التاسع أن المحرم ممنوع من الطيب لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقرب طيبا مع شهادته له انه يبعث ملبيا وهذا هو الاصل في منع المحرم من الطيب وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا تلبسوا من الثياب شيأ مسه ورس أو زعفران وأمر الذي أحرم في جبة بعد ما تضمخ بالخلوق أن ينزع عنه الجبة ويغسل عنه أثر الخلوق فعلى هذه الاحاديث الثلاثة مدار منع المحرم من الطيب وأصرحها هذه القصة فان النهي في الحديثين الاخيرين انما هو عن نوع خاص من الطيب لا سيما الخلوق فان النهي عنه عام في الاحرام وغيره واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يقرب طيبا أو يمس به تناول ذلك الرأس والبدن والثياب وأما شمه من غير مس فانما حرمه من حرمه بالقياس

يا عداس وما دينك قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس ابن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه * قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وقال تبارك وتعالى قل أوحي الى انه استمع نفر من الجن الى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة

(عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل) * قال ابن اسحق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه الا قليلا مستضعفين ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم

انه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به * قال ابن اسحق فحدثني من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلي ومن حدثه أبو الزناد عنه (قال ابن هشام) (١) ربيعة بن عباد * قال ابن اسحق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي فقال اني

لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال فقلت لأبي يا أبت من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب (قال ابن هشام) قال النابغة

كأنك من جمال بني أقيش
يقعقع خلف رجليه بشن

*قال ابن اسحق حدثنا ابن شهاب الزهري انه أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين انه أتى كلبا في منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى انه ليقول لهم يا بني عبد الله ان الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم * قال ابن اسحق وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم * قال ابن اسحق

(١) قوله ربيعة بن عباد ضبط الاول في بعض النسخ بفتح العين وتشديد الموحدة وفي الثاني بكسر العين وتخفيف الموحدة

بالقياس والا فلفظ النهي لا يتناوله بصريحه ولا اجماع معلوم فيه يجب المصير اليه ولكن تحريمه من باب تحريم الوسائل فان شمه يدعو الى ملامسته في البدن والثياب كما يحرم النظر الى الاجنبية لانه وسيلة الى غيره وما حرم تحريم الوسائل فانه يباح للحاجة أو المصلحة الراجحة كما يباح النظر الى الامة المستامة والمخطوبة ومن شهد عليها أو يعاملها أو يطببها وعلى هذا فانما يمنع المحرم من قصد شم الطيب للترفه واللذة فاما اذا وصلت الرائحة الى أنفه من غير قصد منه أو شمه قصدا لاستعلامه عند شرائه لم يمنع منه ولم يجب عليه سد أنفه فالاول بمنزلة نظر الفجأة والثاني بمنزلة نظر المستام والخاطب ومما يوضح هذا ان الذين أباحوا للمحرم استدامة الطيب قبل الاحرام منهم من صرح باباحة تعمد شمه بعد الاحرام صرح بذلك أصحاب أبي حنيفة رحمه الله فقالوا في جوامع الفقه لابي يوسف رحمه الله لا بأس بان يشم طيبا تطيب به قبل احرامه قال صاحب المفيد ان الطيب يتصل به فيصير تبعا له ليدفع به أذى التعب بعد احرامه فيصير كالسحور في حق الصائم يدفع به أذى الجوع والعطش في الصوم بخلاف الثوب فانه مباين عنه وقد اختلف الفقهاء هل هو ممنوع من استدامته كما هو ممنوع من ابتدائه أو يجوز له استدامته على قولين فذهب الجمهور الى جواز استدامته اتباعا لما ثبت بالسنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتطيب قبل احرامه ثم يرى وبيص الطيب في مفارقه بعد احرامه وفي لفظ وهو يلبي وفي لفظ بعد ثلاث وكل هذا يدفع التأويل الباطل الذي تأوله من قال ان ذلك كان قبل الاحرام فلما اغتسل ذهب أثره وفي لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يحرم تطيب بأطيب ما يجد ثم يرى وبيص الطيب في رأسه ولحيته بعد ذلك ولله ما يصنع التقليد ونصرة الآراء باصحابه * وقال آخرون منهم ان ذلك كان مختصا به ويرد هذا أمران * أحدهما أن دعوى الاختصاص لا تسمع الا بدليل * الثاني ما رواه أبو داود عن عائشة كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فنضمد جباهنا بالمسك المطيب عند الاحرام فاذا عرقت احدانا سال على وجهها فيراه النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا * الحكم العاشر أن المحرم ممنوع من تغطية رأسه والمراتب فيه ثلاث ممنوع منه بالاتفاق وجائز بالاتفاق ومختلف فيه فالاول كل متصل ملامس يراد لستر الرأس كالعمامة والقبع والطاقية والخودة وغيرها والثاني كالخيمة والبيت والشجرة ونحوها وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ضربت له قبة بنمرة وهو محرم الا أن مالكا منع المحرم أن يضع ثوبه على شجرة ليستظل به وخالفه الاكثرون ومنع أصحابه المحرم أن يمشي في ظل المحمل والثالث كالمحمل والمحارة والهودج فيه ثلاثة أقوال الجواز وهو قول الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله والثاني المنع فان فعل افتدى وهو مذهب مالك رضي الله عنه والثالث المنع فان فعل فلا فدية عليه والثلاثة روايات عن أحمد * الحكم الحادي عشر منع المحرم من تغطية وجهه وقد اختلف في هذه المسألة فمذهب الشافعي رضي الله عنه وأحمد رحمه الله في رواية اباحته ومذهب مالك رحمه الله وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله في رواية المنع منه وباباحته قال ستة من الصحابة عثمان وعبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت والزبير وسعد بن أبي وقاص وجابر رضي الله عنهم وفيه قول ثالث شاذ ان كان حيا فله تغطية وجهه وان كان ميتا لم يجز تغطية وجهه قاله ابن حزم وهو اللائق بظاهريته واحتج المبيحون بأقوال هؤلاء الصحابة وبأصل الاباحة وبمفهوم قوله ولا تخمروا رأسه وأجابوا عن قوله ولا تخمروا وجهه بان هذه اللفظة غير محفوظة فيه قال شعبة حدثنيه أبو بشر ثم سألته عنه بعد

ويقال في الزهري انه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس (قال ابن هشام) فراس بن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لاحاجة لنا بأمرك فأبوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر ان يوافي معهم المواسم فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا قال فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلي قط وانها الحق فأين رأيكم كان عنكم * قال ابن اسحق فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ثم الظفري عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد ابن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه وهو الذي يقول ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفرى مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر يسرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبتري عقب الظهر تبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر فرشني بخير طالما قد بريتني * وخير الموالي من يريش ولا يبري وهو الذي يقول ونافر رجلا من بني سليم ثم أحد بني زعب بن مالك

عشر سنين فجاء بالحديث كما كان الا انه قال لا تخمروا رأسه ولا وجهه قالوا وهذا يدل على ضعفها قالوا وقد روي في هذا الحديث خمروا وجهه ولا تخمروا رأسه * الحكم الثاني عشر بقاء الاحرام بعد الموت فانه لا ينقطع به وهذا مذهب عثمان وعلي وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم وبه قال أحمد رحمه الله والشافعي رضي الله عنه واسحق رحمه الله وقال أبو حنيفة رحمه الله ومالك رحمه الله والاوزاعي رحمه الله ينقطع الاحرام بالموت ويصنع به كما يصنع بالحلال لقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث قالوا ولا دليل في حديث الذي وقصته راحلته لانه خاص به كما قالوا في صلاته على النجاشي انها مختصة به قال الجمهور دعوى التخصيص على خلاف الاصل فلا تقبل وقوله في الحديث فانه يبعث ملبيا اشارة الى العلة فلو كان مختصا به لم يشر الى العلة ولا سيما ان قيل لا يصح التعليل بالعلة القاصرة وقد قيل نظير هذا في شهداء أحد فقال زملوهم في ثيابهم بكلومهم فانهم يبعثون يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك وهذا غير مختص بهم وهو نظير قوله كفنوه في ثوبيه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا ولم تقولوا ان هذا خاص بشهداء أحد فقط بل عديتم الحكم الى سائر الشهداء مع امكان ما ذكرتم من التخصيص فيه وما الفرق وشهادة النبي صلى الله عليه وسلم في الموضعين واحدة وأيضا فان هذا الحديث موافق لاصول الشرع والحكمة التي رتب عليها المعاد فان العبد يبعث على ما مات عليه ومن مات على حالة بعث عليها فلو لم يرد هذا الحديث لكان أصول الشرع شاهدة به والله أعلم

(فصل عدنا الى سياق حجته صلى الله عليه وسلم) فلما غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث ذهب الصفرة أفاض من عرفة وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بالسكينة وضم اليه زمام ناقته حتى ان رأسها ليصيب طرف رحله وهو يقول أيها الناس عليكم السكينة فان البر ليس بالايضاع أي ليس بالاسراع وأفاض من طريق المأزمين ودخل عرفة من طريق ضب وهكذا كانت عادته صلوات الله عليه وسلامه في الاعياد ان يخالف الطريق وقد تقدم حكمة ذلك عند الكلام على هديه في العيد ثم جعل يسير العنق وهو ضرب من السير ليس بالسريع ولا البطيء فاذا وجد فجوة وهو المتسع نص سيره أي رفعه فوق ذلك وكلما أتى ربوة من تلك الربى أرخى للناقة زمامها قليلا حتى تصعد وكان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلبية فلما كان في اثناء الطريق نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال وتوضأ وضوأ خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله فقال المصلى امامك ثم سار حتى أتى المزدلفة فتوضأ وضوء الصلاة ثم أمر المؤذن بالاذان فاذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال فلما حطوا رحالهم أمر فاقيمت الصلاة ثم صلى عشاء الآخرة باقامة بلا أذان ولم يصل بينهما شيأ وقد روي انه صلاهما باذانين واقامتين وروي باقامتين بلا أذان والصحيح انه صلاهما باذان واقامتين كما فعل بعرفة ثم نام حتى أصبح ولم يحي تلك الليلة ولا صح عنه في احياء ليلتي العيدين شئ وأذن في تلك الليلة لضعفة أهله ان يتقدموا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيبوبة القمر وأمرهم ان لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس حديث صحيح صححه الترمذي وغيره وأما حديث عائشة رضي الله عنها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت وكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عندها رواه أبو داود فحديث منكر أنكره الامام أحمد وغيره ومما يدل على انكاره فيه أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أمرها ان توافى صلاة الصبح يوم النحر بمكة وفى رواية توافيه بمكة وكان يومها فأحب ان توافيه وهذا من المحال قطعا قال الاثرم قال لى أبو عبد الله حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها ان توافيه يوم النحر بمكة لم يسنده غيره وهو خطأ وقال وكيع عن أبيه مرسله ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها ان توافيه صلاة الصبح يوم النحر بمكة أو نحو هذا وهذا أعجب أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وقت الصبح ما يصنع بمكة ينكر ذلك قال فجئت الى يحيى بن سعيد فسألته فقال عن هشام عن أبيه أمرها ان توافى ليس توافيه قال وبين ذين فرق قال وقال لى يحيى سل عبد الرحمن عنه فسألته فقال هكذا عن هشام عن أبيه قال الخلال سها الاثرم فى حكايته عن وكيع توافيه وانما قال وكيع توافى منى وأصاب فى قوله توافى كما قال أصحابه وأخطأ فى قوله منى قال الخلال أنبأنا على بن حرب حدثنا هارون بن عمران عن سليمان بن أبى داود عن هشام بن عروة عن أبيه قال أخبرتنى أم سلمة قالت قدمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من أهله ليلة المزدلفة قالت فرميت بليل ثم مضيت الى مكة فصليت بها الصبح ثم رجعت الى منى (قلت) سليمان بن أبى داود هذا هو الدمشقى الخولانى ويقال ابن داود قال أبو زرعة عن أحمد رجل من أهل الجزيرة ليس بشئ وقال عثمان بن سعيد ضعيف (قلت) ومما يدل على بطلانه ما ثبت فى الصحيحين عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت استأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة ان تدفع قبله وقبل حطمة الناس وكانت امرأة ثبطة قالت فأذن لها فخرجت قبل دفعه وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه ولأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنته سودة أحب الى من مفروح به فهذا الحديث الصحيح يبين ان نساءه غير سودة انما دفعن معه فان قيل فما تصنعون بحديث عائشة الذى رواه الدارقطنى وغيره عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر نساءه ان يخرجن من جمع ليلة جمع فيرمين الجمرة ثم تصبح فى منازلنا وكانت تصنع ذلك حتى ماتت قيل يرده محمد بن حميد أحد رواته كذبه غير واحد ويرده أيضا حديثها الذى فى الصحيحين وقولها وددت انى كنت استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنته سودة وان قيل فهب انكم يمكنكم رد هذا الحديث فما تصنعون بالحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أم حبيبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها من جمع بليل قيل قد ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم تلك الليلة ضعفة أهله وكان ابن عباس فيمن قدم وثبت انه قدم سودة وثبت انه حبس نساءه عنده حتى دفعن بدفعه وحديث أم حبيبة انفرد به مسلم فان كان محفوظا فهى اذا من الضعفة التى قدمها وان قيل فما تصنعون بما رواه الامام أحمد عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث به مع أهله الى منى يوم النحر فرموا الجمرة مع الفجر قيل نقدم عليه حديثه الآخر الذى رواه أيضا الامام أحمد والترمذى وصححه ان النبى صلى الله عليه وسلم قدم ضعفة أهله وقال لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس ولفظ أحمد فيه قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بنى عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول أى بنى لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس لانه أصح منه وفيه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن رمى الجمرة قبل طلوع الشمس وهو محفوظ بذكر القصة فيه والحديث الآخر انما فيه انهم رموها مع الفجر ثم تأملنا فاذا أنه لا تعارض بين هذه الاحاديث فانه أمر الصبيان ان لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس فانه لا عذر لهم فى تقديم الرمى أما من قدمه من النساء فرمين قبل

مائة ناقة الى كاهنة من كهان العرب فقضت له فانصرف عنها هو والسلمى ليس معهما غيرهما فلما فرقت بينهما الطريق قال مالى يا أخا بنى سليم قال أبعث اليك به قال فمن لى بذلك اذا فتنى به قال أنا قال كلا والذى نفس سويد بيده لا تفارقنى حتى أوتى بمالى فاتخذا فضرب به الارض ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به الى دار بنى عمرو بن عوف فلم يزل عنده حتى بعث اليه سليم بالذى له (٢٣٣) فقال فى ذلك لا تحسبنى يا ابن زغب بن مالك * كمن كنت تردى بالغيوب وتختل
تحولت قرنا اذ صرعت بعزة
كذلك ان الحازم المتحول
ضربت به ابط الشمال فلم يزل
على كل حال خده هو أسفل
فى أشعار كثيرة كان يقولها قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال (١) مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرضها على فعرضها عليه فقال له ان هذا لكلام حسن والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث ان قتلته الخزرج فان كان رجال من قومه ليقولون انا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثنى الحصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ عن محمود بن لبيد قال لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس اليهم فقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قال فقالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب قال ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال

(١) المجلة الصحيفة

طلوع الشمس للعذر والخوف عليهن من مزاحمة الناس وحطمتهم وهذا الذي دلت عليه السنة جواز الرمي قبل طلوع الشمس للعذر بمرض أو كبر يشق عليه مزاحمة الناس لاجله وأما القادر الصحيح فلا يجوز له ذلك وفي المسألة ثلاثة مذاهب * أحدها الجواز بعد نصف الليل مطلقا للقادر والعاجز كقول الشافعي وأحمد رحمهما الله * والثاني لا يجوز الا بعد طلوع الفجر كقول أبي حنيفة رحمه الله * والثالث لا يجوز لاهل القدرة الا بعد طلوع الشمس كقول جماعة من أهل العلم والذي دلت عليه السنة انما هو التعجيل بعد غيبوبة القمر لا نصف الليل وليس مع من حده بالنصف دليل والله أعلم

(فصل) فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله قطعا باذان واقامة يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الاكبر وهو يوم الاذان ببراءة الله ورسوله من كل مشرك ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى اسفر جدا وذلك قبل طلوع الشمس وهنالك سأله عروة بن مضرس الطائي فقال يارسول الله اني جئت من جبلي طي أكللت راحلتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه فهل لي من حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه قال الترمذي حديث حسن صحيح وبهذا احتج من ذهب الى ان الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة وهو مذهب اثنين من الصحابة ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهما واليه ذهب ابراهيم النخعي والشعبي وعلقمة والحسن البصري وهو مذهب الاوزاعي وحماد بن أبي سليمان وداود الظاهري وأبي عبيد القاسم بن سلام واختاره المحمدان ابن جرير وابن خزيمة وهو أحد الوجوه للشافعية ولهم ثلاث حجج هذه احداها والثانية قوله تعالى فاذكروا الله عند المشعر الحرام والثالثة فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خرج مخرج البيان لهذا الذكر المأمور به واحتج من لم يره ركنا بامرين * أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم مد وقت الوقوف بعرفة الى طلوع الفجر وهذا يقتضي ان من وقف بعرفة قبل طلوع الفجر بايسر زمان صح حجه ولو كان الوقوف بمزدلفة ركنا لم يصح حجه * الثاني انه لو كان ركنا لاشترك فيه الرجال والنساء فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء بالليل علم انه ليس بركن وفي الدليلين نظر فان النبي صلى الله عليه وسلم انما قدمهن بعد المبيت بمزدلفة وذكر الله تعالى بها لصلاة عشاء الآخرة والواجب هو ذلك وأما توقيت الوقوف بعرفة الى الفجر فلا ينافي أن يكون المبيت بمزدلفة ركنا وتكون تلك الليلة وقتا لهما كوقت المجموعتين من الصلوات وتضييق الوقت لاحدهما لا يخرجه عن أن يكون وقتا لهما حال القدرة

(فصل) ووقف صلى الله عليه وسلم في موقفه وأعلم الناس ان مزدلفة كلها موقف ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلبي في مسيره وانطلق اسامة بن زيد على رجليه في سباق قريش وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس ان يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ولا التقطها بالليل فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول امثال هؤلاء فارموا واياكم والغلو في الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وفي طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم جميلة فسألته عن الحج عن ابيها وكان شيخا

كبيرا

فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فاخبرني من حضره من قومي عند موته انهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع * قال ابن اسحق فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر ابن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز

منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا * قال ابن اسحق وهم فيما ذكر لى ستة نفر من الخزرج (منهم من بنى النجار وهو تيم الله ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء (قال ابن هشام) وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة ابن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار ومن بنى زريق بن عامر ابن زريق بن عبد حارثة بن مالك ابن غضب بن جشم بن الخزرج * رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق (قال ابن هشام) ويقال عامر بن الازرق * قال ابن اسحق ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد (قال ابن هشام) وعمرو بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عقبة بن عامر ابن نابى بن زيد بن حرام (ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة) جابر بن عبد الله بن رئاب ابن النعمان بن سنان بن عبيد فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وفى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب (منهم من بنى النجار ثم من بنى مالك بن النجار) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف ومعاذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار وهما ابنا عفراء (ومن بنى زريق بن عامر) رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق (قال ابن هشام)

كبير لا يستمسك على الراحلة فأمرها ان تحج عنه وجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فوضع يده على وجهه وصرفه الى الشق الآخر وكان الفضل وسيما فقيل صرف وجهه عن نظرها اليه وقيل صرفه عن نظره اليها والصواب انه فعله للأمرين فانه فى القصة جعل ينظر اليها وتنظر اليه وسأله آخر هنالك عن أمه فقال انها عجوز كبيرة وان حملتها لم تستمسك وان ربطتها خشيت ان أقتلها فقال أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه قال نعم قال فحج عن أمك فلما أتى بطن محسر حرك ناقته وأسرع السير وهذه كانت عادته فى المواضع التى نزل فيها بأس الله بأعدائه فان هنالك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله علينا ولذلك سمى ذلك الوادى وادى محسر لان الفيل حسر فيه أى أعيى وانقطع عن الذهاب وكذلك فعل فى سلوكه الحجر وديار ثمود فانه تقنع بثوبه وأسرع السير ومحسر برزخ بين منى وبين مزدلفة لا من هذه ولا من هذه وعرنة برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فبين كل مشعرين برزخ ليس منهما فمنى من الحرم وهى مشعر ومحسر من الحرم وليس بمشعر ومزدلفة حرم ومشعر وعرنة ليست مشعرا وهى من الحل وعرفة حل ومشعر وسلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى بين الطريقين وهى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منى فأتى جمرة العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحلته فرماها راكبا بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة وحينئذ قطع التلبية وكان فى مسيره ذلك يلبى حتى شرع فى الرمى ورمى وبلال وأسامة معه أحدهما آخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر وفى هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه ان كانت قصة هذا الاظلال يوم النحر ثابتة وان كانت بعده فى أيام منى فلا حجة فيها وليس فى الحديث بيان فى أى زمن كانت والله أعلم

(فصل) ثم رجع الى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة على جميع البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال لعلى لا أحج بعد عامى هذا وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والانصار منازلهم وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه وأخبر انه رب مبلغ أوعى من سامع وقال فى خطبته لا يجنى جان الا على نفسه وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والانصار عن يسارها والناس حولهم وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى فى منازلهم وقال فى خطبته اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وودع حينئذ الناس فقالوا حجة الوداع وهنالك سئل عمن حلق قبل أن يرمى وعن ذبح قبل ان يرمى فقال لا حرج قال عبد الله بن عمر ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شئ الا قال افعلوا ولا حرج قال ابن عباس انه قيل له صلى الله عليه وسلم فى الذبح والحلق والرمى والتقديم والتأخير قال لا حرج وقال أسامة بن شريك خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم حاجا وكان الناس يأتونه فمن قائل يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف أو أخرت شيأ أو قدمت فكان يقول لا حرج لا حرج الا على رجل اقترض عرض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذى حرج وهلك وقوله سعيت قبل أن أطوف فى هذا الحديث ليس بمحفوظ والمحفوظ تقديم الرمى والنحر والحلق بعضها على بعض ثم انصرف الى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى وكان عدد هذا الذى نحره عدد سنى عمره ثم أمسك وأمر عليا ان ينحر ما بقى من المائة ثم أمر عليا رضى الله عنه ان يتصدق بجلالها ولحومها وجلودها

 قال (ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج وهم القواقل) عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم * وأبو عبد الرحمن وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني غصينة من بلى حليف لهم (قال ابن هشام) وانما قيل لهم القواقل لانهم كانوا اذا استجار بهم الرجل دفعوا له

سهما وقالوا له قوقل به بيثرب حيث شئت (قال ابن هشام) القوقلة ضرب من المشي * قال ابن اسحق ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ثم من بني العجلان بن زيد بن غنم بن سالم * العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان * قال ابن اسحق ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد ابن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني حرام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة * عقبة ابن عامر بن نابي بن زيد بن حرام (ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة) قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد * وشهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني عبد الاشهل ابن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك (قال ابن هشام) التيهان يخفف و يثقل كقوله ميت وميت (ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس) عويم بن ساعدة * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفيتم عن فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيأ فأمركم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب * قال ابن اسحق وذكر لي ابن شهاب الزهري عن عائذ الله بن عبد الله الخولاني أبي ادريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى على أن

في المساكين وأمره ان لا يعطي الجزار في جزارتها شيأ منها وقال نحن نعطيه من عندنا وقال من شاء اقتطع (فان قيل) فكيف تصنعون بالحديث الذي في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين فبات بها فلما أصبح ركب راحلته فجعل يهلل ويسبح فلما علا على البيداء لبى بهما جميعا فلما دخل مكة أمرهم ان يحلوا ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده سبع بدن قياما وضحى بالمدينة كبشين أملحين (فالجواب) انه لا تعارض بين الحديثين قال أبو محمد بن حزم مخرج حديث أنس على أحد وجوه ثلاثة (أحدها) انه صلى الله عليه وسلم لم ينحر بيده أكثر من سبع بدن كما قال أنس وانه أمر من ينحر ما بعد ذلك الى تمام ثلاث وستين ثم زال عن ذلك المكان وأمر عليا رضي الله عنه فنحر ما بقي (الثاني) ان يكون أنس لم يشاهد الا نحره صلى الله عليه وسلم سبعا فقط بيده وشاهد جابر تمام نحره صلى الله عليه وسلم للباقي فأخبر كل واحد منهما بما رأى وشاهد (الثالث) انه صلى الله عليه وسلم نحر بيده منفردا سبع بدن كما قال أنس ثم أخذ هو وعلي الحربة معا فنحرا كذلك تمام ثلاث وستين كما قال عروة بن الحرث الكندي انه شاهد النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قد أخذ بأعلى الحربة وأمر عليا فأخذ بأسفلها ونحرا بها البدن ثم انفرد علي بنحر الباقي من المائة كما قال جابر والله أعلم (فان قيل) فكيف تصنعون بالحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود عن علي قال لما نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه فنحر ثلاثين بيده وأمرني فنحرت سائرها (قلنا) هذا غلط انقلب على الراوي فان الذي نحر ثلاثين هو علي فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر سبعا بيده لم يشاهده علي ولا جابر ثم نحر ثلاثا وستين أخرى فبقي من المائة ثلاثين فنحرها علي فانقلب على الراوي عدد ما نحره علي بما نحره النبي صلى الله عليه وسلم * فان قيل فما تصنعون بحديث عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر وهو اليوم الثاني قال وقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس فطفقن يزدلفن اليه بأيتهن يبدأ فلما وجبت جنوبها فتكلم بكلمة خفية لم أفهمها فقلت ما قال قال من شاء اقتطع قيل نقبله ونصدقه فان المائة لم تقرب اليه جملة وانما كانت تقرب اليه أرسالا فقرب منهن اليه خمس بدنات رسلا وكان ذلك الرسل يبادرن ويتقربن اليه ليبدأ بكل واحدة منهن * فان قيل فما تصنعون بالحديث الذي في الصحيحين من حديث أبي بكرة في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بمنى وقال في آخره ثم انكفأ الى كبشين أملحين فذبحهما والى جذيعة من الغنم فقسمها بيننا لفظه لمسلم ففي هذا ان ذبح الكبشين كان بمكة وفي حديث أنس انه كان بالمدينة قيل في هذا طريقان للناس (أحدهما) ان القول قول أنس وانه ضحى بالمدينة بكبشين أملحين أقرنين وانه صلى العيد ثم انكفأ الى كبشين ففصل أنس وميز بين نحره بمكة للبدن وبين نحره بالمدينة للكبشين وبين انهما قصتان ويدل على هذا أن جميع من ذكر نحر النبي صلى الله عليه وسلم بمنى انما ذكروا أنه نحر الابل وهو الهدي الذي ساقه وهو أفضل من نحر الغنم هناك بلا سوق وجابر قد قال في صفة حجة الوداع أنه رجع من الرمي فنحر البدن وانما اشتبه على بعض الرواة أن قصة الكبشين كانت يوم عيد فظن أنه كان بمنى فوهم * الطريقة الثانية طريقة ابن حزم ومن سلك مسلكه انهما عملان متغايران وحديثان صحيحان فذكر أبو بكرة تضحيته بمكة وأنس تضحيته بالمدينة قال وذبح يوم النحر الغنم ونحر البقر والابل كما قالت عائشة ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

لا تشرك بالله شيأ ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيأ فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر * قال ابن اسحق فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم بعث رسول الله صلى

الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة * قال ابن اسحق فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم وذلك أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أبي أمامة عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك قال كنت قائد أبي كعب ابن مالك حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبي أمامة أسعد ابن زرارة قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع الاذان للجمعة الا صلى عليه واستغفر له قال فقلت في نفسي والله ان هذا بي لعجز ألا أسأله ماله اذا سمع الاذان بالجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة قال فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج فلما سمع الاذان بالجمعة صلى عليه واستغفر له قال فقلت له يا أبت مالك اذا سمعت الاذان بالجمعة صليت على أبي أمامة قال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في (١) هزم النبيت من حرة بني بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت وكم أنتم يومئذ قال أربعون رجلا * قال ابن اسحق وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الاشهل ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر * قال ابن اسحق واسم ظفر كعب بن

عن أزواجه بالبقر وهو في الصحيحين وفي صحيح مسلم ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة بقرة يوم النحر وفي السنن أنه نحر عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة ومذهبه أن الحاج شرع له التضحية مع الهدي والصحيح ان شاء الله الطريقة الاولى وهدي الحاج له بمنزلة الاضحية للمقيم ولم ينقل أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه جمعوا بين الهدي والاضحية بل كان هديهم هو أضاحيهم فهو هدي بمنى وأضحية بغيرها وأما قول عائشة ضحى عن نسائه بالبقر فهو هدي أطلق عليه اسم الاضحية وانهن كن متمتعات وعليهن الهدي فالبقر الذي نحره عنهن هو الهدي الذي يلزمهن ولكن في قصة نحر البقرة عنهن وهن تسع اشكال وهو اجزاء البقرة عن اكثر من سبعة وأجاب أبو محمد بن حزم عنه بجواب على أصله وهو أن عائشة لم تكن معهن في ذلك فانها كانت قارنة وهن متمتعات وعنده لا هدي على القارن وأيد قوله بالحديث الذي رواه مسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موافين لهلال ذي الحجة فكنت فيمن أهل بعمرة فخرجنا حتى قدمنا مكة فادركني يوم عرفة وأنا حائض لم أحل من عمرتي فشكوت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعي عمرتك وانقضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج قالت ففعلت فلما كانت ليلة الحصبة وقد قضى الله حجنا أرسل معي عبد الرحمن بن أبي بكر فاردفني وخرج الى التنعيم فأهللت بعمرة فقضى الله حجنا وعمرتنا ولم يكن في ذلك هدي ولا صدقة ولا صوم وهذا مسلك فاسد انفرد به عن الناس والذي عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم أن القارن يلزمه الهدي كما يلزم المتمتع بل هو متمتع حقيقة في لسان الصحابة كما تقدم وأما هذا الحديث فالصحيح أن هذا الكلام الاخير من قول هشام بن عروة جاء ذلك في صحيح مسلم مصرحا به فقال حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها فذكرت الحديث وفي آخره في ذلك أنه قضى الله حجها وعمرتها قال هشام ولم يكن في ذلك هدي ولا صيام ولا صدقة قال أبو محمد ان كان وكيع جعل هذا الكلام لهشام فابن نمير وعبدة أدخلاه في كلام عائشة وكل منهما ثقة فوكيع نسبه الى هشام لانه سمع هشاما يقوله وليس قول هشام اياه بدافع أن يكون عائشة قالته فقد يروي المرء حديثا باسناده ثم يفتي به دون أن يسنده فليس شيء من هذا بمتدافع وانما يتعلل بمثل هذا من لا ينصف ومن اتبع هواه والصحيح من ذلك أن كل ثقة فمصدق فيما نقل فاذا أضاف عبدة وابن نمير القول الى عائشة صدقا لعدالتهما واذا أضافه وكيع الى هشام صدق أيضا لعدالته وكل ذلك صحيح وتكون عائشة قالته وهشام قاله قلت هذه الطريقة هي اللائقة بظاهرية وظاهرية أمثاله ممن لا فقه له في علل الاحاديث كفقه الأئمة النقاد أطباء علله وأهل العناية بها وهؤلاء لا يلتفتون الى قول من خالفهم ممن ليس له ذوقهم ومعرفتهم بل يقطعون بخطائه بمنزلة الصيارف النقاد الذين يميزون بين الجيد والردىء ولا يلتفتون الى خطأ من لم يعرف ذلك ومن المعلوم أن عبدة وابن نمير لم يقولا في هذا الكلام قالت عائشة وانما أدرجاه في الحديث ادراجا يحتمل أن يكون من كلامها أو من كلام عروة أو من هشام فجاء وكيع ففصل وميز ومن فصل وميز فقد حفظ واتقن ما أطلقه غيره نعم لو قال ابن نمير وعبدة قالت عائشة وقال وكيع قال هشام لساغ ما قال أبو محمد وكان موضع نظر وترجيح وأما كونهن تسعا وهي بقرة واحدة فهذا قد جاء بثلاثة ألفاظ * أحدها انها بقرة واحدة بينهن * الثاني أنه ضحى عنهن يومئذ بالبقر * والثالث دخل علينا يوم النحر بلحم بقر فقلت ما هذا فقيل ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أزواجه وقد اختلف الناس في عدد من

(١) الهزم المنخفض من الارض

تجزئ عنهم البدنة والبقرة فقيل سبعة وهو قول الشافعي رحمه الله وأحمد في المشهور عنه وقيل عشرة وهو قول اسحق وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم بينهم المغانم فعدل الجزور بعشر شياه وثبت هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه وهن تسع ببقرة وقد روى سفيان عن أبي الزبير عن جابر أنهم نحروا البدنة في حجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرة وهو على شرط مسلم ولم يخرجه وانما أخرج قوله خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج معنا النساء والولدان فلما قدمنا مكة طفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الابل والبقر كل سبعة منا في بدنة وفي المسند من حديث ابن عباس كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فحضر الاضحى فاشتركنا في البقرة سبعة وفي الجزور عشرة رواه النسائي والترمذي وقال حسن غريب وفي الصحيحين عنه نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وقال حذيفة شرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته بين المسلمين في البقرة عن سبعة ذكره الامام أحمد رحمه الله وهذه الاحاديث تخرج على أحد وجوه ثلاثة اما أن يقال أحاديث السبعة أكثر وأصح واما أن يقال عدل البعير بعشرة من الغنم تقويم في الغنائم لاجل تعديل القسمة وأما كونه عن سبعة في الهدايا فهو تقدير شرعي واما أن يقال ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والابل ففي بعضها كان البعير يعدل عشر شياه فجعله عن عشرة وفي بعضها يعدل سبعة فجعله عن سبعة والله أعلم وقد قال أبو محمد انه ذبح عن نسائه بقرة للهدي وضحى عنهن ببقرة وضحى عن نفسه بكبشين ونحر عن نفسه ثلاثا وستين هديا وقد عرفت ما في ذلك من الوهم ولم تكن بقرة الضحية غير بقرة الهدي بل هي هي وهدي الحاج بمنزلة ضحية الآفاقي

(فصل ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم) بمنحره بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحر وان فجاج مكة طريق ومنحر وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من فجاج مكة أجزأه كما انه لما وقف بعرفة قال وقفت ههنا وعرفة كلها موقف ووقف بمزدلفة قال وقفت ههنا ومزدلفة كلها موقف وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبنى له بمنى بناء يظله من الحر فقال لا منى مناخ لمن سبق اليه وفي هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها وان من سبق الى مكان منها فهو أحق به حتى يرتحل عنه ولا يملكه بذلك

(فصل فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم) نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه فقال للحلاق وهو معمر بن عبد الله وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر أمكنك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة اذنه وفي يدك الموسى فقال معمر فقلت أما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعمة الله علي ومنه قال أجل ذكر ذلك الامام أحمد رحمه الله وقال البخاري في صحيحه وزعموا أن الذي حلق للنبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن حنظلة بن عوف انتهى فقال للحلاق خذ وأشار الى جانبه الايمن فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشار الى الحلاق فحلق جانبه الايسر ثم قال ههنا أبو طلحة فدفعه اليه هكذا وقع في صحيح مسلم وفي صحيح البخاري عن ابن سيرين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره وهذا لا يناقض رواية مسلم لجواز أن يصيب أبا طلحة من الشق الايمن مثل ما أصاب غيره ويختص بالشق الايسر لكن قد روى مسلم في صحيحه أيضا من حديث أنس قال لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحلاق شقه الايمن

الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قالا كلا بئر يقال لها بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبا لك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فانه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد ابن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به في اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته ثم انصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة قد خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم قد عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك قال فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال والله ما أراك أغنيت شيأ ثم خرج اليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد ان أسيدا انما أراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا

فحلقه ثم دعا أبا طلحة الانصاري فأعطاه اياه ثم ناوله الشق الايسر فقال احلق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس ففي هذه الرواية كما ترى أن نصيب أبي طلحة كان الشق الايمن وفي الاولى أنه كان الايسر قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي رواه مسلم من رواية حفص بن غياث وعبد الاعلى بن عبد الاعلى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى أبي طلحة شعر شقه الايسر ورواه من رواية سفيان بن عيينة عن هشام بن حسان أنه دفع الى أبي طلحة شعر شقه الايمن قال ورواية ابن عون عن ابن سيرين أراها تقوي رواية سفيان والله أعلم قلت يريد برواية ابن عون ما ذكرناه عن ابن سيرين من طريق البخاري وجعل الذي سبق اليه أبو طلحة هو الشق الذي اختص به والله أعلم والذي يقوي أن نصيب أبي طلحة الذي اختص به كان الشق الايسر وانه صلى الله عليه وسلم عم ثم خص وهذه كانت سنته في عطائه وعلى هذا أكثر الروايات فان في بعضها أنه قال للحلاق خذ وأشار الى جانبه الايمن فقسم شعره بين من يليه ثم أشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلقه فأعطاه أم سليم ولا يعارض هذا دفعه الى أبي طلحة فانها امرأته وفي لفظ آخر فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالايسر فصنع به مثل ذلك ثم قال ههنا أبو طلحة فدفعه اليه وفي لفظ ثالث دفع الى أبي طلحة شعر شق رأسه الايسر ثم قلم أظفاره وقسمها بين الناس ذكره الامام أحمد رحمه الله من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم أضاحي فلم يصبه شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في ثوبه فأعطاه فقسم منه على رجال وقلم أظفاره فأعطاه صاحبه قال فانه عندنا مخضوب بالحناء والكتم يعني شعره ودعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة وحلق كثير من الصحابة بل أكثرهم وقصر بعضهم وهذا مع قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين ومع قول عائشة رضي الله عنها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل أن يحرم ولاحلاله قبل أن يحل دليل على أن الحلق نسك وليس باطلاق من محظور

(فصل ثم أفاض صلى الله عليه وسلم) الى مكة قبل الظهر راكبا فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة وهو طواف الصدر ولم يطف غيره ولم يسع معه هذا هو الصواب وقد خالف في ذلك ثلاث طوائف طائفة زعمت أنه طاف طوافين طوافا للقدوم سوى طواف الافاضة ثم طاف للافاضة وطائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارنا وطائفة زعمت أنه لم يطف في ذلك اليوم وانما أخر طواف الزيارة الى الليل فنذكر الصواب في ذلك ونبين منشأ الغلط وبالله التوفيق قال الاثرم قلت لابي عبد الله فاذا رجع أعني المتمتع كم يطوف ويسعى قال يطوف ويسعى لحجه ويطوف طوافا آخر للزيارة عاودناه في هذا غير مرة فثبت عليه قال الشيخ في المغني وكذلك الحكم في القارن والمفرد اذا لم يكونا أتيا مكة قبل يوم النحر ولا طافا للقدوم فانهما يبدآن بطواف القدوم قبل طواف الزيارة نص عليه أحمد رحمه الله واحتج بما روت عائشة رضي الله عنها قالت فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فانما طافوا طوافا واحدا فحمل أحمد رحمه الله قول عائشة على أن طوافهم لحجهم هو طواف القدوم قال ولانه قد ثبت أن طواف القدوم مشروع فلم يكن طواف الزيارة مسقطا له كتحية المسجد عند دخوله قبل التلبس بالصلاة المفروضة وقال الخرقي في مختصره وان كان متمتعا فيطوف بالبيت سبعا كما فعل للعمرة ثم يعود

امه لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم لاشراقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فاقبل عامدا الى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالوا فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع أسعد ومصعب الى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الاوس بن حارثة وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت وهو صيفي وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق وقال فيما رأى من الاسلام وما اختلف الناس فيه من أمره

أرب الناس أشياء ألمت * يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس اما ان ضللنا * فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهدي ترسف مذعنات * مكشفة المناكب في الجلول

(قال ابن هشام) أنشدني قوله فلولا ربنا بنارة وله ولولا ربنا وقوله كشفتا المناكب في الجلول رجل من الانصار أو من خزاعة

(البيعة الثانية الكبيرة بالعقبة) * قال ابن اسحق ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله * قال ابن اسحق وحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب ابن القين أخو بني سلمة ان أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الانصار حدثه ان أباه كعبا حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا يا هؤلاء اني قد رأيت رأيا والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا قال قلنا وما ذاك قال قد رأيت ان لا أدع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة وان أصلي اليها قال فقلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي الا الى الشام وما نريد ان نخالفه قال فقال اني لمصل اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام وصلى الى الكعبة حتى قدمنا مكة قال وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا الى مكة قال لي يا ابن أخي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فانه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم اياي فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرفانه فقلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قال قلنا نعم قال وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد فاذا العباس رضي الله عنه جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال

في

فيطوف بالبيت طوافا ينوي به الزيارة وهو قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فمن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان متمتعا كالقاضي وأصحابه عندهم هكذا فعل والشيخ أبو محمد عنده انه كان متمتعا التمتع الخاص ولكن لم يفعل هذا قال ولا أعلم أحدا وافق أبا عبد الله على هذا الطواف الذي ذكره الخرقي بل المشروع طواف واحد للزيارة كمن دخل المسجد وقد أقيمت الصلاة فانه يكتفي بها عن تحية المسجد ولانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه الذين تمتعوا معه في حجة الوداع ولا أمر النبي صلى الله عليه وسلم به أحدا قال وحديث عائشة دليل على هذا فانها قالت طافوا طوافا واحدا بعد أن رجعوا من منى لحجهم وهذا هو طواف الزيارة ولم تذكر طوافا آخر ولو كان هذا الذي ذكرته طواف القدوم لكانت قد أخلت بذكر طواف الزيارة الذي هو ركن الحج الذي لا يتم الا به وذكرت ما يستغنى عنه وعلى كل حال فما ذكرت الا طوافا واحدا فمن أين يستدل به على طوافين وأيضا فانها لما حاضت وقرنت الحج الى العمرة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن طافت للقدوم لم تطف للقدوم ولا أمرها به النبي صلى الله عليه وسلم ولان طواف القدوم لو لم يسقط بالطواف الواجب شرع في حق المعتمر طواف القدوم مع طواف العمرة لانه أول قدومه الى البيت فهو به أولى من المتمتع الذي يعود الى البيت بعد رؤيته وطوافه به انتهى كلامه قلت لم يرفع كلام أبي محمد الاشكال وان كان الذي أنكره هو الحق كما أنكره والصواب في انكاره فان أحدا لم يقل ان الصحابة لما رجعوا من عرفة طافوا للقدوم وسعوا ثم طافوا للافاضة بعده ولا النبي صلى الله عليه وسلم هذا لم يقع قطعا ولكن كان منشأ الاشكال ان أم المؤمنين فرقت بين المتمتع والقارن فأخبرت ان القارنين طافوا بعد أن رجعوا من منى طوافا واحدا وان الذين أهلوا بالعمرة طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم وهذا غير طواف الزيارة قطعا فانه يشترك فيه القارن والمتمتع فلا فرق بينهما فيه ولكن الشيخ أبو محمد لما رأى قولها في المتمتعين انهم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى قال ليس في هذا ما يدل على انهم طافوا طوافين والذي قاله حق ولكن لم يرفع الاشكال فقالت طائفة هذه الزيادة من كلام عروة أو ابنه هشام أدرجت في الحديث وهذا لا يتبين ولو كان فغايته أنه مرسل ولم يرتفع الاشكال عنه بالارسال فالصواب أن الطواف الذي أخبرت به عائشة وفرقت به بين المتمتع والقارن هو الطواف بين الصفا والمروة لا الطواف بالبيت وزال الاشكال جملة فأخبرت عن القارنين انهم اكتفوا بطواف واحد بينهما لم يضيفوا اليه طوافا آخر يوم النحر وهذا هو الحق وأخبرت عن المتمتعين انهم طافوا بينهما طوافا آخر بعد الرجوع من منى للحج وذلك الاول كان للعمرة وهذا قول الجمهور وتنزيل الحديث على هذا موافق لحديثها الآخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم يسعك طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة لحجك وعمرتك وكانت قارنة ويوافق قول الجمهور ولكن يشكل عليه حديث جابر الذي رواه مسلم في صحيحه لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا طوافه الاول هذا يوافق قول من يقول يكفي المتمتع سعي واحد كما هو احدى الروايتين عن أحمد رحمه الله نص عليها في رواية ابنه عبد الله وغيره وعلى هذا فيقال عائشة أثبتت وجابر نفى والمثبت مقدم على النافي أو يقال مراد جابر من قرن مع النبي صلى الله عليه وسلم وساق الهدي كأبي بكر وعمر وطلحة وعلي رضي الله عنهم وذوي اليسار فانهم انما سعوا سعيا واحدا وليس المراد به عموم الصحابة أو يعلل حديث عائشة بأن تلك الزيادة فيه مدرجة من قول هشام وهذه ثلاث طرق للناس

في حديثها والله أعلم وأما من قال المتمتع يطوف ويسعى للقدوم بعد احرامه بالحج قبل خروجه الى منى وهو قول أصحاب الشافعي رضي الله عنه ولا أدري منصوص عنه أم لا قال أبو محمد فهذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة البتة ولا أمرهم به ولا نقله أحد قال ابن عباس لا أرى لاهل مكة أن يطوفوا ولا أن يسعوا بين الصفا والمروة بعد احرامهم بالحج حتى يرجعوا من منى وعلى قول ابن عباس قول الجمهور ومالك وأحمد وأبي حنيفة واسحق رحمهم الله وغيرهم والذين استحبوه قالوا لما أحرم بالحج صار كالقادم فيطوف ويسعى للقدوم قالوا ولان الطواف الاول وقع عن العمرة فيبقى طواف القدوم ولم يأت به فاستحب له فعله عقيب الاحرام بالحج وهاتان الحجتان واهيتان فانه انما كان قارنا لما طاف للعمرة فكان طوافه للعمرة مغنيا عن طواف القدوم كمن دخل المسجد فرأى الصلاة قائمة فدخل فيها فقامت مقام تحية المسجد وأغنته عنها وأيضا فان الصحابة لما أحرموا بالحج مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يطوفوا عقيبه وكان أكثرهم متمتعا وروى الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله انه ان أحرم يوم التروية قبل الزوال طاف وسعى للقدوم وان أحرم بعد الزوال لم يطف وفرق بين الوقتين بانه بعد الزوال يخرج من فوره الى منى فلا يشتغل عن الخروج بغيره وقبل الزوال لا يخرج فيطوف وقول ابن عباس والجمهور هو الصحيح الموافق لعمل الصحابة وبالله التوفيق

(فصل والطائفة الثانية) قالت انه صلى الله عليه وسلم سعى مع هذا الطواف وقالوا هذا حجة في أن القارن يحتاج الى سعيين كما يحتاج الى طوافين وهذا غلط عليه كما تقدم والصواب انه لم يسع الا سعيه الاول كما قالته عائشة وجابر ولم يصح عنه في السعيين حرف واحد بل كلها باطلة كما تقدم فعليك بمراجعته

(فصل والطائفة الثالثة) الذين قالوا أخر طواف الزيارة الى الليل وهم طاوس ومجاهد وعروة ففي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي الزبير المكي عن عائشة وجابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر طوافه يوم النحر الى الليل وفي لفظ طواف الزيارة قال الترمذي حديث حسن وهذا الحديث غلط بين خلاف المعلوم من فعله صلى الله عليه وسلم الذي لا يشك فيه أهل العلم بحجته صلى الله عليه وسلم فنحن نذكر كلام الناس فيه قال الترمذي في كتاب العلل له سألت محمد بن اسمعيل البخاري عن هذا الحديث وقلت له أسمع أبو الزبير من عائشة وابن عباس قال أما من ابن عباس فنعم وفي سماعه من عائشة نظر وقال أبو الحسن القطان عندي ان هذا الحديث ليس بصحيح انما طاف النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ نهارا وانما اختلفوا هل هو صلى الظهر بمكة أو رجع الى منى فصلى الظهر بها بعد ان فرغ من طوافه فابن عمر يقول انه رجع الى منى فصلى الظهر بها وجابر يقول انه صلى الظهر بمكة وهو ظاهر حديث عائشة من غير رواية أبي الزبير هذه التي فيها انه أخر الطواف الى الليل وهذا شيء لم يرو الا من هذا الطريق وأبو الزبير مدلس لم يذكر ههنا سماعا من عائشة وقد عهد انه يروي عنها بواسطة ولا عن ابن عباس أيضا فقد عهد كذلك يروي عنه بواسطة وان كان قد سمع منه فيجب التوقف فيما يرويه أبو الزبير عن عائشة وابن عباس مما لا يذكر فيه سماعه منهما لما عرف به من التدليس ولم يعرف سماعه منهما لغير هذا فأما ولم يصح انه سمع من عائشة فالامر بين في وجوب التوقف فيه وانما يختلف العلماء في قبول حديث المدلس اذا كان عمن قد علم لقاؤه له وسماعه منه ههنا يقول قوم يقبل ويقول آخرون يرد ما يعنعنه عنهم حتى يتبين الاتصال

رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يا نبي الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للاسلام فرأيت ان لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت اليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها قال فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا الى الشام قال وأهله يزعمون انه صلى الى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم (قال ابن هشام) وقال عون بن أيوب الانصاري

ومنا المصلي أول الناس مقبلا
على كعبة الرحمن بين المشاعر

يعني البراء بن معرور وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق حدثني معبد بن كعب ان أخاه عبد الله بن كعب حدثه ان أباه كعب بن مالك حدثه قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ايانا العقبة قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بني مازن ابن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي احدى نساء بني سلمة وهي أم منيع قال فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول

[illegible] العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب ان يحضر أمر ابن أخيه و يتوثق له فلما
جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج
خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه

ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه و بلده قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا و بين الرجال حبالا وانا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم (قال ابن هشام) (١) و يقال الهدم الهدم أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس

(أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة)

في حديث حديث وأما ما يعنعنه المدلس عمن لم يعلم لقاؤه له ولا سماعه منه فلا أعلم الخلاف فيه بانه يقبل ولو كنا نقول بقول مسلم بان معنعن المتعاصرين محمول على الاتصال ولو لم يعلم التقاؤهما فانما ذلك في غير المدلسين وأيضا فلما قدمناه من صحة طواف النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ نهارا والخلاف في رد حديث المدلسين حتى يعلم اتصاله أو قبوله حتى يعلم انقطاعه انما هو اذا لم يعارضه ما لا شك في صحته وهذا قد عارضه ما لا شك في صحته انتهى كلامه ويدل على غلط أبي الزبير على عائشة ان أبا سلمة بن عبد الرحمن روى عن عائشة انها قالت حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضنا يوم النحر وروى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لاصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظهيرة وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلا وهذا غلط أيضا قال البيهقي وأصح هذه الروايات حديث نافع عن ابن عمر وحديث جابر وحديث أبي سلمة عن عائشة يعني انه طاف نهارا (قلت) انما نشأ الغلط من تسمية الطواف فان النبي صلى الله عليه وسلم أخر طواف الوداع الى الليل كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت الحديث الى ان قالت فنزلنا المحصب فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال اخرج باختك من الحرم ثم افرغا من طوافكما ثم ائتياني ههنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفرغنا من طوافنا في جوف الليل فأتيناه بالمحصب فقال فرغتما فقلنا نعم فاذن في الناس بالرحيل فمر بالبيت فطاف به ثم ارتحل متوجها الى المدينة فهذا هو الطواف الذي أخره الى الليل بلا ريب فغلط فيه أبو الزبير أو من حدثه به وقال طواف الزيارة والله الموفق ولم يرمل صلى الله عليه وسلم في هذا الطواف ولا في طواف الوداع وانما رمل في طواف القدوم

(فصل ثم أتى زمزم بعد ان قضى طوافه) وهم يسقون فقال لولا أن يغلبكم الناس لنزلت فسقيت معكم ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم فقيل هذا نسخ لنهيه عن الشرب قائما وقيل بل بيان منه لان النهي على وجه الاختيار وترك الاولى وقيل بل للحاجة وهذا أظهر وهل كان في طوافه هذا راكبا أو ماشيا فروى مسلم في صحيحه عن جابر قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت في حجة الوداع على راحلته يستلم الركن بمحجنه لان يراه الناس وليشرف وليسألوه فان الناس غشوه وفي الصحيحين عن ابن عباس قال طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن وهذا الطواف ليس بطواف الوداع فانه كان ليلا وليس بطواف القدوم لوجهين * أحدهما انه قد صح عنه الرمل في طواف القدوم ولم يقل أحد قط رملت به راحلته وانما قالوا رمل نفسه * والثاني قول عمرو بن الشريد أفضت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مست قدماه الارض حتى أتى جمعا وهذا ظاهره انه من حين أفاض معه ما مست قدماه الارض الى ان رجع ولا ينتقض هذا بركعتي الطواف فان شأنهما معلوم * قلت والظاهر ان عمرو بن الشريد انما أراد الافاضة معه من عرفة ولهذا قال حتى أتى جمعا وهي مزدلفة ولم يرد الافاضة الى البيت يوم النحر ولا ينتقض هذا بنزوله عند الشعب حين بال ثم ركب لانه ليس بنزول مستقر وانما مست قدماه الارض مسا عارضا والله أعلم

(فصل ثم رجع الى منى) واختلف أين صلى الظهر يومئذ ففي الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى وفي صحيح مسلم عن جابر انه صلى الله عليه وسلم

صلى

(١) قوله و يقال الهدم الهدم يعني بفتح الهاء والدال فيهما بخلاف ما قبل فانه بفتح الهاء وسكون الدال

(قال ابن هشام) من الخزرج فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي * أبو امامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج * وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج * وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس ابن عمرو بن امرئ القيس ابن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج * ورافع بن مالك بن العجلان ابن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج * والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد ابن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد ابن جشم بن الخزرج * وعبد الله ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج (قال ابن هشام) هو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة ابن كعب بن الخزرج * والمنذر ابن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج (قال ابن هشام) ويقال ابن خنبش (ومن الاوس) اسيد بن حضير بن سماك بن عتيك ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد ابن عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * وسعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس * ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس (قال ابن هشام) وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة * وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما

صلى الظهر بمكة وكذلك قالت عائشة واختلف في ترجيح أحد هذين القولين على الآخر فقال أبو محمد بن حزم قول عائشة وجابر أولى وتبعه على هذا جماعة ورجحوا هذا القول بوجوه * أحدها انه رواية اثنين وهما أولى من الواحد * الثاني ان عائشة أخص الناس به صلى الله عليه وسلم ولها من القرب والاختصاص والمزية ما ليس لغيرها * الثالث ان سياق جابر لحجة النبي صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها أتم سياق وقد حفظ القصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى ضبط منها أمرا لا يتعلق بالمناسك وهو نزول النبي صلى الله عليه وسلم ليلة جمع في الطريق فقضى حاجته عند الشعب ثم توضأ وضوأ خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو بضبط مكان صلاته يوم النحر أولى * الرابع أن حجة الوداع كانت في أذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنا عظيمة وقسمها وطبخ له من لحمها وأكل منه ورمى الجمرة وحلق رأسه وتطيب ثم أفاض فطاف وشرب من ماء زمزم ومن نبيذ السقاية ووقف عليهم وهم يسقون وهذه أعمال تبدو في الاظهر انها لا تنقضي في مقدار يمكن معه الرجوع الى منى بحيث يدرك وقت الظهر في فصل اذار * الخامس ان هذين الحديثين جاريان مجرى الناقل والمبقي فان عادته صلى الله عليه وسلم كانت في حجته الصلاة في منزله الذي هو نازل فيه بالمسلمين فجرى ابن عمر على العادة وضبط جابر وعائشة رضي الله عنهما الامر الذي هو خارج عن عادته فهو أولى بان يكون هو المحفوظ * ورجحت طائفة أخرى قول ابن عمر لوجوه * أحدها انه لو صلى الظهر بمكة لم تصل الصحابة بمنى وحدانا وزرافات بل لم يكن لهم بد من الصلاة خلف امام يكون نائبا عنه ولم ينقل هذا أحد قط ولا يقول أحد انه استناب من يصلي بهم ولولا علمه انه يرجع اليهم فيصلي بهم لقال ان حضرت الصلاة ولست عندكم فليصل بكم فلان وحيث لم يقع هذا ولا هذا ولا صلى الصحابة هناك وحدانا قطعا ولا كان من عادتهم اذا اجتمعوا أن يصلوا عزين علم انهم صلوا معه على عادتهم * الثاني انه لو صلى بمكة لكان خلفه بعض أهل البلد وهم مقيمون وكان يأمرهم ان يتموا صلاتهم ولم ينقل انهم قاموا فأتموا بعد سلامه صلاتهم وحيث لم ينقل هذا ولا هذا بل هو معلوم الانتفاء قطعا علم انه لم يصل حينئذ بمكة وما ينقله بعض من لا علم عنده انه قال يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر فانما قاله عام الفتح لا في حجته * الثالث انه من المعلوم انه لما طاف ركع ركعتي الطواف ومعلوم أن كثيرا من المسلمين كانوا خلفه يقتدون به في أفعاله ومناسكه فلعله لما ركع ركعتي الطواف والناس خلفه يقتدون به ظن الظان انها صلاة الظهر ولا سيما اذا كان ذلك في وقت الظهر وهذا الوهم لا يمكن رفع احتماله بخلاف صلاته بمنى فانها لا تحتمل غير الفرض * الرابع انه لا يحفظ عنه في حجته انه صلى الفرض بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه كان يصلي بهم أين نزلوا لا يصلي في مكان آخر غير المنزل العام * الخامس أن حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر أصح منه وكذلك هو في اسناده فان رواته احفظ وأشهر وأتقن فاين يقع حاتم بن اسمعيل من عبيد الله وأين يقع حفظ جعفر من حفظ نافع * السادس أن حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها على ثلاثة أوجه * أحدها انه طاف نهارا * الثاني انه أخر الطواف الى الليل * الثالث انه أفاض من آخر يومه فلم يضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة بخلاف حديث ابن عمر * السابع أن حديث ابن عمر أصح منه بلا نزاع فان حديث عائشة من رواية محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم عن

أبيه عنها وابن اسحق مختلف فيه فى الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فكيف يقدم على قول عبيد الله حدثنى نافع عن ابن عمر * الثامن أن حديث عائشة ليس بالبين انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة فان لفظه هكذا أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم دفع الى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق حتى يرمى الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات فاين دلالة هذا الحديث الصريحة على انه صلى الظهر يومئذ بمكة وأين هذا فى صريح الدلالة الى قول ابن عمر أفاض يوم النحر ثم صلى الظهر بمنى يعنى راجعا وأين حديث اتفق أصحاب الصحيح على اخراجه الى حديث اختلف فى الاحتجاج به والله أعلم

(فصل قال ابن حزم) وطافت أم سلمة فى ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهى شاكية استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم فاذن لها واحتج عليه بما رواه مسلم فى صحيحه من حديث زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت شكوت الى النبى صلى الله عليه وسلم انى أشتكى فقال طوفى من وراء الناس وأنت راكبة قالت فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلى الى جانب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور ولا يتبين ان هذا الطواف طواف الافاضة لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقرأ فى ركعتى ذلك الطواف بالطور ولا جهر بالقراءة بالنهار بحيث سمعته أم سلمة من وراء الناس وقد بين أبو محمد غلط من قال انه أخره الى الليل فأصاب فى ذلك وقد صح من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكيف يلتئم هذا مع طوافها يوم النحر وراء الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جانب البيت يصلى ويقرأ فى صلاته والطور وكتاب مسطور وهذا من المحال فان هذه الصلاة والقراءة كانت فى صلاة الفجر أو المغرب أو العشاء وأما انها كانت يوم النحر ولم يكن ذلك الوقت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قطعا فهذا من وهمه رحمه الله فطافت عائشة فى ذلك اليوم طوافا واحدا وسعت سعيا واحدا أجزأها عن حجها وعمرتها وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع ولم تودع فاستقرت سنته صلى الله عليه وسلم فى المرأة الطاهرة اذا حاضت قبل الطواف أن تقرن وتكتفى بطواف واحد وسعى واحد وان حاضت بعد طواف الافاضة اجتزأت به عن طواف الوداع

(فصل ثم رجع صلى الله عليه وسلم) الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة الاولى التى تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم تقدم على الجمرة امامها حتى أسهل فقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم انحدر ذات اليسار مما يلى الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الاول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى واستعرض الجمرة فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ولا جعلها عن يمينه واستقبل البيت وقت الرمى كما ذكره غير واحد من الفقهاء فلما أكمل الرمى رجع من فوره ولم يقف عندها فقيل لضيق المكان بالجبل وقيل وهو أصح ان دعاءه كان فى نفس العبادة قبل الفراغ منها فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمى والدعاء فى صلب العبادة قبل الفراغ

أنشدنى أبو زيد الانصارى أبلغ أبيا أنه فال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقع أبى الله ما منتك نفسك انه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع وأبلغ أبا سفيان ان قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع فلا ترغبن فى حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع ودونك فاعلم ان نقض عهودنا أباه عليك الرهط حين تبايعوا أباه البراء وابن عمرو كلاهما *

واسعد يأباه عليك ورافع

وسعد أباه الساعدى ومنذر

لأنفك ان حاولت ذلك جادع

وما ابن ربيع ان تناولت عهده

بمسلمه لا يطمعن ثم طامع

وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة

واخفاره من دونه السم ناقع

وفاء به والقوقلى ابن صامت

بمندوحة عما تحاول يافع

أبو هيثم أيضا وفى بمثلها

وفاء بما أعطى من العهد خانع

وما ابن حضير ان أردت بمطمع

فهل أنت عن احموقة الغى نازع

وسعد أخو عمرو بن عوف فانه

(١) ضروح لما حاولت ملا ٔمر مانع

أولاك نجوم لا يغبك منهم

عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المسلمين قالوا نعم * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى أخو بنى سالم بن عوف يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزى الدنيا منها والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا

(١) ضروح الضروح شديد الدفع وقوله ملأمر أى من الامر

منها أفضل منه بعد الفراغ منها وهذه لما كانت سنته فى دعائه فى الصلاة كان يدعو فى صلبها فاما بعد الفراغ منها فلم يثبت عنه انه كان يعتاد الدعاء ومن روى عنه ذلك فقد غلط عليه وان روى فى غير الصحيح انه كان احيانا يدعو بدعاء عارض بعد السلام وفى صحته نظر وبالجملة فلا ريب ان عامة أدعيته التى كان يدعو بها وعلمها الصديق انما هى فى صلب الصلاة وأما حديث معاذ بن جبل لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فدبر الصلاة يراد به آخرها قبل السلام منها كدبر الحيوان ويراد به ما بعد السلام كقوله تسبحوا الله دبر كل صلاة الحديث والله أعلم

(فصل) ولم يزل فى نفسى هل كان يرمى قبل صلاة الظهر او بعدها والذى يغلب على الظن أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى لان جابرا وغيره قالوا كان يرمى اذا زالت الشمس فعقبوا زوال الشمس برميه وأيضا فان وقت الزوال للرمى أيام منى كطلوع الشمس لرمى يوم النحر والنبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر لما دخل وقت الرمى لم يقدم عليه شيئا من عبادات ذلك اليوم وأيضا فان الترمذى وابن ماجه رويا فى سننهما عن ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمار اذا زالت الشمس زاد ابن ماجه قدر ما اذا فرغ من رميه صلى الظهر وقال الترمذى حديث حسن ولكن فى اسناد حديث الترمذى الحجاج بن أرطاة وفى اسناد حديث ابن ماجه ابراهيم بن عثمان بن شيبة ولا يحتج به ولكن ليس فى الباب غير هذا وذكر الامام أحمد أنه كان يرمى يوم النحر راكبا وأيام منى ماشيا فى ذهابه ورجوعه

(فصل فقد تضمنت حجته صلى الله عليه وسلم) ست وقفات للدعاء * الموقف الاول على الصفا * والثانى على المروة * والثالث بعرفة * والرابع بمزدلفة * والخامس عند الجمرة الاولى * والسادس عند الجمرة الثانية

(فصل وخطب صلى الله عليه وسلم) الناس بمنى خطبتين خطبة يوم النحر وقد تقدمت والخطبة الثانية فى أوسط أيام التشريق فقيل هو ثانى يوم النحر وهو أوسطها أى خيارها واحتج من قال ذلك بحديث سراء بنت نبهان قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتدرون أى يوم هذا قالت وهو اليوم الذى تدعون يوم الرؤس قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا وسط أيام التشريق هل تدرون أى بلد هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا المشعر الحرام ثم قال انى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد هذا ألا وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت فلما قدمنا المدينة لم يلبث الا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود ويوم الرؤس هو ثانى يوم النحر بالاتفاق وذكر البيهقى من حديث موسى بن عبيدة الربذى عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسط أيام التشريق وعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصوى فرحلت واجتمع الناس فقال يا أيها الناس ثم ذكر الحديث فى خطبته

(فصل) واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذن له واستأذنه رعاء الابل فى البيتوتة خارج منى عند الابل فارخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمى يومين بعد يوم النحر يرمونه فى أحدهما قال مالك ظننت أنه قال فى أول يوم منهما ثم يرمون يوم النفر

تأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فاما عاصم بن عمر بن قتادة فقال والله ما قال ذلك العباس الا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم وأما عبد الله بن أبى بكر فقال ما قال ذلك العباس الا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى ابن سلول فيكون أقوى لامر القوم فالله أعلم أى ذلك كان (قال ابن هشام) سلول امرأة من خزاعة وهى أم أبى بن مالك بن الحرث بن عبيد بن مالك ابن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق فبنو النجار يزعمون ان أبا امامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الاشهل يقولون بل أبو الهيثم ابن التيهان * قال ابن اسحق قال الزهرى حدثنى معبد بن كعب ابن مالك فحدثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم بايع بعد القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط يا أهل الجباجب والجباجب المنازل هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة هذا (١) ابن أزيب (قال ابن هشام) ويقال ابن أزيب اسمع أى عدو الله أما والله لافرغن لك قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والله الذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا باسيافنا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين

(١) قوله ابن أزيب أى بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح الياء وقوله ويقال ابن أزيب يعنى بضم الهمزة وفتح الزاى وسكون الياء كما ضبط كذلك فى بعض النسخ

وقال ابن عيينة فى هذا الحديث رخص للرعاء أن يرموا يوما ويدعوا يوما فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى وأما لرمى فانهم لا يتركونه بل لهم أن يؤخروه الى الليل فيرمون فيه ولهم أن يجمعوا رمى يومين فى يوم واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد رخص لاهل السقاية وللرعاء فى البيتوتة فمن له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه أو كان مريضا لا تمكنه البيتوتة سقطت عنه بتنبيه النص على هؤلاء والله أعلم

(فصل ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم) فى يومين بل تأخر حتى أكمل رمى أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب وهو الابطح وهو خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبته هنالك وكان على ثقله توفيقا من الله عز وجل دون أن يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ولم يرمل فى هذا الطواف وأخبرته صفية انها حائض فقال أحابستنا هى فقالوا له انها قد أفاضت قال فلتنفر اذا ورغبت اليه عائشة تلك الليلة أن يعمرها عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفا والمروة قد أجزأ عن حجها وعمرتها فأبت الا أن تعتمر عمرة مفردة فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصب مع أخيها فأتيا فى جوف الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغتما قالت نعم فنادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح هذا لفظ البخارى

*فان قيل كيف تجمعون بين هذا وبين حديث الاسود عنها الذى فى الصحيح أيضا قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نر الا الحج فذكرت الحديث وفيه فلما كانت ليلة الحصبة قالت يارسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وارجع أنا بحجة قال أوما كنت طفت ليالى قدمنا مكة قالت قلت لا قال فاذهبى مع أخيك الى التنعيم فاهلى بعمرة ثم موعدك مكان كذا وكذا قالت عائشة فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة عليها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها ففى هذا الحديث أنهما تلاقيا فى الطريق وفى الاول أنه انتظرها فى منزله فلما جاءت نادى بالرحيل فى أصحابه ثم فيه اشكال آخر وهو قولها لقينى وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة عليها أو بالعكس فان كان الاول فيكون قد لقيها مصعدا منها راجعا الى المدينة وهى منهبطة عليها للعمرة وهذا ينافى انتظاره لها بالمحصب قال أبو محمد بن حزم الصواب الذى لاشك فيه انها كانت مصعدة من مكة وهو منهبط لانها تقدمت الى العمرة وانتظرها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت ثم نهض الى طواف الوداع فلقيها منصرفة الى المحصب عن مكة وهذا لا يصح فانها قالت وهو منهبط منها وهذا يقتضى أن يكون بعد المحصب والخروج من مكة فكيف يقول أبو محمد انه نهض الى طواف الوداع وهو منهبط من مكة هذا محال وأبو محمد لم يحج وحديث القاسم عنها صريح كما تقدم فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرها فى منزله بعد النفر حتى جاءت فارتحل وأذن للناس بالرحيل فاذا كان حديث الاسود هذا محفوظا فصوابه لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مصعدة من مكة وهو منهبط اليها فانها طافت وقضت عمرتها ثم أصعدت لميعاده فوافته وهو قد أخذ فى الهبوط الى مكة للوداع فارتحل وأذن فى الناس بالرحيل ولا وجه لحديث الاسود غير هذا وقد جمع بينهما بجمعين آخرين وهما وهم *أحدهما أنه طاف للوداع مرتين مرة بعد أن بعثها وقبل فراغها ومرة بعد فراغها للوداع وهذا مع أنه وهم بين فانه لا يرفع الاشكال بل يزيده فتأمله *الثانى أنها انتقل من المحصب الى ظهر العقبة خوف

الانفار وتبايعوه على حربنا وانه والله ما من حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه قال وقد صدقوا لم يعلموه قال وبعضنا ينظر الى بعض قال ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان قال فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ياأباجا
اما تستطيع ان تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الى فقال والله لتنتعلنهما قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا والله لا أردهما فأل والله صالح والله لئن صدق الفأل لاسلبنه * قال ابن اسحق وحدثنى عبدالله بن أبى بكر انهم أتوا عبدالله بن أبى ابن سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول فقال لهم ان هذا الامر جسيم ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا وما علمته كان قال فانصرفوا عنه قال ونفر الناس من منى (١) فتنطس القوم الخبر ووجدوه قد كان وخرجوا فى طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيبا فاما المنذر فاعجز القوم وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير قال سعد فوالله انى لفى أيديهم اذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلو من الرجال (قال ابن هشام) الشعشاع الطويل الحسن قال رؤبة * يمطوه من شعشاع غير مودن * يعنى عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أى ناقص اليد يمطوه من السير
شعشاع حلو من الرجال قال قلت فى نفسى ان يك عند أحد من القوم خير فعند هذا قال فلما دنا منى رفع يده فلكمنى المشدة
لكمة شديدة قال قلت فى نفسى لا والله ما عندهم بعد هذا من خير قال فوالله انى لفى أيديهم يسحبوننى اذ أوى لى رجل ممن كان معهم فقال

(١) قوله تنطس أى تجسس

المشقة على المسلمين في التحصيب فلقيته وهي منهبطة لى مكة وهو مصعد الى العقبة وهذا أقبح من الاول لانه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من العقبة أصلا وانما خرج من أسفل مكة من الثنية السفلى بالاتفاق وأيضا فعلى تقدير ذلك لا يحصل الجمع بين الحديثين وذكر أبو محمد بن حزم أنه رجع بعد خروجه من أسفل مكة الى المحصب وأمر بالرحيل وهذا وهم أيضا لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وداعه الى المحصب وانما سار من فوره الى المدينة وذكر في بعض تآليفه أنه فعل ذلك ليكون كالمحلق بمكة بدائرة في دخوله وخروجه فانه بات بذي طوى ثم دخل من أعلى مكة ثم خرج من أسفلها ثم رجع الى المحصب ويكون هذا الرجوع من يماني مكة حتى تحصل الدائرة لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء نزل بذي طوى ثم أتى على مكة من كدا ثم نزل به لما فرغ من الطواف ثم لما فرغ من جميع النسك نزل به ثم خرج من أسفل مكة وأخذ من يمينها حتى أتى المحصب ويحمل أمره بالرحيل ثانيا على انه لقي في رجوعه ذلك الى المحصب قوما لم يرحلوا فأمرهم بالرحيل وتوجه من فوره ذلك الى المدينة ولقد شان نفسه وكتابه بهذا الهذيان البارد السمج الذي يضحك منه ولولا التنبيه على اغلاط من غلط عليه صلى الله عليه وسلم لرغبنا عن ذكر مثل هذا الكلام والذي كانك تراه من فعله أنه نزل بالمحصب وصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم نهض الى مكة وطاف بها طواف الوداع ليلا ثم خرج من أسفلها الى المدينة ولم يرجع الى المحصب ولا دار دائرة ففي صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت وطاف به وفي الصحيحين عن عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت الحديث قالت حين قضى الله الحج ونفرنا من منى فنزلنا بالمحصب فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له اخرج باختك من الحرم ثم افرغا من طوافكما ثم ائتياني ههنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفرغنا من طوافنا في جوف الليل فأتيناه بالمحصب فقال فرغتما قلنا نعم فاذن في الناس بالرحيل فمر بالبيت فطاف به ثم ارتحل متوجها الى المدينة فهذا من أصح حديث على وجه الارض وأدله على فساد ما ذكره ابن حزم وغيره من تلك التقديرات التي لم يقع شيء منها ودليل على أن حديث الاسود غير محفوظ وان كان محفوظا فلا وجه له غير ما ذكرنا وبالله التوفيق * وقد اختلف السلف في التحصيب هل هو سنة أو منزل اتفاق على قولين فقالت طائفة هو من سنن الحج فان في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين أراد أن ينفر من منى نحن نازلون غدا ان شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك أن قريشا وبني كنانة تقاسموا على بني هاشم وبني المطلب ان لا يناكحوهم ولا يكون بينهم شيء حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصد النبي صلى الله عليه وسلم اظهار شعائر الاسلام في المكان الذي أظهروا فيه شعار الكفر والعداوة لله ورسوله وهذه كانت عادته صلاة الله وسلامه عليه أن يقيم شعار التوحيد في مواضع شعائر الكفر والشرك كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجد الطائف موضع اللات والعزى قالوا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا ينزلونه وفي رواية لمسلم عنه أنه كان يرى التحصيب سنة وقال البخاري عنه كان يصلي به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويهجع ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وذهب آخرون منهم ابن عباس وعائشة الى أنه ليس بسنة وانما هو منزل اتفاق ففي الصحيحين عن ابن عباس ليس المحصب بشيء وانما هو منزل نزل به رسول الله

ويحك اما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجاره وامنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما ان رجلا من الخزرج الآن يضرب بالابطح ليهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوارا قالا ومن هو قال سعد بن عبادة قالا صدق والله ان كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده قال فجاا فخلصا سعدا من أيديهم فانطلق وكان الذي لكم سعدا سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي (قال ابن هشام) وكان الرجل الذي أوى له أبا البختري بن هشام * قال ابن اسحق وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر

تداركت سعدا عنوة فأخذته * وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته طلت هناك جراحه * وكانت حريا أن يهان ويهدرا

(قال ابن هشام) ويروى وكان حقيقا أن يهان ويهدرا * قال ابن اسحق فاجابه حسان بن ثابت فيهما فقال

لست الى سعد ولا المرء منذر * اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلولا أبو وهب لمرت قصائد * على شرف البرقاء يهوين حسرا

أتفخر بالكتان لما لبسته * وقد تلبس الانباط ريطا مقصرا

فلا تك كالوسنان يحلم أنه * بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل * عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا

ولا تك كالشاة التي كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

ولا تك كالعاوي فاقبل نحره * ولم يخشه سهما من النبل مضمرا

فانا ومن يهدي القصائد نحونا * كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا

فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات

صلى الله عليه وسلم ليكون أسمح لخروجه وفى صحيح مسلم عن أبى رافع لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل بمن معى بالابطح ولكن أنا ضربت قبته ثم جاء فنزل فأنزله الله فيه بتوفيقه تصديقا لقول رسوله نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة وتنفيذا لما عزم عليه وموافقة منه لرسوله صلوات الله وسلامه عليه

(فصل) وههنا ثلاث مسائل هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فى حجته أم لا وهل وقف فى الملتزم بعد الوداع أم لا وهل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا منها * فاما المسألة الاولى فزعم كثير من الفقهاء وغيرهم أنه دخل البيت فى حجته ويرى كثير من الناس أن دخول البيت من سنن الحج اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والذى تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت فى حجته ولا فى عمرته وانما دخله عام الفتح ففى الصحيحين عن ابن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقة لاسامة حتى أناخ بفناء الكعبة فدعا عثمان بن طلحة بالمفتاح فجاءه به ففتح فدخل النبى صلى الله عليه وسلم وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة فأجافوا عليهم الباب مليا ثم فتحوه قال عبد الله فبادرت الناس فوجدت بلالا على الباب فقلت أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين العمودين المقدمين قال ونسيت أن أسأله كم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى صحيح البخارى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة قال وأمر بها فاخرجت قال فاخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل فى أيديهما الازلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط قال فدخل البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل فيه فقيل كان ذلك دخولين صلى فى أحدهما ولم يصل فى الآخر وهذه طريقة ضعفاء النقد كلما رأوا اختلاف لفظ جعلوه قصة أخرى كما جعلوا الاسراء مرارا لاختلاف ألفاظه وجعلوا اشتراءه من جابر بعيره مرارا لاختلاف ألفاظه وجعلوا طواف الوداع مرتين لاختلاف سياقه ونظائر ذلك وأما الجهابذة النقاد فيرغبون عن هذه الطريقة ولا يجبنون عن تغليط من ليس معصوما من الغلط ونسبته الى الوهم قال البخارى وغيره من الائمة والقول قول بلال لانه مثبت شاهد صلاته بخلاف ابن عباس والمقصود ان دخوله انما كان فى غزاة الفتح لا فى حجة ولا عمرة وفى صحيح البخارى عن اسمعيل بن أبى خالد قال قلت لعبد الله بن أبى أوفى أدخل النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرته البيت قال لا وقالت عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قرير العين طيب النفس ثم رجع الى وهو حزين القلب فقلت يا رسول الله خرجت من عندى وأنت كذا وكذا فقال انى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت انى أخاف أن أكون قد أتعبت أمتى من بعدى فهذا ليس فيه أنه كان فى حجته بل اذا تأملته حق التأمل أطلعك التأمل على انه كان فى غزاة الفتح والله أعلم وسألته عائشة أن تدخل البيت فأمرها أن تصلى فى الحجر ركعتين

(فصل) وأما المسئلة الثانية وهى وقوفه فى الملتزم فالذى روى عنه أنه فعله يوم الفتح ففى سنن أبى داود عن عبد الرحمن بن أبى صفوان قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة انطلقت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا الركن من الباب الى الحطيم ووضعوا خدودهم على البيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم وروى أبو داود أيضا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال طفت مع عبد الله فلما حاذى دبر الكعبة قلت

بنى سلمة وشرفهم أشرافهم وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه الها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بنى سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو فى فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فاخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فاسلم يرحمه الله وحسن اسلامه فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى انقذه مما كان فيه من العمى والضلالة فقال

والله لو كنت الها لم تكن
أنت وكلب وسط بئر فى قرن
أف لملقاك الها مستدن
الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن
* الواهب الرزاق ديان الدين * هو الذى أنقذنى من قبل أن * أكون فى ظلمة قبر مرتهن * بأحمد المهدى النبى المرتهن * ألا

* قال ابن اسحق وكان بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله فى القتال شروطا سوى شرطه عليهم فى العقبة الاولى كانت الاولى على بيعة النساء وذلك ان الله تعالى لم يكن اذن لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الآخرة

على حرب الاحمر والاسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة * قال ابن اسحق فحدثني عبادة بن الوليد
ابن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب وكان
عبادة من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الاولى على بيعة النساء على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا
ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم * قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الاوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين (شهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر ثم من بني عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس) أسيد ابن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل نقيب لم يشهد بدرا ، وأبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك شهد بدرا * وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الاشهل شهد بدرا ثلاثة نفر (قال ابن هشام) ويقال ابن زعوراء بفتح العين * قال ابن اسحق ومن بني حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة * وأبو بردة بن دينار واسمه هانئ بن دينار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم ابن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة حليف لهم شهد بدرا * ونهير بن الهيثم من بني نابي ابن مجدعة بن حارثة ثلاثة نفر (ومن بني عمرو بن عوف بن مالك
بن الاوس) سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن
النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس نقيب شهد بدرا فقتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهيدا (قال ابن هشام) ونسبه ابن اسحق في بني عمرو بن عوف (قال ابن هشام) وهو من بني غنم بن السلم لانه ربما كانت دعوة الرجل في

ألا تتعوذ قال نعوذ بالله من النار ثم مضى حتى استلم الحجر فقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فهذا يحتمل أن يكون في وقت الوداع وأن يكون في غيره ولكن قال مجاهد والشافعي رحمه الله بعده وغيرهما أنه يستحب أن يقف في الملتزم بعد طواف الوداع ويدعو وكان ابن عباس رضي الله عنهما يلتزم ما بين الركن والباب وكان يقول لا يلتزم ما بينهما أحد يسأل الله تعالى شيئا الا أعطاه اياه والله أعلم

(فصل) وأما المسألة الثالثة وهي موضع صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح صبيحة ليلة الوداع ففي الصحيحين عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اشتكي فقال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة قالت فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي الى جنب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور فهذا يحتمل أن يكون في الفجر وفي غيرها وأن يكون في طواف الوداع وغيره فنظرنا في ذلك فاذا البخاري قد روى في صحيحه في هذه القصة أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت بالبيت وأرادت الخروج فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون ففعلت ذلك ولم تصل حتى خرجت وهذا محال قطعا أن يكون يوم النحر فهو طواف الوداع بلا ريب فظهر أنه صلى الصبح يومئذ عند البيت وسمعته أم سلمة يقرأ فيها بالطور

(فصل) ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما كان بالروحاء لقي ركبا فسلم عليهم وقال من القوم فقالوا المسلمون فمن القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت امرأة صبيا لها من محفة فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر فلما أتى ذا الحليفة بات بها فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس وخرج من طريق الشجرة والله أعلم

(فصل في الاوهام فيها) وهم لابي محمد بن حزم في حجة الوداع حيث قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وقت خروجه أن عمرة في رمضان تعدل حجة وهذا وهم ظاهر فانه انما قال ذلك بعد رجوعه الى المدينة من حجته قال لام سنان الانصارية ما منعك أن تكوني حججت معنا قالت لم يكن لنا الا ناضحان فحج أبو ولدي وابني على ناضح وترك لنا ناضحا ننضح عليه قال فاذا جاء رمضان فاعتمري فان عمرة في رمضان تقضي حجة هكذا رواه مسلم في صحيحه وكذلك أيضا قال هذا لام معقل بعد رجوعه الى المدينة كما رواه أبو داود من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام عن جدته أم معقل قالت لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان لنا جمل فجعله أبو معقل في سبيل الله وأصابنا مرض فهلك أبو معقل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ جئته فقال ما منعك أن تخرجي معنا فقالت لقد تهيأنا فهلك أبو معقل وكان لنا جمل وهو الذي نحج عليه فأوصى به أبو معقل في سبيل الله قال فهلا خرجت عليه فان الحج من سبيل الله فاذا فاتتك هذه الحجة معنا فاعتمري في رمضان فانها كحجة

(فصل) ومنها وهم آخر له وهو أن خروجه كان يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة وقد تقدم انه خرج لخمس وان خروجه كان يوم السبت

(فصل) ومنها وهم آخر لبعضهم ذكر الطبري في حجة الوداع انه خرج يوم الجمعة بعد الصلاة والذي حمله على هذا الوهم القبيح قوله في الحديث خرج لست بقين فظن أن هذا لا يمكن الا أن يكون الخروج يوم الجمعة اذ تمام الست يوم لاربعاء وأول ذي الحجة كان يوم الخميس بلا ريب وهذا خطأ فاحش فانه من المعلوم الذي لا ريب فيه انه صلى الظهر يوم خروجه بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ثبت ذلك في الصحيحين وحكى الطبري في حجته قولا ثالثا ان خروجه كان يوم السبت وهو اختيار الواقدي وهو القول الذي رجحناه أولا لكن الواقدي وهم في ذلك ثلاثة أوهام * أحدها انه زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم خروجه الظهر بذي الحليفة ركعتين * الوهم الثاني انه أحرم ذلك اليوم عقيب صلاة الظهر وانما أحرم من الغد بعد ان بات بذي الحليفة * الوهم الثالث ان الوقفة كانت يوم السبت وهذا لم يقله غيره وهو وهم بين

(فصل) ومنها وهم القاضي عياض رحمه الله وغيره انه صلى الله عليه وسلم تطيب هنالك قبل غسله ثم غسل الطيب عنه لما اغتسل ومنشأ هذا الوهم من سياق ما وقع في صحيح مسلم في حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاف على نسائه بعد ذلك ثم اغتسل ثم أصبح محرما والذي يرد هذا الوهم قولها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه وقولها كاني أنظر الى وبيص الطيب أي بريقه في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وفي لفظ وهو يلبي بعد ثلاث من احرامه وفي لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يحرم تطيب باطيب ما يجد ثم أرى وبيص الطيب في رأسه ولحيته بعد ذلك وكل هذه الالفاظ ألفاظ الصحيح وأما الحديث الذي احتج به فانه حديث ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عنها كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما وهذا ليس فيه ما يمنع الطيب الثاني عند احرامه

(فصل ومنها وهم آخر لابي محمد بن حزم) انه صلى الله عليه وسلم أحرم قبل الظهر وهو وهم ظاهر لم ينقل في شئ من الاحاديث وانما أهل عقيب صلاة الظهر في موضع مصلاه ثم ركب ناقته واستوت به على البيداء وهو يهل وهذا يقينا كان بعد صلاة الظهر والله أعلم

(فصل ومنها وهم آخر له) وهو قوله وساق الهدي مع نفسه وكان هدي تطوع وهذا بناء منه على أصله الذي انفرد به عن الأئمة ان القارن لا يلزمه هدي وانما يلزم المتمتع وقد تقدم بطلان هذا القول

(فصل ومنها وهم آخر) لمن قال انه لم يعين في احرامه نسكا بل أطلقه ووهم من قال انه عين عمرة مفردة كان متمتعا بها كما قاله القاضي أبو يعلى وصاحب المغني وغيرهما ووهم من قال انه عين افرادا مجردا لم يعتمر معه ووهم من قال انه عين عمرة ثم أدخل عليها الحج ووهم من قال انه عين حجا مفردا ثم أدخل عليه العمرة بعد ذلك وكان من خصائصه وقد تقدم بيان مستند ذلك ووجه الصواب فيه والله أعلم

(فصل) ومنها وهم لاحمد بن عبد الله الطبري في حجة الوداع له انهم لما كانوا ببعض الطريق صاد أبو قتادة حمارا وحشيا ولم يكن محرما فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا انما كان في عمرة الحديبية كما رواه البخاري

(فصل ومنها وهم آخر) لبعضهم حكاه الطبري عنه صلى الله عليه وسلم من انه دخل مكة يوم

...يوم أو يكون فيهم فيشب اليهم * قال ابن اسحق ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو نقيب شهد بدرا * وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ويقال أمية بن البرك (١) فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ومعن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة حليف لهم من بلي شهد بدرا واحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وعويم بن ساعدة شهد بدرا واحدا والخندق خمسة نفر فجميع من شهد العقبة من الاوس أحد عشر رجلا (وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر ثم من بني النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج) أبو أيوب وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مات بأرض الروم غازيا في زمن معاوية بن أبي سفيان * ومعاذ ابن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها وهو ابن العفراء * وأخوه عوف بن الحرث شهد بدرا وقتل به شهيدا وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء ويقال رفاعة بن الحرث بن سواد فيما قال ابن هشام * وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى وهو أبو أمامة ستة نفر (ومن بني عمرو بن مبذول) ومبذول عامر بن مالك بن النجار * سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو

(١) قوله البرك ضبط في النسخ الاول بضم الباء وفتح الراء والثاني بفتح الباء وسكون الراء

الثلاثاء وهو غلط وانما دخلها يوم الاحد صبح رابعة من ذي الحجة

(فصل) ومنها وهم من قال انه صلى الله عليه وسلم حل بعد طوافه وسعيه كما قال القاضي وأصحابه وقد بينا ان مستند هذا الوهم وهم معاوية أو من روى عنه انه قصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص على المروة في حجته

(فصل ومنها وهم من زعم انه صلى الله عليه وسلم) كان يقبل الركن اليماني في طوافه وانما ذلك الحجر الاسود وسماه اليماني لانه يطلق عليه وعلى الآخر اليمانيين فعبر بعض الرواة عنه باليماني منفردا

(فصل ومنها وهم فاحش لابي محمد بن حزم) انه رمل في السعي ثلاثة أشواط ومشى أربعة وأعجب من هذا الوهم وهمه في حكاية الاتفاق على هذا القول الذي لم يقله أحد سواه

(فصل ومنها وهم من زعم) انه طاف بين الصفا والمروة أربعة عشر شوطا وكان ذهابه وسعيه مرة واحدة وقد تقدم بيان بطلانه

(فصل ومنها وهم من زعم) انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم النحر قبل الوقت ومستند هذا الوهم حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الفجر يوم النحر قبل ميقاتها وهذا انما أراد به قبل ميقاتها الذي كانت عادته ان يصليها فيه فعجلها عليه يومئذ ولا بد من هذا التأويل وحديث ابن مسعود انما يدل على هذا فانه في صحيح البخاري عنه انه قال انهما صلاتان تحولان عن وقتهما صلاة المغرب بعد ما يأتي الناس المزدلفة والفجر حين يبزغ الفجر وقال في حديث جابر في حجة الوداع فصلى الصبح حين تبين له الصبح باذان واقامة

(فصل) ومنها وهم في انه صلى الظهر والعصر يوم عرفة والمغرب والعشاء تلك الليلة باذانين واقامتين ووهم من قال صلاهما باقامتين بلا أذان أصلا ووهم من قال جمع بينهما باقامة واحدة والصحيح انه صلاهما باذان واحد واقامة لكل صلاة

(فصل ومنها وهم من زعم) انه خطب بعرفة خطبتين جلس بينهما ثم أذن المؤذن فلما فرغ أخذ في الخطبة الثانية فلما فرغ منها أقام الصلاة وهذا لم يجئ في شئ من الاحاديث البتة وحديث جابر صريح في انه لما أكمل خطبته أذن بلال وأقام الصلاة فصلى الظهر بعد الخطبة

(فصل) ومنها وهم لابي ثور أنه لما صعد أذن المؤذن فلما فرغ قام فخطب وهذا وهم ظاهر فان الاذان انما كان بعد الخطبة

(فصل ومنها) وهم من روى انه قدم أم سلمة ليلة النحر وأمرها ان توافيه صلاة الصبح بمكة وقد تقدم بيانه

(فصل ومنها وهم من زعم) انه أخر طواف الزيارة يوم النحر الى الليل وقد تقدم بيان ذلك وان الذي أخره الى الليل انما هو طواف الوداع ومستند هذا الوهم والله أعلم ان عائشة قالت أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه كذلك قال عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عنها فحمل عنه على المعنى وقيل أخر طواف الزيارة الى الليل

(فصل) ومنها وهم من وهم وقال انه أفاض مرتين مرة بالنهار ومرة مع نسائه بالليل ومستند هذا الوهم ما رواه عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه

شهد بدرا (ومن بني عمرو بن مالك بن النجار) وهم بنو حديلة (قال ابن هشام) حديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج * أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك شهد بدرا * وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك شهد بدرا رجلان (ومن بني مازن بن النجار) قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم ابن مازن شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ * وعمرو بن غزية ابن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن رجلان فجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد عشر رجلا (قال ابن هشام) عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء هذا الذي ذكره ابن اسحق انما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء * قال ابن اسحق ومن بلحرث بن الخزرج سعد بن الربيع ابن عمرو بن أبي زهير بن مالك ابن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحرث شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعبد الله بن رواحة ابن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها الا الفتح وما بعده وقتل يوم مؤتة شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وبشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث أبو النعمان بن بشير شهد بدرا * وعبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وهو الذي أري النداء للصلاة فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به * وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث شهد

وسلم أذن لاصحابه فزار والبيت يوم النحر ظهيرة وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلا وهذا غلط والصحيح عن عائشة خلاف هذا انه أفاض نهار الافاضة واحدة وهذه طريقة وخيمة جدا سلكها ضعاف أهل العلم المتمسكون باذياله والله أعلم

(فصل ومنها وهم من زعم) انه طاف للقدوم يوم النحر ثم طاف بعده للزيارة وقد تقدم مستند ذلك وبطلانه

(فصل ومنها وهم من زعم) انه سعى يومئذ مع هذا الطواف واحتج بذلك على أن القارن يحتاج الى سعيين وقد تقدم بطلان ذلك عنه وانه لم يسع الا سعيا واحدا كما قالت عائشة وجابر رضى الله عنهما

(فصل ومنها على القول الراجح) وهم من قال انه صلى الظهر يوم النحر بمكة والصحيح انه صلاها بمنى كما تقدم

(فصل) ومنها وهم من زعم انه لم يسرع في وادي محسر حين أفاض من جمع الى منى وان ذلك انما هو فعل الاعراب ومستند هذا الوهم قول ابن عباس انما كان بدو الايضاع من أهل البادية كانوا يقفون حافتي الناس حتى قد علقوا القصاب والعصي فاذا أفاضوا تقعقعوا فنفرت الناس ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذفرى ناقته ليمس حاركها وهو يقول يا أيها الناس عليكم السكينة وفي رواية ان البر ليس بايجاف الخيل والابل فعليكم بالسكينة فما رأيتها رافعة يديها حتى أتى منى رواه أبو داود ولذلك أنكره طاوس والشعبي قال الشعبي حدثني أسامة بن زيد انه أفاض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة فلم ترفع راحلته رجلها عادية حتى بلغ جمعا قال وحدثني الفضل ابن عباس انه كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع فلم ترفع راحلته رجلها عادية حتى رمى الجمرة وقال عطاء انما أحدث هؤلاء الاسراع يريدون ان يفوتوا الغبار ومنشأ هذا الوهم اشتباه الايضاع وقت الدفع من عرفة الذي يفعله الاعراب وجفاة الناس بالايضاع في وادي محسر فان الايضاع هناك بدعة لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نهى عنه والايضاع في وادي محسر سنة نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما والعباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه وفعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان ابن الزبير يوضع أشد الايضاع وفعلته عائشة وغيرهم من الصحابة والقول في هذا قول من أثبت لا قول من نفى والله أعلم

(فصل) ومنها وهم طاوس وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى الى البيت وقال البخاري في صحيحه ويذكر عن أبي حسان عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام منى ورواه ابن عرعرة دفع الينا معاذ بن هشام كتابا قال سمعته من أبي ولم يقرأه قال وكان فيه عن أبي حسان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة ما دام بمنى قال وما رأيت أحدا واطأه عليه انتهى ورواه الثوري في جامعه عن ابن طاوس عن أبيه مرسلا وهو وهم فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع الى مكة بعد ان طاف للافاضة ورجع الى منى الى حين الوداع والله أعلم

(فصل) ومنها انه ودع مرتين ووهم من قال انه جعل مكة دائرة في دخوله وخروجه فبات بذي طوى ثم دخل من أعلاها ثم خرج من أسفلها ثم رجع الى المحصب عن يمين مكة فكملت الدائرة

(فصل) ومنها وهم من زعم انه انتقل من المحصب الى ظهر العقبة فهذه كلها من الاوهام نبهنا

بدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيدا طرحت عليه رحا من أطم من آطامها فشدخته شدخا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون ان له لاجر شهيدين * وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن يسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحرث وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنا مات في أيام معاوية لم يشهد بدرا سبعة نفر (ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج) زياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة شهد بدرا * وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة شهد بدرا (قال ابن هشام) ويقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة شهد بدرا ثلاثة نفر (ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج) رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق نقيب * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق وكان خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه بمكة فهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فكان يقال له مهاجري انصاري شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق شهد بدرا * والحرث بن قيس بن خالد بن مخلدة بن عامر بن زريق وهو أبو خالد شهد بدرا أربعة نفر (ومن بني سلمة بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم ابن الخزرج ثم من بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي ابن غنم نقيب وهو الذي تزعم بنو سلمة انه كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له واشترط عليه ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وابنه بشر بن البراء بن معرور شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة التي سم فيها وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأل بني سلمة من سيدكم يا بني سلمة فقالوا الجد بن قيس على بخله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي داء

عليها مفصلا ومجملا وبالله التوفيق

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في الهدايا والضحايا والعقيقة وهي مختصة بالأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام ولم يعرف عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة هدي ولا أضحية ولا عقيقة من غيرها وهذا مأخوذ من القرآن من مجموع أربع آيات * إحداها قوله تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام * والثانية قوله تعالى ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام * والثالثة قوله تعالى ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج ثم ذكرها * الرابعة قوله تعالى هديا بالغ الكعبة فدل على أن الذي يبلغ الكعبة من الهدي هو هذه الأزواج الثمانية وهذا استنباط علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذبائح التي هي قربة الى الله وعبادة هي ثلاثة الهدي والأضحية والعقيقة فأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم وأهدى الإبل وأهدى عن نسائه البقر وأهدى في مقامه وفي عمرته وفي حجته وكانت سنته تقليد الغنم دون إشعارها وكان اذا بعث بهديه وهو مقيم لم يحرم عليه شيء كان منه حلالا وكان اذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها فيشق صفحة سنامها الأيمن يسيرا حتى يسيل الدم قال الشافعي رضي الله عنه والإشعار في الصفحة اليمنى كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا بعث بهديه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم رسوله اذا أشرف على عطب شيء منه أن ينحره ثم يصبغ نعله في دمه ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه هو ولا أحد من أهل رفقته ثم يقسم لحمه ومنعه من هذا الأكل سدا للذريعة فانه لعله ربما قصر في حفظه ليشارف العطب فينحره ويأكل منه فاذا علم أنه لم يأكل منه شيئا اجتهد في حفظه وشرك بين أصحابه في الهدي كما تقدم البدنة عن سبعة والبقرة كذلك وأباح لسائق الهدي ركوبه بالمعروف اذا احتاج اليه حتى يجد ظهرا غيره وقال علي رضي الله عنه يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها وكان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياما مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمي الله عند نحره ويكبر وكان يذبح نسكه بيده وربما وكل في بعضه كما أمر عليا رضي الله عنه أن يذبح ما بقي من المائة وكان اذا ذبح الغنم وضع قدمه على صفاحها ثم سمى وكبر ونحر وقد تقدم أنه نحر بمنى وقال إن فجاج مكة كلها منحر وقال ابن عباس مناحر البدن بمكة ولكنها نزهت عن الدماء ومنى من مكة وكان ابن عباس ينحر بمكة وأباح صلى الله عليه وسلم لأمته أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتزودوا منها ونهاهم مرة أن يدخروا منها بعد ثلاث لدافة دفت عليهم ذلك العام من الناس فأحب أن يوسعوا عليهم وذكر أبو داود من حديث جبير بن نفير عن ثوبان قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ثوبان أصلح لنا لحم هذه الشاة فما زلت أطعمه منها حتى قدم المدينة وروى مسلم هذه القصة ولفظه فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع أصلح هذا اللحم قال فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة وكان ربما قسم لحوم الهدي وربما قال من شاء اقتطع فعل هذا وفعل هذا واستدل بهذا على جواز النهبة في النثار في العرس ونحوه وفرق بينهما بما لا يتبين

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) ذبح هدي العمرة عند المروة وهدي القران بمنى وكذلك كان ابن عمر يفعل ولم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط الا بعد أن حل ولم ينحره قبل يوم النحر ولا أحد من الصحابة البتة ولم ينحره أيضا الا بعد طلوع الشمس وبعد الرمي فهي أربعة أمور

أكبر من البخل سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور * وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا * والطفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا وقتل يوم الخندق شهيدا * ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان ابن عبيد شهد بدرا * ويزيد بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرا * ومسعود بن يزيد بن سبيع ابن خنساء بن سنان بن عبيد * والضحاك بن حارثة بن زيد ابن ثعلبة بن عبيد شهد بدرا * ويزيد بن خذام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء ابن سنان بن عبيد شهد بدرا (قال ابن هشام) (١) ويقال جبار ابن صخر بن أمية بن خناس * قال ابن اسحق والطفيل بن مالك ابن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا احد عشر رجلا (ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بني كعب بن سواد) كعب ابن مالك بن أبي كعب بن القين ابن كعب رجل (ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة) سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو ابن غنم شهد بدرا * وقطبة بن عامر بن حديدة بن غنم بن عمرو شهد بدرا * ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم وهو أبو المنذر شهد بدرا وأبو اليسر واسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وصيفي بن سواد ابن عباد بن عمرو بن غنم خمسة نفر (قال ابن هشام) صيفي بن اسود ابن عباد بن عمرو بن سواد وليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي شهد بدرا وقتل بالخندق شهيدا * وعمرو بن غنمة بن عدي بن نابي وعبس بن عامر بن عدي بن نابي شهد بدرا * وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة * وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي خمسة نفر * قال ابن اسحق ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة * عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام نقيب شهد بدرا وقتل

(١) قوله ويقال جبار أي بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة وضبط الأول بضم الجيم وتخفيف الموحدة في بعض النسخ

...شهيدا وابنه جابر بن عبد الله * ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام شهد بدرا * وثابت بن الجذع والجذع ثعلبة بن زيد ابن الحرث بن حرام شهد بدرا وقتل بالطائف شهيدا * وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا (قال ابن هشام) عمير ابن الحرث بن لبدة بن ثعلبة * قال ابن اسحق وخديج بن سلامة بن اوس بن عمرو بن الفرافر حليف لهم من بلي * ومعاذ بن جبل بن عمرو بن اوس ابن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو ابن أدي بن سعد بن علي بن اسد ويقال اسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج وكان في بني سلمة شهد بدرا والمشاهد كلها ومات بعمواس عام الطاعون بالشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانما ادعته بنو سلمة انه كان اخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة لامه سبعة نفر (قال ابن هشام) اوس بن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن ادي بن سعد * قال ابن اسحق ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج * عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها (قال ابن هشام) وهو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد ابن غنم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له مهاجري انصاري وقتل يوم أحد شهيدا * وأبو عبد الرحمن ابن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة حليف لهم من بني غصينة من بلي * وعمرو بن الحرث بن لبدة بن عمرو و بن ثعلبة أربعة نفر وهم القواقل (ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج) على وهم بنو الحبلى (قال ابن هشام) الحبلى سالم بن غنم بن عوف وانما سمي الحبلى لعظم بطنه * رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن سالم بن غنم شهد بدرا وهو أبو الوليد (قال ابن هشام) ويقال رفاعة بن مالك ومالك أبو الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن

مرتبة يوم النحر * أولها الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وهكذا رتبها صلى الله عليه وسلم ولم يرخص في النحر قبل طلوع الشمس البتة ولا ريب ان ذلك مخالف لهديه فحكمه حكم الاضحية اذا ذبحت قبل طلوع الشمس

(فصل وأما هديه في الاضاحي) فانه كان صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع الاضحية وكان يضحي بكبشين وكان ينحرهما بعد صلاة العيد وأخبر أن من ذبح قبل الصلاة فليس من النسك في شيء وانما هو لحم قدمه لاهله هذا الذي دلت عليه سنته وهديه لا الاعتبار بوقت الصلاة والخطبة بل بنفس فعلها وهذا هو الذي ندين الله به وأمرهم أن يذبحوا الجذع من الضان والثني مما سواه وهي المسنة وروي عنه أنه قال كل أيام التشريق ذبح لكن الحديث منقطع لا يثبت وصله وأما نهيه عن ادخار لحوم الاضاحي فوق ثلاث فلا يدل على ان ايام الذبح ثلاثة فقط لان الحديث دليل على نهي الذابح أن يدخر شيئا فوق ثلاثة أيام من يوم ذبحه فلو أخر الذبح الى اليوم الثالث لجاز له الادخار وقت النهي ما بينه و بين ثلاثة أيام والذين حددوه بالثلاث فهموا من نهيه عن الادخار فوق ثلاث ان أولها من يوم النحر قالوا وغير جائز أن يكون الذبح مشروعا في وقت يحرم فيه الاكل قالوا ثم نسخ تحريم الاكل وبقي وقت الذبح بحاله فيقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه الا عن الادخار فوق ثلاث لم ينه عن التضحية بعد ثلاث فاين أحدهما من الآخر ولا تلازم بين ما نهي عنه و بين اختصاص الذبح بثلاث لوجهين * أحدهما أنه يسوغ الذبح في اليوم الثاني والثالث فيجوز له الادخار الى تمام الثلاث من يوم الذبح ولا يتم لكم الاستدلال حتى يثبت النهي عن الذبح بعد يوم النحر ولا سبيل لكم الى هذا * الثاني أنه لو ذبح في آخر جزء من يوم النحر لساغ له حينئذ الادخار ثلاثة أيام بعده بمقتضى الحديث وقد قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أيام النحر يوم الاضحى وثلاثة أيام بعده وهو مذهب امام أهل البصرة الحسن وامام أهل مكة عطاء بن أبي رباح وامام أهل الشام الاوزاعي وامام فقهاء أهل الحديث الشافعي رحمه الله واختاره ابن المنذر ولان الثلاثة تختص بكونها أيام منى وأيام الرمي وأيام التشريق ويحرم صيامها فهي أخوة في هذه الاحكام فكيف تفترق في جواز الذبح بغير نص ولا اجماع وروي من وجهين مختلفين يشد أحدهما الآخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل منى منحر وكل أيام التشريق ذبح وروي من حديث جبير بن مطعم وفيه انقطاع ومن حديث أسامة بن زيد عن عطاء عن جابر قال يعقوب بن سفيان أسامة بن زيد عند أهل المدينة ثقة مامون وفي هذه المسألة أربعة أقوال هذا أحدها * والثاني أن وقت الذبح يوم النحر و يومان بعدها وهذا مذهب أحمد ومالك وأبي حنيفة رحمهم الله قال أحمد هو قول غير واحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكره الاثرم عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم * الثالث أن وقت النحر يوم واحد وهو قول ابن سيرين لانه اختص بهذه التسمية فدل على اختصاص حكمها به ولو جاز في الثلاثة لقيل لها أيام النحر كما قيل لها أيام الرمي وأيام منى وأيام التشريق ولان العيد يضاف الى النحر وهو يوم واحد كما يقال عيد الفطر * الرابع قول سعيد بن جبير وجابر بن زيد أنه يوم واحد في الامصار وثلاثة أيام في منى لانها هناك أيام أعمال المناسك من الرمي والطواف والحلق فكانت أياما للذبح بخلاف أهل الامصار

(فصل ومن هديه صلى الله عليه وسلم) ان من أراد التضحية ودخل يوم العشر فلا يأخذ من شعره وبشره شيئا ثبت عنه النهي عن ذلك في صحيح مسلم وأما الدارقطني فقال الصحيح عندي أنه موقوف

جشم بن مالك بن سالم * قال ابن اسحق وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحرث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بهثة ابن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان حليف لهم شهد بدرا وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة الى مكة فكان يقال له مهاجري انصاري (قال ابن هشام) رجلان * قال ابن اسحق ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج * سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة نقيب * والمنذر بن عمرو ابن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن جشم ابن الخزرج بن ساعدة نقيب شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان يقال له أعنق ليموت رجلان * قال ابن اسحق فجميع من شهد العقبة من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم يزعمون انهما قد بايعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أقررن قال اذهبن فقد بايعتكن (من بني مازن بن النجار) نسيبة بنت كعب ابن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن وهي أم عمارة كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد ابن عاصم بن كعب وابناها حبيب ابن زيد وعبد الله بن زيد وابنها حبيب الذي أخذه مسيلمة الكذاب الحنفي صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم فيقول أفتشهد أني رسول الله فيقول لا أسمع وجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات في يده لا يزيده على ذلك اذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه واذا ذكر له مسيلمة قال لا أسمع فخرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة * قال ابن اسحق حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة (ومن بني سلمة) أم منيع واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة

على أم سلمة وكان من هديه صلى الله عليه وسلم اختيار الاضحية واستحسانها وسلامتها من العيوب ونهى أن يضحى بعضباء الاذن والقرن أي مقطوع الاذن ومكسور القرن النصف فما زاد ذكره أبو داود وأمر أن تستشرف العين والاذن أي ينظر الى سلامتها وان لا يضحى بعوراء ولا مقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء والمقابلة التي قطع مقدم أذنها والمدابرة التي قطع مؤخر أذنها والشرقاء التي شقت أذنها والخرقاء التي خرقت أذنها ذكره أبو داود وذكر عنه أيضا أربع لا تجزي في الاضاحي العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين عرجها والكسيرة التي لا تنقي والعجفاء التي لا تنقي أي من هزالها لا مخ فيها وذكر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيعة والكسرى فالمصفرة التي يستأصل اذنها حتى يبدو صماخها والمستأصلة التي استؤصل قرنها من أصله والبخقاء التي يبخق عينها والمشيعة التي لا تتبع الغنم عجفا وضعفا والكسرى الكسيرة والله أعلم

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) أن يضحي بالمصلى ذكره أبو داود عن جابر أنه شهد معه الاضحى بالمصلى فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتى بكبش فذبحه بيده وقال بسم الله والله أكبر وهذا عني وعمن لم يضح من أمتي وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذبح وينحر بالمصلى وذكر أبو داود عنه أنه ذبح يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوأين فلما وجههما قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ثم ذبح وأمر الناس اذا ذبحوا أن يحسنوا الذبح واذا قتلوا أن يحسنوا القتل وقال ان الله كتب الاحسان على كل شئ وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ان الشاة تجزي عن الرجل وعن أهل بيته ولو كثر عددهم كما قال عطاء بن يسار سألت أبا أيوب الانصاري كيف كانت الضحايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان كان الرجل يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون قال الترمذي حديث حسن صحيح

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في العقيقة في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العقيقة فقال لا أحب العقوق كأنه كره الاسم ذكره عن زيد بن أسلم عن رجل من بني ضمرة عن أبيه قال ابن عبد البر وأحسن أسانيده ما ذكره عبد الرزاق أنبأنا داود بن قيس قال سمعت عمرو بن شعيب يحدث عن أبيه عن جده قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال لا أحب العقوق وكأنه كره الاسم قالوا يا رسول الله ينسك أحدنا عن ولده فقال من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة وصح عنه من حديث عائشة رضي الله عنها عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة وقال كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى قال الامام أحمد معناه أنه محبوس عن الشفاعة في أبويه والرهن في اللغة الحبس قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وظاهر الحديث انه رهينة في نفسه ممنوع محبوس عن خير يراد به ولا يلزم من ذلك أن يعاقب على ذلك في الآخرة وان حبس بترك أبويه العقيقة عما يناله من عق عنه أبواه وقد يفوت الولد خير بسبب تفريط الابوين وان لم يكن من كسبه كما أن عند الجماع اذا سمى أبوه لم يضر الشيطان ولده واذا ترك التسمية لم يحصل للولد هذا الحفظ وأيضا فان هذا انما يدل على انها لازمة لابد

بسم الله الرحمن الرحيم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحلل له الدماء انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم فهم من بين مفتون فى دينه ومن بين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فرارا منهم منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفى كل وجه فلما عتت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أنزلت فى اذنه له فى الحرب واحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم فيما بلغنى عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور أى انى انما أحللت لهم القتال لانهم ظلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس الا أن يعبدوا الله وأنهم اذا ظهروا اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ثم نزل الله تبارك وتعالى عليه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره * قال ابن اسحق فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب وتابعه هذا الحى من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

منه فشبه لزومها وعدم انفكاك المولود عنها بالرهن وقد يستدل بهذا من يرى وجوبها كالليث والحسن وأهل الظاهر والله أعلم فان قيل فكيف تصنعون فى رواية همام عن قتادة فى هذا الحديث ويدمى قال همام سئل قتادة عن قوله ويدمى كيف يصنع بالدم فقال اذا ذبحت العقيقة أخذت منها صوفة واستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى تسيل على رأسه مثل الخيط ثم يغسل رأسه بعد ويحلق قيل اختلف الناس فى ذلك فمن قائل هذا من رواية الحسن عن سمرة ولا يصح سماعه عنه ومن قائل سماع الحسن عن سمرة حديث العقيقة هذا صحيح صححه الترمذى وغيره وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن حبيب بن الشهيد قال قال لى محمد بن سيرين اذهب فسل الحسن ممن سمع حديث العقيقة فسأله فقال سمعته من سمرة ثم اختلف فى التدمية بعد هل هى صحيحة أو غلط على قولين فقال أبو داود فى سننه هى وهم من همام بن يحيى وقوله ويدمى انما هو ويسمى وقال غيره كان فى لسان همام لثغة فقال ويدمى وانما أراد أن يسمى وهذا لا يصح فان هماما وان كان وهم فى اللفظ ولم يقمه لسانه فقد حكى عن قتادة صفة التدمية وانه سئل عنها فاجاب بذلك وهذا لا تحتمله اللثغة بوجه فان كان لفظ التدمية هنا وهما فهو من قتادة أو من الحسن والذين أثبتوا لفظ التدمية قالوا انه من سنة العقيقة وهذا مروى عن الحسن وقتادة والذين منعوا التدمية كمالك رحمه الله والشافعى رحمه الله وأحمد رحمه الله واسحق رحمه الله قالوا ويدمى غلط وانما هو ويسمى قالوا وهذا كان من عمل الجاهلية فأبطله الاسلام بدليل ما رواه أبو داود عن بريدة بن الحصيب قال كنا فى الجاهلية اذا ولد لاحدنا غلام ذبح شاة ولطخ رأسه بدمها فلما جاء الله بالاسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران قالوا وهذا وان كان فى اسناده الحسين بن واقد ولا يحتج به فاذا انضاف الى قول النبى صلى الله عليه وسلم أميطوا عنه الاذى والدم أذى فكيف يأمرهم أن يلطخوه بالاذى قالوا ومعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين بكبش كبش ولم يدمهما ولا كان ذلك من هديه وهدى أصحابه قالوا وكيف يكون من سنته تنجيس رأس المولود وأين لهذا شاهد ونظير فى سنته وانما يليق هذا بأهل الجاهلية

(فصل) فان قيل عقوقه عن الحسن والحسين بكبش كبش يدل على ان هديه أن على الرأس رأسا وقد صحح عبد الحق من حديث ابن عباس وأنس أن النبى صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن بكبش وعن الحسين بكبش وكان مولد الحسن عام أحد والحسين فى العام القابل منه وروى الترمذى من حديث على رضى الله عنه قال عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن شاة وقال يا فاطمة احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة فوزناه وكان وزنه درهما أو بعض درهم وهذا وان لم يكن اسناده متصلا فحديث أنس وابن عباس يكفيان قالوا ولانه نسك فكان على الرأس مثله كالاضحية ودم التمتع فالجواب ان أحاديث الشاتين عن الذكر والشاة عن الانثى أولى أن يؤخذ بها لوجوه * أحدها كثرتها فان رواتها عائشة وعبد الله بن عمرو وأم كرز الكعبية وأسماء وروى أبو داود عن أم كرز قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة قال أبو داود وسمعت أحمد يقول مكافيتان مستويتان أو متقاربتان قلت هو مكافيتان بفتح الفاء ومكافيتان بكسرها والمحدثون يختارون الفتح قال الزمخشرى لا فرق بين الروايتين لان كل من كافأته فقد كافأك وروى أيضا عنها ترفعه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا الطير على مكناتها وسمعته يقول عن الغلام شاتان مكافيتان وعن الجارية شاة ولا يضركم أذكرانا كن أم اناثا

ومنها أيضاً ترفعه عن الغلام شاتان مثلان وعن الجارية شاة وقال الترمذي حديث حسن صحيح وقد تقدم حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في ذلك وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة قال الترمذي حديث حسن صحيح وروى اسمعيل بن عياش عن ثابت بن عجلان عن مجاهد عن أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم يعق عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة قال مهنا قلت لاحمد من أسماء فقال ينبغي أن تكون أسماء بنت أبي بكر وفي كتاب الخلال قال مهنا قلت لاحمد حدثنا خالد بن خداش قال حدثنا عبد الله بن وهب قال حدثنا عمرو بن الحرث أن أيوب بن موسى حدثه أن يزيد بن عبد الله المزني حدثه عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعق عن الغلام ولا يمس رأسه بدم وقال في الابل الفرع وفي الغنم الفرع فقال أحمد ما أطرفه ولا أعرف عبد الله بن يزيد المزني ولا هذا الحديث فقلت له أتنكره فقال لا أعرفه وقصة الحسن والحسين رضي الله عنهما حديث واحد * الثاني انها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديث الشاتين من قوله وقوله عام وفعله يحتمل الاختصاص * الثالث انها متضمنة لزيادة فكان الاخذ بها أولى * الرابع أن الفعل يدل على الجواز والقول على الاستحباب والاخذ بهما ممكن فلا وجه لتعطيل أحدهما * الخامس أن قصة الذبح عن الحسن والحسين كانت عام أحد والعام الذي بعده وأم كرز سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما روته عام الحديبية سنة ست بعد الذبح عن الحسن والحسين قاله النسائي في كتابه الكبير * السادس أن قصة الحسن والحسين يحتمل أن يراد بها بيان جنس المذبوح وانه من الكباش لا تخصيصه بالواحد كما قالت عائشة ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه بقرة وكن تسعا ومرادها الجنس لا التخصيص بالواحدة * السابع ان الله سبحانه فضل الذكر على الانثى كما قال وليس الذكر كالانثى ومقتضى هذا التفاضل ترجيحه عليها في الاحكام وقد جاءت الشريعة بهذا التفضيل في جعل الذكر كالانثيين في الشهادة والميراث والدية فكذلك ألحقت العقيقة بهذه الاحكام * الثامن أن العقيقة تشبه العتق عن المولود فانه رهين بعقيقته فالعقيقة تفكه وتعتقه وكان الاولى أن يعتق عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة كما أن عتق الانثيين يقوم مقام عتق الذكر كما في جامع الترمذي وغيره عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضوا منه وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوا منها وهذا حديث صحيح

(فصل) ذكر أبو داود في المراسيل عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين رضي الله عنهما أن ابعثوا الى بيت القابلة برجل وكلوا وأطعموا ولا تكسروا منها عظما

(فصل) وذكر ابن أيمن من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما جاءته النبوة وهذا الحديث قال أبو داود في مسائله سمعت أحمد حدثهم بحديث الهيثم بن جميل عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه فقال أحمد عبد الله ابن محرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه قال مهنا قال أحمد هذا منكر وضعف عبد الله بن المحرر

أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وقال ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم * أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم واسمه عبد الله هاجر الى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه اسلام من أسلم من الانصار خرج الى المدينة مهاجرا * قال ابن اسحق فحدثني أبي اسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بي بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبي سلمة قالوا لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا قالت فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة قالت ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا الحقي بزوجك ان شئت قالت ورد بنو عبد الاسد الي عند ذلك ابني قالت فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة قالت وما معي أحد من خلق الله قالت

قالت أبلغ بني لثبيت حتى أقدم على زوجي حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي الى أين يا ابنت أبي أمية قالت فقلت أريد زوجي بالمدينة قال أوما معك أحد قالت فقلت لا والله الا الله وبني هذا قال والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله

ماصحبت رجلا من العرب قط أرى انه كان أكرم منه كان اذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى اذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني فقال اركبي فاذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة بها نازلا فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعا الى مكة قال فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة * قال ابن اسحق ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر ابن ربيعة حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ابن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد ابن عويج بن عدي بن كعب * ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش وهو أبو أحمد وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد وكان شاعرا وكانت عنده الفرعة ابنة أبي سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ابن هاشم فغلقت دار بني جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام ابن المغيرة وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردم وهم مصعدون الى أعلى مكة فنظر اليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال

وكل دار وان طالت سلامتها * يوما ستدركها النكباء والحوب

(قال ابن هشام) وهذا

((فصل)) ذكر أبو داود عن أبي رافع قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أذن في اذن الحسن بن علي حين ولدته أمه فاطمة رضي الله عنها بالصلاة

((فصل في هديه صلى الله عليه وسلم)) في تسمية المولود وختانه قد تقدم قوله في حديث قتادة عن الحسن عن سمرة في العقيقة تذبح يوم سابعه ويسمى قال الميموني تذاكرنا لكم يسمى الصبي قال لنا أبو عبد الله يروى عن أنس أنه يسمى لثلاثة وأما سمرة فقال يسمى اليوم السابع فأما الختان فقال ابن عباس كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك قال الميموني سمعت أحمد يقول كان الحسن يكره أن يختن الصبي يوم سابعه وقال حنبل ان أبا عبد الله قال وان ختن يوم السابع فلا باس وانما كره الحسن لئلا يتشبه باليهود وليس في هذا شيء قال مكحول ختن ابراهيم ابنه اسحق لسبعة أيام وختن اسمعيل لثلاث عشر سنة ذكره الخلال قال شيخ الاسلام ابن تيمية فصار ختان اسحق سنة في ولده وختان اسمعيل سنة في ولده وقد تقدم الخلاف في ختان النبي صلى الله عليه وسلم متى كان ذلك

((فصل في هديه صلى الله عليه وسلم)) في الاسماء والكنى ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الاملاك لا مالك الا الله وثبت عنه انه قال أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وثبت عنه انه قال لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح فانك تقول أثم هو فلا يكون فيقول لا وثبت عنه انه غير اسم عاصية وقال أنت جميلة وكان اسم جويرية برة فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم جويرية وقالت زينب بنت أم سلمة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمى بهذا الاسم فقال لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم وغير اسم اصرم بزرعة وغير اسم أبي الحكم بأبي شريح وغير اسم حزن جد سعيد وجعله سهلا فأبى وقال السهل يوطأ ويمتهن قال أبو داود وغير النبي صلى الله عليه وسلم اسم العاصي وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وأرضا عفرة سماها خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بنو الرشدة وسمى بني مغوية بني الرشدة

((فصل)) في فقه هذا الباب لما كانت الاسماء قوالب للمعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب وان لا يكون معها بمنزلة الاجنبي المحض الذي لا تعلق له بها فان حكمة الحكيم تأبى ذلك والواقع يشهد بخلافه بل للاسماء تأثير في المسميات وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح والخفة والثقل واللطافة والكثافة كما قيل

وقل ان أبصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فكرت في لقبه

وكان صلى الله عليه وسلم يستحب الاسم الحسن وأمر اذا أبردوا اليه بريدا أن يكون حسن الاسم حسن الوجه وكان يأخذ المعاني من أسمائها في المنام واليقظة كما رأى انه وأصحابه في دار عقبة بن رافع فأتوا برطب من رطب ابن طاب فأوله بان لهم العاقبة في الدنيا والرفعة في الآخرة وان الدين الذي قد اختاره الله لهم قد أرطب وطاب وتأول سهولة أمرهم يوم الحديبية من مجيء سهيل بن عمرو اليه وندب جماعة الى حلب شاة فقام رجل يحلبها فقال ما اسمك قال مرة فقال اجلس فقام آخر فقال ما اسمك قال أظنه حرب فقال اجلس فقام آخر فقال ما اسمك فقال يعيش فقال احلبها وكان يكره الامكنة المنكرة الاسماء ويكره العبور فيها كما مر في بعض غزواته بين جبلين فسأل عن اسمائهما فقالوا

البيت لابي دؤاد الايادي في قصيدة له والحوب التوجع * قال ابن اسحق ثم قال عتبة أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها فقال أبو جهل وما تبكي عليه من قل بن قل (قال ابن هشام) القل الواحد قال لبيد بن ربيعة

كل بني حرة مصيرهم * قل (١) وإن أكثرت من العدد

* قال ابن اسحق ثم قال هذا عمل ابن أخي هذا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبي سلمة بن عبد الاسد وعامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش وأخيه أبي أحمد بن جحش على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء في بني عمرو بن عوف * ثم قدم المهاجرون أرسالا وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا الى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساؤهم عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة ابنا وهب واربد بن حميرة (قال ابن هشام) ويقال ابن حيرة * قال ابن اسحق ومنقذ بن نباتة وسعيد بن رقيش ومحرز بن نضلة ويزيد بن رقيش وقيس بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وثقيف بن عمرو وربيعة بن أكثم والزبير بن عبيدة وتمام بن عبيدة وسخبرة ابن عبيدة ومحمد بن عبد الله بن جحش * ومن نسائهم زينب بنت جحش وأم حبيب بنت جحش وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وامنة بنت رقيش وسخبرة بنت تميم وحمنة بنت جحش فقال أبو أحمد ابن جحش بن رئاب وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمة من قومه الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم وايعابهم في ذلك حين دعوا الى الهجرة

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد * ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الأُلى كنا بها ثم لم نزل * بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت * وما ان غدت غنم وخف قطينها
الى الله تغدو بين مثنى وواحد * ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضا

لما رأتني أم أحمد غاديا * بذمة من أخشى بغيب وأرهب

فقالوا فاضح ومخز فعدل عنهما ولم يجز بينهما ولما كان بين الاسماء والمسميات من الارتباط والتناسب والقرابة ما بين قوالب الاشياء وحقائقها وما بين الارواح والاجسام عبر العقل من كل منهما الى الآخر كما كان اياس بن معاوية وغيره يرى الشخص فيقول ينبغي أن يكون اسمه كيت وكيت فلا يكاد يخطئ وضد هذا العبور من الاسم الى مسماه كما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا عن اسمه فقال جمرة فقال واسم أبيك قال شهاب قال فمنزلك قال بحرة النار قال فاين مسكنك قال بذات لظى قال اذهب فقد احترق مسكنك فذهب فوجد الامر كذلك فعبر عمر من الالفاظ الى أرواحها ومعانيها كما عبر النبي صلى الله عليه وسلم من اسم سهيل الى سهولة أمرهم يوم الحديبية فكان الامر كذلك وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بتحسين أسمائهم وأخبر انهم يدعون يوم القيامة بها وفي هذا والله أعلم تنبيه على تحسين الافعال المناسبة لتحسين الاسماء لتكون الدعوة على رؤس الاشهاد بالاسم الحسن والوصف المناسب له وتامل كيف اشتق للنبي صلى الله عليه وسلم من وصفه اسمان مطابقان لمعناه وهما أحمد ومحمد فهو لكثرة ما فيه من الصفات المحمودة محمد ولشرفها وفضلها على صفات غيره أحمد فارتبط الاسم بالمسمى ارتباط الروح بالجسد وكذلك تكنيته صلى الله عليه وسلم لابي الحكم بن هشام بابي جهل كنية مطابقة لوصفه ومعناه وهو أحق الخلق بهذه الكنية وكذلك تكنية الله عز وجل لعبد العزى بابي لهب لما كان مصيره الى نار ذات لهب كانت هذه الكنية أليق به وأوفق وهو بها أحق وأخلق ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واسمها يثرب لا تعرف بغير هذا الاسم غيره بطيبة لما زال عنها ما في لفظ يثرب من التثريب بما في معنى طيبة من الطيب استحقت هذا الاسم وازدادت به طيبا آخر فاثر طيبها في استحقاق الاسم وزادها طيبا الى طيبها ولما كان الاسم الحسن يقتضي مسماه ويستدعيه من قرب قال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض قبائل العرب وهو يدعوهم الى الله وتوحيده يا بني عبد الله ان الله قد حسن اسمكم واسم أبيكم فانظر كيف دعاهم الى عبودية الله بحسن اسم أبيهم وبما فيه من المعنى المقتضي للدعوة وتامل أسماء الستة المبارزين يوم بدر كيف اقتضى القدر مطابقة اسمائهم لاحوالهم يومئذ فكان الكفار شيبة وعتبة والوليد ثلاثة أسماء من الضعف فالوليد له بداية الضعف وشيبة له نهاية الضعف كما قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وعتبة من العتب فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم وضعف ينالهم وكان أقرانهم من المسلمين علي وعبيدة والحرث رضي الله عنهم ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم وهي العلو والعبودية والسعي الذي هو الحرث فعلوا عليهم بعبوديتهم وسعيهم في حرث الآخرة ولما كان الاسم مقتضيا لمسماه ومؤثرا فيه كان أحب الاسماء الى الله ما اقتضى أحب الاوصاف اليه كعبد الله وعبد الرحمن وكان اضافة العبودية الى اسم الله واسم الرحمن أحب اليه من اضافتها الى غيرهما كالقاهر والقادر فعبد الرحمن أحب اليه من عبد القادر وعبد الله أحب اليه من عبد ربه وهذا لان التعلق الذي بين العبد وبين الله انما هو العبودية المحضة والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده والغاية التي أوجده لاجلها ان يتأله وحده محبة وخوفا ورجاء واجلالا وتعظيما فيكون عبد الله وقد عبده لما في اسم الله من معنى الالهية التي تستحيل أن تكون لغيره

(١) قوله وان أكثرت في نسخة أكثروا

ولما غلبت رحمته غضبه وكانت الرحمة أحب اليه من الغضب كان عبد الرحمن أحب اليه من عبد القاهر

(فصل) ولما كان كل عبد متحركا بالارادة والهم مبدأ الارادة ويترتب على ارادته حركته وكسبه كان أصدق الاسماء اسم همام واسم حارث اذ لا ينفك مسماهما عن حقيقة معناهما ولما كان الملك الحق لله وحده ولا ملك على الحقيقة سواه كان أخنع اسم وأوضعه عند الله وأغضبه له شاهان شاه أي ملك الملوك وسلطان السلاطين فان ذلك ليس لاحد غير الله فتسمية غيره بهذا من أبطل الباطل والله لا يحب الباطل وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا قاضي القضاة وقال ليس قاضي القضاة الا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين الذي اذا قضى أمرا انما يقول له كن فيكون ويلي هذا الاسم في الكراهة والقبح والكذب سيد الناس وسيد الكل وليس ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما قال انا سيد ولد آدم ولا فخر فلا يجوز لاحد قط أن يقول عن غيره انه سيد الناس وسيد الكل كما لا يجوز أن يقول انه سيد ولد آدم

(فصل) ولما كان مسمى الحرب والمرة أكره شيء للنفوس وأقبحها عندها كان أقبح الاسماء حربا ومرة وعلى قياس هذا حنظلة وحزن وما أشبههما وما أجدر هذه الاسماء بتأثيرها في مسمياتها كما أثر اسم حزن الحزونة في سعيد وأهل بيته

(فصل) ولما كان الانبياء سادات بني آدم وأخلاقهم أشرف الاخلاق وأعمالهم أشرف الاعمال كانت أسماؤهم أشرف الاسماء فندب النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى التسمي بأسمائهم كما في سنن أبي داود والنسائي عنه تسموا بأسماء الانبياء ولو لم يكن في ذلك من المصالح الا أن الاسم يذكر بمسماه ويقتضي التعلق بمعناه لكفى به مصلحة مع ما في ذلك من حفظ أسماء الانبياء وذكرها وان لا تنسى وان يذكر أسماؤهم بأوصافهم وأحوالهم

(فصل) وأما النهي عن تسمية الغلام بيسار وأفلح ونجيح ورباح فهذا المعنى آخر قد أشار اليه في الحديث وهو قوله فانك تقول أثمة هو فيقال لا والله أعلم هل هذه الزيادة من تمام الحديث المرفوع أو مدرجة من قول الصحابي وبكل حال فان هذه الاسماء لما كانت قد توجب تطيرا تكرهه النفوس ويصدها عما هي بصدده كما اذا قلت لرجل أعندك يسارا ورباح أو أفلح قال لا تطيرت أنت وهو من ذلك وقد تقع الطيرة لاسيما على المتطيرين فقل من تطير الا ووقعت به طيرته وأصابه طائره كما قيل

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

واقتضت حكمة الشارع الرؤف بأمته الرحيم بهم ان يمنعهم من أسباب توجب لهم سماع المكروه أو وقوعه وان يعدل عنها الى أسماء تحصل المقصود من غير مفسدة هذا أولى مع ما ينضاف الى ذلك من تعليق ضد الاسم عليه بان يسمى يسارا من هو من أعسر الناس ونجيحا من لا نجاح عنده ورباحا من هو من الخاسرين فيكون قد وقع في الكذب عليه وعلى الله وأمر آخر أيضا وهو ان يطالب المسمى بمقتضى اسمه فلا يوجد عنده فيجعل ذلك سببا لذمه وسبه كما قيل

سموك من جهلهم سديدا * والله ما فيك من سداد
أنت الذي كونه فسادا * في عالم الكون والفساد

تقول فاما كنت لا بد فاعلا * فيمم بنا البلدان ولنتأ يثرب
فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا * وما يشا الرحمن فالعبد يركب
الى الله وجهي والرسول ومن يقم * الى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكي بدمع وتندب
ترى أن وترا نائيا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دمائهم * وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم
الى الحق داع والنجاح فأوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهما فموفق
على الحق مهدى وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم
عن الحق ابليس فخابوا وخيبوا
ورعنا الى قول النبي محمد
فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نمت بارحام اليهم قريبة
ولا قرب بالارحام اذ لا تقرب
فأي ابن أخت بعدنا يأمننكم
وأية صهر بعد صهري يرقب
ستعلم يوما أينا اذ تزايلوا
وزيل أمر الناس للحق أصوب

(قال ابن هشام) قوله ولنتأ يثرب وقوله اذ لا تقرب عن غير ابن اسحق (قال ابن هشام) يريد بقوله اذا اذا كقول الله عز وجل اذ الظالمون موقوفون عند ربهم قال أبو النجم العجلي

ثم جزاه الله عنا اذ جزى
جنات عدن في العلالي والعلا

قال ابن اسحق ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال اتعدت لما أردنا الهجرة الى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي ابن وائل السهمي التناضب من اضاة بني غفار فوق سرف وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه قال فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب وحبس عنا هشام وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لامهما حتى قدما علينا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فكلماه وقالا ان أمك

قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت له يا عياش انه والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت قال فقال أبر قسم أمي ولي هنالك مال فآخذه قال فقلت والله انك لتعلم اني لمن أكثر قريش مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما

فتوصل الشاعر بهذا الاسم الى ذم المسمى به ولي من أبيات شعر

وسميته صالحا فاغتدى * بضد اسمه في الورى سائرا
وظن بان اسمه ساتر * لاوصافه فغدا شاهرا

وهذا كما ان من المدح ما يكون ذما وموجبا لسقوط مرتبة الممدوح عند الناس فانه يمدح بما ليس فيه فتطالبه النفوس بما مدح به وتظنه عنده فلا تجده كذلك فتنقلب ذما ولو ترك بغير مدح لم تحصل له هذه المفسدة وتشبه حاله حال من ولي ولاية سيئة ثم عزل عنها فانه تنقص مرتبته عما كان عليه قبل الولاية وينقص في نفوس الناس عما كان عليه قبلها وفي هذا قال القائل

اذا ما وصفت امرأ لامرئ * فلا تغل في وصفه واقتصد
فانك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الامد الابعد
فينقص من حيث عظمته * لفضل المغيب عن المشهد

وأمر آخر وهو ظن المسمى واعتقاده في نفسه انه كذلك فيقع في تزكية نفسه وتعظيمها وترفعها على غيره وهذا هو المعنى الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم لاجله ان يسمى برة وقال لا تزكوا أنفسكم الله أعلم باهل البر منكم وعلى هذا فتكره التسمية بالتقي والمتقي والمطيع والطائع والراضي والمحسن والمخلص والمنيب والرشيد والسديد وأما تسمية الكفار بذلك فلا يجوز التمكين منه ولا دعاؤهم بشيء من هذه الاسماء ولا الاخبار عنهم بها والله عز وجل يغضب من تسميتهم بذلك

(فصل) وأما الكنية فهي نوع تكريم للمكنى وتنويه به كما قال الشاعر

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وكنى النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا بابي يحيى وكنى عليا رضي الله عنه بابي تراب الى كنيته بابي الحسن وكانت أحب كنيته اليه وكنى أخا أنس بن مالك وكان صغيرا دون البلوغ بابي عمير وكان هديه صلى الله عليه وسلم تكنية من له ولد ومن لا ولد له ولم يثبت عنه انه نهى عن كنية الا الكنية بابي القاسم فصح عنه انه قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاختلف الناس في ذلك على أربعة أقوال (أحدها) انه لا يجوز التكني بكنيته مطلقا سواء أفردها عن اسمه أو قرنها به وسواء محياه وبعد مماته وعمدتهم عموم هذا الحديث الصحيح واطلاقه وحكى البيهقي ذلك عن الشافعي قالوا ولان النهي انما كان لان معنى هذه الكنية والتسمية مختصة به صلى الله عليه وسلم وقد أشار الى ذلك بقوله والله لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا وانما أنا قاسم أضع حيث أمرت قالوا ومعلوم ان هذه الصفة ليست على الكمال لغيره واختلف هؤلاء في جواز تسمية المولود بقاسم فاجازه طائفة ومنعه آخرون والمجيزون نظروا الى ان العلة عدم مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم فيما اختص به من الكنية وهذا غير موجود في الاسم والمانعون نظروا الى ان المعنى الذي نهى عنه في الكنية موجود مثله هنا في الاسم سواء أو هو أولى بالمنع قالوا وفي قوله انما أنا قاسم اشعار بهذا الاختصاص (القول الثاني) ان النهي عن الجمع بين اسمه وكنيته فاذا أفرد أحدهما عن الآخر فلا باس قال أبو داود باب من رأى ان لا يجمع بينهما ثم ذكر حديث أبي الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ومن اكتنى بكنيتي فلا يتسم باسمي ورواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقد رواه الترمذي أيضا من حديث محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة وقال حسن صحيح ولفظه

قال فأبى علي الا أن يخرج معهما فلما أبى الا ذلك قال قلت اما اذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن * قال ابن اسحق فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة انهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ثم قالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا * قال ابن اسحق وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر في حديثه قال فكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة قوم عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لانفسهم يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاصي قال فقال هشام فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها قال فألقى الله تعالى في قلبي انها انما أنزلت فينا وفيما كنا نقول لانفسنا ويقال فينا قال فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) فحدثني من أثق به ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته ويسمى محمدا أبا القاسم قال أصحاب هذا القول فهذا مقيد مفسر لما في الصحيحين من نهيه عن التكني بكنيته قالوا ولأن في الجمع بينهما مشاركة في الاختصاص بالاسم والكنية فإذا أفرد أحدهما عن الآخر زال الاختصاص (القول الثالث) جواز الجمع بينهما وهو المنقول عن مالك واحتج أصحاب هذا القول بما رواه أبو داود والترمذي من حديث محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ان ولد لي ولد من بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك قال نعم قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي سنن أبي داود عن عائشة قالت جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني ولدت غلاما فسميته محمدا وكنيته أبا القاسم فذكر لي أنك تكره ذلك فقال ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي أو ما الذي حرم كنيتي وأحل اسمي قال هؤلاء وأحاديث المنع منسوخة بهذين الحديثين (القول الرابع) ان التكني بأبي القاسم كان ممنوعا منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو جائز بعد وفاته قالوا وسبب النهي انما كان مختصا بحياته فانه قد ثبت في الصحيح من حديث أنس قال نادى رجل بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لم أعنك انما دعوت فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قالوا وحديث علي فيه اشارة الى ذلك بقوله ان ولد لي من بعدك ولد ولم يسأله عمن يولد له في حياته ولكن قال علي رضي الله عنه في هذا الحديث وكانت رخصة لي وقد شذ من لا يؤبه لقوله فمنع التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم قياسا على النهي عن التكني بكنيته والصواب ان التسمي باسمه جائز والتكني بكنيته ممنوع منه والمنع في حياته أشد والجمع بينهما ممنوع منه وحديث عائشة غريب لا يعارض بمثله الحديث الصحيح وحديث علي رضي الله عنه في صحته نظر والترمذي فيه نوع تساهل في التصحيح وقد قال علي انها رخصة له وهذا يدل على بقاء المنع لمن سواه والله أعلم

(فصل) وقد كره قوم من السلف والخلف الكنية بأبي عيسى وأجازها آخرون فروى أبو داود عن زيد بن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب ابنا له يكنى أبا عيسى وان المغيرة بن شعبة تكنى بأبي عيسى فقال له عمر أما يكفيك أن تكنى بأبي عبد الله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني فقال ان رسول الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانا في جلجتنا فلم يزل يكنى بأبي عبد الله حتى هلك وقد كني عائشة بأم عبد الله وكان لنسائه أيضا كنى كأم حبيبة وأم سلمة

(فصل ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن تسمية العنب كرما وقال الكرم قلب المؤمن وهذا لأن هذه اللفظة تدل على كثرة الخير والمنافع في المسمى بها وقلب المؤمن هو المستحق لذلك دون شجرة العنب ولكن هل المراد النهي عن تخصيص شجر العنب بهذا الاسم وان قلب المؤمن أولى به منه فلا يمنع من تسميته بالكرم كما قال في المسكين والرقوب والمفلس أو المراد ان تسميته بهذا مع اتخاذ الخمر المحرم منه وصف بالكرم والخير والمنافع لأصل هذا الشراب الخبيث المحرم وذلك ذريعة الى مدح ما حرم الله وتهييج النفوس عليه هذا محتمل والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم والأولى أن لا يسمى شجر العنب كرما

(فصل وقال صلى الله عليه وسلم) لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا وانها العشاء وانهم يسمونها العتمة وصح عنه انه قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا فقيل هذا ناسخ للمنع

بالمدينة من أبي عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة أنا لك يا رسول الله بهما فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا محبوسين في بيت لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فقال

هل أنت إلا أصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * قال ابن اسحق ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد ابن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم (قال ابن هشام) أبو خولي من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وبنو البكير أربعتهم اياس بن البكير وعاقل بن البكير وعامر بن البكير وخالد بن البكير وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر في بني عمرو بن عوف بقباء وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة ثم تتابع المهاجرون فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن اساف أخي بلحرث بن الخزرج بالسنح (قال ابن هشام) ويقال يساف فيما أخبرني عنه ابن اسحق ويقال بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة أخي بني النجار (قال ابن هشام) وقيل وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني

ثم جعلت لكم مالي قال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب ربح صهيب * قال ابن اسحق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن حصن (قال ابن هشام) ويقال هو ابن حصين * قال ابن اسحق وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ابن عبد المطلب وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة أخي بني النجار كل ذلك يقال * ونزل عبيدة بن الحرث بن المطلب وأخواه الطفيل ابن الحرث والحصين بن الحرث ومسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب وسويبط بن سعد بن حريملة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله أخي بلحرث بن الخزرج في دار بلحرث بن الخزرج * ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بني جحجبى ونزل مصعب ابن عمير بن هاشم أخو بني عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان أخي بني عبد الاشهل في دار بني عبد الاشهل ونزل أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة وسالم مولى أبي حذيفة (قال ابن هشام) سالم مولى أبي حذيفة سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس سيبته فانقطع الى أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة ويقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى أبي حذيفة * قال ابن اسحق ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخي بني عبد الاشهل في دار عبد الاشهل * ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل وكان يقال نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا فالله أعلم أي ذلك كان * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة احد من المهاجرين الا من حبس

وقيل بالعكس والصواب خلاف القولين فان العلم بالتاريخ متعذر ولا تعارض بين الحديثين فانه لم ينه عن اطلاق اسم العتمة بالكلية وانما نهى عن أن يهجر اسم العشاء وهو الاسم الذي سماها الله به في كتابه ويغلب عليها اسم العتمة فاذا سميت العشاء وأطلق عليها احيانا العتمة فلا بأس والله أعلم وهذا محافظة منه صلى الله عليه وسلم على الاسماء التي سمى الله بها العبادات فلا يهجر ويؤثر عليها غيرها كما فعله المتأخرون في هجران ألفاظ النصوص وايثار المصطلحات الحادثة عليها ونشأ بسبب هذا من الفساد ما الله به عليم وهذا كما كان يحافظ على تقديم ما قدمه الله وتأخير ما أخره كما بدأ بالصفا وقال ابدؤا بما بدأ الله به وبدأ في العيد بالصلاة ثم جعل النحر بعدها فاخبر أن من ذبح قبلها فلا نسك له تقديما لما بدأ الله في قوله فصل لربك وانحر وبدأ في أعضاء الوضوء بالوجه ثم اليدين ثم الرأس ثم الرجلين تقديما لما قدمه الله وتأخيرا لما أخره وتوسيطا لما وسطه وقدم زكاة الفطر على صلاة العيد تقديما لما قدمه الله في قوله قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ونظائره كثيرة

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في حفظ المنطق واختيار الالفاظ كان يتخير في خطابه ويختار لامته أحسن الفاظ وأجملها وألطفها وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش فلم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا ولا فظا وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك وان يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله فمن الاول منعه أن يقول للمنافق يا سيدنا وقال فان لم يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل ومنعه أن يسمى شجرة العنب كرما ومنعه تسمية أبي جهل بابي الحكم وكذلك تغييره لاسم أبي الحكم من الصحابة بابي شريح وقال ان الله هو الحكم واليه الحكم ومن ذلك نهيه للمملوك أن يقول لسيده أو لسيدته ربي وربتي وللسيد ان يقول لمملوكه عبدي ولكن يقول المالك فتاي وفتاتي ويقول المملوك سيدي وسيدتي وقال لمن ادعى انه طبيب أنت رفيق وطبيبها الذي خلقها والجاهلون يسمون الكافر الذي له علم بشئ من الطبيعة حكيما وهو من أسفه الخلق ومن هذا قوله للخطيب الذي قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس الخطيب أنت ومن ذلك قوله لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده وفي معنى هذا الشرك المنهي عنه قول من لا يتوقى الشرك أنا بالله وبك وأنا في حسب الله وحسبك ومالي الا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك وهذا من الله ومنك والله لي في السماء وأنت لي في الارض ووالله وحياتك وأمثال هذا من الالفاظ التي يجعل قائلها المخلوق ندا للخالق وهي أشد منعا وقبحا من قوله ما شاء الله وشئت فاما اذا قال أنا بالله ثم بك وما شاء الله ثم شئت فلا بأس بذلك كما في حديث الثلاثة لا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك وكما في الحديث المتقدم الاذن أن يقال ما شاء الله ثم شاء فلان

(فصل وأما القسم الثاني) وهو أن يطلق ألفاظ الذم على من ليس من أهلها فمثل نهيه صلى الله عليه وسلم عن سب الدهر وقال ان الله هو الدهر وفي حديث آخر يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم فيسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وفي حديث آخر لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر وفي هذا ثلاث مفاسد عظيمة * أحدها سبه من ليس باهل ان يسب فان الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لامره مذلل لتسخيره فسابه أولى بالذم والسب منه * الثانية ان سبه

متضمن للشرك فانه انما سبه لظنه انه يضر وينفع وانه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر وأعطى من لا يستحق العطاء ورفع من لا يستحق الرفعة وحرم من لا يستحق الحرمان وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدا وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه * الثالثة ان السب منهم انما يقع على من فعل هذه الافعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والارض واذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه وفي حقيقة الامر فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل والدهر ليس له من الامر شيء فسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما اما سبه لله أو الشرك به فانه اذا اعتقد ان الدهر فاعل مع الله فهو مشرك وان اعتقد ان الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم تعس الشيطان فانه يتعاظم حتى يكون مثل البيت فيقول بقوتي صرعته ولكن ليقل بسم الله فانه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب وفي حديث آخر ان العبد اذا لعن الشيطان يقول انك لتلعن ملعنا ومثل هذا قول القائل أخزى الله الشيطان وقبح الله الشيطان فان ذلك كله يفرحه ويقول علم ابن ادم اني قد نلته بقوتي وذلك مما يعينه على اغوائه ولا يفيده شيأ فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم من مسه شيء من الشيطان أن يذكر الله تعالى ويذكر اسمه ويستعيذ بالله منه فان ذلك أنفع له وأغيظ للشيطان

(فصل من ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم) أن يقول الرجل خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي ومعناهما واحد أي غثت نفسي وساء خلقها فكره لهم لفظ الخبث لما فيه من القبح والشناعة وأرشدهم الى استعمال الحسن وهجران القبيح وابدال اللفظ المكروه باحسن منه ومن ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول القائل بعد فوات الامر لو أني فعلت كذا وكذا وقال انها تفتح عمل الشيطان وأرشده الى ما هو أنفع له من هذه الكلمة وهو أن يقول قدر الله وما شاء فعل وذلك لان قوله لو كنت فعلت كذا وكذا لم يفتني ما فاتني أو لم أقع فيما وقعت فيه كلام لا يجدي عليه فائدة البتة فانه غير مستقبل لما استدبر من أمره وغير مستقيل عثرته بلو وفي ضمن لو ادعاء أن الامر لو كان كما قدره في نفسه لكان غير ما قضاه الله وقدره وشاءه فان ما وقع مما يتمنى خلافه انما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته فاذا قال لو أني فعلت كذا لكان خلاف ما وقع فهو محال اذ خلاف المقدر المقضي محال فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا وان سلم من التكذيب بالقدر لم يسلم من معارضته بقوله لو أني فعلت كذا لدفعت ما قدر علي فان قيل ليس في هذا رد للقدر ولا جحد له اذ تلك الاسباب التي تمناها أيضا من القدر فهو يقول لو وفقت لهذا القدر لاندفع به عني ذلك القدر فان القدر يدفع بعضه ببعض كما يدفع قدر المرض بالدواء وقدر الذنوب بالتوبة وقدر العدو بالجهاد فكلاهما من القدر قيل هذا حق ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه وأما اذا وقع فلا سبيل الى دفعه وان كان له سبيل الى دفعه أو تخفيفه بقدر آخر فهو أولى به من قوله لو كنت فعلته بل وظيفته في هذه الحالة أن يستقبل فعله الذي يدفع به أو يخفف ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه فانه عجز محض والله يلوم على العجز ويحب الكيس ويأمر به والكيس هو مباشرة الاسباب التي

الوقت الا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر ان يكونه

(خبر دار الندوة)

*قال ابن اسحق ولما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا انه قد اجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه * قال ابن اسحق فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما أجمعوا لذلك واتعدوا ان يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم ابليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل فادخل فدخل معهم لعنه الله وقد اجتمع فيها أشراف قريش (من بني عبد شمس) عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وأبو سفيان بن حرب (ومن بني نوفل بن عبد مناف) طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحرث بن عامر بن نوفل (ومن بني عبد الدار بن قصي) النضر بن الحرث بن كلدة (ومن بني اسد بن عبد العزى) أبو البختري بن هشام وزمعة ربط ابن الاسود بن المطلب وحكيم بن حزام (ومن بني مخزوم) أبو جهل بن هشام (ومن بني سهم) نبيه ومنبه ابنا الحجاج (ومن بني جمح) أمية بن خلف ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فانا والله ما نامنه

ربط الله بها مسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده فهذه تفتح عمل الخير والأمر وأما العجز فانه يفتح عمل الشيطان فانه اذا عجز عما ينفعه وصار الى الأماني الباطلة بقوله لو كان كذا وكذا ولو فعلت كذا يفتح عليه عمل الشيطان فان بابه العجز والكسل ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منهما وهما مفتاح كل شر ويصدر عنهما الهم والحزن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال فصدرها كلها عن العجز والكسل وعنوانها لو فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فان لو تفتح عمل الشيطان فالمتمني من أعجز الناس وأفلسهم فان التمني رأس أموال المفاليس والعجز مفتاح كل شر وأصل المعاصي كلها فان العجز يعجز عن أسباب أعمال الطاعات وعن الأسباب التي تعرضه عن المعاصي وتحول بينها وبينه فيقع في المعاصي فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته صلى الله عليه وسلم أصول الشر وفروعه ومباديه وغاياته وموارده ومصادره وهو مشتمل على ثمان خصال كل خصلتين منها قرينتان فقال أعوذ بك من الهم والحزن وهما قرينان فان المكروه الوارد على القلب ينقسم باعتبار سببه الى قسمين فانه اما أن يكون سببه أمرا ماضيا فهو يحدث الحزن واما أن يكون توقع أمر مستقبل فهو يحدث الهم وكلاهما من العجز فان ما مضى لا يدفع بالحزن بل بالرضا والحمد والصبر والايمان بالقدر وقول العبد قدر الله وما شاء فعل وما يستقبل لا يدفع أيضا بالهم بل اما أن يكون له حيلة في دفعه فلا يعجز عنه واما أن لا تكون له حيلة في دفعه فلا يجزع منه ويلبس له لباسه ويأخذ له عدته ويتأهب له أهبته اللائقة به ويستجن بجنة حصينة من التوحيد والتوكل والانطراح بين يدي الرب تعالى والاستسلام له والرضا به ربا في كل شيء ولا يرضى به ربا فيما يحب دون ما يكره فاذا كان هكذا لم يرض به ربا على الاطلاق فلا يرضاه الرب له عبدا على الاطلاق فالهم والحزن لا ينفعان العبد البتة بل مضرتهما أكثر من منفعتهما فانهما يضعفان العزم ويوهنان القلب ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه ويقطعان عليه طريق السير أو ينكسانه الى وراء أو يعوقانه ويقفانه أو يحجبانه عن العلم الذي كلما رآه شمر اليه وجد في سيره فهما حمل ثقيل على ظهر السائر بل ان عاقه الهم والحزن عن شهواته وارادته التي تضره في معاشه ومعاده انتفع به من هذا الوجه وهذا من حكمة العزيز الحكيم أن سلط هذين الجندين على القلوب المعرضة عنه الفارغة من محبته وخوفه ورجائه والانابة اليه والتوكل عليه والانس به والفرار اليه والانقطاع اليه ليردها بما يبتليها به من الهموم والغموم والأحزان والآلام القلبية عن كثير من معاصيها وشهواتها المردية وهذه القلوب في سجن من الجحيم في هذه الدار وان أريد بها الخير كان حظها من سجن الجحيم في معادها ولا تزال في هذا السجن حتى تتخلص الى فضاء التوحيد والاقبال على الله والانس به وجعل محبته في محل دبيب خواطر القلب ووساوسه بحيث يكون ذكره تعالى وحبه وخوفه ورجاؤه والفرح به والابتهاج بذكره هو المستولي على القلب الغالب عليه الذي متى فقده فقد قوته الذي لا قوام له الا به ولا بقاء له بدونه ولا سبيل الى خلاص القلب من هذه الآلام التي هي أعظم أمراضه وأفسدها له الا بذلك ولا بلاغ الا بالله وحده فانه لا يوصل اليه الا هو ولا يأتي بالحسنات الا هو ولا يصرف السيئات الا هو ولا يدل عليه الا هو واذا أراد عبده لأمر هيأه له فمنه الايجاد ومنه الاعداد ومنه الامداد واذا أقامه في مقام أي مقام كان فبحمده أقامه فيه وحكمته اقامته فيه ولا يليق به غيره ولا يصلح له سواه ولا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع ولا يمنع عبده حقا هو للعبد فيكون بمنعه ظالما بل منعه

على الوثوب علينا فمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره فتشاوروا عليه ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت قال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم في بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل ابن هشام والله ان لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال يقول الشيخ النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي الذي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك اذا نام * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما اجتمعوا وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وان لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم انا أقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء (٣) الآيات من يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم الى قوله وأغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا * قال ابن اسحق وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله

ان يتوسل اليه سبحانه ليعطيه وليتضرع اليه ويتذلل بين يديه ويتملقه ويعطي فقره اليه حقه بحيث يشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة فاقة تامة اليه على تعاقب الانفاس وهذا هو الواقع في نفس الامر وان لم يشهده فلم يمنع عبده ما العبد محتاج اليه بخلا منه ولا نقصا من خزائنه ولا استئثارا عليه بما هو حق للعبد بل منعه ليرده اليه وليعزه بالتذلل له وليغنيه بالافتقار اليه وليجبره بالانكسار بين يديه وليذيقه بمرارة المنع حلاوة الخضوع له ولذة الفقر وليلبسه خلعة العبودية ويوليه بعزله أشرف الولايات وليشهده حكمته في قدرته ورحمته في عزته وبره ولطفه في قهره وان منعه عطاء وعزله توليه وعقوبته تأديب وامتحانه محبة وعطية وتسليط أعدائه عليه سائق يسوقه اليه وبالجملة فلا يليق بالعبد غير ما أقيم فيه وحكمته وحمده أقاماه في مقامه الذي لا يليق به سواه ولا يحسن أن يتخطاه والله أعلم حيث يجعل مواقع عطائه وفضله والله أعلم حيث يجعل رسالاته وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين فهو سبحانه أعلم بمواقع الفضل ومحال التخصيص ومحال الحرمان فبحمده وحكمته أعطى وبحمده وحكمته حرم فمن رده المنع الى الافتقار اليه والتذلل له وتملقه انقلب في حقه عطاء ومن شغله عطاؤه وقطعه عنه انقلب في حقه منعا فكل ما شغل العبد عن الله فهو مشؤم عليه وكل ما رده اليه فهو رحمة به والرب تعالى يريد من عبده أن يفعل ولا يقع الفعل حتى يريد سبحانه من نفسه أن يعينه كما قال تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين فهو سبحانه أراد منا الاستقامة دائما واتخاذ السبيل اليه وأخبرنا ان هذا المراد لا يقع حتى يريد من نفسه اعانتنا عليها ومشيئتها لنا فهما ارادتان ارادة من عبده أن يفعل وارادته من نفسه أن يعينه ولا سبيل له الى الفعل الا بهذه الارادة ولا يملك منها شيأ فان كان مع العبد روح أخرى نسبتها الى روحه كنسبة روحه الى بدنه تستدعي بها ارادة الله من نفسه أن يفعل به ما يكون به العبد فاعلا والا فمحله غير قابل للعطاء وليس معه اناء يوضع فيه العطاء فمن جاء بغير اناء رجع بالحرمان ولا يلومن الا نفسه والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الهم والحزن وهما قرينان ومن العجز والكسل وهما قرينان فان تخلف كمال العبد وصلاحه عنه اما أن يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز أو يكون قادرا عليه لكن لا يريد فهو كسل وينشأ عن هاتين الصفتين فوات كل خير وحصول كل شر ومن ذلك الشر تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن وعن النفع بماله وهو البخل ثم ينشأ له بذلك غلبتان غلبة بحق وهي غلبة الدين وغلبة بباطل وهي غلبة الرجال وكل هذه المفاسد ثمرة العجز والكسل ومن هذا قوله في الحديث الصحيح للرجل الذي قضي عليه فقال حسبي الله ونعم الوكيل فقال ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل فهذا قال حسبي الله ونعم الوكيل بعد عجزه من الكيس الذي لو قام به لقضي له على خصمه فلو فعل الاسباب التي يكون بها كيسا ثم غلب فقال حسبي الله ونعم الوكيل لكانت الكلمة قد وقعت موقعها كما أن ابراهيم الخليل لما فعل الاسباب المأمور بها ولم يعجز بتركها ولا ترك شيأ منها ثم غلبه عدوه وألقوه في النار قال في تلك الحال حسبي الله ونعم الوكيل فوقعت الكلمة موقعها واستقرت في مظانها فأثرت أثرها وترتب عليها مقتضاها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم أحد لما قيل لهم بعد انصرافهم من أحد ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فتجهزوا وخرجوا للقاء عدوهم وأعطوهم الكيس من نفوسهم ثم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأثرت

الكلمة

(٣) وفي قوله الآيات الاول من سورة يس التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام فقد روى الحرث ابن أبي اسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضائل يس انه اذا قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي حتى ذكر خصالا كثيرة شارح

والله خير الماكرين وقول الله عز وجل أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين (قال ابن هشام) المنون الموت وريب المنون ما يريب ويعرض منها قال أبو ذؤيب الهذلي أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق وأذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة

(هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وصحبة أبي بكر رضي الله عنه)

قال ابن اسحق وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا ذا مال فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعني نفسه حين قال له ذلك فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما إعدادا لذلك * قال ابن اسحق فحدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عني من عندك فقال يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي فقال إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ثم قال يا نبي الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أرقط رجلا من بني الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو وكان مشركا يدلهما على الطريق فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما * قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول

الكاملة أثرها واقتضت موجبها ولهذا قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه فجعل التوكل بعد التقوى الذي هو قيام الأسباب المأمور بها فحينئذ إن توكل على الله فهو حسبه وكما قال في موضع آخر واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فالتوكل والحسب بدون قيام الأسباب المأمور بها عجز محض فإن كان مشوبا بنوع من التوكل فهو توكل عجز فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزا ولا يجعل عجزه توكلا بل يجعل توكله من جملة الأسباب المأمور بها التي لا يتم المقصود إلا بها كلها ومن ههنا غلط طائفتان من الناس * أحدهما زعمت أن التوكل وحده سبب مستقل كاف في حصول المراد فعطلت له الأسباب التي اقتضتها حكمة الله الموصلة إلى مسبباتها فوقعوا في نوع تفريط وعجز بحسب ما عطلوا من الأسباب وضعف توكلهم من حيث ظنوا قوته بانفراده عن الأسباب فجمعوا الهم كله وصيروه هما واحدا وهذا وإن كان فيه قوة من هذا الوجه ففيه ضعف من جهة أخرى فكلما قوي جانب التوكل بإفراده أضعفه التفريط في السبب الذي هو محل التوكل فإن التوكل محله الأسباب وكماله بالتوكل على الله فيها وهذا كتوكل الحراث الذي شق الأرض وألقى فيها البذر فتوكل على الله في زرعه وإنباته فهذا قد أعطى التوكل حقه ولم يضعف توكله بتعطيل الأرض وتخليتها بورا وكذلك توكل المسافر في قطع المسافة مع جده في السير وتوكل الأكياس في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه مع اجتهادهم في طاعته فهذا هو التوكل الذي يترتب عليه أثره ويكون الله حسب من قام به وأما توكل العجز والتفريط فلا يترتب عليه أثره وليس الله حسب صاحبه فإن الله إنما يكون حسب المتوكل عليه إذا اتقاه وتقواه فعل الأسباب المأمور بها لا إضاعتها * والطائفة الثانية التي قامت بالأسباب ورأت ارتباط المسببات بها شرعا وقدرا وأعرضت عن جانب التوكل وهذه الطائفة وإن نالت بما فعلته من الأسباب ما نالته فليس لها قوة أصحاب التوكل ولا عون الله لهم وكفايته إياهم ودفاعه عنهم بل هي مخذولة عاجزة بحسب ما فاتها من التوكل فالقوة كل القوة في التوكل على الله كما قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله فالقوة مضمونة للمتوكل والكفاية والحسب والدفع عنه وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما نقص من التقوى والتوكل وإلا فمع تحققه بهما لا بد أن يجعل الله له مخرجا من كل ما ضاق على الناس ويكون الله حسبه وكافيه والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد العبد إلى ما فيه غاية كماله ونيل مطلوبه أن يحرص على ما ينفعه ويبذل فيه جهده وحينئذ ينفعه التحسب وقول حسبي الله ونعم الوكيل بخلاف من عجز وفرط حتى فاتته مصلحته ثم قال حسبي الله ونعم الوكيل فإن الله يلومه ولا يكون في هذا الحال حسبه فإنما هو حسب من اتقاه ثم توكل عليه

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في الذكر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق ذكرا لله عز وجل بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرا منه لله وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرا منه له وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتحميده وتسبيحه ذكرا منه له وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرا منه له وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه فكان ذاكرا لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته وكان إذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور وقالت عائشة كان إذا هب من الليل كبر عشرا

الله صلى الله عليه وسلم [illegible] خروج الا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر أما على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني
أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شئ (٢٦٨) يخشى عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم * قال ابن
اسحق فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ثم عمدا الى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله ابن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما يأتيهما اذا أمسى في الغار وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما (قال ابن هشام) وحدثني بعض أهل العلم ان الحسن بن أبي الحسن البصري قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ليلا فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه * قال ابن اسحق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما الخبر وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه يرعى في رعيان أهل مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا
وذبحا فاذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه حتى اذا مضت في
الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما
ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به فكان يقال لاسماء

وحمد الله عشرا، قال سبحان الله وبحمده عشرا وسبحان الملك القدوس عشرا واستغفر الله عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يستفتح الصلاة وقالت أيضا كان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ذكرهما أبو داود وأخبر أن من استيقظ من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو دعاء آخر استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته ذكره البخاري وقال ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم ليلة مبيته عنده انه لما استيقظ رفع رأسه الى السماء وقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ان في خلق السموات والارض الى آخرها ثم قال اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهي لا اله الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان اذا قام من الليل قال اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وربما قالت كان يفتتح صلاته بذلك وكان اذا أوتر ختم وتره بعد فراغه بقوله سبحان الملك القدوس ثلاثا ويمد بالثالثة صوته وكان اذا خرج من بيته يقول بسم الله توكلت على الله اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من قال اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان حديث حسن وقال ابن عباس عنه ليلة مبيته عنده انه خرج الى صلاة الفجر وهو يقول اللهم اجعل في قلبي نورا واجعل في لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن أمامي نورا واجعل من فوقي نورا واجعل من تحتي نورا اللهم أعظم لي نورا * وقال فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج رجل من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة وانما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت الا وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته وذكر أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليصل وليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك فاذا خرج فليقل اللهم اني أسألك من فضلك وذكر عنه أنه كان اذا دخل المسجد صلى على محمد وآله وسلم ثم يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك فاذا خرج صلى على محمد وآله وسلم ثم يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وكان اذا صلى الصبح جلس

بنت أبي بكر ذات النطاق لذلك (قال ابن هشام) وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول ذات النطاقين وتفسيره انها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر * قال ابن اسحق فلما قرب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال اركب فداك أبي وأمي فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اني لا اركب بعيرا ليس لي فقال فهي لك يارسول الله بأبي أنت وأمي قال لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها به قال هي لك يارسول الله فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر ابن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق * قال ابن اسحق فحدثت عن اسماء بنت أبي بكر انها قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك يابنت أبي بكر قالت قلت لا ادري والله أين أبي قالت فرفع أبو جهل لعنه الله يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي قالت ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد

(قال ابن هشام) أم معبد بنت كعب امرأة من بني كعب من خزاعة وقوله حلا خيمتي وهما نزلا بالبر ثم تروحا عن غير ابن اسحق (قال ابن اسحق) قالت اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه الى المدينة وكانوا اربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أرقط دليلهما (قال ابن هشام) ويقال عبد الله بن أريقط

في مصلاه حتى تطلع الشمس يذكر الله عز وجل وكان يقول اذا أصبح اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور حديث صحيح وكان يقول أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ولا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر واذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله الى آخره ذكره مسلم وقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه مرني بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه ومالكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوأ أو أجره الى مسلم قال قلها اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات الا لم يضره شئ حديث صحيح وقال من قال حين يصبح وحين يمسي رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا كان حقا على الله أن يرضيه صححه الترمذي والحاكم وقال من قال حين يصبح وحين يمسي اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله الذي لا اله الا أنت وان محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار وان قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار وان قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار وان قالها أربعا أعتقه الله من النار حديث حسن وقال من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته حديث حسن وكان يدعو حين يصبح وحين يمسي بهذه الدعوات اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي أعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي صححه الحاكم وقال اذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم اني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهدايته وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ثم اذا أمسى فليقل مثل ذلك حديث حسن وذكر أبو داود عنه أنه قال لبعض بناته قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما فانه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح * وقال لرجل من الانصار الا أعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله همك وقضى عنك دينك قال بلى يارسول الله قال قل اذا أصبحت واذا أمسيت اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال فقلتهن فاذهب الله همي وقضى عني ديني * وكان اذا أصبح قال أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين هكذا في الحديث ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد استشكله بعضهم وله حكم نظائره كقوله في الخطب والتشهد في الصلاة أشهد أن محمدا رسول الله فانه صلى الله عليه وسلم مكلف بالايمان بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خلقه ووجوب ذلك عليه أعظم من وجوبه على المرسل اليهم

فهو نبي الامة التي هو منهم فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نفسه والى أمته* ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لفاطمة ابنته ما يمنعك أن تقولي اذا أصبحت واذا أمسيت يا حي يا قيوم بك استغيث فاصلح لي شأني ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل شكى اليه اصابة الآفات قل اذا أصبحت بسم الله على نفسي وأهلي ومالي فانه لا يذهب عليك شئ ويذكر عنه أنه كان اذا أصبح قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا* ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أن العبد اذا قال حين يصبح ثلاث مرات اللهم اني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فاتمم على نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة واذا أمسى قال ذلك كان حقا على الله أن يتم عليه* ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ويذكر عنه أنه من قال هذه الكلمات في أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر نهاره لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربي لا اله الا أنت عليك توكلت أنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أعلم أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي وشر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وقد قيل لابي الدرداء قد احترق بيتك فقال ما احترق ولم يكن الله عز وجل ليفعل لكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرها* وقال سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها حين يصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها حين يمسي موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ومن قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه* وقال من قال حين يصبح عشر مرات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه بها عشر سيئات وكانت كعدل عشر رقاب وأجاره الله يومه من الشيطان الرجيم واذا أمسى فمثل ذلك حتى يصبح* وقال من قال حين يصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه وفي المسند وغيره أنه صلى الله عليه وسلم علم زيد بن ثابت وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح لبيك اللهم لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك واليك اللهم ما قلت من قول أو حلفت من حلف أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدي ذلك كله ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بك انك على كل شئ قدير اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا اني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شئ قدير وأشهد ان محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة حق آتية لا ريب فيها وانك تبعث من في

القبور

قال ابن اسحق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان أباه عبادا حدثه عن جدته اسماء بنت أبي بكر قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم او ستة آلاف فانطلق بها معه قالت فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله اني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه قالت قلت كلا يا ابت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا باس اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيأ ولكني اردت ان أسكن الشيخ بذلك قال ابن اسحق وحدثني الزهري ان عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم قال فبينا أنا جالس في نادي قومي اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي آنفا اني لاراهم محمدا وأصحابه قال فأومأت اليه بعيني ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم قال لعله ثم سكت قال ثم مكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي فقيد لي الى بطن الوادي وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ثم أخذت قداحي التي استقسم بها ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره قال وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة قال فركبت على أثره فبينا فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه قال فقلت ما هذا قال ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره قال فأبيت الا ان أتبعه قال فركبت في أثره فبينا فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه قال فقلت ما هذا قال ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره قال فأبيت الا ان أتبعه فركبت في أثره فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الارض وسقطت عنه ثم

انتزع يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار قال فعرفت حين رأيت ذلك انه قد منع مني وانه ظاهر قال فناديت القوم فقلت انا سراقة بن جعشم انظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شئ تكرهونه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر قل له وما تبتغي منا قال فقال لي ذلك أبو بكر قال قلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك قال اكتب له يا أبا بكر فكتب لي كتابا في عظم أوفي رقعة أوفي خزفة ثم ألقاه الى فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة قال فدخلت في كتيبة من خيل الانصار قال فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون اليك اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكاني أنظر الى ساقه في غرزه كانها جمارة قال فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة بن جعشم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه قال فدنوت منه فأسلمت ثم تذكرت شيأ أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره الا اني قلت يا رسول الله الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملأتها لابلي هل لي من أجر في ان أسقيها قال نعم في كل ذات كبد حرى أجر قال ثم رجعت الى قومي فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي (قال ابن هشام) عبد الرحمن بن الحرث بن مالك بن جعشم * قال ابن اسحق فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ثم سلك بهما على أسفل أمج ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد ان أجاز قديدا ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لقفا (قال ابن هشام) ويقال لفتا قال معقل بن خويلد الهذلي

(١) نزيعا محلبا من أهل لفت * لحي بين أثلة والنحام

لقبور وانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها انه لا يغفر الذنوب الا أنت وتب علي انك أنت التواب الرحيم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في الذكر عند لبس الثوب ونحوه كان صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له حديث صحيح ويذكر عنه انه قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وفي جامع الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد الى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في حفظ الله وفي كنف الله وفي سبيل الله حيا وميتا وصح عنه انه قال لام خالد لما ألبسها الثوب الجديد أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي مرتين وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم رأى على عمر ثوبا فقال أجديد هذا أم غسيل فقال بل جديد فقال البس جديدا وعش حميدا ومت شهيدا

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) عند دخوله الى منزله لم يكن صلى الله عليه وسلم ليفجأ أهله بغتة يتخونهم ولكن كان يدخل على أهله على علم منهم بدخوله وكان يسلم عليهم وكان اذا دخل بدأ بالسؤال اوسأل عنهم وربما قال هل عندكم من غداء وربما سكت حتى يحضر بين يديه ما تيسر ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا انقلب الى بيته الحمد لله الذي كفاني وآواني والحمد لله الذي أطعمني وسقاني والحمد لله الذي من علي أسألك ان تجيرني من النار وثبت عنه انه قال لانس اذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهلك قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي السنن عنه اذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله وفيها عنه ثلاثة كلهم ضامن على الله رجل خرج غازيا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله حديث صحيح وصح عنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت واذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء ذكره مسلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في الذكر عند دخوله الخلاء ثبت عنه في الصحيحين انه كان يقول عند دخوله الخلاء اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث وذكر أحمد عنه انه أمر من دخل الخلاء أن يقول ذلك ويذكر عنه لا يعجز أحدكم اذا دخل مرفقه أن يقول اللهم اني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويذكر عنه قال ستر ما بين الجن وعورات بني آدم اذا دخل أحدكم الكنيف ان يقول بسم الله وثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان رجلا سلم عليه وهو يبول فلم يرد عليه وأخبر أن الله سبحانه يمقت على الحديث على الغائط فقال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عوراتهما يتحدثان فان الله عز وجل يمقت على ذلك وقد تقدم انه كان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ببول ولا بغائط فانه نهى عن ذلك في حديث أبي أيوب وسلمان

---

(١) قوله نزيعا محلبا في نسخة تربعا محلبا

الفارسى وأبى هريرة ومعقل بن أبى معقل وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وعامة هذه الاحاديث صحيحة وسائرها حسن والمعارض لها اما معلول السند واما ضعيف الدلالة فلا يرد صريح نهيه المستفيض عنه بذلك كحديث عراك عن عائشة ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اناسا يكرهون ان يستقبلوا القبلة بفروجهم فقال أوقد فعلوها حولوا مقعدتى قبل القبلة رواه الامام أحمد وقال هو أحسن ما روى فى الرخصة وان كان مرسلا ولكن هذا الحديث قد طعن فيه البخارى وغيره من أئمة الحديث ولم يثبتوه ولا يقتضى كلام الامام أحمد تثبيته ولا تحسينه قال الترمذى فى كتاب العلل الكبير له سألت أبا عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى عن هذا الحديث فقال هذا حديث فيه اضطراب والصحيح عندى عن عائشة قولها انتهى قلت وله علة أخرى وهى انقطاعه بين عراك وعائشة فانه لم يسمع منها وقد رواه عبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء عن رجل عن عائشة وله علة أخرى وهى ضعف خالد بن أبى الصلت ومن ذلك حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تستقبل القبلة ببول فرأيته قبل ان يقبض بعام يستقبلها وهذا الحديث غربه الترمذى بعد تحسينه وقال الترمذى فى كتاب العلل سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فقال هذا حديث صحيح رواه غير واحد عن ابن اسحق فان كان مراد البخارى صحته عن ابن اسحق لم يدل على صحته فى نفسه وان كان مراده صحته فى نفسه فهى واقعة عين حكمها حكم حديث ابن عمر لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته مستدبر الكعبة وهذا يحتمل وجوها ستة نسخ النهى به وعكسه وتخصيصه به صلى الله عليه وسلم وتخصيصه بالبنيان وأن يكون لعذر اقتضاه لمكان أو غيره وأن يكون بيانا لان النهى ليس على التحريم ولا سبيل الى الجزم بواحد من هذه الوجوه على التعيين وان كان حديث جابر لا يحتمل الوجه الثانى منها فلا سبيل الى ترك أحاديث النهى الصحيحة الصريحة المستفيضة بهذا المحتمل وقول ابن عمر انما نهى عن ذلك فى الصحراء فهم منه لاختصاص النهى بها وليس بحكاية لفظ النهى وهو معارض بفهم أبى أيوب للعموم مع سلامة قول أصحاب العموم من التناقض الذى يلزم المفرقين بين الفضاء والبنيان فانه يقال لهم ما حد الحاجز الذى يجوز ذلك معه فى البنيان ولا سبيل الى ذكر حد فاصل وان جعلوا مطلق البنيان مجوزا لذلك لزمهم جوازه فى الفضاء الذى يحول بين البائل وبينه جبل قريب أو بعيد كنظيره فى البنيان وأيضا فان النهى تكريم لجهة القبلة وذلك لا يختلف بفضاء ولا بنيان وليس مختصا بنفس البيت فكم من جبل وأكمة حائل بين البائل وبين البيت بمثل ما يحول جدران البنيان وأعظم وأما جهة القبلة فلا حائل بين البائل وبينها وعلى الجهة وقع النهى لا على البيت نفسه فتأمله

(فصل) وكان اذا خرج من الخلاء قال غفرانك ويذكر عنه انه كان يقول الحمد لله الذى أذهب عنى الاذى وعافانى ذكره ابن ماجه

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى أذكار الوضوء ثبت عنه انه وضع يديه فى الاناء الذى فيه الماء ثم قال للصحابة توضؤا بسم الله وثبت عنه انه قال لجابر رضى الله عنه ناد بوضوء فجىء بالماء فقال خذ يا جابر فصب على وقل بسم الله قال فصببت عليه وقلت بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه وذكر أحمد عنه من حديث أبى هريرة وسعيد بن زيد وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم

قال ابن اسحق ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ويقال مجاج فيما قال ابن هشام ثم سلك بهما مرجح من ذى العضوين (قال ابن هشام) (٤) ويقال العصوين ثم بطن ذى كشد ثم أخذ بهما على الجداجد ثم على الاجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن اعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد (قال ابن هشام) ويقال العبابيب ويقال العثيانة يريد العبابيب * قال ابن اسحق ثم أجاز بهما الفاجة ويقال القاحة فيما قال ابن هشام (قال ابن هشام) ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له يقال له ابن الرداء الى المدينة وبعث معه غلاما له يقال له مسعود ابن هنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العاير عن يمين ركوبة ويقال ثنية الغاير فيما قال ابن هشام حتى هبط بهما بطن رئم ثم قدم بهم قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عويمر بن ساعدة قال حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك فى أيام حارة حتى اذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع وانا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فصرخ بأعلى صوته يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء قال فخرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنه

لاوضوء

(٤) قوله ويقال العصوين فى نسخة ويقال من ذى العصوين

لاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه وفى أسانيدها لين وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من أسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ذكره مسلم وزاد الترمذى بعد التشهد اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين وزاد الامام أحمد ثم رفع نظره الى السماء وزاد ابن ماجه مع أحمد قول ذلك ثلاث مرات وذكر بقى بن مخلد فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا من توضأ ففرغ من وضوئه ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك طبع عليها بطابع ثم رفعت تحت العرش فلم يكسر الى يوم القيامة ورواه النسائى فى كتابه الكبير من كلام أبى سعيد الخدرى وقال النسائى باب ما يقول بعد فراغه من وضوئه فذكر بعض ما تقدم ثم ذكر باسناد صحيح من حديث أبى موسى الاشعرى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ فسمعته يقول ويدعو اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى فقلت يا نبى الله سمعتك تدعو بكذا وكذا فقال وهل تركت من شئ وقال ابن السنى باب ما يقول بين ظهرانى وضوئه فذكره

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى الاذان وأذكاره ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه سن التأذين بترجيع وغير ترجيع وشرع الاقامة مثنى وفرادى ولكن الذى صح عنه تثنية كلمة الاقامة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه افرادها البتة وكذلك الذى صح عنه تكرار لفظ التكبير فى أول الاذان أربعا ولم يصح عنه الاقتصار على مرتين وأما حديث أمر بلال ان يشفع الاذان ويوتر الاقامة فلا ينافى الشفع بأربع وقد صح التربيع صريحا فى حديث عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وأبى محذورة رضى الله عنهم وأما افراده الاقامة فقد صح عن ابن عمر رضى الله عنهما استثناء كلمة الاقامة فقال انما كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرتين والاقامة مرة مرة غير أن يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفى صحيح البخارى عن أنس أمر بلال ان يشفع الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة وصح فى حديث عبد الله بن زيد وعمر فى الاقامة قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وصح فى حديث أبى محذورة تثنية كلمة الاقامة مع سائر كلمات الاذان وكل هذه الوجوه جائزة مجزية لا كراهة فى شئ منها وان كان بعضها أفضل من بعض فالامام أحمد رحمه الله أخذ باذان بلال واقامته والشافعى رضى الله عنه أخذ باذان أبى محذورة واقامة بلال وأبو حنيفة رضى الله عنه أخذ باذان بلال واقامة أبى محذورة ومالك رضى الله عنه أخذ بما رأى عليه عمل أهل المدينة من الاقتصار على التكبير فى الاذان مرتين وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة رضى الله عنهم كلهم فانهم اجتهدوا فى متابعة السنة

(فصل) واما هديه صلى الله عليه وسلم فى الذكر عند الاذان وبعده فشرع لامته منه خمسة أنواع * أحدها ان يقول السامع كما يقول المؤذن الا فى لفظ حى على الصلاة حى على الفلاح فانه صح عنه ابدالهما بلا حول ولا قوة الا بالله ولم يجئ عنه الجمع بينها وبين حى على الصلاة حى على الفلاح ولا الاقتصار على الحيعلة وهديه صلى الله عليه وسلم الذى صح عنه ابدالهما بالحوقلة وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسامع فان كلمات الاذان ذكر فسن للسامع ان يقولها وكلمة الحيعلة دعاء الى الصلاة لمن سمعه فسن للسامع ان يستعين على هذه الدعوة بكلمة الاعانة وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * الثانى ان يقول رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وأخبر ان من

وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر فاظله بردائه فعرفناه عند ذلك * قال ابن اسحق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون على كلثوم بن هدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا لا أهل له وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقال نزل على سعد بن خيثمة وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة بيت العزاب فالله أعلم أى ذلك كان كلا قد سمعنا ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن اساف احد بنى الحرث ابن الخزرج بالسنح ويقول قائل كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحرث بن الخزرج * وأقام على بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن هدم فكان على بن أبى طالب انما كانت اقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة قال فرأيت انسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيأ معه فتأخذه قال فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيأ لا أدرى ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك قالت هذا سهل بن حنيف بن واهب قد عرف انى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا فكان على يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق * قال ابن اسحق وحدثنى هذا من حديث على رضى الله عنه هند بن سعد بن سهل بن حنيف رضى الله عنه * قال ابن اسحق فأقام رسول الله

[illegible] بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون انه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أى ذلك كان فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى

المسجد الذى فى بطن الوادى وادى (١) رانوناء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة

قال ذلك غفر له ذنبه * الثالث ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من اجابة المؤذن وأكمل ما يصلى عليه به ويصل اليه كما علمه امته ان يصلوا عليه فلا صلاة أكمل عليه منها وان تحذلق المتحذلقون * الرابع ان يقول بعد صلاته عليه اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته انك لا تخلف الميعاد هكذا جاء بهذا اللفظ مقاما محمودا بلا ألف ولا لام هكذا صح عنه * الخامس ان يدعو لنفسه بعد ذلك ويسال الله من فضله فانه يستجاب له كما فى السنن عنه صلى الله عليه وسلم قل كما يقولون يعنى المؤذنين فاذا انتهيت فسل تعطه وذكر الامام أحمد رحمه الله من قال حين ينادى المنادى اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عنه رضاء لا سخط بعده استجاب الله له دعوته وقالت ام سلمة رضى الله عنها علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول عند أذان المغرب اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك فاغفر لى ذكره الترمذى وذكر الحاكم فى المستدرك من حديث أبى امامة يرفعه انه كان اذا سمع الاذان قال اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة والمستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى توفنى عليها واحينى عليها واجعلنى من صالح أهلها عملا يوم القيامة وذكره البيهقى من حديث ابن عمر موقوفا عليه وذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند كلمة الاقامة أقامها الله وأدامها وفى السنن عنه الدعاء لا يرد بين الاذان والاقامة قالوا فما نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة حديث صحيح وفيها عنه ساعتان يفتح الله فيهما أبواب السماء وقلما ترد على داع دعوته عند حضور النداء والصف فى سبيل الله وقد تقدم هديه فى اذكار الصلاة مفصلا والاذكار بعد انقضائها والاذكار فى العيدين والجنائز والكسوف وانه أمر فى الكسوف بالفزع الى ذكر الله تعالى وانه كان يسبح فى صلاتها قائما رافعا يديه يهلل ويكبر ويحمد ويدعو حتى حسر عن الشمس والله أعلم

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فى عشر ذى الحجة ويامر فيه بالاكثار من التهليل والتكبير والتحميد ويذكر عنه انه كان يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة الى العصر من آخر أيام التشريق فيقول الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد وهذا وان كان لا يصح اسناده فالعمل عليه ولفظه هكذا بشفع التكبير وأما كونه ثلاثا فانما روى عن جابر وابن عباس من فعلهما ثلاثا فقط وكلاهما حسن قال الشافعى ان زاد فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله أكبر كان حسنا

(فصل) فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الذكر عند رؤية الهلال يذكر عنه انه كان يقول اللهم أهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله قال الترمذى حديث حسن ويذكر عنه انه كان يقول عند رؤيته الله أكبر اللهم أهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله ذكره الدارمى وذكر أبو داود عن قتادة انه بلغه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات ثم يقول الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا وفى أسانيدها لين يذكر عن أبى داود وهو فى بعض نسخ سننه انه قال ليس فى هذا الباب عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث مسند

فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم ابن عوف فقالوا يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازنت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيله فانطلقت حتى اذا وازنت دار بنى الحرث ابن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحرث بن الخزرج فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار بنى عدى بن النجار وهم اخواله دنيا أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو احدى نسائهم اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبى خارجة فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم الى أخوالك الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيله فانطلقت حتى اذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار ثم من بنى مالك بن النجار وهما فى حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابنى عمرو فلما بركت ورسول

(١) قوله رانوناء ممدودا كعاشوراء وتاسوعاء كما فى المواهب

الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت الى خلفها فرجعت الى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عن المربد

لمن هو فقال له معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجدا فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى مسجدا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بني مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

فارتجز المسلمون وهم يبنونه ويقولون لا عيش الا عيش الآخره

* اللهم فارحم الانصار والمهاجره

(قال ابن هشام) هذا كلام وليس برجز * قال ابن اسحق فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخره اللهم ارحم المهاجرين والانصار فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته بيده وكان رجلا جعدا وهو يقول ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما تقتلك الفئة الباغية وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

(قال ابن هشام) سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا ان علي بن أبي طالب ارتجز به فلا يدرى أهو قائله أم غيره * قال ابن اسحق فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها (قال ابن هشام) فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انما يعرض به فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن ابن اسحق وقد سمى ابن اسحق الرجل * قال ابن اسحق فقال قد سمعت ما تقول منذ

مسند صحيح

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في اذكار الطعام قبله وبعده كان اذا وضع يده في الطعام قال بسم الله ويأمر الآكل بالتسمية ويقول اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فان نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره حديث صحيح والصحيح وجوب التسمية عند الاكل وهو أحد الوجهين لاصحاب أحمد وأحاديث الامر بها صحيحة صريحة ولا معارض لها ولا اجماع يسوغ مخالفتها ويخرجها عن ظاهرها وتاركها شريكه الشيطان في طعامه وشرابه

(فصل وههنا مسألة تدعو الحاجة اليها) وهي أن الآكلين اذا كانوا جماعة فسمى أحدهم هل تزول مشاركة الشيطان لهم في طعامهم بتسميته وحده أم لا تزول الا بتسمية الجميع فنص الشافعي رضي الله عنه على اجزاء تسمية الواحد عن الباقين وجعله أصحابه كرد السلام وتشميت العاطس وقد يقال لا ترتفع مشاركة الشيطان للآكل الا بتسميته هو ولا يكفيه تسمية غيره ولهذا في حديث حذيفة انا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها ثم جاء اعرابي فأخذ بيده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه وانه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الاعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده ان يده لفي يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله وأكل ولو كانت تسمية الواحد تكفي لما وضع الشيطان يده في ذلك الطعام ولكن قد يجاب بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن وضع يده وسمى بعد ولكن الجارية ابتدأت بالوضع بغير تسمية وكذلك الاعرابي فشاركهما الشيطان فمن أين لكم أن الشيطان شارك من لم يسم بعد تسمية غيره فهذا مما يمكن أن يقال لكن قد روى الترمذي وصححه من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل طعاما في ستة من أصحابه فجاء اعرابي فأكل بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه لو سمى لكفاكم ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك الستة سموا فلما جاء هذا الاعرابي فأكل ولم يسم شاركه الشيطان في أكله فأكل الطعام بلقمتين ولو سمى لكفى الجميع وأما مسألة رد السلام وتشميت العاطس ففيها نظر وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل من سمعه أن يشمته وان سلم الحكم فيهما فالفرق بينهما وبين مسألة الاكل ظاهر فان الشيطان انما يتوصل الى مشاركة الآكل في أكله اذا لم يسم فاذا سمى غيره لم تجزه تسمية من لم يسم من مقارنة الشيطان له فيأكل معه بل تقل مشاركة الشيطان بتسمية بعضهم وتبقى الشركة بين من لم يسم وبينه والله أعلم ويذكر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من نسي ان يسمي على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد اذا فرغ وفي ثبوت هذا الحديث نظر وكان اذا رفع الطعام من بين يديه يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا عز وجل ذكره البخاري وربما كان يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وكان يقول الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا وذكر البخاري عنه انه كان يقول الحمد لله الذي كفانا وآوانا وذكر الترمذي عنه انه قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه حديث حسن ويذكر عنه انه كان اذا قرب اليه الطعام قال بسم الله فاذا فرغ من طعامه قال اللهم أطعمت وسقيت

يا ابن سمية والله انى لارانى سأعرض هذه العصا لانفك قال وفى يده عصا قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مالهم ولعمار
يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ان عمارا جلدة ما بين عينى وأنفى فاذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه (قال ابن هشام) وذكر
سفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبي قال ان أول من بنى مسجدا عمار بن ياسر * قال ابن اسحق فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب حتى بنى له مسجده ومساكنه ثم انتقل الى مساكنه من بيت أبى أيوب رحمة الله عليه ورضوانه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم السماعى قال حدثنى أبو أيوب قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له يا نبى الله بأبى أنت وأمى انى لأكره وأعظم ان أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال يا أبا أيوب ان أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا أو ثوما فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أر ليده فيه أثرا قال فجئته فزعا فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك وكنت اذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغى بذلك البركة قال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى فأما أنتم فكلوه قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد
عنه

* قال ابن اسحق وتلاحق المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة منهم أحد الا مفتون أو محبوس ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم الى الله تبارك وتعالى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أهل دور مسمون بنو مظعون من بنى جمح وبنو جحش بن رئاب

وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت واسناده صحيح وفى السنن عنه انه كان يقول اذا فرغ الحمد لله الذى من علينا وهدانا والذى أشبعنا وأروانا وكل الاحسان آتانا حديث حسن وفى السنن عنه أيضا اذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه حديث حسن ويذكر عنه انه كان اذا شرب فى الاناء تنفس ثلاثة أنفاس ويحمد الله فى كل نفس ويشكره فى آخرهن

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) اذا دخل على أهله ربما يسألهم هل عندكم طعام وما عاب طعاما قط بل كان اذا اشتهاه أكله وان كرهه تركه وسكت وربما قال أجدنى أعافه انى لا اشتهيه وكان يمدح الطعام احيانا كقوله لما سأل أهله عن الادام فقالوا ما عندنا الا خل فجعل يأكل منه ويقول نعم الادام الخل وليس فى هذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق وانما هو مدح له فى تلك الحال التى حضر فيها ولو حضر لحم أو لبن كان أولى بالمدح منه وقال هذا جبرا وتطييبا لقلب من قدمه لا تفضيلا له على سائر أنواع الادام وكان اذا قرب اليه طعام وهو صائم قال انى صائم وأمر من قرب اليه الطعام وهو صائم أن يصلى أى يدعو لمن قدمه وان كان مفطرا ان يأكل منه وكان اذا دعى لطعام وتبعه أحد أعلم به رب المنزل وقال ان هذا تبعنا فان شئت ان تأذن له وان شئت رجع وكان يتحدث على طعامه كما تقدم فى حديث الخل وكما قال لربيبه وهو يؤاكله قل بسم الله وكل مما يليك وربما كان يكرر على أضيافه عرض الاكل عليهم مرارا كما يفعله أهل الكرم كما فى حديث أبى هريرة فى قصة شرب اللبن وقوله له مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذى بعثك بالحق نبيا لا أجد له مسلكا وكان اذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم فدعا فى منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم ذكره مسلم ودعا فى منزل سعد بن عبادة فقال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وذكر أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دعاه أبو الهيثم بن التيهان هو وأصحابه فأكلوا فلما فرغوا قال أثيبوا أخاكم قالوا يا رسول الله وما اثابته قال ان الرجل اذا دخل بيته فأكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له فذلك اثابته وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه دخل منزله ليلة فالتمس طعاما فلم يجده فقال اللهم أطعم من أطعمنى واسق من سقانى وذكر عنه ان عمرو بن الحمق سقاه لبنا فقال اللهم أمتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء وكان يدعو لمن يضيف المساكين ويثنى عليهم فقال مرة ألا رجل يضيف هذا رحمه الله وقال للانصارى وامرأته اللذين آثرا بقوتهما وقوت صبيانهما ضيفهما لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة وكان لا يأنف من مؤاكلة أحد صغيرا كان أو كبيرا حرا أو عبدا اعرابيا أو مهاجرا حتى لقد روى أهل السنن عنه انه أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة فقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وكان يأمر بالاكل باليمين وينهى عن الاكل بالشمال ويقول ان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ومقتضى هذا تحريم الاكل بها وهو الصحيح فان الآكل بها اما شيطان واما مشبه به وصح عنه انه قال لرجل أكل عنده فأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فما رفع يده الى فيه بعدها فلو كان ذلك جائزا لما دعا عليه بفعله وان كان كبره حمله على ترك امتثال الامر فذلك أبلغ فى العصيان واستحقاق الدعاء عليه وأمر من شكى اليه انهم لا يشبعون ان يجتمعوا على طعامهم ولا يتفرقوا وان يذكروا اسم الله عليه يبارك لهم فيه وصح

عنه انه قال ان الله ليرضى على العبد يأكل الاكلة يحمده عليها ويشرب الشربة يحمده عليها وروى عنه انه قال أذيبوا طعامكم بذكر الله عز وجل والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأحرى بهذا الحديث أن يكون صحيحا والواقع في التجربة يشهد به

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في السلام والاستئذان وتشميت العاطس ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين ان أفضل الاسلام وخيره اطعام الطعام وان تقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف وفيهما أن آدم عليه الصلاة والسلام لما خلقه الله قال له اذهب الى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم واستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله وفيهما انه صلى الله عليه وسلم أمر بافشاء السلام وأخبرهم انهم اذا أفشوا السلام بينهم تحابوا وانهم لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنون حتى يتحابوا وقال البخاري في صحيحه قال عمار ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق من الاقتار وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه فان الانصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفرة وأداء حقوق الناس كذلك وان لا يطالبهم بما ليس له ولا يحملهم فوق وسعهم ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به ويعفيهم مما يحب أن يعفوه منه ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها ويدخل في هذا انصافه نفسه من نفسه فلا يدعي لها ما ليس لها ولا يخبثها بتدنيسه لها وتصغيره اياها وتحقيرها بمعاصي الله وينميها ويكبرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده وحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه وايثار مرضاته ومحابه على مراضي الخلق ومحابهم ولا يكون بها مع الخلق ولا مع الله بل يعزلها من البين كما عزلها الله ويكون بالله لا بنفسه في حبه وبغضه وعطائه ومنعه وكلامه وسكوته ومدخله ومخرجه فينحي نفسه من البين ولا يرى لها مكانة يعمل عليها فيكون ممن ذمهم الله بقوله اعملوا على مكانتكم فالعبد المحض ليس له مكانة يعمل عليها فانه مستحق المنافع والاعمال لسيده ونفسه ملك له فهو عامل على أن يؤدي الى سيده ما هو مستحق له عليه ليس له مكانة أصلا بل قد كوتب على حقوق منجمة كلما أدى نجما حل عليه نجم آخر ولا يزال المكاتب عبدا ما بقي عليه شيء من نجوم الكتابة والمقصود ان انصافه من نفسه يوجب عليه معرفة ربه وحقه عليه ومعرفة نفسه وما خلقت له وان لا يزاحم بها مالكها وفاطرها ويدعي لها الملكة والاستحقاق ويزاحم مراد سيده ويدفعه بمراده هو أو يقدمه ويؤثره عليه أو يقسم ارادته بين مراد سيده ومراده وهي قسمة ضيزى أو مثل قسمة الذين قالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون فلينظر العبد لا يكون من أهل هذه القسمة بين نفسه وشركائه وبين الله لجهله وظلمه والا لبس عليه لا يشعر فان الانسان خلق ظلوما جهولا فكيف يطلب الانصاف ممن وصفه الظلم والجهل وكيف ينصف الخلق من لم ينصف الخالق كما في أثر الهي يقول الله عز وجل ابن ادم ما أنصفتني خيري اليك نازل وشرك الي صاعد كم أتحبب اليك بالنعم وأنا غني عنك وكم تتبغض الي بالمعاصي وأنت فقير الي ولا يزال الملك الكريم يعرج الي منك بعمل قبيح وفي أثر آخر ابن آدم ما أنصفتني خلقتك وتعبد غيري وأرزقك وتشكر سوائي ثم كيف ينصف غيره من لم ينصف نفسه وظلمها أقبح الظلم وسعى في ضررها أعظم السعي ومنعها أعظم لذاتها من حيث ظن انه يعطيها اياها فأتعبها كل التعب

حلفاء بني أمية و بنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب فان دورهم غلقت بمكة هجرة ليس فيها ساكن ولما خرج بنو جحش ابن رئاب من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة قال بلى قال فذلك لك فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد في دارهم فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس لابي أحمد يا أبا أحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ان ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجل فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لابي سفيان

أبلغ أبا سفيان عن
أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها
تقضي بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب
الناس مجتهد القسامه
اذهب بها اذهب بها
طوقتها طوق الحمامه

(قال ابن اسحق) فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قدمها شهر ربيع الاول الى صفر من السنة الداخلة حتى بني له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له اسلام هذا الحي من الانصار لم يبق دار من دور الانصار الا أسلم أهلها الا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأمية وتلك أوس الله وهم حي من الاوس فانهم اقاموا على شركهم * وكانت اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل أنه قام فيهم فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيأ ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم

وأشقاها كل الشقاء من حيث ظن انه يريحها ويسعدها وجد كل الجد فى حرمانها وحظها من الله وهو يظن انه ينيلها حظوظها ودساها كل التدسية وهو يظن انه يكبرها وينميها وحقرها كل التحقير وهو يظن انه يعظمها فكيف يرجى الانصاف ممن هذا انصافه لنفسه اذا كان هذا فعل العبد بنفسه فماذا تراه بالاجانب يفعل والمقصود أن قول عمار رضى الله عنه ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق من الاقتار كلام جامع لاصول الخير وفروعه وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وانه لا يتكبر على أحد بل يبذل السلام للصغير والكبير والشريف والوضيع ومن يعرفه ومن لا يعرفه والمتكبر ضد هذا فانه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبرا منه وتيها فكيف يبذل السلام لكل أحد وأما الانفاق من الاقتار فلا يصدر الا عن قوة ثقة بالله وان الله يخلفه ما أنفقه وعن قوة يقين وتوكل ورحمة وزهد فى الدنيا وسخاء نفس بها ووثوق بوعد من وعده مغفرة منه وفضلا وتكذيبا بوعد من يعده الفقر ويأمره بالفحشاء والله المستعان

(فصل وثبت عنه صلى الله عليه وسلم) انه مر بصبيان فسلم عليهم ذكره مسلم وذكر الترمذى فى جامعه عنه صلى الله عليه وسلم مر يوما بجماعة نسوة فألوى بيده بالتسليم وقال أبو داود عن أسماء بنت يزيد مر علينا النبى صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا وهى رواية حديث الترمذى والظاهر ان القصة واحدة وانه سلم عليهن بيده وفى صحيح البخارى ان الصحابة كانوا ينصرفون من الجمعة فيمرون على عجوز فى طريقهم فيسلمون عليها فتقدم لهم طعاما من أصول السلق والشعير وهذا هو الصواب فى مسألة السلام على النساء يسلم على العجوز وذوات المحارم دون غيرهن

(فصل) وثبت عنه فى صحيح البخارى وغيره تسليم الصغير على الكبير والمار على القاعد والراكب على الماشى والقليل على الكثير وفى جامع الترمذى عنه يسلم الماشى على القائم وفى مسند البزار عنه يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والماشيان أيهما بدأ فهو أفضل وفى سنن أبى داود عنه ان أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام وكان من هديه صلى الله عليه وسلم السلام عند المجىء الى القوم والسلام عند الانصراف عنهم وثبت عنه انه قال اذا قعد أحدكم فليسلم واذا قام فليسلم وليست الاولى أحق من الآخرة وذكر أبو داود عنه اذا لقى أحدكم صاحبه فليسلم عليه فان حال بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه أيضا وقال أنس كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتماشون فاذا لقيهم شجرة أو أكمة تفرقوا يمينا وشمالا واذا التقوا من ورائها سلم بعضهم على بعض * ومن هديه صلى الله عليه وسلم ان الداخل الى المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد ثم يجىء فيسلم على القوم فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله فان تلك حق الله تعالى والسلام على الخلق هو حق لهم وحق الله فى مثل هذا أحق بالتقديم بخلاف الحقوق المالية فان فيها نزاعا معروفا والفرق بينهما حاجة الآدمى وعدم اتساع الحق المالى لاداء الحقين بخلاف السلام وكانت عادة القوم معه هكذا يدخل أحدهم المسجد فيصلى ركعتين ثم يجىء فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا فى حديث رفاعة بن رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد يوما قال رفاعة ونحن معه اذ جاء رجل كالبدوى فصلى فأخف صلاته ثم انصرف فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم وعليك فارجع فصل فانك لم تصل وذكر الحديث فانكر عليه

صلاته

يعد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته * قال ابن اسحق ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى فقال ان الحمد لله احمده واستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس انه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سماه الله خيرته من الاعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم * قال ابن اسحق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم عليهم وشرط واشترط لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف

صلاته ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه صلى الله عليه وسلم الى ما بعد الصلاة وعلى هذا فيسن لداخل المسجد اذا كان فيه جماعة ثلاث تحيات مترتبة أحدها أن يقول عند دخوله بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ثم يصلي ركعتين تحية المسجد ثم يسلم على القوم

(فصل) وكان اذا دخل على أهله بالليل يسلم تسليما لا يوقظ النائم ويسمع اليقظان ذكره مسلم

(فصل) وذكر الترمذى عنه عليه السلام السلام قبل الكلام وفي لفظ آخر لا تدعوا أحدا الى الطعام حتى يسلم وهذا وان كان اسناده وما قبله ضعيفا فالعمل عليه وقد روى أبو أحمد باسناد احسن منه من حديث عبد العزيز بن أبي داود عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه ويذكر عنه أنه كان لا يأذن لمن لم يبدأ بالسلام ويذكر عنه لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام وأجود منها ما رواه الترمذى عن كلدة بن حنبل أن صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبأ وضغابيس الى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى الوادى قال فدخلت عليه ولم أسلم ولم استأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل قال هذا حديث حسن غريب وكان اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر فيقول السلام عليكم السلام عليكم

(فصل) وكان يسلم بنفسه على من يواجهه ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه ويتحمل السلام لمن يبلغه اليه كما تحمل السلام من الله عز وجل على صديقة النساء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها لما قال له جبريل هذه خديجة قد أتتك بطعام فاقرأها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة وقال للصديقة الثانية بنت الصديق عائشة رضى الله عنها هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا نرى

(فصل) وكان هديه انتهاء السلام الى وبركاته فذكر النسائى عنه أن رجلا جاء فقال السلام عليك فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال عشرة ثم جلس ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال عشرون ثم جلس وجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلاثون رواه النسائى والترمذى من حديث عمران بن حصين وحسنه وذكر أبو داود من حديث معاذ بن أنس وزاد فيه ثم أتى آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال أربعون فقال هكذا تكون الفضائل ولا يثبت هذا الحديث فان له ثلاث علل * احداها أنه من رواية أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون ولا يحتج به * الثانية أن فيه أيضا سهل بن معاذ وهو أيضا كذلك * الثالثة أن سعيد بن أبي مريم أحد رواته لم يجزم بالرواية بل قال أظن انى سمعت نافع بن يزيد وأضعف من هذا الحديث الآخر عن أنس كان رجل يمر بالنبي صلى الله عليه وسلم يقول السلام عليك يا رسول الله فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقيل له يا رسول الله تسلم على هذا سلاما ما تسلمه على أحد من أصحابك فقال وما يمنعني من ذلك وهو ينصرف بأجر بضعة عشر رجلا وكان يرعى على أصحابه

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) أن يسلم ثلاثا كما في صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه واذا أتى على قوم

والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل (قال ابن هشام) المفرح المثقل من الدين الكثير والعيال قال الشاعر

اذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة
وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الا أن يرضى ولى المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فانه (1) لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته وان ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى

(1) قوله لا يوتغ أى لا يهلك

فسلم عليهم سلم ثلاثا حتى يفهم ولعل هذا كان هديه فى السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد أو هديه فى اسماع السلام الثانى والثالث ان ظن أن الاول لم يحصل به الاسماع كما سلم لما انتهى الى منزل سعد بن عبادة ثلاثا فلما لم يجبه أحد رجع والا فلو كان هديه الدائم التسليم ثلاثا لكان أصحابه يسلمون عليه كذلك وكان يسلم على كل من لقيه ثلاثا واذا دخل بيته ثلاثا ومن تأمل هديه علم أن الامر ليس كذلك وان تكرار السلام كان منه أمرا عارضا فى بعض الاحيان والله أعلم

(فصل) وكان يبدأ من لقيه بالسلام واذا سلم عليه أحد رد عليه مثل تحيته أو أفضل منها على الفور من غير تأخير الا لعذر مثل حالة الصلاة وحالة قضاء الحاجة وكان يسمع المسلم رده عليه ولم يكن يرد بيده ولا رأسه ولا اصبعه الا فى الصلاة فانه كان يرد على من سلم عليه اشارة ثبت ذلك عنه فى عدة أحاديث ولم يجئ عنه ما يعارضها الا بشئ باطل لا يصح عنه كحديث يرويه أبو غطفان رجل مجهول عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من أشار فى صلاته اشارة تفهم عنه فليعد صلاته قال الدارقطنى قال لنا أبو داود أبو غطفان هذا رجل مجهول والصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يشير فى الصلاة رواه أنس وجابر وغيرهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(فصل) وكان هديه فى ابتداء السلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وكان يكره أن يقول المبتدئ عليك السلام قال أبو جرى الهجيمى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام يا رسول الله فقال لا تقل عليك السلام لان عليك السلام تحية الموتى حديث صحيح وقد اشكل هذا الحديث على طائفة وظنوه معارضا لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى السلام على الاموات بلفظ السلام عليكم بتقديم السلام فظنوا أن قوله فان عليك السلام تحية الموتى اخبار عن المشروع وغلطوا فى ذلك غلطا أوجب لهم ظن التعارض وانما معنى قوله فان عليك السلام تحية الموتى اخبار عن الواقع لا المشروع أى ان الشعراء وغيرهم يحيون الموتى بهذه اللفظة كقول قائلهم

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فكره النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيا بتحية الاموات ومن كراهته لذلك لم يرد على المسلم وكان يرد على المسلم وعليك السلام بالواو وبتقديم عليك على لفظ السلام وتكلم الناس ههنا فى مسألة وهى لو حذف الراد الواو فقال عليك السلام يكون ردا صحيحا فقالت طائفة منهم المتولى وغيره لا يكون جوابا ولا يسقط به فرض الرد لانه مخالف لسنة الرد ولانه لا يعلم هل هو رد أو ابتداء تحية فان صورته صالحة لهما ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم فهذا تنبيه منه على وجوب الواو فى الرد على أهل الاسلام فان الواو فى مثل هذا الكلام تقتضى تقرير الاول واثبات الثانى فاذا أمر بالواو فى الرد على أهل الكتاب الذين يقولون السام عليكم فقال اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم فذكرها فى الرد على المسلمين أولى وأحرى وذهبت طائفة أخرى الى أن ذلك رد صحيح كما لو كان بالواو ونص عليه الشافعى رحمه الله فى كتابه الكبير واحتج لهذا القول بقوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام أى سلام عليكم لا بد من هذا ولكن حسن الحذف فى الرد لاجل الحذف فى الابتداء واحتجوا بما فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم

الحرث مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى الاوس مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وان لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف وان البر دون الاثم وان موالى ثعلبة كأنفسهم وان بطانة يهود كأنفسهم وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينحجز على ثار جرح وانه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته الا من ظلم وان الله على أبر هذا وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وانه لم يأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره وانه لا تجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وان يهود الاوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة (قال ابن هشام) ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة * قال ابن اسحق وان البر دون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه وان الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو اثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل تآخوا فى الله

على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك فانه تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه تحيته وتحية ذريته قالوا ولان المسلم عليه مأمور ان يحيي المسلم بمثل تحيته عدلا وأحسن منها فضلا فاذا رد عليه بمثل سلامه كان قد أتى بالعدل وأما قوله اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم فهذا الحديث قد اختلف فى لفظة الواو فيه فروى على ثلاثة أوجه * أحدها بالواو وقال أبو داود كذلك رواه مالك عن عبد الله بن دينار ورواه الثورى عن عبد الله بن دينار فقال فيه فعليكم وحديث سفيان فى الصحيحين ورواه النسائى من حديث ابن عيينة عن عبد الله بن دينار باسقاط الواو وفى لفظ لمسلم والنسائى فقل عليك بغير واو وقال الخطابى عامة المحدثين يروونه وعليكم بالواو وكان سفيان بن عيينة يرويه عليكم بحذف الواو وهو الصواب وذلك أنه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه بعينه مردودا عليهم وبادخال الواو يقع الاشتراك معهم والدخول فيما قالوا لان الواو حرف للعطف والاجتماع بين الشيئين انتهى كلامه وما ذكره من أمر الواو ليس بمشكل فان السام الاكثرون على انه الموت والمسلم والمسلم عليه مشتركون فيه فيكون فى الاتيان بالواو بيان لعدم الاختصاص واثبات المشاركة وفى حذفها اشعار بان المسلم أحق به وأولى من المسلم عليه وعلى هذا فيكون الاتيان بالواو هو الصواب وهو أحسن من حذفها كما رواه مالك وغيره ولكن قد فسر السام بالسآمة وهى الملالة وسآمة الدين قالوا وعلى هذا فالوجه حذف الواو ولابد ولكن هذا خلاف المعروف من هذه اللفظة فى اللغة ولهذا فى الحديث ان الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام ولا يختلفون أنه الموت وقد ذهب بعض المتحذلقين الى أنه يرد عليهم السلام بكسر السين وهى الحجارة جمع سلمة ورد هذا الرد متعين

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى السلام على أهل الكتاب صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤهم بالسلام واذا لقيتموهم فى الطريق فاضطروهم الى أضيق الطريق لكن قد قيل ان هذا كان فى قضية خاصة لما سار الى بنى قريظة قال لا تبدؤهم بالسلام فهل هذا حكم عام لاهل الذمة مطلقا أو يختص بمن كانت حاله بمثل حال أولئك هذا موضع نظر ولكن قد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروهم الى أضيقه والظاهر ان هذا حكم عام وقد اختلف السلف والخلف فى ذلك فقال أكثرهم لا يبدؤن بالسلام وذهب آخرون الى جواز ابتدائهم كما يرد عليهم روى ذلك عن ابن عباس وأبى أمامة وأبى محيريز وهو وجه فى مذهب الشافعى رحمه الله لكن صاحب هذا الوجه قال يقال له السلام عليك فقط بدون ذكر الرحمة وبلفظ الافراد وقالت طائفة يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون له اليه أو خوف من أذاه أو لقرابة بينهما أو لسبب يقتضى ذلك يروى ذلك عن ابراهيم النخعى وعلقمة وقال الاوزاعى ان سلمت فقد سلم الصالحون وان تركت فقد ترك الصالحون واختلفوا فى وجوب الرد عليهم فالجمهور على وجوبه وهو الصواب وقالت طائفة لا يجب الرد عليهم كما لا يجب على أهل البدع وأولى والصواب الاول والفرق انا مامورون بهجر أهل البدع تعزيرا لهم وتحذيرا منهم بخلاف أهل الذمة

(فصل وثبت عنه صلى الله عليه وسلم) أنه مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين وعبدة

أخوين ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال هذا أخى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه اخوين * وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت * وجعفر ابن أبى طالب ذو الجناحين الطيار فى الجنة ومعاذ بن جبل أخو بنى سلمة أخوين (قال ابن هشام) وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بارض الحبشة * قال ابن اسحق وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابن أبى قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحرث بن الخزرج اخوين * وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبان بن مالك أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج اخوين * وأبو عبيدة ابن عبد الله بن الجراح واسمه عامر ابن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بنى عبد الاشهل اخوين * وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخو بلحرث بن الخزرج اخوين * والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة بن وقش أخو بنى عبد الاشهل أخوين ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة أخوين * وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخو بنى النجار أخوين * وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخو بنى سلمة أخوين * وسعد بن زيد بن عمرو ابن نفيل وأبى بن كعب أخو بنى النجار أخوين * ومصعب بن عمير ابن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار أخوين * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة * وعباد بن بشر بن وقش أخو بنى عبد الاشهل أخوين * وعمار ابن ياسر حليف بنى مخزوم وحذيفة بن اليمان أخو بنى عبد عبس حليف بنى عبد الاشهل أخوين ويقال بل ثابت بن قيس بن الشماس أخو بلحرث بن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار بن ياسر أخوين * وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفارى والمنذر بن عمرو

الاوثان واليهود فسلم عليهم وصح عنه أنه كتب الى هرقل وغيره بالسلام على من اتبع الهدى

(فصل ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم) أنه قال يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم فذهب الى هذا الحديث من قال ان الرد فرض كفاية يقوم فيه الواحد مقام الجميع لكن ما أحسنه لو كان ثابتا فان هذا الحديث رواه أبو داود من رواية سعيد بن خالد الخزاعي المدلجي قال أبو زرعة الرازي مدني ضعيف وقال أبو حاتم الرازي ضعيف الحديث وقال البخاري فيه نظر وقال الدارقطني ليس بالقوي

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) اذا بلغه أحد السلام عن غيره أن يرد عليه وعلى المبلغ كما في السنن أن رجلا قال له ان أبي يقرئك السلام فقال له عليك وعلى أبيك السلام وكان من هديه ترك السلام ابتداء وردا على من أحدث حدثا حتى يتوب منه كما هجر كعب بن مالك وصاحبيه وكان كعب يسلم عليه ولا يدري هل حرك شفتيه برد السلام عليه أم لا وسلم عليه عمار بن ياسر وقد خلقه أهله بزعفران فلم يرد عليه فقال اذهب فاغسل هذا عنك وهجر زينب شهرين وبعض الثالث لما قال لها أعطي صفية ظهرا لما اعتل بعيرها فقالت أنا أعطي تلك اليهودية ذكرهما أبو داود

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في الاستئذان وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجع وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال انما جعل الاستئذان من أجل البصر وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أراد أن يفقأ عين الذي نظر اليه من جحر في حجرته وقال انما جعل الاستئذان من أجل البصر وصح عنه أنه قال لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح وصح عنه أنه قال من اطلع على قوم في بيتهم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقؤا عينه وصح عنه أنه قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤا عينه فلا دية له ولا قصاص وصح عنه التسليم قبل الاستئذان فعلا وتعليما واستأذن عليه رجل فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقال له قل السلام عليكم أأدخل فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ولما استأذن عليه عمر رضي الله عنه وهو في مشربة مولياً من نسائه قال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أيدخل عمر وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم لكلدة بن حنبل لما دخل عليه ولم يسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل وفي هذه السنن رد على من قال يقدم الاستئذان على السلام ورد على من قال ان وقعت عينه على صاحب المنزل قبل دخوله بدأ بالسلام وان لم تقع عينه عليه بدأ بالاستئذان والقولان مخالفان للسنة وكان من هديه صلى الله عليه وسلم اذا استأذن ثلاثا ولم يؤذن له انصرف وهو رد على من يقول ان ظن انهم لم يسمعوا زاد على الثلاث ورد على من قال يعيده بلفظ آخر والقولان مخالفان للسنة

(فصل) فمن هديه ان المستأذن اذا قيل له من أنت يقول فلان بن فلان أو يذكر كنيته أو لقبه ولا يقول انا كما قال جبريل للملائكة لما استفتح باب السماء فسألوه من فقال جبريل واستمر ذلك في كل سماء وكذلك في الصحيحين لما جلس النبي صلى الله عليه وسلم في البستان وجاء أبو بكر رضي الله عنه فاستأذن فقال من قال أبو بكر ثم جاء عمر فاستأذن فقال من قال عمر ثم عثمان كذلك وفي الصحيحين عن جابر أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدققت الباب فقال من ذا فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهها ولما

استأذنت

لبني الحرث أخوين بني ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين (قال ابن هشام) وسمعت غير واحد من العلماء يقول أبو ذر جندب بن جنادة * قال ابن اسحق وكان حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة أخوين بني عمرو بن عوف أخوين * وسلمان الفارسي وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة أخو بلحرث بن الخزرج أخوين (قال ابن هشام) عويمر بن عامر ويقال عويمر بن زيد * قال ابن اسحق وبلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع أخوين فهؤلاء ممن سمي لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا فقال عمر لبلال الى من تجعل ديوانك يا بلال قال مع أبي رويحة لا أفارقه أبدا للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني فضم اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم فهو في خثعم الى هذا اليوم بالشام * قال ابن اسحق وهلك في تلك الاشهر أبو امامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بئس الميت أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيأ * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري انه لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة اجتمعت بنو النجار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو امامة نقيبهم فقالوا له يا رسول الله ان هذا قد كان منا حيث قد علمت فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض وكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم

(خبر الاذان)

قال ابن اسحق فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الانصار استحكم أمر الاسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها ان يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة فبيناهم على ذلك اذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحرث بن الخزرج النداء فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله انه طاف بي هذه الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت له ياعبد الله أتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قال قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك قال قلت وما هو قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول يانبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد على ذلك * قال ابن اسحق حدثني بهذا الحديث محمد بن ابراهيم بن الحرث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه (قال ابن هشام) وذكر ابن جريج قال قال لي عطاء سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة فبينا عمر بن الخطاب يريد ان يشتري خشبتين للناقوس اذ رأى عمر بن الخطاب في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة فذهب عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره

استأذنت أم هانئ قال لها من هذه قالت أم هانئ فلم يكره ذكرها الكنية وكذلك لما قال لابي ذر من هذا قال أبو ذر وكذلك لما قال لابي قتادة من هذا قال أبو قتادة

(فصل وقد روى أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم) من حديث قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رسول الرجل الى الرجل اذنه وفي لفظ اذا دعي أحدكم الى طعام ثم جاء مع الرسول فان ذلك اذن له وهذا الحديث فيه مقال قال أبو علي اللؤلؤي سمعت أبا داود يقول قتادة لم يسمع من أبي رافع وقال البخاري في صحيحه وقال سعيد عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو اذنه فذكره تعليقا لاجل الانقطاع في اسناده وذكر البخاري في هذا الباب حديثا يدل على أن اعتبار الاستئذان بعد الدعوة وهو حديث مجاهد عن أبي هريرة دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت لبنا في قدح فقال اذهب الى أهل الصفة فادعهم الي قال فأتيتهم فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فادخلهم فدخلوا وقد قالت طائفة بان الحديثين على حالين فان جاء الداعي على الفور من غير تراخ لم يحتج الى استئذان وان تراخى مجيئه عن الدعوة وطال الوقت احتاج الى استئذان وقال آخرون ان كان عند الداعي من قد أذن له قبل مجيء المدعو لم يحتج الى استئذان آخر وان لم يكن عنده من قد أذن له لم يدخل حتى يستأذن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل الى مكان يحب الانفراد فيه أمر من يمسك الباب فلم يدخل عليه أحد الا باذن

(فصل) وأما الاستئذان الذي أمر الله به المماليك ومن لم يبلغ الحلم في العورات الثلاث قبل الفجر ووقت الظهيرة وعند النوم فكان ابن عباس يأمر به ويقول ترك الناس العمل بها فقالت طائفة الآية منسوخة ولم تأت بحجة وقالت طائفة أمر ندب وارشاد لاحتم وايجاب وليس معها مايدل على صرف الامر عن ظاهره وقالت طائفة المأمور بذلك النساء خاصة وأما الرجال فيستأذنون في جميع الاوقات وهذا ظاهر البطلان فان جمع الذين لا يختص به المؤنث وان جاز اطلاقه عليهن مع الذكور تغليبا وقالت طائفة عكس هذا ان المأمور بذلك الرجال دون النساء نظرا الى لفظ الذين في الموضعين ولكن سياق الآية يأباه فتامله وقالت طائفة كان الامر بالاستئذان ذلك الوقت للحاجة ثم زالت والحكم اذا ثبت بعلة زال بزوالها فروى أبو داود في سننه أن نفرا من أهل العراق قالوا لابن عباس يا ابن عباس كيف ترى هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ولا يعمل بها أحد يا أيها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حكيم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد وقد أنكر بعضهم ثبوت هذا عن ابن عباس وطعن في عكرمة ولم يصنع شيأ وطعن في عمرو بن أبي عمرو وقد احتج به صاحبا الصحيح فانكار هذا تعنت واستبعاد لاوجه له وقالت طائفة الآية محكمة عامة لامعارض لها ولادافع والعمل بها واجب وان تركه أكثر الناس والصحيح انه ان كان هناك مايقوم مقام الاستئذان من فتح باب فتحه دليل على الدخول أو رفع ستر أو تردد الداخل والخارج ونحوه أغنى ذلك عن الاستئذان وان لم يكن مايقوم مقامه فلابد منه والحكم معلل بعلة قد أشارت اليها الآية فاذا وجدت وجد الحكم واذا انتفت انتفى والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في اذكار العطاس ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا تثاءب ضحك منه الشيطان ذكره البخاري وثبت عنه في صحيحه اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فاذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم وفي الصحيحين أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشمته عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني فقال هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله وثبت عنه في صحيح مسلم اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه وثبت عنه في صحيح مسلم واذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه وثبت عنه في صحيحه حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فاجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس وحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه وروى أبو داود عنه باسناد صحيح اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم وروى الترمذي أن رجلا عطس عند ابن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال وذكر مالك عن نافع عن ابن عمر اذا عطس أحدكم فقيل له يرحمك الله فيقول يرحمنا الله واياكم ويغفر لنا ولكم فظاهر الحديث المبدوء به ان التشميت فرض عين على كل من سمع العاطس يحمد الله ولا يجزئ تشميت الواحد عنهم وهذا أحد قولي العلماء واختاره ابن أبي زيد وابن العربي المالكي ولا دافع له وقد روى أبو داود أن رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام وعلى أمك ثم قال اذا عطس أحدكم فليحمد الله قال وذكر بعض المحامد وليقل له من عنده يرحمك الله وليرد يعني عليهم يغفر الله لنا ولكم وفي السلام على أم هذا المسلم نكتة لطيفة وهي اشعاره بان سلامه قد وقع في غير موقعه اللائق به كما وقع هذا السلام على أمه فكما ان هذا سلامه في غير موضعه فهكذا سلامه هو ونكتة أخرى ألطف منها وهي تذكيره بامه ونسبته اليها فكأنه أمي محض منسوب الى الام باق على تربيتها لم تربه الرجال وهذا أحد الاقوال في الامي انه الباقي على نسبته الى الام وأما النبي الامي فهو الذي لا يحسن الكتابة ولا يقرأ الكتاب وأما الامي الذي لا تصح الصلاة خلفه فهو الذي لا يصحح الفاتحة ولو كان عالما بعلوم كثيرة ونظير ذكر الام ههنا ذكر هن الاب لمن تعزى بعزاء الجاهلية فيقال له اعضض هن أبيك وكان ذكر هن الاب ههنا أحسن تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية بالعضو الذي خرج منه وهو هن أبيه فلا ينبغي له أن يتعدى طوره كما ان ذكر الام ههنا أحسن تذكيرا له بانه باق على أميته والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم وأما العاطس فقد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الابخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيأتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الارض لها ولهذا يقال سمته بالسين والشين فقيل هما بمعنى واحد قاله أبو عبيدة وغيره قال وكل داع بخير فهو مشمت ومسمت وقيل بالمهملة دعاء له بحسن السمت وعوده الى حالته من السكون والدعة فان العاطس يحدث

قال اللهم اني أحمدك واستعينك على قريش ان يقيموا على دينك قالت ثم يؤذن قالت والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة * قال ابن اسحق فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره وأظهر الله بها دينه وسره بما جمع اليه من المهاجرين والانصار من أهل ولايته قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني عدي بن النجار (قال ابن هشام) أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدي ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار * قال ابن اسحق وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا تدخله عليه فيه طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وكان قوالا بالحق معظما لله عز وجل في جاهليته يقول أشعارا في ذلك حسانا وهو الذي يقول

يقول أبو قيس وأصبح غاديا
ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
أوصيكم بالله والبر والتقى
وأعراضكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وان كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وان نزلت احدى الدواهي بقومكم
فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان ناب غرم فادح فارفقوهم * وما حملوكم في الملمات فاحملوا
وان أنتم أمعرتم فتعففوا * وان كان فضل الخير فيكم فأفضلوا (قال ابن هشام) ويروى وان ناب أمر فادح فارفدوهم * قال ابن اسحق وقال أبو قيس صرمة أيضا سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال عالم السر والبيان لدينا * ليس ما قال ربنا بضلال

وله الطير تستريد وتأوى * فى وكور من آمنات الجبال   وله الوحش بالفلاة تراها * فى حقاف وفى ظلال الرمال   وله هودت يهود
ودانت * كل دين اذا ذكرت عضال   وله شمس النصارى وقاموا * كل عيد لربهم واحتفال   وله الراهب الحبيس تراه رهن بؤس
وكان ناعم بال   يابنى الارحام لا تقطعوها * وصلوها قصيرة من طوال   واتقوا الله فى ضعاف اليتامى * ربما يستحل غير الحلال

يحدث فى الاعضاء حركة وانزعاجا بالمحمة دعاء له بان يصرف الله عنه ما يشمت به اعداؤه فشمته اذا أزال عنه الشماتة كقرد البعير اذا أزال قراده عنه وقيل هو دعاء له بثباته على قوائمه فى طاعة الله مأخوذ من الشوامت وهى القوائم وقيل هو تشميت له بالشيطان لاغاظته بحمد الله له على نعمة العطاس وما حصل له به من محاب الله فان الله يحبه فاذا ذكر العبد الله وحمده ساء ذلك الشيطان من وجوه * منها نفس العطاس الذى يحبه الله وحمد الله عليه ودعاء المسلمين له بالرحمة ودعاؤه لهم بالهداية واصلاح البال وذلك كله غائظ للشيطان محزن له فتشميت المؤمن بغيظ عدوه وحزنه وكآبته فسمى الدعاء له بالرحمة تشميتا له لما فى ضمنه من شماتته بعدوه وهذا معنى لطيف اذا تنبه له العاطس والمشمت انتفعا به وعظمت عندهما منفعة نعمة العطاس فى البدن والقلب وتبين السر فى محبة الله له فلله الحمد الذى هو أهله كما ينبغى لكريم وجهه وعز جلاله

﴿فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم﴾ فى العطاس ما ذكره أبو داود عن أبى هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض به صوته قال الترمذى حديث صحيح ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أن التثاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان ويذكر عنه أن الله يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس وصح عنه أنه عطس عنده رجل فقال له يرحمك الله ثم عطس أخرى فقال الرجل مزكوم هذا لفظ مسلم انه قال فى المرة الثانية وأما الترمذى فقال فيه عن سلمة عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله ثم عطس أخرى والثالثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل مزكوم قال هذا حديث حسن صحيح وقد روى أبو داود عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة موقوفا عليه شمت أخاك ثلاثا فما زاد فهو زكام وفى رواية عن سعيد قال لا أعلمه الا أنه رفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه قال أبو داود رواه أبو نعيم عن موسى بن قيس عن محمد بن عجلان عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى وموسى بن قيس هذا الذى رفعه يعرف بعصفور الجنة كوفى قال يحيى بن معين ثقة وقال أبو حاتم الرازى لا بأس به وذكر أبو داود عن عبيد بن رفاعة الزرقى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تشميت العاطس ثلاثا فان شئت فشمته وان شئت فكف ولكن له علتان * احداهما ارساله فان عبيدا هذا ليست له صحبة * والثانية ان فيه يزيد بن عبد الرحمن الدالانى وقد تكلم فيه وفى الباب حديث آخر عن أبى هريرة يرفعه اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فان زاد على الثلاثة فهو مزكوم ولا تشمته بعد الثلاث وهذا الحديث هو حديث أبى داود الذى قال فيه رواه أبو نعيم عن موسى بن قيس عن محمد بن عجلان عن سعيد عن أبى هريرة وهو حديث حسن فان قيل اذا كان الذى به زكام فهو أولى أن يدعى له ممن لا علة به قيل يدعى له كما يدعى للمريض ومن به داء ووجع وأما سنة العطاس الذى يحبه الله وهو نعمة ويدل على خفة البدن وخروج الابخرة المحتقنة فانما يكون الى تمام الثلاث وما زاد عليها يدعى لصاحبه بالعافية وقوله فى هذا الحديث الرجل مزكوم تنبيه على الدعاء له بالعافية لان الزكمة علة وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث وفيه تنبيه على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها فيصعب أمرها فكلامه صلى الله عليه وسلم كله حكمة ورحمة وعلم وهدى وقد اختلف الناس فى مسألتين * احداهما ان العاطس اذا حمد الله فسمعه بعض الحاضرين دون بعض هل يسن

واعلموا ان لليتيم وليا
عالما يهتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
ان مال اليتيم يرعاه والى
يابنى التخوم لا تخزلوها
ان خزل التخوم ذو عقال
يابنى الايام لا تأمنوها
واحذروا مكرها ومر الليالى
واعلموا ان مرها لنفاد الخلـ
ق ما كان من جديد وبالى
واجمعوا أمركم على البر والتقـ
وى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال أبو قيس صرمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الاسلام وما خصهم الله به من نزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمأنت به النوى
وكان له عونا من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه
وما قال موسى اذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحدا
قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الاموال من حل مالنا
وانفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لا شئ غيره * ونعلم أن الله أفضل هاديا   نعادى الذى عادى من الناس كلهم * جميعا وان كان الحبيب المصافيا
أقول اذا أدعوك فى كل بيعة * تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا   أقول اذا جاوزت أرضا مخوفة * حنانيك لا تظهر على الاعاديا
فطأ معرضا ان الحتوف كثيرة * وانك لا تبقى لنفسك باقيا   فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا

لمن لم يسمعه تشميته فيه قولان والاظهر انه يشمته اذا تحقق أنه حمد الله وليس المقصود سماع المشمت للحمد وانما المقصود نفس حمده فمتى تحقق ترتب عليه التشميت كما لو كان المشمت أخرس ورأى حركة شفتيه بالحمد والنبي صلى الله عليه وسلم قال فان حمد الله فشمتوه وهذا هو الصواب * الثانية اذا ترك الحمد فهل يستحب لمن حضره أن يذكره الحمد قال ابن العربي لا يذكره قال وهذا جهل من فاعله وقال النووي اخطأ من زعم ذلك بل يذكره وهو مروي عن ابراهيم النخعي قال وهو من باب النصيحة والامر بالمعروف والتعاون على البر والتقوى وظاهر السنة يقوي قول ابن العربي لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشمت الذي عطس ولم يحمد الله ولم يذكره وهذا تعزير له وحرمان لبركة الدعاء لما حرم نفسه بركة الحمد فنسي الله فصرف قلوب المؤمنين وألسنتهم عن تشميته والدعاء له ولو كان تذكيره سنة لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بفعلها وتعليمها والاعانة عليها

(فصل وصح عنه صلى الله عليه وسلم) أن اليهود كانوا يتعاطسون عنده يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله فيقول لهم يهديكم الله ويصلح بالكم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في اذكار السفر وآدابه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه وان كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعاشي وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته رواه البخاري فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بهذا الدعاء عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستقسام بالازلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها اخوان المشركين يطلبون بها علم ما قسم لهم في الغيب ولهذا سمي ذلك استقساما وهو استفعال من القسم والسين فيه للطلب وعوضهم بهذا الدعاء الذي هو توحيد وافتقار وعبودية وتوكل وسؤال لمن بيده الخير كله الذي لا يأتي بالحسنات الا هو ولا يصرف السيئات الا هو الذي اذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه واذا أمسكها لم يستطع أحد ارسالها اليه من التطير والتنجيم واختيار الطالع ونحوه فهذا الدعاء هو الطالع الميمون السعيد طالع أهل السعادة والتوفيق الذين سبقت لهم من الله الحسنى لا طالع أهل الشرك والشقاء والخذلان الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون فتضمن هذا الدعاء الاقرار بوجوده سبحانه والاقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والارادة والاقرار بربوبيته وتفويض الامر اليه والاستعانة به والتوكل عليه والخروج من عهدة نفسه والتبري من الحول والقوة الا به واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها وارادته لها وان ذلك كله بيد وليه وفاطره والهه الحق وفي مسند الامام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه بما قضى الله وان من شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله فتأمل كيف وقع المقدور مكتنفا بامرين التوكل الذي هو مضمون الاستخارة قبله والرضى بما يقضي الله له بعده وهما عنوان السعادة وعنوان الشقاء أن يكتنفه ترك التوكل والاستخارة قبله والسخط بعده والتوكل قبل القضاء فاذا أبرم القضاء وتم انتقلت العبودية الى الرضا بعده كما في المسند وزاد النسائي في الدعاء المشهور

وأسألك

ويدخل ... المحروم * اذا أصبحن ... واصبح نازيا (قال ابن هشام) البيت الاخير أوله ... معرضا ان الحتوف كثيرة والبيت الذي يليه فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي لا فنون التغلبي وهو صريم بن معشر في أبيات له * قال ابن اسحق ونصبت عند ذلك احبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم وأضاف اليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أن الاسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه فظهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام وكانت احبار يهود هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه الا قليلا من المسائل في الحلال والحرام وكان المسلمون يسألون عنها منهم حيي بن أخطب واخوه أبو ياسر بن أخطب وجدي بن اخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع الاعور وهو الذي قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر والربيع ابن الربيع بن أبي الحقيق وعمرو ابن جحاش وكعب بن الاشرف وهو من طيء ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وكردم بن قيس حليف كعب بن الاشرف فهؤلاء من بني النضير * ومن بني ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا الاعور ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه وابن صلوبا ومخيريق وكان حبرهم * ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت (١) ويقال ابن اللصيت فيما قال ابن هشام وسعد بن حنيف ومحمود بن سيحان وعزيز ابن أبي عزيز وعبد الله بن صيف (قال ابن هشام) ويقال ابن ضيف * قال ابن اسحق وسويد بن الحرث ورفاعة بن قيس وفنحاص واشيع

(١) قوله ويقال ابن اللصيت أي بضم اللام على لفظ المصغر كما ضبط كذلك في بعض النسخ

وأسألك الرضا بعد القضاء وهذا أبلغ من الرضا بالقضاء فانه قد يكون عزما فاذا قد وقع القضاء تنحل العزيمة فاذا حصل الرضا بعد القضاء كان حالا أو مقاما والمقصود ان الاستخارة توكل على الله وتفويض اليه واستقسام بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده وهي من لوازم الرضا به ربا الذي لا يذوق طعم الاسلام من لم يكن كذلك وان رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة سعادته وذكر البيهقي وغيره عن أنس قال لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه اللهم بك انتشرت واليك توجهت وبك اعتصمت وعليك توكلت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي اللهم اكفني ما أهمني ومالا اهتم له وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت ثم يخرج

(وصل وكان اذا ركب راحلته) كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم اني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان اذا رجع قال آيبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون وذكر أحمد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من الهم في السفر والكآبة في المنقلب اللهم اقبض لنا الارض وهون علينا السفر واذا أراد الرجوع قال تائبون عابدون لربنا حامدون واذا دخل البلد قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وفي صحيح مسلم انه كان اذا سافر قال اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم ومن سوء المنظر في الاهل والمال

(فصل) وكان اذا وضع رجله في الركاب لركوب دابته قال بسم الله فاذا استوى على ظهرها قال الحمد لله ثلاثا الله أكبر ثلاثا ثم يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يقول سبحان الله ثلاثا ثم يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وكان اذا ودع أصحابه في السفر يقول لاحدهم استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وجاء اليه رجل وقال يا رسول الله اني أريد سفرا فزودني فقال زودك الله التقوى قال زدني قال وغفر لك ذنبك قال زدني قال ويسر لك الخير حيثما كنت وقال له رجل اني أريد سفرا فقال أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف فلما ولى قال اللهم ازوله الارض وهون عليه السفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا علا شرفا من الارض أو نشزا قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال وكان سيره في حجه العنق فاذا وجد فجوة رفع السير فوق ذلك فكان يقول لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وكان يكره للمسافر وحده ان يسير بالليل فقال لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل بل كان يكره السفر للواحد بلا رفقة وأخبر أن الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب وكان يقول اذا نزل أحدكم منزلا فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لا يضره شئ حتى يرتحل منه ولفظ مسلم من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من

ونعمان بن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي وشاس بن قيس وزيد بن الحرث ونعمان بن عمرو وسكين بن أبي سكين وعدي بن زيد ونعمان بن أبي أوفى أبو انس ومحمود بن دحية ومالك بن الصيف (قال ابن هشام) ويقال ابن الضيف *قال ابن اسحق وكعب بن راشد وعازر ورافع بن أبي رافع وخالد وأزار بن أبي أزار (قال ابن هشام) ويقال آزر بن آزر *قال ابن اسحق ورافع ابن حارثة ورافع بن حريملة ورافع بن خارجة ومالك بن عوف ورفاعة بن زيد بن التابوت وعبد الله بن سلام بن الحرث وكان حبرهم وأعلمهم وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فهؤلاء من بني قينقاع * ومن بني قريظة الزبير بن باطا ابن وهب وعزال بن سموأل وكعب ابن أسد وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام الاحزاب وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو ابن سكينة والنحام بن زيد وقردم ابن كعب ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع وأبو نافع وعدي بن زيد والحرث بن عوف وكردم بن زيد وأسامة بن حبيب ورافع بن زميلة وجبل بن أبي قشير ووهب بن يهوذا فهؤلاء من بني قريظة *ومن يهود بني زريق لبيد بن أعصم وهو الذي أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه * ومن يهود بني حارثة كنانة بن صوريا * ومن يهود بني عمرو بن عوف قردم بن عمرو * ومن يهود بني النجار سلسلة بن برهام فهؤلاء أحبار اليهود وأهل العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأصحاب المسئلة والنصب لامر الاسلام الشرور ليطفؤه الا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق

(اسلام عبد الله بن سلام)

* قال ابن اسحق وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض أهله عنه وعن اسلامه حين أسلم وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى اخبر بقدومه وانا في رأس نخلة لي اعمل فيها وعمتي خالدة ابنة الحرث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى

منزله ذلك وذكر أحمد عنه انه كان اذا غزا أو سافر فادركه الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ومن شر والد وما ولد وكان يقول اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بنقيها وفي لفظ فاسرعوا عليها السير واذا عرستم فاجتنبوا الطرق فانها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل وكان اذا رأى قرية يريد دخولها قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وكان اذا بدا له الفجر في السفر قال سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذا بالله من النار يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته وكان ينهى ان يسافر بالقرآن الى أرض العدو مخافة ان يناله العدو وكان ينهى المرأة ان تسافر بغير محرم ولو مسافة بريد وكان يأمر المسافر اذا قضى نهمته من سفره أن يعجل الى أهله وكان اذا قفل من سفره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكان ينهى أن يطرق الرجل أهله ليلا اذا طالت غيبته عنهم وفي الصحيحين كان لا يطرق أهله ليلا يدخل عليهن غدوة أو عشية وكان اذا قدم من سفره يلقى بالولدان من أهل بيته قال عبد الله بن جعفر وانه قدم مرة من سفر فسبق بي اليه فحملني بين يديه ثم جيء باحد ابني فاطمة اما حسن واما حسين فاردفه خلفه قال فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة وكان يعتنق القادم من سفره ويقبله اذا كان من أهله قال الزهري عن عروة عن عائشة قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله قالت عائشة لما قدم جعفر وأصحابه تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم فقبل ما بين عينيه واعتنقه قال الشعبي وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدموا من سفر تعانقوا وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في اذكار النكاح ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه علمهم خطبة الحاجة الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم يقرأ الآيات الثلاث يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قال شعبة قلت لابي اسحق هذه في خطبة النكاح أو في غيرها قال في كل حاجة وقال اذا أفاد أحدكم امرأة أو خادما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليدع الله بالبركة ويسمي الله عز وجل وليقل اللهم اني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه وكان يقول للمتزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير وقال لو ان أحدكم اذا أراد يأتي أهله

به صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت قال فقلت لها أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قال فقالت أي ابن اخي أهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة قال فقلت لها نعم قال فقالت فذاك اذا قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا قال وكتمت اسلامي من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ان يهود قوم بهت واني أحب ان تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا باسلامي فانهم ان علموا به بهتوني وعابوني قال فادخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أي رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته فاني أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه واعرفه فقالوا كذبت ثم وقعوا بي فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم اخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال وأظهرت اسلامي واسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحرث فحسن اسلامها

(حديث مخيريق)

* قال ابن اسحق وكان من حديث مخيريق وكان حبرا عالما وكان رجلا غنيا كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم أحد وكان يوم أحد يوم السبت قال يا معشر يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) فيما يقول من رأى ما يعجبه من أهله وماله يذكر عن أنس عنه قال ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ولا مال أو ولد فيقول ماشاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت وقد قال تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله

(فصل فيما يقول من رأى مبتلى) صح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال مامن رجل رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا الا لم يصبه ذلك البلاء كائنا ما كان

(فصل فيما يقوله من لحقته الطيرة) ذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه ذكرت الطيرة عنده فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فاذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيآت الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك وكان كعب يقول اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا رب غيرك ولا حول ولا قوة الا بك والذي نفسي بيده انها لرأس التوكل وكنز العبد في الجنة ولا يقولهن عبد عند ذلك ثم يمضي الا لم يضره شئ

(فصل فيما يقوله من رأى في منامه ما يكرهه صح عنه صلى الله عليه وسلم) الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا يكره منها شيأ فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان فانها لا تضره ولا يخبر بها أحدا وان رأى رؤيا حسنة فليستبشر ولا يخبر بها الا من يحب وأمر من رأى ما يكرهه أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه وأمره ان يصلي فأمره بخمسة أشياء ان ينفث عن يساره وأن يستعيذ بالله من الشيطان وان لا يخبر بها أحدا وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه وأن يقوم يصلي ومتى فعل ذلك لم تضره الرؤيا المكروهة بل هذا يدفع شرها وقال الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت ولا يقصها الا على واد أو ذي رأي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا قصت عليه الرؤيا قال اللهم ان كان خيرا فلنا وان كان شرا فلعدونا ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من عرضت عليه رؤيا فليقل للمعروض عليه خيرا ويذكر عنه انه كان يقول للرائي قبل أن يعبرها له خيرا رأيت ثم يعبرها وذكر عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال كان أبو بكر الصديق اذا أراد ان يعبر رؤيا قال ان صدقت رؤياك كان كذا وكذا

(فصل) فيما يقوله ويفعله من ابتلي بالوسواس وما يستعين به على الوسوسة روى صالح ابن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود يرفعه ان للملك الموكل بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ورجاء صالح ثوابه ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وقنوط من الخير فاذا وجدتم لمة الملك فاحمدوا الله وسلوه من فضله واذا وجدتم لمة الشيطان فاستعيذوا بالله واستغفروه وقال له عثمان بن العاص حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي قال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا وشكى اليه الصحابة ان أحدهم يجد في نفسه مالأن يكون حممة أحب اليه من أن يتكلم به فقال الله أكبر الذي رد كيده الى الوسوسة وأرشد من بلي بشئ من وسوسة التسلسل في الفاعلين اذا قيل له هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله أن يقرأ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وكذلك

فيما بلغني يقول بخيبر بنو خيبر يهود وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولد لهما الا أخذاني دونه قالت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء في بني عمرو ابن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى قالت فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت الي واحد منهما مع ما بهما من الغم قالت وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لابي حيي بن أخطب أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت * قال ابن اسحق وكان من انضاف الى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الاوس والخزرج والله أعلم (من الاوس ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس ثم من بني لوذان بن عمرو بن عوف) زري بن الحرث (ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف) جلاس ابن سويد بن الصامت وأخوه الحرث بن سويد وجلاس الذي قال وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر فرفع ذلك من قوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير ابن سعد أحدهم وكان في حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه فقال له عمير بن سعد والله يا جلاس انك لاحب الناس الي وأحسنه عندي يدا وأعزه علي أن يصيبه شئ يكرهه ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ولاحداهما أيسر علي من الاخرى ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير بن سعد فأنزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن

أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير

(قال ابن هشام) الأليم الموجع قال ذو الرمة يصف إبلا

وترفع من صدور شمردلات * يصك وجوهها وهج أليم

وهذا البيت في قصيدة له *قال ابن اسحق فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الخير والاسلام وأخوه الحرث

قال ابن عباس لأبي زميل وقد سأله ما شيء أجده في صدري قال ما هو قال قلت والله لا أتكلم به قال فقال لي أشيء من شك قلت بلى فقال لي ما نجا من ذلك أحد فاذا وجدت في نفسك شيأ فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فأرشدهم بهذه الآية الى بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل وان سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي الى أول ليس قبله شيء كما تنتهي في آخرها الى آخر ليس بعده شيء كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء وبطونه هو الاحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء ولو كان قبله شيء يكون مؤثرا فيه لكان ذلك هو الرب الخلاق ولا بد أن ينتهي الامر الى خالق غير مخلوق وغني عن غيره وكل شيء فقير اليه قائم بنفسه وكل شيء قائم به موجود بذاته وكل شيء موجود به قديم لا أول له وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه باق بذاته وبقاء كل شيء به فهو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء الظاهر الذي ليس فوقه شيء الباطن الذي ليس دونه شيء وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيأ فليستعذ بالله ولينته وقد قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولما كان الشيطان على نوعين نوع يرى عيانا وهو شيطان الانس ونوع لا يرى وهو شيطان الجن أمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكتفي من شر شيطان الانس بالاعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه وجمع بين النوعين في سورة الاعراف وسورة المؤمنين وسورة فصلت والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن والعفو والاعراض والدفع بالاحسان أبلغ في دفع شر شياطين الانس قال

فما هو الا الاستعاذة ضارعا * أو الدفع بالحسنى هما خير مطلوب

فهذا دواء الداء من شر ما يرى * وذاك دواء الداء من شر محجوب

(فصل فيما يقوله ويفعله من اشتد غضبه) أمره صلى الله عليه وسلم أن يطفئ عنه جمرة الغضب بالوضوء والقعود ان كان قائما والاضطجاع ان كان قاعدا والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ولما كان الغضب والشهوة جمرتين من نار في قلب ابن آدم أمر أن يطفئهما بالوضوء والصلاة والاستعاذة من الشيطان الرجيم كما قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم الآية وهذا انما يحمل عليه شدة الشهوة فأمرهم بما يطفئون بها جمرتها وهو الاستعانة بالصبر والصلاة وأمر تعالى بالاستعاذة من الشيطان عند نزغاته ولما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة وكان نهاية قوة الغضب القتل ونهاية قوة الشهوة الزنا جمع الله تعالى بين القتل والزنا وجعلهما قرينين في سورة الانعام وسورة الاسرى وسورة الفرقان والمقصود انه سبحانه أرشد عباده الى ما يدفعون به شر قوتي الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) اذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) يدعو لمن تقرب اليه بما يحب وبما يناسب فلما وضع له ابن عباس وضوءه قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ولما دعمه أبو قتادة في مسيره بالليل لما مال عن راحلته قال حفظك الله بما حفظت به نبيه وقال من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء واستقرض من عبد الله بن أبي ربيعة مالا ثم وفاه اياه وقال بارك الله لك في أهلك

ابن سويد الذي قتل المجذر بن ذياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش (قال ابن هشام) وكان المجذر بن ذياد قتل سويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحرث بن سويد غرة المجذر بن ذياد ليقتله بأبيه فقتله وحده وسمعت غير واحد من أهل العلم يقوله والدليل على انه لم يقتل قيس بن زيد ان ابن اسحق لم يذكره في قتلى أحد *قال ابن اسحق قتل سويد ابن صامت معاذ بن عفراء غيلة في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث *قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع الى قومه فأنزل الله تبارك وتعالى فيه فيما بلغني عن ابن عباس كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الى آخر القصة (ومن بني ضبيعة بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف) بجاد بن عثمان بن عامر *ونبتل بن الحرث وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان رجلا جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث اليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه فأنزل الله عز وجل فيه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول

الله لهم عذاب أليم * قال ابن اسحق وحدثني بعض رجال بلعجلان انه حدث أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انه يجلس اليك رجل أدلم ثائر شعر الرأس أسفع الخدين أحمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره وكانت تلك صفة نبتل بن الحرث فيما يذكرون (ومن بني ضبيعة) أبو حبيبة بن الازعر وكان ممن بني مسجد الضرار * وثعلبة بن حاطب * ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر القصة ومعتب الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا فأنزل الله في ذلك من قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر القصة وهو الذي قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط فأنزل الله عز وجل فيه واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا * والحرث بن حاطب (قال ابن هشام) معتب بن قشير وثعلبة والحرث ابنا حاطب وهما من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم وقد نسب ابن اسحق ثعلبة والحرث في بني أمية ابن زيد في أسماء أهل بدر * قال ابن اسحق وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف * وبخرج وهم ممن كان بنى مسجد الضرار * وعمرو بن خذام * وعبد الله بن نبتل (ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف) جارية بن عامر بن العطاف وابناه زيد ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره وكان يصلي بهم فيه ثم انه لما أخرب المسجد وذهب رجال من بني عمرو بن عوف كانوا يصلون ببني عمرو بن عوف في مسجدهم وكان زمان عمر بن الخطاب كلم في مجمع ليصلي بهم فقال لا أوليس بامام المنافقين في مسجد الضرار فقال لعمر يا أمير المؤمنين والله الذي لا اله الا هو ماعلمت بشئ من أمرهم ولكني كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا لاقرآن معهم فقدموني أصلي بهم وما أرى أمرهم الا على أحسن مما يذكرون فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه (ومن بني امية بن زيد بن مالك)

ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء ولما أراحه جرير من ذي الخلصة صنم دوس برك على خيل قبيلته ورجالها خمس مرات وكان صلى الله عليه وسلم اذا أهديت اليه هدية فقبلها كافأ عليها باكثر منها وان ردها اعتذر الى مهديها كقوله صلى الله عليه وسلم للصعب بن جثامة لما اهدى اليه لحم الصيد انا لم نرده عليك الا انا حرم والله أعلم

(فصل وأمر صلى الله عليه وسلم) امته اذا سمعوا نهيق الحمار ان يتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم واذا سمعوا صياح الديكة ان يسالوا الله من فضله وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه أمرهم بالتكبير عند الحريق فان التكبير يطفئه وكره صلى الله عليه وسلم لاهل المجلس ان يخلوا مجلسهم من ذكر الله عز وجل وقال مامن قوم يقومون من مجلس لايذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة الحمار وقال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة والترة الحسرة وفي لفظ ومامن أحد طريقا لم يذكر الله فيه الا كانت عليه ترة وقال صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك وفي سنن أبي داود ومستدرك الحاكم انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك اذا أراد ان يقوم من المجلس فقال له رجل يارسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال ذلك كفارة لما يكون في المجلس

(فصل) وشكى اليه خالد بن الوليد الارق بالليل فقال له اذا أويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين السبع وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا من ان يفرط أحد منهم علي أو ان يطغى علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله الا أنت وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه من الفزع أعوذ بكلمات الله التامة من شر غضبه ومن شر عباده ومن شر همزات الشياطين وان يحضرون ويذكر ان رجلا شكى اليه صلى الله عليه وسلم انه يفزع في منامه فقال اذا أويت الى فراشك فقل ثم ذكرها فقالها فذهب عنه

(فصل في ألفاظ كان صلى الله عليه وسلم) يكره ان تقال فمنها ان يقول خبثت نفسي أو جاشت نفسي وليقل لقست ومنها ان يسمى شجر العنب كرما نهى عن ذلك وقال لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة وكره ان يقول الرجل هلك الناس وقال اذا قال ذلك فهو أهلكهم وفي معنى هذا فسد الناس وفسد الزمان ونحوه ونهى ان يقال ماشاء الله وشاء فلان بل يقال ماشاء الله ثم شاء فلان فقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال جعلتني لله ندا قل ماشاء الله وحده وفي معنى هذا لولا الله وفلان لما كان كذا بل هو أقبح وأنكر وكذلك انا بالله وبفلان وأعوذ بالله وبفلان وأنا في حسب الله وحسب فلان وأنا متكل على الله وعلى فلان فقائل هذا قد جعل فلانا ندا لله عز وجل ومنها ان يقال مطرنا بنوء كذا وكذا بل يقول مطرنا بفضل الله ورحمته ومنها ان يحلف بغير الله صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد أشرك ومنها ان يقول في حلفه هو يهودي أو نصراني أو كافر ان فعل كذا ومنها ان يقول لمسلم يا كافر ومنها ان يقول للسلطان ملك الملوك وعلى قياسه قاضي القضاة ومنها ان يقول السيد لغلامه وجاريته عبدي وامتي ويقول الغلام لسيده ربي وليقل السيد فتاي وفتاتي ويقول الغلام سيدي وسيدتي ومنها سب الريح اذا هبت بل يسأل الله خيرها

وخيرما ارسلت به و يعوذ بالله من شرها وشرما ارسلت به ومنها سب الحمى نهى عنه وقال انها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد ومنها النهى عن سب الديك صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاتسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة ومنها الدعاء بدعوى الجاهلية والتعزى بعزائهم كالدعاء الى القبائل والعصبية لها وللانساب ومثله التعصب للمذاهب والطرائق والمشايخ وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية وكونه منتسبا اليه فيدعو الى ذلك و يوالى عليه و يعادى عليه و يزن الناس به كل هذا من دعوى الجاهلية ومنها تسمية العشاء بالعتمة تسمية غالبة يهجر فيها لفظ العشاء ومنها النهى عن سباب المسلم وان يتناجى اثنان دون الثالث وان تخبر المرأة زوجها بمحاسن امرأة أخرى ومنها ان يقول فى دعائه اللهم اغفر لى ان شئت وارحمنى ان شئت ومنها الاكثار من الحلف ومنها كراهة ان يقول قوس قزح لهذا الذى يرى فى السماء ومنها ان يسأل أحد بوجه الله ومنها ان يسمى المدينة بيثرب ومنها ان يسأل الرجل فيم ضرب امرأته الا اذا دعت الحاجة الى ذلك ومنها ان يقول صمت رمضان كله أو قمت الليل كله

(فصل) ومن الالفاظ المكروهة الافصاح عن الاشياء التى ينبغى الكناية عنها باسمائها الصريحة ومنها ان يقول أطال الله بقاءك وأدام أيامك وعشت ألف سنة ونحو ذلك ومنها ان يقول الصائم وحق الذى خاتمه على فمى فانه انما يختم على فم الكافر ومنها ان يقول للمكوس حقوقا وان يقول لما ينفقه فى طاعة الله غرمت أو خسرت كذا وكذا وان يقول انفقت فى هذه الدنيا مالا كثيرا ومنها ان يقول المفتى أحل الله كذا وحرم الله كذا فى المسائل الاجتهادية وانما يقوله فيما ورد النص بتحريمه ومنها ان يسمى أدلة القرآن والسنة ظواهر لفظية ومجازات فان هذه التسمية تسقط حرمتها من القلوب ولاسيما اذا أضاف الى ذلك تسمية شبه المتكلمين والفلاسفة قواطع عقلية فلا اله الا الله كم حصل بهاتين التسميتين من فساد فى العقول والاديان والدنيا والدين

(فصل) ومنها ان يحدث الرجل بجماع أهله وما يكون بينه و بينهم كما يفعله السفلة ومما يكره من الالفاظ زعموا وذكروا وقالوا ونحوه ومما يكره منها ان يقول للسلطان خليفة الله أو نائب الله فى أرضه فان الخليفة والنائب انما يكون عن غائب والله سبحانه وتعالى خليفة الغائب فى أهله و وكيل عبده المؤمن

(فصل) وليحذر كل الحذر من طغيان أنا ولى وعندى فان هذه الالفاظ الثلاثة ابتلى بها ابليس وفرعون وقارون فانا خير منه لابليس ولى ملك مصر لفرعون وانما أوتيته على علم عندى لقارون وأحسن ما وضعت انا فى قول العبد انا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترف ونحوه ولى فى قوله لى الذنب ولى الجرم ولى المسكنة ولى الفقر والذل وعندى فى قوله اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى

(فصل) فى هديه فى الجهاد والغزوات لما كان الجهاد ذروة سنام الاسلام وقبته ومنازل أهله أعلى المنازل فى الجنة كما لهم الرفعة فى الدنيا فهم الاعلون فى الدنيا والآخرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا منه فاستولى على أنواعه كلها فجاهد فى الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا وأعظمهم عند الله قدرا وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه وقال ولو شئنا

[illegible] وديعة بن ثابت وهو من بنى [illegible] مسجد الضرار وهو الذى قال انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى آخر القصة (ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك) خذام بن خالد وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره (قال ابن هشام) (٢٩٢) و بشر ورافع ابنا زيد (ومن بنى النبيت) قال ابن هشام النبيت عمرو بن مالك بن الاوس

* قال ابن اسحق ثم من بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس * مربع بن قيظى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد الى أحد لا أحل لك يا محمد ان كنت نبيا ان تمر فى حائطى وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر فضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل بالقوس فشجه * وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ان بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع اليها فأنزل الله تبارك وتعالى فيه يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا (قال ابن هشام) عورة أى معورة للعدو وضائعة وجمعها عورات قال النابغة الذبيانى

متى تلقهم لا تلق للبيت عورة
ولا الجار محروما ولا الامر ضائعا

وهذا البيت فى أبيات له وجمعها عورات والعورة أيضا عورة الرجل وهى حرمته والعورة أيضا السوأة * قال ابن اسحق ومن بنى ظفر واسم ظفر كعب بن الحرث ابن الخزرج * حاطب بن أمية ابن رافع وكان شيخا جسيما قد عسى فى جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات فحمل الى دار بنى ظفر

* قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة انه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون ابشر يا ابن حاطب بالجنة قال فنجم نفاقه قال يقول أبوه أجل جنة من حرمل غررتم والله هذا المسكين من نفسه * قال ابن اسحق و بشير بن أبيرق وهو أبو

لبعثنا

طعمة سارق الدرعين الذى أنزل الله تعالى فيه ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما * وقزمان حليف لهم * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انه لمن أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين فأثبتته الجراحات فحمل الى دار بنى ظفر فقال له رجال من المسلمين ابشر يا قزمان فقد أبليت اليوم وقد أصابك ما ترى فى الله قال بماذا ابشر فوالله ما قاتلت الا حمية عن قومى فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كنانته فقطع به رواهش يده فقتل نفسه * قال ابن اسحق ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم الا ان الضحاك بن ثابت أحد بنى كعب رهط سعد بن زيد قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته فيما بلغنى ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر كانوا يدعون بالاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين فى خصومة كانت بينهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوهم الى الحكام حكام أهل الجاهلية فأنزل الله عز وجل فيهم ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا الى آخر القصة (ومن الخزرج ثم من بنى النجار) رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل (ومن بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة) الجد بن قيس وهو الذى يقول يا محمد ائذن لى ولا تفتنى فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين الى آخر القصة (ومن بنى عوف بن الخزرج) عبد الله بن أبي ابن سلول وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو الذى قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فى غزوة بنى المصطلق وفى قوله ذلك نزلت سورة المنافقين باسرها وفيه وفى وديعة رجل من بنى عوف ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس وهم من رهط عبد الله بن أبي ابن سلول وعبد الله بن أبي ابن سلول وهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسون الى بنى النضير

لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن وكذلك جهاد المنافقين انما هو بتبليغ الحجة والا فهم تحت قهر أهل الاسلام قال تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الامة وورثة الرسل والقائمون به أفراد فى العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وان كانوا هم الاقلين عددا فهم الاعظمون عند الله قدرا ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الاوفر وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك أكمل الجهاد وأتمه ولما كان جهاد أعداء الله فى الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه فى ذات الله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو فى الخارج وأصلا له فانه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها فى الله لم يمكنه جهاد عدوه فى الخارج فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذى بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه فى الله بل لا يمكنه الخروج الى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما الا بجهاده وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويخذله ويرجف به ولا يزال يخيل له ما فى جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوت اللذات والمشتهيات ولا يمكنه ان يجاهد ذينك العدوين الا بجهاده فكان جهاده هو الاصل لجهادهما وهو الشيطان قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والامر باتخاذه عدوا تنبيه على استفراغ الوسع فى محاربته ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الانفاس فهذه ثلاثة أعداء أمر العبد بمحاربتها وجهادها وقد بلى العبد بمحاربتها فى هذه الدار وسلطت عليه امتحانا من الله له وابتلاء فأعطى الله العبد مددا وعدة وأعوانا وسلاحا لهذا الجهاد وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا وبلا أحد الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلو أخبارهم ويمتحن من يتولاه ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فأعطى عباده الاسماع والابصار والعقول والقوى وأنزل عليهم كتبه وأرسل اليهم رسله وأمدهم بملائكته وقال لهم انى معكم فثبتوا الذين آمنوا وأمرهم من أمره بما هو من أعظم العون لهم على حرب عدوهم وأخبرهم انهم ان امتثلوا ما أمرهم به لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوهم وانه ان سلطه عليهم فلتركهم بعض ما أمروا به ولمعصيتهم له ثم لم يؤيسهم ولم يقنطهم بل أمرهم أن يستقبلوا أمرهم ويداووا جراحهم ويعودوا الى مناهضة عدوهم فينصرهم عليهم ويظفرهم بهم فأخبرهم انه مع المتقين منهم ومع المحسنين ومع الصابرين ومع المؤمنين وانه يدافع عن عباده المؤمنين ما لا يدفعون عن أنفسهم بل بدفاعه عنهم انتصروا على عدوهم ولولا دفاعه عنهم لتخطفهم عدوهم واجتاحهم وهذه المدافعة عنهم بحسب ايمانهم وعلى قدره فان قوى الايمان قويت المدافعة فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وأمرهم أن يجاهدوا فيه حق جهاده

كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته وكما أن حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فحق جهاده أن يجاهد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون كله لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره وارتكاب نهيه فانه يعد الاماني ويمني الغرور ويعد الفقر ويأمر بالفحشاء وينهى عن التقى والهدى والعفة والصبر وأخلاق الايمان كلها فجاهده بتكذيب وعده ومعصية أمره فينشأ له من هذين الجهادين قوة وسلطان وعدة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله لتكون كلمة الله هي العليا واختلفت عبارات السلف في حق الجهاد فقال ابن عباس هو استفراغ الطاقة فيه وان لا يخاف في الله لومة لائم وقال مقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى ولم يصب من قال ان الآيتين منسوختان لظنه انهما تضمنتا الامر بما لا يطاق وحق تقاته وحق جهاده هو ما يطيقه كل عبد في نفسه وذلك يختلف باختلاف أحوال المكلفين في القدرة والعجز والعلم والجهل فحق التقوى وحق الجهاد بالنسبة الى القادر المتمكن العالم شئ وبالنسبة الى العاجز الجاهل والضعيف شئ وتأمل كيف عقب الامر بذلك بقوله هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج والحرج الضيق بل جعله واسعا يسعه كل أحد كما جعل رزقه يسع كل حي وكلف العبد بما يسعه العبد ورزق العبد ما يسع العبد فهو يسع تكليفه ويسعه رزقه وما جعل على عبده في الدين من حرج بوجه ما قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة أي بالملة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل وقد وسع الله سبحانه وتعالى على عباده غاية التوسعة في دينه ورزقه وعفوه ومغفرته وبسط عليهم التوبة مادامت الروح في الجسد وفتح لهم بابا لها لا يغلقه عنهم الى ان تطلع الشمس من مغربها وجعل لكل سيئة كفارة تكفرها من توبة أو صدقة أو حسنة ماحية أو مصيبة مكفرة وجعل بكل ما حرم عليهم عوضا من الحلال أنفع لهم منه وأطيب وألذ فيقوم مقامه ليستغني العبد عن الحرام ويسعه الحلال فلا يضيق عنه وجعل لكل عسر يمتحنهم به يسرا قبله ويسرا بعده فلن يغلب عسر يسرين فاذا كان هذا شأنه مع عباده فكيف يكلفهم ما لا يسعهم فضلا عما لا يطيقونه ولا يقدرون عليه

(فصل اذا عرف هذا فالجهاد أربع مراتب) جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين فجهاد النفس أربع مراتب أيضا * أحدها أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها الا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين * الثانية أن يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها * الثالثة ان يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله * الرابعة أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فاذا استكمل هذه المراتب الاربع صار من الربانيين فان السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق ان يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء

(فصل وأما جهاد الشيطان فمرتبتان) أحدهما جهاده على دفع ما يلقي الى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الايمان * الثانية جهاده على دفع ما يلقي اليه من الارادات

والشهوات

نهين ناصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ثم القصة من السورة حتى انتهى الى قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين * بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي قال حدثنا محمد بن اسحق المطلبي قال وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بني قينقاع * سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى بن عمرو وعثمان بن أوفى * وزيد بن اللصيت الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته ان قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته واني والله ما أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف * ورافع بن حريملة وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حين مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين * ورفاعة بن زيد بن التابوت وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح وهو قافل من غزوة بني المصطلق فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح * وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد

فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤن بدينهم فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا فقام أبو أيوب خالد ابن زيد بن كليب الى عمرو بن قيس أحد بني غنم بن مالك بن النجار وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ثم أقبل أبو أيوب أيضا الى رافع بن وديعة أحد بني النجار فلببه بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد وأبو أيوب يقول له أف لك منافقا خبيثا ادراجك (قال ابن هشام) أي ارجع من الطريق التي جئت منها قال الشاعر

فولى وأدبر (١) ادراجه
وقد باء بالظلم من كان ثم

يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو وكان رجلا طويل اللحية فأخذ بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما في صدره لدمة خر منها قال يقول خدشتني يا عمارة قال أبعدك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) واللدم الضرب ببطن الكف قال تميم بن أبي بن مقبل

وللفؤاد وجيب تحت أبهره
لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

(قال ابن هشام) الغيب ما انخفض من الارض والابهر عرق القلب * قال ابن اسحق وقام أبو محمد رجل من بني النجار كان بدريا وأبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الى قيس بن عمرو بن سهل وكان قيس غلاما شابا وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد * وقام رجل من بلخدرة بن الخزرج رهط أبي سعيد الخدري يقال له عبد الله بن الحرث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراج

والشهوات فالجهاد الاول يكون بعده اليقين والثاني بعده الصبر قال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فأخبر أن امامة الدين انما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشهوات والارادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات

(فصل) وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان

(فصل) وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب الاولى باليد اذا قدر فان عجز انتقل الى اللسان فان عجز جاهد بقلبه فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق

(فصل) ولا يتم الجهاد الا بالهجرة ولا الهجرة والجهاد الا بالايمان والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وكما أن الايمان فرض على كل أحد ففرض عليه هجرتان في كل وقت هجرة الى الله عز وجل بالتوحيد والاخلاص والانابة والتوكل والخوف والرجاء والمحبة والتوبة وهجرة الى رسوله بالمتابعة والانقياد لامره والتصديق بخبره وتقديم أمره وخبره على أمر غيره وخبره فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وفرض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه فهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفى فيه ببعض الامة اذا حصل منهم مقصود

(فصل) وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله فانه كمل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده وشرع في الجهاد من حين بعث الى أن توفاه الله عز وجل فانه لما نزل عليه يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر شمر عن ساق الدعوة وقام في ذات الله أتم قيام ودعا الى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا فلما نزل عليه فاصدع بما تؤمر فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم فدعا الى الله الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى والاحمر والاسود والجن والانس ولما صدع بأمر الله وصرح لقومه بالدعوة وناداهم بسب آلهتهم وعيب دينهم اشتد اذاهم له ولمن استجاب له من أصحابه ونالوهم بانواع الاذى وهذه سنة الله عز وجل في خلقه كما قال تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون وعزى سبحانه نبيه بذلك وان له أسوة بمن تقدمه من المرسلين وعزى اتباعه بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقوله ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات

(١) قال في القاموس ورجع أدراجه ويكسر أي في الطريق الذي جاء منه اه

المنافقين من المسجد الى رجل يقال له الحرث بن عمرو وكان ذا جمة [illegible] فسحبه سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى أخرجه من المسجد قال يقول المنافق لقد أغلظت يا ابن الحرث فقال انك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل الله فيك فلا تقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك نجس * وقام رجل من بني عمرو بن عوف الى أخيه زوي بن الحرث فأخرجه من المسجد اخراجا عنيفا وأفف منه وقال غلب عليك الشيطان وأمره فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراجهم ففي هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الاوس والخزرج نزل صدر من سورة البقرة الى المائة منها فيما بلغني والله أعلم يقول الله سبحانه وبحمده ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه أي لا شك فيه (قال ابن هشام) قال ساعدة بن جؤية الهذلي

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به
فلا ريب أن قد كان ثم (١) لحيم

وهذا البيت في قصيدة له والريب أيضا الريبة قال خالد بن زهير الهذلي

* كأنني أريبه بريب *

(قال ابن هشام) ومنهم من يرويه

* كأنني أربته بريب *

وهذا البيت في أبيات له وهو ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي هدى للمتقين أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أي يقيمون الصلاة بفرضها ويؤتون الزكاة احتسابا لها والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أي يصدقونك بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤهم به من ربهم وبالآخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان أي هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك وبما جاءك اشتد قه من ربك أولئك على هدى من ربهم أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم وأولئك هم المفلحون أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من

لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين فليتأمل العبد سياق هذه الآيات وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم فان الناس اذا أرسل اليهم الرسل بين أمرين اما أن يقول أحدهم آمنا واما أن لا يقول ذلك بل يستمر على السيآت والكفر فمن قال آمنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه فانه انما يطوي المراحل في يديه

وكيف يفر المرء عنه بذنبه * اذا كان يطوى في يديه المراحل

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه فابتلي بما يؤلمه وان لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة فحصل له ما يؤلمه وكان هذا المؤلم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم فلا بد من حصول الالم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الايمان لكن المؤمن يحصل له الالم في الدنيا ابتداء ثم يكون له العاقبة في الدنيا والآخرة والمعرض عن الايمان يحصل له اللذة ابتداء ثم يصير في الألم الدائم وسئل الشافعي رحمه الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى فقال لا يمكن حتى يبتلى والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة وانما تفاوت أهل الآلام في العقول فاعقلهم من باع ألما مستمرا عظيما بالم منقطع يسير وأشقاهم من باع الالم المنقطع اليسير بالالم العظيم المستمر فان قيل كيف يختار العقل لهذا قيل الحامل له على هذا النقد والنسيئة والنفس موكلة بالعاجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وهذا يحصل لكل أحد فان الانسان مدني بالطبع لا بد له أن يعيش مع الناس والناس لهم ارادات وتصورات فيطلبون منه ان يوافقهم عليها وان لم يوافقهم آذوه وعذبوه وان وافقهم حصل له الاذى والعذاب تارة منهم وتارة من غيرهم كمن عنده دين وتقى حل بين قوم فجار ظلمة ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم الا بموافقته لهم أو سكوته عنهم فان وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء ثم يتسلطون عليه بالاهانة والاذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخالفهم وان سلم منهم فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم فالحزم كل الحزم في الاخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيأ ومن تأمل أحوال العالم رأى هذا كثيرا فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة وفيمن يعين أهل البدع على بدعهم هربا من عقوبتهم فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداونهم ثم يكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما كانت للرسل واتباعهم كالمهاجرين والانصار ومن ابتلي من العلماء والعباد وصالحي الولاة والتجار وغيرهم ولما كان الالم لا محيص منه البتة عزى سبحانه من اختار الالم اليسير المنقطع على الالم العظيم المستمر بقوله من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم فضرب لمدة هذا الالم أجلا لا بد أن يأتي وهو يوم لقائه فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الالم من أجله وفي مرضاته ويكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الالم في الله ولله وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه ليحمل العبد

(١) قوله لحيم أي ملحمة أي حرب

اشتياقه الى لقاء ربه ووليه على تحمل مشقة الالم العاجل بل ربما غيبه الشوق الى لقائه عن شهود الالم والاحساس به ولهذا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه الشوق الى لقائه فقال في الدعاء الذي رواه أحمد وابن حبان اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني اذا كانت الحياة خيرا لى وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لى وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك وأسألك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين فالشوق يحمل المشتاق على الجد في السير الى محبوبه ويقرب عليه الطريق ويطوى له البعيد ويهون عليه الآلام والمشاق وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال هما السبب الذي تنال به والله سبحانه سميع لتلك الاقوال عليم بتلك الافعال وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة ويشكرها ويعرف قدرها ويحب المنعم عليه فيضع عنده هذه النعمة كما قال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين فاذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه فليقرأ على نفسه أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم عزاهم تعالى بعزاء آخر وهو أن جهادهم فيه انما هو لانفسهم وثمرته عائدة عليهم وانه غنى عن العالمين ومصلحة هذا الجهاد ترجع اليهم لا اليه سبحانه ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وايمانهم في زمرة الصالحين ثم أخبر عن حال الداخل في الايمان بلا بصيرة وانه اذا أوذى في الله جعل فتنة الناس له كعذاب الله وهي أذاهم له ونيلهم اياه بالمكروه والالم الذي لا بد أن يناله الرسل واتباعهم ممن خالفهم جعل ذلك في فراره منهم وتركه السبب الذي ناله كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالايمان فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله الى الايمان وتحملوا ما فيه من الالم لزائل المفارق عن قريب وهذا لضعف بصيرته فر من ألم عذاب أعداء الرسل الى موافقتهم ومتابعتهم ففر من ألم عذابهم الى ألم عذاب الله فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله وغبن كل الغبن اذ استجار من الرمضاء بالنار وفر من ألم ساعة الى ألم الابد واذا نصر الله جنده وأولياءه قال انى كنت معكم والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق والمقصود ان الله سبحانه اقتضت حكمته انه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه الا بالامتحان اذ النفس في الاصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه الى السبك والتصفية فان خرج في هذه الدار والا ففي كير جهنم فاذا هذب العبد ونقى أذن له في دخول الجنة

(فصل ولما دعا صلى الله عليه وسلم) الى الله عز وجل استجاب له عباد الله من كل قبيلة فكان حائز قصب سبقهم صديق الامة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضي الله عنه فآزره في دين الله ودعا معه الى الله على بصيرة فاستجاب لابي بكر عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وبادر الى الاستجابة له صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة بنت خويلد وقامت باعباء الصديقية وقال لها لقد خشيت على عقلي فقالت له أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والاخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن

شر ما منه هربوا ان الذين كفروا أى بما أنزل اليك وان قالوا انا قد آمنا بما جاءنا قبلك سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أى انهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يستمعون منك انذارا أو تحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة أى عن الهدى أن يصيبوه أبدا يعني بما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وان آمنوا بكل ما كان قبلك ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم فهذا في الاحبار من يهود فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يعني المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض أى شك فزادهم الله مرضا شكا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون أى انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وخلاف ما جاء به الرسول قالوا انا معكم أى انا على مثل ما أنتم عليه انما نحن مستهزؤن أى انما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم يقول الله عز وجل الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (قال ابن هشام) يعمهون

يحارون تقول العرب رجل عمه وعامه أى حيران قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا

* أعمى الهدى بالجاهلين العمه *

وهذا البيت في أرجوزة له والعمه جمع عامه واما عمه فجمعه عمهون والمرأة عمهة وعمهاء أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى الكفر بالايمان فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * قال ابن اسحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى

مثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون اى يبصرون الحق و يقولون به حتى اذا خرجوا
به من ظلمة الكفر أطفؤه بكفرهم به ونفاقهم فيه فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق صم بكم عمى
فهم لا يرجعون أى لا يرجعون الى هدى صم بكم عمى عن الخير لا يرجعون الى خير ولا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم
عليه أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد و برق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (قال ابن هشام) الصيب المطر وهو من صاب يصوب مثل قولهم السيد من ساد يسود والميت من مات يموت وجمعه صيايب قال علقمة بن عبدة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

كأنهم صابت عليهم سحابة
صواعقها لطيرهن دبيب

فلا تعدلى بينى و بين مغمر
سقيت روايا المزن حين تصوب

وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم على مثل ما وصف من الذى هو فى ظلمة الصيب يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت (١) يقول الله والله منزل ذلك بهم من النقمة أى محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم أى لشدة ضوء البرق كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا أى يعرفون الحق و يتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فاذا ارتكسوا منه الى الكفر قاموا متحيرين ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أى لما تركوا من الحق بعد معرفته ان الله على كل شئ قدير ثم قال يا أيها الناس اعبدوا ربكم
للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين اى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى
جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (قال ابن هشام)

الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده واحسانه ولا تناسب الخزى والخذلان وانما تناسبه اضدادها فمن ركبه الله على أحسن الصفات وأحسن الاخلاق والاعمال انما يليق به كرامته واتمام نعمته عليه ومن ركبه على أقبح الصفات وأسوأ الاخلاق والاعمال انما يليق به ما يناسبها وبهذا العقل الصديقية استحقت أن يرسل اليها ربها بالسلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم

(فصل) وبادر الى الاسلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن ثمان سنين وقيل أكثر من ذلك وكان فى كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من عمه اعانة له فى سنة محل و بادر زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما لخديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها وقدم أبوه وعمه فى فدائه فسألا عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العانى وتطعمون الاسير جئناك فى ابننا عندك فامنن علينا وأحسن الينا فى فدائه قال ومن هو قالوا زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال ادعوه فأخيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحدا قالا لقد رددتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال نعم قال من هذا قال هذا أبى وهذا عمى قال فأنا من قد علمت ورأيت وعرفت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما قال ما أنا بالذى اختار عليك أحدا أبدا أنت منى مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيأ ما أنا بالذى اختار عليه أحدا أبدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه الى الحجر فقال أشهدكم أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا ودعى زيد ابن محمد حتى جاء الله بالاسلام فنزلت ادعوهم لآبائهم فدعى يومئذ زيد بن حارثة فقال معمر فى جامعه عن الزهرى ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة وهو الذى أخبر الله عنه فى كتابه انه أنعم عليه وأنعم عليه رسوله وسماه باسمه وأسلم القس ورقة بن نوفل وتمنى أن يكون جذعا اذ يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وفى جامع الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فى المنام فى هيأة حسنة وفى حديث آخر انه رآه فى ثياب بياض ودخل الناس فى الدين واحدا بعد واحد وقريش لا تنكر ذلك حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم وانها لا تضر ولا تنفع فحينئذ شمروا له ولاصحابه عن ساق العداوة فحمى الله رسوله بعمه أبى طالب لانه كان شريفا معظما فى قريش مطاعا فى أهله وأهل مكة لا يتجاسرون على مكاشفته بشئ من الاذى وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما فى ذلك من المصالح التى تبدو لمن تأملها وأما أصحابه فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته وسائرهم تصدوا له بالاذى والعذاب منهم عمار بن ياسر وأمه وأهل بيته عذبوا فى الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بهم وهم يعذبون يقول صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة ومنهم بلال بن رباح فانه عذب فى الله أشد العذاب فهان على قومه وهانت عليه نفسه فى الله وكان كلما اشتد عليه العذاب يقول أحد أحد فيمر به ورقة بن نوفل فيقول أى والله يا بلال أحد أحد أما والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا

(فصل) ولما اشتد أذى المشركين على من أسلم وفتن منهم من فتن حتى يقولوا لاحدهم اللات والعزى

(١) قوله يقول الله والله منزل الخ هكذا فى النسخ وحق الكلام أن يقال والله محيط بالكافرين أى هو منزل ذلك بهم الخ

الانداد الامثال وواحدهم ند قال لبيد بن ربيعة أحمد الله فلا ند له * بيديه الخير ماشاء فعل وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق أي لا تشركوا بالله غيره من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون انه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا أي في شك مما جاءكم به فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أي من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد تبين لكم الحق فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذي أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ثم قال يا بني اسرائيل للاحبار من يهود اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه وأوفوا بعهدي الذي أخذت في أعناقكم لنبيي أحمد اذا جاءكم أوف بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والاغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم واياي فارهبون أي أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أي أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي ثم عدد عليهم أحداثهم ثم ذكر لهم العجل وما صنعوا فيه وتوبته عليهم واقالته اياهم ثم قولهم أرنا الله جهرة

والعزى الهك من دون الله فيقول نعم وحتى أن الجعل ليمر بهم فيقولون وهذا الهك من دون الله فيقول نعم ومر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب وزوجها وابنها فطعنها بحربة في فرجها حتى قتلها وكان الصديق اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وأم عبيس وزنيرة والنهدية وابنتها وجارية لبني عدي كان عمر يعذبها على الاسلام قبل اسلامه وقال له أبوه يا بني أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أعتقت قوما جلدا يمنعونك فقال له أبو بكر اني أريد ما أريد فلما اشتد البلاء أذن الله سبحانه لهم بالهجرة الاولى الى أرض الحبشة وكان أول من هاجر اليها عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أهل هذه الهجرة الاولى اثني عشر رجلا وأربع نسوة عثمان وامرأته وأبو حذيفة وامرأته سهلة بنت سهيل وأبو سلمة وامرأته أم سلمة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة وأبو سبرة ابن أبي رهم وحاطب ابن عمرو وسهيل بن وهب وعبد الله بن مسعود وخرجوا متسللين سرا فوفق الله لهم ساعة وصولهم الى الساحل سفينتين للتجار فحملوهم فيهما الى أرض الحبشة وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من المبعث وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا البحر فلم يدركوا منهم أحدا ثم بلغهم ان قريشا قد كفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فرجعوا فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار بلغهم ان قريشا أشد ما كانوا عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من دخل منهم بجوار وفي تلك المرة دخل ابن مسعود فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فلم يرد عليه فتعاظم ذلك على ابن مسعود حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أحدث من أمره أن لا تكلموا في الصلاة هذا هو الصواب وزعم ابن سعد وجماعة أن ابن مسعود لم يدخل وانه رجع الى الحبشة حتى قدم في المرة الثانية الى المدينة مع من قدم ورد هذا بان ابن مسعود شهد بدرا وأجهز على أبي جهل وأصحاب هذه الهجرة انما قدموا المدينة مع جعفر وأصحابه بعد بدر باربع سنين أو خمس قالوا فان قيل بل هذا الذي ذكره ابن سعد يوافق قول زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة فيكلم الرجل جليسه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وزيد بن أرقم من الانصار والسورة مدنية وحينئذ فابن مسعود سلم عليه لما قدم وهو في الصلاة فلم يرد عليه حتى سلم وأعلمه بتحريم الكلام فاتفق حديثه وحديث ابن أرقم قيل يبطل هذا شهود ابن مسعود بدرا وأهل الهجرة الثانية انما قدموا عام خيبر مع جعفر وأصحابه ولو كان ابن مسعود ممن قدم قبل بدر لكان لقدومه ذكر ولم يذكر أحد قدوم مهاجري الحبشة الا في القدمة الاولى بمكة والثانية عام خيبر مع جعفر فمتى قدم ابن مسعود في غيرها تين المرتين ومع من وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق قال وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا الى الحبشة اسلام أهل مكة فاقبلوا فلما بلغهم ان اسلام أهل مكة كان باطلا لم يدخل منهم أحد الا بجوار او مستخفيا وكان من قدم منهم فأقام بها حتى هاجر الى المدينة فشهد بدرا واحدا فذكر منهم عبد الله بن مسعود فان قيل فما تصنعون بحديث زيد بن أرقم قيل قد أجيب عنه بجوابين * أحدهما أن يكون النهي عنه قد ثبت بمكة ثم أذن فيه بالمدينة ثم نهي عنه * والثاني ان زيد بن أرقم كان من صغار الصحابة وكان هو وجماعة يتكلمون في الصلاة على عادتهم ولم يبلغهم النهي فلما بلغهم انتهوا وزيد لم يخبر عن جماعة المسلمين كلهم

(قال ابن هشام) بجهرة أي ظاهرا لنا لا شئ يستره عنا قال أبو الاخزر الحماني واسمه قتيبة * يجهر أجواف المياه السدم * وهذا البيت
في أرجوزة له يجهر يقول يظهر الماء ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره * قال ابن اسحق وأخذ الصاعقة اياهم عند ذلك لغرتهم ثم احياءه
اياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام وانزاله عليهم المنّ والسلوى وقوله لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة أي
قولوا اما امركم به أحط به ذنوبكم
عنكم وتبديلهم ذلك من قوله
استهزاء بأمره واقالته اياهم ذلك
بعد هزئهم (قال ابن هشام) المنّ
شئ كان يسقط في السحر على
شجرهم فيجتنونه حلوا مثل العسل
يشربونه ويأكلونه * قال أعشى
بني قيس بن ثعلبة

لو أطعموا المنّ والسلوى مكانهم
ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

وهذا البيت في قصيدة له والسلوى
طير واحدتها سلواة ويقال انها
السماني ويقال للعسل أيضا
السلوى وقال خالد بن زهير الهذلي

وقاسمها بالله حقا لأنتم
ألذ من السلوى اذا ما نشورها

وهذا البيت في قصيدة له وحطة أي
حط عنا ذنوبنا * قال ابن اسحق
وكان من تبديلهم ذلك كما حدثني
صالح بن كيسان عن صالح مولى
التوأمة بنت أمية بن خلف عن
أبي هريرة ومن لا أتهم عن ابن
عباس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال دخلوا الباب الذي أمروا
أن يدخلوا منه سجدا يزحفون وهم
يقولون حنط في شعير (قال ابن
هشام) ويروى حنطة في شعيرة
* قال ابن اسحق واستسقاء موسى
لقومه وأمره أن يضرب بعصاه
الحجر فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة
عينا لكل سبط عين يشربون منها
قد علم كل سبط عينه التي منها
يشرب وقولهم لموسى عليه السلام
لن نصبر على طعام واحد فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها (قال ابن هشام) الفوم الحنطة قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

فوق (١) شيزى مثل الجوابي عليها * قطع كالوذيل في نقي فوم

(قال ابن هشام) الوذيل قطع الفضة

(١) الشيزى خشب أسود يصنع منه أوان الجفا الجوابي الحياض العظام

بانهم كانوا يتكلمون في الصلاة الى حين نزول هذه الآية ولو قدر انه أخبر بذلك لكان وهما منه ثم اشتد البلاء من قريش على من قدم من مهاجري الحبشة وغيرهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديدا فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى أرض الحبشة مرة ثانية وكان خروجهم الثاني أشق عليهم وأصعب ولقوا من قريش تعنيفا شديدا ونالوهم بالاذى وصعب عليهم ما بلغهم من النجاشي من حسن جواره لهم وكان عدة من خرج في هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلا ان كان فيهم عمار بن ياسر فانه شك فيه قاله ابن اسحق ومن النساء تسع عشرة امرأة (قلت) قد ذكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدرا فاما أن يكون هذا وهما واما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر فيكون لهم ثلاث قدمات قدمة قبل الهجرة وقدمة قبل بدر وقدمة عام خيبر ولذلك قال ابن سعد وغيره انهم لما سمعوا مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا ومن النساء ثمان نسوة فمات منهم رجلان بمكة وحبس بمكة سبعة وشهد بدرا منهم أربعة وعشرون رجلا فلما كان شهر ربيع الاول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى النجاشي يدعوه الى الاسلام وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وقال لئن قدرت ان آتيه لآتينه وكتب اليه ان يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت فيمن هاجر الى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر هنالك ومات فزوجه النجاشي اياها وأصدقها عنه أربعمائة دينار وكان الذي ولي تزويجها خالد بن سعيد بن العاص وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فوجدوه قد فتحها فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يدخلوهم في سهامهم ففعلوا وعلى هذا فيزول الاشكال الذي بين حديث ابن مسعود وزيد بن أرقم ويكون ابن مسعود قدم في المرة الوسطى بعد الهجرة قبل بدر الى المدينة وسلم عليه حينئذ فلم يرد عليه وكان العهد حديثا بتحريم الكلام كما قال زيد بن أرقم ويكون تحريم الكلام بالمدينة لا بمكة وهذا أنسب بالنسخ الذي وقع في الصلاة والتغيير بعد الهجرة كجعلها أربعا بعد ان كانت ركعتين ووجوب الاجتماع لها فان قيل ما أحسنه من جمع وأثبته لولا ان محمد بن اسحق قد قال ما حكيتم عنه ان ابن مسعود أقام بمكة بعد رجوعه من الحبشة حتى هاجر الى المدينة وشهد بدرا وهذا يدفع ما ذكر قيل ان كان محمد بن اسحق قد قال هذا فقد قال محمد ابن سعد في طبقاته ان ابن مسعود مكث يسيرا بعد مقدمه ثم رجع الى أرض الحبشة وهذا هو الاظهر لان ابن مسعود لم يكن له بمكة من يحميه وما حكاه ابن سعد قد تضمن زيادة أمر خفي على ابن اسحق وابن اسحق لم يذكر من حدثه ومحمد بن سعد أسند ما حكاه الى المطلب بن عبد الله بن حنطب فاتفقت الاحاديث وصدق بعضها بعضا وزال عنها الاشكال ولله الحمد والمنة وقد ذكر ابن اسحق في هذه الهجرة الى الحبشة أبا موسى الاشعري عبد الله بن قيس وقد أنكر عليه ذلك أهل السير منهم محمد بن عمر الواقدي وغيره وقالوا كيف يخفى ذلك على ابن اسحق أو على من دونه (قلت) وليس ذلك مما يخفى على من دون محمد بن اسحق فضلا عنه وانما نشأ الوهم ان أبا موسى هاجر من اليمن الى أرض الحبشة الى عند جعفر وأصحابه لما سمع بهم ثم قدم معهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر

وواحدتها قومه وهذا البيت في قصيدة له وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم
* قال ابن اسحق فلم يفعلوا ورفعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا والمسخ الذي كان فيهم اذ جعلهم قردة بأحداثهم والبقرة التي أراهم الله
عز وجل بها العبرة في القتيل الذي اختلفوا فيه حتى بين الله لهم أمره بعد التردد على موسى عليه السلام في صفة

وكما جاء مصرحا به في الصحيح فعد ذلك ابن اسحق لأبي موسى هجرة ولم يقل انه هاجر من مكة الى أرض الحبشة لينكر عليه

(فصل فانحاز المهاجرون) الى مملكة أصحمة النجاشي آمنين فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم الى النجاشي ليردهم عليهم فأبى ذلك عليهم وشفعوا اليه بعظماء جنده فلم يجبهم الى ما طلبوا فوشوا اليه ان هؤلاء يقولون في عيسى قولا عظيما يقولون انه عبد الله فاستدعى المهاجرين الى مجلسه ومقدمهم جعفر بن أبي طالب فلما أرادوا الدخول عليه قال جعفر يستأذن عليك حزب الله فقال للآذن قل له يعيد استئذانه فأعاده عليه فلما دخلوا عليه قال ما تقولون في عيسى فتلا عليه جعفر صدرا من سورة كهيعص فأخذ النجاشي عودا من الارض فقال ما زاد عيسى على هذا ولا هذا العود فتناخرت بطارقته عنده فقال وان نخرتم وان نخرتم قال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي من سبكم غرم والسيوم الآمنون في لسانهم ثم قال للرسولين لو أعطيتموني دبرا من ذهب يقول جبلا من ذهب ما أسلمتهم اليكما ثم أمر فردت عليهما هداياهما ورجعا مقبوحين

(فصل ثم أسلم حمزة عمه وجماعة كثيرون وفشا الاسلام) فلما رأت قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلو والامور تتزايد أجمعوا على ان يتعاقدوا على بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف ان لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة يقال كتبها منصور بن عكرمة ابن عامر بن هاشم ويقال نضر بن الحرث والصحيح انه بغيض بن عامر بن هاشم فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت يده فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الا أبا لهب فانه ظاهر قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني المطلب وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في الشعب شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة وبقوا محبوسين ومحصورين مضيقا عليهم جدا مقطوعا عنهم الميرة والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب وهناك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة أولها * جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا *

وكان قريش في ذلك بين راض وكاره فسعى في نقض الصحيفة من كان كارها لها وكان القائم بذلك هشام بن عمرو بن الحرث بن حبيب ابن نصير بن مالك مشى في ذلك الى المطعم بن عدي وجماعة من قريش فأجابوه الى ذلك ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وانه أرسل عليها الارضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم الا ذكر الله عز وجل فأخبر بذلك عمه فخرج الى قريش فأخبرهم ان ابن أخيه قد قال كذا وكذا فان كان كاذبا خلينا بينكم وبينه وان كان صادقا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا قالوا قد أنصفت فأنزلوا الصحيفة فلما رأوا الامر كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا كفرا الى كفرهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشعب قال ابن عبد البر بعد عشرة أعوام من المبعث ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام وقيل غير ذلك

(فصل فلما انقضت الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة) وبينهما يسير فاشتد البلاء

البقرة وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله أي وان من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون اليه من الحق وما الله بغافل عما تعملون ثم قال لمحمد عليه السلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وليس قوله يسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكنه يقول فريق منهم أي خاصة * قال ابن اسحق فيما بلغني عن بعض أهل العلم قالوا لموسى يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله فأسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى من ربه فقال له نعم مرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم وليصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجدا وكلمه ربه فسمعوا كلامه تبارك وتعالى يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا عنه ما سمعوا ثم انصرف بهم الى بني اسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني اسرائيل ان الله قد أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذي ذكر الله انما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله لهم فهم الذين عنى الله

عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أي ان صاحبكم رسول الله عليه السلام ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم وكان فيهم فأنزل الله عز وجل فيهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أي تقرون بأنه نبي وقد عرفتم انه قد أخذ له

الميثاق عليهم باتباعه وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ونجد في كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به يقول الله عز وجل أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني (قال ابن هشام) الاماني القراءة لأن الامي الذي يقرأ ولا يكتب يقول لا يعلمون الكتاب الا أنهم يقرؤنه (قال ابن هشام) حدثني أبو عبيدة بذلك (قال ابن هشام) وحدثني يونس بن حبيب النحوي وأبو عبيدة ان العرب تقول تمنى في معنى قرأ وفي كتاب الله تبارك وتعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وأنشدني أبو عبيدة النحوي

تمنى كتاب الله أول ليله
وآخره وافى حمام المقادر

وأنشدني أيضا

تمنى كتاب الله بالليل خاليا
تمني داود الزبور على رسل

وواحدة الأماني أمنية والأماني أيضا ان يتمنى الرجل المال أو غيره *قال ابن اسحق وان هم الا يظنون أي لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون *قال ابن اسحق وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار من أيام الآخرة وانما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قولهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بما له عند الله من حسنة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي خالدا أبدا والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم ان الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له *قال ابن اسحق ثم قال يؤنبهم

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفهاء قومه وتجرؤا عليه فكاشفوه بالأذى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم ودعاهم الى الله عز وجل فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرا وآذوه مع ذلك أشد الأذى ونالوا منه ما لم ينله قومه وكان مولاه معه زيد بن حارثة فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم الا جاءه وكلمه فقالوا اخرج من بلدنا وأغروا به سفهاءهم فوقفوا له سماطين وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه فانصرف راجعا من الطائف الى مكة محزونا وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور دعاء الطائف اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير ان عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو ان ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فارسل ربه تبارك وتعالى اليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة وهما جبلاها اللذان هي بينهما فقال لا بل أستأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيأ فلما نزل بنخلة في مرجعه قام يصلي من الليل فصرف اليه نفر من الجن فاستمعوا قراءته ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين وأقام بنخلة أياما فقال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك يعني قريشا فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه ثم انتهى الى مكة فارسل رجلا من خزاعة الى مطعم ابن عدي أدخل في جوارك فقال نعم ودعا بنيه وقومه فقال البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فاني قد أجرت محمدا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى الى المسجد الحرام فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى يا معشر قريش اني قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف الى بيته ومطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته

(فصل ثم أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم) بجسده على الصحيح من المسجد الحرام الى بيت المقدس راكبا على البراق صحبة جبرائيل عليهما الصلاة والسلام فنزل هناك وصلى بالانبياء اماما وربط البراق بحلقة باب المسجد وقد قيل انه نزل بيت لحم وصلى فيه ولم يصح ذلك عنه البتة ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس الى السماء الدنيا فاستفتح له جبرائيل ففتح له فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه فرحب به ورد عليه السلام وأقر بنبوته وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن يساره ثم عرج به الى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم فلقيهما وسلم عليهما فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته ثم عرج به الى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف فسلم عليه فرد عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم عرج به الى السماء الرابعة فرأى فيها ادريس

فسلم

وَاذأخـذناميثاق بنى اسرائيل أى ميثاقكم لاتعبدون الاالله و بالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الاقليلا منكم وأنتم معرضون أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقص واذأخذناميثاقكم لاتسفكون دماءكم

(قال ابن هشام) تسفكون تصبون تقول العرب سفك دمه أى صبه وسفك الزق أى هراقه قال الشاعر

وكنا اذا ما الضيف حل بأرضنا
سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

(قال ابن هشام) يعنى بالحال الطين يخالطه الرمل وهو الذى تقول له العرب السهلة وقد جاء فى الحديث ان جبريل لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل أخذ من حال الأرض فضرب به وجه فرعون والحال مثل الحمأة ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون *قال ابن اسحق على ان هذا حق من ميثاقى عليكم ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان أى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم وان يأتوكم أسارى تفادوهم فقد عرفتم ان ذلك عليكم فى دينكم وهو محرم عليكم فى كتابكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارا بذلك فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء اسراهم فكانوا فريقين فريق منهم بنو قينقاع (١) ولهم حلفاء الخزرج والنضير وقريظة ولفهم حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الاوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم

فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم عرج به الى السماء الخامسة فرأى فيها هرون بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم عرج به الى السماء السادسة فلقى فيها موسى بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته فلما جاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى لان غلاما بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى ثم عرج به الى السماء السابعة فلقى فيها ابراهيم فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم رفع الى سدرة المنتهى ثم رفع له البيت المعمور ثم عرج به الى الجبار جل جلاله فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمسين صلاة فرجع حتى مر على موسى فقال له بم أمرت قال بخمسين صلاة قال ان أمتك لاتطيق ذلك ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فالتفت الى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فاشار نعم ان شئت فعلا به جبرائيل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو فى مكانه هذا لفظ البخارى فى بعض الطرق فوضع عنه عشرا ثم أنزل حتى مر بموسى فاخبره فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمسا فامره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف فقال قد استحييت من ربى ولكن أرضى وأسلم فلما بعد نادى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى واختلف الصحابة هل رأى ربه تلك الليلة أم لا فصح عن ابن عباس انه رأى ربه وصح عنه انه قال رآه بفؤاده وصح عن عائشة وابن مسعود انكار ذلك وقالا ان قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى انما هو جبريل وصح عن أبى ذر انه سأله هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه أى حال بينى وبين رؤيته النور كما قال فى لفظ آخر رأيت نورا وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على انه لم يره قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وليس قول ابن عباس انه رآه مناقضا لهذا ولا قوله رآه بفؤاده وقد صح عنه انه قال رأيت ربى تبارك وتعالى ولكن لم يكن هذا فى الاسراء ولكن كان فى المدينة لما احتبس عنهم فى صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه وعلى هذا بنى الامام أحمد رحمه الله تعالى وقال نعم رآه حقا فان رؤيا الانبياء حق ولابد ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى انه رآه بعينى رأسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه ولكن قال مرة رآه ومرة قال رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه انه رآه بعينى رأسه وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك وأما قول ابن عباس انه رآه بفؤاده مرتين فان كان استناده الى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ثم قال ولقد رآه نزلة اخرى والظاهر انه مستنده فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا المرئى جبريل رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها وقول ابن عباس هذا هو مستند الامام أحمد فى قوله رآه بفؤاده والله أعلم وأما قوله تعالى فى سورة النجم ثم دنى فتدلى فهو غير الدنو والتدلى فى قصة الاسراء فان الذى فى سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه كما قالت عائشة وابن مسعود والسياق يدل عليه فانه قال علمه شديد القوى وهو جبريل ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فالضمائر كلها راجعة الى هذا المعلم الشديد القوى وهو ذو المرة أى القوة وهو الذى استوى بالافق الاعلى وهو الذى دنى فتدلى فكان من محمد صلى الله عليه وسلم قدر قوسين أو أدنى فاما الدنو والتدلى الذى فى حديث الاسراء فذلك صريح فى انه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه ولا تعرض فى سورة النجم لذلك بل فيها انه رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وهذا هو جبريل رآه محمد صلى الله عليه وسلم على صورته مرتين مرة فى الارض

(١) قوله ولفهم أى من عدفيهم بالكسر والفتح أو يثلث كما فى القاموس

ومرة عند سدرة المنتهى والله أعلم

(فصل فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم) في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه وسألوه ان يصف لهم بيت المقدس فجلاه الله له حتى عاينه فطفق يخبرهم عن آياته ولا يستطيعون ان يردوا عليه شيأ وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه وأخبرهم عن وقت قدومها وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها وكان الامر كما قال فلم يزدهم ذلك الا نفورا وأبى الظالمون الا كفورا

(فصل) وقد نقل ابن اسحق عن عائشة ومعاوية انهما قالا انما كان الاسراء بروحه ولم يفقد جسده ونقل عن الحسن البصري نحو ذلك ولكن ينبغي ان يعلم الفرق بين ان يقال كان الاسراء مناما وبين ان يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم وعائشة ومعاوية لم يقولا كان مناما وانما قالا أسري بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الامرين فان ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة فيرى كأنه قد عرج به الى السماء أو ذهب به الى مكة وأقطار الارض وروحه لم تصعد ولم تذهب وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال والذين قالوا عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان طائفة قالت عرج بروحه وبدنه وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه وهؤلاء لم يريدوا ان المعراج كان مناما وانما أرادوا ان الروح ذاتها أسري بها وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها الى السموات سماء سماء حتى ينتهي بها الى السماء السابعة فتقف بين يدي الله عز وجل فيأمر فيها بما يشاء ثم تنزل الى الارض فالذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ومعلوم ان هذا أمر فوق ما يراه النائم لكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهو حي لا يتألم بذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير اماتة ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود الى السماء الا بعد الموت والمفارقة فالانبياء انما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الابدان وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم صعدت الى هناك في حال الحياة ثم عادت وبعد وفاته استقرت في الرفيق الاعلى مع أرواح الانبياء ومع هذا فلها اشراف على البدن واشراق وتعلق به بحيث يرد السلام على من سلم عليه وبهذا التعلق رأى موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة ومعلوم انه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد اليه وانما ذلك مقام روحه واستقرارها وقبره مقام بدنه واستقراره الى يوم معاد الارواح الى أجسادها فرآه يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة كما انه صلى الله عليه وسلم في أرفع مكان في الرفيق الاعلى مستقرا هناك وبدنه في ضريحه غير مفقود واذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الاعلى ومن كثف ادراكه وغلظت طباعه عن ادراك هذا فلينظر الى الشمس في علو محلها وتعلقها وتأثيرها في الارض وحياة النبات والحيوان بها هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شأن وللابدان شأن وهذه النار تكون في محلها وحرارتها تؤثر في الجسم البعيد عنها مع ان الارتباط والتعلق الذي بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف

فقل للعيون الرمد اياك ان ترى * سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا

(فصل) قال الزهري عرج بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس والى السماء قبل

وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والاوس والخزرج أهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الاوس وتفتدي النضير وقريظة ما في أيدي الخزرج منهم ويطلون ما أصابوا من الدم وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى لهم حين أنبهم بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أي تفاديه بحكم التوراة وتقتله وفي حكم التوراة أن لا تفعل وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة * ثم قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات أي الآيات التي وضع على يديه من احياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم وما رد عليهم من التوراة مع الانجيل الذي أحدث الله اليه ثم ذكر كفرهم بذلك كله فقال أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ثم قال تعالى وقالوا قلوبنا غلف أي في أكنة يقول الله عز وجل بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * قال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قال قالوا فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة كنا قد علوناهم في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا ان نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به يقول الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما

خروجه

خروجه الى المدينة بسنة وقال ابن عبد البر وغيره كان بين الاسراء والهجرة سنة وشهران انتهى وكان الاسراء مرة واحدة وقيل مرتين مرة يقظة ومرة مناما وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا ان يجمعوا بين حديث شريك وقوله ثم استيقظت وبين سائر الروايات ومنهم من قال بل كان هذا مرتين مرة قبل الوحي لقوله في حديث شريك وذلك قبل ان يوحى اليه ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الاحاديث ومنهم من قال بل ثلاث مرات مرة قبل الوحي ومرتين بعده وكل هذا خبط * وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية * من أرباب النقل الذين اذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة اخرى فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا انه مرارا كيف ساغ لهم ان يظنوا انه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية الى خمسين ثم يحطها عشرا عشرا وقد غلط الحفاظ شريكا في الفاظ من حديث الاسراء ومسلم أورد المسند منه ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله

(فصل) في مبدأ الهجرة التي فرق الله فيها بين أوليائه وأعدائه وجعلها مبدأ لاعزاز دينه ونصر عبده ورسوله قال الزهري حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتتبع الحاج في منازلهم وفي المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فاذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فانه صابئ كذاب فيردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ويؤذونه ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك وهو يدعوهم الى الله ويقول اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا قال وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن حفصة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو النضر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة فلم يستجب منهم أحد

(فصل) وكان مما صنع الله لرسوله ان الاوس والخزرج كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الانبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم وكانت الانصار يحجون البيت كما كانت العرب تحجه دون اليهود فلما رأى الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الله عز وجل وتأملوا أحواله قال بعضهم لبعض تعلمون والله يا قوم ان هذا الذي توعدكم به يهود المدينة فلا يسبقنكم اليه وكان سويد بن الصامت من الاوس قد قدم مكة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبعد ولم يجب حتى قدم أنس بن رافع أبو الحيس في فتية من قومه من بني عبد الاشهل يطلبون الحلف فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال اياس بن معاذ وكان شابا حدثا يا قوم هذا والله خير مما جئنا له فضربه أبو الحيس وانتهره فسكت ثم لم يتم لهم الحلف

أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أي أن جعله في غيرهم فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين (قال ابن هشام) فباؤا بغضب أي اعترفوا به واحتملوه قال اعشى بني قيس بن ثعلبة

أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق فالغضب على الغضب بغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب بكفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي احدث الله اليهم * ثم أنبهم برفع الطور عليهم واتخاذهم العجل الها دون ربهم يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على أي الفريقين اكذب عند الله فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك فيقال لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على وجه الارض يهودي الامات * ثم ذكر رغبتهم في الحياة وطول العمر فقال تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة اليهود ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر أي ما هو بمنجيه من العذاب وذلك أن المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وان اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع مما عنده من العلم ثم قال الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري أن نفرا من أحبار يهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنني قالوا نعم قال فاسألوا عما بدا لكم قالوا فاخبرنا كيف يشبه الولد أمه وانما النطفة من الرجل

قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا كيف نومك فقال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون ان نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان فقالوا اللهم نعم قال فكذلك نومي تنام عيني وقلبي يقظان قالوا فاخبرنا عما حرّم اسرائيل على نفسه قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه كان أحب الطعام والشراب اليه ألبان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب اليه شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل وألبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذي يأتيني قالوا اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدوّ وهو ملك انما يأتي بالشدة وبسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك قال فأنزل الله عز وجل فيهم قل من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين الى قوله تعالى أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخر الآية وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أي السحر وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * قال ابن اسحق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين قال بعض أحبارهم ألا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان بن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أي باتباعهم السحر وعملهم به وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * قال ابن اسحق وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة عن وامرأتان
ابن عباس انه كان يقول الذي حرم اسرائيل على نفسه زائدتا الكبد والكليتان والشحم الا ما على الظهر فان ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار * قال ابن اسحق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود خيبر فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد

فانصرفوا الى المدينة

(فصل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الانصار كلهم من الخزرج وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاسلموا ثم رجعوا الى المدينة فدعوهم الى الاسلام ففشا الاسلام فيها حتى لم يبق دار الا وقد دخلها الاسلام فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلا الستة الاول خلا جابر بن عبد الله ومعهم معاذ بن الحرث بن رفاعة أخو عوف المتقدم وذكوان بن عبد القيس وقد أقام ذكوان بمكة حتى هاجر الى المدينة فيقال انه مهاجري أنصاري وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن مالك هم اثنا عشر وقال أبو الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ من يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه حتى ان الرجل ليرحل من مصر أو اليمن الى ذي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له احذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رحالهم يدعوهم الى الله وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب الى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام وبعثنا الله اليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا حتى متى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدنا بيعة العقبة فقال له عمه العباس يا ابن أخي ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤك اني ذو معرفة باهل يثرب فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس في وجوهنا قال هؤلاء قوم لا نعرفهم هؤلاء أحداث فقلنا يا رسول الله على ما نبايعك قال على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم لومة لائم وعلى أن تنصروني اذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين فقال رويدا يا أهل يثرب انا لم نضرب اليه أكباد المطي الا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله واما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها فقمنا اليه رجلا رجلا فأخذ علينا يعطينا بذلك الجنة ثم انصرفوا الى المدينة وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أسلم منهم القرآن ويدعوان الى الله عز وجل فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة وكان مصعب بن عمير يؤمهم وجمع بهم لما بلغوا أربعين فاسلم على يديهما بشر كثير منهم أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ وأسلم باسلامهما يومئذ جميع بني عبد الاشهل الرجال والنساء الا أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد وأسلم حينئذ وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة فأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمل قليلا وأجر كثيرا وكثر الاسلام بالمدينة وظهر ثم رجع مصعب الى مكة ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الانصار من المسلمين والمشركين وزعيم القوم البراء بن معرور فلما كانت ليلة العقبة الثلث الاول من الليل تسلل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعون رجلا

ابن جبير عن ابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ألا ان الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة وانكم لتجدون ذلك فى كتابكم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم

فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (قال ابن هشام) شطأه فراخه وواحدته شطأة تقول العرب قد أشطأ الزرع اذا أخرج فراخه وآزره عاونه فصار الذى قبله مثل الامهات قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

بمحنية قد آزر(١) الضال نبتها
مجر جيوش غانمين وخيب

وهذا البيت فى قصيدة له وقال حميد الارقط بن مالك أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة

* زرعا وقضبا مؤزر النبات *

وهذا البيت فى أرجوزة له وسوقه غير مهموز جمع ساق لساق الشجرة (قال ابن هشام) الى ههنا انتهى قولى وما بعده فمن حديث ابن اسحق الذى قبله * قال ابن اسحق وانى أنشدكم بالله وأنشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله الا أخبرتمونى هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغى فأدعوكم الى الله والى نبيه * قال ابن اسحق وكان ممن نزل فيه القرآن خاصة من الاحبار وكفار يهود الذين كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل فيما ذكر لى عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب ان أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حيى بن اخطب فى رجال من يهود فقال تعلموا والله لقد

وامرأتان فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خفية من قومهم ومن كفار مكة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم فكان أول من بايعه ليلتئذ البراء بن معرور وكانت له اليد البيضاء اذ أكد العقد وبادر اليه وحضر العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدا البيعته كما تقدم وكان اذ ذاك على دين قومه واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم تلك الليلة اثنى عشر نقيبا وهم أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وكان اسلامه تلك الليلة وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وعبادة ابن الصامت فهؤلاء تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس أسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر وقيل بل أبو الهيثم بن التيهان مكانه وأما المرأتان فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو وهى التى قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد وأسماء بنت عمرو بن عدى فلما تمت هذه البيعة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يميلوا على أهل العقبة بأسيافهم فلم يأذن لهم فى ذلك وصرخ الشيطان على العقبة بابعد صوت سمع يا أهل الاخاشب هل لكم فى محمد والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة أما والله يا عدو الله لا تفرغن لك ثم أمرهم أن ينفضوا الى رحالهم فلما أصبح القوم غدت عليهم جلة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الخزرج انه بلغنا انكم لقيتم صاحبنا البارحة وواعدتموه أن تبايعوه على حربنا وايم الله ما حى من العرب أبغض الينا من أن ينشب بيننا وبينه الحرب منكم فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمناه وجعل عبد الله بن أبى يقول هذا باطل وما كان هذا وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤامرونى فرجعت قريش من عندهم ورحل البراء بن معرور فتقدم الى بطن يأجج وتلاحق أصحابه من المسلمين وتطلبتهم قريش فادركوا سعد بن عبادة فجعلوا يده الى عنقه بنسعه وجعلوا يضربونه ويجرونه ويجرون شعره حتى أدخلوه مكة فجاء مطعم بن عدى والحرث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم وتشاورت الانصار حين فقدوه أن يكروا اليه فاذا سعد قد طلع عليهم فوصل القوم جميعا الى المدينة فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة الى المدينة فبادر الناس الى ذلك وكان أول من خرج الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد وامرأته ام سلمة ولكنها احتبست دونه ومنعت من اللحاق سنة وحيل بينها وبين ولدها ثم خرجت بعد السنة بولدها الى المدينة وشيعها عثمان بن أبى طلحة ثم خرج الناس ارسالا يتبع بعضهم بعضا ولم يبق بمكة من المسلمين الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى أقاما بامره لهما والا من احتبسه المشركون كرها وقد اعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج وأعد أبو بكر جهازه

(فصل فلما رأى المشركون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) قد تجهزوا وخرجوا وحملوا وساقوا الذرارى والاطفال والاموال الى الاوس والخزرج وعرفوا ان الدار دار منعة وان القوم أهل حلقة وشوكة وبأس فخافوا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ولحوقه بهم فيشتد عليهم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأى والحجى منهم ليتشاوروا فى أمره وحضرهم وليهم وشيخهم ابليس فى صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصماء فى كسائه فتذاكروا أمر

(١) (قال ابن هشام) الضال شجر يشبه السدر تعمل منه القسى اه من هامش نسخة

سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلك الكتاب فقالوا أنت سمعته فقال نعم فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد الم يذكر لنا انك تتلو فيما أنزل اليك الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى قالوا أجاءك بها جبريل من عند الله فقال نعم وقالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أكل أمته غيرك فقال حيي بن أخطب وأقبل على من معهم فقال لهم الالف واحد واللام ثلاثون والميم اربعون فهذه احدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين انما مدة ملكه وأكل أمته احدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال ماذا قال المص قال والله هذه أثقل وأطول الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه احدى وستون ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم الر قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتان هل مع هذا غيره يا محمد قال نعم المر قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتان سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا عطيت أم كثيرا ثم قاموا عنه فقال أبو ياسر لاخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون واحدى وستون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون ان هؤلاء الآيات نزلت فيهم منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات * قال ابن اسحق وقد سمعت من لا أتهم من أهل العلم يذكر ان هؤلاء الآيات انما انزلن في أهل نجران حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام * قال ابن اسحق وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف انه سمع أن هؤلاء الآيات انما أنزلن في نفر من يهود ولم يفسر ذلك لي فالله أعلم أي ذلك كان * قال ابن اسحق وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار كل أحد منهم برأي والشيخ يرده ولا يرضاه الى ان قال أبو جهل قد فرق لي فيه رأي ما أراكم قد وقعتم عليه قالوا ما هو قال أرى ان نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاما نهدا جلدا ثم نعطيه سيفا صارما فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع ولا يمكنها معاداة القبائل كلها ونسوق اليهم ديته فقال الشيخ لله در الفتى هذا والله الرأي قال فتفرقوا على ذلك واجتمعوا عليه فجاءه جبريل بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى فاخبره بذلك وأمره ان لا ينام في مضجعه تلك الليلة وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعا فقال له أخرج من عندك فقال انما هم أهلك يا رسول الله فقال ان الله قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحابة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أبو بكر فخذ بابي وأمي احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن وأمر عليا ان يبيت في مضجعه تلك الليلة واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه ويريدون بياته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤسهم وهم لا يرونه وهو يتلو وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا وجاء رجل ورأى القوم ببابه فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال خبتم وخسرتم قد والله مر بكم وذر على رؤسكم التراب قالوا والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤسهم وهم أبو جهل والحكم بن العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وامية بن خلف وزمعة بن الاسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأ بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فلما أصبحوا قام علي عن الفراش فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا علم لي به ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى غار ثور فدخلاه وضرب العنكبوت على بابه وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي وكان هاديا ماهرا بالطريق وكان على دين قومه من قريش وأمناه على ذلك وسلما اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث وجدت قريش في طلبهما وأخذوا معهم القافة حتى انتهوا الى باب الغار فوقفوا عليه ففي الصحيحين ان أبا بكر قال يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى ما تحت قدميه لابصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن فان الله معنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤسهما ولكن الله سبحانه عمى عليهم أمرهما وكان عامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما لابي بكر ويستمع ما يقال بمكة ثم يأتيهما بالخبر فاذا كان السحر سرح مع الناس قالت عائشة وجهزناهما أحث الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب وقطعت الاخرى فصيرتها عصاما لفم القربة فلذلك لقبت ذات النطاقين وذكر الحاكم في مستدركه عن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له يا رسول الله اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فقال يا أبا بكر لو كان شئ أحببت ان يكون بك دوني قال نعم والذي بعثك بالحق فلما انتهى الى الغار قال أبو بكر مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه حتى اذا كان في أعلاه ذكر انه لم يستبرئ الجحرة فقال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة فدخل واستبرأ الجحرة ثم قال انزل يا رسول الله فنزل فمكثا في الغار ثلاث ليال

سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه

لنا بصفته فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله في ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * قال ابن اسحق وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه والله ما عهد الينا في محمد عهد وما أخذ له علينا ميثاق فأنزل الله فيه أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون * وقال ابن صلوبا الفطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون * وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل (قال ابن هشام) سواء السبيل وسط السبيل قال حسان بن ثابت

يا ويح أنصار النبي ورهطه
بعد المغيب في سواء الملحد

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وكان حيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا اذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله

ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب فجاءهما عبد الله بن اريقط بالراحلتين فارتحلا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الدليل امامهما وعين الله تكلؤهما وتأييده يصحبهما واسعاده يرحلهما وينزلهما ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاءهم بهما دية كل واحد منهما فجد الناس في الطلب والله غالب على أمره فلما مروا بحي بني مدلج مصعدين من قديد بصر بهم رجل من الحي فوقف على الحي فقال لقد رأيت آنفا بالساحل أسودة ما أراها الا محمدا وأصحابه ففطن بالامر سراقة بن مالك فاراد ان يكون الظفر له خاصة وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسابه فقال بل هم فلان وفلان خرجا في طلب حاجة لهما ثم مكث قليلا ثم قام فدخل خباءه وقال لخادمه اخرج بالفرس من وراء الخباء وموعدك وراء الاكمة ثم أخذ رمحه وخفض عاليه يخط به الارض حتى ركب فرسه فلما قرب منهم وسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يكثر الالتفات ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتفت فقال أبو بكر يا رسول الله هذا سراقة بن مالك قد رهقنا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه في الارض فقال قد علمت ان الذي أصابني بدعائكما فادعوا الله لي ولكما علي ان أرد الناس عنكما فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلق وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتب له كتابا فكتب له أبو بكر بامره في أديم وكان الكتاب معه الى يوم فتح مكة فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يوم وفاء وبر وعرض عليهما الزاد والحملان فقالا لا حاجة لنا به ولكن عم عنا الطلب فقال قد كفيتم ورجع فوجد الناس في الطلب فجعل يقول قد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتم ما ههنا وكان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما

(فصل) ثم مر في مسيره ذلك حتى مر بخيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقي من مر بها فسألاها هل عندها شيء فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب وكانت سنة شهباء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال هل بها من لبن قالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم بأبي وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه ودرت فدعا باناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الاناء ثم غادره عندها فارتحلوا فقلما لبثت ان جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالا فلما رأى اللبن عجب فقال من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة في البيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا قال والله اني لاراه صاحب قريش الذي تطلبه صفيه لي يا أم معبد قالت ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشعاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر اذا صمت علاه الوقار وان تكلم علاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن ربعة لا تقحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال أبو معبد والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا ولقد هممت أن

بأمره إن الله على كل شيء قدير * قال ابن اسحق ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالانجيل فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما وقالت اليهود

ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الانجيل ما جاء به عيسى عليه السلام من تصديق موسى عليه السلام وما جاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه * قال ابن اسحق وقال رافع ابن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ان كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون * وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد قال وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم القصة الى قول الله تعالى تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون * قال ابن اسحق ولما صرفت القبلة عن الشام الى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الاشرف ورافع بن أبي رافع والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن

أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يرون القائل

جزى الله رب العرش خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به * وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد

قالت أسماء ما درينا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة فأنشد هذه الابيات والناس يتبعونه ويسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلاها قالت فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه الى المدينة

(فصل وبلغ الانصار مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) من مكة وقصده المدينة وكانوا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه أول النهار فاذا اشتد حر الشمس رجعوا على عادتهم الى منازلهم فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر سنة من النبوة خرجوا على عادتهم فلما حمي حر الشمس رجعوا وصعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء هذا جدكم الذي تنتظرونه فبادر الانصار الى السلاح ليتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت الوجبة والتكبير في بني عمرو بن عوف وكبر المسلمون فرحا بقدومه وخرجوا للقائه وتلقوه وحيوه بتحية النبوة فأحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه والوحي نزل عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف فنزل على كلثوم بن الهدم وقيل بل على سعد بن خيثمة والاول أثبت فأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء وهو أول مسجد أسس بعد النبوة فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي ثم ركب فأخذوا بخطام راحلته هلم الى العدد والعدة والسلاح والمنعة فقال خلوا سبيلها فانها مأمورة فلم تزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الانصار الا رغبوا اليه في النزول عليهم ويقول دعوها فانها مأمورة فسارت حتى وصلت الى موضع مسجده اليوم وبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا ثم التفتت فرجعت فبركت في موضعها الاول فنزل عنها وذلك في بني النجار أخواله صلى الله عليه وسلم وكان من توفيق الله لها فانه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك فجعل الناس يكلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول عليهم وبادر أبو أيوب الانصاري الى رحله فأدخله بيته فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المرء مع رحله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته وكانت عنده وأصبح كما قال قيس بن صرمة الانصاري وكان ابن عباس يختلف اليه يتحفظ منه هذه الابيات

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى حبيبا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه * فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى * وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم * بعيد ولا يخشى من الناس باغيا

بذلنا

بذلنا له الاموال من جل مالنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادي من الناس كلهم * جميعا وان كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره * وان كتاب الله أصبح هاديا

قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال قتادة أخرجه الله من مكة الى المدينة مخرج صدق ونبي الله يعلم أنه لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسال الله سلطانا نصيرا وأراه الله عز وجل دار الهجرة وهو بمكة فقال أريت دار هجرتكم بسبخة ذات نخل بين لابتين وذكر الحاكم في صحيحه عن على بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل من يهاجر معي قال أبو بكر الصديق قال البراء أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئان الناس القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين راكبا ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت الناس فرحوا بشئ كفرحهم به حتى رأيت النساء والصبيان والاماء يقولون هذا رسول الله قد جاء وقال أنس شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا وشهدته يوم مات فما رأيت يوما قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فأقام في منزل أبي أيوب حتى بنى حجرته ومسجده وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم الى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن وأما زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان

(فصل) في بناء المسجد قال الزهري بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم موضع مسجده وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الانصار كانا في حجر أسعد بن زرارة فساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتاعه منهما بعشرة دنانير وكان جدارا ليس له سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان يصلي فيه ويجمع أسعد بن زرارة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيه شجرة غرقد ونخل وقبور للمشركين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالنخل والشجر فقطعت وصفت في قبلة المسجد وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع والجانبين مثل ذلك أو دونه وجعل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع ثم بنوه باللبن وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبني معهم وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة * فاغفر للانصار والمهاجرة

وكان يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

وجعلوا يرتجزون وهم ينقلون اللبن ويقول بعضهم في رجزه

لئن قعدنا والرسول يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وجعل قبلته الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب بابا في مؤخره وبابا يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عمده الجذوع وسقف بالجريد وقيل له ألا تسقفه فقال

أبي الحقيق فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا يقول عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه أي ابتلاء واختبارا وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله أي من الفتن أي الذين ثبت الله وما كان الله ليضيع ايمانكم أي ايمانكم بالقبلة الاولى وتصديقكم نبيكم واتباعكم اياه الى القبلة الآخرة أي ليعطينكم أجرهما جميعا ان الله بالناس لرؤف رحيم * ثم قال تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره (قال ابن هشام) شطره نحوه وقصده قال عمرو بن أحمر الباهلي وباهلة ابن يعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان يصف ناقة له

تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة
قد كارب العقد من ايفادها الحقبا

وهذا البيت في قصيدة له وقال قيس ابن خويلد الهذلي يصف ناقته

ان النعوس بها داء مخامرها
فشطرها نظر العينين محسور

وهذا البيت في أبيات له (قال ابن هشام) والنعوس ناقته وكان بها داء فنظر اليها نظر حسير من قوله وهو حسير وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين * قال ابن اسحق الى قوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين *وسأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخو بني عبد الاشهل وخارجة بن زيد أخو بلحرث بن الخزرج نفرا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم اياه وأبوا أن يخبروهم عنه فأنزل الله تعالى فيهم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه

لاعريش كعريش موسى وبنى بيوتا الى جانبه بيوت الحجر باللبن وسقفها بالجريد والجذوع فلما فرغ من البناء بنى بعائشة فى البيت الذى بناه لها شرقى المسجد يليه وهو مكان حجرته اليوم وجعل لسودة بنت زمعة بيتا آخر

(فصل ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم) بين المهاجرين والانصار فى دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الانصار آخى بينهم على المواساة و يتوارثون بعد الموت دون ذوى الارحام الى حين وقعة بدر فلما أنزل الله عز وجل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله رد التوارث الى الرحم دون عقد الاخوة وقد قيل انه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية واتخذ فيها عليا أخا لنفسه والثبت الاول والمهاجرون كانوا مستغنين باخوة الاسلام واخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الانصار ولو آخى بين المهاجرين كان أحق الناس باخوته أحب الخلق اليه ورفيقه فى الهجرة وأنيسه فى الغار وأفضل الصحابة وأكرمهم عليه أبو بكر الصديق وقد قال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام أفضل وفى لفظ ولكن أخى وصاحبى وهذه الاخوة فى الاسلام وان كانت عامة كما قال وددت ان قد رأينا اخواننا قالوا ألسنا اخوانك قال أنتم أصحابى واخوانى قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى فللصديق من هذه الاخوة أعلى مراتبها كما له من الصحبة أعلى مراتبها فالصحابة لهم الاخوة ومزية الصحبة ولاتباعه بعدهم الاخوة دون الصحبة

(فصل ووادع رسول الله صلى الله عليه وسلم) من بالمدينة من اليهود وكتب بينه وبينهم كتابا وبادر حبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام فدخل فى الاسلام وأبى عامتهم الا الكفر وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وحاربته الثلاثة فمن على بنى قينقاع وأجلى بنى النضير وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير وسورة الاحزاب فى بنى قريظة

(فصل وكان يصلى الى قبلة بيت المقدس) ويحب أن يصرف الى الكعبة وقال لجبرائيل وددت أن يصرف الله وجهى عن قبلة اليهود فقال انما أنا عبد فادع ربك واسأله فجعل يقلب وجهه فى السماء يرجو ذلك حتى أنزل الله عليه قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وذلك بعد ستة عشر شهرا من مقدمه المدينة قبل وقعة بدر بشهرين قال محمد بن سعد أخبرنا هاشم بن القاسم قال أنبأنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال ماخالف نبى نبيا قط فى قبلة ولا فى سنة الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس حين قدم المدينة ستة عشر شهرا ثم قرأ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك الآية وكان فى جعل القبلة الى بيت المقدس ثم تحويلها الى الكعبة حكم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين فاما المسلمون فقالوا سمعنا وأطعنا وقالوا آمنا به كل من عند ربنا وهم الذين هدى الله ولم يكن كبيرة عليهم وأما المشركون فقالوا كما رجع الى قبلتنا يوشك ان يرجع الى ديننا وما رجع اليها الا انه الحق وأما اليهود فقالوا خالف قبلة الانبياء قبله ولو كان نبيا لكان يصلى الى قبلة الانبياء وأما المنافقون فقالوا ماندرى محمد أين يتوجه ان كانت الاولى حقا فقد تركها وان كانت الثانية هى الحق فقد كان على باطل وكثرت أقاويل السفهاء من الناس وكانت كما قال الله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول

بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع يا محمد ماوجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا أعلم وخيرا منا فأنزل الله فى ذلك من قولهما واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيأ ولا يهتدون * ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة فقال يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ماأصاب به قريشا فقالوا يامحمد لايغرنك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لايعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له النعمان بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت يامحمد قال على ملة ابراهيم ودينه قالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلم الى التوراة فهى بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله تعالى فيهما ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون * وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا فقالت الاحبار ماكان ابراهيم الا يهوديا
وقالت النصارى من أهل نجران ماكان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله عز وجل فيهم منهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ما كان

منهم ممن ينقلب على عقبيه ولما كان أمر القبلة وشأنها عظيما وطأ سبحانه قبلها أمر النسخ وقدرته عليه وانه يأتي بخير من المنسوخ أو مثله ثم عقب ذلك بالتوبيخ لمن تعنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينقد له ثم ذكر بعده اختلاف اليهود والنصارى وشهادة بعضهم على بعض بانهم ليسوا على شئ وحذر عباده من موافقتهم واتباع أهوائهم ثم ذكر كفرهم وشركهم به وقولهم ان له ولدا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا ثم أخبران له المشرق والمغرب وأينما يولي عباده وجوههم فثم وجهه وهو الواسع العليم فلعظمته وسعته واحاطته أينما يوجه العبد فثم وجه الله ثم أخبر انه لا يسأل رسوله عن أصحاب الجحيم الذين لا يتابعونه ولا يصدقونه ثم أعلمه ان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى تتبع ملتهم وانه ان فعل وقد أعاذه الله من ذلك فما له من الله من ولي ولا نصير ثم ذكر أهل الكتاب بنعمته عليهم وخوفهم من بأسه يوم القيامة ثم ذكر خليله باني بيته الحرام وأثنى عليه ومدحه وأخبر انه جعله اماما للناس يأتم به أهل الارض ثم ذكر بيته الحرام وبناء خليله له وفي ضمن هذا ان باني البيت كما هو امام للناس فكذا البيت الذي بناه امام لهم ثم أخبر انه لا يرغب عن ملة هذا الامام الا أسفه الناس ثم أمر عباده أن يأتموا به ويؤمنوا بما أنزل اليه والى ابراهيم والى سائر النبيين ثم رد على من قال ان ابراهيم وأهل بيته كانوا هودا أو نصارى وجعل هذا كله توطئة ومقدمة بين يدي تحويل القبلة ومع هذا كله فكبر ذلك على الناس الا من هدى الله منهم وأكد سبحانه هذا الامر مرة بعد مرة بعد ثالثة وأمر به حيثما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حيث خرج وأخبر ان الذي يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هداهم الى هذه القبلة وانها هي القبلة التي تليق بهم وهم أهلها لانها أوسط القبل وأفضلها وهم أوسط الامم وخيارهم فاختار أفضل القبل لافضل الامم كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب وأخرجهم في خير القرون وخصهم بافضل الشرائع ومنحهم خير الاخلاق وأسكنهم خير الارض وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل وموقفهم في القيامة خير المواقف فهم على تل عال والناس تحتهم فسبحان من يختص برحمته من يشاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وأخبر سبحانه انه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة ولكن الظالمون الباغون يحتجون عليهم بتلك الحجج التي ذكرت ولا يعارض الملحدون الرسل الا بها وبامثالها من الحجج الداحضة كل من قدم على أقوال الرسول سواها فحجته من جنس حجج هؤلاء وأخبر سبحانه انه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم ثم ذكرهم نعمه عليهم بارسال رسوله اليهم وانزال كتابه عليهم ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون ثم أمرهم بذكره وبشكره اذ بهذين الامرين يستوجبون اتمام نعمه والمزيد من كرامته ويستجلبون ذكره لهم ومحبته لهم ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك الا بالاستعانة به وهو الصبر والصلاة وأخبرهم انه مع الصابرين

(فصل وأتم نعمته عليهم) مع القبلة بان شرع لهم الاذان في اليوم والليلة خمس مرات وزادهم في الظهر والعصر والعشاء ركعتين أخريين بعد ان كانت ثنائية فكل هذا كان بعد مقدمه المدينة

(فصل فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التي كانت بينهم فمنعته أنصار الله وكتيبة الاسلام من الاسود

ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * وقال عبد الله بن صيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع و يرجعون عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * وقال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الاحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم وقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الربيس ويروى الريس والرئيس أوذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثني الله ولا أمرني أو كما قال صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون الى قوله تعالى بعد اذ أنتم مسلمون (قال ابن هشام) الربانيون العلماء الفقهاء السادة واحدهم رباني قال الشاعر

لو كنت مرتهنا في القوس أفتنني * منها الكلام (١) وربانيّ أحبار

(١) وجد بهامش نسخة ما نصه قال ابن هشام قال جرير لا وصل اذ صرمت هند ولو وقفت * لاستنزلتني وذا المسحين في القوس أي صومعة الراهب (قال ابن هشام) والرباني مشتق من الرب وهو السيد وفي كتاب الله تعالى يسقي ربه خمرا أي سيده اه

(قال ابن هشام) القوس صومعة الراهب وأفتنى لغة تميم وفتننى لغة قيس * قال ابن اسحق ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون * قال ابن اسحق ثم ذكر ما أخذ الله عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه اذا هو جاءهم واقرارهم على أنفسهم فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى يقول ميثاقى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين الى آخر القصة * قال ابن اسحق ومر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من يهود كان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للاوس على الخزرج وكان على الاوس يومئذ حضير بن سماك الاشهلى وأبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقتلا جميعا (قال ابن هشام) قال أبو قيس بن الاسلت

على ان قد فجعت بذى حفاظ
فعاودنى له حزن رصين
فاما تقتلوه فان عمرا
أعض برأسه عضب سنين

وهذان البيتان فى قصيدة له وحديث يوم بعاث أطول مما ذكرت وانما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع (قال ابن هشام) سنين مسنون من سنه شحذه * قال ابن اسحق ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة والظاهرة

والاجر وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والابناء والازواج وكان أولى بهم من أنفسهم رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فاذن لهم حينئذ فى القتال ولم يفرضه عليهم فقال تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير وقد قالت طائفة ان هذا الاذن كان بمكة والسورة مكية وهذا غلط لوجوه * أحدها ان الله لم يأذن بمكة لهم فى القتال ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة * الثانى ان سياق الآية يدل على ان الاذن بعد الهجرة واخراجهم من ديارهم فانه قال الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله وهؤلاء هم المهاجرون * الثالث ان قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين تبارزوا فى يوم بدر من الفريقين * الرابع انه قد خاطبهم فى آخرها بقوله يا أيها الذين آمنوا والخطاب بذلك كله مدنى فاما الخطاب بيا أيها الناس فمشترك * الخامس انه أمر فيها بالجهاد الذى يعم الجهاد باليد وغيره ولا ريب ان الامر بالجهاد المطلق انما كان بعد الهجرة فاما جهاد الحجة فامر به فى مكة بقوله ولا تطع الكافرين وجاهدهم به أى بالقرآن جهادا كبيرا فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة وأما الجهاد المامور به فى سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف * السادس ان الحاكم روى فى مستدركه من حديث الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن فانزل الله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وهى أول آية نزلت فى القتال واسناده على شرط الصحيحين وسياق السورة يدل على ان فيها المكى والمدنى فان قصة القاء الشيطان فى أمنية الرسول مكية والله أعلم

(فصل ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك) لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرما ثم ماذونا به ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ثم مأمورا به لجميع المشركين اما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور والتحقيق ان جنس الجهاد فرض عين اما بالقلب واما باللسان واما بالمال واما باليد فعلى كل مسلم ان يجاهد بنوع من هذه الانواع اما الجهاد بالنفس ففرض كفاية أما الجهاد بالمال ففى وجوبه قولان والصحيح وجوبه لان الامر بالجهاد به وبالنفس فى القرآن سواء كما قال تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وعلق النجاة من النار به ومغفرة الذنب ودخول الجنة فقال يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخبرانهم ان فعلوا ذلك أعطاهم ما يحبون من النصر والفتح القريب فقال وأخرى تحبونها أى ولكم خصلة أخرى تحبونها فى الجهاد وهى نصر من الله وفتح قريب وأخبر سبحانه انه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وأعاضهم عليها الجنة وان هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والانجيل والقرآن ثم أكد ذلك باعلامهم انه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بان أمرهم بان يستبشروا ببيعهم الذى عاقدوه عليه ثم

الحرة السلاح السلاح فخرجوا اليها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوّهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شاس بن قيس فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون وأنزل الله في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون الى قوله تعالى وأولئك لهم عذاب عظيم * قال ابن اسحق ولما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام ورسخوا فيه قالت أحبار يهود أهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا تبعه الا شرارنا ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (قال ابن هشام) آناء الليل ساعات الليل وواحدها إني قال المتنخل الهذلي واسمه مالك بن عويمر يرثي أثيلة ابنه

حلو ومر كعطف القدح شيمته * في كل إني قضاه الليل ينتعل

وهذا البيت في قصيدة له وقال لبيد بن ربيعة يصف حمار وحش

يطرب آناء النهار كأنه * غوي سقاه في (١) التجار نديم

أعلمهم ان ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله فان الله عز وجل هو المشتري والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هنالك والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وان سلعة هذا شأنها لقد هيئت لامر عظيم وخطب جسيم

قد هيؤك لامر لو فطنت له * فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرفة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوة الا ببينة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة وقيل لا تقبل العدالة الا بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدون فقيل لهم ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليه العقد فان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد عرفوا ان للسلعة قدرا وشأنا ليس لغيرها من السلع فرأوا من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها فان فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضاء واختيارا من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلبا للربح عليكم بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والاعطاء عليه أجل الاثمان ثم جمع لكم بين الثمن والمثمن تأمل هذه قصة جابر وقد اشترى منه صلى الله عليه وسلم بعيره ثم وفاه الثمن وزاده ورد عليه البعير وكان أبوه قد قتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد فذكره بهذا الفعل حال أبيه مع الله وأخبره ان الله أحياه وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي فسبحان من عظم جوده وكرمه ان يحيط به علم الخلائق لقد أعطى السلعة وأعطى الثمن ووفق لتكميل العقد وقبل المبيع على عيبه وأعاض عليه أجل الاثمان واشترى عبده من نفسه بماله وجمع له بين الثمن والمثمن وأثنى عليه ومدحه بهذا العقد وهو الذي وفقه الله له وشاءه منه

فهلا ان كنت ذاهمة فقد حدى * بك حادي الشوق فاطو المراحلا

وقل لمنادي حبهم ورضاهم * اذا ما دعا لبيك ألفا كواملا

ولا تنظر الاطلال من دونهم فان * نظرت الى الاطلال عدن حوائلا

(١) قوله التجار جمع تاجر وهو بائع الخمر كما في القاموس

وهذا البيت في قصيدة له ويقال الى مقصود ... يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين *قال ابن اسحق وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار

والحلف فى الجاهلية فأنزل الله تعالى (٣١٦) فيهم ينهاهم عن مباطنتهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم

لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله أى تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الى آخر القصة *ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم ومعه حبر من أحبارهم يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل فقال فنحاص لابى بكر والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا قال فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت رأسك أى عدوّ الله قال فذهب فنحاص

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك عليه

على ما صنعت فقال أبو بكر يا رسول الله ان عدوّ الله قال قولا عظيما انه زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت

وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لابى بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد * ودعه فان الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زادا اليهم وسر على * طريق الهدى والحب تصبح واصلا
وأحى بذكراهم شراك اذا دنت * ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
واما تخافن الكلال فقل لها * أمامك ورد الوصل فابغى المناهلا
وخذ قبسا من نورهم ثم سر به * فنورهم يهديك ليس المشاعلا
وحى على وادى الاراك فقل به * عساك تراهم ثم ان كنت قائلا
والا ففى نعمان عندى معرف * الاحبة فاطلبهم اذا كنت سائلا
والا ففى جمع بليلته فان * تفت فمنى يا ويح من كان غافلا
وحى على جنات عدن فانها * منازلك الاولى بها كنت نازلا
ولكن سباك الكاشحون لاجل ذا * وقفت على الاطلال تبكى المنازلا
وحى على يوم المزيد بجنة * الخلود فجد بالنفس ان كنت باذلا
فدعها رسوما دارسات فما بها * مقيل وجاوزها فليست منازلا
رسوما عفت ينتابها الخلق كم بها * قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنة عنها على المنهج الذى * عليه سرى وفد الاحبة آهلا
وقل ساعدى يا نفس بالصبر ساعة * فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هى الا ساعة ثم تنقضى * ويصبح ذو الاحزان فرحان جاذلا

لقد حرك الداعى الى الله والى دار السلام النفوس الابية والهمم العالية واسمع منادى الايمان من كانت له أذن واعية واسمع الله من كان حيا فهزه السماع الى منازل الابرار وحدا به فى طريق سيره فما حطت به رحاله الا بدار القرار فقال انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا ايمان بى أو تصديق برسلى ان أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا ان أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ولوددت انى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا وقال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بان يتوفاه ان يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر وغنيمة وقال غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وقال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أيما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيلى ابتغاء مرضاتى ضمنت له ان أرجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة وان قبضته ان أغفر له وارحمه وادخله الجنة وقال جاهدوا فى سبيل الله فان الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله به من الهم والغم وقال أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة وببيت فى وسط الجنة وببيت فى أعلى غرف الجنة من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت وقال من قاتل فى سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة وقال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقال لأبى سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله ففعل ثم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وماهي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله قال ومن أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي هلم فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان فقال أبو بكر بابي يارسول الله أنت وأمي ما على من دعي من تلك الابواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وقال من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن أنفق على نفسه وأهله وعاد مريضا أو أماط الاذى عن طريق فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة مالم يخرقها ومن ابتلاه الله في جسده فهو له حطة وذكر ابن ماجه عنه من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وقال من أعان مجاهدا في سبيل الله أو غارما في غرمه أو مكاتبا في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وقال من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار وقال لا يجتمع شح وايمان في قلب رجل واحد ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في وجه عبد وفي لفظ في قلب عبد وفي لفظ في جوف امرئ وفي لفظ في منخري مسلم وذكر الامام أحمد رضي الله عنه من اغبرت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار فهما حرام على النار وذكر عنه أيضا أنه قال لا يجمع الله في جوف رجل غبارا في سبيل الله ودخان جهنم ومن اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار ومن صام يوما في سبيل الله باعد الله عنه النار مسيرة ألف سنة للراكب المستعجل ومن جرح جراحة في سبيل الله ختم له بخاتم الشهداء له نور يوم القيامة لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك يعرفه بها الاولون والآخرون ويقولون فلان عليه طابع الشهداء ومن قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة وذكر ابن ماجه عنه من راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسك يوم القيامة وذكر أحمد رحمه الله عنه ما خالط قلب امرئ رهج في سبيل الله الا حرم الله عليه النار وقال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وقال رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتانات وقال مامن ميت يموت الا ختم على عمله الا من مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة وأمن من فتنة القبر وقال رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل وذكر الترمذي عنه من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كالف ليلة صيامها وقيامها وقال مقام أحدكم في سبيل الله خير من عبادة أحدكم في أهله ستين سنة أما تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلون الجنة جاهدوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة وذكر أحمد عنه من رابط في شئ من سواحل المسلمين ثلاثة أيام اجزأت عنه رباط سنة وذكر عنه أيضا حرس ليلة في سبيل الله أفضل له من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وقال حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وذكر أحمد عنه من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم فان الله يقول وان منكم الا واردها وقال لرجل حرس المسلمين ليلة في سفرهم من أولها الى الصباح على ظهر فرسه لم ينزل الا الصلاة أو قضاء حاجة قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها وقال من بلغ بسهم في سبيل الله فله درجة في الجنة وقال من رمى بسهم في سبيل

ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما بلغه في ذلك من الغضب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور * ثم قال فيما قال فنحاص والاحبار من يهود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى ولا حق ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا * قال ابن اسحق وكان كردم بن قيس حليف كعب بن الاشرف واسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالا من الانصار كانوا يخالطونهم ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون علام يكون فأنزل الله فيهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وكان الله بهم عليما * قال ابن اسحق وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود اذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الاسلام وعابه فأنزل الله تعالى فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا أي راعنا سمعك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا

سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الاقليلا * وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤسا من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الاعور وكعب بن أسد فقال لهم يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك يا محمد فجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (قال ابن هشام) نطمس نمسحها فنسويها فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ولا شئ مما يرى فى الوجه وكذلك فطمسنا أعينهم المطموس العين الذى ليس بين جفنيه شق ويقال طمست الكتاب والاثر فلا يرى منه شئ قال الاخطل واسمه الغوث بن هبيرة بن الصلت التغلبى يصف ابلا كلفها ماذكر

وتكليفناها كل طامسة الصوى
شطون ترى حرباءها يتململ

وهذا البيت فى قصيدة له (قال ابن هشام) واحدة الصوى صوة والصوى الاعلام التى يستدل بها على الطريق والمياه (قال ابن هشام) يقول مسحت فاستوت الارض فليس فيها شئ ناتئ * قال ابن اسحق وكان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيى بن أخطب وسلام ابن أبى الحقيق وأبو رافع والربيع ابن الربيع ابن أبى الحقيق وأبو عمار ووحوح بن عامر وهوذة ابن قيس فاما وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بنى وائل وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الاول فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (قال ابن هشام) الجبت عند العرب ما عبد من دون الله تبارك وتعالى والطاغوت كل ما أضل عن الحق وجمع الجبت جبوت والطاغوت طواغيت (قال ابن هشام) وبلغنا عن ابن أبى نجيح انه قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا ... عذاب

الله فهو عدل محرر ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة وعند الترمذى تفسير الدرجة بمائة عام وعند النسائى تفسيرها بخمسمائة عام وقال ان الله يدخل بالسهم الواحد الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير والممدّ به والرامى به وارموا واركبوا وان ترموا أحب الى من أن تركبوا وكل شئ يلهو به الرجل فباطل الارمية بقوسه أوتأديبه فرسه وملاعبته امرأته ومن علمه الله الرمى فتركه رغبة عنه فنعمة كفرها رواه أحمد وأهل السنن وعند ابن ماجه من تعلم الرمى ثم تركه فقد عصانى وذكر أحمد عنه أن رجلا قال له أوصنى فقال أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شئ وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روح لك فى السماء وذكر لك فى الارض وقال ذروة سنام الاسلام الجهاد وقال ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد فى سبيل الله والمكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف وقال من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق وذكر أبوداود عنه من لم يغزا ويجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة وقال اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعين واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله انزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم وذكر ابن ماجه عنه من لقى الله عز وجل وليس له اثر فى سبيل الله لقى الله وفيه ثلمة وقال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وفسر أبو أيوب الالقاء باليد الى التهلكة بترك الجهاد وصح عنه صلى الله عليه وسلم ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف وصح عنه من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وصح عنه ان النار أوّل ما تسعر بالعالم والمنفق والمقتول فى الجهاد اذا فعلوا ذلك ليقال وصح عنه أن من جاهد يبتغى عرض الدنيا فلا أجر له وصح عنه أنه قال لعبد الله بن عمرو ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا يا عبد الله بن عمرو على أى وجه قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال

(فصل) وكان يستحب القتال أوّل النهار كما يستحب الخروج للسفر أوّله فان لم يقاتل أوّل النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر

(فصل) قال والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك وفى الترمذى عنه ليس شئ أحب الى الله من قطرتين أو اثرين قطرة دمعة من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله وأما الاثران فاثر فى سبيل الله واثر فى فريضة من فرائض الله وصح عنه ان ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى وفى لفظ فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وقال لام حارثة بنت النعمان وقد قتل ابنها معه يوم بدر فسألته أين هو قال انه فى الفردوس الاعلى وقال ان أرواح الشهداء فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ فقالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا من أن يسئلوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا وقال ان للشهيد عند الله خصالا أن يغفر له من أوّل دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلية الايمان ويزوّج من الحور العين ويجار من

سبيلا * قال ابن اسحق الى قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * وقال سكين وعدى بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شئ بعد موسى فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما * ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم فقال لهم أما والله انكم لتعلمون أنى رسول من الله قالوا ما نعلمه وما نشهد عليه فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم على دية العامريين الذين قتل عمرو بن أمية الضمرى فلما خلا بعضهم ببعض قالوا لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش بن كعب أنا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فانصرف عنهم فأنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومه يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضا وبحرى ابن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير * قال ابن اسحق ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم غير الله وعقوبته فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به فقال لهم معاذ بن

عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع فى سبعين انسانا من أقاربه ذكره أحمد وصححه الترمذى وقال لجابر ألا أخبرك ما قال الله لابيك قال بلى قال ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا فقال يا عبدى تمن على أعطك قال يا رب أحينى فأقتل فيك ثانية قال انه سبق منى انهم اليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائى فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقال لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا وفى المسند مرفوعا الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية وقال لا تجف الارض من دم الشهيد حتى يبتدره زوجتاه كأنهما ظئران أضلتا فصيليهما ببراح من الارض بيد كل واحدة منهما حلة خير من الدنيا وما فيها وفى المستدرك والنسائى مرفوعا لان أقتل فى سبيل الله أحب الى من أن يكون لى المدر والوبر وفيهما ما يجد الشهيد من القتل الا كما يجد أحدكم من القرصة وفى السنن يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته وفى المسند أفضل الشهداء الذين ان يلقوا فى الصف لا يلتفتون حتى يقتلوا أولئك يتلبطون فى الغرف العلى من الجنة ويضحك اليهم ربك واذا ضحك ربك الى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه وفيه الشهداء ثلاثة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس اليه أعناقهم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه حتى وقعت قلنسوته ورجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فكأنما يضرب جلده بشوك الطلح أتاه سهم غرب فقتله هو فى الدرجة الثانية ورجل مؤمن جيد الايمان خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه اسرافا كثيرا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الرابعة وفى المسند وصحيح ابن حبان القتلى ثلاثة رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه فى سبيل الله حتى اذا لقى العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة ورجل مؤمن فرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى لقى العدو قاتل حتى يقتل فمصمصة محت ذنوبه وخطاياه ان السيف محاء الخطايا وأدخل من أى أبواب الجنة شاء فان لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى اذا لقى العدو قاتل فى سبيل الله حتى يقتل فان ذلك فى النار ان السيف لا يمحو النفاق وصح عنه انه لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا وسئل أى الجهاد أفضل فقال من جاهد المشركين بماله ونفسه قيل فأى القتل أفضل قال من أهريق دمه وعقر جواده فى سبيل الله وفى سنن ابن ماجه ان من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وهو لاحمد والنسائى مرسلا وصح عنه انه لا تزال طائفة من أمته يقاتلون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفى لفظ حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال

(فصل وكان النبى صلى الله عليه وسلم) يبايع أصحابه فى الحرب على أن لا يفروا وربما بايعهم على

الموت وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الاسلام وبايعهم على الهجرة قبل الفتح وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله وبايع نفرا من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيأ وكان السوط يسقط من يد أحدهم فينزل يأخذه ولا يقول لاحد ناولني اياه وكان يشاور أصحابه في أمر الجهاد وأمر العدو وتخير المنازل وفي المستدرك عن أبي هريرة مارأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتخلف في ساقتهم في المسير فيزجي الضعيف ويردف المنقطع وكان أرفق الناس بهم في المسير وكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها فيقول مثلا اذا أراد غزوة حنين كيف طريق نجد ومياهها ومن بها من العدو ونحو ذلك وكان يقول الحرب خدعة وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه ويطلع الطلائع ويبيت الحرس وكان اذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر الله وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله وخفضوا أصواتهم وكان يرتب الجيش والمقاتلة ويجعل في كل جنبة كفؤا لها وكان يبارز بين يديه بأمره وكان يلبس للحرب عدته وربما ظاهر بين درعين وكان له الالوية والرايات وكان اذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثا ثم قفل وكان اذا أراد أن يغير انتظر فان سمع في الحي مؤذنا لم يغر والا أغار وكان ربما بيت عدوه وربما فاجأهم نهارا وكان يحب الخروج يوم الخميس بكرة النهار وكان العسكر اذا نزل انضم بعضه الى بعض حتى لو بسط عليهم كساء لعمهم وكان يرتب الصفوف ويعبئهم عند القتال بيده ويقول تقدم يافلان تأخر يافلان وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قومه وكان اذا لقي العدو قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وربما قال سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وكان يقول اللهم أنزل نصرك وكان يقول اللهم أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل وكان اذا اشتد الباس وحمي الحرب وقصده العدو يعلم بنفسه ويقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وكان الناس اذا اشتد الحرب اتقوا به صلى الله عليه وسلم وكان أقربهم الى العدو وكان يجعل لاصحابه شعارا في الحرب يعرفون به اذا تكلموا وكان شعارهم مرة أمت أمت ومرة يامنصور ومرة حم لا ينصرون وكان يلبس الدرع والخوذة ويتقلد السيف ويحمل الرمح والقوس العربية وكان يتترس بالترس وكان يحب الخيلاء في الحرب وقال ان منها ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واختياله عند الصدقة وأما التي يبغض الله عز وجل فاختياله في البغي والفخر وقاتل مرة بالمنجنيق نصبه على أهل الطائف وكان ينهى عن قتل النساء والولدان وكان ينظر في المقاتلة فمن رآه أنبت قتله ومن لم ينبت استحياه وكان اذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول سيروا بسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا وكان ينهى عن السفر بالقرآن الى أرض العدو وكان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال اما الى الاسلام والهجرة أو الى الاسلام دون الهجرة ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفيء نصيب أو بذل الجزية فان هم أجابوا اليه قبل منهم والا استعان بالله وقاتلهم وكان اذا ظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها فبدأ بالاسلاب فأعطاها لاهلها ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمره به من مصالح الاسلام ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه والراجل

جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يامعشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة و وهب بن يهودا ماقلنا لكم هذا قط وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله تعالى في ذلك من قولهما يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير * ثم قص لهم خبر موسى وما لقي منهم وانتقاضهم عليه وماردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الارض أربعين سنة عقوبة * قال ابن اسحق وحدثني ابن شهاب الزهري انه سمع رجلا من مزينة من أهل العلم يحدث سعيد بن المسيب ان أباهريرة حدثهم أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل منهم بعد احصانه بامرأة من يهود قد أحصنت فقالوا ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة الى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما وولوه الحكم عليهما فان عمل فيهما بعملكم من التجبيه والتجبيه الجلد بحبل من ليف مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين فاتبعوه فانما هو ملك وصدقوه وان هو حكم فيهما بالرجم فانه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه فأتوه فقالوا يا محمد هذا رجل قد زنى بعد احصانه بامرأة قد أحصنت فاحكم فيهما فقد وليناك الحكم فيهما فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى احبارهم في بيت المدراس فقال يامعشر يهود اخرجوا الى علمائكم فاخرجوا له عبدالله بن صوريا * قال ابن اسحق وقد حدثني بعض بني قريظة انهم قد أخرجوا اليه يومئذ مع ابن صوريا أبا ياسر بن اخطب و وهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حصل أمرهم الى ان قالوا لعبدالله بن صوريا هذا أعلم من بقي بالتوراة (قال ابن هشام) من قوله وحدثني بعض بني قريظة الى أعلم من بقي بالتوراة من قول ابن اسحق وما بعده من الحديث الذي قبله فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا فالظ به

وللراجل سهم هذا هو الصحيح الثابت عنه وكان ينفل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة وقيل بل كان النفل من الخمس وقيل وهو أضعف الاقوال بل كان من خمس الخمس وجمع لسلمة بن الاكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفارس فأعطاه خمسة أسهم لعظم عنائه في تلك الغزوة وكان يسوي بين الضعيف والقوي في القسمة ما عدا النفل وكان اذا أغار في أرض العدو بعث سرية بين يديه فما غنمت أخرج خمسه ونفلها ربع الباقي وقسم الباقي بينها وبين سائر الجيش واذا رجع فعل ذلك ونفلها الثلث ومع ذلك فكان يكره النفل ويقول ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم وكان له صلى الله عليه وسلم سهم من الغنيمة يدعى الصفي ان شاء عبدا وان شاء أمة وان شاء فرسا يختاره قبل الخمس قالت عائشة وكانت صفية من الصفي رواه أبو داود ولهذا في كتابه الى بني زهير بن اقيش انكم ان شهدتم ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم الصفي أنتم آمنون بامان الله ورسوله وكان سيفه ذو الفقار من الصفي وكان يسهم لمن غاب لمصلحة المسلمين كما أسهم لعثمان سهمه من بدر ولم يحضرها لمكان تمريضه لامرأته ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب له سهمه وأجره وكانوا يشترون معه في الغزو ويبيعون وهو يراهم ولا ينهاهم وأخبره رجل انه ربح ربحا لم يربح أحد مثله فقال ماهو قال مازلت أبيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة أوقية فقال أنا أنبئك بخير رجل ربحا قال ماهو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة وكانوا يستأجرون الاجراء للغزو على نوعين * أحدهما ان يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره * والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج في الجهاد ويسمون ذلك الجعائل وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم للغازي اجره وللجاعل أجره وأجر الغازي وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضا * أحدهما شركة الابدان * والثاني ان يدفع الرجل بعيره الى الرجل أو فرسه يغزو عليه على النصف مما يغنم حتى ربما اقتسما السهم فاصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه وقال ابن مسعود اشتركت أنا وعمار وسعد فيما نصيب يوم بدر فجاء سعد بأسيرين ولم أجيء أنا وعمار بشيء وكان يبعث بالسرية فرسانا تارة ورجالة أخرى وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح

(فصل) وكان يعطي سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب دون اخوتهم من بني عبد شمس وبني نوفل وقال انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد وشبك بين أصابعه وقال انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا اسلام

(فصل) وكان المسلمون يصيبون معه في مغازيهم العسل والعنب والطعام فيأكلونه ولا يرفعونه في المغانم قال ابن عمر ان جيشا غنموا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما وعسلا ولم يؤخذ منهم الخمس ذكره أبو داود وتفرد عبد الله بن المغفل يوم خيبر بجراب شحم وقال لا أعطي اليوم أحدا من هذا شيئا فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم ولم يقل له شيئا وقيل لابن أبي أوفى هل كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبنا طعاما يوم خيبر وكان الرجل يجيء فيأخذ منه مقدار ما يكفيه ثم ينصرف وقال بعض الصحابة كنا نأكل الجوز في الغزو ولا نقسمه حتى ان كنا لنرجع الى رحالنا وأخرجتنا منه مملوءة

(فصل) وكان ينهى في مغازيه عن النهبة والمثلة وقال من انتهب نهبة فليس منا وأمر بالقدور

رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة يقول يا ابن صوريا أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني اسرائيل هل تعلم ان الله حكم فيمن زنى بعد احصانه بالرجم في التوراة قال اللهم نعم أما والله يا أبا القاسم انهم ليعرفون انك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فأنزل الله تعالى فيهم يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم أي الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه ثم قال يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه أي الرجم فاحذروا الى آخر القصة * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن اسمعيل ابن ابراهيم عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما بباب مسجده فلما وجد اليهودي مس الحجارة قام الى صاحبته فجنأ عليها يقيها مس الحجارة حتى قتلا جميعا قال وكان ذلك مما صنع الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا منهما * قال ابن اسحق وحدثني صالح ابن كيسان عن نافع مولى عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر قال لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتوراة وجلس حبر منهم يتلوها وقد وضع يده على آية الرجم قال فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر ثم قال هذه يا نبي الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم يا معشر يهود ما دعاكم الى ترك حكم الله وهو بأيديكم قال فقالوا أما انه قد كان فينا يعمل به حتى زنى رجل منا بعد احصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ثم زنى رجل بعده فأراد أن يرجمه فقالوا لا والله حتى ترجم فلانا فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم

التى طبخت من النهبى فأكفئت وذكر أبو داود عن رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فاصاب الناس حاجة شديدة وجهد وأصابوا غنما فانتهبوها وان قدورنا لتغلى اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال ان النهبة ليست باحل من الميتة والميتة ليست باحل من النهبة وكان ينهى ان يركب الرجل دابة من الفىء حتى اذا أعجفها ردها فيه وان يلبس الرجل ثوبا من الفىء حتى اذا أخلقه رده فيه ولم يمنع من الانتفاع به حال الحرب

(فصل) وكان يشدد فى الغلول جدا ويقول هو عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة ولما أصيب غلامه مدعم قالوا هنيئا له الجنة قال كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فجاء رجل بشراك أو شراكين لما سمع ذلك فقال شراك أو شراكان من نار وقال أبو هريرة قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول وعظمه وعظم أمره فقال لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد أبلغتك على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك وقال لمن كان على ثقله وقد مات هو فى النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها وقالوا فى بعض غزواتهم فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا وفلان شهيد فقال كلا انى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا ابن الخطاب اذهب فناد فى الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون وتوفى رجل يوم خيبر فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله شيأ ففتشوا متاعه فوجدوا خرزا من خرز يهود لا يساوى درهمين وكان اذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت بلالا نادى ثلاثا قال نعم قال فما منعك ان تجىء به فاعتذر فقال كن أنت تجىء به يوم القيامة فلن أقبله منك

(فصل) وأمر بتحريق متاع الغال وضربه وحرقه الخليفتان الراشدان بعده فقيل هذا منسوخ بسائر الاحاديث التى ذكرت فانه لم يجئ التحريق فى شئ منها وقيل وهو الصواب ان هذا من باب التعزير والعقوبات المالية الراجعة الى اجتهاد الائمة بحسب المصلحة فانه حرق وترك وكذلك خلفاؤه من بعده ونظير هذا قتل شارب الخمر فى الثالثة أو الرابعة فليس بحد ولا منسوخ وانما هو تعزير يتعلق باجتهاد الامام

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى الاسارى كان يمن على بعضهم ويقتل بعضهم ويفادى بعضهم بالمال وبعضهم بأسرى المسلمين وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة ففادى اسارى بدر بمال وقال لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له وهبط عليه فى صلح الحديبية سبعون متسلحون يريدون غرته فاسرهم ثم من عليهم وأسر ثمامة بن أثال سيد بنى حنيفة فربطه بسارية المسجد ثم أطلقه فاسلم واستشار الصحابة فى اسارى بدر فاشار عليه الصديق ان يأخذ منهم فدية تكون لهم قوة على عدوهم ويطلقهم لعل الله ان يهديهم الى الاسلام وقال عمر لا والله ما أرى الذى

على التجبيه وأما الرجم فذكر الرجم والعمل به قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده قال عبد الله بن عمر فكنت فيمن رجمهما * قال ابن اسحق وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان الآيات من المائدة التى قال الله فيها فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين انما أنزلت فى الدية بين بنى النضير وبين بنى قريظة وذلك ان قتلى بنى النضير وكان لهم شرف يؤدون الدية كاملة وان بنى قريظة يؤدون نصف الدية فتحاكموا فى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك فجعل الدية سواء * قال ابن اسحق فالله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وقال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر فأتوه فقالوا له يا محمد انك قد عرفت انا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك اتبعتك يهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأنزل الله فيهم وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم أبو ياسر بن أخطب ونافع بن أبى نافع وعازر بن أبى عازر وخالد وزيد وازار بن أبى ازار وأشيع فسألوه عمن
رأى
يؤمن به من الرسل فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما نزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى بن

مريم ولا يجب آمن به فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون * وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة فقالوا يا محمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق قال بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فبرئت من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا فانا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد وقردم ابن كعب وبحرى بن عمرو فقالوا يا محمد أما تعلم مع الله إلها غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا إله إلا هو وبذلك بعثت وإلى ذلك أدعو فأنزل الله فيهم وفي قوله قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وكان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد ابن الحرث قد أظهرا الاسلام ونافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى فيهما يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين الى قوله واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون * وقال جبل بن أبي قشير وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فأنزل الله تعالى فيهما يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها

رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر فلما كان من الغد أقبل عمر فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي هو وأبو بكر فقال يا رسول الله من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة وأنزل الله ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض الآية وقد تكلم الناس في أي الرأيين كان أصوب فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث ورجحت طائفة قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله باحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب ولتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك بابراهيم وعيسى وتشبيهه لعمر بنوح وموسى ولحصول الخير العظيم الذي حصل باسلام أكثر أولئك الأسرى ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أولا ولموافقة الله له آخرا حيث استقر الأمر على رأيه ولكمال نظر الصديق فانه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرا وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة قالوا وأما بكاء النبي صلى الله عليه وسلم فانما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا ولم يرد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وان أراده بعض الصحابة فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة كما هزم العسكر يوم حنين بقول أحدهم لن نغلب اليوم من قلة وباعجاب كثرتهم لمن أعجبته منهم فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة ثم استقر الأمر على النصر والظفر والله أعلم واستأذنه الأنصار أن يتركوا للعباس عمه فداءه فقال لا تدعون منه درهما واستوهب من سلمة بن الأكوع جارية نفله اياها أبو بكر في بعض مغازيه فوهبها له فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا من المسلمين وفدى رجلين من المسلمين برجل من عقيل ورد سبي هوازن عليهم بعد القسمة واستطاب قلوب الغانمين فطيبوا له وعوض من لم يطيب من ذلك بكل انسان ست فرائض وقتل عقبة بن أبي معيط من الأسرى وقتل النضر بن الحرث لشدة عداوتهما لله ورسوله وذكر الامام أحمد عن ابن عباس قال كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة وهذا يدل على جواز الفداء بالعمل كما يجوز بالمال وكان هديه أن من أسلم قبل الأسر لم يسترق وكان يسترق سبي العرب كما يسترق غيرهم من أهل الكتاب وكان عند عائشة سبية منهم فقال أعتقيها فانها من ولد اسمعيل وفي الطبراني مرفوعا من كان عليه رقبة من ولد اسمعيل فليعتق من بلعنبر ولما قسم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحرث في السبي لثابت بن قيس ابن شماس فكاتبته على نفسها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها فأعتق بتزويجه اياها مائة من أهل بيت بني المصطلق اكراما لصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من صريح العرب ولم يكونوا يتوقفون في وطء سبايا العرب على الاسلام بل كانوا يطؤهن بعد الاستبراء وأباح الله لهم ذلك ولم يشترط الاسلام بل قال تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم فأباح وطء ملك اليمين وان كانت محصنة اذا انقضت عدتها بالاستبراء وقال له سلمة بن الأكوع لما استوهبه الجارية من السبي والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ولو كان وطؤها حراما

قبل الاسلام عندهم لم يكن لهذا القول معنى ولم تكن قد أسلمت لانها قد فدى بها ناسا من المسلمين بمكة والمسلم لا يفادى به وبالجملة فلا نعرف فى أثر واحد قط اشتراط الاسلام منهم قولا أو فعلا فى وطء المسبية فالصواب الذى كان عليه هديه وهدى أصحابه استرقاق العرب ووطء امائهن المسبيات بملك اليمين من غير اشتراط الاسلام

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم) يمنع التفريق فى السبى بين الوالدة وولدها ويقول من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وكان يؤتى بالسبى فيعطى أهل البيت جميعا كراهية ان يفرق بينهم

(فصل) فى هديه فيمن جس عليه ثبت عنه انه قتل جاسوسا من المشركين وثبت عنه انه لم يقتل حاطبا وقد جس عليه واستأذنه عمر فى قتله فقال وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فاستدل به من لا يرى قتل المسلم الجاسوس كالشافعى وأحمد وأبى حنيفة رحمهم الله واستدل به من يرى قتله كمالك وابن عقيل من أصحاب أحمد رحمه الله وغيرهما قالوا لانه علل بعلة مانعة من القتل منتفية فى غيره ولو كان الاسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لان الحكم اذا علل بالاعم كان الاخص عديم التأثير وهذا أقوى والله أعلم

(فصل وكان هديه صلى الله عليه وسلم) عتق عبيد المشركين اذا خرجوا الى المسلمين واسلموا ويقول هم عتقاء الله عز وجل وكان هديه ان من أسلم على شئ فى يده فهو له ولم ينظر الى سببه قبل الاسلام بل يقره فى يده كما كان قبل الاسلام ولم يكن يضمن المشركين اذا أسلموا ما أتلفوه على المسلمين من نفس أو مال حال الحرب ولا قبله وعزم الصديق على تضمين المحاربين من أهل الردة ديات المسلمين وأموالهم فقال عمر تلك دماء أصيبت فى سبيل الله وأجورهم على الله ولا دية لشهيد فاتفق الصحابة على ما قال عمر ولم يكن أيضا يرد على المسلمين أعيان أموالهم التى أخذها منهم الكفار قهرا بعد اسلامهم بل كانوا يرونها بايديهم ولا يتعرضون لها سواء فى ذلك العقار والمنقول هذا هديه الذى لا شك فيه ولما فتح مكة قام اليه رجال من المهاجرين يسألونه ان يرد عليهم دورهم التى استولى عليها المشركون فلم يرد على أحد منهم داره وذلك لانهم تركوها لله وخرجوا عنها ابتغاء مرضاته فاعاضهم عليها دورا خيرا منها فى الجنة فليس لهم ان يرجعوا فيما تركوه لله بل أبلغ من ذلك انه لم يرخص للمهاجران يقيم بمكة بعد نسكه أكثر من ثلاث لانه قد ترك بلده لله وهاجر منه فليس له ان يعود يستوطنه ولهذا رثى لسعد بن خولة وسماه بائسا ان مات بمكة ودفن بها بعد هجرته منها

(فصل) فى هديه فى الارض المغنومة ثبت عنه انه قسم أرض بنى قريظة وبنى النضير وخيبر بين الغانمين وأما المدينة ففتحت بالقرآن واسلم عليها أهلها فاقرت بحالها وأما مكة ففتحها عنوة ولم يقسمها فاشكل على كل طائفة من العلماء الجمع بين فتحها عنوة وترك قسمها فقالت طائفة لانها دار المناسك وهى وقف على المسلمين كلهم وهم فيها سواء فلا يمكن قسمتها ثم من هؤلاء من منع بيعها واجارتها ومنهم من جوز بيع رباعها ومنع اجارتها والشافعى رضى الله عنه لما لم يجمع بين العنوة وبين عدم القسمة قال انها فتحت صلحا فلذلك لم تقسم قال ولو فتحت عنوة لكانت غنيمة فيجب قسمتها كما تجب قسمة الحيوان والمنقول ولم ير بأسا من بيع رباع مكة واجارتها واحتج بانها مملوكة لاربابها تورث عنهم وتوهب وقد أضافها الله سبحانه اليهم اضافة الملك الى مالكه واشترى عمر بن الخطاب دارا من صفوان

ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال ابن هشام) أيان مرساها متى مرساها قال قيس بن الحدادية الخزاعى فجئت ومخفى السر بينى وبينها * لاسألها أيان من سار راجع وهذا البيت فى قصيدة له ومرساها منتهاها وجمعه مراس قال الكميت بن زيد والمصيبين باب ما أخطا النا * س ومرمى قواعد الاسلام وهذا البيت فى قصيدة له ومرسى السفينة حيث تنتهى وحفى عنها على التقديم والتأخير يقول يسئلونك عنها كأنك حفى بهم فتخبرهم بما لا تخبر غيرهم والحفى البر المتعهد وفى كتاب الله انه كان بى حفيا وجمعه أحفياء وقال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

فان تسألى عنى فيارب سائل * حفى عن الاعشى به حيث أصعدا

وهذا البيت فى قصيدة له والحفى أيضا المستحفى عن علم الشئ المبالغ فى طلبه * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام ابن مشكم ونعمان بن أوفى أبو أنس ومحمود بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا له كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون الى آخر القصة (قال ابن هشام) يضاهون أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا نحو ان تحدث بحديث فيحدث آخر بمثله فهو يضاهيك * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان ونعمان ابن أضا وبحرى بن عمرو وعزير بن أبى عزير وسلام بن مشكم فقالوا أحق يا محمد ان هذا الذى جئت به لحق من عند الله فانا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعرفون انه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤا به فقالوا عند ذلك وهم جميع فنحاص وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وأشيع بن كعب بن أسد وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سكينة يا محمد

مايعلمك هذا انس ولاجن فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعلمون انه من عند الله وانى لرسول الله تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة فقالوا يامحمد فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه مايشاء ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه والا جئناك بمثل ماتأتى به فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا قل لئن اجتمعت الانس

ابن أمية وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم أين تنزل غدا فى دارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع فكان عقيل ورث أباطالب فلما كان أصله رضى الله عنه ان الارض من الغنائم وان الغنائم يجب قسمتها وان مكة وذلك وتباع دورها ورباعها ولم تقسم لم يجد بدا من كونها فتحت صلحا لكن من تأمل الاحاديث الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة ثم اختلفوا لاى شئ لم يقسمها فقالت طائفة لانها دار النسك ومحل العبادة فهى وقف من الله على عباده المسلمين وقالت طائفة الامام مخير فى الارض بين قسمتها وبين وقفها والنبى صلى الله عليه وسلم قسم خيبر ولم يقسم مكة فدل على جواز الامرين قالوا والارض لاتدخل فى الغنائم المامور بقسمتها بل الغنائم هى الحيوان والمنقول لان الله تعالى لم يحل الغنائم لامة غير هذه الامة واحل لهم ديار الكفر وارضهم كما قال تعالى واذقال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم الى قوله ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فى ديار فرعون وقومه وارضهم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فعلم ان الارض لاتدخل فى الغنائم والامام مخير فيها بحسب المصلحة وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك وعمر لم يقسم بل أقرها على حالها وضرب عليها خراجا مستمرا فى رقبتها يكون للمقاتلة فهذا معنى وقفها ليس معناه الوقف الذى يمنع من نقل الملك فى الرقبة بل يجوز بيع هذه الارض كما هو عمل الامة وقد اجمعوا على انها تورث والوقف لايورث وقد نص الامام أحمد رحمه الله تعالى على انها يجوز ان تجعل صداقا والوقف لايجوز ان يكون مهرا فى النكاح ولان الوقف انما امتنع بيعه ونقل الملك فى رقبته لما فى ذلك من ابطال حق البطون الموقوف عليهم من منفعته والمقاتلة حقهم فى خراج الارض فمن اشتراها صارت عنده خراجية كما كانت عند البائع سواء فلا يبطل حق أحد من المسلمين بهذا البيع كما لم يبطل بالميراث والهبة والصداق ونظير هذا بيع رقبة المكاتب وقد انعقد فيه سبب الحرية بالكتابة فانه ينتقل الى المشترى مكاتبا كما كان عند البائع ولا يبطل ما انعقد فى حقه من سبب العتق ببيعه والله أعلم ومما يدل على ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قسم نصف أرض خيبر خاصة ولو كان حكمها حكم الغنيمة لقسمها كلها بعد الخمس ففى السنن والمستدرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهما جمع كل سهم مائة سهم فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك وعزل النصف الباقى لمن نزل به من الوفود والامور ونوائب الناس هذا لفظ أبى داود وفى لفظ عزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهما وهو الشطر لنوائبه وما ينزل به من أمر المسلمين وكان ذلك الوطيح والكتيبة والسلالم وتوابعها وفى لفظ له أيضا عزل نصفها لنوائبه وما نزل به الوطيحة والكتيبة وما احيز معها وعزل النصف الآخر فقسمه بين المسلمين الشق والنطاة وما احيز معها وكان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما احيز معها

(فصل) والذى يدل على ان مكة فتحت عنوة وجوه * أحدها انه لم ينقل أحد قط ان النبى صلى الله عليه وسلم صالح أهلها زمن الفتح ولاجاءه أحد منهم صالحه على البلد وانما جاءه أبو سفيان فاعطاه الامان لمن دخل داره أو أغلق بابه أو دخل المسجد أو ألقى سلاحه ولو كانت قد فتحت صلحا لم يقل من دخل داره أو اغلق بابه أو دخل المسجد فهو آمن فان الصلح يقتضى الامان العام * الثانى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه أذن لى فيها ساعة من نهار وفى لفظ انها لاتحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار

والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال ابن هشام) الظهير العون ومنه قول العرب تظاهروا عليه أى تعاونوا عليه قال الشاعر

ياسمى النبى أصبحت للدين قواما وللامام ظهيرا

أى عونا وجمعه ظهراء * قال ابن اسحق وقال حيى بن أخطب وكعب بن أسد وأبو رافع وأشيع وشمويل بن زيد لعبد الله بن سلام حين أسلم ماتكون النبوة فى العرب ولكن صاحبك ملك ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ماجاءه من الله تعالى فيه مما كان قص على قريش وهم كانوا ممن أمر قريشا ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حين بعثوا اليهم النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط * قال ابن اسحق وحدثت عن سعيد بن جبير انه قال أتى رهط من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه قال فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال خفض عليك يامحمد وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال فلما تلاها عليهم قالوا فصف لنا يامحمد كيف خلقه كيف ذراعه كيف عضده فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الاول وساورهم فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ماقال له أول مرة وجاءه من الله تعالى بجواب ماسألوه يقول الله تعالى وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * قال ابن اسحق وحدثنى عتبة بن مسلم (١) مولى بنى تميم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة

(١) قوله مولى بنى تميم فى نسخة بنى تيم

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوشك الناس ان يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (قال ابن هشام) الصمد الذى يصمد ويفزع اليه

قالت هند بنت معبد بن نضلة تبكى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة عميها الاسديين وهما الذان قتل النعمان بن المنذر اللخمى وبنى (١) الغريين الذين بالكوفة عليهما

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من اشرافهم فى الاربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه فى دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم فلما رجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجها والى جنبه أخ له يقال له كوز بن علقمة (قال ابن هشام) ويقال كرز فعثرت بغلة أبى حارثة فقال كوز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل أنت تعست فقال لم يا أخى قال والله انه للنبى الذى كنا ننتظر فقال له كوز وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغنى عليهم

وفى لفظ فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أذن لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وهذا صريح فى انها فتحت عنوة وأيضا فانه ثبت فى الصحيح انه جعل يوم الفتح خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البيادقة وبطن الوادى فقال يا أبا هريرة ادع لى الانصار فجاؤا يهرولون فقال يا معشر الانصار هل ترون أوباش قريش قالوا نعم قال انظروا اذا لقيتموهم غدا ان تحصدوهم حصدا وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال موعدكم الصفا وجاءت الانصار فأطافت بالصفا قال فما أشرف يومئذ لهم أحد الا أناموه وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فجاءت الانصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن اغلق بابه فهو امن وأيضا فان أم هانئ أجارت رجلا فاراد على بن أبى طالب قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وفى لفظ عنها لما كان يوم فتح مكة أجرت رجلين من احمائى فادخلتهما بيتا واغلقت عليهما بابا فجاء ابن أمى على فتفلت عليهما بالسيف فذكرت حديث الامان وقول النبى صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وذلك ضحى بجوف مكة بعد الفتح فاجارتها له وارادة على رضى الله عنه قتله وتنفيذ النبى صلى الله عليه وسلم اجارتها صريح فى انها فتحت عنوة وأيضا فانه أمر بقتل مقيس بن صبابة وابن خطل وجاريتين ولو كانت فتحت صلحا لم يأمر بقتل أحد من أهلها ولكان ذكر هؤلاء مستثنى من عقد الصلح وأيضا فى السنن باسناد صحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يوم فتح مكة قال أمنوا الناس الا امرأتين وأربعة نفر اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة والله أعلم

(فصل ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم) من اقامة المسلم بين المشركين اذا قدر على الهجرة من بينهم وقال أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قيل يا رسول الله ولم قال لا تراءى ناراهما وقال من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله وقال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وقال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم ويبقى فى الارض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم تقذرهم نفس الله ويحشرهم الله مع القردة والخنازير

(فصل) فى هديه فى الامان والصلح ومعاملة رسل الكفار وأخذ الجزية ومعاملة أهل الكتاب والمنافقين واجارة من جاءه من الكفار حتى يسمع كلام الله ورده الى مأمنه ووفائه بالعهد وبراءته من الغدر ثبت عنه انه قال ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وقال المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده من أحدث حدثا فعلى نفسه ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وثبت عنه انه قال من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقده ولا يشدها حتى يمضى أمده أو ينبذ اليهم على سواء وقال من أمن رجلا على نفسه فقتله فانا برىء من القاتل وفى لفظ أعطى لواء غدر وقال لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان بن فلان ويذكر عنه انه قال ما نقض قوم العهد الا أديل

(١) الغريان بناآن مشهوران بالكوفة كما فى القاموس

(قال ابن هشام) وبلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر فقال ابنه تعس الابعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع يعني الكتب فلما مات لم تكن لابنه همة الا ان شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن اسلامه وحج وهو الذي يقول

اليك تعدو قلقا وضينها
معترضا في بطنها جنينها
مخالفا دين النصارى دينها

(قال ابن هشام) وزاد فيه أهل العراق

معترضا في بطنها جنينها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه (قال ابن هشام) الوضين حزام الناقة * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحرث ابن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق * قال ابن اسحق وكان تسمية الاربعة عشر الذين يؤول اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس في ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله بامر الله تبارك وتعالى ولنجعله آية للناس ويحتجون في قولهم انه ولد بانهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في

عليهم العدو

(فصل ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم) المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام قسم صالحهم ووادعهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه بل انتظروا ما يؤول اليه أمره وأمر أعدائه ثم من هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن ومنهم من كان يحب ظهور عدوه عليه وانتصارهم ومنهم من دخل معه في الظاهر وهو مع عدوه في الباطن ليأمن الفريقين وهؤلاء هم المنافقون فعامل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربه تبارك وتعالى فصالح يهود المدينة وكتب بينهم وبينه كتاب أمن وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة فحاربته بنو قينقاع بعد ذلك بعد بدر وشرقوا بوقعة بدر واظهروا البغي والحسد فصارت اليهم جنود الله يقدمهم عبد الله ورسوله يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من مهاجره وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين وكانوا أشجع يهود المدينة وحامل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وحاصرهم خمسة عشر ليلة الى هلال ذي القعدة وهم أول من حارب من اليهود وتحصنوا في حصونهم فحاصرهم أشد الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب الذي اذا أراد خذلان قوم وهزيمتهم أنزله عليهم وقذفه في قلوبهم فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم فامر بهم فكتفوا وكلم عبد الله بن أبي فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وألح عليه فوهبهم له وأمرهم ان يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها فخرجوا الى اذرعات الشام فقل ان لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم وكانوا صاغة وتجارا وكانوا نحو الستمائة مقاتل وكانت دارهم في طرف المدينة وقبض منهم أموالهم فاخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قسي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح وخمس غنائمهم وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة

(فصل) ثم نقض العهد بنو النضير قال البخاري وكان ذلك بعد بدر بستة أشهر قاله عروة وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم في نفر من أصحابه وكلمهم ان يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري فقالوا نفعل يا أبا القاسم اجلس ههنا حتى نقضي حاجتك وخلى بعضهم ببعض وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم فتآمروا بقتله صلى الله عليه وسلم وقالوا أيكم يأخذ هذه الرحا ويصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها فقال أشقاهم عمرو بن جحاش انا فقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه وجاء الوحي على الفور اليه من ربه تبارك وتعالى بما هموا به فنهض مسرعا وتوجه الى المدينة ولحقه أصحابه فقالوا نهضت ولم نشعر بك فاخبرهم بما همت يهود به وبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها وقد أجلتكم عشرا فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه فقاموا أياما يتجهزون وأرسل اليهم المنافق عبد الله بن أبي ان لا تخرجوا من دياركم فان معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له وبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونهضوا اليه وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء فلما انتهى اليهم

أقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة واعتزلتهم قريظة وخانهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم وجعل مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك فان سورة الحشر هي سورة بنى النضير وفيها مبدأ قصتهم ونهايتها فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وحرق فارسلوا اليه نحن نخرج عن المدينة فانزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم وان لهم ما حملت الابل الا السلاح وقبض النبي صلى الله عليه وسلم الاموال والحلقة وهي السلاح وكانت بنو النضير خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنوائبه ومصالح المسلمين ولم يخمسها لان الله افاءها عليه ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب وخمس قريظة قال مالك رضى الله عنه خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة ولم يخمس بنى النضير لان المسلمين لم يوجفوا بخيلهم ولا ركابهم على بنى النضير كما أوجفوا على قريظة وأجلاهم الى خيبر وفيهم حيي ابن أخطب كبيرهم وقبض السلاح واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم فوجد من السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا وقال هؤلاء فى قومهم بمنزلة بنى المغيرة فى قريش وكانت قصتهم فى ربيع أول سنة أربع من الهجرة

(فصل وأما قريظة فكانت أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وأغلظهم كفرا ولذلك جرى عليهم مالم يجر على اخوانهم وكان سبب غزوهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة الخندق والقوم معه صلح جاء حيي بن أخطب الى بنى قريظة فى ديارهم فقال قد جئتكم بعز الدهر جئتكم بقريش على ساداتها وغطفان على قادتها وأنتم أهل الشوكة والسلاح فهلم حتى نناجز محمدا ونفرغ منه فقال له رئيسهم بل جئتنى والله بذل الدهر جئتنى بسحاب قد أراق ماءه فهو يرعد ويبرق فلم يزل يخادعه ويعده ويمنيه حتى أجابه بشرط أن يدخل معه فى حصنه يصيبه ما أصابهم ففعل ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهروا سبه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فارسل يستعلم الامر فوجدهم قد نقضوا العهد فكبر وقال ابشروا يامعاشر المسلمين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يكن الا أن وضع سلاحه فجاءه جبريل فقال وضعت السلاح فان الملائكة لم تضع أسلحتها فانهض بمن معك الى بنى قريظة فانى سائر امامك أزلزل بهم حصونهم واقذف فى قلوبهم الرعب فسار جبرائيل فى موكبه من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أثره فى موكبه من المهاجرين والانصار وقال لاصحابه يومئذ لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة فبادروا الى امتثال أمره ونهضوا من فورهم فادركتهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصليها الا فى بنى قريظة كما أمرنا فصلوها بعد عشاء الآخرة وقال بعضهم لم يرد منا ذلك وانما أراد سرعة الخروج فصلوها فى الطريق فلم يعنف واحدة من الطائفتين واختلف الفقهاء أيهما كان أصوب فقالت طائفة الذين أخروها هم المصيبون ولو كنا معهم لاخرناها كما أخروها ولما صليناها الا فى بنى قريظة امتثالا لامره وتركا للتأويل المخالف للظاهر وقالت طائفة أخرى بل الذين صلوها فى الطريق فى وقتها حازوا قصب السبق وكانوا أسعد بالفضيلتين فانهم بادروا الى امتثال أمره فى الخروج وبادروا الى مرضاته فى الصلاة فى وقتها ثم بادروا الى اللحاق بالقوم فحازوا فضيلة الجهاد وفضيلة الصلاة فى وقتها وفهموا ما يراد منهم وكانوا أفقه من الآخرين ولاسيما تلك الصلاة فانها كانت صلاة العصر وهى الصلاة الوسطى بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون فى قولهم انه ثالث ثلاثة بقول الله فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وقضيت وأمرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد أسلمنا قال انكما لم تسلما فأسلما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال جل وعز الم الله لا اله الا هو الحى القيوم فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والامر لا شريك له فيه ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا بقولهم عليهم فى صاحبهم ليعرفهم بذلك ضلالتهم فقال الم الله لا اله الا هو الحى القيوم ليس معه غيره شريك فى امره الحى القيوم الحى الذى لا يموت وقد مات عيسى وصلب فى قولهم والقيوم القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به وذهب عنه الى غيره نزل عليك الكتاب بالحق أى بالصدق فيما اختلفوا فيه وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما نزل الكتب على من كان قبله وأنزل الفرقان أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أى ان الله منتقم ممن كفر بآيات الله بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى اذ جعلوه الها ورباً وعندهم من علمهم غير ذلك غرة بالله وكفرا به هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء أى قد كان عيسى ممن صور فى الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من ولد آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل ثم قال تعالى انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه

الصحيح

الصحيح الصريح الذى لا مدفع له ولا مطعن فيه ومجىء السنة بالمحافظة عليها والمبادرة اليها والتبكير بها وان من فاته فقد وتر أهله وماله أو قد حبط عمله فالذى جاء فيها أمر يجىء مثله فى غيرها وأما المؤخرون لها فغايتهم انهم معذورون بل مأجورون أجرا واحدا لتمسكهم بظاهر النص وقصدهم امتثال الامر وأما أن يكونوا هم المصيبين فى نفس الامر ومن بادر الى الصلاة والى الجهاد مخطئا فحاشا وكلا والذين صلوا فى الطريق جمعوا بين الادلة وحصلوا الفضيلتين فلهم أجران والآخرون مأجورون أيضا رضى الله عنهم فان قيل كان تأخير الصلاة للجهاد حينئذ جائزا مشروعا ولهذا كان عقب تأخير النبى صلى الله عليه وسلم العصر يوم الخندق الى الليل فتأخيرهم صلاة العصر الى الليل كتأخيره صلى الله عليه وسلم لها يوم الخندق الى الليل سواء ولاسيما ان ذلك كان قبل شرع صلاة الخوف قيل هذا سؤال قوى وجوابه من وجهين * أحدهما انه لم يثبت ان تأخير الصلاة عن وقتها كان جائزا بعد بيان المواقيت ولا دليل على ذلك الا قصة الخندق فانها هى التى استدل بها من قال ذلك ولا حجة فيها لانه ليس فيها بيان ان التأخير من النبى صلى الله عليه وسلم كان عن عمد بل لعله كان نسيانا وفى القصة ما يشعر بذلك فان عمر لما قال له يا رسول الله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب قال والله ما صليتها ثم قام فصلاها وهذا مشعر بانه صلى الله عليه وسلم كان ناسيا بما هو فيه من الشغل والاهتمام بأمر العدو المحيط به وعلى هذا يكون قد أخرها بعذر النسيان كما أخرها بعذر النوم فى سفره وصلاها بعد استيقاظه وبعد ذكره لتتأسى أمته به * والجواب الثانى ان هذا على تقدير ثبوته انما هو فى حال الخوف والمسايفة عند الدهش عن تعقل أفعال الصلاة والاتيان بها والصحابة فى مسيرهم الى بنى قريظة لم يكونوا كذلك بل كان حكمهم حكم أسفارهم الى العدو قبل ذلك وبعده ومعلوم انهم لم يكونوا يؤخرون الصلاة عن وقتها ولم تكن قريظة ممن يخاف فوتهم فانهم كانوا مقيمين بدارهم فهذا منتهى اقدام الفريقين فى هذا الموضع

(فصل وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم) الراية على بن أبى طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ونازل حصون بنى قريظة وحصرهم خمسا وعشرين ليلة ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال اما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد فى دينه واما ان يقتلوا ذراريهم ويخرجوا اليه بالسيوف مصلتين يناجزونه حتى يظفروا بهم أو يقتلوا عن آخرهم واما ان يهجموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويكبسوهم يوم السبت لانهم قد أمنوا ان يقاتلوهم فيه فأبوا عليه ان يجيبوه الى واحدة منهن فبعثوا اليه ان أرسل الينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره فلما رأوه قاموا فى وجهه يبكون وقالوا يا أبا لبابة كيف ترى لنا ان ننزل على حكم محمد فقال نعم وأشار بيده الى حلقه يقول انه الذبح ثم علم من فوره انه قد خان الله ورسوله فمضى على وجهه ولم يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المسجد مسجد المدينة فربط نفسه بسارية المسجد وحلف أن لا يحله الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وانه لا يدخل أرض بنى قريظة أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال دعوه حتى يتوب الله عليه ثم تاب الله عليه وحله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم انهم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت اليه الاوس فقالوا يا رسول الله قد فعلت فى بنى قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء اخواننا الخزرج وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ قالوا قد رضينا فأرسل

لا اله الا هو العزيز الحكيم العزيز فى انتصاره ممن كفر به اذا شاء الحكيم فى حججه وعذره الى عباده هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه وأخر متشابهات لهن تصريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام أن لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق يقول الله عز وجل فأما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الهدى فيتبعون ما تشابه منه أى ما تصرف منه ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة ولهم على ما قالوا شبهة ابتغاء الفتنة أى اللبس وابتغاء تأويله ذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم خلقنا وقضينا يقول وما يعلم تأويله الذى به أرادوا ما أرادوا الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فكيف يختلف فيه وهو قول واحد من رب واحد ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لاحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر يقول الله تعالى فى مثل هذا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى لا تمل قلوبنا وان ملنا باحداثنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب * ثم قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بخلاف ما قالوا قائما بالقسط أى بالعدل فيما يريد لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام أى ما أنت عليه يا محمد التوحيد للرب والتصديق للرسل وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذى جاءك أى أن الله الواحد الذى ليس له شريك بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك أى بما يأتون به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وأمرنا فانما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهى لله أى وحده ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد

الى سعد بن معاذ وكان فى المدينة لم يخرج معهم لجرح كان به فاركب حمارا وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يقولون له وهم كنفيه ياسعد اجمل الى مواليك فاحسن فيهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكمك فيهم لتحسن فيهم وهو ساكت لا يرجع اليهم شيأ فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فلما سمعوا ذلك منه رجع بعضهم الى المدينة فنعى اليهم القوم فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال للصحابة قوموا الى سيدكم فلما أنزلوه قالوا ياسعد ان هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك قال وحكمى نافذ عليهم قالوا نعم قال وعلى المسلمين قالوا نعم قال وعلى من ههنا وأعرض بوجهه وأشار الى ناحية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له وتعظيما قال نعم وعلى قال فانى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الاموال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات وأسلم منهم تلك الليلة نفر قبل النزول وهرب عمرو بن سعد فانطلق فلم يعلم أين ذهب وكان قد أبى الدخول معهم فى نقض العهد فلما حكم فيهم بذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كل من جرت عليه الموسى منهم ومن لم ينبت الحق بالذرية فحفر لهم خنادق فى سوق المدينة وضرب أعناقهم وكانوا ما بين الستمائة الى السبعمائة ولم يقتل من النساء أحدا سوى امرأة واحدة كانت طرحت على رأس سويد بن الصامت رحى فقتلته وجعل يذهب بهم الى الخنادق أرسالا أرسالا فقالوا لرئيسهم كعب بن أسد يا كعب ما تراه يصنع بنا فقال أفى كل موطن لا تعقلون أما ترون الداعى لا ينزع والذاهب منكم لا يرجع هو والله القتل قال مالك فى رواية ابن القاسم قال عبد الله بن أبى لسعد بن معاذ فى أمرهم انهم أحد جناحى وهم ثلثمائة دارع وستمائة حاسر فقال قد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم ولما جىء بحيى بن أخطب الى بين يديه ووقع بصره عليه قال أما والله ما لمت نفسى فى معاداتك ولكن من يغالب الله يغلب ثم قال يا أيها الناس لا بأس قدر الله وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه واستوهب ثابت بن قيس الزبير بن باطا وأهله وماله فوهبهم له فقال له ثابت بن قيس قد وهبك رسول الله صلى الله عليه وسلم لى ووهب لى مالك وأهلك فهم لك فقال سألتك بيدى عندك يا ثابت الا ألحقتنى بالاحبة فضرب عنقه وألحقه بالاحبة من اليهود فهذا كله فى يهود المدينة وكانت غزوة كل طائفة منهم عقب كل غزوة من الغزوات الكبار فغزوة بنى قينقاع عقب بدر وغزوة بنى النضير عقب غزوة أحد وغزوة بنى قريظة عقب الخندق وأما يهود خيبر فسيأتى ذكر قصتهم ان شاء الله تعالى

(فصل وكان هديه صلى الله عليه وسلم) انه اذا صالح قوما فنقض بعضهم عهده وصلحه وأقرهم الباقون ورضوا به غزا الجميع وجعلهم كلهم ناقضين كما فعل بقريظة والنضير وبنى قينقاع وكما فعل فى أهل مكة فهذه سنته فى أهل العهد وعلى هذا ينبغى أن يجرى أهل الذمة كما صرح به الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم وخالفهم أصحاب الشافعى فخصوا نقض العهد بمن نقضه خاصة دون من رضى به وأقر عليه وفرقوا بينهما بان عقد الذمة أقوى وآكد ولهذا كان موضوعا على التأبيد بخلاف عقد الهدنة والصلح والاولون يقولون لا فرق بينهما وعقد الذمة لم يوضع للتأبيد بل بشرط استمرارهم ودوامهم على التزام ما فيه فهو كعقد الصلح الذى وضع للهدنة بشرط التزامهم أحكام ما وقع عليه العقد قالوا والنبى صلى الله عليه وسلم لم يوقت عقد الصلح والهدنة بينه وبين اليهود لما قدم المدينة بل أطلقه ما داموا كافين عنه غير محاربين له فكانت تلك ذمتهم غير ان الجزية لم يكن نزل فرضها بعد فلما

أمر بجمع أهل الكتابين بجمعاوذكرما احدثوا وما ابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى قوله قل اللهم مالك الملك أى رب العباد والملك الذى لا يقضى فيهم غيره تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير أى لا الى غيرك انك على كل شئ قدير أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى بتلك القدرة وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أى فان كنت سلطت عيسى على الاشياء التى بها يزعمون أنه اله من احياء الموتى وابراء الاسقام والخلق للطير من الطين والاخبار عن الغيوب لاجعله به آية للناس وتصديقا له فى نبوته التى بعثته بها الى قومه فان من سلطانى وقدرتى ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل واخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب فكل ذلك لم اسلط عيسى عليه ولم أملكه اياه أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبينة أن لو كان الها كان ذلك كله اليه وهو فى علمهم يهرب من الملوك وينتقل منهم فى البلاد من بلد الى بلد ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ثم قال قل ان كنتم تحبون الله أى ان كان هذا من قولكم حقا حبا لله وتعظيما له فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم أى ما مضى من كفركم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فانتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم فان تولوا أى على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين * ثم استقبل لهم أمر عيسى وكيف كان بدؤ ما أراد الله به فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم ذكر أمر امرأة عمران فى قولها رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا أى نذرته جعلته عتيقا تعبده لله لا ينتفع به لشئ من الدنيا فتقبل منى انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى

نزل فرضها ازداد ذلك الى الشروط اشترطة فى العقد ولم يغير حكمه وصار مقتضاها التأبيد فاذا نقض بعضهم العهد وأقرهم الباقون ورضوا بذلك ولم يعلموا به المسلمين صاروا فى ذلك كنقض أهل الصلح وأهل العهد والصلح سواء فى هذا المعنى ولا فرق بينهما فيه وان افترقا من وجه آخر يوضح هذا ان المقر والراضى والساكت ان كان باقيا على عهده وصلحه لم يجز قتاله ولا قتله فى الموضعين وان كان بذلك خارجا عن عهده وصلحه راجعا الى حاله الاولى قبل العهد والصلح لم يفترق الحال بين عقد الهدنة وعقد الذمة فى ذلك فكيف يكون عائدا الى حاله فى موضع دون موضع هذا أمر غير معقول توضيحه ان تجدد أخذ الجزية منه لا يوجب له ان يكون موفيا بعهده مع رضاه وموالاته ومواطاته لمن نقض وعدم الجزية يوجب له أن يكون ناقضا غادرا غير موف بعهده هذا بين الامتناع فالاقوال ثلاثة النقض فى الصورتين وهو الذى دلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكفار وعدم النقض فى الصورتين وهو أبعد الاقوال عن السنة والتفريق بين الصورتين والاول أصوبها وبالله التوفيق وبهذا القول أفتينا ولى الامر لما أحرقت النصارى أموال المسلمين بالشام ودورهم وراموا احراق جامعهم الاعظم حتى أحرقوا منارته وكاد لولا دفاع الله أن يحترق كله وعلم بذلك من علم من النصارى وواطؤا عليه وأقروه ورضوا به ولم يعلموا به ولى الامر فاستفتى فيهم ولى الامر من حضره من الفقهاء وافتيناه بانتقاض عهد من فعل ذلك وأعان عليه بوجه من الوجوه أو رضى به وأقر عليه وان حده القتل حتما لا تخيير للامام فيه كالاسير بل صار القتل له حدا والاسلام لا يسقط القتل اذا كان حدا ممن هو تحت الذمة ملتزما لاحكام الله بخلاف الحربى اذا أسلم فان الاسلام يعصم دمه وماله ولا يقتل بما فعله قبل الاسلام فهذا له حكم والذمى الناقض للعهد اذا أسلم له حكم آخر وهذا الذى ذكرناه هو الذى تقتضيه نصوص الامام أحمد وأصوله ونص عليه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وأفتى به فى غير موضع

(فصل) وكان هديه وسنته اذا صالح قوما وعاهدهم وانضاف اليهم عدو له سواهم فدخلوا معهم فى عقدهم وانضاف اليه قوم آخرون فدخلوا معه فى عقده صار حكم من حارب من دخل معه فى عقده من الكفار حكم من حاربه وبهذا السبب غزا أهل مكة فانه لما صالحهم على وضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين تواثبت بنو بكر بن وائل فدخلت فى عهد قريش وعقدها وتواثبت خزاعة فدخلت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده ثم عدت بنو بكر على خزاعة فبيتتهم وقتلت منهم وأعانتهم قريش فى الباطن بالسلاح فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ناقضين للعهد بذلك واستجاز غزو بنى بكر بن وائل لتعديهم على حلفائه وسيأتى ذكر القصة ان شاء الله تعالى وبهذا أفتى شيخ الاسلام ابن تيمية بغزو نصارى المشرق لما أعانوا عدو المسلمين على قتالهم فامدوهم بالمال والسلاح وان كانوا لم يغزونا ولم يحاربونا وراهم بذلك ناقضين للعهد كما نقضت قريش عهد النبى صلى الله عليه وسلم باعانتهم بنى بكر بن وائل على حرب حلفائه فكيف اذا أعان أهل الذمة المشركين على حرب المسلمين والله أعلم

(فصل) وكانت تقدم عليه رسل أعدائه وهم على عداوته فلا يهيجهم ولا يقتلهم ولما قدم عليه رسولا مسيلمة الكذاب وهما عبد الله بن النواحة وابن أثال قال لهما فما تقولان أنتما قالا نقول كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما فجرت سنته أن لا يقتل

أى ليس الذكر كالانثى لما جعلتها له محررة له نذيرة وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم يقول الله تبارك وتعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا بعد ابيها وأمها *قال ابن اسحق فذكرها باليتم (قال ابن هشام) كفلها ضمها *قال ابن اسحق ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به وما أعطاه اذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم (٢٣١) وقول الملائكة لها يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين يقول الله عز وجل ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم أى ما كنت معهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم (قال ابن هشام) أقلامهم سهامهم يعنى قداحهم التى استهموا بها عليها فخرج قدح زكريا فضمها فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى * قال ابن اسحق كفلها ههنا جريج الراهب رجل من بنى اسرائيل نجار خرج السهم عليه بحملها فحملها وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك فاصابت بنى اسرائيل أزمة شديدة فعجز زكريا عن حملها فاستهموا عليها أيهم يكفلها فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون أى ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه ثم قال اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم أى هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه وجيها فى الدنيا والآخرة أى عند الله ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم أى بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا وكبارا الا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد بمواقع قدرته قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء أى يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف شاء فيكون كما أراد ثم أخبرها بما يريد به فقال ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التى كانت فيهم من عهد موسى قبله والانجيل كتابا آخر أحدثه الله عز وجل اليه لم يكن عندهم الا ذكره انه

كان من الأنبياء بعده ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم يحقق بها نبوّتي أني رسول منه اليكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله الذي بعثني اليكم وهو ربي وربكم وأبرئ الأكمه والأبرص (قال ابن هشام) والأكمه الذي يولد أعمى قال رؤبة بن العجاج * هرجت فارتد ارتداد الأكمه * (قال ابن هشام) هرجت صحت بالأسد وجلبت

عليه وهذا البيت في قصيدة له وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم أني رسول من الله اليكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة أي لما سبقني منها ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي أخبركم به انه كان عليكم حراما فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم أي تبريا من الذين يقولون فيه واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي هذا الهدى قد حملتكم عليه وجئتكم به فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان عليه قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم واشهد بأنا مسلمون لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أي هكذا كان قولهم وايمانهم ثم ذكر رفعه عيسى اليه حين اجتمعوا لقتله فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا اذ هموا منك بما هموا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم القصة حتى انتهى الى قوله ذلك نتلوه عليك يا محمد وأجراهم من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذي لا يخالطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا تقبلن خبرا غيره ان مثل عيسى عند الله فاستمع كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أي ما جاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من

رسول وكان هديه أيضا أن لا يحبس الرسول عنده اذا اختار دينه ويمنعه اللحاق بقومه بل يرده اليهم كما قال أبو رافع بعثتني قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتيته وقع في قلبي الاسلام فقلت يا رسول الله لا أرجع اليهم فقال اني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ارجع اليهم فان كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع قال أبو داود وكان هذا في المدة التي شرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد اليهم من جاء منهم وان كان مسلما وأما اليوم فلا يصلح هذا انتهى وفي قوله لا أحبس البرد اشعار بأن هذا حكم يختص بالرسل مطلقا وأما رده لمن جاء اليه منهم وان كان مسلما فهذا انما يكون مع الشرط كما قال أبو داود وأما الرسل فلهم حكم آخر ألا تراه لم يتعرض لرسولي مسيلمة وقد قالا له في وجهه نشهد أن مسيلمة رسول الله وكان من هديه أن أعداءه اذا عاهدوا واحدا من أصحابه على عهد لا يضر بالمسلمين من غير رضاه أمضاه لهم كما عاهدوا حذيفة وأباه أن لا يقاتلاهم معه صلى الله عليه وسلم فأمضى لهم ذلك وقال لهما انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم

(فصل وصالح قريشا على وضع الحرب) بينه وبينهم عشر سنين على أن من جاءه منهم مسلما رده اليهم ومن جاءهم من عنده لا يردونه اليه وكان اللفظ عاما في الرجال والنساء فنسخ الله ذلك في حق النساء وأبقاه في حق الرجال وأمر الله نبيه والمؤمنين أن يمتحنوا من جاءهم من النساء فان علموها مؤمنة لم يردوها الى الكفار وأمرهم برد مهرها اليهم لما فات على زوجها من منفعة بضعها وأمر المسلمين أن يردوا على من ارتدت امرأته اليهم مهرها اذا عاقبوا بأن يجب عليهم رد مهر المهاجرة فيردوه الى من ارتدت امرأته ولا يردونها الى زوجها المشرك فهذا هو العقاب وليس من العذاب في شيء وكان في هذا دليل على أن خروج البضع من ملك الزوج متقوم وانه متقوم بالمسمى الذي هو ما أنفق الزوج لا بمهر المثل وأن أنكحة الكفار لها حكم الصحة لا يحكم عليها بالبطلان وانه لا يجوز رد المسلمة المهاجرة الى الكفار ولو شرط ذلك وأن المسلمة لا يحل لها نكاح الكافر وأن المسلم له أن يتزوج المرأة المهاجرة اذا انقضت عدتها وآتاها مهرها وفي هذا أبين دلالة على خروج بضعها من ملك الزوج وانفساخ نكاحها منه بالهجرة والاسلام وفيه دليل على تحريم نكاح المشركة على المسلم كما حرم نكاح المسلمة على الكافر وهذه أحكام استفيدت من هذه الآية وبعضها مجمع عليه وبعضها مختلف فيه وليس مع من ادعى نسخها حجة البتة فان الشرط الذي وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الكفار في رد من جاءه مسلما اليهم ان كان مختصا بالرجال لم تدخل النساء فيه وان كان عاما للرجال والنساء فالله سبحانه وتعالى خصص منه رد النساء ونهاهم عن ردهن وأمرهم برد مهورهن وان يردوا منها على من ارتدت امرأته اليهم من المسلمين المهر الذي أعطاها ثم أخبر أن ذلك حكمه الذي يحكم به بين عباده وانه صادر عن علمه وحكمته ولم يأت عنه ما ينافي هذا الحكم ويكون بعده حتى يكون ناسخا ولما صالحهم على رد الرجال كان يمكنهم أن يأخذوا من أتى اليه منهم ولا يكرهه على العود ولا يأمره به وكان اذا قتل منهم أو أخذ مالا وقد فصل عن يده ولم يلحق بهم لم ينكر عليه ذلك ولم يضمنه لهم لانه ليس تحت قهره ولا في قبضته ولا أمره بذلك ولم يقتض عقد الصلح الأمان على النفوس والأموال الا عمن هو تحت قهره وفي قبضته كما ضمن لبني جذيمة ما أتلفه عليهم خالد من نفوسهم وأموالهم وأنكره وتبرأ منه ولما كان اصابته لهم عن نوع شبهة اذ لم يقولوا أسلمنا وانما قالوا صبأنا فلم يكن اسلاما صريحا ضمنهم بنصف دياتهم لأجل التأويل والشبهة

وأجراهم في ذلك مجرى أهل الكتاب الذين قد عصموا نفوسهم وأموالهم بعقد الذمة ولم يدخلوا في الاسلام ولم يقتض عهد الصلح ان ينصرهم على من حاربهم ممن ليس في قبضة النبي صلى الله عليه وسلم وتحت قهره فكان في هذا دليل على أن المعاهدين اذا غزاهم قوم ليسوا تحت قهر الامام وفي يده وان كانوا من المسلمين انه لا يجب على الامام ردهم عنهم ولا منعهم من ذلك ولا ضمان ما أتلفوه عليهم وأخذ الاحكام المتعلقة بالحرب ومصالح الاسلام وأهله وأمره وأمور السياسات الشرعية من سيره ومغازيه أولى من أخذها من آراء الرجال فهذا لون وتلك لون وبالله التوفيق

(فصل) وكذلك صالح أهل خيبر لما ظهر عليهم على أن يجليهم منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والحلقة وهي السلاح واشترط في عقد الصلح أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيأ فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه الى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حيي بن أخطب واسمه سعية ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير فقال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك وقد كان حيي قتل مع بني قريظة لما دخل معهم فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه الى الزبير ليستقره فمسه بعذاب فقال قد رأيت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني أبي الحقيق أحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب وسبى نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا وأراد أن يجليهم من خيبر فقالوا دعنا نكون في هذه الارض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه غلمان يكفونهم مؤنتها فدفعها اليهم على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر من كل شئ يخرج منها من ثمر أو زرع ولهم الشطر وعلى أن يقرهم فيها ما شاء ولم يعمهم بالقتل كما عم قريظة لاشتراك أولئك في نقض العهد وأما هؤلاء فالذين علموا بالمسك وغيبوه وشرطوا له ان ظهر فلا ذمة لهم ولا عهد قتلهم بشرطهم على أنفسهم ولم يتعد ذلك الى سائر أهل خيبر فانه معلوم قطعا ان جميعهم لم يعلموا بمسك حيي وانه مدفون في خربة فهذا نظير الذمي والمعاهد اذا نقض العهد ولم يمالئه عليه غيره فان حكم النقض مختص به ثم في دفعه اليهم الارض على النصف دليل ظاهر على جواز المساقاة والمزارعة وكون الشجر نخلا لا أثر له البتة فحكم الشئ حكم نظيره فبلد شجرهم الاعناب والتين وغيرهما من الثمار في الحاجة الى ذلك حكمه حكم بلد شجرهم النخل سواء ولا فرق وفي ذلك دليل على انه لا يشترط كون البذر من رب الارض فان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالحهم على الشطر ولم يعطهم بذرا البتة ولا كان يرسل اليهم ببذر وهذا مقطوع به من سيرته حتى قال بعض أهل العلم انه لو قيل باشتراط كونه من العامل لكان أقوى من القول باشتراط كونه من رب الارض لموافقته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل خيبر والصحيح انه يجوز أن يكون من العامل وأن يكون من رب الارض ولا يشترط أن يختص به أحدهما والذين شرطوه من رب الارض ليس معهم حجة أصلا أكثر من قياسهم المزارعة على المضاربة قالوا كما يشترط في المضاربة أن يكون رأس المال من المالك والعمل من المضارب فهكذا في المزارعة وكذلك في المساقاة يكون الشجر من أحدهما والعمل عليها من الآخر وهذا القياس الى أن يكون حجة عليهم أقرب منه أن يكون حجة لهم فان في المضاربة يعود رأس المال الى المالك ويقتسمان الباقي

المترين أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه وان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (قال ابن هشام) قال أبو عبيدة نبتهل ندعو باللعنة قال أعشى بني قيس بن ثعلبة

لا تقعدن وقد أكلتها حطبا تعوذ من شرها يوما وتبتهل

وهذا البيت في قصيدة له يقول ندعو باللعنة وتقول العرب بهل الله فلانا أي لعنه الله وعليه بهلة الله أي لعنة الله (قال ابن هشام) ويقال بهله الله أي لعنه الله ونبتهل أيضا نجتهد في الدعاء * قال ابن اسحق ان هذا الذي جئت به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم ان ردوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ماذا ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا النبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من

ولو شرط ذلك في المزارعة فسدت عندهم ولم يجروا البذر مجرى رأس المال بل أجروه مجرى سائر البقل فبطل الحاق المزارعة بالمضاربة على أصلهم وأيضا فان البذر جار مجرى الماء ومجرى المنافع فان الزرع لا يتكون وينمو به وحده بل لا بد من السقي والعمل والبذر يموت في الارض وينشئ الله الزرع من أجزاء أخر تكون معه من الماء والريح والشمس والتراب والعمل فحكم البذر حكم هذه الاجزاء وأيضا فان الارض نظير رأس المال في القراض وقد دفعها مالكها الى المزارع وبذرها وحرثها وسقيها نظير عمل المضارب وهذا يقتضي أن يكون المزارع أولى بالبذر من رب الارض تشبيها له بالمضارب فالذي جاءت به السنة هو الصواب الموافق لقياس الشرع وأصوله وفي القصة دليل على جواز عقد الهدنة مطلقا من غير توقيت بل ما شاء الامام ولم يجئ بعد ذلك ما ينسخ هذا الحكم البتة فالصواب جوازه وصحته وقد نص عليه الشافعي رضي الله عنه في رواية المزني ونص عليه غيره من الأئمة ولكن لا ينبذ اليهم ويحاربهم حتى يعلمهم على سواء ليستووا هم وهو في العلم بنقض العهد وفيها دليل على جواز تعزير المتهم بالعقوبة وان ذلك من السياسات الشرعية فان الله سبحانه كان قادرا على أن يدل رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع الكنز طريق الوحي ولكن أراد أن يسن للامة عقوبة المتهمين ويوسع لهم طرق الاحكام رحمة بهم وتيسيرا لهم وفيها دليل على الاخذ بالقرائن في الاستدلال على صحة الدعوى وفسادها لقوله صلى الله عليه وسلم لسعية لما ادعى نفاذ المال العهد قريب والمال أكثر من ذلك وكذلك فعل نبي الله سليمان بن داود في استدلاله بالقرينة على تعيين أم الطفل الذي ذهب به الذئب وادعت كل واحدة من المرأتين انه ابنها واختصما في الآخر فقضى به داود للكبرى فخرجتا الى سليمان فقال قضى بينكما نبي الله فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل رحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى لها فاستدل بقرينة الرحمة والشفقة التي في قلبها وعدم سماحتها بقتله وسماحة الاخرى بذلك لتصير أسوتها في فقد الولد على انه ابن الصغرى فلو اتفقت مثل هذه القضية في شريعتنا لقال أصحاب أحمد والشافعي ومالك رحمهم الله عمل فيها بالقافة وجعلوا القافة سببا لترجيح المدعي للنسب رجلا كان أو امرأة قال أصحابنا وكذلك لو ولدت مسلمة وكافرة ولدين وادعت الكافرة ولد المسلمة وقد سئل عنها أحمد فتوقف فيها فقيل له ترى القافة فقال ما أحسنه فان لم توجد قافة وحكم بينهما حاكم بمثل حكم سليمان لكان صوابا وكان أولى من القرعة فان القرعة انما يصار اليها اذا تساوى المدعيان من كل وجه ولم يترجح أحدهما على الآخر فلو ترجح ببينة أو شاهد واحد أو قرينة ظاهرة من لوث أو نكول خصمه عن اليمين أو موافقة شاهد الحال لصدقه كدعوى كل واحد من الزوجين ما يصلح له من قماش البيت والآنية ودعوى كل واحد من الصانعين آلات صنعته ودعوى حاسر الرأس عن العمامة عمامة من بيده عمامة وهو يشتد عدوا وعلى رأسه أخرى ونظائر ذلك قدم ذلك كله على القرعة ومن تراجم أبي عبد الرحمن النسائي على قصة سليمان هذا باب الحكم يوهم خلاف الحق ليستعلم به الحق والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقص علينا هذه القصة لنتخذها سمرا بل لنعتبر بها في الاحكام بل الحكم بالقسامة وتقديم أيمان مدعي القتل هو من هذا استنادا الى القرائن الظاهرة بل ومن هذا رجم الملاعنة اذا التعن الزوج ونكلت عن الالتعان فالشافعي ومالك رحمهما الله يقتلانها بمجرد التعان الزوج ونكولها استنادا الى اللوث الظاهر الذي حصل بالتعانه ونكولها ومن هذا ما شرعه الله سبحانه وتعالى لنا من قبول شهادة أهل الكتاب على المسلمين

في

أموالنا فانكم عندنا رضا قال محمد بن جعفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني العشية أبعث معكم القوي الامين قال فكان عمر بن الخطاب يقول ما أحببت الامارة قط حبي اياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر فذهب بها أبو عبيدة * قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كما حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة وسيد أهلها عبد الله بن أبي ابن سلول العوفي ثم أحد بني الحبلى لا يختلف عليه في شرفه اثنان لم تجتمع الاوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الاسلام غيره ومعه في الاوس رجل هو في قومه من الاوس شريف مطاع أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له الراهب فشقيا بشرفهما وضرهما فأما عبد الله ابن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك فلما انصرف قومه عنه الى الاسلام ضغن ورأى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن * وأما أبو عامر فأبى الا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الاسلام فخرج منهم الى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن أبي امامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق * قال ابن اسحق وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم وكان قد أدرك وسمع وكان راوية أن أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قبل أن يخرج الى مكة فقال ما هذا الدين الذي جئت به فقال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فأنا عليها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست عليها

في الوصية في السفر وان أولياء الميت اذا اطلعا على خيانة من الوصيين جاز لهما ان يحلفا ويستحقا ماحلفا عليه وهذا لوث في الاموال وهذا نظير اللوث في الدماء وأولى بالجواز منه وعلى هذا اذا اطلع الرجل المسروق ماله على بعضه في يد خائن معروف بذلك ولم يتبين انه اشتراه من غيره جازله أن يحلف أن بقية ماله عنده وانه صاحب السرقة استنادا الى اللوث الظاهر والقرائن التي تكشف الامر وتوضحه وهو نظير حلف أولياء المقتول في القسامة ان فلانا قتله سواء بل أمر الاموال أسهل وأخف ولذلك ثبت بشاهد ويمين وشاهد وامرأتين ودعوى ونكول بخلاف الدماء فاذا جاز اثباتها باللوث فاثبات الاموال به بالطريق الاولى والاحرى والقرآن والسنة يدلان على هذا وليس مع من ادعى نسخ مادل عليه القرآن من ذلك حجة أصلا فان هذا الحكم في سورة المائدة وهي في آخر مانزل من القرآن وقد حكم بموجبها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده كأبي موسى الاشعري وأقره الصحابة ومن هذا أيضا ما حكاه الله سبحانه في قصة يوسف من استدلال الشاهد بقرينة قد القميص من دبر على صدقه وكذب المرأة وانه كان هاربا مولياً فادركته المرأة من ورائه فجبذته فقدت قميصه من دبر فعلم بعلها والحاضرون صدقوه وقبلوا هذا الحكم وجعلوا الذنب لها وأمروها بالتوبة وحكاه الله سبحانه وتعالى حكاية مقرر له غير منكر والتأسي بذلك وأمثاله في اقرار الله له وعدم انكاره لا في مجرد حكايته فانه اذا أخبر به مقرا عليه ومثنيا على فاعله ومادحاله دل على رضاه به وانه موافق لحكمه ومرضاته فليتدبر هذا الموضع فانه نافع جدا ولو تتبعنا مافي القرآن والسنة وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ذلك لطال وعسى ان نفرد فيه مصنفا شافيا ان شاء الله تعالى والمقصود التنبيه على هديه واقتباس الاحكام من سيرته ومغازيه ووقائعه صلوات الله عليه وسلامه ولما أقرهم في الارض كان يبعث كل عام من يخرص عليهم الثمار فينظر كم يجني منها فيضمنهم نصيب المسلمين ويتصرفوا فيها وكان يكتفي بخارص واحد ففي هذا دليل على جواز خرص الثمر البادي كثمر النخل وعلى جواز قسمة الثمار خرصا على رؤس النخل ويصير نصيب أحد الشريكين معلوما وان لم يتميز بعد لمصلحة النماء وعلى أن القسمة افراز لا بيع وعلى جواز الاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد وعلى ان لمن الثمار في يده ان يتصرف فيها بعد الخرص ويضمن نصيب شريكه الذي خرص عليه فلما كان في زمن عمر ذهب عبد الله ابنه الى ماله بخيبر فعدوا عليه فألقوه من فوق بيت ففكوا يديه فأجلاهم عمر منها الى الشام وقسمها بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية

(فصل) وأما هديه في عقد الذمة وأخذ الجزية فانه لم يأخذ من أحد من الكفار جزية الا بعد نزول براءة في السنة الثامنة من الهجرة فلما نزلت آية الجزية أخذها من المجوس وأخذها من أهل الكتاب وأخذها من النصارى وبعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن فعقد لمن لم يسلم من يهودها الذمة وضرب عليهم الجزية ولم يأخذها من يهود خيبر فظن بعض الغالطين المخطئين ان هذا حكم مختص باهل خيبر وانه لا يؤخذ منهم جزية وان أخذت من سائر أهل الكتاب وهذا من عدم فقهه في السير والمغازي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم وصالحهم على أن يقرهم في الارض ماشاء ولم تكن الجزية نزلت بعد فسبق عقد صلحهم واقرارهم في أرض خيبر نزول الجزية ثم أمره الله سبحانه وتعالى ان يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية فلم يدخل في هذا يهود خيبر اذ ذاك لان العقد كان قديما بينه وبينهم على اقرارهم وان يكونوا عمالا في الارض بالشطر فلم يطالبهم بشيء غير

أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو ابن عمير الثقفي فلما مات اختصما في ميراثه الى قيصر صاحب الروم فقال قيصر يرث أهل المدر أهل المدر ويرث أهل الوبر أهل الوبر فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة فقال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع

معاذ الله من عمل خبيث ... كسعيك في العشيرة عبد عمرو
فاما قلت لي شرف ونخل ... فقدما بعت ايمانا بكفر

(قال ابن هشام) ويروى * فاما قلت لي شرف ومال * قال ابن اسحق وأما عبد الله بن أبي فأقام على شرفه في قومه مترددا حتى غلبه الاسلام فدخل فيه كارها * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن اسامة بن زيد ابن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه على حمار عليه اكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمه بحبل من ليف وأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه قال فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل مزاحم اطمه (قال ابن هشام) مزاحم اسم لاطمه * قال ابن اسحق وحوله رجال من قومه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تذمم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل وذكر بالله وحذر وبشر وانذر قال وهو زام لا يتكلم حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته قال يا هذا انه لا أحسن من حديثك هذا ان كان حقا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه اياه ومن لم يأتك

(١) ولا تعنه ولا تؤنبه ولا تجلسه مجلسا يكره منه قال فقال عبدالله بن رواحة فهو ساك كانوا عندنا من المسلمين بلى فاغشنابه واتنابه فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله مما نحب وبما أكرمنا الله به وهدانا له فقال عبدالله بن أبى حين رأى من خلاف قومه مارأى متى مايكن مولاك خصمك لاتزل * تذل ويصرعك الذين تصارع (٣٣٦) وهل ينهض البازى بغير جناحه * وان جذيوما ريشه فهو واقع

(قال ابن هشام) البيت الثانى عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن اسامة قال وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة وفى وجهه ماقال عدو الله بن أبى فقال والله يارسول الله انى لارى فى وجهك شيأ لكأنك سمعت شيأ تكرهه فقال أجل ثم أخبره بما قال ابن أبى فقال سعد يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وانا لننظم له الخرز لنتوجه وانه ليرى ان قد سلبته ملكا

(ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة وعمرو بن عبدالله بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه الا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت له كيف تجدك ياأبت فقال

كل امرئ مصبح فى أهله

والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله مايدرى أبى ما يقول قالت ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجدك ياعامر فقال لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمى جلده (٢) بروقه أو

(١) قوله ولا تعنه قال فى القاموس عنته بالامر كده اه وفى نسخة فلا تعنشه (٢) وجد بهامش نسخة (قال ابن هشام) الطوق الطاقة والروق القرن قال رؤبة بن العجاج يصف الثور والكلاب * كالابه على الصدور بروقه

ذلك وطالب سواهم من أهل الكتاب ممن لم يكن بينه وبينهم عقد كعقدهم بالجزية كنصارى نجران ويهود اليمن وغيرهم فلما أجلاهم عمر الى الشام تغير ذلك العقد الذى تضمن اقرارهم فى أرض خيبر وصار لهم حكم غيرهم من أهل الكتاب ولما كان فى بعض الدول التى خفيت فيها السنة وأعلامها أظهر طائفة منهم كتابا قد عتقوه وزوّروه وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم اسقط عن يهود خيبر الجزية وفيه شهادة على بن أبى طالب وسعد بن معاذ وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم فراج ذلك على من جهل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسيره وتوهموا بل ظنوا صحته فجروا على حكم هذا الكتاب المزور حتى ألقى الى شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وطلب منه أن يعين على تنفيذه والعمل عليه فبصق عليه واستدل على كذبه بعشرة أوجه * منها ان فيه شهادة سعد ابن معاذ وسعد توفى قبل خيبر * ومنها ان فى الكتاب أنه أسقط عنهم الجزية والجزية لم تكن نزلت بعد ولا يعرفها الصحابة حينئذ فان نزولها كان عام تبوك بعد خيبر بثلاثة أعوام * ومنها أنه أسقط عنهم الكلف والسخر وهذا محال فلم يكن فى زمانه كلف ولا سخر تؤخذ منهم ولا من غيرهم وقد أعاذه الله وأعاذ أصحابه من أخذ الكلف والسخر وانما هى من وضع الملوك الظلمة واستمر الامر عليها * ومنها ان هذا الكتاب لم يذكره أحد من أهل العلم على اختلاف أصنافهم فلم يذكره أحد من أهل المغازى والسير ولا أحد من أهل الحديث والسنة ولا أحد من أهل الفقه والافتاء ولا أحد من أهل التفسير ولا أظهروه فى زمان السلف لعلمهم انهم ان زوّروا مثل ذلك عرفوا كذبه وبطلانه فلما استرقوا بعض الدول فى وقت فتنة وخفاء بعض السنة زوّروا ذلك وعتقوه وأظهروه وساعدهم على ذلك طمع بعض الخائنين لله ولرسوله ولم يستمر لهم ذلك حتى كشف الله أمره وبين خلفاء الرسل بطلانه وكذبه

(فصل) فلما نزلت آية الجزية أخذها صلى الله عليه وسلم من ثلاث طوائف من المجوس واليهود والنصارى ولم يأخذها من عباد الاصنام فقيل لا يجوز أخذها من كافر غير هؤلاء ومن دان بدينهم اقتداء بأخذه وتركه وقيل بل تؤخذ من أهل الكتاب وغيرهم من الكفار كعبدة الاصنام من العجم دون العرب والاوّل قول الشافعى رحمه الله وأحمد فى احدى روايتيه والثانى قول أبى حنيفة رحمه الله وأحمد رحمه الله فى الرواية الاخرى وأصحاب القول الثانى يقولون انما لم يأخذها من مشركى العرب لانها انما نزل فرضها بعد أن أسلمت دارة العرب ولم يبق فيها مشرك فانها نزلت بعد فتح مكة ودخول العرب فى دين الله أفواجا فلم يبق بأرض العرب مشرك ولهذا غزا بعد الفتح تبوك وكانوا نصارى ولو كان بأرض العرب مشركون لكانوا يلونه وكانوا أولى بالغزو من الابعدين ومن تأمل السير وأيام الاسلام علم أن الامر كذلك فلم تؤخذ منهم الجزية لعدم من يؤخذ منه لالانهم ليسوا من أهلها قالوا وقد أخذها من المجوس وليسوا بأهل كتاب ولا يصح انه كان لهم كتاب ورفع وهو حديث لا يثبت مثله ولا يصح سنده ولا فرق بين عباد النار وعباد الاصنام بل أهل الاوثان أقرب حالا من عباد النار وكان فيهم من التمسك بدين ابراهيم مالم يكن فى عباد النار بل عباد النار أعداء ابراهيم الخليل فاذا أخذت منهم الجزية فأخذها من عباد الاصنام أولى وعلى ذلك تدل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت عنه فى صحيح مسلم انه قال اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى خلال ثلاث فأيتهن أجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم ثم أمره أن يدعوهم الى الاسلام أو الجزية

أو يقاتلهم وقال المغيرة لعامل كسرى أمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله أو تؤدّوا الجزية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش هل لكم في كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدّي العجم اليكم بها الجزية قالوا ماهي قال لا اله الا الله

(فصل) ولما كان في مرجعه من تبوك أخذت خيله أكيدر دومة فصالحه على الجزية وحقن له دمه وصالح أهل نجران من النصارى على ألفي حلة النصف في صفر والبقية في رجب يؤدّونها الى المسلمين وعارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردّوها عليهم ان كان باليمن كيد أو غدرة على ان لا يهدم لهم بيعة ولا يخرج لهم قس ولا يفتنوا عن دينهم مالم يحدثوا حدثا أو يأكلوا الربا وفي هذا دليل على انتقاض عهد الذمة باحداث الحدث وأكل الربا اذا كان مشروطا عليهم ولما وجه معاذا الى اليمن أمره أن يأخذ من كل محتلم دينارا أو قيمته من المعافري وهي ثياب تكون باليمن وفي هذا دليل على ان الجزية غير مقدرة الجنس ولا القدر بل يجوز أن تكون ثيابا وذهبا وحللا وتزيد وتنقص بحسب حاجة المسلمين واحتمال من تؤخذ منه وحاله في الميسرة وما عنده من المال ولم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه في الجزية بين العرب والعجم بل أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى العرب وأخذها من مجوس هجر وكانوا عربا فان العرب أمة ليس لها في الاصل كتاب وكانت كل طائفة تدين بدين من جاورها من الامم فكانت عرب البحرين مجوسا لمجاورتها فارس وتنوخ وبهراو بنو تغلب نصارى لمجاورتهم للروم وكانت قبائل من اليمن يهودا لمجاورتهم ليهود اليمن فاجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكام الجزية ولم يعتبر آباءهم ولا متى دخلوا في دين أهل الكتاب هل كان دخولهم قبل النسخ والتبديل أو بعده ومن أين يعرفون ذلك وكيف ينضبط وما الذي دل عليه وقد ثبت في السير والمغازي ان من الانصار من تهوّد أبناؤهم بعد النسخ بشريعة عيسى وأراد آباؤهم اكراههم على الاسلام فأنزل الله تعالى لا اكراه في الدين وفي قوله لمعاذ خذ من كل حالم دينارا دليل على انها لا تؤخذ من صبي ولا امرأة فان قيل فكيف تصنعون بالحديث الذي رواه عبد الرزاق في مصنفه وأبو عبيد في الأموال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذ بن جبل أن يأخذ من اليمن الجزية من كل حالم أو حالمة زاد أبو عبيد عبدا أو امة دينارا أو قيمته من المعافري فهذا فيه أخذها من الرجل والمرأة والحر والرقيق قيل هذا لا يصح وصله وهو منقطع وهذه الزيادة مختلف فيها لم يذكرها سائر الرواة ولعلها من تفسير بعض الرواة وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم هذا الحديث فاقتصروا على قوله أمره أن يأخذ من كل حالم دينارا ولم يذكروا هذه الزيادة وأكثر من أخذ منهم النبي صلى الله عليه وسلم الجزية العرب من النصارى واليهود والمجوس ولم يكشف عن أحد منهم متى دخل في دينه وكان يعتبرهم بأديانهم لا بآبائهم

(فصل) في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث الى حين لقي الله عز وجل أوّل ما أوحى اليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أوّل نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره اذ ذاك بتبليغ ثم أنزل عليه يا أيها المدثر قم فأنذر فنبأه بقوله اقرأ وأرسله بيا أيها المدثر ثم أمره أن ينذر عشيرته الاقربين ثم انذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ويؤمر بالكف والصبر

يد طاقته فيما قال ابن هشام قالت فقالت والله ما يدري عامر ما يقول قالت وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفج وحولي اذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل (قال ابن هشام) شامة وطفيل جبلان بمكة قالت عائشة رضي الله عنها فذكرت

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم فقلت انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل وباءها الى مهيعة ومهيعة الجحفة * قال ابن اسحق وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانوا ما يصلون الا وهم قعود قال فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم اعلموا ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم قال فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوّه وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين مشركي العرب وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة (تاريخ الهجرة) بالاسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد ابن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول وهو التاريخ فيما

قال ابن هشام * قال ابن اسحق ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة فأقام بها بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوّالا وذا القعدة وذا الحجة وولي تلك الحجة المشركون والمحرم ثم خرج غازيا في صفر على

والصفح ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ثم كان الكفار معه بعد الامر بالجهاد ثلاثة أقسام أهل صلح وهدنة وأهل حرب وأهل ذمة فأمر بان يتم لاهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد وأمر أن يقاتل من نقض عهده ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الاقسام كلها فامر فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الاسلام وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان والمنافقين بالحجة واللسان وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم اليهم وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام قسما أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم وقسما لهم عهد موقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فامره أن يتم لهم عهدهم الى مدتهم وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق فامر أن يؤجلهم أربعة أشهر فاذا انسلخت قاتلهم وهي الاشهر الاربعة المذكورة في قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر وهي الحرم المذكورة في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين فالحرم ههنا هي أشهر التسيير أولها يوم الاذان وهو اليوم العاشر من ذي الحجة وهو يوم الحج الاكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك وآخرها العاشر من ربيع الآخر وليست هي الاربعة المذكورة في قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فان تلك واحد فرد وثلاثة سرد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ولم يسير المشركين في هذه الاربعة فان هذا لا يمكن لانها غير متوالية وهو انما أجلهم أربعة أشهر ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم فقتل الناقض لعهده وأجل من لا عهد له أوله عهد مطلق أربعة أشهر وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده الى مدته فاسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم الى مدتهم وضرب على أهل الذمة الجزية فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام محاربين له وأهل عهد وأهل ذمة ثم آلت حال أهل العهد والصلح الى الاسلام فصاروا معه قسمين محاربين وأهل ذمة والمحاربون له خائفون منه فصار أهل الارض معه ثلاثة أقسام مسلم مؤمن به ومسالم له آمن وخائف محارب وأما سيرته في المنافقين فانه أمر ان يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله وان يجاهدهم بالعلم والحجة وأمر ان يعرض عنهم ويغلظ عليهم وان يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ونهي أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم وأخبر أنه ان استغفر لهم فلن يغفر الله لهم فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين

(فصل) وأما سيرته في أوليائه وحزبه فامره أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وان لا تعد عيناه عنهم وأمر ان يعفو عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في الامر وان يصلي عليهم وأمر بهجر من عصاه وتخلف عنه حتى يتوب ويراجع طاعته كما هجر الثلاثة الذين خلفوا وأمر ان يقيم الحدود على من أتى موجباتها منهم وأن يكونوا عنده في ذلك سواء شريفهم ودنيهم وأمر في دفع عدوه من شياطين الانس بان يدفع بالتي هي أحسن فيقابل اساءة من أساء اليه بالاحسان وجهله بالحلم وظلمه بالعفو وقطيعته بالصلة وأخبره انه ان فعل ذلك عاد عدوه كانه ولي حميم وأمر في دفعه عدوه من شياطين الجن بالاستعاذة بالله منهم وجمع له هذين الامرين في ثلاثة مواضع

رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة (قال ابن هشام) واستعمل على المدينة سعد بن عبادة (غزوة ودان) وهي أول غزواته عليه السلام * قال ابن اسحق حتى بلغ ودان وهي غزوة الابواء يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم عليهم مخشي بن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه ذلك ثم رجع رسول الله صلى الله عليه

وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول (قال ابن هشام) وهي اول غزوة غزاها (سرية عبيدة بن الحرث) وهي أول راية عقدها عليه السلام * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين وليس فيهم من الانصار أحد فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقي بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة ابن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل (قال ابن هشام) حدثني ابن أبي عمرو ابن العلاء عن أبي عمرو المدني انه كان عليهم مكرز بن حفص بن الاخيف احد بني معيص بن عامر ابن لؤي بن غالب بن فهر * قال ابن اسحق فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبيدة بن الحرث (قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابي بكر رضي الله عنه

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث * أرقت وأمر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدها * عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا * عليه وقالوا لست فينا بماكث
اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا * وهروا هرير المجحرات اللواهث
فكم قد متتنا فيهم بقرابة * وترك التقى شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم * فما طيبات الحل مثل الخبائث

وان يركبوا طغيانهم وضلالهم * فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن أناس من ذؤابة غالب * لنا العزمنها فى الفروع الاثائث
فأولى برب الراقصات عشية * حراجيج تخدى فى السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف * يردن حياض البئر ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم * ولست اذا آليت قولا بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق * تحرم أطهار النساء الطوامث
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم * ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فأبلغ بنى سهم لديك رسالة * وكل كفور يبتغى الشر باحث
فان تشعثوا عرضى على سوء رأيكم * فانى من أعراضكم غير شاعث

فأجابه عبدالله بن الزبعرى السهمى فقال

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث * بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الايام والدهر كله * له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذى عرام يقوده * عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكة عكفا * مواريث موروث كريم لوارث
فلما لقيناهم بسمر ردينة * وجرد عتاق فى العجاج لواهث
وبيض كأن الملح فوق متونها * بأيدى كماة كالليوث العوائث
نقيم بها اصعار من كان مائلا * ونشفى الذحول عاجلا غير لابث
فكفوا على خوف شديد وهيبة * وأعجبهم أمر لهم أمر رائث
ولو أنهم لم يفعلوا ناح نسوة * أيامى لهم من بين (١) نسى وطامث
وقد غودرت قتلى يخبر عنهم * حفى بهم أو غافل غير باحث
فأبلغ أبا بكر لديك رسالة * فما أنت عن أعراض فهر بماكث
ولما تجب منى يمين غليظة * تجدد حربا حلفه غير حانث

(قال ابن هشام) تركنا منها بيتا واحدا وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى * قال ابن اسحق وقال سعد بن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون

ألاهل أتى رسول الله أنى * حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها أوائلهم ذيادا * بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام فى عدو *

(١) قال ابن هشام النسى المرأة أول ما تحمل أخبرنى به ابن اسحق وقيل امرأة نسى متأخرة الحيض يظن بها حمل اه من هامش

من القرآن فى سورة الاعراف والمؤمنين وسورة حم السجدة فقال فى سورة الاعراف خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم فامره باتقاء شر الجاهلين بالاعراض عنهم وباتقاء شر الشيطان بالاستعاذة منه جمع له فى هذه الآية مكارم الاخلاق والشيم كلها فان ولى الامر له مع الرعية ثلاثة أحوال فانه لابد له من حق عليهم يلزمهم القيام به وأمر يأمرهم به ولابد من تفريط وعدوان يقع منهم فى حقه فأمر بأن يأخذ من الحق الذى عليهم ما طوعت به أنفسهم وسمحت به وسهل عليهم ولم يشق وهو العفو الذى لا يلحقهم ببذله ضرر ولا مشقة وأمر أن يأمرهم بالعرف وهو المعروف الذى تعرفه العقول السليمة والفطر المستقيمة وتقر بحسنه ونفعه واذا أمر به يأمر به بالمعروف أيضا لا بالعنف والغلظة وأمر أن يقابل جهل الجاهلين منهم بالاعراض عنه دون أن يقابله بمثله فبذلك يكتفى شرهم وقال تعالى فى سورة المؤمنين قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب انى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وقال تعالى فى سورة حم السجدة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فهذه سيرته مع أهل الارض انسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم

(فصل) فى سياق مغازيه وبعوثه على وجه الاختصار وكان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره وكان لواء أبيض وكان حامله أبا مرثد كناز بن الحصين الغنوى حليف حمزة وبعثه فى ثلاثين رجلا من المهاجرين خاصة يعترض عيرا لقريش جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلثمائة رجل فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فالتقوا واصطفوا للقتال فمشى مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفا للفريقين جميعا بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا

(فصل) ثم بعث عبيدة بن الحرث بن المطلب فى سرية الى بطن رابغ فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة وعقد له لواء أبيض وحمله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف وكان فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى فلقى أبا سفيان بن حرب وهو فى مائتين على بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة وكان بينهم الرمى ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وانما كانت مناوشة وكان سعد بن أبى وقاص فيهم وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله ثم انصرف الفريقان على حاميتهم قال ابن اسحق وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل وقدم سرية عبيدة على سرية حمزة

(فصل) ثم بعث سعد بن أبى وقاص الى الخرار فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر وعقد له لواء أبيض وحمله المقداد بن عمرو وكانوا عشرين راكبا يعترضون عيرا لقريش وعهد اليه أن لا يجاوزوا الخرار فخرجوا على أقدامهم فكانوا يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى صبحوا المكان صبيحة خمس فوجدوا العير قد مرت بالامس

(فصل) ثم غزا بنفسه غزوة الابواء ويقال لها ودان وهى أول غزوة غزاها بنفسه وكانت فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مهاجره وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض واستخلف على

المدينة سعد بن عبادة وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عير القريش فلم يلق كيدا وفي هذه الغزوة وادع عمرو بن مخشي الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ان لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه ولا أن يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا وكتب بينه وبينهم كتابا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

(فصل ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم) بواط في شهر ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص وكان أبيض واستخلف على المدينة سعد بن معاذ وخرج في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير فبلغ بواطا وهما جبلان فرعان أصلهما واحد من جبال جهينة مما يلي طريق الشام وبين بواط والمدينة نحو أربعة برد فلم يلق كيدا فرجع

(فصل) ثم خرج على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره يطلب كرز بن جابر الفهري وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان أبيض فاستخلف على المدينة زيد بن حارثة وكان كرز قد أغار على سرح المدينة فاستاقه وكان يرعى بالحمى فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز ولم يلحقه فرجع الى المدينة

(فصل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي وخرج في خمسين ومائة ويقال في مائتين من المهاجرين ولم يكره أحدا على الخروج وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها يعترضون عير القريش ذاهبة الى الشام وقد كان جاءه الخبر بفصولها من مكة فيها أموال لقريش فبلغ ذا العشيرة وقيل العشيراء بالمد وقيل العسيرة بالمهملة وهي بناحية ينبع وبين ينبع والمدينة تسعة برد فوجد العير قد فاتته بأيام وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام وهي التي وعده الله اياه والمقاتلة وذات الشوكة ووفى له بوعده وفي هذه الغزوة وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة قال عبد المؤمن بن خلف الحافظ وفي هذه الغزوة كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أبا تراب وليس كما قاله فان النبي صلى الله عليه وسلم انما كناه أبا تراب بعد نكاحه فاطمة وكان نكاحها بعد بدر فانه لما دخل عليها وقال أين ابن عمك قالت خرج مغاضبا فجاء الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس أبا تراب اجلس أبا تراب وهو أول يوم كنى فيه أبا تراب

(فصل) ثم بعث عبد الله بن جحش الاسدي الى نخلة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة في اثني عشر رجلا من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير فوصلوا الى بطن نخلة يرصدون عير القريش وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ولما فتح الكتاب وجد فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بذلك وبأنه لا يستكرههم فمن أحب الشهادة فلينهض ومن كره الموت فليرجع وأما أنا فناهض فنهضوا كلهم فلما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه وبعد عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله

بهم يا رسول الله قبلي * وذلك أن دينك دين صدق * وذو صدق أتيته وعدل * ينجي المؤمنون به ويجزي * به الكفار عند مقام مهل * فهلا قد غويت فلا تعبني * غوي الحي ويحك يا ابن جهل * (قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد * قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة بن الحرث فيما بلغني أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام لأحد من المسلمين

(سرية حمزة رضي الله عنه الى سيف البحر) (قال ابن اسحق) وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث في مقامه ذلك حمزة ابن عبد المطلب بن هاشم الى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعرا يذكر فيه ان رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق ان شاء الله لم يكن يقول الا حقا فالله أعلم أي ذلك كان فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحرث أول من عقد له فقال حمزة في ذلك فيما يزعمون قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه

ألا يا لقومي للتحلم والجهل * وللنقص من رأي الرجال وللعقل * وللراكبينا بالمظالم لم نطأ * لهم حرمات من سوام ولا أهل * كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا * لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل * وأمر باسلام فلا يقبلونه * وينزل منهم مثل منزلة الهزل * فما برحوا حتى انتدبت لغارة * لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل * بأمر رسول الله أول خافق * عليه لواء لم يكن لاح من قبلي * لواء لديه النصر من ذي كرامة * اله عزيز فعله أفضل الفعل * ابن

غشية ساروا حاشدين وكلنا * مراجله من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا * مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
فقلنا لهم حبل الاله نصيرنا * ومالكم الا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا * فخاب ورد الله كيد أبي جهل
ومانحن الا فى ثلاثين راكبا * وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيا آل لؤى لا تطيعوا غواتكم (٢٤١) وفيئوا الى الاسلام والمنهج السهل
فانى أخاف أن يصب عليكم
عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

(فاجابه أبو جهل بن هشام فقال)

عجبت لاسباب الحفيظة والجهل
وللشاغبين بالخلاف وبالبطل
وللتاركين ماوجدنا جدودنا
عليه ذوى الاحساب والسودد الجزل
أتونا بافك كى يضلوا عقولنا
وليس مضلا افكهم عقل ذى عقل
فقلنا لهم ياقومنا لا تخالفوا
على قومكم ان الخلاف مدى الجهل
فانكم ان تفعلوا تدع نسوة
لهن بواك بالرزية والثكل
وان ترجعوا عما فعلتم فاننا
بنو عمكم أهل الحفائظ والفضل
فقالوا لنا انا وجدنا محمدا
رضا لذوى الاحلام مناوذى العقل
فلما أبوا الا الخلاف وزينوا
جماع الامور بالقبيح من الفعل
تيممتهم بالساحلين بغارة
لاتركهم كالعصف ليس بذى أصل
فورعنى مجدى عنهم وصحبتى
وقد وازرونى بالسيوف وبالنبل
لال علينا واجب لانضيعه
أمين قواه غير منتكث الحبل
فلولا ابن عمرو كنت غادرت منهم
ملاحم للطير العكوف بلا تبل
ولكنه آلى بال فقلصت
بايماننا حد السيوف عن القتل
فان تبقنى الايام ارجع عليهم
ببيض رقاق الحد محدثة الصقل
بايدى حماة من لؤى بن غالب
كرام المساعى فى الجدوبة والمحل

(قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لابى جهل لعنه الله

(غزوة بواط)

(قال ابن اسحق) ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول يريد قريشا * قال ابن هشام واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون * قال ابن اسحق حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى

(غزوة العشيرة)

ثم غزا قريشا

ابن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بنى المغيرة فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب الشهر الحرام فان قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام وان تركناهم الليلة دخلوا الحرم ثم اجتمعوا على ملاقاتهم فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمى فقتله وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل ثم قدموا بالعير والاسيرين وقد عزلوا من ذلك الخمس وهو أول خمس كان فى الاسلام وأول قتيل فى الاسلام وأول أسيرين فى الاسلام وأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم مافعلوه واشتد تعنيت قريش وانكارهم ذلك وزعموا أنهم قد وجدوا مقالا فقالوا قد أحل محمد الشهر الحرام واشتد ذلك على المسلمين حتى أنزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل يقول سبحانه هذا الذى أنكرتموه عليهم وان كان كبيرا فما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله والصد عن سبيله وعن بيته واخراج المسلمين الذين هم أهله منه والشرك الذى أنتم عليه والفتنة التى حصلت منكم به أكبر عند الله من قتالهم فى الشهر الحرام وأكثر السلف فسر والفتنة هنا بالشرك كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويدل عليه قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أى لم يكن مآل شركهم وعاقبته وآخر أمرهم الا أن تبرؤا منه وأنكروه وحقيقتها انها الشرك الذى يدعو صاحبه اليه ويقاتل عليه ويعاقب من لم يفتتن به ولهذا يقال لهم وقت عذابهم بالنار وفتنتهم بها ذوقوا فتنتكم قال ابن عباس تكذيبكم وحقيقته ذوقوا نهاية فتنتكم وغايتها ومصير أمرها كقوله ذوقوا ما كنتم تكسبون وكما فتنوا عباده على الشرك فتنوا على النار وقيل لهم ذوقوا فتنتكم ومنه قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فسرت الفتنة هنا بتعذيبهم المؤمنين واحراقهم اياهم بالنار واللفظ أعم من ذلك وحقيقته عذبوا المؤمنين ليفتتنوا عن دينهم فهذه الفتنة المضافة الى المشركين وأما الفتنة التى يضيفها الله سبحانه الى نفسه ويضيفها رسوله اليه كقوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض وقول موسى ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء فتلك بمعنى آخر وهى بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب فهذه لون وفتنة المشركين لون وفتنة المؤمن فى ماله وولده وجاره لون آخر والفتنة التى يوقعها بين أهل الاسلام كالفتنة التى أوقعها بين أصحاب على ومعاوية وبين أهل الجمل وصفين وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر وهى الفتنة التى قال فيها محمد صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى وأحاديث الفتنة التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها باعتزال الطائفتين هى هذه الفتنة وقد تأتى الفتنة مرادا بها المعصية كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى يقولها الجد بن قيس لما ندبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بتعرضى لبنات الاصفر فانى لا أصبر عنهن قال تعالى ألا فى الفتنة سقطوا أى وقعوا فى فتنة النفاق وفروا الى سهام من فتنة بنات الاصفر والمقصود ان الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والانصاف ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الاثم بالقتال فى الشهر الحرام بل أخبر انه كبير وان ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال فى الشهر الحرام فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة لاسيما وأولياؤه كانوا متأولين فى قتالهم ذلك أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم فى جنب ما فعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسوله وايثار ما عند الله فهم كما قيل

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

فكيف يقاس ببغيض عدوّ جاء بكل قبيح ولم يأت بشفيع واحد من المحاسن

(فصل) ولما كان فى شعبان من هذه السنة حولت القبلة وقد تقدم ذكر ذلك

(فصل) فلما كان فى رمضان من هذه السنة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان وهى العير التى خرجوا فى طلبها لما خرجت من مكة وكانوا نحو أربعين رجلا وفيها أموال عظيمة لقريش فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للخروج اليها وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالا بليغا لانه خرج مسرعا فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا لم يكن معهم من الخيل الا فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسود الكندى وكان معهم سبعون بعيرا يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا وزيد بن حارثة وابنه وكبشة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة ودفع اللواء الى مصعب بن عمير والراية الواحدة الى على بن أبى طالب والاخرى التى للانصار الى سعد بن معاذ وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة وسار فلما قرب من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى وعدى بن الزغباء الى بدر يتجسسان أخبار العير وأما أبو سفيان فانه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده اياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى الى مكة مستصرخا لقريش بالنفير الى عيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه وبلغ الصريخ أهل مكة فنهضوا مسرعين وأوعبوا فى الخروج فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبى لهب فانه عوّض عنه رجلا كان له عليه دين وحشدوا من حولهم من قبائل العرب ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش الا بنى عدى فلم يخرج معهم منهم أحد وخرجوا من ديارهم كما قال الله بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله وأقبلوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدّهم وحديدهم تحاده وتحادّ رسوله وجاؤا على حرد قادرين وعلى حمية وغضب وحنق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما يريدون من أخذ عيرهم وقتل من فيها وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمى والعير التى كانت معه فجمعهم الله على غير ميعاد كما قال الله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج قريش استشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم ثانيا فتكلموا أيضا فأحسنوا ثم استشارهم ثالثا ففهمت الانصار أنه يعنيهم فبادر سعد بن معاذ فقال يا رسول الله كأنك تعرض بنا وكان انما يعنيهم لانهم بايعوه على أن يمنعوه من الاحمر والاسود فى ديارهم فلما عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم فقال له سعد لعلك تخشى أن تكون الانصار ترى حقا عليها أن لا تنصرك الا فى ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لامرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك وقال له المقداد لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقاتل عن

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد فيما قال ابن هشام (قال ابن اسحق) فسلك على نقب بنى دينار ثم على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن ازهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده صلى الله عليه وسلم وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك واستقى له من ماء به يقال له المشترب ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله وذلك اسمها اليوم ثم صب للشار حتى هبط يليل فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة واستقى من بئر بالضبوعة ثم سلك الفرش فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الاولى وليالى من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب ما قال عليه السلام (قال ابن اسحق) فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم المحاربى عن محمد بن كعب القرظى عن محمد بن خثيم أبى يزيد عن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها رأينا بها اناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل فقال لى على بن أبى طالب يا أبا اليقظان هل لك فى أن نأتى هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون قال قلت ان شئت قال فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا فى صور من النخل وفى دقعاء من التراب فنمنا فوالله ما أهبنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ثم قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته (قال ابن اسحق) وقد حدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى عليا أبا تراب أنه كان اذا عتب على فاطمة فى شئ لم يكلمها ولم يقل لها شيئا

يمينك

ثم كرهه الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى عليه التراب عرف انه عاتب على فاطمة فيقول مالك يا أبا تراب فالله أعلم أى ذلك كان ‹‹ سرية سعد بن أبي وقاص ›› (قال ابن اسحق) وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوه سعد بن أبي وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيدا (قال ابن هشام) ذكر بعض أهل العلم ان بعث سعد هذا كان بعد حمزة ‹‹ ذكر غزوة سفوان ›› وهى غزوة بدر الاولى * قال ابن اسحق ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة الا ليالى قلائل لا تبلغ العشرة حتى اغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة فيما قال ابن هشام * (قال ابن اسحق) حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز ابن جابر فلم يدركه وهى غزوة بدر الاولى ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وشعبان ‹‹ سرية عبد الله بن جحش ونزول يسئلونك عن الشهر الحرام ›› وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش ابن رياب الاسدى فى رجب مقفله من بدر الاولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد بنى أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان ابن جابر حليف لهم ومن بنى زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم من عنز بن وائل وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع أحد بنى تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف لهم ومن بنى الحرث

يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فاشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسر بما سمع من أصحابه وقال سيروا وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين وانى قد رأيت مصارع القوم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر وخفض أبو سفيان ولحق بساحل البحر ولما رأى انه قد نجى واحرز العير كتب الى قريش ان ارجعوا فانكم انما خرجتم لتحرزوا عيركم فاتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نقدم بدرا فنقيم بها ونطعم من حضرنا من العرب وتخافنا العرب بعد ذلك وأشار الاخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه فرجع هو وبنو زهرة فلم يشهد بدرا زهرى فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الاخنس فلم يزل فيهم مطاعا معظما وأرادت بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع فساروا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عشاء أدنى ماء من مياه بدر فقال أشيروا على فى المنزل فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله أنا عالم بها وبقلبها ان رأيت ان نسير الى قلب قد عرفناها فهى كثيرة الماء عذبة فننزل عليها ونسبق القوم اليها ونغور ما سواها من المياه وسار المشركون سراعا يريدون الماء وبعث عليا وسعدا والزبير الى بدر يلتمسون الخبر فقدموا بعبدين لقريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فسألهما أصحابه لمن أنتما فقالوا نحن سقاة لقريش فكره ذلك أصحابه وودوا لو كانا العير أبى سفيان فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما أخبرانى أين قريش قالا وراء هذا الكثيب فقال كم القوم فقالا لا علم لنا فقال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرا ويوما تسعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين تسعمائة الى الالف وأنزل الله عز وجل فى تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم وكان على المسلمين طلا طهرهم به واذهب عنهم رجس الشيطان ووطأ به الارض وصلب به الرمل وثبت الاقدام ومهد به المنزل وربط به على قلوبهم فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى الماء فنزلوا عليه شطر الليل وصنعوا الحياض ثم غوروا ما عداها من المياه ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الحياض وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش يكون فيها على تل مشرف على المعركة ومشى فى موضع المعركة وجعل يشير بيده هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ان شاء الله فما تعدى أحد منهم موضع اشارته فلما طلع المشركون وتراءى الجمعان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش جاءت بخيلها وفخرها جاءت تحاربك وتكذب رسولك فقام ورفع يديه واستنصر به وقال اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك فالتزمه الصديق من ورائه وقال له يا رسول الله ابشر فوالذى نفسى بيده لينجزن الله لك ما وعدك واستنصر المسلمون الله واستغاثوه وأخلصوا له وتضرعوا اليه فاوحى الله الى ملائكته انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وأوحى الله الى رسوله انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين قرئ بكسر الدال وفتحها فقيل المعنى انهم ردف لكم وقيل يردف بعضهم بعضا ارسالا لم يأتوا دفعة واحدة فان قيل ههنا ذكر انه أمدهم بألف وفى سورة آل عمران قال اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فكيف الجمع بينهما قيل اختلف فى هذا الامداد الذى بثلاثة آلاف والذى بالخمسة على قولين * أحدهما انه كان يوم أحد وكان امدادا معلقا على شرط فلما فات شرطه فات

الامداد وهذا قول الضحاك ومقاتل واحدى الروايتين عن عكرمة * والثاني انه كان يوم بدر وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والرواية الاخرى عن عكرمة واختاره جماعة من المفسرين وحجة هؤلاء أن السياق يدل على ذلك فانه سبحانه قال ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا الى ان قال وما جعله الله أي هذا الامداد الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به قال هؤلاء فلما استغاثوا أمدهم بألف ثم أمدهم بتمام ثلاثة آلاف ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا وكان هذا التدريج ومتابعة الامداد أحسن موقعا وأقوى لنفوسهم وأسر لها من أن يأتي مرة واحدة وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة وقالت الفرقة الاولى القصة في سياق أحد وانما أدخل ذكر بدر اعتراضا في أثنائها فانه سبحانه قال واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم قال ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون فذكر نعمته عليهم لما نصرهم ببدر وهم أذلة ثم عاد الى قصة أحد وأخبر عن قول رسوله لهم ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ثم وعدهم انهم ان صبروا واتقوا أمدهم بخمسة آلاف فهذا من قول رسوله والامداد الذي ببدر من قوله تعالى وهذا بخمسة آلاف وامداد بدر بالف وهذا معلق على شرط وذاك مطلق والقصة في سورة آل عمران هي قصة أحد مستوفاة مطولة وبدر ذكرت فيها اعتراضا والقصة في سورة الانفال قصة بدر مستوفاة مطولة فالسياق في آل عمران غير السياق في الانفال يوضح هذا ان قوله ويأتوكم من فورهم هذا وقد قال مجاهد هو يوم أحد وهذا يستلزم أن يكون الامداد المذكور فيه فلا يصح قوله ان الامداد بهذا العدد كان يوم بدر واتيانهم من فورهم هذا يوم أحد والله أعلم

(فصل وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذم شجرة هناك) وكان ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان فمشى حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة في قريش أن يرجعوا ولا يقاتلوا فأبى ذلك أبو جهل وجرى بينه وبين عتبة كلام أحفظه وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمرو فكشف عن استه وصرخ وقال واعمراه فحمي القوم ونشبت الحرب وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ثم رجع الى العريش هو وأبو بكر خاصة وقام سعد بن معاذ في قوم من الانصار على باب العريش يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة فخرج اليهم ثلاثة من الانصار عبد الله بن رواحة وعوف ومعوذ ابنا عفراء فقالوا لهم من أنتم فقالوا من الانصار قالوا أكفاء كرام وانما نريد بني عمنا فبرز اليهم علي وعبيدة بن الحرث وحمزة فقتل علي قرنه الوليد وقتل حمزة قرنه عتبة وقيل شيبة واختلف عبيدة وقرنه ضربتين فكر علي وحمزة على قرن عبيدة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فلم يزل ضمنا حتى مات بالصفراء وكان علي يقسم بالله لنزلت هذه الآية فيهم هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية ثم حمي الوطيس واستدارت رحى الحرب واشتد القتال وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه عز وجل حتى سقط رداؤه عن منكبيه فرده عليه الصديق وقال بعض مناشدتك ربك فانه منجز لك ما وعدك

فاغنى

ابن فهر وسهيل بن بيضاء * فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمضي الى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر وقد نهاني ان أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي (قال ابن هشام) واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد الصدف واسم الصدف عمرو بن مالك أحد السكون بن أشرس بن كندة ويقال كندي * قال ابن اسحق وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم واجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وافلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم واقبل عبد الله بن جحش واصحابه بالعير وبالاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان عبد الله قال لاصحابه ان لرسول الله

فأغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة واحدة وأخذ القوم النعاس فى حال الحرب ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال ابشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع وجاء النصر وأنزل الله جنده وأيد رسوله والمؤمنين ومنحهم أكتاف المشركين أسرا وقتلا فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين

(فصل ولما عزموا على الخروج) ذكروا ما بينهم وبين بنى كنانة من الحرب فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك المدلجى وكان من أشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشئ تكرهونه فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم فلما بعثوا للقتال ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء فر ونكص على عقبيه فقالوا الى أين يا سراقة ألم تكن قلت انك جار لنا لا تفارقنا فقال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وصدق فى قوله انى أرى ما لا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقيل كان خوفه على نفسه ان يهلك معهم وهذا أظهر ولما رأى المنافقون ومن فى قلبه مرض قلة حزب الله وكثرة أعدائه ظنوا ان الغلبة انما هى بالكثرة وقالوا غر هؤلاء دينهم فأخبر سبحانه ان النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة ولا بالعدد والله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يستحق النصر وان كان ضعيفا فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه ولما دنا العدو وتواجه القوم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فوعظهم وذكرهم بما لهم فى الصبر والثبات من النصر والظفر العاجل وثواب الله الآجل وأخبرهم ان الله قد أوجب الجنة لمن استشهد فى سبيله فقام عمير بن الحمام فقال يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم قال بخ بخ يا رسول الله قال ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء ان أكون من أهلها قال فانك من أهلها فاخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال لئن حييت حتى آكل من تمراتى هذه انها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل فكان أول قتيل وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ملء كفه من الحصى فرمى بها وجوه العدو فلم تترك رجلا منهم الا ملأت عينيه وشغلوا بالتراب فى أعينهم وشغل المسلمون بقتلهم فأنزل الله فى شأن هذه الرمية على رسوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد ظن طائفة ان الآية دلت على نفى الفعل عن العبد واثباته لله وانه هو الفاعل حقيقة وهذا غلط منهم من وجوه عديدة مذكورة فى غير هذا الموضع ومعنى الآية ان الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمى ونفى عنه الايصال الذى لم يحصل برميه فالرمى يراد به الحذف والايصال فأثبت لنبيه الحذف ونفى عنه الايصال وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين الى قتل أعدائهم قال ابن عباس بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس فوقه يقول أقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الانصارى فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة وقال أبو داود المازنى انى لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قد قتله غيرى وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق وما أراه فى القوم فقال الانصارى أنا أسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وأسر من بنى عبد المطلب ثلاثة العباس وعقيل ونوفل ابن الحرث وذكر الطبرانى فى معجمه الكبير عن رفاعة بن رافع قال لما رأى ابليس ما يفعل الملائكة

صلى الله عليه وسلم مما غنموا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه (قال ابن هشام) فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيأ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة انما أصابوا ما أصابوا فى شعبان وقالت يهود تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل أى ان كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين فلما نزل القرآن بهذا من الامر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت اليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد

وطلبة لقد اهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل
يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن
طمعوا فى الاجر فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين فانزل الله عز وجل فيهم ان
الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا فى سبيل أولئك يرجون
رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم
الله عز وجل من ذلك على أعظم
الرجاء والحديث فى هذا عن الزهرى
ويزيد بن رومان عن عروة بن
الزبير * قال ابن اسحق وقد ذكر
بعض آل عبد الله بن جحش ان الله
عز وجل قسم الفىء حين أحله
فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه الله
وخمسه الى الله ورسوله فوقع على
ما كان عبد الله بن جحش صنع فى
تلك العير (قال ابن هشام) وهى
أول غنيمة غنمها المسلمون وعمرو
ابن الحضرمى أول من قتله المسلمون
وعثمان بن عبد الله والحكم بن
كيسان أول من أسر المسلمون * قال
ابن اسحق فقال أبو بكر الصديق
رضى الله عنه فى غزوة عبد الله بن
جحش ويقال بل عبد الله بن جحش
قالها حين قالت قريش قد أحل
محمد وأصحابه الشهر الحرام
فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه
المال وأسروا فيه الرجال (قال ابن
هشام) هى لعبد الله بن جحش

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله
وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غل من القد عاند

(تاريخ القبلة) * قال ابن اسحق ويقال صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

(غزوة بدر الكبرى) قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بابى سفيان بن حرب مقبلا من الشأم فى عير لقريش عظيمة فيها أموال

بالمشركين يوم بدر أشفق ان يخلص القتل اليه فتشبث به الحرث بن هشام وهو يظنه سراقة بن مالك فوكز فى صدر الحرث فالقاه ثم خرج هاربا حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه وقال اللهم انى أسالك نظرتك اياى وخاف ان يخلص اليه القتل فاقبل أبو جهل بن هشام فقال يا معشر الناس لا يهزمنكم خذلان سراقة اياكم فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهولنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم قد عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال ولا ألفين رجلا منكم قتل منهم رجلا ولكن خذوهم أخذا حتى نعرفهم بسوء صنيعهم واستفتح أبو جهل فى ذلك اليوم فقال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة اللهم أينا كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين ولما وضع المسلمون أيديهم فى العدو يقتلون ويأسرون وسعد بن معاذ واقف على باب الخيمة التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى العريش متوشحا بالسيف فى ناس من الانصار رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنك تكره ما يصنع الناس قال أجل والله كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين وكان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء الرجال ولما بردت الحرب وولى القوم منهزمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد وأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل فقال لمن الدائرة اليوم فقال لله ولرسوله وهل أخزاك الله يا عدو الله فقال وهل فوق رجل قتله قومه فقتله عبد الله ثم أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلته فقال الله الذى لا اله الا هو فردّدها ثلاثة ثم قال الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده انطلق أرنيه فانطلقنا فاريته اياه فقال هذا فرعون هذه الامة وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه عليا فابصره بلال وكان أمية يعذبه بمكة فقال رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا ثم استوحى جماعة من الانصار واشتد عبد الرحمن بهما يحرزهما منهم فادركوهم فشغلهم عن أمية بابنه ففرغوا منه ثم لحقوهما فقال له عبد الرحمن أبرك فبرك فالقى نفسه عليه فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف قال له أمية قبل ذلك من الرجل المعلم فى صدره بريشة نعامة فقال ذلك حمزة بن عبد المطلب فقال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل وكان مع عبد الرحمن أدراع قد استلبها فلما رآه أمية قال له انا خير لك من هذه الادراع فالقاها وأخذه فلما قتله الانصار كان يقول يرحم الله بلالا فجعنى بادراعى وباسيرى وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن فاعطاه النبى صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب فقال دونك هذا فلما أخذه عكاشة وهزه عاد فى يده سيفا طويلا شديدا أبيض فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل فى الردّة أيام أبى بكر ولقى الزبير عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج فى السلاح لا يرى منه الا الحدق فحمل عليه الزبير بحربته فطعنه فى عينه فمات فوضع رجله على الحربة ثم تمطى فكان الجهد ان نزعها وقد انثنى طرفاها فسأله اياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فاعطاه فلما قبض أبو بكر سأله اياها عمر فاعطاه فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها

عثمان فأعطاه فلما قبض عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير وكانت عنده حتى قتل

وقال رفاعة بن رافع رميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي فما آذاني منها شيء فلما انقضت الحرب أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على القتلى فقال بئس العشيرة أنتم التي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وخذلتموني ونصرني الناس وأخرجتموني وآواني الناس ثم أمر بهم فسحبوا الى قليب من قليب بدر فطرحوا فيه ثم وقف عليهم فقال يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون الجواب ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرصتهم ثلاثا وكان اذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثا ثم ارتحل مؤيدا منصورا قرير العين بنصر الله له ومعه الاسارى والمغانم فلما كان بالصفراء قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة ثم لما نزل بعرق الظبية ضرب عنق عقبة بن أبي معيط ودخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مؤيدا مظفرا منصورا قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها فاسلم بشر كثير من أهل المدينة وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الاسلام ظاهرا وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلثمائة وبضعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وثمانون ومن الاوس أحد وستون ومن الخزرج مائة وسبعون وانما قل عدد الاوس عن الخزرج وان كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء لان منازلهم كانت في عوالي المدينة وجاء النفير بغتة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتبعنا الا من كان ظهره حاضرا فاستأذنه رجال ظهورهم كانت في علو المدينة ان يستأني بهم حتى يذهبوا الى ظهورهم فأبى ولم يكن عزمهم على اللقاء ولا أعدوا له عدة ولا تأهبوا له أهبة ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وستة من الخزرج واثنان من الاوس وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأن بدر والاسارى في شوال

(فصل) ثم نهض صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه بسبعة أيام الى غزو بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن أم مكتوم فبلغ ماء يقال له الكدر فأقام عليه ثلاثا ثم انصرف ولم يلق كيدا

(فصل) ولما رجع فل المشركين الى مكة موتورين محزونين نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في مائتي راكب حتى أتى العريض في طرف المدينة وبات ليلة واحدة عند سلام بن مشكم اليهودي فسقاه الخمر وبطن له من خبر الناس فلما أصبح قطع أصوارا من النخل وقتل رجلا من الانصار وحليفا له ثم كر راجعا ونذر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه فبلغ قرقرة الكدر وفاته أبو سفيان وطرح الكفار سويقا كثيرا من أزوادهم يتخففون به فأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق وكان ذلك بعد بدر بشهرين

(فصل وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمدينة بقية ذي الحجة ثم غزا نجدا يريد غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأقام هناك صفرا كله من السنة الثالثة ثم انصرف ولم يلق حربا

(فصل) وأقام في المدينة ربيعا الاول ثم خرج يريد قريشا واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم

لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون منهم مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام (قال ابن هشام) ويقال عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس رضي الله عنهما كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا عن أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره ان يأتي قريشا فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمدا قد (١) عرض لنا في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة

(ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب) قال ابن اسحق فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير قالا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك به قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ألا

(١) قوله عرض لنا في نسخة لها

فبلغ نجران معدنا بالحجاز ولم يلق حربا فأقام هنالك ربيعا الآخر وجادى الاولى ثم انصرف الى المدينة

(فصل) ثم غزا بني قينقاع وكانوا من يهود المدينة فنقضوا عهده فحاصرهم خمسة عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه فشفع فيهم عبد الله بن أبي وألح عليه فاطلقهم له وهم قوم عبد الله بن سلام وكانوا سبعمائة مقاتل وكانوا صاغة وتجارا

(فصل) في قتل كعب بن الاشرف وكان رجلا من اليهود وأمه من بني النضير وكان شديد الاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبب في أشعاره بنساء الصحابة فلما كان وقعة بدر ذهب الى مكة وجعل يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ثم رجع الى المدينة على تلك الحال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فانتدب له محمد ابن مسلمة وعباد بن بشر وأبو نائلة واسمه سلكان بن سلامة وهو أخو كعب من الرضاع والحرث بن أوس وأبو عبس بن جبر وأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا ما شاؤا من كلام يخدعونه به فذهبوا اليه في ليلة مقمرة وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد فلما انتهوا اليه قدموا سلكان بن سلامة اليه فاظهر له موافقته على الانحراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه ضيق حاله فكلمه في أن يبيعه وأصحابه طعاما ويرهنونه سلاحهم فأجابهم الى ذلك ورجع سلكان الى أصحابه فاخبرهم فأتوه فخرج اليهم من حصنه فتماشوا فوثبوا عليه سيوفهم ووضع محمد ابن مسلمة مغولا كان معه في بيته فقتله وصاح عدو الله صيحة شديدة أفزعت من حوله وأوقدوا النيران وجاء الوفد حتى قدموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل وهو قائم يصلي وجرح الحرث ابن أوس ببعض سيوف أصحابه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأ فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل من وجد من اليهود لنقضهم عهده ومحاربتهم الله ورسوله

(فصل) في غزوة أحد ولما قتل الله أشراف قريش ببدر وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم وجاء كما ذكرنا الى أطراف المدينة في غزوة السويق ولم ينل ما في نفسه أخذ يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والاحابيش وجاؤا بنسائهم لئلا يفروا وليحاموا عنهن ثم أقبل بهم نحو المدينة فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له عينين وذلك في شوال من السنة الثالثة واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أيخرج اليهم أم يمكث في المدينة وكان رأيه أن لا يخرجوا من المدينة وان يتحصنوا بها فان دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الازقة والنساء من فوق البيوت ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر وأشاروا عليه بالخروج وألحوا عليه في ذلك وأشار عبد الله بن أبي بالمقام في المدينة وكان رأيه أن لا يخرجوا من المدينة وتابعه عليه بعض الصحابة فالح أولئك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض ودخل بيته ولبس لامته وخرج عليهم وقد انثنى عزم أولئك وقالوا أكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فقالوا يا رسول الله ان أحببت أن تمكث في المدينة فافعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي

[illegible] رؤيا ... ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة قال العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال تلك الرؤيا التي رأت عاتكة قال فقلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير الا اني جحدت ذلك وانكرت أن تكون رأت شيأ قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من كبير وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكنه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى اني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر قال اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرق مني أن أشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه

فى المدينة وكان رسول الله رأى رؤيا وهو بالمدينة رأى ان فى سيفه ثلمة ورأى أن بقرا تذبح وانه أدخل يده فى درع حصينة فتأوّل الثلمة فى سيفه برجل يصاب من أهل بيته وتأوّل البقر بنفر من أصحابه يقتلون وتأوّل الدرع بالمدينة فخرج يوم الجمعة فلما صار بالشوط بين المدينة واحد انعزل عبد الله بن أبى بنحو ثلث العسكر وقال تخالفنى وتسمع من غيرى فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله يوبخهم ويحضهم على الرجوع ويقول تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لم نرجع فرجع عنهم وسبهم وسأله قوم من الانصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبى وسلك حرة بنى حارثة وقال من رجل يخرج بنا على القوم من كثب فخرج به بعض الانصار حتى سلك فى حائط لبعض المنافقين وكان أعمى فقام يحثو التراب فى وجوه المسلمين ويقول لا أحل لك أن تدخل فى حائطى ان كنت رسول الله فابتدره القوم ليقتلوه فقال لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم فلما أصبح يوم السبت تعبى للقتال وهو فى سبعمائة فيهم خمسون فارسا واستعمل على الرماة وكانوا خمسين عبد الله بن جبير وأمره وأصحابه أن يلزموا مراكزهم وأن لا يفارقوه ولو رأى الطير تتخطف العسكر وكانوا خلف الجيش وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم فظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين يومئذ وأعطى اللواء مصعب بن عمير وجعل على احدى المجنبتين الزبير بن العوام وعلى الاخرى المنذر بن عمرو واستعرض الشبان يومئذ فرد من استصغره عن القتال وكان منهم عبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وأسيد بن ظهير والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وعرابة بن أوس وعمرو بن حزام وأجاز من رآه مطيقا وكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج ولهما خمس عشرة سنة فقيل أجاز من أجاز لبلوغه بالسن خمس عشرة سنة ورد من رد لصغره عن سن البلوغ وقالت طائفة انما أجاز من أجاز لاطاقته ورد من رد لعدم اطاقته ولا تأثير للبلوغ وعدمه فى ذلك قالوا وفى بعض ألفاظ حديث ابن عمر فلما رآنى مطيقا أجازنى وتعبت قريش للقتال وهم فى ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فارس فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه الى أبى دجانة سماك بن خرشة وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب وكان أوّل من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق واسمه عبد بن عمرو بن صيفى وكان يسمى الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان رأس الاوس فى الجاهلية فلما جاء الاسلام شرق به وجاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة فخرج من المدينة وذهب الى قريش يؤلبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضهم على قتاله ووعدهم بان قومه اذا رأوه أطاعوه ومالوا معه فكان أوّل من لقى المسلمين فنادى قومه وتعرف اليهم فقالوا له لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتل المسلمين قتالا شديدا وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وابلى يومئذ أبو دجانة الانصارى وطلحة بن عبيد الله وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب والنضر بن أنس وسعد بن الربيع وكانت الدولة أوّل النهار للمسلمين على الكفار فانهزم عدوّ الله وولوا مدبرين حتى انتهوا الى نسائهم فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مراكزهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه وقالوا يا قوم الغنيمة الغنيمة فذكرهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعوا

وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد الا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد (١) لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزى عنه بعثه فخرج عنه وتخلف أبو لهب * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء قال قبحك الله وقبح ما جئت به قال ثم تجهز فخرج مع الناس

﴿ذكر أمر الحرب بين كنانة وقريش وتحاجزهم عند وقعة بدر﴾

* قال ابن اسحق ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا انا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى عن محمد بن سعيد بن المسيب فى ابن لحفص بن الاخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى خرج يبتغى ضالة له بضجنان وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة وعليه حلة له وكان غلاما وضيئا نظيفا فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح أحد بنى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو بضجنان وهو سيد بنى بكر يومئذ فرآه فأعجبه فقال من أنت يا غلام قال أنا ابن لحفص بن الاخيف القرشى فلما ولى الغلام قال عامر بن يزيد يا بنى بكر ما لكم فى قريش من دم قالوا بلى والله ان لنا فيهم لدماء قال ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برجله الا كان قد استوفى دمه قال فتبعه

(١) قوله لاط أى أربى

رجل من بني بكر فقتله بدم كان له في قريش فتكلمت فيه قريش فقال عامر بن يزيد يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم ان شئتم فأدوا علينا ما لنا قبلكم ونؤدي ما لكم قبلنا وان شئتم فانما هي الدماء رجل برجل فتجافوا عما لكم قبلنا ونتجافى عما قبلكم فهان ذلك الغلام على هذا الحي من قريش وقالوا اصدق رجل برجل فلهوا عنه فلم يطلبوا به قال فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الاخيف يسير بمر الظهران اذ نظر الى عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح على جمل له فلما رآه أقبل اليه حتى أناخ به وعامر متوشح بسيفه فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ثم خاض بطنه بسيفه ثم أتى به مكة فعلقه من الليل باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر ابن يزيد بن عامر معلقا باستار الكعبة فعرفوه فقالوا ان هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله فكان ذلك من أمرهم فبينما هم في ذلك من حربهم حجز الاسلام بين الناس فتشاغلوا به حتى أجمعت قريش المسير الى بدر فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم وقال مكرز ابن حفص في قتله عامرا

لما رأيت انه هو عامر
تذكرت أشلاء الحبيب الملحب
وقلت لنفسي انه هو عامر
فلا ترهبيه وانظري أي مركب
وأيقنت اني ان اجلله ضربة
متى ما أصبه بالفرافر يعطب
خفضت له جاشي وألقيت كلكلي
على بطل شاكي السلاح مجرب
ولم أك لما التف روعي وروعه
عصارة هجن من نساء ولا اب
حللت به وتري ولم انس ذحله
اذا ما تناسى ذحله كل عيهب

(قال ابن هشام) الفرافر في غير هذا الموضع الرجل الاضبط وفي هذا الموضع السيف وقال ابن هشام العيهب الذي لا عقل له ويقال تيس الظباء وفحل النعام قال الخليل العيهب الرجل الضعيف عن ادراك وتره * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال لهم أنا لكم جار من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا * قال ابن اسحق

وظنوا ان ليس للمشركين رجعة فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا الثغر وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا قد خلا من الرماة فجازوا منه وقد كثروا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة وهم سبعون وولى الصحابة وخاص المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرحوا وجهه وكسروا رباعيته اليمنى وكانت السفلى وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله وكان الذي تولى أذاه صلى الله عليه وسلم عمرو بن قمئة وعتبة بن أبي وقاص وقيل ان عبد الله بن شهاب الزهري عم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري هو الذي شجه وقتل مصعب بن عمير بين يديه فدفع اللواء الى علي بن أبي طالب ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه وترس عليه أبو دجانة بظهره عليه والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها عليه بيده وكانت أصح عينيه وأحسنهما وصرخ الشيطان باعلى صوته ان محمدا قد قتل ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين وفر أكثرهم وكان أمر الله قدرا مقدورا ومر أنس بن النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بايديهم فقال ما تنتظرون فقالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل الناس ولقي سعد بن معاذ فقال يا سعد اني لاجد ريح الجنة من دون أحد فقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف نحوا من عشرين جراحة وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح باعلى صوته يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار بيده أن اسكت واجتمع اليه المسلمون ونهضوا معه الى الشعب الذي نزل فيه وفيهم أبو بكر وعمر وعلي والحرث بن الصمة الانصاري وغيرهم فلما استندوا الى الجبل أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف على جواد له يقال له العود زعم عدو الله انه يقتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اقترب منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة فطعنه بها فجاءت في ترقوته فكر عدو الله منهزما فقال له المشركون والله ما بك من باس فقال والله لو كان ما بي باهل ذي المجاز لماتوا أجمعون وكان يعلف فرسه بمكة ويقول اقتل عليه محمدا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله تعالى فلما طعنه تذكر عدو الله قوله أنا قاتله فايقن بانه مقتول من ذلك الجرح فمات منه في طريقه بسرف مرجعه الى مكة وجاء علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء ليغسل عنه الدم فوجده آجنا فرده فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرة هنالك فلم يستطع لما به فجلس طلحة تحته حتى صعدها وحانت الصلاة فصلى بهم جالسا وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم تحت لواء الانصار وشد حنظلة الغسيل وهو حنظلة بن أبي عامر على أبي سفيان فلما تمكن منه حمل على حنظلة شداد بن الاسود فقتله وكان جنبا فانه لما سمع الصيحة وهو على امرأته فقام من فوره الى الجهاد فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان الملائكة تغسله ثم قال سلوا أهله ما شانه فسالوا امرأته فاخبرتهم

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه (قال ابن هشام) خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان واستعمل عمرو بن أم مكتوم ويقال اسمه عبد الله بن أم مكتوم أخا بني عامر بن لؤي على الصلاة بالناس ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة * قال ابن اسحق ودفع اللواء الى مصعب بن عمير بن

هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار (قال ابن هشام) وكان أبيض * قال ابن اسحق وكان امام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب والأخرى مع بعض الانصار * قال ابن اسحق وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرا وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا * قال ابن اسحق وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار وكانت راية الانصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فسلك طريقه من المدينة الى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجيش (قال ابن هشام) ذات الجيش * قال ابن اسحق ثم مر على (١) تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام من مريين ثم على صخيرات اليمام ثم على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى اذا كان بعرق الظبية (قال ابن هشام) الظبية عن غير ابن اسحق لقوا رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علي فأنا أخبرك عن

واخبرتهم الخبر وجعل الفقهاء هذا حجة ان الشهيد اذا قتل جنبا يغسل اقتداء بالملائكة وقتل المسلمون حامل لواء المشركين فرفعته لهم عمرة بنت علقمة الحارثية حتى اجتمعوا اليه وقاتلت أم عمارة وهي نسيبة بنت كعب المازنية قتالا شديدا وضربت عمرو بن قمئة بالسيف ضربات فوقته درعان كانتا عليه وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحا شديدا على عاتقها وكان عمرو بن ثابت المعروف بالاصيرم من بني عبد الاشهل يأبى الاسلام فلما كان يوم أحد قذف الله الاسلام في قلبه للحسنى التي سبقت له منه فأسلم وأخذ سيفه ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقاتل فأثبت بالجراح ولم يعلم أحد بأمره فلما انجلت الحرب طاف بنو عبد الاشهل في القتلى يلتمسون قتلاهم فوجدوا الاصيرم وبه رمق يسير فقالوا والله ان هذا الاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الامر ثم سألوه ما الذي جاء بك أحدب على قومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله ورسوله ثم قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابني ما ترون ومات من وقته فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو من أهل الجنة قال أبو هريرة ولم يصل لله صلاة قط ولما انقضت الحرب أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى أفيكم محمد فلم يجيبوه فقال أفيكم ابن أبي قحافة فلم يجيبوه فقال أفيكم عمر بن الخطاب فلم يجيبوه ولم يسأل الا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه ان قيام الاسلام بهم فقال أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يملك عمر نفسه ان قال يا عدو الله ان الذين ذكرتهم أحياء وقد أبقى الله لك ما يسوءك وقال قد كان في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم قال أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبونه فقالوا فما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل ثم قال لنا العزى ولا عزى لكم قال ألا تجيبونه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته وبشركه تعظيما للتوحيد واعلاما بعزة من عبده المسلمون وقوة جانبه وانه لا يغلب ونحن حزبه وجنده ولم يأمرهم باجابته حين قال أفيكم محمد أفيكم ابن أبي قحافة أفيكم عمر بل قد روي انه نهاهم عن اجابته وقال لا تجيبوه لان كلمهم لم يكن برد بعد في طلب القوم ونار غيظهم بعد متوقدة فلما قال لاصحابه أما هؤلاء فقد كفيتموهم حمي عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال كذبت يا عدو الله فكان في هذا الاعلام من الاذلال والشجاعة وعدم الجبن والتعرف الى العدو في تلك الحال ما يؤذنهم بقوة القوم وبسالتهم وانهم لم يهنوا ولم يضعفوا وانه وقومه جديرون بعدم الخوف منهم وقد أبقى الله لهم ما يسوءهم منهم وكان في الاعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة وهلة بعد في ظنه وظن قومه انهم قد أصيبوا من المصلحة وغيظ العدو وحزبه والفت في عضده ما ليس في جوابه حين سأل عنهم واحدا واحدا فكان سؤاله عنهم ونعيهم لقومه آخر سهام العدو وكيده فصبر له النبي صلى الله عليه وسلم حتى استوفى في كيده ثم انتدب له عمر فرد سهام كيده عليه وكان ترك الجواب أولا عليه أحسن وذكره ثانيا أحسن وأيضا فان في ترك اجابته حين سأل عنهم اهانة له وتصغيرا لشأنه فلما منته نفسه موتهم وظن انهم قد قتلوا وحصل له من الكبر بذلك والاشر ما حصل كان في جوابه اهانة له وتحقير واذلال ولم يكن هذا مخالفا لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فانه انما نهى عن اجابته حين سأل أفيكم محمد أفيكم فلان أفيكم فلان ولم ينه عن اجابته حين قال أما هؤلاء فقد قتلوا وبكل حال فلا أحسن من ترك اجابته أولا ولا أحسن من اجابته ثانيا ثم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فأجابه عمر فقال لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وقال ابن عباس ما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تربان بالضم واد بين الحفير والمدينة قاموس

في موطن نصره يوم أحد فانكر ذلك عليه فقال بيني وبين من أنكر كتاب الله ان الله يقول ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه قال ابن عباس والحس القتل ولقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وذكر الحديث وأنزل الله عليهم النعاس أمنة منه في غزاة بدر واحد والنعاس في الحرب وعند الخوف دليل على الامن وهو من الله وفي الصلاة ومجالس الذكر والعلم من الشيطان وقاتلت الملائكة يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش فلما رهقوه فقال من يردهم عنى وله الجنة فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل ثم رهقوه فقال من يردهم عنى فله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنصفنا أصحابنا وهذا يروى على وجهين بسكون الفاء ونصب أصحابنا على المفعولية وفتح الفاء ورفع أصحابنا على الفاعلية ووجه النصب ان الانصار لما خرجوا للقتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا ولم يخرج القرشيان قال ذلك أي ما أنصفت قريش الانصار ووجه الرفع أن يكون المراد بالاصحاب الذين فروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفردوه في النفر القليل فقتلوا واحدا بعد واحد فلم ينصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من ثبت معه وفي صحيح ابن حبان عن عائشة قالت قال أبو بكر الصديق لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أول من فاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه قلت كن طلحة فداك أبي وأمي كن طلحة فداك أبي وأمي فلم أنشب ان أدركني عبيدة بن الجراح واذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طلحة بين يديه صريعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونكم أخاكم فقد أوجب وقد رمي النبي صلى الله عليه وسلم في وجنته حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجنته فذهبت لانزعها عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة نشدتك بالله يا أبا بكر الا تركتني قال فاخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه كراهة أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة قال أبو بكر ثم ذهبت لآخذ الآخر فقال أبو عبيدة نشدتك بالله يا أبا بكر الا تركتني قال فاخذه فجعل ينضنضه حتى استله فندرت ثنية أبي عبيدة الاخرى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دونكم أخاكم فقد أوجب قال فاقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضعة عشر ضربة وفي مغازي الاموي ان المشركين صعدوا على الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد أجبنهم يقول ارددهم فقال كيف أجبنهم وحدي فقال ذلك ثلاثا فاخذ سعد سهما من كنانته فرمى به رجلا فقتله قال ثم أخذت سهمي أعرفه فرميت به آخر فقتلته ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فجعلته في كنانتي فكان عند سعد حتى مات ثم كان عند بنيه وفي الصحيحين عن أبي حازم انه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله اني لاعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبماذا دووي كانت فاطمة ابنته تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة أخذت قطعة من حصير فاحرقتها فالصقتها فاستمسك الدم وفي

الصحيح

ذلك نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه أفحشت على الرجل ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى اذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا فسلك في ناحية منها حتى (١) جزع واديا يقال له رحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم علا المضيق ثم انصب منه حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار الى بدر يتحسسان له الاخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما أسماؤهما فقالوا يقال لاحدهما هذا مسلح وقالوا للآخر هذا مخرئ وسأل عن أهلهما فقيل بنو النار وبنو حراق بطنان من بني غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما واسماء أهلهما فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا

(١) قوله جزع كمنع قال في القاموس جزع الارض والوادي قطعه أو عرضا

وشباءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصره الا من دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدوّ من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها الى بلد يقال له الدبة وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه (قال ابن هشام) الرجل هو أبو بكر الصديق * قال ابن اسحق كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك قال أوذاك بذاك قال نعم قال الشيخ فانه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم انصرف عنه قال يقول الشيخ ما من ماء أمن ماء العراق (قال ابن هشام) يقال الشيخ سفيان الضمري * قال ابن اسحق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه

الصحيح انه كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر وقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر فقال أنس واها لريح الجنة يا سعد اني أجده دون أحد ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم وانهزم المشركون أول النهار كما تقدم فصرخ فيهم ابليس أي عباد الله أخراكم فرجعوا من الهزيمة فاجتلدوا ونظر حذيفة الى أبيه والمسلمون يريدون قتله وهم يظنونه من المشركين فقال أي عباد الله أبي فلم يفهموا قوله حتى قتلوه فقال يغفر الله لكم فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فقال قد تصدقت بديته على المسلمين فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال زيد بن ثابت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اطلب سعد بن الربيع فقال لي ان رأيته فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك قال فجعلت أطوف بين القتلى فاتيته وهو بآخر رمق وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني كيف تجدك فقال وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة وقل لقومي الانصار لا عذر لكم عند الله ان خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف وفاضت نفسه من وقته ومر رجل من المهاجرين برجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت ان محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال عبد الله بن عمرو بن حرام رأيت في النوم قبل أحد مبشر بن عبد المنذر يقول لي أنت قادم علينا في أيام فقلت وأين أنت فقال في الجنة نسرح فيها حيث نشاء قلت له ألم تقتل يوم بدر فقال بلى ثم أحييت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الشهادة يا أبا جابر وقال خيثمة وكان ابنه استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لقد أخطأتني وقعة بدر وكنت والله عليها حريصا حتى ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول ألحق بنا ترافقنا في الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقا وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا الى مرافقته في الجنة وقد كبرت سني ورق عظمي وأحببت لقاء ربي فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقتل بأحد شهيدا وقال عبد الله بن جحش في ذلك اليوم اللهم اني أقسم عليك ان ألقى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني فيم ذلك فأقول فيك وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا فلما توجه الى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه ان الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو بن الجموح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني هؤلاء يمنعوني ان أخرج معك والله اني لارجو ان استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد وقال لبنيه وما عليكم

أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم أحد شهيدا وانتهى أنس بن النضر الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار قد ألقوا بايديهم فقال ما يجلسكم فقالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما تصنعون بالحياة بعده فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وأقبل أبي بن خلف عدو الله وهو متقنع في الحديد يقول لا نجوت ان نجا محمد وكان حلف بمكة ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبله مصعب بن عمير فقتل مصعبا وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فوقع عن فرسه فاحتمله أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا ما أجزعك انما هو خدش فذكر لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتله ان شاء الله تعالى فمات برابغ قال ابن عمر اني لاسير ببطن رابغ بعد الهوى من الليل اذ نار تأجج لي فيممتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف وقال نافع بن جبير سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحدا فنظرت الى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ دلوني على محمد لا نجوت ان نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال والله ما رأيته احلف بالله انه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص الى ذلك ولما مص مالك أبو أبي سعيد الخدري جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنقاه قال له مجه قال والله لا أمجه أبدا ثم أدبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا قال الزهري وعاصم بن عمر ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرهم كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله عز وجل به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الاسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر فأكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته وكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران أولها واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الى آخر القصة

(فصل فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الاحكام) والفقه منها ان الجهاد يلزم بالشروع فيه حتى ان من لبس لامته وشرع في أسبابه وتأهب للخروج ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه ومنها انه لا يجب على المسلمين اذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج اليه بل يجوز لهم ان يلزموا ديارهم ويقاتلوهم فيها اذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم كما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومنها جواز سلوك الامام بالعسكر في بعض أملاك رعيته اذا صادف ذلك طريقه وان لم يرض المالك ومنها انه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين بل يردهم اذا خرجوا كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر ومن معه ومنها جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن في الجهاد ومنها جواز الانغماس في العدو كما انغمس أنس بن النضر وغيره ومنها ان الامام اذا أصابته جراحة صلى بهم قاعدا وصلوا وراءه قعودا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة واستمرت على ذلك سنته الى حين وفاته ومنها جواز دعاء الرجل ان يقتل في سبيل الله وتمنيه ذلك وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه كما قال عبد الله بن جحش اللهم لقني من المشركين رجلا

عظيما

وسلم الى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما وسألوهما ورسول الله صلى الله

عليه وسلم قائم يصلي فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابي سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما قالا نحن لابي سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ثم سلم وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبراني عن قريش قالا هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم فيما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث ابن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي ابن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة ابن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها * قال ابن اسحق وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فأناخا الى تل قريب من الماء ثم أخذا اشنالهما يستقيان فيه ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها انما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء

فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست أحدا فقال ما رأيت أحدا أنكره الا أني قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى فقال والله هذه علائف يثرب فرجع الى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال انى رأيت فيما يرى النائم وانى لبين النائم واليقظان اذ نظرت الى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر الا أصابه نضح من دمه قال فبلغت أبا جهل فقال وهذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول ان نحن التقينا * قال ابن اسحق ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا وقال الاخنس ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا في غير (١) ضيعة لا ما يقول هذا يعني أبا جهل فرجعوا فلم يشهدها زهري واحد أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي من قريش بطن الا وقد نفر منهم ناس الا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد فرجعت بنو زهرة

عظيما كفره شديدا حرده فاقاتله فيقتلني فيك ويسلبني ثم يجدع أنفي وأذني فاذا لقيتك فقلت يا عبد الله بن جحش فيم جدعت قلت فيك يا رب ومنها ان المسلم اذا قتل نفسه فهو من أهل النار لقوله صلى الله عليه وسلم في قزمان الذي أبلى يوم أحد بلاء شديدا فلما اشتدت به الجراح نحر نفسه فقال صلى الله عليه وسلم هو من أهل النار ومنها ان السنة في الشهيد ان لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن في غير ثيابه بل يدفن فيها بدمه وكلومه الا أن يسلبها فيكفن في غيرها ومنها انه اذا كان جنبا غسل كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر ومنها ان السنة في الشهداء ان يدفنوا في مصارعهم ولا ينقلوا الى مكان آخر فان قوما من الصحابة نقلوا قتلاهم الى المدينة فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر برد القتلى الى مصارعهم قال جابر بينا أنا في النظارة اذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لندفنهما في مقابرنا وجاء رجل ينادي ألا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت قال فرجعنا بهما فدفناهما في القتلى حيث قتلا فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان اذ جاءني رجل فقال يا جابر والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه قال فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شئ قال فواريته فصارت سنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم ومنها جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدفن الرجلين والثلاثة في القبر ويقول أيهم أكثر أخذا في القرآن فاذا أشار والى رجل قدمه في اللحد ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة فقال ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد ثم حفر عنهما بعد زمن طويل ويد عبد الله بن عمرو بن حرام على جراحته كما وضعها حين جرح فاميطت يده عن جراحته فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم وقال جابر رأيت أبي في حفرته حين حفر عليه كأنه نائم وما تغير من حاله قليل ولا كثير قيل له أفرأيت أكفانه فقال انما دفن في نمرة خمر بها وجهه وعلى رجليه الحرمل فوجدنا النمرة كما هي وعلى رجليه الحرمل على هيأته وبين ذلك ستة وأربعون سنة وقد اختلف الفقهاء في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفن شهداء أحد في ثيابهم هل هو على وجه الاستحباب والاولوية أو على وجه الوجوب على قولين الثاني أظهرهما وهو المعروف عن أبي حنيفة رحمه الله والاول هو المعروف عن أصحاب الشافعي وأحمد رحمهما الله فان قيل فقد روى يعقوب بن شيبة وغيره باسناد جيد ان صفية أرسلت الى النبي صلى الله عليه وسلم ثوبين ليكفن فيهما حمزة فكفنه في أحدهما وكفن في الآخر رجلا آخر قيل حمزة كان الكفار قد سلبوه ومثلوا به وبقروا عن بطنه واستخرجوا كبده فلذلك كفن في كفن آخر وهذا القول في الضعف نظير قول من قال يغسل الشهيد وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع ومنها ان شهيد المعركة لا يصلى عليه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل على شهداء أحد ولم يعرف عنه انه صلى على أحد استشهد معه في مغازيه وكذلك خلفاؤه الراشدون ونوابهم من بعدهم فان قيل فقد ثبت في الصحيحين من حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر وقال ابن عباس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد قيل أما صلاته عليهم فكانت بعد ثمان سنين من قتلهم قرب موته كالمودع لهم ويشبه هذا خروجه الى البقيع قبل موته يستغفر لهم كالمودع للاحياء والاموات فهذه كانت توديعا منه

(١) قوله ضيعة الضيعة العقار والارض المغلة وفي السيرة الحلبية في غير منفعة

مع الاخنس بن شريق فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب وكان في القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا والله لقد عرفنا يابني هاشم وان خرجتم معنا ان هوا كم لمع محمد فرجع طالب الى مكة مع من رجع وقال طالب بن أبي طالب

لاهم اما يغزون طالب * في عصبة محالف محارب * في مقنب من هذه المقانب * فليكن المسلوب غير السالب * وليكن المغلوب غير الغالب *

(قال ابن هشام) قوله فليكن المسلوب وقوله وليكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر * قال ابن اسحق ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي وهو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش والقلب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبد لهم الارض ولم يمنعهم عن السير وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به * قال ابن اسحق فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا ان الحباب بن المنذر بن الجموح قال يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر لو بالقلب فغورت وبني حوضا على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية * قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال يانبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا

لهم لانها سنة الصلاة على الميت ولو كان ذلك لم يؤخرها ثمان سنين لاسيما عند من يقول لا يصلى على القبر أو يصلى عليه الى شهر ومنها ان من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج يجوز له الخروج اليه وان لم يجب عليه كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج ومنها ان المسلمين اذا قتلوا واحدا منهم في الجهاد يظنونه كافرا فعلى الامام ديته من بيت المال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدي اليمان أبا حذيفة فامتنع حذيفة من أخذ الدية وتصدق بها على المسلمين

(فصل) في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الى تمام ستين آية فمنها تعريفهم بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع وان الذي أصابهم انما هو بشؤم ذلك كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم كانوا بعد ذلك أشد حذرا ويقظة وتحرزا من أسباب الخذلان ومنها ان حكمة الله وسنته في رسله واتباعهم جرت بان يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى لكن يكون لهم العاقبة فانهم لو انتصروا دائما دخل معهم المسلمون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انتصر عليهم دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة فاقتضت حكمة الله ان جمع لهم بين الامرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة ومنها ان هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لابي سفيان هل قاتلتموه قال نعم قال كيف الحرب بينكم وبينه قال سجال ندال عليه ويدال علينا الاخرى قال كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب فان المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم في الاسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطنا فاقتضت حكمة الله عز وجل ان سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق فأطلع المنافقون رؤسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه وظهرت مخبآتهم وعاد تلويحهم صريحا وانقسم الناس الى كافر ومؤمن ومنافق انقساما ظاهرا وعرف المؤمنون ان لهم عدوا في نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم قال الله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء أي ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل الايمان من أهل النفاق كما ميزهم بالمحنة يوم أحد وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء فانهم متميزون في علمه وغيبه وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزا مشهودا فيقع معلومه الذي هو غيب شهادة وقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب كما قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فحظكم أنتم وسعادتكم في الايمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله فان آمنتم به واتقيتم كان لكم أعظم الاجر والكرامة ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم فاذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقا وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية ومنها انه سبحانه

كان ذلك ما أحببنا وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه * قال ابن اسحق وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤا منه الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر فقال ان يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وقد كان خفاف بن ايماء بن رحضة الغفاري أو أبوه ايماء بن رحضة الغفاري بعث الى قريش حين مروا به ابنا له بجزائر أهداها لهم وقال ان أحببتم ان نمدكم بسلاح ورجال فعلنا قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتك رحم قد قضيت الذي عليك فلعمري لئن كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ولئن كنا انما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان اذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني من يوم بدر * قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ولكن امهلوني حتى انظر أللقوم كمين أو مدد قال فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيأ فرجع اليهم فقال ما وجدت شيأ ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع

لو نصرهم دائما وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لاعدائهم أبدا لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق فلا يصلح عباده الا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لامر عباده كما يليق بحكمته انه بهم خبير بصير ومنها انه اذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر فان خلعة النصر انما تكون مع ولاية الذل والانكسار قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ فهو سبحانه اذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره أولا ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره ومنها انه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها الا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الاسباب التي توصلهم اليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للاعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم اليها ومنها ان النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغناء طغيانا وركونا الى العاجلة وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها الى الله والدار الآخرة فاذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث اليه فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الادواء منه ولو تركه لغلبته الادواء حتى يكون فيها هلاكه ومنها ان الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقية الا الشهادة وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ولا سبيل الى نيل هذه الدرجة الا بتقدير الاسباب المفضية اليها من تسليط العدو ومنها ان الله سبحانه اذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم واحياء عزائمهم وهممهم وبين حسن التسلية وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت ادالة الكفار عليهم فقال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فقد استويتم في القرح والالم وتباينتم في الرجاء والثواب كما قال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والالم فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس وانها عرض حاضر يقسمها دولا بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة فان عزها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا ثم ذكر حكمة أخرى وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب وانما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم اذا صار مشاهدا واقعا في الحس ثم ذكر حكمة أخرى وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء فانه يحب الشهداء من

عباده وقد أعدلهم أعلى المنازل وأفضلها وقد اتخذهم لنفسه فلابد أن ينيلهم درجة الشهادة وقوله والله لا يحب الظالمين تنبيه لطيف الموقع جدا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد فلم يشهدوه ولم يتخذ منهم شهداء لانه لم يحبهم فاركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم وما أعطاه من استشهد منهم فثبط هؤلاء الظالمين عن الاسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم وهو تمحيص الذين آمنوا وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ومن آفات النفوس وأيضا فانه خلصهم ومحصهم من المنافقين فتميزوا منهم فحصل لهم تمحيصان تمحيص من نفوسهم وتمحيص ممن كان يظهر انه منهم وهو عدوهم ثم ذكر حكمة أخرى وهي محق الكافرين بطغيانهم وبغيهم وعدوانهم ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم انهم يدخلون الجنة بدون الجهاد في سبيله والصبر على أذى أعدائه وان هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أي ولما يقع ذلك منكم فيعلمه فانه لو وقع لعلمه فجازاكم عليه بالجنة فيكون الجزاء على الواقع المعلوم لا على مجرد العلم فان الله لا يجزي العبد على مجرد علمه فيه دون أن يقع معلومه ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال ابن عباس ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة رغبوا في الشهادة فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون اخوانهم فاراهم الله ذلك يوم أحد وسببه لهم فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فأنزل الله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ومنها ان وقعة أحد كانت مقدمة وارهاصا بين يدي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم ان مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قتل بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا فانهم انما يعبدون رب محمد وهو حي لا يموت فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به فكل نفس ذائقة الموت وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ليخلد لا هو ولا هم بل ليموتوا على الاسلام والتوحيد فان الموت لابد منه سواء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقي ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان بان محمدا قد قتل فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا فظهر أثر هذا العتاب وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد على عقبيه وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله وأعزهم وظفرهم باعدائهم وجعل العاقبة لهم ثم أخبر سبحانه انه جعل لكل نفس أجلا لابد أن تستوفيه ثم تلحق به فيرد الناس كلهم حوض المنايا موردا واحدا وان تنوعت أسبابه ويصدرون عن موقف القيامة مصادر شتى فريق في الجنة وفريق في السعير ثم أخبر سبحانه ان جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا وقتل معهم اتباع لهم كثيرون فما وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله وما ضعفوا وما استكانوا وما وهنوا عند القتل ولا ضعفوا ولا استكانوا بل تلقوا الشهادة بالقوة والعزيمة والاقدام فلم يستشهدوا مدبرين مستكنين أذلة بل استشهدوا أعزة كراما مقبلين غير مدبرين والصحيح ان الآية تتناول الفريقين كليهما ثم أخبر سبحانه عما استنصرت به الانبياء

قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فاذا أصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فاتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر منها بخير الى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو ابن الحضرمي قال قد فعلت أنت علي بذلك انما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية * قال ابن هشام والحنظلية أم أبي جهل وهي اسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فاني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره يعني أبا جهل بن هشام ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بان تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جرابها فهو (١) يهنئها * قال ابن هشام يهيئها فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا للذي قال فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك فقام عامر ابن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس (٢) واستوسقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم اليه عتبة فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال سيعلم مصفر استه من وأمهم

(١) قوله يهنئها أي يطليها بعكر الزيت من هامش (٢) قوله استوسقوا أي اجتمعوا

انتفخ سحره أنا أم هو (قال ابن هشام) السحر الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة وما كان تحت السرة فهو القصب ومنه قوله رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار قال ابن هشام حدثني بذلك أبو عبيدة ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له * قال ابن اسحق وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيئ الخلق فقال اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لاموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى اذا فصل من الصف دعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم فقالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان عتبة بن ربيعة قال لفتية من الانصار حين انتسبوا أكفاء كرام انما نريد قومنا * قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان لا يحملوا حتى يأمرهم وقال ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش

وأمهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم ربهم أن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على أعدائهم فقال وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين لما علم القوم ان العدو انما يدال عليهم بذنوبهم وان الشيطان انما يستزلهم ويهزمهم بها وانها نوعان تقصير في حق أو تجاوز لحد وان النصر منوط بالطاعة قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا ثم علموا ان ربهم تبارك وتعالى ان لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم ونصرها على أعدائهم فسألوه ما يعلمون انه بيده دونهم وانه ان لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا فوفوا المقامين حقهما مقام المقتضي وهو التوحيد والالتجاء اليه سبحانه ومقام ازالة المانع من النصرة وهو الذنوب والاسراف وحذرهم سبحانه من طاعة عدوهم وأخبرهم انهم ان أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد ثم أخبر سبحانه انه مولى المؤمنين وهو خير الناصرين فمن والاه فهو المنصور ثم أخبر انه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم والاقدام على حربهم فانه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله وعلى قدر الشرك يكون الرعب فالمشرك بالله أشد شيء خوفا ورعبا والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بالشرك لهم الامن والهدى والفلاح والمشرك له الخوف والضلال والشقاء ثم أخبرهم انه صدقهم وعده في النصرة على عدوه وهو الصادق الوعد وانهم لو استمروا على الطاعة ولزوم أمر الرسول لاستمرت نصرتهم ولكن انخلعوا عن الطاعة وفارقوا مركزهم فانخلعوا عن عصمة الطاعة ففارقتهم النصرة فصرفهم عن عدوهم عقوبة وابتلاء وتعريفا لهم بسوء عواقب المعصية وحسن عاقبة الطاعة ثم أخبر انه عفا عنهم بعد ذلك كله وانه ذو فضل على عباده المؤمنين وقيل للحسن كيف يعفو عنهم وقد سلط عليهم أعداءهم حتى قتلوا منهم من قتلوا ومثلوا بهم ونالوا منهم ما نالوه فقال لولا عفوه عنهم لاستأصلهم ولكن بعفوه عنهم دفع عنهم عدوهم بعد ان كانوا مجمعين على استئصالهم ثم ذكرهم بحالهم وقت الفرار مصعدين أي جادين في الهرب والذهاب في الارض أو صاعدين في الجبل لا يلوون على أحد من نبيهم ولا أصحابهم والرسول يدعوهم في أخراهم الى عباد الله انا رسول الله فأثابهم بهذا الهرب والفرار غما بعد غم غم الهزيمة والكسرة وغم صرخة الشيطان فيهم بان محمدا قد قتل وقيل جازاكم غما بما غممتم رسوله بفراركم عنه وأسلمتموه الى عدوه فالغم الذي حصل لكم جزاء على الغم الذي أوقعتموه بنبيه والقول الاول أظهر لوجوه * أحدها ان قوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم تنبيه على حكمة هذا الغم بعد الغم وهو ان ينسيهم الحزن على ما فاتهم من الظفر وعلى ما أصابهم من الهزيمة والجراح فنسوا بذلك السبب وهذا انما يحصل بالغم الذي يعقبه غم آخر * الثاني انه مطابق للواقع فانه حصل لهم غم فوات الغنيمة ثم أعقبه غم الهزيمة ثم غم الجراح التي أصابتهم ثم غم القتل ثم غم سماعهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ثم غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم وليس المراد غمين اثنين خاصة بل غما متتابعا لتمام الابتلاء والامتحان * الثالث ان قوله بغم من تمام الثواب لانه سبب جزاء الثواب والمعنى أثابكم غما متصلا بغم جزاء على ما وقع منهم من الهروب واسلامهم نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه وترك

معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان قال ابن اسحق كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين * قال ابن اسحق وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن اشياخ من قومه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر

بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار (قال ابن هشام) يقال سوّاد مثقلة وسواد في الأنصار غير هذا مخفف قال وهو مستنتل من الصف (قال ابن هشام) ويقال مستنصل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني قال فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله له *قال ابن اسحق ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليس معه فيه غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وأبو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه (١) النقع * قال ابن اسحق وقد رمي مهجع مولى عمر ابن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل من المسلمين رحمه الله ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل رحمه الله ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن

(١) قوله النقع يعني الغبار

استجابتهم له وهو يدعوهم ومخالفتهم له في لزوم مركزهم وتنازعهم في الامر وفشلهم وكل واحد من هذه الامور يوجب غما يخصه فترادفت عليهم الغموم كما ترادفت منهم أسبابها وموجباتها ولولا ان تداركهم بعفوه لكان أمرا آخر ومن لطفه بهم ورأفته ورحمته ان هذه الامور التي صدرت منهم كانت من موجبات الطباع وهي من بقايا النفوس التي تمنع من النصرة المستقرة فقيض لهم بلطفه أسبابا أخرجها من القوة الى الفعل فترتب عليها آثارها المكروهة فعلموا حينئذ ان التوبة منها والاحتراز من أمثالها ودفعها باضدادها أمر متعين لا يتم لهم الفلاح والنصرة الدائمة المستقرة الا به فكانوا أشد حذرا بعدها ومعرفة بالابواب التي دخل عليهم منها * وربما صحت الاجسام بالعلل * ثم انه تداركهم سبحانه برحمته وخفف عنهم ذلك الغم وغيبه عنهم بالنعاس الذي أنزله عليهم أمنا منه ورحمة والنعاس في الحرب علامة النصرة والامن كما أنزله عليهم يوم بدر وأخبر ان من لم يصبه ذلك النعاس فهو ممن أهمته نفسه لا دينه ولا نبيه ولا أصحابه وانهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بانه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل وانه يسلمه للقتل وقد فسر بظنهم ان ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمة له فيه ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار ان يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى في سورة الفتح حيث يقول ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا وانما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية المنسوب الى أهل الجهل وظن غير الحق لانه ظن غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والالهية وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه ولكلمته التي سبقت لرسله انه ينصرهم ولا يخذلهم ولجنده بانهم هم الغالبون فمن ظن به انه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم باعدائه ويظهرهم عليهم وانه لا ينصر دينه وكتابه وانه يديل الشرك على التوحيد والباطل على الحق ادالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه الى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فان حمده وعزته وحكمته والهيته تأبى ذلك وتأبى ان يذل حزبه وجنده وان تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لاعدائه المشركين به العادلين به فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها وان ذلك انما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي أحب اليه من فوتها وان تلك الاسباب المكروهة المفضية اليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لافضائها الى ما يحب وان كانت مكروهة له فما قدرها سدى ولا أنشأها عبثا ولا خلقها باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم عن ذلك الا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته وعرف موجب حمده وحكمته فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء ومن جوز عليه ان يعذب أولياءه مع احسانهم واخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به

ان يترك خلقه سدى معطلين عن الامر والنهي ولا يرسل اليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملا كالانعام فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي فيها المحسن باحسانه والمسيء باساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله وان أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد وانه يعاقبه بما لا صنيع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا ارادة في حصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به أو ظن به انه يجوز عليه ان يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم يضلون بها عباده وانه يحسن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين وينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه الى أعلى عليين وكلا الامرين عنده في الحسن سواء ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر الا بخبر صادق والا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل وترك الحق لم يخبر به وانما رمز اليه رموزا بعيدة وأشار اليه اشارات ملغزة لم يصرح به وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل والباطل وأراد من خلقه ان يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه وتأويله على غير تأويله ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التي بالالغاز والاحاجي أشبه منها بالكشف والبيان وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على ان يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به ويريحهم من الالفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان فقد ظن به ظن السوء فانه ان قال انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن بقدرته العجز وان قال انه قادر ولم يبين وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق الى ما يوهم بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء وظن انه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله وان الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم وأما كلام الله فانما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال وظاهر كلام المتهوكين الحيارى هو الهدى والحق وهذا من أسوأ الظن بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ومن الظانين به غير الحق ظن الجاهلية ومن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على ايجاده وتكوينه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه كان معطلا من الازل الى الابد عن ان يفعل ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ثم صار قادرا عليه بعد ان لم يكن قادرا فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات ولا عدد السموات والارض ولا النجوم ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم ولا يعلم شيأ من الموجودات في الاعيان فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه لا سمع له ولا بصر ولا علم له ولا ارادة ولا كلام يقول به وانه لم يكلم أحدا من الخلق ولا يتكلم أبدا ولا قال ولا يقول ولا له أمر ولا نهي يقوم به فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه فوق سمواته على عرشه بائنا من خلقه وان نسبة ذاته تعالى الى عرشه كنسبتها الى أسفل السافلين والى الامكنة التي يرغب عن ذكرها وانه أسفل كما انه أعلى ومن قال سبحان ربي الاسفل كما قال سبحان ربي الاعلى فقد ظن به أقبح الظن

الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحرث وهو ابن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في العدو حاسرا فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري حليف بني زهرة انه حدثه انه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل بن هشام اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحا السيف في نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل بأهل الشرك أحب الي من استبقاء الرجال * قال ابن اسحق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحرث بن اسد فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله

واسوأه ومن ظن به انه يحب الكفر والفسوق والعصيان ويحب الفساد كما يحب الايمان والبر والطاعة والاصلاح فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي ولا يعادي ولا يقرب من أحد من خلقه ولا يقرب منه أحد وان ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين فقد ظن به ظن السوء ومن ظن أنه يسوي بين المتضادين أو يفرق بين المتساويين من كل وجه أو يحبط طاعات العمر المديدة الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها فيخلد فاعل تلك الطاعات في النار أبد الآبدين لتلك الكبيرة ويحبطها جميع طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لا يؤمن به طرفة عين واستنفد ساعات عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه فقد ظن به ظن السوء وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفته به رسله فقد ظن به ظن السوء ومن ظن ان له ولدا أو شريكا أو ان أحدا يشفع عنده بدون اذنه أو ان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه أو انه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ويتوسلون بهم اليه ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن واسوأه ومن ظن أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته كما ينال بطاعته والتقرب اليه فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته وهو من ظن السوء ومن ظن به انه اذا ترك لاجله شيأ لم يعوضه خيرا منه أو من فعل لاجله شيأ لم يعطه أفضل منه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد الا بمجرد المشيئة ومحض الارادة فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه اذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع اليه وسأله واستعان به وتوكل عليه أن يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن السوء وظن به خلاف ما هو أهله ومن ظن به انه يثيبه اذا عصاه بما يثيبه به اذا أطاعه وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله ومن ظن به انه اذا عصاه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه وليا ودعا من دونه ملكا أو بشرا حيا أو ميتا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء وذلك زيادة في بعده من الله وفي عذابه ومن ظن به انه يسلط على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أعداءه تسليطا مستقرا دائما في حياته وفي مماته وابتلاه بهم لا يفارقونه فلما مات استبدوا بالامر دون وصيته وظلموا أهل بيته وسلبوهم حقهم واذلوهم وكانت العزة والغلبة والقهر لاعدائه وأعدائهم دائما من غير جرم ولا ذنب لاوليائه وأهل الحق وهو يرى قهرهم لهم وغصبهم اياهم حقهم وتبديلهم دين نبيهم وهو يقدر على نصر أوليائه وحزبه وجنده ولا ينصرهم ولا يديلهم بل يديل أعداءهم عليهم أبدا أو انه لا يقدر على ذلك بل حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته ثم جعل أعداءه الذين بدلوا دينه مضاجعيه في حفرته تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة فقد ظن به أقبح الظن واسوأه سواء قالوا انه قادر على أن ينصرهم ويجعل لهم الدولة والظفر أو انه غير قادر على ذلك فهم قادحون في قدرته أو في حكمته وحمده وذلك من ظن السوء به ولا ريب ان الرب الذي فعل هذا بغيض الى من ظن به ذلك غير محمود عندهم وكان الواجب أن يفعل خلاف ذلك لكن رفوا هذا الظن الفاسد بخرق أعظم منه واستجاروا من الرمضاء بالنار فقالوا لم يكن هذا بمشيئة الله ولا له قدرة على دفعه ونصر أوليائه فانه لا يقدر على أفعال عباده ولا هي داخلة تحت قدرته فظنوا به ظن اخوانهم المجوس والثنوية بربهم وكل مبطل وكافر ومبتدع مقهور

لها أنما أخرج مستكرها قال فقال أبو حذيفة أنقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لالحمنه السيف (قال ابن هشام) ويقال لالجمنه قال فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص قال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص ايضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا ازال منها خائفا الا ان تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا (قال ابن اسحق) وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شئ يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب فلقيه المجذر ابن ذياد البلوي حليف الانصار ثم من بني سالم بن عوف فقال المجذر لابي البختري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له قد خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحرث بن أسد وجنادة رجل من بني ليث واسم أبي البختري العاص قال وزميلي فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك فقال لا والله اذن لاموتن انا وهو جميعا لا تحدث عني نساء مكة اني تركت زميلي حرصا على الحياة فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى الا القتال يرتجز

لن يسلم ابن حرة زميله
حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد (وقال المجذر) بن ذياد في قتله أبا البختري

أما جهلت أو نسيت نسبي * فأثبت النسبة اني من بلي
الطاعنين برماح اليزني * والضاربين الكبش حتى ينحني
بشر بيتم من أبيه البختري * أو بشرن بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلي * أطعن بالصعدة حتى تنثني
واعبط القرن بعضب مشرفي * ارزم للموت كارزام المري
مستذل

* فلا ترى بعذرا يفري فري * (قال ابن هشام) المري عن غير ابن اسحق والمري الناقة التي يستنزل لبنها على عسر * قال ابن اسحق ثم ان المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى الا ان يقاتلني فقاتلته فقتلته (قال ابن هشام) أبو البختري العاص بن هشام بن الحرث بن أسد * قال ابن اسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال ابن اسحق وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة فكان يلقاني اذ نحن بمكة فيقول يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبواك فأقول نعم فيقول فاني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيأ أدعوك به اما أنت فلا تجيبني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف قال فكان اذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه قال فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت قال فأنت عبد الاله قال قلت نعم قال فكنت اذا مررت به قال يا عبد الاله فأجيبه فأتحدث معه حتى اذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية آخذ بيده ومعي ادراع لي قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآني قال لي يا عبد عمرو فلم أجبه فقال يا عبد الاله فقلت نعم قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الادراع التي معك قال قلت نعم والله اذا قال فطرحت الادراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة في اللبن ثم خرجت أمشي بهما (قال ابن هشام) يريد باللبن ان من أسرني افتديت منه بابل كثيرة اللبن * قال ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره قال قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن فوالله اني لاقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الاسلام فيخرجه الى رمضاء مكة اذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر

مستذل فهو يظن بربه هذا الظن وانه أولى بالنصر والظفر والعلو من خصومه فأكثر الخلق بل كلهم الا من شاء الله يظنون بالله غير الحق وظن السوء فان غالب بني آدم يعتقد انه مبخوس الحق ناقص الحظ وانه يستحق فوق ما أعطاه الله ولسان حاله يقول ظلمني ربي ومنعني ما استحقه ونفسه تشهد عليه بذلك وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعتبا على القدر وملامة له واقتراحا عليه خلاف ما جرى به وانه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة * والا فاني لا أخالك ناجيا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع وليتب الى الله ويستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء ومنبع كل شر المركبة على الجهل والظلم فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كذلك كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل وأسماؤه كلها حسنى

فلا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرا * وكيف بظالم جان جهول
وقل يا نفس مأوى كل سوء * أيرجى الخير من ميت بخيل
وظن بنفسك السوأى تجدها * كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخير * فتلك مواهب الرب الجليل
وليس بها ولا منها ولكن * من الرحمن فاشكر للدليل

والمقصود ما ساقنا الى هذا الكلام من قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ثم أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم هل لنا من الامر من شئ وقولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فليس مقصودهم بالكلمة الاولى والثانية اثبات القدر ورد الامر كله الى الله ولو كان ذلك مقصودهم بالكلمة الاولى لما ذموا عليه ولما حسن الرد عليهم بقوله قل ان الامر كله لله ولا كان مصدر هذا الكلام ظن الجاهلية ولهذا قال غير واحد من المفسرين ان ظنهم الباطل ههنا هو التكذيب بالقدر وظنهم ان الامر لو كان اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبعا لهم ويسمعون منهم لما أصابهم القتل ولكان النصر والظفر لهم فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية وهو الظن المنسوب الى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه وان الامر لو كان اليهم لما نفذ القضاء فأكذبهم الله بقوله قل ان الامر كله لله فلا يكون الا ما سبق به قضاؤه وقدره وجرى به علمه وكتابه السابق وما شاء الله كان ولا بد شاء الناس أم أبوا وما لم يشأ لم يكن شاءه الناس أم لم يشاؤه وما جرى عليكم من الهزيمة والقتل فبأمره الكوني الذي لا سبيل الى دفعه سواء كان لكم من الامر شئ أو لم يكن لكم وانكم لو كنتم في بيوتكم وقد كتب القتل على بعضكم لخرج

الذين كتب عليهم القتل من بيوتهم الى مضاجعهم ولا بد سواء كان له من الامر شئ أولم يكن وهـذا من أظهر الاشياء ابطالا لقول القـدرية النفاة الذين يجوزون أن يقع مالا يشاءه الله وان يشاء مالا يقع

(فصـل) ثم أخـبر سبحانه عن حكمة أخرى فى هـذا التقدير وهو ابتلاء مافى صدورهم وهو اختبار مافيهـا من الايمـان والنفـاق فالمؤمن لا يزداد بذلك الا ايمـانا وتسليمـا والمنـافق ومن فى قلبـه مرض لا بد أن يظهر مافى قلبه عـلى جوارحه ولسانه ثم ذكر حكمة أخرى وهو تمحيص مافى قـلوب المؤمنـين وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبـه فان القلوب يخالطها بغلبات الطبائع وميـل النفوس وحكم العادة وتزيين الشـيطان واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيهـا من الايمـان والاسـلام والبر والتقوى فلو تركت فى عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه فاقتضت حكمة العزيز الرحيم ان يقيض لها من المحن والبلاء ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء ان لم يتداركه طبيبه بازالتـه وتنقيته من جسده والا خيف عليـه منه الفساد والهـلاك فكانت نعمته سبحانه عليهـم بهذه الكـسرة والهزيمة وقتل من قتـل منهم تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوّهم فله عليهم النعمة التامة فى هذا وهـذا ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تولى من تولى من المؤمنـين الصادقين فى ذلك اليوم وانه بسبب كسبهم وذنوبهم فاستزلهم الشيطان بتلك الاعمال حتى تولوا فكانت أعمالهـم جندا عليهـم ازداد بها عدوّهم قوّة فان الاعمال جند للعبد وجند عليه ولا بد للعبـد فى كل وقت من سرية من نفسه تهزمه أو تنصره فهو يمـدّ عـدوّه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها ويبعث اليه سرية تغزوه مع عدوّه من حيث يظن أنه يغزو عـدوّه فأعمـال العبد تسوقه قسرا الى مقتضاها من الخير والشر والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى ففرار الانسان من عدوّه وهو يطيقه انمـا هو بجند من عمله بعثه له الشـيطان واسـتزله به ثم اخـبر سبحانه انه عفا عنهم لان هـذا الفرار لم يكن عن نفاق ولا شـك وانمـا كان عارضا عفا الله عنـه فعادت شجاعـة الايمـان وثباته الى مركزها ونصابها ثم كرر عليهم سبحانه ان هذا الذى أصابهم انمـا أتوا فيه من قبل أنفسهم وبسبب أعمالهم فقال أولمـا أصابتـكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عنـد أنفسكم ان الله على كل شئ قدير وذكر هذا بعينه فيمـا هو أعم من ذلك فى السور المكيـة فقال وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فالحسنة والسيئة ههنا النعمة والمصيبة فالنعمـة من الله من بها عليك والمصيبة انمـا نشأت من قبل نفسك وعملك فالاوّل فضله والثانى عدله والعبد يتقلب بين فضله وعدله جار عليه فضله ماض فيه حكمه عدل فيـه قضاؤه وختم الآية الاولى بقوله ان الله على كل شئ قدير بعـد قوله قل هو من عند أنفسكم اعلاما لهم بعموم قدرته مع عدله وانه عادل قادر وفى ذلك اثبات القدر والسبب فذكر السبب واضافه الى نفوسهم وذكر عموم القدرة واضافها الى نفسـه فالاوّل ينفى الجبر والثانى ينـفى القول بابطال القدر فهو شاكل قوله لمن شاء منـكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وفى ذكر قدرته ههنا نكتة لطيفة وهى ان هذا الامر بيده وتحت قدرته وانه هو الذى لو شاء لصرفه عنـكم فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره ولا تتـكلوا على سواه وكشف هذا المعنى وأوضحه كل الايضاح بقوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وهو الاذن الـكونى القـدرى لا الشرعى الدينى كقوله فى السحر وما هم

بضارين

بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد فيقول بلال أحد أحد قال فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال قلت أى بلال أسيرى قال لا نجوت ان نجا قال قلت أتسمع يا ابن السوداء قال لا نجوت ان نجا قال ثم صرخ باعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال فاحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل (١) المسكة وأنا أذب عنه قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنـه فوقع وصاح أميـة صيحة ما سمعت مثلها قط قال فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيأ قال فهبروهما باسيافهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبـد الرحمن يقول يرحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعنى باسيرى * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حـدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعـة على من تكون الدبرة فننتهب مع مـن ينتهب قال فبينا نحن فى الجبـل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيـل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبـه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت * قال ابن اسحق وحدثنى عبـد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعـدة عن أبى أسـيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتـكم الشـعب الذى خرجت منـه الملائكة لا أشك فيـه ولا أتمـارى * قال ابن اسحق وحـدثنى أبى اسحق بن يسار عـن رجال من بنى مازن بن النجار عن أبى داود المازنى وكان شـهد بدرا قال انى لاتبع رجلا من المشركـين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قد قتله غيرى * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم ويوم حنين عمائم حمرا (قال ابن هشام)

(١) المسكة السوار من عاج أو ذبل اهـ من هامش

بضاربين به من أحد الا باذن الله ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير وهي أن يعلم المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية يتميز فيه أحد الفريقين من الآخر تميزا ظاهرا وكان من حكمة هذا التقدير تكلم المنافقين بما في نفوسهم فسمعه المؤمنون وسمعوا رد الله عليهم وجوابه لهم وعرفوا مؤدى النفاق وما يؤل اليه وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة فيعود عليه بفساد الدنيا والآخرة فلله كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة ونعمة على المؤمنين سابغة وكم فيها من تحذير وتخويف وارشاد وتنبيه وتعريف بأسباب الخير والشر ومآلهما وعاقبتهما ثم عزى نبيه وأولياءه عمن قتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها الى الرضا بما قضاه لها فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فجمع لهم الى الحياة الدائمة منزلة القرب منه وانهم عنده وجريان الرزق المستمر عليهم وفرحهم بما آتاهم من فضله وهو فوق الرضا بل هو كمال الرضا واستبشارهم باخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته وذكرهم سبحانه في أثناء هذه المحنة بما هو من أعظم منته ونعمه عليهم التي قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة ولم يبق لها أثر البتة وهي منته عليهم بارسال رسول من أنفسهم اليهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل ارساله الى الهدى ومن الشقاء الى الفلاح ومن الظلمة الى النور ومن الجهل الى العلم فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدا في جنب الخير الكثير كما ينال الناس باذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير فأعلمهم ان سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا وانها بقضائه وقدره ليوحدوا ويتكلوا ولا يخافوا غيره وأخبرهم بما لهم فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره وليتعرف اليهم بانواع صفاته وأسمائه وسلاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرا وأعظم خطرا مما فاتهم من النصر والغنيمة وعزاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوهم فيه ولا يحزنوا عليهم فله الحمد كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله

(فصل) ولما انقضت الحرب انكفأ المشركون فظن المسلمون انهم قصدوا المدينة لاحراز الذراري والأموال فشق ذلك عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان هم جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان كانوا ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم ثم لأناجزنهم فيها قال علي فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا مكة ولما عزموا على الرجوع الى مكة أشرف على المسلمين أبو سفيان ثم ناداهم موعدكم الموسم ببدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا نعم قد فعلنا قال أبو سفيان فذلكم الموعد ثم انصرف هو وأصحابه فلما كان في بعض الطريق تلاوموا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض لم تصنعوا شيأ أصبتم شوكتهم وحدهم ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس وندبهم الى المسير الى لقاء عدوهم وقال لا يخرج معنا الا من شهد القتال فقال له عبد الله بن أبي أركب معك قال لا فاستجاب له

وحدثني بعض أهل العلم ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء * قال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون * قال ابن اسحق وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو يقاتل ويقول

ما تنقم الحرب العوان مني
بازل عامين حديث سني
* لمثل هذا ولدتني أمي *

(قال ابن هشام) وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أحد أحد * قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبي جهل ان يلتمس في القتلى وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور ابن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك قالا قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة (قال ابن هشام) الحرجة الشجر الملتف وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل اعرابيا عن الحرجة فقال هي شجرة من الاشجار لا يوصل اليها وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه قال فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها (قال ابن اسحق) ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلتمس في القتلى وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني انظروا ان خفي عليكم في القتلى الى أثر جرح في ركبته فاني ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان

المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف وقالوا سمعا وطاعة واستاذنه جابر بن عبد الله وقال يارسول الله انى أحب أن لا تشهد مشهدا الا كنت معك وانما خلفنى أبى على بناته فاذن لى أسير معك فاذن له فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الاسد وأقبل معبد بن أبى معبد الخزاعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فامره أن يلحق بابى سفيان فيخذله فلحقه بالروحاء ولم يعلم باسلامه فقال وما وراءك يامعبد فقال محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم وخرجوا فى جمع لم يخرجوا فى مثله وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم فقال ما تقول فقال ما أرى ان ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الاكمة فقال أبو سفيان والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فلا تفعل فانى لك ناصح فرجعوا على أعقابهم الى مكة ولقى أبو سفيان بعض المشركين يريد المدينة فقال هل لك ان تبلغ محمدا رسالة واوقر لك راحلتك زبيبا اذا أتيت الى مكة قال نعم قال أبلغ محمدا انا قد اجمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه فلما بلغهم قوله قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

(فصل) وكانت وقعة أحد يوم السبت فى سابع شوال سنة ثلاث كما تقدم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم فلما استهل هلال المحرم بلغه ان طلحة وسلمة ابنى خويلد قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما يدعوان بنى أسد بن خزيمة الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث أبا سلمة وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار والمهاجرين فاصابوا ابلا وشاء ولم يلقوا كيدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة

(فصل) ولما كان خامس المحرم بلغه ان خالد بن سفيان الهذلى قد جمع له الجموع فبعث اليه عبد الله بن أنيس فقتله قال عبد المؤمن بن خلف وجاءه برأسه فوضعه بين يديه فاعطاه عصا فقال هذه آية بينى وبينك يوم القيامة فلما حضرته الوفاة أوصى ان تجعل معه فى اكفانه وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم فلما كان صفر قدم عليه قوم من عضل والقارة وذكروا ان فيهم اسلاما وسألوه ان يبعث معهم من يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن فبعث معهم ستة نفر فى قول ابن اسحق وقال البخارى كانوا عشرة وأمر عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى وفيهم خبيب بن عدى فذهبوا معهم فلما كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فجاؤا حتى أحاطوا بهم فقتلوا عامتهم واستأسروا خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما وباعوهما بمكة وكانا قتلا من رؤسهم يوم بدر فاما خبيب فمكث عندهم مسجونا ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به من الحرم الى التنعيم فلما اجمعوا على صلبه قال دعونى حتى أركع ركعتين فتركوه فصلاهما فلما سلم قال والله لولا ان تقولوا ان ما بى جزع لزدت ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم قال

لقد أجمع الاحزاب حولى والبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتى بعد كربتى * وما جمع الاحزاب لى عند مضجعى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى * فقد بضعوا لحمى وقد يوس مطمعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه * فقد ذرفت عيناى من غير مدمع

وبعض غلامان وكنت أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحشت فى احداهما جحشا لم يزل أثره به قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بى مرة بمكة فآذانى ولكزنى ثم قلت له هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا أخزانى أعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم قال قلت لله ولرسوله (قال ابن هشام) ضبث قبض عليه ولزمه قال ضابئ بن الحرث البرجى قبيل من تميم

فأصبحت مما كان بينى وبينكم
من الود مثل الضابث الماء باليد

(قال ابن هشام) ويقال أعار على رجل قتلتموه اخبرنى لمن الدائرة اليوم * قال ابن اسحق وزعم رجال من بنى مخزوم ان ابن مسعود كان يقول قال لى لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذى لا اله غيره قال وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت نعم والله الذى لا اله غيره ثم القيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله (قال ابن هشام) وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لسعيد بن العاص ومر به انى أراك كأن فى نفسك شيأ أراك تظن انى قتلت أباك انى لو قتلته لم اعتذر اليك من قتله ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فانى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه على فقتله * قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدى حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة وهو عنده قتله طليحة بن خويلد الاسدى وما بى

وما بى حــــذار الموت انى لميت * وان الى ربى ايابى ومرجــعى

ولست أبالى حــين أقتــل مسلما * على أى شق كان فى الله مضجعى

وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

فقال له أبو سـفيان أيسرك ان محمدا عنـدنا تضرب عنقه وانك فى أهلك فقال لا والله ما يسرنى انى فى أهلى وان محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وفى الصحيح ان خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل وقد نقل أبو عمرو بن عبد البر عن الليث بن سعد انه بلغه عن زيد بن حارثة انه صـلاهما فى قصة ذكرها وكذلك صلاهما حجر بن عدى حين أمر معاوية بقتله بارض عـذراء من أعمال دمشق ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته فجاء عمرو بن امية الضمرى فاحتمله بخدعة ليلا فذهب به فدفنه وروى خبيب وهو أسير يأكل قطفا من العنب وما بمكة ثمرة وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بابيه وأما موسى بن عقبة فذكر سبب هذه الوقعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث هؤلاء الرهط يتحسسون له أخبار قريش فاعترضهم بنو لحيان

(فصل) وفى هذا الشهر بعينه وهو صفر من السنة الرابعة كانت وقعة بئر معونة وملخصها ان أبا براء عامر بن مالك المدعو ملاعب الاسـنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسـلم المدينة فدعاه الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد فقال يا رسول الله لو بعثت أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى دينك لرجوت أن يجيبوهم فقال انى أخاف عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا جار لهم فبعث معه أربعين رجلا فى قول ابن اسحق وفى الصحيح انهم كانوا سبعين والذى فى الصحيح هو الصحيح وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحـد بنى ساعدة الملقب بالمعنق ليموت وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم فنزلوا هناك ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وأمر رجـلا فطعنه بالحربة من خلفه فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال فزت ورب الكعبة ثم استنفر عـدو الله لفوره بنى عامر الى قتال الباقين فلم يجيبوه لاجل جوار ابى براء فاستنفر بنى سليم فاجابته عصية ورعل وذكوان فجاؤا حتى أحاطوا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد بن النجار فانه ارتث من بين القتلى فعاش حتى قتـل يوم الخندق وكان عمرو بن أميــة الضمرى والمنـذر بن عقبة بن عامر فى سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة فنزل المنذر بن محمـد فقاتل المشركين حتى قتـل مع أصحابه وأسر عمرو بن أمية الضمرى فلما أخـبر أنه من مضر جز عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه ورجع عمرو بن أمية فلما كان بالقرقرة من صدر قناة نزل فى ظل شجرة وجاء رجـلان من بنى كلاب فنزلا معه فلما ناما فتك بهما عمرو وهو يرى انه قد أصاب ثار أصحابه واذا معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به فلما قدم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعل فقال لقد قتلت قتيلين لادينهما فكان هذا سبب غزوة بنى النضـير فانه خرج اليهم ليعينوه فى ديتهما لما بينه وبينهم من الحلف فقالوا نعم وجلس هو وأبو بكر وعمر وعلى وطائفـة من أصحابه فاجتمع اليهود وتشاوروا وقالوا من رجل يلقى على محمد هذه الرحى فيقتله فانبعث اشقاها عمرو ابن جحاش لعنه الله ونزل جبريل من عنـد رب العالمين على رسوله يعلمه بما هموا به فنهض رسول الله صـلى الله عليه وسـلم من وقته راجعا الى المدينة ثم تجهز وخرج بنفسه لحربهم فحاصرهم ست ليال

فقل لطليحة فى ذلك

فان تك أذواد أصبن ونسوة * فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

نصبت لهم صدر الحمالة انها * معاودة (١) قتل الكماة نزال

فيوما تراها فى الجلال مصونة * ويوما تراها غير ذات جلال

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا * وعكاشة الغنمى عند مجال

(قال ابن هشام) حبال ابن طليحة بن خويلد وابن أقرم ثابت بن أقـرم الانصارى * قال ابن اسحق وعكاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسـلم حين قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر قال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال انك منهم أو اللهم اجعله منهم فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال سبقك بها عكاشـة وبردت الدعوة وقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فيما بلغنا عن أهله منا خير فارس فى العـرب قالوا من هو يا رسول الله قال عكاشة بن محصن فقال ضرار بن الازور الاسـدى ذاك رجل منا يا رسول الله قال ليس منكم ولكنه منا للحلف (قال ابن هشام) ونادى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابنه عبد الرحمن وهو يومئـذ مع المشركين فقال أين مالى يا خبيث فقال عبد الرحمن

لم يبق غير شكة ويعبوب

وصارم يقتل ضلال الشيب

فيما ذكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان عن عـروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لما أمر رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بالقتلى ان يطرحوا فى القليب طرحوا فيه الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعـه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل لحمه فاقروه والقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما القاهم فى القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل القليب هـل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجـدت ما وعدنى ربى حقا قالت فقال له أصحابه يا رسول الله اتكلم قوما موتى فقال لهـم لقد علموا ان

(١) قوله قتل الكماة فى نسخة قيل الكماة بالياء

ما وعدهم ربهم حقا قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وانما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد علموا * قال ابن اسحق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام فعدد من كان منهم في القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال المسلمون يا رسول الله أتنادي قوما قد جيفوا قال ما أنتم باسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوني * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس ثم قال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا للمقالة التي قال * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحي في الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون * من الوسمي منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست * يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم * ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذي لا عيب فيه * بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر * لنا في المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء * بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع * كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه * على الاعداء في لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات * وكل مجرب خاظي الكعوب
بنو الاوس الغطارف وازرتها * بنو النجار في الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا * وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال * ذوي حسب اذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما * قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقا * وأمر الله يأخذ بالقلوب

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في ربيع الاول قال ابن حزم وحينئذ حرمت الخمر فنزلوا على أن لهم ما حملت ابلهم غير السلاح ويرحلون من ديارهم فترحل أكابرهم كحيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق الى خيبر وذهبت طائفة منهم الى الشام واسلم منهم رجلان فقط يامين بن عمرو وأبو سعد ابن وهب فاحرزا أموالهما وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير بين المهاجرين الاولين خاصة لانها كانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب الا انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف الانصاريين لفقرهما وفي هذه الغزوة نزلت سورة الحشر هذا الذي ذكرناه هو الصحيح عند أهل المغازي والسير وزعم محمد بن شهاب الزهري ان غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر وهذا وهم منه أو غلط عليه بل الذي لا شك فيه انها كانت بعد احد والذي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع وقريظة بعد الخندق وخيبر بعد الحديبية وكان له مع اليهود أربع غزوات أولها غزوة بني قينقاع بعد بدر والثانية بني النضير بعد احد والثالثة قريظة بعد الخندق والرابعة خيبر بعد الحديبية

(فصل وقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) شهرا يدعو على الذين قتلوا القراء أصحاب بئر معونة بعد الركوع ثم تركه لما جاؤا تائبين مسلمين

(فصل ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم) بنفسه غزوة ذات الرقاع وهي غزوة نجد فخرج في جمادى الاولى من السنة الرابعة وقيل في المحرم يريد محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل عثمان بن عفان وخرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة فلقي جمعا من غطفان فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال الا انه صلى بهم يومئذ صلاة الخوف هكذا قال ابن اسحق وجماعة من أهل السير والمغازي في تاريخ هذه الغزاة وصلاة الخوف بها وتلقاه الناس عنهم وهو مشكل جدا فانه قد صح ان المشركين حبسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غابت الشمس وفي السنن ومسند أحمد والشافعي رحمهما الله انهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعا وذلك قبل نزول صلاة الخوف والخندق بعد ذات الرقاع سنة خمس والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم أول صلاة صلاها للخوف بعسفان كما قال أبو عياش الزرقي كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان فصلى بنا الظهر وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد فقالوا لقد أصبنا منهم غفلة ثم قالوا ان لهم صلاة بعد هذه هي أحب اليهم من أموالهم وأبنائهم فنزلت صلاة الخوف بين الظهر والعصر فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين وذكر الحديث رواه أحمد رحمه الله وأهل السنن وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بين ضجنان وعسفان محاصرا للمشركين فقال المشركون ان لهؤلاء صلاة هي أهوى اليهم من أبنائهم وأموالهم أجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة فجاء جبريل فامره ان يقسم أصحابه نصفين وذكر الحديث قال الترمذي حديث حسن صحيح ولا خلاف بينهم ان غزوة عسفان كانت بعد الخندق وقد صح عنه انه صلى صلاة الخوف بذات الرقاع فعلم انها بعد الخندق وبعد عسفان ويؤيد هذا ان أبا هريرة وأبا موسى الاشعري شهدا ذات الرقاع كما في الصحيحين عن أبي موسى انه شهد غزوة ذات الرقاع وانهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت فسميت غزوة ذات الرقاع وأما أبو هريرة ففي المسند والسنن ان مروان بن الحكم سأله هل صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال

نعم

ثم قال متى قال عام غزوة نجد وهذا يدل على ان غزوة ذات الرقاع بعد خيبر وان من جعلها قبل الخندق فقد وهم وهما ظاهرا ولما لم يفطن بعضهم لهذا ادّعى ان غزوة ذات الرقاع كانت مرتين فمرة قبل الخندق ومرة بعدها على عادتهم فى تعديد الوقائع اذا اختلف ألفاظها او تاريخها ولو صح لهذا القائل ماذكره ولا يصح لم يمكن أن يكون قد صلى بهم صلاة الخوف فى المرة الاولى لما تقدم من قصة عسفان وكونها بعد الخندق ولهم أن يجيبوا عن هذا بان تأخير يوم الخندق جائز غير منسوخ وان فى حال المسايفة يجوز تأخير الصلاة الى أن يتمكن من فعلها وهذا أحد القولين فى مذهب أحمد رحمه الله وغيره لكن لاحيلة لهم فى قصة عسفان ان أوّل صلاة صلاها للخوف بها وانها بعد الخندق فالصواب تحويل غزوة ذات الرقاع من هذا الموضع الى بعد الخندق بل بعد خيبر وانما ذكرناها ههنا تقليدا لاهل المغازى والسير ثم تبين لنا وهمهم وبالله التوفيق ومما يدل على ان غزوة ذات الرقاع بعد الخندق مارواه مسلم فى صحيحه عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع قال كنا اذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخذ السيف فاخترطه فذكر القصة وقال فنودى بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان وصلاة الخوف انما شرعت بعد الخندق بل هذا يدل على انها بعد عسفان والله أعلم وقد ذكروا ان قصة بيع جابر جمله من النبى صلى الله عليه وسلم كانت فى غزوة ذات الرقاع وقيل فى مرجعه من تبوك ولكن فى اخباره للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك القضية انه تزوّج امرأة ثيبا تقوم على أخواته وتكفلهنّ اشعار بانه بادر الى ذلك بعد مقتل أبيه ولم يؤخر الى عام تبوك والله أعلم وفى مرجعهم من غزوة ذات الرقاع سبوا امرأة من المشركين فنذر زوجها أن لا يرجع حتى يهريق دما فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فجاء ليلا وقد ارصد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين ربيئة للمسلمين من العدوّ وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر فضرب عبادا وهو قائم يصلى بسهم فنزعه ولم يبطل صلاته حتى رشقه بثلاثة أسهم فلم ينصرف منها حتى سلم فايقظ صاحبه فقال سبحان الله هلا نبهتنى فقال انى كنت فى سورة فكرهت ان أقطعها وقال موسى بن عقبة فى مغازيه ولا يدرى متى كانت هذه الغزوة قبل بدر او بعدها أو فيما بين بدر واحد أو بعد أحد ولقد أبعد جدّا اذ جوّز أن تكون قبل بدر وهذا ظاهر الاحالة ولا قبل أحد ولا قبل الخندق كما تقدم بيانه

(فصل وقد تقدم ان أبا سفيان) قال عند انصرافه من أحد موعدكم وايانا العام القابل بدر فلما كان شعبان وقيل ذو القعدة من العام القابل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده فى ألف وخمسمائة وكانت الخيل عشرة افراس وحمل لواءه على بن أبى طالب واستخلف على المدينة عبد الله ابن رواحة فانتهى الى بدر فاقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا فلما انتهوا الى مر الظهران مرحلة من مكة قال لهم أبو سفيان ان العام عام جدب وقد رأيت انى أرجع بكم فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد فسميت هذه بدر الموعد وتسمى بدرا الثانية

(فصل فى غزوة دومة الجندل) وهى بضم الدال وأما دومة بالفتح فمكان آخر خرج اليها رسول الله

فانطلقوا ولو نطقوا لقالوا * صدقت وكنت ذا رأى مصيب

(قال ابن اسحق) ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ان يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب الى القليب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير فقال يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شان أبيك شئ أو كما قال صلى الله عليه وسلم فقال لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الاسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت مامات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجوله أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا

(ذكر الفتية الذين أنزل الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم)

وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا فتية مسمين * من بنى أسد ابن عبد العزى بن قصى الحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد * ومن بنى مخزوم أبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بنى جمح على بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح * ومن بنى سهم العاص بن منبه ابن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم سار وامع قومهم الى بدر فاصيبوا به جميعا

(ذكر الفئ ببدر والاسارى) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدوّ ويطلبونه والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم وقال الذين

كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف اليه العدو والله ما أنتم باحق به منا لقد رأينا أن نقتل العدو اذ منحنا الله تعالى
أكتافهم ولقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو فقمنا دونه فما أنتم
باحق به منا * قال ابن اسحق وحدثني عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى عن مكحول عن

صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول سنة خمس وذلك انه بلغه ان بها جمعا كثيرا يريدون ان يدنوا من المدينة وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وهي من دمشق على خمس ليال فاستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وخرج في ألف من المسلمين ومعه دليل من بني عذرة يقال له مذكور فلما دنا منهم اذا هم مغربون فهجم على ماشيتهم ورعائهم فاصاب من أصاب وهرب من هرب وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد فيها أحدا فأقام بها أياما وبث السرايا وفرق الجيوش فلم يصب منهم أحدا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ووادع في تلك الغزوة عيينة بن حصن

((فصل في غزوة المريسيع)) وكانت في شعبان سنة خمس وسببها انه لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان الحرث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم له ذلك فأتاهم ولقي الحرث بن أبي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرهم فندبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسرعوا في الخروج وخرج معهم جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أباذر وقيل نميلة بن عبد الله الليثي وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان وبلغ الحرث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله عينه الذي كان وجهه ليأتيه بخبره وخبر المسلمين فخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع وهو مكان الماء فضرب عليه قبته ومعه عائشة وأم سلمة فتهيؤا للقتال وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق وراية الانصار مع سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فكانت النصرة وانهزم المشركون وقتل من قتل منهم وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والذراري والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد هكذا قال عبد المؤمن بن خلف في سيرته وغيره وهو وهم فانه لم يكن بينهم قتال وانما أغار عليهم على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم كما في الصحيح أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون وذكر الحديث وكان من جملة السبي جويرية بنت الحرث سيد القوم وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فادى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها فاعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة أهل بيت من بني المصطلق قد أسلموا وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد وفي هذه الغزوة سقط عقد لعائشة فاحتبسوا على طلبه فنزلت آية التيمم وذكر الطبراني في معجمه من حديث محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت ولما كان من أمر عقدي ما كان قال أهل الافك ما قالوا فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة أخرى فسقط أيضا عقدي حتى حبس التماسه الناس ولقيت من أبي بكر ما شاء الله وقال لي يا بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء فأنزل الله الرخصة في التيمم وهذا يدل على ان قصة العقد التي نزل التيمم لاجلها بعد هذه الغزوة وهو الظاهر ولكن فيها كانت قصة الافك بسبب فقد العقد والتماسه فالتبس على بعضهم احدى القصتين بالأخرى ونحن نشير الى قصة الافك وذلك ان عائشة رضي الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في هذه الغزوة بقرعة أصابتها

عن أبي امامة الباهلي واسمه صدى ابن عجلان فيما قال ابن هشام قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول على السواء * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة قال أصبت سيف بني عائذ المخزوميين الذي يسمى المرزبان يوم بدر فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل أقبلت حتى ألقيته في النفل قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ سئله فعرفه الارقم بن أبي الارقم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه اياه * قال ابن اسحق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيرا الى أهل العالية بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وبعث زيد بن حارثة الى أهل السافلة قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفني عليها مع عثمان أن زيد بن
حارثة قدم قال فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وكانت
ابن هشام وزمعة بن الاسود وأبو البختري العاص بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج قال قلت يا أبت أحق هذا قال نعم والله يا بني
ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث واحتمل رسول

وكانت تلك عادته مع نسائه فلما رجعوا من الغزوة نزلوا فى بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها ففقدت عقد الاختها كانت أعارتها اياه فرجعت تلتمسه فى الموضع الذى فقدته فيه فى وقتها فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج ولا ينكرون خفته لانها رضى الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذى كان يثقلها وأيضا فان النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته ولو كان الذى حمله واحدا أو اثنين لم يخف عليهما الحال فرجعت عائشة الى منازلهم وقد أصابت العقد فاذا ليس بها داع ولا مجيب فقعدت فى المنزل وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون فى طلبها والله غالب على أمره يدبر الامر فوق عرشه كما يشاء فغلبتها عيناها فنامت فلم تستيقظ الا بقول صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه راجعون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صفوان قد عرس فى أخريات الجيش لانه كان كثير النوم كما جاء عنه فى صحيح أبى حاتم وفى السنن فلما رآها عرفها وكان يراها قبل نزول الحجاب فاسترجع وأناخ راحلته فقربها اليها فركبتها وما كلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه الا استرجاعه ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش فى نحر الظهيرة فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن أبى متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد الذى بين ضلوعه فجعل يستحكى الافك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه وكان أصحابه يتقربون به اليه فلما قدموا المدينة أفاض أهل الافك فى الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ثم استشار أصحابه فى فراقها فأشار عليه على رضى الله عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا وأشار عليه أسامة وغيره بامساكها وأن لا يلتفت الى كلام الاعداء فعلى لما رأى ان ماقيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة الى اليقين ليتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهم والغم الذى لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء وأسامة لما علم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولابيها وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هى فوق ذلك وأعظم منه وعرف من كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه انه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء وبنت صديقه بالمنزلة التى أنزلها به أرباب الافك وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيا وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة وهى تحت رسوله ومن قويت معرفة الله ومعرفة رسوله وقدره عند الله فى قلبه قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوا ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم وتأمل ما فى تسبيحهم لله وتنزيههم له فى ذلك المقام من المعرفة به وتنزيهه عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به السوء وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله ان المرأة الخبيثة لا تليق الا بمثلها كما قال تعالى الخبيثات للخبيثين فقطعوا قطعا لا يشكون فيه ان هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة * فان قيل فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف فى أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به وهلا قال سبحانك هذا بهتان عظيم كما قاله فضلاء الصحابة * فالجواب ان هذا من تمام الحكم الباهرة التى جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجميع الامة الى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وايمانا ولا يزيد الظالمين الا خسارا واقتضى تمام الامتحان والابتلاء ان حبس عن رسول الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذى أصيب من المشركين وجعل على النفل عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار فقال راجز من المسلمين (قال ابن هشام) يقال انه عدى ابن أبى الزغباء

أقم لها صدورها يا بسبس * ليس بذى الطلح لها معرس ولا بصحراء عمير محبس * ان مطايا القوم لا تحبس
فحملها على الطريق أكيس
قد نصر الله وفر الاخنس

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية ويقال له سير الى سرحة به فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنؤنه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ما الذى تهنؤننا به فوالله ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أى ابن أخى أولئك الملأ (قال ابن هشام) الملأ الاشراف والرؤساء * قال ابن اسحق حتى اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحرث قتله على بن أبى طالب كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة * قال ابن اسحق ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبى معيط (قال ابن هشام) عرق الظبية عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق والذى أسر عقبة عبدالله بن سلمة أحد بنى العجلان * قال ابن اسحق فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصبية يا محمد قال النار فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح الانصارى أخو بنى عمرو بن عوف كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر (قال ابن هشام) ويقال قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيره من أهل العلم * قال ابن اسحق ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضى بحميت مملوء حيسا (قال ابن هشام) الحميت الزق وكان قد تخلف عن بدر ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبو هند امرؤ من الانصار فأنكحوه وانكحوا اليه ففعلوا قال ابن اسحق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبي بكر ان يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب قال تقول سودة والله انى لعندهم اذ أتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد أتى بهم قالت فرجعت الى بيتى ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه الى عنقه بحبل قالت فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت أى أبا يزيد أعطيتم بايديكم ألا متم كراما فوالله ما انبهنى الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين قالت قلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه الى عنقه أن قلت ما قلت * قال ابن اسحق وحدثنى نبيه بن وهب أخو بنى عبد الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالاسارى فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بالاسارى خيرا قال فكان أبو عزيز ابن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه فى الاسارى قال فقال أبو عزيز مر بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الانصار يأسرنى فقال شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال وكنت فى رهط من الانصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحنى بها قال فأستحى فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها (قال ابن هشام) وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحرث فلما قال أخوه مصعب بن عمير لابى اليسر وهو الذى أسره ما قال قال له أبو عزيز يا أخى هذه وصاتك بى فقال له مصعب انه أخى دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى فقيل لها أربعة آلاف درهم فبعثت

الله عليه وسلم الوحى شهرا فى شأنها لا يوحى اليه فى ذلك شئ لتتم حكمته التى قدرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون ايمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده ويزداد المنافقون افكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار الى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق ولهذا وفت لهذا المقام حقه لما قال لها أبواها قومى اليه وقد أنزل الله عليه براءتها فقالت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذى أنزل براءتى وأيضا فكان من حكمة حبس الوحى شهرا ان القضية محصت ومحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف الى ما يوحيه الله الى رسوله فيها وتطلعت الى ذلك غاية التطلع فوافى الوحى أحوج ما كان اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الارض أحوج ما كانت اليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحى على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها وأيضا فان الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب اليه بل يكون هو وحده المتولى لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته وأيضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالاذى والتى رميت زوجته فلم يكن يليق به ان يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها ولم يظن بها سوأ قط وحاشاه وحاشاها ولذلك لما استعذر من أهل الافك قال من يعذرنى فى رجل بلغنى أذاه فى أهلى والله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلى الا معى فكان عنده من القرائن التى تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاء الوحى بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لامته احتفال ربه به واعتناؤه بشانه ولما جاء الوحى ببراءتها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالافك فحدوا ثمانين ثمانين ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي مع انه رأس أهل الافك فقيل لان الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة والخبيث ليس أهلا لذلك وقد وعده الله بالعذاب العظيم فى الآخرة فيكفيه ذلك عن الحد وقيل بل كان يستوشى الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه فى قوالب من لا ينسب اليه وقيل الحد لا يثبت الا بالاقرار أو بينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فانه انما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين وقيل حد القذف حق الآدمى لا يستوفى الا بمطالبته وان قيل انه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي وقيل بل ترك حده لمصلحة هى أعظم من اقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا وهى تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الاسلام فانه كان مطاعا فيهم رئيسا عليهم فلم يؤمن اثارة الفتنة فى حده ولعله ترك لهذه الوجوه كلها فجلد مسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيرا لهم وتكفيرا وترك عبد الله بن أبي اذ فليس

هو

هو من أهل ذلك

(فصل) ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله علم معرفتها وقوة ايمانها وتوليتها النعمة لربها وافراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد وقوة جأشها وادلالها ببراءة ساحتها وانها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له وثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قالت ما قالت ادلالا للحبيب على حبيبه ولاسيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الادلال فوضعته موضعه ولله ما كان أحبها اليه حين قالت لا أحمد الا الله فانه هو الذي أنزل براءتي ولله ذلك الثبات والرزانة منها وهو أحب شيء اليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا ثم صادفت الرضا منه والاقبال فلم تبادر الى القيام اليه والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له وهذا غاية الثبات والقوة

(فصل وفي هذه القضية ان النبي صلى الله عليه وسلم) لما قال من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الاشهل قال أنا أعذرك منه يا رسول الله وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم فان سعد بن معاذ لا يختلف أحد من أهل العلم انه توفي عقيب حكمه في بني قريظة عقيب الخندق وذلك سنة خمس على الصحيح وحديث الافك لا شك انه في غزوة بني المصطلق هذه وهي غزوة المريسيع والجمهور عندهم انها كانت بعد الخندق سنة ست فاختلف طرق الناس في الجواب عن هذا الاشكال فقال موسى بن عقبة غزوة المريسيع كانت سنة أربع قبل الخندق حكاه عنه البخاري وقال الواقدي كانت سنة خمس قال وكانت قريظة والخندق بعدها وقال القاضي اسمعيل بن اسحق اختلفوا في ذلك والاولى ان يكون المريسيع قبل الخندق وعلى هذا فلا اشكال ولكن الناس على خلافه وفي حديث الافك ما يدل على خلاف ذلك أيضا لان عائشة قالت ان القضية كانت بعد ما انزل الحجاب وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش وزينب اذ ذاك كانت تحته فانه صلى الله عليه وسلم سألها عن عائشة فقالت أحمي سمعي وبصري قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أرباب التواريخ ان تزويجه بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس وعلى هذا فلا يصح قول موسى بن عقبة وقال محمد بن اسحق ان غزوة بني المصطلق كانت في سنة ست بعد الخندق وذكر فيها حديث الافك الا انه قال عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة فذكر الحديث فقال فقام أسيد بن الحضير فقال أنا أعذرك منه فرد عليه سعد بن عبادة ولم يذكر سعد بن معاذ قال أبو محمد بن حزم وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه وذكر سعد بن معاذ وهم لان سعد بن معاذ مات اثر فتح بني قريظة بلا شك وكانت في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة قلت الصحيح ان الخندق كان في سنة خمس كما سيأتي

(فصل) ومما وقع في حديث الافك ان في بعض طرق البخاري عن أبي وائل عن مسروق قال سألت أم رومان عن حديث الافك فحدثتني قال غير واحد وهذا غلط ظاهر فان أم رومان ماتت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال من سره أن ينظر

بأربعة آلاف درهم ففدته بها * قال ابن اسحق وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر والله ان يعقل هذا فاسئلوه عني فقالوا ما فعل صفوان ابن أمية قال ها هو ذاك جالسا في الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا * قال ابن اسحق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الاقداح أنحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب (قال ابن هشام) واسم أبي سفيان المغيرة قد قدم قال فقال له أبو لهب هلم الي فعندك لعمري الخبر قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتادنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما تليق شيأ ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة قال فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي

الى امرأة من الحور العين فلينظر الى هذه قالوا ولو كان مسروق قدم المدينة فى حياتها وسألها التى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ومسروق انما قدم المدينة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وقد روى مسروق عن أم رومان حديثا غير هذا فارسل الرواية عنها فظن بعض الرواة انه سمع منها فحمل هذا الحديث على السماع قالوا ولعل مسروقا قال سئلت أم رومان فتصحفت على بعضهم سألت لان من الناس من يكتب الهمزة بالالف على كل حال وقال آخرون كل هذا لا يرد الرواية الصحيحة التى أدخلها البخارى فى صحيحه وقد قال ابراهيم الحربى وغيره ان مسروقا سألها وله خمس عشرة سنة ومات وله ثمان وسبعون سنة وأم رومان أقدم من حدث عنه قالوا وأما حديث موتها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزوله فى قبرها فحديث لا يصح وفيه علتان تمنعان صحته * احداهما رواية على بن زيد بن جدعان له وهو ضعيف الحديث لا يحتج بحديثه * والثانية انه رواه عن القاسم بن محمد عن النبى صلى الله عليه وسلم والقاسم لم يدرك زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدم هذا على حديث اسناده كالشمس يرويه البخارى فى صحيحه ويقول فيه مسروق سألت أم رومان فحدثتنى وهذا يرد ان يكون اللفظ سئلت وقد قال أبو نعيم فى كتاب معرفة الصحابة قد قيل ان أم رومان توفيت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وهم

(فصل) ومما وقع فى حديث الافك ان فى بعض طرقه ان عليا قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما استشاره سل الجارية تصدقك فدعا بريرة فسألها فقالت ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على التبر أو كما قالت وقد استشكل هذا فان بريرة انما كاتبت وعتقت بعد هذا بمدة طويلة وكان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذاك فى المدينة والعباس انما قدم المدينة بعد الفتح ولهذا قال له النبى صلى الله عليه وسلم وقد شفع الى بريرة ان تراجع زوجها فابت ان تراجعه يا عباس ألا تعجب من بغض بريرة مغيثا وحبه لها ففى قصة الافك لم تكن بريرة عند عائشة وهذا الذى ذكره ان كان لازما فيكون الوهم من تسميته الجارية بريرة ولم يقل له على سل بريرة وانما قال فسل الجارية تصدقك فظن بعض الرواة انها بريرة فسماها بذلك وان لم يلزم بان يكون طلب مغيث لها استمر الى بعد الفتح ولم ييأس منها زال الاشكال والله أعلم

(فصل وفى مرجعهم من هذه الغزوة) قال رأس المنافقين ابن أبى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغها زيد بن أرقم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء ابن أبى يعتذر ويحلف ما قال فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تصديق زيد فى سورة المنافقين فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم باذنه فقال ابشر فقد صدقك الله ثم قال هذا الذى وفى الله باذنه فقال له عمر يا رسول الله مر عباد بن بشير فليضرب عنقه فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه

(فصل فى غزوة الخندق) وكانت فى سنة خمس من الهجرة فى شوال على أصح القولين اذ لا خلاف ان أحدا كانت فى شوال سنة ثلاث وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه لاجل جدب تلك السنة فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاؤا لحربه هذا قول أهل السير والمغازى وخالفهم موسى بن عقبة وقال بل كانت سنة أربع قال أبو محمد بن حزم وهذا هو الصحيح الذى لا شك فيه واحتج عليه بحديث ابن عمر فى الصحيحين انه عرض على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن

خمس

فضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة (١) فلعت فى رأسه شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا فى أسرائكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء قال وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود والحرث ابن زمعة وكان يحب أن يبكى على بنيه فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره انظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة يعنى زمعة فان جوفى قد احترق قال فلما رجع اليه الغلام قال انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فذاك حين يقول الاسود

أتبكى أن يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بنى هصيص
ومخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى ان بكيت على عقيل
وبكى حارثا أسد الاسود
وبكيهم ولا تسمى جميعا
وما لابى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال
ولولا يوم بدر لم يسودوا

قال ابن هشام هذا اقواء وهى مشهورة من أشعارهم وهى عندنا اكفاء وقد أسقطنا من رواية ابن اسحق ما هو أشهر من هذا * قال ابن اسحق وكان فى الاسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء اسرائكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه قال المطلب بن أبى وداعة وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى صدقتم لا تعجلوا وانسل من الليل فقدم المدينة

(١) قوله فلعت أى شقت

فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به ثم بعثت قريش في فداء الاسارى فقدم مكرز بن حفص بن الاخيف في فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فقال

أسرت سهيلا فلا أبتغي * أسيرا به من جميع الامم
وخندف تعلم أن الفتى * فتاها سهيل اذا يظلم
ضربت بذي الشفر حتى انثنى * وأكرهت نفسي على ذي العلم

وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى (قال ابن هشام) وكان بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم *قال ابن اسحق وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا * قال ابن اسحق وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث انه عسى أن يقوم مقاما لاتذمه (قال ابن هشام) وسأذكر حديث ذلك المقام في موضعه ان شاء الله تعالى *قال ابن اسحق فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى الى رضاهم قالوا هات الذي لنا قال اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا مكانه عندهم فقال مكرز

فديت بأذواد ثمان سبا فتى * ينال الصميم (١) عرها لا المواليا
رهنت يدي والمال أيسر من يدي * علي ولكني خشيت المخازيا
وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به * لأبنائنا حتى ندير الامانيا

(قال ابن هشام) وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز *قال ابن اسحق وحدثني عبد الله ابن أبي بكر قال كان عمرو بن أبي سفيان بن حرب وكان لبنت عقبة بن أبي معيط (قال ابن هشام) أم عمرو بن أبي سفيان ابنة عمرو أخت أبي معيط بن أبي عمرو وأسيرا في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرى بدر (قال ابن هشام) أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه *قال ابن

خمس عشرة سنة فأجازه قال وصح انه لم يكن بينهما الا سنة واحدة وأجيب عن هذا بجوابين *أحدهما ان ابن عمر أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم رده لما استصغره عن القتال وأجازه لما وصل الى السن التي رآه فيها مطيقا وليس في هذا ما ينفي تجاوزها بسنة أو نحوها *والثاني انه لعله كان يوم أحد في أول الرابع عشرة ويوم الخندق في آخر الخامس عشرة

(فصل وكان سبب غزوة الخندق) ان اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل خرج أشرافهم كسلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وغيرهم الى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤلبونهم عليه ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم فأجابتهم قريش ثم خرجوا الى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم الى ذلك فاستجاب لهم من استجاب فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف ووافاهم بنو سليم بمر الظهران وخرجت بنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم اليه استشار الصحابة فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادر اليه المسلمون وعمل بنفسه فيه وبادروا هجوم الكفار عليهم وكان في حفره من آيات نبوته واعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به وكان حفر الخندق امام سلع وسلع جبل خلف ظهور المسلمين والخندق بينهم وبين الكفار وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين فتحصن بالجبل من خلفه وبالخندق أمامهم وقال ابن اسحق خرج في سبعمائة وهذا غلط من خروجه يوم أحد وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء والذراري فجعلوا في آطام المدينة واستخلف عليها ابن أم مكتوم وانطلق حيي بن أخطب الى بني قريظة فدنا من حصنهم فأبى كعب بن أسد أن يفتح له فلم يزل يكلمه حتى فتح له فلما دخل عليه قال لقد جئتك بعز الدهر جئتك بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد قال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أراق ماءه فهو يرعد ويبرق فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل مع المشركين في محاربته فسر بذلك المشركون وشرط كعب على حيي انه ان لم يظفروا بمحمد ان يجيء حتى يدخل معه في حصنه فيصيبه ما أصابه فأجابه الى ذلك ووفى له به وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بني قريظة ونقضهم للعهد فبعث اليهم السعدين وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة ليعرفوا هل هم على عهدهم أو قد نقضوه فلما دنوا منهم فوجدوهم على أخبث ما يكون وجاهروهم بالسب والعداوة ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفوا عنهم ولحنوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنا يخبرونه انهم قد نقضوا العهد وغدروا فعظم ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين واشتد البلاء ونجم النفاق واستأذن بعض بني حارثة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب الى المدينة وقالوا بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وهم بنو سلمة بالفشل ثم ثبت الله الطائفتين وأقام المشركون محاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا ولم يكن بينهم قتال لاجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق فلما وقفوا

---

(١) في نسخة غرمها

اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال فقيل لأبي سفيان افد عمرا ابنك قال أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكوه في أيديهم ما بدا لهم قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمرا ومعه مرية له وكان شيخا مسلما في غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمرا ولا يخشى الذي صنع به لم يظن انه يحبس بمكة انما جاء معتمرا وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا الا بخير فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ثم قال أبو سفيان

ارهط ابن أكال أجيبوا دعاءه
تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فان بني عمرو لئام أذلة
لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكبلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال

لو كان سعد يوم مكة مطلقا
لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى
بعضب حسام أو بصفراء نبعة
تحن اذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبي سفيان فخلى سبيل سعد * قال ابن اسحق وقد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب (قال ابن هشام) أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام * قال ابن اسحق وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة وكان لهالة بنت خويلد وكانت خديجة خالته فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي فزوجه وكانت تعده بمنزلة ولدها فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة وبناته فصدقنه وشهدن أن ما جاء به الحق ودن بدينه وثبت أبو العاص على شركه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب رقية أو أم كلثوم فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة قالوا انكم قد فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته

عليه قالوا ان هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فاقتحموه وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع ودعوا الى البراز فانتدب لعمرو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبارزه فقتله الله على يدي علي وكان من شجعان المشركين وأبطالهم وانهزم الباقون الى أصحابهم وكان شعار المسلمين يومئذ حم لا ينصرون ولما طالت هذه الحال على المسلمين أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصالح عيينة بن حصن والحرث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة و ينصرفا بقومهما وجرت المراوضة على ذلك فاستشار السعدين في ذلك فقالا يا رسول الله ان كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة وان كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم الا السيف فصوب رأيهما وقال انما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ثم ان الله عز وجل وله الحمد صنع أمرا من عنده خذل به العدو وهزم جموعهم وفل حدهم فكان مما هيأ من ذلك ان رجلا من غطفان يقال له نعيم بن مسعود بن عامر رضي الله عنه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فذهب من فوره ذلك الى بني قريظة وكان عشيرا لهم في الجاهلية فدخل عليهم وهم لا يعلمون باسلامه فقال يا بني قريظة انكم قد حاربتم محمدا وان قريشا ان أصابوا فرصة انتهزوها والا استمروا الى بلادهم راجعين وتركوكم ومحمدا فانتقم منكم قالوا فما العمل يا نعيم قال لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن قالوا لقد أشرت بالرأي ثم مضى على وجهه الى قريش قال لهم تعلمون ودي لكم ونصحي لكم قالوا نعم قال ان يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه وانهم قد راسلوه انهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها اليه ثم يوالونه عليكم فان سألوكم رهائن فلا تعطوهم ثم ذهب الى غطفان فقال لهم مثل ذلك فلما كان ليلة السبت من شوال بعثوا الى يهود انا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع والخف فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا فأرسل اليهم اليهود ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه ومع هذا فانا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا الينا رهائن فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش صدقكم والله نعيم فبعثوا الى يهود انا والله لا نرسل اليكم أحدا فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدا فقالت قريظة صدقكم والله نعيم فتخاذل الفريقان وأرسل الله عز وجل على المشركين جندا من الريح فجعلت تقوض خيامهم ولا تدع لهم قدرا الا كفأتها ولا طنبا الا قلعته ولا يقر لهم قرار وجند الله من الملائكة يزلزلونهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم فوجدهم على هذه الحال وقد تهيؤا للرحيل فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره برحيل القوم فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رد الله عدوه بغيظه لم ينالوا خيرا وكفاه الله قتالهم فصدق وعده وأعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فدخل المدينة ووضع السلاح فجاءه جبريل عليه السلام وهو يغتسل في بيت أم سلمة فقال أوضعتم السلاح فان الملائكة لم تضع بعد أسلحتها انهض الى غزوة هؤلاء يعني بني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فخرج المسلمون سراعا وكان من أمره وأمر بني قريظة

ما قدمناه واستشهد يوم الخندق ويوم قريظة نحو عشرة من المسلمين

(فصل وقد قدمنا ان أبا رافع) كان ممن ألب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقتل مع بني قريظة كما قتل صاحبه حيي بن أخطب ورغبت الخزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب ابن الاشرف وكان الله سبحانه قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيرات فاستأذنوه في قتله فاذن لهم فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة وهم عبد الله بن عتيك وهو أمير القوم وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة والحرث بن ربعي ومسعود بن سنان وخزاعي بن أسود فساروا حتى أتوه في خيبر في دار له فنزلوا عليه ليلا فقتلوه ورجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم ادعى قتله فقال أروني أسيافكم فلما أروه اياها قال لسيف عبد الله بن أنيس هذا الذي قتله أرى فيه أثر الطعام

(فصل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) الى بني لحيان بعد قريظة بستة أشهر ليغزوهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل وأظهر انه يريد الشام واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غران واد من أودية بلادهم وهو بين أمج وعسفان حيث كان مصاب أصحابه فترحم عليهم ودعا لهم وسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤس الجبال فلم يقدر منهم على أحد فأقام يومين بأرضهم وبعث السرايا فلم يقدروا عليهم فسار الى عسفان فبعث عشرة فوارس الى كراع الغميم لتسمع به قريش ثم رجع الى المدينة وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة

(فصل في سرية نجد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم) خيلا قبل نجد فجاءت بثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة فربطه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سارية من سواري المسجد ومر به فقال ما عندك يا ثمامة فقال يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه ثم مر به مرة أخرى فقال له مثل ذلك فرد عليه كما رد عليه أولا ثم مر مرة ثالثة فقال أطلقوا ثمامة فاطلقوه فذهب الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم جاءه فاسلم وقال والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان على وجه الارض دين أبغض علي من دينك فقد أصبح دينك أحب الاديان الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان يعتمر فلما قدم على قريش قالوا صبوت يا ثمامة قال لا والله ولكني أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا والله ما يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اليمامة ريف مكة فانصرف الى بلاده ومنع الحمل الى مكة حتى جهدت قريش وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه بأرحامهم ان يكتب الى ثمامة يخلي اليهم حمل الطعام ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل في غزوة الغابة ثم أغار عيينة بن حصن) الفزاري في بني عبد الله بن غطفان على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم التي بالغابة فاستاقها وقتل راعيها وهو رجل من عسفان واحتملوا امرأته قال عبد المؤمن بن خلف وهو ابن أبي ذر وهو غريب جدا فجاء الصريخ ونودي يا خيل الله اركبي وكان أول ما نودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقنعا في الحديد فكان أول من قدم اليه المقداد بن عمرو في الدرع والمغفر فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء في رمحه وقال امض حتى تلحق بالخيول وأنا على أثرك واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأدرك سلمة بن

فاشتغلوا بهن فمشوا الى أبي العاص فقالوا له فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت قال لاها الله اذا لا أفارق صاحبتي وما أحب ان لي بامرأتي امرأة من قريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه في صهره خيرا فيما بلغني ثم مشوا الى عتبة بن أبي لهب فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت فقال ان زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له وخلف عليها عثمان بن عفان بعده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره وكان الاسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما فأقامت معه على اسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سارت قريش الى بدر سار فيهم أبو العاص ابن الربيع فاصيب في الاسارى يوم بدر فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عائشة رضي الله عنها قالت لما بعث أهل مكة في فداء اسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا فقالوا نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

أن يخلي سبيل زينب اليه أو كان فيما شرط عليه في اطلاقه ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ما هو الا أنه لما خرج أبو العاص الى مكة وخلي سبيله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب

الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها وأنا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع حتى انتهى بهم الى ذى قرد وقد استنقذ منهم جميع اللقاح وثلاثين بردة قال سلمة فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل عشاء فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت ما عندهم من السرح وأخذت باعناق القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح ثم قال انهم الآن ليقرون فى غطفان وذهب الصريخ بالمدينة الى بنى عمرو بن عوف فجاءت الامداد ولم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد وقال عبد المؤمن بن خلف فاستنقذوا عشر لقاح وانفلت القوم بما بقى وهو عشر قلت وهذا غلط بين والذى فى الصحيحين انهم استنقذوا اللقاح كلها ولفظ مسلم فى صحيحه عن سلمة حتى ما خلق الله من شئ من لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى واستلبت منهم ثلاثين بردة

(فصل وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية) وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازى والسير فذكروا انها كانت قبل الحديبية والدليل على صحة ما قلناه ما رواه الامام أحمد رحمه الله والحسن بن سفيان عن أبى بكر بن أبى شيبة قال حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا عكرمة بن عمار قال حدثنى اياس بن سلمة عن أبيه قال قدمت المدينة زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجت أنا ورباح بفرس لطلحة أنديه مع الابل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وساق القصة رواها مسلم فى صحيحه بطولها ووهم عبد المؤمن بن خلف فى سيرته فى ذلك وهما بينا فذكر غزاة بنى لحيان بعد قريظة بستة أشهر ثم قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يمكث الا قليلا حتى أغار عبد الرحمن بن عيينة وذكر القصة والذى أغار عبد الرحمن وقيل أبوه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فان هذا من قول سلمة قدمت المدينة زمن الحديبية وقد ذكر الواقدى عدة سرايا فى سنة ست من الهجرة قبل الحديبية فقال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول وقال الآخر سنة ست من قدومه المدينة عكاشة بن محصن الازدى فى أربعين رجلا الى الغمر وفيهم ثابت بن أرقم وسباع بن وهب فاجد السير ونذر القوم بهم فهربوا فنزل على مياههم وبعث الطلائع فاصابوا من دلهم على بعض ماشيتهم فوجدوا مائتى بعير فساقوها الى المدينة وبعث سرية أبى عبيدة بن الجراح الى ذى القصة فسار واليلتهم مشاة ووافوها مع الصبح فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا فى الجبال واصابوا رجلا واحدا فاسلم وبعث محمد بن مسلمة فى ربيع الاول فى عشرة نفر سرية فكمن القوم لهم حتى ناموا فما شعروا الا بالقوم فقتلوا أصحاب محمد بن مسلمة وافلت محمد جريحا وفى هذه السنة وهى سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة بالجموم فاصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم فأصابوا نعما وشاء وأسرى وكان فى الاسرى زوج حليمة فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها وفيها يعنى سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة الى الطرف فى جمادى الاولى الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فهربت الاعراب وخافوا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فاصاب من نعمهم عشرين بعيرا وغاب أربع ليال وفيها كانت سرية زيد بن حارثة الى العيص فى جمادى الاولى وفيها أخذت الاموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع زوج زينب عند مرجعه من الشام فكانت أموال قريش قال

فتصحباها حتى تأتيانى بها فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر (١) أو شيعه فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثت عن زينب انها قالت بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة فقالت يا بنت محمد ألم يبلغنى انك تريدين اللحوق بأبيك قالت فقلت ما أردت ذلك فقالت أى ابنة عمى لا تفعلى ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به الى أبيك فان عندى حاجتك فلا تضطنى منى فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال قالت والله ما أراها قالت ذلك الا لتفعل قالت ولكنى خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزت فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودبها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى الفهرى فروعها هبار بالرمح وهى فى هودجها وكانت المرأة حاملا فيما يزعمون فلما ريعت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فاقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال انك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا أخرجت ابنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التى كانت وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة وما لنا فى ذلك من ثورة ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت ابن الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسلها سرا وألحقها بأبيها قال ففعل فاقامت ليالى حتى اذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها

(١) قوله أو شيعه أى نحوه

الى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فقال عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف في الذي كان من أمر زينب (قال ابن هشام) هي لابي خيثمة

أتاني الذي لا يقدر الناس قدره * لزينب فيهم من عقوق ومأثم
واخراجها لم يخز فيها محمد * على مأقط وبيننا عطر منشم
وأمسى أبو سفيان من حلف (٣٧٩) ضمضم * ومن حربنا في رغم أنف ومندم
قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه * بذي حلق جلد الصلاصل محكم
فأقسمت لا تنفك منا كتائب * سراة خميس من لهام مسوم
نزوع قريش الكفر حتى نعلها * بخاطمة فوق الانوف بميسم
ننزلهم أكناف نجد ونخلة * وان يتهموا بالخيل والرجل نتهم
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا * ونلحقهم آثار عاد وجرهم
ويندم قوم لم يطيعوا محمدا * على أمرهم وأي حين تندم
فأبلغ أبا سفيان اما لقيته * لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم
فأبشر بخزي في الحياة معجل * وسربال قار خالدا في جهنم

(قال ابن هشام) ويروى وسربال نار * قال ابن اسحق ومولى يمين أبي سفيان الذي يعني عامر بن الحضرمي كان في الاسارى وكان حلف الحضرمي الى حرب بن أمية * قال ابن هشام مولى يمين أبي سفيان الذي يعني عقبة بن عبد الحرث بن الحضرمي فاما عامر فقتل يوم بدر ولما انصرف الذين خرجوا الى زينب لقيتهم هند بنت عتبة فقالت لهم

أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفي الحرب أشباه النساء العوارك

وقال كنانة بن الربيع في أمر زينب حين دفعها الى الرجلين

عجبت لهبار وأوباش قومه * يريدون اخفاري ببنت محمد
ولست أبالي ما حييت (١) عديدهم * وما استجمعت قبضا يدي بالمهند

* قال ابن اسحق حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن سليمان بن يسار عن أبي اسحق الدوسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها فقال لنا ان ظفرتم بهبار بن الاسود أو الرجل الذي

ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم قال خرج أبو العاص ابن الربيع تاجرا الى الشام وكان رجلا مأمونا وكانت معه بضائع لقريش فاقبل قافلا فلقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاقوا عيره وافلت وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أصابوا فقسمه بينهم وأتى أبو العاص المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها وسألها ان تطلب له من رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ماله عليه وما كان معه من أموال الناس فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية فقال ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا ولغيره وهو فيء الله الذي أفاء عليكم فان رأيتم ان تردوا عليه فافعلوا وان كرهتم فانتم وحقكم فقالوا بل نرده عليه يا رسول الله فردوا عليه ما أصابوا حتى ان الرجل ليأتي بالشن والرجل بالاداوة والرجل بالحبل فما تركوا قليلا أصابوه ولا كثيرا الا ردوه عليه ثم خرج حتى قدم مكة فادى الى الناس بضائعهم حتى اذا فرغ قال يا معشر قريش هل بقي لاحد منكم معي مال لم أرده عليه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال والله ما منعني ان أسلم قبل ان أقدم عليكم الا ان تظنوا اني انما أسلمت لاذهب باموالكم فاني أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وهذا القول من الواقدي وابن اسحق يدل على ان قصة أبي العاص كانت قبل الحديبية والا فبعد الهدنة لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ولكن زعم موسى بن عقبة ان قصة أبي العاص كانت بعد الهدنة وان الذي أخذ الاموال أبو بصير وأصحابه ولم يكن ذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا منحازين بسيف البحر وكانت لا تمر بهم عير لقريش الا أخذوها وهذا قول الزهري قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب في قصة أبي بصير ولم يزل أبو جندل وأبو بصير وأصحابهم الذين اجتمعوا اليهما هنالك حتى مر بهم أبو العاص بن الربيع وكانت تحته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فاخذوهم وما معهم وأسروهم ولم يقتلوا منهم أحدا لصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي العاص وأبو العاص يومئذ مشرك وهو ابن أخت خديجة بنت خويلد لابيها وامها وخلوا سبيل أبي العاص فقدم المدينة على امرأته زينب فكلمها أبو العاص في أصحابه الذين أسر أبو جندل وأبو بصير وما أخذوا لهم فكلمت زينب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فخطب الناس فقال انا صاهرنا ناسا وصاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه أقبل من الشام في أصحاب له من قريش فاخذهم أبو جندل وأبو بصير وأخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم أحدا وان زينب بنت رسول الله سألتني ان أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأصحابه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي العاص وأصحابه الذين كانوا عنده من الاسرى رد عليهم كل شئ أخذ منهم حتى العقال وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم ان يقدموا عليه ويأمر من معهما من المسلمين ان يرجعوا الى بلادهم وأهليهم وان لا يتعرضوا لاحد من قريش وعيرها فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بصير وهو في الموت فمات وهو على صدره ودفنه أبو جندل مكانه وأقبل أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنت عير قريش وذكر باقي الحديث وقول موسى بن عقبة أصوب وأبو العاص انما أسلم زمن الهدنة وقريش انما انبسطت عيرها الى الشام زمن الهدنة وسياق الزهري للقصة بين ظاهر انها كانت في زمن الهدنة قال الواقدي وفيها أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد أجازه بمال وكسوة فلما كان

(١) وفي نسخة عديدهم

بحسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيأ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخل بيته فاخبره فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى حسمى قلت وهذا بعد الحديبية بلاشك قال الواقدى وخرج على فى مائتى رجل الى فدك الى حى من بنى سعد بن بكر وذلك انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار اليهم يسير الليل ويكمن النهار فاصاب عينا لهم فاقر له انهم بعثوه الى خيبر فعرضوا عليهم نصرتهم على ان يجعلوا لهم ثمر خيبر قال وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فى شعبان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم فاسلم القوم وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الاصبغ وهى أم أبى سلمة وكان أبوها رأسهم وملكهم قال وكانت سرية كرز بن خالد الفهرى الى العرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل فى شوّال سنة ست وكانت السرية عشرين فارسا قلت وهذا يدل على أنها كانت قبل الحديبية فان الحديبية كانت فى ذى القعدة كما سيأتى وقصة العرنيين فى الصحيحين من حديث أنس ان رهطا من عكل وعرينة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة فامر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وأمرهم ان يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها فلما صحوا اقتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم وفى لفظ لمسلم سملوا عين الراعى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فامر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وتركهم فى ناحية الحرة حتى ماتوا وفى حديث أبى الزبير عن جابر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم عم عليهم الطريق واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل فعمى الله عليهم السبيل فادركوا وذكر القصة وفيها من الفقه جواز شرب أبوال الابل وطهارة بول ما كول اللحم والجمع للمحارب بين قطع يده ورجله وقتله اذا أخذ المال وانه يفعل بالجانى كما فعل فانهم لما سملوا عين الراعى سمل أعينهم وقد ظهر بهذا ان القصة محكمة غير منسوخة وان كانت قبل ان تنزل الحدود والحدود نزلت بتقريرها لا بابطالها والله أعلم

(فصل) فى قصة الحديبية قال نافع كانت سنة ست فى ذى القعدة وهذا هو الصحيح وهو قول الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحق وغيرهم وقال هشام بن عروة عن أبيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية فى رمضان وكانت فى شوّال وهذا وهم وانما كانت غزاة الفتح فى رمضان وقد قال أبو الاسود عن عروة انها كانت فى ذى القعدة على الصواب وفى الصحيحين عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة فذكر منها عمرة الحديبية وكان معه ألف وخمسمائة هكذا فى الصحيحين عن جابر وعنه فيهما كانوا ألفا وأربعمائة وفيهما عن عبد الله بن أبى أوفى كنا ألفا وثلثمائة قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كانوا الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة قال قلت فان جابر بن عبد الله قال كانوا أربع عشرة مائة قال يرحمه الله وهم هو حدثنى انهم كانوا خمس عشرة مائة قلت وقد صح عن جابر القولان وصح عنه انهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة البدنة عن سبعة فقيل له كم كنتم قال ألفا وأربعمائة بخيلنا ورجلنا يعنى فارسهم وراجلهم والقلب الى هذا أميل وهو قول البراء بن عازب ومعقل بن يسار وسلمة بن الاكوع فى أصح الروايتين وقول المسيب بن حزن قال شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة وغلط غلطا بينا من قال كانوا سبعمائة وعذره انهم نحروا

سبق معه الى زينب (قال ابن هشام) وقد سمى ابن اسحق الرجل فى حديثه هبار بن الاسود وقد سمى ابن اسحق الرجل فى حديثه فحرقوهما بالنار قال فلما كان الغد بعث الينا فقال انى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين ان أخذتموهما ثم رأيت انه لا ينبغى لاحد ان يعذب بالنار الا الله فان ظفرتم بهما فاقتلوهما * قال ابن اسحق وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين فرق بينهما الاسلام حتى اذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا الى الشام وكان رجلا مأمونا بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابوا ما معه وأعجزهم هاربا فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فأجارته وجاء فى طلب ماله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح كما حدثنى يزيد بن رومان فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من ذلك حتى سمعت ما سمعتم انه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته فقال أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله ابن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فئ الله الذى أفاء عليكم فانتم أحق به قالوا يا رسول الله بل نرده عليه قال فردوه عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو ويأتى الرجل بالشنة والاداوة حتى ان أحدهم ليأتى بالشظاظ حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيأ ثم احتمل الى مكة فادى الى كل ذى مال من قريش ماله ومن كان أبضع معه ثم قال يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا

كريماقال فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله مامنعني من الاسلام عنده الا تخوف أن يظنوا أني انما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيأ بعد ست سنين * قال ابن هشام وحدثني أبو عبيدة ان أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له هل لك ان تسلم وتأخذ هذه الاموال فانها أموال المشركين فقال أبو العاص بئس ما أبدأ به اسلامي أن أخون أمانتي (قال ابن هشام) وحدثني عبد الوارث بن سعيد التنوري عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي بنحو من حديث أبي عبيدة عن أبي العاص * قال ابن اسحق فكان ممن سمي لنا من الاسارى ممن من عليه بغير فداء من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه * ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمر بن مخزوم وكان لبعض بني الحرث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه * قال ابن هشام أسره خالد بن زيد أبو أيوب الانصاري أخو بني النجار * قال ابن اسحق وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثن اليهم بفدائه فخلوا سبيله فلم يف لهم بشئ فقال حسان بن ثابت في ذلك

وما كان صيفي ليوفي أمانة قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

(قال ابن هشام) وهذا البيت في أبيات له * قال ابن اسحق وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان ابن أهيب بن حذافة بن جمح وكان محتاجا ذا بنات فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال واني لذو حاجة وذو عيال فامنن علي فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فقال أبو عزة في ذلك يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

نحر وا يومئذ سبعين بدنة والبدنة قد جاء اجزاؤها عن سبعة وعن عشرة وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل فانه قد صرح بان البدنة كانت في هذه العمرة عن سبعة فلو كانت السبعون عن جميعهم لكانوا أربعمائة وتسعين رجلا وقد قال في تمام الحديث بعينه انهم كانوا ألفا وأربعمائة

(فصل) فلما كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي واشعره وأحرم بالعمرة وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش حتى اذا كان قريبا من عسفان أتاه عينه فقال اني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الاحابيش وجمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال أترون ان نميل الى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محزونين وان نجوا يكن عنق قطعها الله أم ترون ان نؤم هذا البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر الله ورسوله أعلم انما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فروحوا اذا فراحوا حتى اذا كان ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت به فعدل حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه فيه قال فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه وفزعت قريش لنزوله عليهم فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم رجلا من أصحابه فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه اليهم فقال يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي ان أوذيت فارسل عثمان بن عفان فان عشيرته بها وانه مبلغ ما أردت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فارسله الى قريش وقال أخبرهم انا لم نأت لقتال وانما جئنا عمارا وادعهم الى الاسلام وأمره ان يأتي رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله عز وجل مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها بالايمان فانطلق عثمان فمر على قريش ببلدح فقالوا أين تريد فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم الى الله والى الاسلام ونخبركم انا لم نأت لقتال وانما جئنا عمارا فقالوا قد سمعنا ما تقول فانفذ لحاجتك وقام اليه أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأسرج فرسه فحمل عثمان على الفرس وأجاره وأردفه أبان حتى جاء مكة وقال المسلمون قبل ان يرجع عثمان خلص عثمان قبلنا الى البيت وطاف به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون فقالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص قال ذاك ظني به ان لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح فرمى رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر وكانت معركة وتراموا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الى البيعة فثار المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويذكر فضله في قومه من مبلغ عني الرسول محمدا * بانك حق والمليك حميد وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى * عليك من الله العظيم شهيد وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة * لها درجات سهلة وصعود فانك من حاربته لمحارب * شقي ومن سالمته لسعيد ولكن اذا ذكرت بدرا وأهله * تأوب ما بي حسرة وقعود (١٨٣) (قال ابن هشام) وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم بالرجل الى ألف درهم الا من لا شئ له فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر ابن الزبير عن عروة بن الزبير قال جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهب بن عمير في اسارى بدر (قال ابن هشام) أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق * قال ابن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ان في العيش بعدهم خير قال له عمير صدقت والله أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت الى محمد حتى أقتله فان لي قبلهم علة ابني أسير في أيديهم قال فاغتنمها صفوان وقال علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شئ ويعجز عنهم فقال له عمير فاكتم شأني وشأنك قال أفعل ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم به المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم اذ نظر عمر الى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال فأدخله علي قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه

بيد نفسه وقال هذه عن عثمان ولما تمت البيعة رجع عثمان فقال له المسلمون اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت فقال بئس ما ظننتم بي والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد دعتني قريش الى الطواف بالبيت فابيت فقال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلمنا بالله واحسننا ظنا وكان عمر أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة تحت الشجرة فبايعه المسلمون كلهم الا الجد بن قيس وكان معقل بن يسار آخذا بغصنها يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من بايعه أبو سنان الاسدي وبايعه سلمة بن الاكوع ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس وان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان أبوا الا القتال فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال اني قد جئتكم من عند هذا الرجل وسمعته يقول قولا فان شئتم عرضته عليكم فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تحدثنا عنه بشئ وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فقال عروة بن مسعود الثقفي ان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه فقالوا آته فأتاه فجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال له عروة عند ذلك أي محمد أرأيت لو استأصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح أهله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لارى وجوها وأرى أوباشا من الناس خلقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه قال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لاجبتك وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه وقال من ذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر أولست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها جلده ووجهه واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والنجاشي والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا

آته

وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله ياعمر ادن ياعمير فدنا ثم قال انعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير بالسلام تحية أهل الجنة فقال أما والله يامحمد ان كنت بها لحديث عهد قال فما جاء بك ياعمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف فى عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيأ قال أصدقنى ما الذى جئت له قال ماجئت الا لذلك قال بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لأعلم ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وساقنى هذا المساق ثم تشهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا ثم قال يارسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله عز وجل وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فادعوهم الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم قال فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف ان لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا * قال ابن اسحق فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الاسلام و يؤذى من خالفه أذى شديدا فاسلم على يديه ناس كثير * قال ابن اسحق وعمير بن وهب أو الحرث بن هشام وقد ذكر لى أحدهما الذى رأى ابليس حين نكص

آته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثوها له واستقبله القوم يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فرجع الى أصحابه فقال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز بن حفص وهو رجل فاجر فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا الكاتب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ماندرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لانكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل فوالله لو كنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى رسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على أن لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبيناهم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد أول ما أقاضيك عليه على أن ترده فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد فقال فوالله اذا لا أقاضيك على شئ أبدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأجزه لى قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه فقال أبو جندل يامعشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون مالقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا قال عمر بن الخطاب والله ماشككت منذ أسلمت الا يومئذ فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ألست نبى الله قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى فقلت علام نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا فقال انى رسول الله وهو ناصرى ولست أعصيه قلت أو لست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت ونطوف به قال بلى أو أخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت له كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء وزاد فاستمسك بغرزه حتى تموت فوالله انه لعلى الحق قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام منهم رجل واحد حتى قال ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس فقالت أم سلمة يارسول الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج احداهما معاوية والاخرى صفوان بن أمية ثم رجع الى المدينة وفى مرجعه أنزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر

على عقبيه يوم بدر فقال اين أى سراق ومثل عدو الله فذهب فانزل الله تعالى فيه واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا ما بينهم و بين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم يقول الله تعالى

فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وصدق عدو الله رأى ما لم يروا وقال انى برئ منكم انى أخاف الله والله شديد العقاب فذكر لى انهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فاوردهم ثم أسلمهم (قال ابن هشام) نكص رجع قال أوس بن حجر أحد بنى اسيد بن عمرو بن تميم

نكصتم على اعقابكم يوم جئتم
تزجون أنفال الخميس العرمرم

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت

قومى الذين هم آووا نبيهم
وصدقوه وأهل الارض كفار
الا خصائص اقوام هم سلف
للصالحين مع الانصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم
لما أتاهم كريم الاصل مختار
أهلا وسهلا ففى أمن وفى سعة
نعم النبى ونعم القسم والجار
فانزلوه بدار لا يخاف بها
من كان جارهم دارا هى الدار
وقاسموهم بها الاموال اذ قدموا
مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا الى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم
ان الخبيث لمن والاه غرار
وقال انى لكم جار فاوردهم
شر الموارد فيه الخزى والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم
من منجدين ومنهم فرقة غاروا

(قال ابن هشام) وأنشدنى قوله لما أتاهم كريم الاصل مختار أبو زيد الانصارى

(المطعمون من قريش)

* قال ابن اسحق وكان المطعمون من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف العباس بن عبد المطلب بن هاشم * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عتبة بن

لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا فقال عمر أو فتح هو يا رسول الله قال نعم فقال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله فما لنا فأنزل الله عز وجل هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين الآية ولما رجع الى المدينة جاءه أبو بصير رجل من قريش مسلما فارسلوا فى طلبه رجلين وقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر يعدو حتى بلغ المدينة فدخل المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا نبى الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فانجانى الله منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بابى بصير فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بابى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأنزل الله عز وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم حتى بلغ حمية الجاهلية وحميتهم انهم لم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت قلت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ومج فى بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الاكوع فى الصحيحين وقال عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة انه غرز فيها سهما من كنانته وهو فى الصحيحين أيضا وفى مغازى أبى الاسود عن عروة توضأ فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه فى البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الامرين وهذا أشبه والله أعلم وفى صحيح البخارى عن جابر قال عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها اذ جهش الناس نحوه فقال ما لكم قالوا يا رسول الله ما عندنا ماء نشرب ولا ما نتوضأ الا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون فشربوا وتوضؤا وكانوا خمس عشرة مائة وهذه غير قصة البئر وفى هذه الغزوة أصابهم ليلة مطر فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم الصبح قال أتدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب

(فصل) وجرى الصلح بين المسلمين وأهل مكة على وضع الحرب عشر سنين وان يأمن الناس بعضهم من بعض وان يرجع عنهم عامه ذلك حتى اذا كان العام المقبل قدمها وخلوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاثا وان لا يدخلها الا بسلاح الراكب والسيوف فى القرب وان من أتانا من أصحابك لم نرده عليك ومن أتاك من أصحابنا رددته علينا وان بيننا وبينك عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال فقالوا يا رسول الله نعطيهم هذا فقال من أتاهم منا فابعده الله ومن أتانا منهم فرددناه اليهم جعل الله له فرجا ومخرجا وفى قصة الحديبية أنزل الله عز وجل فدية الاذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة

أو

أو النسك في شأن كعب بن عجرة وفيها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة وفيها نحر البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وفيها أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة هديه جملا كان لابي جهل كان في أنفه برة من فضة ليغيظ به المشركين وفيها نزلت سورة الفتح ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم وكان في الشرط ان من شاء أن يدخل في عقده صلى الله عليه وسلم دخل ومن شاء أن يدخل في عقد قريش دخل ولما رجع الى المدينة جاءه نساء مؤمنات منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فجاء أهلها يسألونها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرط الذي كان بينهم فلم يرجعها اليهم ونهاه الله عز وجل عن ذلك فقيل هذا نسخ للشرط في النساء وقيل تخصيص للسنة بالقرآن وهو عزيز جدا وقيل لم يقع الشرط الا على الرجال خاصة وأراد المشركون أن يعمموه في الصنفين فأبى الله ذلك

(فصل) في بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية فمنها اعتمار النبي صلى الله عليه وسلم في أشهر الحج فانه خرج اليها في ذي القعدة ومنها ان الاحرام بالعمرة من الميقات أفضل كما ان الاحرام بالحج كذلك فانه أحرم بهما من ذي الحليفة وبينها وبين المدينة ميل أو نحوه وأما حديث من أحرم بعمرة من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفي لفظ كانت كفارة لما قبلها من الذنوب فحديث لا يثبت وقد اضطرب فيه اسنادا ومتنا اضطرابا شديدا ومنها ان سوق الهدي مسنون في العمرة المفردة كما هو مسنون في القران ومنها ان اشعار الهدي سنة لا مثلة منهي عنها ومنها استحباب مغايظة أعداء الله فان النبي صلى الله عليه وسلم أهدى في جملة هديه جملا لابي جهل في أنفه برة من فضة يغيظ به المشركين وقد قال تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وقال عز وجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ومنها ان أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو ومنها ان الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة لان عيينة الخزاعي العين كان كافرا اذ ذاك وفيه من المصلحة انه أقرب الى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم ومنها استحباب مشورة الامام رعيته وجيشه استخراجا لوجه الرأي واستطابة لنفوسهم وامنا لعتبهم وتعرفا لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض وامتثالا لامر الرب في قوله تعالى وشاورهم في الامر وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله وأمرهم شورى بينهم ومنها جواز سبي ذراري المشركين اذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال ومنها رد الكلام الباطل ولو نسب الى غير مكلف فانهم لما قالوا خلأت القصواء يعني حرنت وألحت فلم تسر والخلاء في الابل بكسر الخاء والمد نظير الحران في الخيل فلما نسبوا الى الناقة ما ليس من خلقها وطبعها رده عليهم وقال ما خلأت وما ذاك لها بخلق ثم أخبر صلى الله عليه وسلم عن سبب بروكها وان الذي حبس الفيل عن مكة حبسها للحكمة العظيمة التي ظهرت بسبب حبسها وما جرى بعده ومنها ان تسمية ما يلابسه الرجل من مراكبه ونحوها سنة ومنها جواز الحلف بل استحبابه على الخبر الديني الذي يريد تأكيده وقد حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف في أكثر من ثمانين موضعا وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع في سورة يونس وسبأ والتغابن ومنها ان المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة اذا طلبوا أمرا

ربيعة بن عبد شمس * ومن بني نوفل بن عبد مناف الحرث بن عمرو بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل يعتقبان ذلك * ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد يعتقبان ذلك * ومن بني عبد الدار بن قصي النضر ابن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار (قال ابن هشام) ويقال ابن النضر بن الحرث بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار * قال ابن اسحق ومن بني مخزوم ابن يقظة أبو جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بني جمح بن عمرو أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح * ومن بني سهم بن عمرو نبيها ومنبها ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم يعتقبان ذلك * ومن بني عامر بن لؤي سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر

(أسماء خيل المسلمين يوم بدر)

(قال ابن هشام) وحدثني بعض أهل العلم انه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن مرثد الغنوي وكان يقال له السبل وفرس المقداد بن عمرو البهراني وكان يقال له بعزجة ويقال سبحة وفرس الزبير بن العوام وكان يقال له اليعسوب (قال ابن هشام) ومع المشركين مائة فرس

(ذكر نزول سورة الانفال)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الانفال بأسرها فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فكان عبادة بن الصامت فيما بلغني اذا سئل عن الانفال قال فينا معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا في النفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بيننا عن بواء يقول على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعته

يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى أجيبوا اليه وأعطوه وأعينوا عليه وان منعوا غيره فيعاونون على تعظيم مافيه حرمات الله تعالى لاعلى كفرهم وبغيهم ويمنعون مما سوى ذلك فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرض له أجيب الى ذلك كائنامن كان مالم يترتب على اعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق وقال عمر ماقال حتى عمل له أعمالا بعده والصديق تلقاه بالرضا والتسليم حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عمر عما سال عنه من ذلك بعين جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يدل على ان الصديق رضى الله عنه أفضل الصحابة وأكملهم وأعرفهم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بدينه وأقومهم بمحابه وأشدهم موافقة له ولذلك لم يسال عمر عما عرض له الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه خاصة دون سائر أصحابه ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عدل ذات اليمين الى الحديبية قال الشافعي رحمه الله بعضها من الحل وبعضها من الحرم وروى الامام أحمد فى هذه القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى الحرم وهو مضطرب فى الحل وفى هذا كالدلالة على ان مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لايخص بها المسجد الذى هو مكان الطواف وان قوله صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى كقوله تعالى ولا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وكان الاسراء من بيت أم هانئ ومنها ان من نزل قريبا من مكة فانه ينبغى له أن ينزل فى الحل ويصلى فى الحرم وكذلك كان ابن عمر يصنع ومنها جواز ابتداء الامام بطلب صلح العدو اذا رأى المصلحة للمسلمين فيه ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم وفى قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من اظهار العز والفخر وتعظيم الامام وطاعته ووقايته بالنفوس وهذه هى العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين وليس هذا من هذا النوع الذى ذمه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار كما ان الفخر والخيلاء فى الحرب ليسا من هذا النوع المذموم فى غيره وفى بعث البدن فى وجه الرسول الآخر دليل على استحباب اظهار شعائر الاسلام لرسل الكفار وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم للمغيرة أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه فى شئ دليل على ان مال المشرك المعاهد معصوم وانه لايملك بل يرد عليه فان المغيرة كان قد صحبهم على الامان ثم غدر بهم وأخذ أموالهم فلم يتعرض النبى صلى الله عليه وسلم لاموالهم ولاذب عنها ولاضمنها لهم لان ذلك كان قبل اسلام المغيرة وفى قول الصديق لعروة امصص بظر اللات دليل على جواز التصريح باسم العورة اذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال كما أذن النبى صلى الله عليه وسلم ان يصرح لمن ادعى دعوى الجاهلية بهن أبيه ويقال له اعضض أير أبيك ولا يكنى له فلكل مقام مقال ومنها احتمال قلة أدب رسول الكفار وجهله وجفوته ولا يقابل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة ولم يقابل النبى صلى الله عليه وسلم عروة على أخذه بلحيته وقت خطابه وان كانت تلك عادة العرب لكن الوقار والتعظيم خلاف ذلك وكذلك لم يقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولى مسيلمة حين قالا نشهد انه رسول الله وقال لولا ان الرسل لاتقتل لقتلتكما ومنها طهارة النخامة سواء كانت من رأس أو صدر ومنها

طهارة

بوظائف رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم ان قريشا قد سار وااليهم وانما خرجوا يريدون العير طمعا فى الغنيمة فقال كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون أى كراهية للقاء القوم وانكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أى الغنيمة دون الحرب ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين أى بالوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر اذ تستغيثون ربكم أى لدعائهم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أى انزلت عليكم الامنة حين نمتم لاتخافون وأنزلت عليكم من السماء ماء للمطر الذى أصابهم تلك الليلة فحبس المشركين أن يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المسلمين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام أى ليذهب عنكم شك الشيطان لتخويفه اياهم عدوهم واستجلاد الارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذى سبقوا اليه عدوهم ثم قال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا أى آزروا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ثم قال يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير أى تحريضا لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم اذا لقوهم وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم ثم قال تعالى فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالحصباء من يده حين رماهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى أى لم يكن ذلك برميتك لولا الذى جعل الله فيها من نصرك وما ألقى فى

طهارة الماء المستعمل ومنها استحباب التفاؤل وانه ليس من الطيرة المكروهة لقوله لما جاء سهيل سهل أمركم ومنها ان المشهود عليه اذا عرف باسمه واسم أبيه أغنى ذلك عن ذكر الجد لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على محمد بن عبد الله وقنع من سهيل بذكر اسمه واسم أبيه خاصة واشتراط ذكر الجد لا أصل له ولما اشترى العداء بن خالد منه صلى الله عليه وسلم العلام فكتب له هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة فذكر جده فهو زيادة بيان تدل على انه جائز لا بأس به ولا تدل على اشتراطه ولما لم يكن في الشهرة بحيث يكتفى باسمه واسم أبيه ذكره فيشترط ذكر الجد عند الاشتراك في الاسم واسم الأب وعند عدم الاشتراك اكتفى بذكر الاسم واسم الأب والله أعلم ومنها ان مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة ودفع ما هو شر منه ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما ومنها ان من حلف على فعل شئ أو نذره أو وعد غيره به ولم يعين وقتا لا بلفظه ولا بنيته لم يكن على الفور بل على التراخي ومنها ان الحلاق نسك وانه أفضل من التقصير وانه نسك في العمرة كما هو نسك في الحج وانه نسك في عمرة المحصور كما هو نسك في عمرة غيره ومنها ان المحصر ينحر هديه حيث أحصر من الحل والحرم وانه لا يجب عليه ان يواعد من ينحره في الحرم اذا لم يصل اليه وانه لا يتحلل حتى يصل الى محله بدليل قوله والهدى معكوفا ان يبلغ محله ومنها ان الموضع الذى نحر فيه الهدى كان من الحل لا من الحرم لان الحرم كله محل الهدى ومنها ان المحصر لا يجب عليه القضاء لانه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالحلق والنحر ولم يأمر أحدا منهم بالقضاء والعمرة من العام القابل لم تكن واجبة ولا قضاء عن عمرة الاحصار فانهم كانوا في عمرة الاحصار ألفا وأربعمائة وكانوا في عمرة القضية دون ذلك وانما سميت عمرة القضية والقضاء لانها العمرة التى قاضاهم عليها فاضيفت العمرة الى مصدر فعله ومنها ان الامر المطلق على الفور والا لم يغضب لتأخيرهم الامتثال عن وقت الامر وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بانهم كانوا يرجون النسخ فأخروا متأولين لذلك وهذا الاعتذار أولى ان يعتذر عنه وهو باطل فانه صلى الله عليه وسلم لو فهم منهم ذلك لم يشتد غضبه لتأخير أمره ويقول مالى لا أغضب وأنا آمر بالامر فلا أتبع وانما كان تأخيرهم من السعي المغفور لا المشكور وقد رضي الله عنهم وغفر لهم وأوجب لهم الجنة ومنها ان الاصل مشاركة أمته له في الاحكام الا ما خصه الدليل ولذلك قالت أم سلمة اخرج ولا تكلم أحدا حتى تحلق رأسك وتنحر هديك وعلمت ان الناس سيتابعونه فان قيل فكيف فعلوا ذلك اقتداء بفعله ولم يمتثلوه حين أمرهم به قيل هذا هو السبب الذى لاجله ظن من ظن انهم أخروا الامتثال طمعا في النسخ فلما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك علموا حينئذ انه حكم مستقر غير منسوخ وقد تقدم فساد هذا الظن ولكن لما تغيظ عليهم وخرج ولم يكلمهم وأراهم انه بادر الى امتثال ما أمر به وانه لم يؤخر كتأخيرهم وان اتباعهم له وطاعتهم توجب اقتداءهم به بادروا حينئذ الى الاقتداء به وامتثال أمره ومنها جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم الى المسلمين وان لا يرد من ذهب من المسلمين اليهم هذا في غير النساء وأما النساء فلا يجوز اشتراط ردهن الى الكفار وهذا موضع النسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن ولا سبيل الى دعوى النسخ في غيره بغير موجب ومنها ان خروج البضع من ملك الزوج متقوم ولذلك أوجب الله سبحانه رد المهر على من هاجرت امرأته وحيل بينه وبينها وعلى من ارتدت امرأته من المسلمين اذا استحق الكفار عليهم رد مهور من هاجر اليهم من أزواجهم وأخبران

صدورهم دولة منها حين هزمهم الله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم في اظهارهم على عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته ثم قال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى لقول أبي جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة والاستفتاح الانصاف في الدعاء يقول الله جل ثناؤه وان تنتهوا أى لقريش فهو خير لكم وان تعودوا نعد أى بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين أى ان عددكم وكثرتكم في أنفسكم لن تغنى عنكم شيأ وانى مع المؤمنين انصرهم على من خالفهم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون انكم منه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون له المعصية ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون أى المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم بكم عن الخير صم عن الحق لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النقمة والتباعة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم أى لانفذ لهم قولهم الذى قالوا بالسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ما وفوا لكم بشئ مما خرجوا عليه يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم أى للحرب التى اعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا آماناتكم وأنتم تعلمون أى لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم أى فصلا بين الحق والباطل ليظهر الله به حقكم ويطفئ به باطل من خالفكم ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنعمته عليه حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم ثم ذكر غرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أي ما جاء به محمد فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا

بعذاب أليم أي بعض ما عذبت به الامم قبلنا وكانوا يقولون ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ولم تعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لقولهم انا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ثم قال وما لهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون كما يقولون وهم يصدون عن المسجد الحرام أي من آمن بالله وعبده أي أنت ومن اتبعك وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون الذين يحرمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده أي أنت ومن آمن بك ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت التي يزعمون انه يدفع بها عنهم الا مكاء وتصدية (قال ابن هشام) المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال عنترة ابن عمرو العبسي

ولرب قرن قد تركت مجدلا
تمكو فريصته كشدق الاعلم

يعني صوت خروج الدم من الطعنة كأنه الصفير وهذا البيت في قصيدة له وقال الطرماح ابن حكيم الطائي

لها كلما ريعت صداة وركدة
بمصدان اعلى ابني شمام البوائن

وهذا البيت في قصيدة له يعني الاروية يقول اذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع لقرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق والمصدان الحرز وابنا شمام جبلان * قال ابن اسحق وذلك ما لا يرضى الله رسول
عز وجل ولا يحبه وما افترض عليهم ولا أمرهم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان بين نزول يا أيها المزمل وقول الله تعالى فيها وذرني

ذلك حكمه الذي حكم به بينهم ثم لم ينسخه شئ وفي ايجابه ردّ ما أعطى الازواج من ذلك دليل على تقوّمه بالمسمى لا بمهر المثل ومنها ان شرط ردّ من جاء من الكفار الى الامام لا يتناول من خرج منهم مسلما الى غير بلد الامام وانه اذا جاء الى بلد الامام لا يجب عليه ردّه بدون الطلب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يردّ أبا بصير حين جاءه ولا أكرهه على الرجوع ولكن لما جاؤا في طلبه مكنهم من أخذه ولم يكرهه على الرجوع ومنها ان المعاهدين اذا تسلموه وتمكنوا منه فقتل أحدا منهم لم يضمنه بدية ولا قود ولم يضمنه الامام بل يكون حكمه في ذلك حكم قتله لهم في ديارهم حيث لا حكم للامام عليهم فان أبا بصير قتل أحد الرجلين المعاهدين بذي الحليفة وهي من حكم المدينة ولكن كان قد تسلموه وفصل عن يد الامام وحكمه ومنها ان المعاهدين اذا عاهدوا الامام فخرجت منهم طائفة فحاربتهم وغنمت أموالهم ولم يتحيزوا الى الامام لم يجب على الامام دفعهم عنهم ومنعهم منهم وسواء دخلوا في عقد الامام وعهده ودينه أو لم يدخلوا والعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين لم يكن عهدا بين أبي بصير وأصحابه وبينهم وعلى هذا فاذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد جاز لملك آخر من ملوك المسلمين ان يغزوهم ويغنم أموالهم اذا لم يكن بينه وبينهم عهد كما أفتى به شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه في نصارى ملطية وسبيهم مستدلا بقصة أبي بصير مع المشركين

(فصل في الاشارة) الى بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة وهي أكبر وأجل من أن يحيط بها الا الله الذي أحكم أسبابها فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده فمنها انها كانت مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده ودخل الناس به في دين الله أفواجا فكانت هذه الهدنة بابا له ومفتاحا ومؤذنا بين يديه وهذه عادة الله سبحانه في الامور العظام التي يقضيها قدرا وشرعا ان يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدل عليها ومنها ان هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح فان الناس أمن بعضهم بعضا واختلط المسلمون بالكفار وبادؤهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وظهر من كان مختفيا بالاسلام ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله ان يدخل ولهذا سماه الله فتحا مبينا قال ابن قتيبة قضينا لك قضاء عظيما وقال مجاهد هو ما قضى الله له بالحديبية وحقيقة الامر ان الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت وكان في الصورة الظاهرة ضيما وهضما للمسلمين وفي الباطن عزا وفتحا ونصرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى ما وراءه من الفتح العظيم والعز والنصر من وراء ستر رقيق وكان يعطي المشركين كلما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر الصحابة ورؤسهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم

وربما كان مكروه النفوس الى * محبوبها سببا ما مثله سبب

فكان يدخل على تلك الشروط دخول واثق بنصر الله له وتأييده وان العاقبة له وان تلك الشروط واحتمالها هو عين النصرة وهو من أكبر الجند الذي أقامه المشترطون ونصبوه لحربهم وهم لا يشعرون فذلوا من حيث طلبوا العز وقهروا من حيث أظهروا القدرة والفخر والغلبة وعز

والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما الا يسيرا حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر (قال ابن هشام) الانكال القيود واحدها نكل قال رؤبة بن العجاج * يكفيك نكلي بغي كل نكل * وهذا البيت في أرجوزة له * قال ابن اسحق ثم قال الله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون يعني النفر الذين مشوا الى أبي سفيان والى من كان له مال من قريش في تلك التجارة فسألوهم ان يقووهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا ثم قال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين أي من قتل منهم يوم بدر ثم قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله أي لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس له فيه شريك ويخلع ما دونه من الانداد فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا عن أمرك الى ما هم عليه من كفرهم فاعلموا أن الله مولاكم الذي اعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير ثم أعلمهم مقاسم الفيء وحكمه فيه حين احله لهم فقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير أي يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم اذ أنتم بالعدوة الدنيا من الوادي وهم بالعدوة القصوى من الوادي الى مكة والركب أسفل منكم أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليقضي ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ثم قال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وان الله لسميع عليم أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعساكر الاسلام من حيث انكسر والله واحتملوا الضيم له وفيه فدار الدور وانعكس الامر وانقلب العز بالباطل ذلا بحق وانقلبت الكسرة لله عزا بالله وظهرت حكمة الله وآياته وتصديق وعده ونصرة رسوله على أتم الوجوه وأكملها التي لا اقتراح للعقول وراءها ومنها ما سببه الله سبحانه للمؤمنين من زيادة الايمان والاذعان والانقياد على ما أحبوا وكرهوا وما حصل لهم في ذلك من الرضا بقضاء الله وتصديق موعوده وانتظار ما وعدوا به وشهود منة الله ونعمته عليهم بالسكينة التي أنزلها في قلوبهم أحوج ما كانوا اليها في تلك الحال التي تزعزع لها الجبال فأنزل الله عليهم من سكينته ما اطمأنت به قلوبهم وقويت به نفوسهم وازدادوا به ايمانا ومنها انه سبحانه جعل هذا الحكم الذي حكم به لرسوله وللمؤمنين سببا لما ذكره من المغفرة لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولاتمام نعمته عليه وهدايته الى الصراط المستقيم ونصره النصر العزيز ورضاه به ودخوله تحته وانشراح صدره به مع ما فيه من الضيم واعطاء ما سألوه كان من الاسباب التي نال بها الرسول وأصحابه ذلك ولهذا ذكره الله سبحانه جزاء وغاية وانما يكون ذلك على فعل قام بالرسول والمؤمنين عند حكمه تعالى وقضيه وتأمل كيف وصف سبحانه النصر بأنه عزيز في هذا الموطن ثم ذكر انزال السكينة في قلوب المؤمنين في هذا الموطن الذي اضطربت فيه القلوب وقلقت أشد القلق فهي أحوج ما كانت الى السكينة فازدادوا بها ايمانا الى ايمانهم ثم ذكر سبحانه بيعتهم لرسوله وأكدها بكونها بيعة له سبحانه وان يده تعالى كانت فوق أيديهم اذ كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك وهو رسوله ونبيه فالعقد معه عقد مع مرسله وبيعته بيعته فمن بايعه فكأنما بايع الله ويد الله فوق يده واذا كان الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه فيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بهذا من الحجر الاسود ثم أخبر أن ناكث هذه البيعة انما يعود نكثه على نفسه وان للموفي بها أجرا عظيما فكل مؤمن فقد بايع الله على لسان رسوله بيعة على الاسلام وحقوقه فناكث وموف ثم ذكر حال من تخلف عنه من الاعراب وظنهم أسوأ الظن بالله أن يخذل رسوله وأولياءه وجنده ويظفر بهم عدوهم فلن ينقلبوا الى أهليهم وذلك من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته وما يليق به وجهلهم برسوله وما هو أهل أن يعامله به ربه ومولاه ثم أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله وانه سبحانه علم ما في قلوبهم حينئذ من الصدق والوفاء وكمال الانقياد والطاعة وايثار الله ورسوله على ما سواه فأنزل الله السكينة والطمأنينة والرضا في قلوبهم وأثابهم على الرضا بحكمه والصبر لامره فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان أول الفتح والمغانم فتح خيبر ومغانمها ثم استمرت الفتوح والمغانم الى انقضاء الدهر ووعدهم سبحانه مغانم كثيرة يأخذونها وأخبرهم انه عجل لهم هذه الغنيمة وفيها قولان أحدهما انه الصلح الذي جرى بينهم وبين عدوهم والثاني انها فتح خيبر وغنائمها ثم قال وكف أيدي الناس عنكم فقيل أيدي أهل مكة ان يقاتلوهم وقيل أيدي اليهود حين هموا بأن يغتالوا من بالمدينة بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من الصحابة منها وقيل هم أهل خيبر وحلفاؤهم الذين أرادوا نصرهم من أسد وغطفان والصحيح تناول الآية للجميع وقوله ولتكون آية للمؤمنين قيل هذه الفعلة التي فعلها بكم وهي كف أيدي أعدائكم عنكم مع كثرتهم فانهم حينئذ كان أهل مكة ومن حولها وأهل خيبر ومن حولها وأسد وغطفان وجمهور قبائل العرب أعداء لهم وهم بينهم كالشامة فلم يصلوا اليهم بسوء فمن

الآية والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك ثم ذكر الطفه به وكيده له ثم قال اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم (قال ابن هشام) تخوف مبدلة من كلمة ذكرها ابن اسحق ولم اذكرها واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته ثم وعظهم وفهمهم واعلمهم الذى ينبغى لهم ان يسيروا به فى حربهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون تقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل فاثبتوا واذكروا الله الذى له بذلتم أنفسكم والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم أى وتذهب حدتكم واصبروا ان الله مع الصابرين أى انى معكم اذا فعلتم ذلك ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أى لا تكونوا كابى جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع حتى نأتى بدرا فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا فيها القيان وتسمع بنا العرب أى لا يكون أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم وموازرة نبيكم لا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره ثم قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم (قال ابن هشام) وقد مضى تفسير هذه الآية * قال ابن اسحق ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر وما يلقون عند موتهم ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم حتى انتهى الى ان قال فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى فنكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الى قوله تعالى وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى

آيات الله سبحانه كف أيدى أعدائهم عنهم فلم يصلوا اليهم بسوء مع كثرتهم وشدة عداوتهم وتولى حراستهم وحفظهم فى مشهدهم ومغيبهم وقيل هى فتح خيبر جعلها آية لعباده المؤمنين وعلامة على ما بعدها من الفتوح فان الله سبحانه وعدهم مغانم كثيرة وفتوحا عظيمة فعجل لهم فتح خيبر وجعلها آية لما بعدها وجزاء لصبرهم ورضاهم يوم الحديبية وشكرانا ولهذا خص بها وبغنائمها من شهد الحديبية ثم قال ويهديكم صراطا مستقيما فجمع لهم الى النصر والظفر والغنائم الهداية فجعلهم مهديين منصورين غانمين ثم وعدهم مغانم كثيرة وفتوحا أخرى لم يكونوا ذلك الوقت قادرين عليها فقيل هى مكة وقيل هى فارس والروم وقيل الفتوح التى بعد خيبر من مشارق الارض ومغاربها ثم أخبر سبحانه ان الكفار لو قاتلوا أولياءه لولى الكفار الادبار غير منصورين وان هذه سنته فى عباده قبلهم ولا تبديل لسنته * فان قيل فقد قاتلوهم يوم أحد وانتصروا عليهم ولم يولوا الادبار قيل هذا وعد معلق بشرط مذكور فى غير هذا الموضع وهو الصبر والتقوى وفات هذا الشرط يوم أحد بفشلهم المنافى للصبر وتنازعهم وعصيانهم المنافى للتقوى فصرفهم عن عدوهم ولم يحصل الوعد لانتفاء شرط ثم ذكر سبحانه انه هو الذى كف أيدى بعضهم عن بعض من بعد ان أظفر المؤمنين بهم لما له فى ذلك من الحكم البالغة التى منها انه كان فيهم رجال ونساء قد آمنوا وهم يكتمون ايمانهم لم يعلم بهم المسلمون فلو سلطكم عليهم لاصبتم أولئك بمعرة الجيش وكان يصيبكم منهم معرة العدوان والايقاع بمن لا يستحق الايقاع به وذكر سبحانه حصول المعرة بهم من هؤلاء المستضعفين المستخفين بهم لانها موجب المعرة الواقعة منهم بهم وأخبر سبحانه انهم لو زايلوهم وتميزوا منهم لعذب أعداءه عذابا أليما فى الدنيا اما بالقتل والاسر واما بغيره ولكن دفع عنهم هذا العذاب لوجود هؤلاء المؤمنين بين أظهرهم كما كان يدفع عنهم عذاب الاستئصال ورسوله بين أظهرهم ثم أخبر سبحانه عما جعله الكفار فى قلوبهم من حمية الجاهلية التى مصدرها الجهل والظلم التى لاجلها صدوا رسوله وعباده عن بيته ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يقروا لمحمد بانه رسول الله مع تحققهم صدقه وتيقنهم صحة رسالته بالبراهين التى شاهدوها وسمعوا بها فى مدة عشرين سنة وأضاف هذا الجعل اليهم وان كان بقضائه وقدره كما تضاف اليهم سائر أفعالهم التى هى بقدرتهم وارادتهم ثم أخبر سبحانه انه أنزل فى قلب رسوله وأوليائه من السكينة ما هو مقابل لما فى قلوب أعدائه من حمية الجاهلية فكانت السكينة حظ رسوله وحزبه وحمية الجاهلية حظ المشركين وجندهم ثم ألزم عباده المؤمنين كلمة التقوى وهى جنس تعم كل كلمة يتقى الله بها وأعلى نوعها كلمة الاخلاص وقد فسرت ببسم الله الرحمن الرحيم وهى الكلمة التى أبت قريش ان تلتزمها فالزمها الله أولياءه وحزبه وانما حرمها أعداءه صيانة لها عن غير كفئها وألزمها من هو أحق بها وأهلها فوضعها فى موضعها ولم يضعها بوضعها فى غير أهلها وهو العليم بمحال تخصيصه ومواضعه ثم أخبر سبحانه أنه صدق رسوله رؤياه فى دخولهم المسجد آمنين وانه سيكون ولابد ولكن لم يكن قد آن وقت ذلك فى هذا العام والله سبحانه علم من مصلحة تأخيره الى وقته ما لم تعلموا أنتم فانتم أحببتم استعجال ذلك والرب تعالى يعلم من مصلحة التأخير وحكمته ما لم تعلموه فقدم بين يدى ذلك فتحا قريبا توطئة له وتمهيدا ثم أخبرهم بانه هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فقد تكفل الله لهذا الامر بالتمام والاظهار على جميع أديان أهل الارض ففى هذا تقوية لقلوبهم وبشارة لهم وتثبيت وأن يكونوا على

ثقة

الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا ثم قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم على الاسلام فصالحهم عليه وتوكل على الله ان الله كافيك انه هو السميع العليم (قال ابن هشام) جنحوا للسلم مالوا اليك للسلم الجنوح الميل قال لبيد بن ربيعة جنوح (1) الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال وهذا البيت فى قصيدة له والسلم أيضا الصلح وفى كتاب الله عز وجل

ثقة من هذا لوعد الذى لابد ان ينجزه فلا تظنوا ان ماوقع من الاغماض والقهر يوم الحديبية نصرة لعدوه ولا تخليا عن رسوله ودينه كيف وقد أرسله بدينه الحق ووعده ان يظهره على كل دين سواه ثم ذكر سبحانه رسوله وحزبه الذين اختارهم له ومدحهم باحسن المدح وذكر صفاتهم فى التوراة والانجيل فكان فى هذا أعظم البراهين على صدق من جاء بالتوراة والانجيل والقرآن وان هؤلاء هم المذكورون فى الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم لا كما يقول الكفار عنهم انهم متغلبون طالبو ملك ودنيا ولهذا لما رآهم نصارى الشام وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم وعلمهم ورحمتهم وزهدهم فى الدنيا ورغبتهم فى الآخرة قالوا ما الذين صحبوا المسيح بافضل من هؤلاء وكان هؤلاء النصارى أعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة اعدائهم الرافضة تصفهم بضد ما وصفهم الله به فى هذه الآية وغيرها ومن يهد الله فهو المهتدومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

(فصل) فى غزوة خيبر قال موسى بن عقبة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة أو قريبا منها ثم خرج غازيا الى خيبر وكان الله عز وجل وعده اياها وهو بالحديبية وقال مالك كان فتح خيبر فى السنة السادسة والجمهور على انها فى السابعة وقطع أبو محمد بن حزم بانها كانت فى السادسة بلا شك ولعل الخلاف مبنى على أول التاريخ هل هو شهر ربيع الاول شهر مقدمه المدينة أو من المحرم فى أول السنة وللناس فى هذا طريقان فالجمهور على ان التاريخ وقع من المحرم وأبو محمد بن حزم يرى انه من شهر ربيع الاول حين قدم وكان أول من أرخ بالهجرة يعلى بن أمية باليمن كما رواه الامام أحمد رضى الله عنه باسناد صحيح وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ست عشرة من الهجرة وقال ابن اسحق حدثنى الزهرى عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة انهما حدثاه جميعا قالا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فاعطاه الله عز وجل فيها خيبر وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه خيبر فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ذى الحجة فاقام بها حتى سار الى خيبر فى المحرم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجيع واد بين خيبر وغطفان فتخوف ان تمدهم غطفان فبات به حتى أصبح فغدا اليهم انتهى واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقدم أبو هريرة حينئذ المدينة فوافى سباع بن عرفطة فى صلاة الصبح فسمعه يقرأ فى الركعة الاولى كهيعص وفى الثانية ويل للمطففين فقال فى صلاته ويل لابى فلان له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافى واذا كال كال بالناقص فلما فرغ من صلاته أتى سباعا فزوده حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم المسلمين فاشركوه وأصحابه فى سهمانهم وقال سلمة بن الاكوع خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم بقوله

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فدى لك ما اقتفينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا * وانا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السائق قالوا عامر فقال رحمه الله فقال رجل من القوم

فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون ويقرأ الى السلم وهو ذلك المعنى قال زهير بن أبى سلمى

وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا البيت فى قصيدة له (قال ابن هشام) وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه كان يقول وان جنحوا للسلم للاسلام وفى كتاب الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ويقرأ السلم وهو الاسلام قال أمية بن أبى الصلت

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم
رسل الاله وما كانوا له عضدا

وهذا البيت فى قصيدة له وتقول العرب لدلو تعمل مستطيلة السلم قال طرفة بن العبد أحد بنى قيس ابن ثعلبة يصف ناقة

لها مرفقان أفتلان كانما
تمر بسلمى دالج متشدد

وهذا البيت فى قصيدة له وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك هو الذى أيدك بنصره بعد الضعف وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك الله به لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه انه عزيز حكيم ثم قال تعالى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية اشتد على

(1) قوله الهالكى أى الحداد والصيقل منسوبة الى الهالك بن أسد أول من عمل الحديد اه من هامش

و - بث وجبت يارسول الله لعامر يارسول الله لولا أمتعتنا به قال فاتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله تعالى فتح عليهم فلما أمسوا أوقدوا نيرانا كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه النيران على أى شئ توقدون قالوا على لحم قال على أى لحم قالوا على لحم حمر انسية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهريقوها واكسروها فقال رجل من القوم أونهريقها ونغسلها فقال أوذاك فلما تصاف القوم خرج مرحب يخطر بسيفه وهو يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاك السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

فنزل اليه عامر وهو يقول

قد علمت خيبر انى عامر * شاك السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر فذهب عامر يسفل له وكان سيف عامر فيه قصر فرجع عليه ذباب سيفه فاصاب عين ركبته فمات منه فقال سلمة للنبى صلى الله عليه وسلم زعموا ان عامرا حبط عمله فقال كذب من قال له اجران وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد قل عربى مشى بها مثله

(فصل ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم) خيبر صلى بها الصبح وركب المسلمون فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم ولايشعرون بل خرجوا لارضهم فلما رأوا الجيش قالوا محمد والله محمد والخميس ثم رجعوا هاربين الى مدينتهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ولما دنا النبى صلى الله عليه وسلم وأشرف عليها قال قفوا فوقف الجيش فقال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيها اقدموا بسم الله ولما كانت ليلة الدخول قال لاعطين هذه الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين على ابن أبى طالب فقالوا يارسول الله هو يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم فخرج مرحب وهو يقول

أنا الذى سمتنى أمى مرحب * شاك السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز اليه على وهو يقول

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحبا ففلق هامته وكان الفتح ولما دنا على رضى الله عنه من حصونهم اطلع يهودى من رأس الحصن قال من أنت فقال أنا على بن أبى طالب فقال اليهودى علوتم وما أنزل على موسى هكذا فى صحيح مسلم ان على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الذى قتل مرحبا وقال موسى بن عقبة عن الزهرى وأبى الاسود عن عروة ويونس بن بكير عن ابن اسحق حدثنى عبد الله بن سهل حدثنى حارثة

المسلمين وأعظموا ان يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسختها الآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين قال فكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم واذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم

* قال ابن اسحق ثم عاتبه الله تعالى فى الاسارى وأخذ المغانم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدو له * قال ابن اسحق حدثنى محمد أبو جعفر بن على بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم واحلت لى المغانم ولم تحلل لنبى كان قبلى وأعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبى قبلى * قال ابن اسحق فقال ما كان لنبى أى قبلك أن تكون له أسرى من عدوه حتى يثخن فى الارض أى يثخن عدوه حتى ينفيه من الارض تريدون عرض الدنيا أى المتاع الفداء بأخذ الرجال والله يريد الآخرة أى قتلهم لظهور الدين الذى تريدون اظهاره أى والذى تدرك به الآخرة لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أى من الاسارى والمغانم عذاب عظيم أى لولا انه سبق منى أنى لا اعذب الا بعد النهى ولم يك نهاهم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة منه وعائدة من الرحمن الرحيم فقال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ثم قال ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وحض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والانصار أهل ولايته فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير أى ان لا يوالى المؤمن المؤمن دون الكافر وان كان ذا رحم به تكن فتنة فى الارض أى شبهة فى الحق والباطل وظهور الفساد فى الارض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام ممن اسلم بعد الولاية من المهاجرين والانصار دونهم الى الارحام التى بينهم فقال والذين آمنوا من بعد

عن جابر بن عبد الله ان محمد بن مسلمة هو الذى قتله قال جابر فى حديثه خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر قد جمع سلاحه وهو يرتجز و يقول من يبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخى بالامس يعنى محمود بن مسلمة وكان قتل بخيبر فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم حمل على محمد فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به وضربه محمد بن مسلمة فقتله وكذلك قال سلمة بن سلامة ومجمع بن حارثة ان محمد بن مسلمة قتل مرحبا قال الواقدى وقيل ان محمد بن مسلمة ضرب ساقى مرحب فقطعهما فقال مرحب أجهز على يا محمد فقال محمد ذق الموت كما ذاقه أخى محمود وجاوزه ومر به على رضى الله عنه فضرب عنقه وأخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلبه فقال محمد بن مسلمة يا رسول الله ما قطعت رجليه ثم تركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا ان اجهز عليه فقال على رضى الله عنه صدق ضربت عنقه بعد ان قطع رجليه فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته وكان عند آل محمد بن مسلمة سيفه فيه كتاب لا يدرى ما فيه حتى قرأه يهودى فاذا فيه

هذا سيف مرحب * من يذقه يعطب

ثم خرج ياسر فبرز اليه الزبير فقالت صفية أمه يا رسول الله يقتل ابنى قال بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير قال موسى بن عقبة ثم دخل اليهود حصنا لهم منيعا يقال له القموص فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من عشرين ليلة وكانت أرضا وخمة شديدة الحر فجهد المسلمون جهدا شديدا فذبحوا الحمر فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكلها وجاء عبد اسود حبشى من أهل خيبر كان فى غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم ما تريدون قالوا نقاتل هذا الذى يزعم انه نبى فوقع فى نفسه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل بغنمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا تقول وما تدعو اليه قال أدعو الى الاسلام وان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وان لا تعبد الا الله قال العبد فمالى ان شهدت وآمنت بالله عز وجل قال لك الجنة ان مت على ذلك فاسلم ثم قال يا نبى الله ان هذه الغنم عندى أمانة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجها من عندك وارمها بالحصباء فان الله سيؤدى عنك أمانتك ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فعلم اليهودى ان غلامه قد أسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فوعظهم وحضهم على الجهاد فلما التقى المسلمون واليهود قتل فيمن قتل العبد الاسود واحتمله المسلمون الى معسكرهم فادخل فى الفسطاط فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع فى الفسطاط ثم أقبل على أصحابه وقال لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ولم يصل لله سجدة قط قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله انى رجل أسود اللون قبيح الوجه منتن الريح لا مال لى فان قاتلت هؤلاء حتى أقتل أأدخل الجنة قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فاتى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال لقد أحسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك ثم قال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين ينزعان جبته عنه يدخلان فيما بين جلده وجبته وقال شداد بن الهاد جاء رجل من الاعراب الى النبى صلى الله عليه وسلم فآمن

وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى بالميراث ان الله بكل شئ عليم

(جريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن معهم) * قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ثم من بنى هاشم ابن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين) ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم * وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم أسد الله وأسد رسوله عم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعلى بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم * وزيد بن حارثة ابن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبى أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) زيد بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان ابن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب ابن وبرة * قال ابن اسحق وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) أنسة حبشى وأبو كبشة فارسى * قال ابن اسحق وأبو مرثد كناز ابن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف ابن جلان بن غنم بن غنى بن يعصر ابن سعد بن قيس بن عيلان (قال ابن هشام) كناز بن حصين * قال ابن اسحق وابنه مرثد بن أبى مرثد حليفا حمزة بن عبد المطلب * وعبيدة بن الحرث بن المطلب وأخواه الطفيل بن الحرث والحصين بن الحرث * ومسطح واسمه عوف ابن اثاثة بن عباد بن المطلب اثنا عشر رجلا * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال واجرى يا رسول الله قال واجرك * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس * وسالم مولى أبى حذيفة (قال ابن

(قال ابن هشام) واسم أبي حذيفة مهشم (قال ابن هشام) وسالم سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس سيبته فانقطع الى أبي حذيفة فتبناه ويقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة فاعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى أبي حذيفة * قال ابن اسحق وزعموا ان صبيحا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجهز للخروج مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مرض فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وشهد بدرا من حلفاء بني عبد شمس ثم من بني اسد ابن خزيمة عبد الله بن جحش بن رياب ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير ابن غنم بن دودان بن اسد * وعكاشة ابن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد * وشجاع بن وهب بن ربيعة بن اسد بن صهيب بن مالك بن كبير ابن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عقبة بن وهب ويزيد بن رقيش بن رياب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن اسد * وأبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس أخو عكاشة بن محصن * وابنه سنان بن أبي سنان * ومحرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن اسد * وربيعة بن اكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن اسد * ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد ثقف بن عمرو وأخواه مالك بن عمرو ومدلج بن عمرو (قال ابن هشام) مدلاج بن عمرو * قال ابن اسحق وهم من بني حجرال بني سليم وأبو مخشي حليف لهم ستة عشر رجلا (قال ابن هشام) أبو مخشي طائي

واسمه سويد بن مخشي * قال ابن اسحق * ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب ابن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان * وخباب مولى عتبة بن غزوان رجلان * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وحاطب بن أبي بلتعة وسعد مولى حاطب ثلاثة نفر (قال ابن هشام) حاطب بن

به واتبعه فقال أهاجر معك فاوصى به بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقسمه وقسم للاعرابي فاعطى أصحابه ماقسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه اليه فقال ماهذا قالوا قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا يارسول الله قال قسم قسمته لك قال ماعلى هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على ان أرمى ههنا وأشار الى حلقه بسهم فاموت فادخل الجنة فقال ان تصدق الله يصدقك ثم نهضوا الى قتال العدو فاتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال اهو هو قالوا نعم قال صدق الله فصدقه فكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ثم قدمه فصلى عليه وكان من دعائه له اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا وأنا عليه شهيد قال الواقدي وتحولت اليهود الى قلعة الزبير حصن منيع في رأس قلة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له غزال فقال يا أبا القاسم انك لو أقمت شهرا ما بالوا ان لهم شرابا وعيونا تحت الارض يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعتهم فيمتنعون منك فان قطعت مشربهم عليهم أصحروا لك فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مائهم فقطعه عليهم فلما قطع عليهم خرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين نفر وأصيب نحو العشرة من اليهود وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل الكتيبة والوطيح والسلالم حصن ابن أبي الحقيق فتحصن أهله أشد التحصن وجاءهم كل فل كان انهزم من النطاة والشق فان خيبر كانت جانبين الاول الشق والنطاة وهو الذي افتتحه أولا الجانب والثاني الكتيبة والوطيح والسلالم فجعلوا لايخرجون من حصونهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح وأرسل ابن أبي الحقيق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل فاكلمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فنزل ابن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة الا ثوبا على ظهر انسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيأ فصالحوه على ذلك قال حماد بن سلمة أنبأنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم الى قصرهم فغلب على الزرع والنخل والارض فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيأ فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه الى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حيي بن أخطب مافعل مسك حيي الذي جاء به من النضير قال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب وقد كان قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا وأراد ان يجليهم منها فقالوا يا محمد دعنا

أبي بلتعة واسم أبي بلتعة عمرو لخمي وسعد مولى حاطب كلبي * قال ابن اسحق ومن بني عبد الدار بن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي رجلان * ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة * وسعد بن أبي وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة * وأخوه عمير بن أبي وقاص ومن حلفائهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن فائش بن دريم ابن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة (قال ابن هشام) ويقال هزل بن فاس ابن ذر ودهير بن ثور * قال ابن اسحق وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل * ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم ابن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة (قال ابن هشام) القارة لقب ولهم يقال قد أنصف القارة من راماها وكانوا رماة * قال ابن اسحق وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم ابن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة (قال ابن هشام) وانما قيل له ذو الشمالين لانه كان اعسر واسمه عمير * قال ابن اسحق وخباب بن الارت ثمانية نفر (قال ابن هشام) خباب بن الارت من بني تميم وله عقب وهم بالكوفة ويقال خباب من خزاعة * قال ابن اسحق ومن بني تيم بن مرة أبو بكر الصديق واسمه عتيق ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم (قال ابن هشام) اسم أبي بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه * قال ابن اسحق وبلال مولى أبي بكر وبلال مولد من مولدي بني جمح اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف وهو بلال بن رباح * وعامر بن فهيرة قال ابن هشام عامر بن فهيرة مولد من مولدي الاسد اسود اشتراه أبو بكر منهم * قال ابن اسحق وصهيب بن سنان من النمر بن قاسط (قال ابن هشام) النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار

دعنا نكون في هذه الارض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لا يفرغون يقومون عليها فأعطاهم خيبر على ان لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم وكان عبد الله بن رواحة يخرصه عليهم كما تقدم ولم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصلح الا ابني أبي الحقيق للنكث الذي نكثوا فانهم شرطوا ان غيبوا أو كتموا فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله فغيبوا فقال لهم أين المال الذي خرجتم به من المدينة حين أجليناكم قالوا ذهب فحلفوا على ذلك فاعترف ابن عم كنانة عليهما بالمال حتى دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير يعذبه فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانة الى محمد بن مسلمة فقتله ويقال ان كنانة هو كان قتل أخاه محمود بن مسلمة وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب وابنة عمها وكانت صفية تحت كنانة بن أبي الحقيق وكانت عروسا حديثة عهد بالدخول فأمر بلالا أن يذهب بها الى رحله فمر بها بلال وسط القتلى فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أذهبت الرحمة منك يا بلال وعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلمت فاصطفاها لنفسه وأعتقها وجعل عتقها صداقها وبنى بها في الطريق وأولم عليها ورأى بوجهها خضرة فقال ما هذا قالت يا رسول الله رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه وسقط في حجري ولا والله ما أذكر من شأنك شيئا فقصصتها على زوجي فلطم وجهي فقال تمنين هذا الملك الذي بالمدينة وشك الصحابة هل اتخذها سرية أو زوجة فقالوا انظروا ان حجبها فهي احدى نسائه والا فهي مما ملكت يمينه فلما ركب جعل ثوبه الذي ارتدى به على ظهرها ووجهها ثم شد طرفه تحته فتأخروا عنه في المسير وعلموا انها احدى نسائه ولما قدم ليحملها على الرحل أجلته ان تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه ثم ركبت ولما بنى بها بات أبو أيوب ليلته قائما قريبا من قبته آخذا بقائم السيف حتى أصبح فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر أبو أيوب حين رآه قد خرج فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا أيوب فقال له ارقت ليلتي هذه يا رسول الله لما دخلت بهذه المرأة ذكرت انك قتلت أباها وأخاها وزوجها وعامة عشيرتها فخفت ان تغتالك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له معروفا

(فصل وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم) خيبر على ستة وثلاثين سهما جمع كل سهم مائة سهم فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك وهو ألف وثمانمائة سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سهم كسهم أحد المسلمين وعزل النصف الآخر وهو ألف وثمانمائة سهم لنوائبه وما ينزل به من أمور المسلمين قال البيهقي وهذا لان خيبر فتح شطرها عنوة وشطرها صلحا فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغانمين وعزل ما فتح صلحا لنوائبه وما يحتاج اليه من أمور المسلمين قلت وهذا بناء منه على أصل الشافعي رحمه الله انه يجب قسم الارض المفتتحة عنوة كما تقسم سائر الغنائم فلما لم يجده قسم النصف من خيبر قال انه فتح صلحا ومن تأمل السير والمغازي حق التأمل تبين له ان خيبر انما فتحت عنوة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة ولو فتح شيء منها صلحا لم يجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فانه لما عزم على اخراجهم منها قالوا نحن أعلم بالارض منكم دعونا نكون فيها ونعمرها لكم بشطر ما يخرج منها وهذا صريح جدا في انها انما فتحت عنوة وقد حصل بين اليهود والمسلمين بها من الحراب والمبارزة والقتل

ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال انه رومى فقال بعض من ذكر انه من النمر بن قاسط انما كان أسيرا فى الروم فاشترى منهم وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم * قال ابن اسحق وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم كان بالشأم فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له بسهمه فقال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك خمسة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة ابن عبد الاسد واسم أبى سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وشماس ابن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم (قال ابن هشام) واسم شماس عثمان وانما سمى شماسا لان شماسا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة ابن ربيعة وكان خال شماس فأنا آتيكم بشماس أحسن منه فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب الزهرى وغيره * قال ابن اسحق والارقم بن أبى الارقم وأبو الارقم عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وعمار ابن ياسر (قال ابن هشام) عمار بن ياسر عنسى من مذحج * قال ابن اسحق ومعتب بن عوف بن عامر ابن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو حليف لهم من خزاعة وهو الذى يدعى عيهامة خمسة نفر (ومن بنى عدى بن كعب) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى * وأخوه زيد بن الخطاب * ومهجع مولى عمر بن الخطاب من أهل اليمن وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بدر رمى بسهم (قال ابن هشام) مهجع من عك بن عدنان * قال ابن اسحق وعمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس (١) بن اذاة بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب * وأخوه عبد الله بن أبو

من الفريقين ماهو معلوم ولكن لما الجئوا الى حصنهم نزلوا على الصلح الذى بذلوه أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والحلقة والسلاح ولهم رقابهم وذريتهم ويجلوا من الارض فهذا كان الصلح ولم يقع بينهم صلح ان شيأ من أرض خيبر لليهود ولا جرى ذلك البتة ولو كان كذلك لم يقل نقركم ماشئنا فكيف يقرهم فى أرضهم ماشاء ولا كان عمر أجلاهم كلهم من الارض ولم يصالحهم أيضا على ان الارض للمسلمين وعليها خراج يؤخذ منهم هذا لم يقع فانه لم يضرب على خيبر خراجا البتة فالصواب الذى لاشك فيه انها فتحت عنوة والامام مخير فى أرض العنوة بين قسمها ووقفها وقسم بعضها ووقف البعض وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الانواع الثلاثة فقسم قريظة والنضير ولم يقسم مكة وقسم شطر خيبر وترك شطرها وقد تقدم تقرير كون مكة فتحت عنوة بما لا مدفع له وانما قسمت على ألف وثمانمائة سهم لانها كانت طعمة من الله لاهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب وكانوا ألفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان فقسمت على ألف وثمانمائة سهم ولم يغب عن خيبر من أهل الحديبية الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها وقسم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهما وكانوا ألفا وأربعمائة وفيهم مائتا فارس هذا هو الصحيح الذى لاريب فيه وروى عبد الله العمرى عن نافع عن ابن عمر أنه أعطى الفارس سهمين والراجل سهما قال الشافعى رحمه الله كأنه سمع نافعا يقول للفرس سهمين وللراجل سهما فقال للفارس وليس يشك أحد من أهل العلم فى تقدم عبيد الله بن عمر على أخيه فى الحفظ وقد أنبأنا الثقة من أصحابنا عن اسحق الازرق الواسطى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب للفرس بسهمين وللفارس بسهم ثم روى من حديث أبى معاوية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه وهو فى الصحيحين وكذلك رواه الثورى وأبو أسامة عن عبيد الله قال الشافعى رحمه الله وروى مجمع بن حارثة أن النبى صلى الله عليه وسلم قسم سهام خيبر على ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فاعطى الفارس سهمين والراجل سهما قال الشافعى رحمه الله ومجمع بن يعقوب يعنى راوى هذا الحديث عن أبيه عن عمه عبد الرحمن بن يزيد عن عمه مجمع بن حارثة شيخ لا يعرف فاخذنا فى ذلك بحديث عبيد الله ولم نر له مثله خبرا يعارضه ولا يجوز رد خبر الا بخبر مثله قال البيهقى والذى رواه مجمع بن يعقوب باسناده فى عدد الجيش وعدد الفرسان قد خولف فيه ففى رواية جابر وأهل المغازى انهم كانوا ألفا وأربعمائة وهم أهل الحديبية وفى رواية ابن عباس وصالح ابن كيسان وبشير بن يسار وأهل المغازى ان الخيل كانت مائتى فرس وكان للفرس سهمان ولصاحبه سهم ولكل راجل سهم وقال أبو داود حديث أبى معاوية أصح والعمل عليه وأرى الوهم فى حديث مجمع انه قال ثلثمائة فارس وانما كانوا مائتى فارس وقد روى أبو داود أيضا من حديث أبى عمرة عن أبيه قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة نفر ومعنا فرس فأعطى كل انسان منا سهما وأعطى الفرس سهمين وهذا الحديث فى اسناده عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود وهو المسعودى وفيه ضعف وقد روى الحديث عنه على وجه آخر فقال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر ومعنا فرس فكان للفارس ثلاثة أسهم ذكره

(١) قوله ابن أذاة فى نسخة ابن أداة بالمهملة

سراقة * و واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف لهم * وخولى بن أبي خولى * ومالك بن أبي خولى حليفان لهم (قال ابن هشام) أبو خولى من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل (قال ابن هشام) عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى ابن دعمى بن جديلة * قال ابن اسحق وعامر بن البكير بن عبد ياليل ابن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث * وعاقل بن البكير * وخالد بن البكير * واياس بن البكير حلفاء بنى عدى بن كعب * وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح ابن عدى بن كعب قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك أربعة عشر رجلا (ومن بنى جمح ابن عمرو بن هصيص بن كعب) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان * وأخواه قدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح خمسة نفر (ومن بنى سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب) خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعيد بن سهم رجل * قال ابن اسحق ومن بنى عامر بن لؤى ثم من بنى مالك بن حسل بن عامر أبو سبرة ابن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل * وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود ابن نصر بن مالك * وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو فلما نزل الناس بدرا فر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدها معه * وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو * وسعد بن خولة حليف لهم خمسة نفر (قال ابن هشام) سعد بن خولة من اليمن * قال ابن اسحق ومن بنى الحرث بن فهر أبو عبيدة وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبي شداد بن

أبو داود أيضا

(فصل وفي هذه الغزوة قدم عليه صلى الله عليه وسلم) ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه ومعهم الاشعريون عبد الله بن قيس أبو موسى وأصحابه وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس قال أبو موسى بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو رهم والآخر أبو بردة في بضع وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده فقال جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا وأمرنا بالاقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر فاسهم لنا وما قسم لاحد غاب عن فتح خيبر شيئا الا لمن شهد معه الا لاصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم وكان ناس يقولون سبقنا كم بالهجرة قال ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة فدخل عليها عمر فقال من هذه قالت أسماء فقال عمر سبقنا كم بالهجرة نحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم فغضبت وقالت يا عمر كلا والله لقد كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في أرض البعداء البغضاء وذلك في الله وفي رسوله وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن كنا نخاف ونؤذى وسأذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله ان عمر قال كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت له قالت قلت له كذا وكذا فقال ليس باحق بي منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وكان أبو موسى وأصحاب السفينة يأتون أسماء ارسالا يسألونها عن هذا الحديث ما من الدنيا شئ هم أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه وقبل جبهته وقال والله ما أدرى بايهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وأما ما روى في هذه القصة ان جعفرا لما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حجل يعنى مشى على رجل واحدة اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله أشباه الذباب الرقاصون أصلا لهم في الرقص فقال البيهقى وقد رواه من طريق الثورى عن أبي الزبير عن جابر في اسناده الى الثورى من لا يعرف قلت ولو صح لكم لم يكن في هذا حجة على جواز التشبه بالذباب والتكسر والتخنث في المشى المنافى لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتجاج فان هذه الفعلة كانت من عادة الحبشة تعظيما لكبرائها كضرب الجوك عند الترك ونحو ذلك فجرى جعفر على تلك العادة وفعلها مرة ثم تركها لسنة الاسلام فاين هذا من القفز والتكسر والتثنى والتخنث وبالله التوفيق قال موسى بن عقبة كانت بنو فزارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم فراسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعينوهم وان يخرجوا عنهم ولكم من خيبر كذا وكذا فابوا عليه فلما فتح الله عليه خيبر أتاه من كان ثم من بنى فزارة فقالوا وعدك الذى وعدتنا فقال لكم ذو الرقيبة جبل من جبال خيبر فقالوا اذا نقاتلك فقال موعدكم كذا فلما سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا هاربين وقال الواقدى قال أبو شيم المزنى وكان قد أسلم فحسن اسلامه لما نفرنا الى أهلنا مع عيينة بن حصن رجع بنا عيينة فلما كان دون خيبر عرسنا من الليل ففزعنا فقال عيينة أبشروا انى أرى الليلة في النوم انى أعطيت ذا الرقيبة جبلا بخيبر قد والله أخذت برقبة محمد فلما قدمنا خيبر قدم عيينة فوجد رسول الله

وربيعة بن هلال بن أبي أهيب بن ضبة بن الحرث * وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث وأخوه صفوان بن وهب وهما ابنا بيضاء * وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث خمسة نفر فجميع من شهد بدرا من المهاجرين ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ثلاثة وثمانون رجلا (قال ابن هشام) وكثير من أهل العلم غير ابن اسحق يذكرون في المهاجرين ببدر في بني عامر بن لؤي وهب بن سعد بن أبي سرح وحاطب ابن عمرو وفي بني الحرث بن فهر عياض بن بن أبي زهير

《الانصار ومن معهم》

* قال ابن اسحق وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ثم من الاوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * سعد ابن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل * وعمرو بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل * والحرث ابن أوس بن معاذ بن النعمان * والحرث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس (ومن بني عبيد بن كعب بن عبد الاشهل) سعد بن زيد بن مالك بن عبيد (ومن بني زعورا بن عبد الاشهل) * قال ابن هشام (١) ويقال زعورا * سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعورا وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا وسلمة بن ثابت بن وقش * ورافع ابن يزيد بن كرز بن سكن بن زعورا * والحرث بن خزمة بن عدي بن أبي بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج حليف لهم من بني عوف بن الخزرج * ومحمد ابن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بني حارثة بن الحرث * وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن

ان

صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر فقال يا محمد أعطني ما غنمت من حلفائي فاني انصرفت عنك وعرفنا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن الصياح الذي سمعت نفرك الى أهلك قال أجدني يا محمد قال لك ذو الرقيبة قال وماذو الرقيبة قال الجبل الذي رأيت في النوم انك أخذته فانصرف عيينة فلما رجع الى أهله جاءه الحرث بن عوف فقال ألم أقل لك انك توضع في غير شئ والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب يهود كانوا يخبروننا بهذا أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول انا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بني هارون وهو نبي مرسل ويهود لا تطاوعني على هذا ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر قال الحرث قلت لسلام يملك الارض جميعا قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن يعلم يهودي بقولي فيه

《فصل وفي هذه الغزاة سم رسول الله صلى الله عليه وسلم》 أهدت له زينب بنت الحرث اليهودية امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية قد سمتها وسألت أي اللحم أحب اليه فقالوا الذراع فاكثرت من السم في الذراع فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بانه مسموم فلفظ الاكلة ثم قال اجمعوا الى من ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم اني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقي فيه قالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا أبونا فلان قال كذبتم أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت قال هل أنتم صادقي عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها فوالله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال هل أنتم صادقي عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم قال أجعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وجئ بالمرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على قالوا ألا نقتلها قال لا ولم يتعرض لها ولم يعاقبها واحتجم على الكاهل وأمر من أكل منها فاحتجم فمات بعضهم واختلف في قتل المرأة فقال الزهري أسلمت فتركها ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه ثم قال معمر والناس يقول قتلها النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو داود حدثنا وهب بن بقية قال حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية وذكر القصة وقال فمات بشر بن البراء بن معرور فارسل الى اليهودية ما حملك على الذي صنعت قال جابر فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت قلت كلاهما مرسل ورواه حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة متصلا انه قتلها لما مات بشر بن البراء وقد وفق بين الروايتين بانه لم يقتلها أولا فلما مات بشر قتلها وقد اختلف هل أكل النبي صلى الله عليه وسلم منها أولم يأكل وأكثر الروايات انه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى قال في وجعه الذي مات فيه ما زلت أجد من الاكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر فهذا أوان انقطاع الابهر مني قال الزهري فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا قال موسى بن عقبة وغيره وكان بين قريش حين سمعوا بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر تراهن عظيم وتبايع فمنهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر وكان الحجاج بن علاط السلمي قد أسلم وشهد فتح خيبر وكانت تحته أم شيبة أخت بني عبد الدار بن قصي وكان الحجاج مكثرا من المال كانت له معادن أرض بني سليم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على خيبر قال الحجاج بن علاط

(١) قوله ويقال زعورا ضبط في بعض النسخ الاول بفتح الزاي وضم العين وسكون الواو وضبط الثاني بفتح الزاي وسكون العين وفتح الواو

حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث (قال ابن هشام) أسلم ابن حريش بن عدى * قال ابن اسحق وأبو الهيثم بن التيهان وعبيد ابن التيهان (قال ابن هشام) ويقال عتيك بن التيهان * قال ابن اسحق وعبد الله بن سهل خمسة عشر رجلا (قال ابن هشام) عبد الله بن سهل أخو بنى زعوراء ويقال من غسان * قال ابن اسحق ومن بنى ظفر ثم من بنى سواد بن كعب وكعب هو ظفر (قال ابن هشام) ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد * وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد رجلان (قال ابن هشام) عبيد بن أوس الذى يقال له مقرن لانه قرن أربعة اسرى فى يوم بدر وهو الذى اسر عقيل بن أبى طالب يومئذ * قال ابن اسحق ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب نصر بن الحرث بن عبد * ومعتب بن عبيد * ومن حلفائهم ثم من بلى عبد الله بن طارق ثلاثة نفر (ومن بنى حارثة ابن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس) مسعود بن سعد ابن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة (قال ابن هشام) ويقال مسعود بن عبد سعد * قال ابن اسحق وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة * ومن حلفائهم ثم من بلى أبو بردة بن نيار واسمه هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب ابن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ثلاثة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف عاصم بن ثابت بن قيس وقيس أبو الاقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة * ومعتب بن قشير بن مليل ابن زيد بن العطاف بن ضبيعة * وأبو مليل بن الازعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة * وعمرو بن معبد بن الازعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة (قال ابن هشام) عمير ابن معبد * قال ابن اسحق وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحرث بن عمرو وهو الذى يقال له بحزج بن حنش ابن عوف بن عمرو بن عوف خمسة نفر (ومن بنى أمية بن زيد بن مالك) مبشر بن عبد المنذر بن زنبر ابن زيد بن أمية * ورفاعة بن عبد

ان لى ذهبا عند امرأتى وان تعلم هى وأهلها باسلامى فلا مال لى فأذن لى فلاسرع السير وأسبق الخبر ولاخبرن أخبارا اذا قدمت ادرأ بها عن مالى ونفسى فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم مكة قال لامرأته أخفى على واجمعى ما كان لى عندك من مال فانى أريد أن اشترى من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم وان محمدا قد أسر وتفرق عنه أصحابه وان اليهود قد أقسموا لتبعثن به الى مكة ثم لتقتلنه بقتلاهم بالمدينة وفشا ذلك بمكة واشتد على المسلمين وبلغ منهم وأظهر المشركون الفرح والسرور فبلغ العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم زجلة الناس وجلبتهم واظهارهم السرور فاراد ان يقوم ويخرج فانخزل ظهره فلم يقدر على القيام فدعا ابنا له يقال له قثم وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يرتجز ويرفع صوته لئلا يشمت به أعداء الله

قثم شبيه ذى الانف الاشم * فتى ذى النعم يرغم من رغم

وحشر الى باب داره رجال كثيرون من المسلمين والمشركين منهم المظهر للفرح والسرور ومنهم الشامت والمغرى ومنهم من به مثل الموت من الحزن والبلاء فلما سمع المسلمون رجز العباس وتجلده طابت نفوسهم وظن المشركون انه قد أتاه ما لم يأتهم ثم أرسل العباس غلاما له الى الحجاج وقال له ادخل به وقل له ويلك ما جئت به وما تقول فالذى وعد الله خير مما جئت به فلما كلمه الغلام قال له اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له فليخل بى فى بعض بيوته حتى آتيه فان الخبر على ما يسره فلما بلغ العبد باب الدار قال ابشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأنه لم يصبه بلاء قط حتى جاءه وقبل ما بين عينيه فاخبره بقول الحجاج فاعتقه ثم قال أخبرنى قال يقول لك الحجاج أخل به فى بعض بيوتك حتى يأتيك ظهرا فلما جاءه الحجاج وخلا به أخذ عليه لتكتمن خبرى فوافقه عباس على ذلك فقال له الحجاج جئت وقد افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وغنم أموالهم وجرت فيها سهام الله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى صفية بنت حيى لنفسه واعرس بها ولكن جئت لمالى أردت ان أجمعه واذهب به وانى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول فاذن لى فاخف على ثلاثا ثم اذكر ما شئت قال فجمعت له امرأته متاعه ثم شمر راجعا فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك قالت ذهب وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك فقال أجل لا يحزننى الله ولم يكن بحمد الله الا ما أحب فتح الله على رسوله خيبر وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كان لك فى زوجك حاجة فالحقى به قالت أظنك والله صادقا قال فانى والله صادق والامر على ما أقول لك قالت من أخبرك بهذا قال الذى أخبرك بما أخبرك ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش فلما رأوه قالوا والله هذا التجلد يا أبا الفضل ولا يصيبك الا خير قال أجل لم يصبنى الا خير والحمد لله أخبرنى الحجاج بكذا وكذا وقد سألنى ان أكتم عليه ثلاثا لحاجة فرد الله ما كان للمسلمين من كآبة وجزع على المشركين وخرج المسلمون من مواضعهم حتى دخلوا على العباس فاخبرهم الخبر فاشرقت وجوه المسلمين

(فصل فيما كان فى غزوة خيبر من الاحكام) الفقهية فمنها محاربة الكفار ومقاتلتهم فى الاشهر الحرم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية فى ذى الحجة فمكث بها ثم سار الى خيبر فى المحرم كذلك قال الزهرى عن عروة عن مروان والمسور بن مخرمة وكذلك قال الواقدى خرج فى أول

المنذر بن زنبر * وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية * وعويم بن ساعدة * ورافع بن عنجدة وعنجدة أمه فيما قال ابن هشام وعبيد بن أبي عبيد وثعلبة بن حاطب وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر والحرث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما وأمر أبا لبابة على المدينة فضرب

لهما بسهمين مع أصحاب بدر تسعة نفر (قال ابن هشام) ردهما من الروحاء

(قال ابن هشام) وحاطب بن عمرو ابن عبيد بن أمية واسم أبي لبابة بشير * قال ابن اسحق ومن بني عبيد بن زيد بن مالك انيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحرث ابن عبيد * ومن حلفائهم من بلي معن بن عدي بن الجد بن العجلان ابن ضبيعة * وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان * وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحرث بن عدي بن العجلان وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان * وربعي ابن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد ابن العجلان وخرج عاصم بن عدي ابن الجد بن العجلان فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر سبعة نفر (ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف) عبد الله بن جبير بن النعمان بن امية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة وعاصم بن قيس (قال ابن هشام) عاصم بن قيس ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة * قال ابن اسحق وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس ابن ثعلبة * وأبو حنة (قال ابن هشام) وهو أخو أبي ضياح ويقال أبو حبة ويقال لامرئ القيس البرك بن ثعلبة * قال ابن اسحق وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان ابن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة (قال ابن هشام) ويقال ثابت بن عمرو بن ثعلبة * قال ابن اسحق والحرث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة * وخوات بن جبير بن النعمان ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم مع أصحاب بدر سبعة نفر (ومن بني جحجبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف) منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي بن كلفة (قال ابن هشام) ويقال الحريس بن جحجبي * قال ابن اسحق ومن حلفائهم من بني أنيف أبو عقيل بن عبد الله بن

سنة سبع من الهجرة ولكن في الاستدلال بذلك نظر فان خروجه كان في أواخر المحرم لا في أوله وفتحها انما كان في صفر وأقوى من هذا الاستدلال بيعة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عند الشجرة بيعة الرضوان على القتال وان لا يفروا وكانت في ذي القعدة ولكن لا دليل في ذلك لانه انما بايعهم على ذلك لما بلغه انهم قد قتلوا عثمان وهم يريدون قتاله فحينئذ بايع الصحابة ولا خلاف في جواز القتال في الشهر الحرام اذا بدؤا انما الخلاف ان يقاتل فيه ابتداء فالجمهور جوزوه وقالوا تحريم القتال فيه منسوخ وهو مذهب الائمة الاربعة رحمهم الله وذهب عطاء وغيره الى انه ثابت غير منسوخ وكان عطاء يحلف بالله ما يحل القتال في الشهر الحرام ولا نسخ من تحريمه شيء وأقوى من هذين الاستدلالين الاستدلال بحصار النبي صلى الله عليه وسلم للطائف فانه خرج اليها في أواخر شوال فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة فبعضها كان في ذي القعدة فانه فتح مكة لعشر بقين من رمضان وأقام بها بعد الفتح تسع عشرة يقصر الصلاة فخرج الى هوازن وقد بقي من شوال عشرون يوما ففتح الله عليه هوازن وقسم غنائمها ثم ذهب منها الى الطائف فحاصرها بضعا وعشرين ليلة وهذا يقتضي ان بعضها في ذي القعدة بلا شك وقد قيل انما حاصرهم بضع عشرة ليلة قال ابن حزم وهو الصحيح بلا شك وهذا عجيب منه فمن أين له هذا التصحيح والجزم به وفي الصحيحين عن أنس بن مالك في قصة الطائف قال فحاصرناهم أربعين يوما فاستعصوا وتمنعوا وذكر الحديث فهذا الحصار وقع في ذي القعدة بلا ريب ومع هذا فلا دليل في القصة لان غزو الطائف كان من تمام غزوة هوازن وهم بدؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال ولما انهزموا دخل ملكهم وهو مالك بن عوف النضري مع ثقيف في حصن الطائف محاربين رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان غزوهم من تمام الغزوة التي شرع فيها والله أعلم وقال الله تعالى في سورة المائدة وهي من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد وقال في سورة البقرة يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله فهاتان آيتان مدنيتان بينهما في النزول نحو ثمانية أعوام وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ناسخ لحكمهما ولا أجمعت الامة على نسخه ومن استدل على نسخه بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة ونحوها من العمومات فقد استدل على النسخ بما لا يدل عليه ومن استدل عليه بان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عامر في سرية الى أوطاس في ذي القعدة فقد استدل بغير دليل لان ذلك كان من تمام الغزوة التي بدأ فيها المشركون بالقتال ولم يكن ابتداء منه لقتالهم في الشهر الحرام

(فصل ومنها قسمة الغنائم) للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم وقد تقدم تقريره ومنها انه يجوز لآحاد الجيش اذا وجد طعاما ان يأكله ولا يخمسه كما أخذ عبد الله بن المغفل جراب الشحم الذي دلي يوم خيبر واختص به بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها انه اذا لحق مدد بالجيش بعد ان تقضى الحرب فلا سهم له الا باذن الجيش ورضاهم فان النبي صلى الله عليه وسلم كلم أصحابه في أهل السفينة حين قدموا عليه بخيبر جعفر وأصحابه ان يسهم لهم فاسهم لهم

(فصل ومنها تحريم لحوم الحمر الانسية) صح عنه تحريمها يوم خيبر وصح عنه تعليل التحريم بانها رجس وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة انما حرمها لانها كانت ظهر القوم وحمولتهم فلما قيل له أفني الظهر وأكلت الحمر حرمها وعلى قول من قال انما حرمها لانها لم تخمس وعلى قول من قال

انما

انما حرمها لانها كانت حول القرية وكانت تأ كل العذرة وكل هذا فى الصحيح لكن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انها رجس مقدم على هذا كله لانه من ظن الراوى وقوله بخلاف التعليل بكونها رجسا ولا تعارض بين هذا التحريم وبين قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فانه لم يكن قد حرم حين نزول هذه الآية من المطاعم الا هذه الاربعة والتحريم كان يتجدد شيأ فشيأ فتحريم الحمر بعد ذلك تحريم مبتدأ لما سكت عنه النص لا انه رافع لما أباحه القرآن ولا مخصص لعمومه فضلا عن أن يكون ناسخا والله أعلم

(فصل ولم يحرم المتعة يوم خيبر) وانما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب وقد ظن طائفة من أهل العلم انه حرمها يوم خيبر واحتجوا بما فى الصحيحين من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وفى الصحيحين أيضا ان عليا رضى الله عنه سمع ابن عباس يلين فى متعة النساء فقال مهلا يا ابن عباس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الانسية وفى لفظ البخارى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية ولما رأى هؤلاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباحها عام الفتح ثم حرمها قالوا حرمت ثم أبيحت ثم حرمت قال الشافعى رضى الله عنه ولا أرى شيأ حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة قالوا نسخت مرتين وخالفهم فى ذلك آخرون وقالوا لم تحرم الا عام الفتح وقبل ذلك كانت مباحة قالوا وانما جمع على بن أبى طالب رضى الله عنه بين الاخبار بتحريمها وتحريم الحمر الاهلية لان ابن عباس كان يبيحهما فروى له على تحريمهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ردا عليه وكان تحريم الحمر يوم خيبر وقد ذكر يوم خيبر ظرفا لتحريم الحمر وأطلق تحريم المتعة ولم يقيده بزمن كما جاء ذلك فى مسند الامام أحمد باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وحرم متعة النساء وفى لفظ حرم متعة النساء وحرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر هكذا رواه سفيان بن عيينة مفصلا مميزا فظن بعض الرواة ان يوم خيبر زمن للتحريمين فقيدهما به ثم جاء بعضهم فاقتصر على أحد المحرمين وهو تحريم الحمر وقيده بالظرف فمن ههنا نشأ الوهم وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات ولا استأذنوا فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نقله أحد قط فى هذه الغزوة ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة لا فعلا ولا تحريما بخلاف غزاة الفتح فان قصة المتعة كانت فيها فعلا وتحريما مشهورة وهذه الطريقة أصح الطريقتين وفيها طريقة ثالثة وهى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرمها تحريما عاما البتة بل حرمها عند الاستغناء عنها وأباحها عند الحاجة اليها وهذه كانت طريقة ابن عباس حتى كان يفتى بها ويقول هى كالميتة والدم ولحم الخنزير تباح عند الضرورة وخشية العنت فلم يفهم عنه أكثر الناس ذلك وظنوا انه أباحها اباحة مطلقة وشببوا فى ذلك بالاشعار فلما رأى ابن عباس ذلك رجع الى القول بالتحريم

(فصل ومنها جواز المساقاة والمزارعة) بجزء مما يخرج من الارض من ثمر أو زرع كما عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على ذلك واستمر ذلك الى حين وفاته لم ينسخ البتة واستمر عمل خلفائه الراشدين عليه وليس هذا من باب المؤاجرة فى شئ بل من باب المشاركة وهو نظير المضاربة

ثعلبة بن تيحان بن عامر بن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عبد الله بن تيم بن اراش بن عامر بن (١) عميلة بن قسميل بن فران بن عمرو بن الحاف بن قضاعة رجلان (قال ابن هشام) ويقال تيم بن اراشة وقسميل بن فاران * قال ابن اسحق ومن بنى غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحا بن كعب بن حارثة بن غنم * ومنذر ابن قدامة بن عرفجة * ومالك بن قدامة بن عرفجة (قال ابن هشام) عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم * قال ابن اسحق والحرث بن عرفجة (قال ابن هشام) عرفجة بن كعب ابن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم * قال ابن اسحق وتميم مولى بنى غنم خمسة نفر (قال ابن هشام) تميم مولى سعد بن خيثمة * قال ابن اسحق ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف جبر بن عتيك بن الحرث بن قيس ابن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاويه * ومالك بن نميلة حليف لهم من مزينة * والنعمان بن عصر حليف لهم من بلى ثلاثة نفر فجميع من شهد بدرا من الاوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره أحد وستون رجلا *(وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر ثم من بنى الحرث بن الخزرج ثم من بنى امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحرث بن الخزرج) خارجة ابن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس * وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو ابن امرئ القيس * وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس أربعة نفر (ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج) بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد (قال

(١) قوله عميلة فى نسخة عبيلة وكتب عليه بالهامش ضبط فى كتاب الصحابة عبيلة وصوابه عبيلة

سواء فمن أباح المضاربة وحرم ذلك فقد فرق بين متماثلين

(فصل) ومنها انه دفع اليهم الارض على ان يعملوها من أموالهم ولم يدفع اليهم البذر ولا كان يحمل اليهم البذر من المدينة قطعا فدل على ان هديه عدم اشتراط كون البذر من رب الارض وانه يجوز أن يكون من العامل وهذا كان هدى خلفائه الراشدين من بعده وكما انه هو المنقول فهو الموافق للقياس فان الارض بمنزلة رأس المال فى القراض والبذر يجرى مجرى سقى الماء ولهذا يموت فى الارض ولا يرجع الى صاحبه ولو كان بمنزلة رأس مال المضاربة لاشترط عوده الى صاحبه وهذا يفسد المزارعة فعلم ان القياس الصحيح هو الموافق لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين فى ذلك والله أعلم

(فصل) ومنها خرص الثمار على رؤس النخل وقسمتها كذلك وان القسمة ليست بيعا ومنها الاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد ومنها جواز عقد المهادنة عقدا جائزا للامام فسخه متى شاء ومنها جواز تعليق عقد الصلح والامان بالشرط كما عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط أن لا يغيبوا ولا يكتموا ومنها جواز تقرير أرباب التهم بالعقوبة وان ذلك من الشريعة العادلة لا من السياسة الظالمة ومنها الاخذ فى الاحكام بالقرائن والامارات كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لكنانة المال كثير والعهد قريب فاستدل بهذا على كذبه فى قوله أذهبته الحروب والنفقة ومنها ان من كان القول قوله اذا قامت قرينة على كذبه لم يلتفت الى قوله ونزل منزلة الخائن ومنها ان أهل الذمة اذا خالفوا شيأ مما شرط عليهم لم يبق لهم ذمة وحلت دماؤهم وأموالهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهؤلاء الهدنة وشرط عليهم أن لا يغيبوا ولا يكتموا فان فعلوا حلت دماؤهم وأموالهم فلما لم يفوا بالشرط استباح دماءهم وأموالهم وبهذا اقتدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى الشروط التى اشترطها على أهل الذمة فشرط عليهم انهم متى خالفوا شيأ منها فقد حل له منهم ما يحل من أهل الشقاق والعداوة ومنها جواز نسخ الامر قبل فعله فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم بكسر القدور ثم نسخه عنهم بالامر بغسلها ومنها ان ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالذكاة لا جلده ولا لحمه وان ذبيحته بمنزلة موته وان الذكاة انما تعمل فى مأكول اللحم ومنها ان من أخذ شيأ من الغنيمة قبل قسمتها لم يملكه وان كان دون حقه وانه انما يملكه بالقسمة ولهذا قال فى صاحب الشملة التى غلها انها تشتعل عليه نارا وقال لصاحب الشراك الذى غله شراك من نار ومنها ان الامام مخير فى أرض العنوة بين قسمتها وتركها وقسم بعضها وترك بعضها ومنها جواز التفاؤل بل استحبابه بما يراه أو يسمعه مما هو من أسباب ظهور الاسلام واعلامه كما تفاءل النبى صلى الله عليه وسلم برؤية المساحى والفؤس والمكاتل مع أهل خيبر فان ذلك فأل فى خرابها ومنها جواز اجلاء أهل الذمة من دار الاسلام اذا استغنى عنهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم نقركم ما أقركم الله وقال لكبيرهم كيف بك اذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوما ثم يوما وأجلاهم عمر بعد موته صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب محمد بن جرير الطبرى وهو قول قوى يسوغ العمل به اذ رأى الامام فيه المصلحة ولا يقال أهل خيبر لم يكن لهم ذمة بل كانوا أهل هدنة فهذا كلام لا حاصل تحته فانهم كانوا أهل ذمة قد أمنوا بها على دمائهم وأموالهم أمانا مستمرا نعم لم تكن الجزية قد شرعت ونزل فرضها وكانوا أهل ذمة بغير جزية فلما نزل فرض الجزية استؤنف ضربها على من يعقد له الذمة من أهل الكتاب والمجوس فلم يكن

[illegible] وأخوه سماك بن سعد رجلان (ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج) سبيع بن قيس بن عيشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدى * وعباد بن قيس بن عيشة أخوه (قال ابن هشام) ويقال انه قيس بن عبسة بن أمية * قال ابن اسحق وعبدالله بن عبس ثلاثة نفر (ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج) يزيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر وهو الذى يقال له ابن فسحم رجل (قال ابن هشام) فسحم امه وهى امرأة من القين بن جسر * قال ابن اسحق ومن بنى جشم بن الحرث بن الخزرج وزيد بن الحرث بن الخزرج وهما التوأمان خبيب بن اساف بن عتبة ابن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم * وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد * وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة زعموا * وسفيان بن بشر أربعة نفر (قال ابن هشام) سفيان ابن نسر بن عمرو بن الحرث بن كعب بن زيد * قال ابن اسحق ومن بنى جدارة بن عوف بن الحرث بن الخزرج تميم ابن يعار بن قيس بن عدى بن أمية ابن جدارة * وعبدالله بن عمير من بنى حارثة (قال ابن هشام) ويقال عبدالله بن عمير بن عدى ابن أمية بن جدارة * قال ابن اسحق وزيد بن المزين بن قيس بن عدى بن امية بن جدارة (قال ابن هشام) زيد بن المرى * قال ابن اسحق وعبدالله بن عرفطة بن عدى بن أمية بن جدارة أربعة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى الابجر وهم بنو خدرة بن عوف بن الحرث ابن الخزرج عبدالله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الابجر رجل (ومن بنى عوف بن الخزرج) ثم من بنى عبيد بن مالك ابن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهم بنو الحبلى (قال ابن هشام) الحبلى سالم بن غنم بن عوف وانما سمى الحبلى لعظم بطنه * عبدالله بن عبدالله بن أبى بن مالك بن الحرث بن عبيد وانما سلول امرأة وهى أم أبى * وأوس بن خولى بن عبدالله بن الحرث بن عبيد رجلان (ومن بنى (1) جزء بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم) زيد بن وديعة

عدم

(1) فى نسخة جرى

عدم أخذ الجزية منهم لكونهم ليسوا من أهل ذمة بل لانها لم تكن نزل فرضها بعد وأما كون العقد غير مؤبد فذاك لمدة اقرارهم فى أرض خيبر لا لمدة حقن دمائهم ثم يستبيحها الامام متى شاء فلهذا قال نقركم ما أقركم الله أو ما شئنا ولم يقل نحقن دماءكم ما شئنا وهكذا كان عقد الذمة لقريظة والنضير عقدا مشروطا بأن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ومتى فعلوا فلا ذمة لهم وكانوا أهل ذمة بلا جزية اذ لم يكن نزل فرضها اذ ذاك واستباح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى نسائهم وذراريهم وجعل نقض العهد ساريا فى حق النساء والذرية وجعل حكم الساكت والمقر حكم الناقض والمحارب وهذا موجب هديه صلى الله عليه وسلم فى أهل الذمة بعد الجزية أيضا ان يسرى نقض العهد فى ذريتهم ونسائهم ولكن هذا اذا كان الناقضون طائفة لهم شوكة ومنعة أما اذا كان الناقض واحدا من طائفة لم يوافقه بقيتهم فهذا لا يسرى النقض الى زوجته وأولاده كما أن من أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دماءهم ممن كان يسبه لم يسب نساءهم وذريتهم فهذا هديه فى هذا وهو الذى لا محيد عنه وبالله التوفيق ومنها جواز عتق الرجل أمته وجعل عتقها صداقا لها ويجعلها زوجته بغير اذنها ولا شهود ولا ولى غيره ولا لفظ انكاح ولا تزويج كما فعل صلى الله عليه وسلم بصفية ولم يقل قط هذا خاص بى ولا أشار الى ذلك مع علمه باقتداء أمته به ولم يقل أحد من الصحابة ان هذا لا يصلح لغيره بل رووا القصة ونقلوها الى الامة ولم يمنعوهم ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقتداء به فى ذلك والله سبحانه لما خصه فى النكاح بالموهوبة قال خالصة لك من دون المؤمنين فلو كانت هذه خالصة له من دون أمته لكان هذا التخصيص أولى بالذكر لكثرة ذلك من السادات مع امائهم بخلاف المرأة التى تهب نفسها للرجل لندرته وقلته أو مثله فى الحاجة الى البيان ولا سيما والاصل مشاركة الامة له واقتداؤها به فكيف سكت عن منع الاقتداء به فى ذلك الموضع الذى لا يجوز مع قيام مقتضى الجواز هذا شبه المحال ولم تجتمع الامة على عدم الاقتداء به فى ذلك فيجب المصير الى اجماعهم وبالله التوفيق والقياس الصحيح يقتضى جواز ذلك فانه يملك رقبتها ومنفعة وطئها وخدمتها فله أن يسقط حقه من ملك الرقبة ويستبقى ملك المنفعة أو نوعا منها كما لو أعتق عبده وشرط عليه أن يخدمه ما عاش فاذا أخرج المالك رقبة ملكه واستثنى نوعا من منفعته لم يمنع من ذلك فى عقد البيع فكيف يمنع منه فى عقد النكاح ولما كانت منفعة البضع لا تستباح الا بعقد نكاح أو ملك يمين وكان اعتاقها يزيل ملك اليمين عنها كان من ضرورة استباحة هذه المنفعة جعلها زوجة وسيدها كان يلى نكاحها وبيعها ممن شاء بغير رضاها فاستثنى لنفسه ما كان يملكه منها ولما كان من ضرورته عقد النكاح ملكه لان بقاء ملكه المستثنى لا يتم الا به فهذا محض القياس الصحيح الموافق للسنة الصحيحة والله أعلم ومنها جواز كذب الانسان على نفسه وعلى غيره اذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير اذا كان يتوصل بالكذب الى حقه كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت المسلمين من ذلك الكذب وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الاذى والحزن فمفسدة يسيرة فى جنب المصلحة التى حصلت بالكذب ولا سيما تكميل الفرح والسرور وزيادة الايمان الذى حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب وكان الكذب سببا فى حصول هذه المصلحة الراجحة ونظير هذا الامام والحاكم يوهم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك الى استعلام الحق كما أوهم سليمان بن داود أحد المرأتين بشق الولد نصفين حتى يتوصل بذلك الى معرفة عين الام ومنها جواز بناء الرجل

ابن عمرو بن قيس بن جزء وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان * ورفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم * وعامر بن سلمة بن عامر حليف لهم من اليمن (قال ابن هشام) ويقال عمرو بن سلمة وهو من بلى من قضاعة * قال ابن اسحق وأبو حميضة معبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم (قال ابن هشام) معبد بن عباد بن قشعر بن الفدم ويقال عباد بن قيس بن الفدم * قال ابن اسحق وعامر ابن البكير حليف لهم ستة نفر (قال ابن هشام) عامر ابن العكير ويقال عاصم بن العكير * قال ابن اسحق ومن بنى سالم بن عوف ابن عمرو بن الخزرج ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم * نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك ابن العجلان رجل * ومن بنى اصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف (قال ابن هشام) هذا غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج وغنم بن سالم الذى قبله على ما قال ابن اسحق * عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم * وأخوه أوس بن الصامت رجلان (ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم) النعمان بن مالك بن ثعلبة ابن دعد والنعمان الذى يقال له قوقل رجل * ومن بنى قريوس ابن غنم ابن أمية بن لوذان بن سالم (قال ابن هشام) ويقال قريوس ابن غنم * ثابت بن هزال بن عمرو بن قريوس رجل (ومن بنى مرضخة بن غنم بن سالم) مالك ابن الدخشم بن مرضخة رجل (قال ابن هشام) ويقال مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة * قال ابن اسحق ومن بنى لوذان بن غنم بن سالم ربيع بن اياس بن (١) عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان * وأخوه ورقة ابن اياس * وعمرو بن اياس حليف لهم من أهل اليمن ثلاثة نفر (قال ابن هشام) ويقال عمرو بن اياس أخو ربيع وورقة * قال ابن اسحق ومن حلفائهم من بلى ثم من بنى غصينة (قال ابن هشام) غصينة أمهم وأبوهم عمرو بن عمارة * المجذر بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غصينة بن عمرو بن بثيرة بن مشنو بن

(١) فى نسخة ويقال عمرو بن أمية

(١) قسير بن تميم بن اراش بن عامر بن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة (قال ابن هشام) ويقال قشير بن تميم بن اراشة وقسميل بن فاران واسم المجذر عبد الله * قال ابن اسحق وعباد بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة * ونحاب بن ثعلبة بن خزمة بن اصرم بن عمرو بن عمارة (قال ابن هشام) ويقال نحاث بن ثعلبة * قال ابن اسحق وعبد الله بن ثعلبة ابن خزمة بن اصرم * وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم من بهراء قد شهد بدرا خمسة نفر (قال ابن هشام) عتبة بن بهز من بنى سليم * قال ابن اسحق ومن بنى ساعدة ابن كعب بن الخزرج ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة أبو دجانة سماك بن خرشة (قال ابن هشام) أبو دجانة سماك بن أوس ابن خرشة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة * قال ابن اسحق والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة رجلان (قال ابن هشام) ويقال المنذر بن عمرو بن لوذان بن حنيش * قال ابن اسحق ومن بنى البدى عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدى * ومالك بن مسعود وهو الى البدى رجلان (قال ابن هشام) مالك ابن مسعود بن البدى فيما ذكر لى بعض أهل العلم * قال ابن اسحق ومن بنى طريف ابن الخزرج بن ساعدة عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف رجل * ومن حلفائهم من جهينة كعب بن حمار بن ثعلبة (قال ابن هشام) ويقال كعب ابن جماز وهو من غبشان * قال ابن اسحق وضمرة وزياد وبسبس بنو عمرو (قال ابن هشام) ويقال ضمرة وزياد ابنا بشر * قال ابن اسحق وعبد الله بن عامر من بلى خمسة نفر (ومن بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة ابن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة) خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام *

بامرأته فى السفر وركوبها معه على دابة بين الجيش ومنها ان من قتل غيره بسم يقتل مثله قتل به قصاصا كما قتلت اليهودية ببشر بن البراء ومنها جواز الاكل من ذبائح أهل الكتاب وحل طعامهم ومنها قبول هدية الكافر فان قيل فلعل المرأة قتلت لنقض العهد لجرأتها بالسم لا قصاصا به قيل لو كان قتلها لنقض العهد لقتلت من حين أقرت انها سمت الشاة ولم يتوقف قتلها على موت الآكل منها فان قيل فهلا قتلت بنقض العهد قيل هذا حجة من قال ان الامام مخير فى ناقض العهد كالاسير فان قيل فأنتم توجبون قتله حتما كما هو منصوص أحمد وانما القاضى أبو يعلى ومن تبعه قالوا يخير الامام فيه قيل ان كانت قصة الشاة قبل الصلح فلا حجة فيها وان كانت بعد الصلح فقد اختلف فى نقض العهد بقتل المسلم على قولين فمن لم ير النقض به فظاهر ومن رأى النقض به فهل يتحتم قتله أو يتخير فيه أو يفصل بين بعض الاسباب الناقضة وبعضها فيتحتم قتله بسبب السبب ويخير فيه اذا نقضه بجرأته ولحوقه بدار الحرب وان نقضه بسواهما كالقتل والزنا بالمسلمة والتجسس على المسلمين واطلاع العدو على عوراتهم فالمنصوص تعين القتل وعلى هذا فهذه المرأة لما سمت الشاة صارت بذلك محاربة وكان قتلها مخيرا فيه فلما مات بعض المسلمين من السم قتلت حتما اما قصاصا واما النقض العهد بقتلها المسلم فهذا محتمل والله أعلم واختلف فى فتح خيبر هل كان عنوة أو كان بعضها صلحا وبعضها عنوة فروى أبو داود من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزى خيبر فأصبناها عنوة فجمع السبى وقال ابن اسحق سألت ابن شهاب فأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال وذكر أبو داود عن ابن شهاب بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال قال ابن عبد البر هذا هو الصحيح فى أرض خيبر انها كانت عنوة كلها مغلوبا عليها بخلاف فدك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم جميع أرضها على الغانمين لها الموجفين عليها بالخيل والركاب وهم أهل الحديبية ولم يختلف العلماء ان أرض خيبر مقسومة وانما اختلفوا هل تقسم الارض اذا غنمت البلاد أو توقف فقال الكوفيون الامام مخير بين قسمتها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأرض خيبر وبين ابقائها كما فعل عمر بسواد العراق وقال الشافعى رحمه الله تقسم الارض كلها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر لان الارض غنيمة كسائر أموال الكفار وذهب مالك رحمه الله الى ابقائها اتباعا لعمر لان الارض مخصوصة من سائر الغنيمة بما فعل عمر فى جماعة من الصحابة من ابقائها لمن يأتى بعده من المسلمين وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر يقول لولا أن يترك آخر الناس لا شئ لهم ما افتتح المسلمون قرية الا قسمتها سهمانا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر سهمانا وهذا يدل على ان أرض خيبر قسمت كلها سهمانا كما قال ابن اسحق وأما من قال ان خيبر كان بعضها صلحا وبعضها عنوة فقد وهم وغلط وانما دخلت عليهم الشبهة بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما فى حقن دمائهم فلما لم يكن أهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية مغنومين ظن ان ذلك لصلح ولعمرى ان ذلك فى الرجال والنساء والذرية كضرب من الصلح ولكنهم لم يتركوا أرضهم الا بالحصار والقتال فكان حكم أرضهما حكم سائر أرض خيبر كلها عنوة غنيمة مقسومة بين أهلها وربما شبه على من قال ان نصف خيبر صلح ونصفها عنوة بحديث يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم خيبر نصفين نصفا له ونصفا للمسلمين قال أبو عمر ولو صح هذا لكان معناه ان

النصف

(١) قوله ابن قسير فى بعض النسخ قشير وقوله ويقال القسير فى بعض النسخ ويقال قشير

النصف له مع سائر من وقع في ذلك النصف معه لانها قسمت على ستة وثلاثين سهما فوقع السهم للنبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه في ثمانية عشر سهما ووقع سائر الناس في باقيها وكلهم ممن شهد الحديبية ثم خيبر وليست الحصون التي أسلمها أهلها بعد الحصار والقتال صلحا ولو كانت صلحا لملكها أهلها كما ملك أهل الصلح أرضهم وسائر أموالهم فالحق في هذا ما قاله ابن اسحق دون ما قاله موسى بن عقبة وغيره عن ابن شهاب هذا آخر كلام أبي عمر قلت ذكر مالك عن ابن شهاب ان خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحا والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح قال مالك والكتيبة أرض خيبر وهو أربعون ألف عذق وقال مالك عن الزهري عن ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح بعض خيبر عنوة

(فصل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم) من خيبر الى وادي القرى وكان بها جماعة من اليهود وقد انضاف اليهم جماعة من العرب فلما نزلوا استقبلتهم يهود بالرمي وهم على غير تعبية فقتل مدعم عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس هنيأ له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فلما سمع بذلك الناس جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم بشراك أو شراكين فقال النبي صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار فعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة وراية الى الحباب بن المنذر وراية الى سهل بن حنيف وراية الى عباد بن بشر ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم انهم ان أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ثم برز آخر فقتله ثم برز آخر فبرز اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كلما قتل منهم رجل دعا من بقي الى الاسلام وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي باصحابه ثم يعود فيدعوهم الى الاسلام والى الله ورسوله فقاتلهم حتى أمسوا وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بايديهم وفتحها عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى وترك الارض والنخل بايدي اليهود وعاملهم عليها فلما بلغ يهود تيماء ما واطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا باموالهم فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لانهما داخلتان في أرض الشام ويرى أن ما دون وادي القرى الى المدينة حجاز وان ما وراء ذلك من الشام وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما كان ببعض الطريق سار ليله حتى اذا كان ببعض الطريق عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظا ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا بلال فقال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بابي أنت وأمي يا رسول الله فاقتادوا رواحلهم شيأ حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم قال هذا واد به شيطان فلما جاوزه أمرهم أن ينزلوا وان يتوضؤا ثم صلى سنة الفجر ثم أمر بلالا فاقام الصلاة وصلى بالناس ثم انصرف وقال يا أيها الناس ان الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فاذا نام أحدكم عن الصلاة أو نسيها

والحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام * وعمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام وتميم مولى خراش بن الصمة * وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام * ومعاذ بن عمرو بن الجموح * ومعوذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام * وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام * وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام * وحبيب بن أسود مولى لهم * وثابت بن ثعلبة ابن زيد بن الحرث بن حرام * وثعلبة الذي يقال له الجذع * وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن حرام اثنا عشر رجلا (قال ابن هشام) وكل ما كان ههنا الجموح فهو الجموح بن زيد بن حرام الا ما كان من جد الصمة فانه الجموح ابن حرام (قال ابن هشام) ويقال الصمة بن عمرو بن الجموح بن حرام (قال ابن هشام) عمير بن الحرث بن لبدة بن ثعلبة * قال ابن اسحق ومن بني عبيد بن عدي ابن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء * والطفيل بن مالك بن خنساء * والطفيل بن النعمان ابن خنساء * وسنان بن صيفي ابن صخر بن خنساء * وعبد الله ابن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء * وعتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء * وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء * وخارجة بن حمير * وعبد الله بن حمير حليفان لهم من أشجع من بني دهمان تسعة نفر (قال ابن هشام) ويقال جبار بن صخر ابن أمية بن خناس * قال ابن اسحق ومن بني خناس بن سنان بن عبيد يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس * ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس * وعبد الله بن النعمان بن بلدمة (قال ابن هشام) ويقال ابن بلذمة وبلدمة * قال ابن اسحاق والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدي (قال ابن هشام) ويقال سواد ابن رزن بن زيد بن ثعلبة * قال ابن اسحق ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة ويقال معبد بن قيس ابن صيفي بن صخر بن حرام بن ربيعة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدي بن

[illegible] ومن بنى النعمان بن سنان بن عبيد: عبدالله بن عبد مناف بن النعمان * وجابر بن عبدالله بن رئاب بن النعمان * وخليدة ابن قيس بن النعمان والنعمان بن سنان مولى لهم أربعة نفر * ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بنى حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد (قال ابن هشام) عمرو بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم * أبو المنذر وهو يزيد بن عامر ابن حديدة * وسليم بن عمرو بن حديدة * وقطبة بن عامر بن حديدة وعنترة مولى سليم بن عمرو أربعة نفر (قال ابن هشام) عنترة من بنى سليم بن منصور ثم من بنى ذكوان * قال ابن اسحق ومن بنى عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن غنم عبس ابن عامر بن عدى وثعلبة بن غنمة ابن عدى * وأبو اليسر وهو كعب ابن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ابن سواد * وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين بن كعب بن سواد وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم * ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ابن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى ابن (١) أذن بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تريد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ستة نفر (قال ابن هشام) أوس ابن عباد ابن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد (قال ابن هشام) وانما نسب ابن اسحق معاذ بن جبل فى بنى سواد وليس منهم لانه فيهم * قال ابن اسحق والذين كسروا آلهة بنى سلمة معاذ بن جبل وعبدالله بن أنيس وثعلبة بن غنمة وهم فى بنى سواد بن غنم * قال ابن اسحق ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ثم من بنى مخلد بن عامر بن زريق (قال ابن هشام) ويقال عامر بن الازرق قيس بن محصن بن خالد بن مخلد (قال ابن هشام) ويقال قيس بن حصن * قال ابن اسحق وأبو خالد وهو الحرث ابن قيس بن خالد بن مخلد * وجبير بن اياس بن خالد بن مخلد وأبو عبادة وهو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد * وأخوه عقبة بن عثمان بن

فليصلها كما كان يصليها فى وقتها ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر فقال ان الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلى فاضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبى حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاخبره بمثل ما أخبر به أبا بكر وقد روى ان هذه القصة كانت فى مرجعهم من الحديبية وروى انها كانت فى مرجعه من غزوة تبوك وقد روى قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حصين ولم يوقت مدتها ولا ذكر فى أى غزوة كانت وكذلك رواها أبو قتادة كلاهما فى قصة طويلة محفوظة وروى مالك عن زيد بن أسلم ان ذلك كان بطريق مكة وهذا مرسل وقد روى شعبة عن جامع بن شداد قال سمعت عبد الرحمن بن أبى علقمة قال سمعت عبدالله بن مسعود قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يكلأنا فقال بلال أنا فذكر القصة لكن قد اضطربت الرواة فى هذه القصة فقال عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن جامع ان الحارس فيها كان ابن مسعود وقال غندر عنه ان الحارس كان بلالا واضطربت الرواية فى تاريخها فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة عنه انها كانت فى غزوة تبوك وقال غيره عنه انها كانت فى مرجعهم من الحديبية فدل على وهم وقع فيها ورواية الزهرى عن سعيد سالمة من ذلك وبالله التوفيق

(فصل) فى فقه هذه القصة فيها ان من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها وفيها ان السنن الرواتب تقضى كما تقضى الفرائض وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفجر معها وقضى سنة الظهر وحدها وكان هديه صلى الله عليه وسلم قضاء السنن الرواتب مع الفرائض وفيها ان الفائتة يؤذن لها ويقام فان فى بعض طرق هذه القصة انه أمر بلالا فنادى بالصلاة وفى بعضها فامر بلالا فاذن وأقام ذكره أبو داود وفيها قضاء الفائتة جماعة وفيها قضاؤها على الفور لقوله فليصلها اذا ذكرها وانما أخرها عن مكان معرسهم قليلا لكونه مكانا فيه شيطان فارتحل منه الى مكان خير منه وذلك لا يفوت المبادرة الى القضاء فانهم فى شغل الصلاة وشأنها وفيها تنبيه على اجتناب الصلاة فى أمكنة الشيطان كالحمام والحش بطريق الاولى فان هذه منازله التى يأوى اليها ويسكنها فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم ترك المبادرة الى الصلاة فى ذلك الوادى وقال ان به شيطانا فما الظن بمأوى الشيطان وبيته

(فصل ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم) الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التى كانوا منحوهم اياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل فكانت أم سليم وهى أم أنس بن مالك أعطت رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاقا فأعطاهن أم أيمن مولاته وهى أم أسامة بن زيد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سليم عذاقها وأعطى أم أيمن مكانهن من حائطه مكان كل عذق عشرة

(فصل وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى المدينة بعد مقدمه من خيبر الى شوال وبعث فى خلال ذلك السرايا فمنها سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى نجد قبل بنى فزارة ومعه سلمة بن الاكوع فوقع فى سهمه جارية حسناء فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة ومنها سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين راكبا نحو هوازن فجاءهم الخبر فهربوا وجاؤا محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصرف راجعا الى المدينة فقال له الدليل هل لك فى جمع من خثعم جاؤا سائرين وقد أجدبت بلادهم فقال عمر لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قوله اذن فى نسخة أدى وفى نسخة ادن

بهم ولم يعرض لهم ومنها سرية عبد الله بن رواحة فى ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن أنيس الى البشير ابن وارام اليهودى فانه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم فأتوه بخيبر فقالوا أرسلنا اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم فى ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين فلما بلغوا قرقرة ثبار وهى من خيبر على ستة أميال ندم البشير فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله بن أنيس فزجر بعيره ثم اقتحم عن البعير يسوق القوم حتى اذا استمكن من البشير ضرب رجله فقطعها واقتحم البشير وفى يده مخرش من شوحط فضرب به وجه عبد الله فشجه مأمومة فانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل من اليهود أعجزهم شدا ولم يصب من المسلمين أحد وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه حتى مات ومنها سرية بشير بن سعد الانصارى الى بنى مرة بفدك فى ثلاثين رجلا تخرج اليهم فلقى رعاء الشاء فاستاق الشاء والنعم ورجع الى المدينة فادركه الطلب عند الليل فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فنى نبل بشير وأصحابه فولى منهم من ولى وأصيب منهم من أصيب وقاتل بشير قتالا شديدا ورجع القوم بنعمهم وشائهم وتحامل بشير حتى انتهى الى فدك فاقام عند يهود حتى برأت جراحه فرجع الى المدينة ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الحرقات من جهينة وفيهم أسامة بن زيد فلما دنا منهم بعث الامير الطلائع فلما رجعوا بخبرهم أقبل حتى اذا دنا منهم ليلا وقد اجتمعوا وهدؤا قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا أمرى فانه لا رأى لمن لا يطاع ثم رتبهم وقال يا فلان أنت وفلان و يا فلان أنت وفلان لا يفارق كل منكما صاحبه و زميله واياكم ان يرجع أحد منكم فاقول أين صاحبك فيقول لا أدرى فاذا كبرت فكبروا وجردوا السيوف ثم كبروا واحملوا حملة واحدة وأحاطوا بالقوم وأخذتهم سيوف الله فهم يضعونها حيث شاؤا منهم وشعارهم أمت أمت وخرج أسامة فى أثر رجل منهم يقال له نهيك بن مرداس فلما دنا منه ولحه بالسيف قال لا اله الا الله فقتله ثم استاقوا الشاء والنعم والذرية وكانت سهمانهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من النعم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بما صنع أسامة فكبر ذلك عليه وقال أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله فقال انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه ثم قال من لك بلا اله الا الله يوم القيامة فما زال يكرر ذلك عليه حتى تمنى أن يكون أسلم يومئذ وقال يا رسول الله أعطى الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدى فقال أسامة بعدك

﴿فصل وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ غالب بن عبد الله الكلبى الى بنى الملوح بالكديد وأمره أن يغير عليهم قال ابن اسحق فحدثنى يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهنى عن جندب ابن مكيث الجهنى قال كنت فى سريته فمضينا حتى اذا كنا بقديد لقينا به الحرث بن مالك بن البرصاء الليثى فاخذناه فقال انما جئت لاسلم فقال له غالب بن عبد الله ان كنت انما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة وان كنت على غير ذلك استوثقنا منك فاوثقه رباطا وخلف عليه رويجلا أسود وقال له امكث معه حتى نمر عليك فاذا نازعك فاحتز رأسه فمضينا حتى أتينا بطن الكديد فنزلناه عشية بعد العصر فبعثنى أصحابى اليه فعمدت الى تل يطلعنى على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس فخرج رجل منهم فنظر فرآنى منبطحا على التل فقال لامرأته انى لارى سوادا على هذا التل

خلدة بن مخلد * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد * ومسعود بن خلدة بن عامر بن مخلد سبعه نفر (ومن بنى خالد بن عامر بن زريق) عباد بن قيس بن عامر بن خالد رجل (ومن بنى خلدة بن عامر بن زريق) أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة * والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة (قال ابن هشام) بسر بن الفاكه * قال ابن اسحق ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة * وأخوه عائذ بن ماعص بن قيس ابن خلدة * ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة خمسة نفر (ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان * واخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان * وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان ثلاثة نفر (ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق) زياد ابن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر ابن عدى بن أمية بن بياضة * وفروة بن عمرو بن ودفة بن عبيد بن عامر بن بياضة (قال ابن هشام) ويقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان ابن عامر بن بياضة * ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة (قال ابن هشام) ويقال رخيلة * قال ابن اسحق وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة * وخليفة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة ستة نفر (قال ابن هشام) ويقال عليفة * قال ابن اسحق (ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج) رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة ابن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب رجل (ومن بنى النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غنم بن مالك بن النجار ثم من بنى ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم) أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة رجل (ومن بنى عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن ثابت بن خلد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة) رجل (قال ابن هشام) ويقال عشيرة * قال ابن اسحق (ومن بنى عمرو بن عبد بن عوف بن غنم) عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو * وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو رجلان (ومن بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم) حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد * وسليم بن قيس بن قهد واسم قهد خالد بن قيس بن عبيد

رجلان (قال ابن هشام) سراقة بن النعمان بن شعبة بن زيد * قال ابن اسحق (ومن بني عائذ بن ثعلبة بن غنم ويقال عابد فيما قال ابن هشام)
سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ * وعدي بن الزغباء حليف لهم من جهينة رجلان (ومن بني زيد بن ثعلبة بن غنم) مسعود بن أوس بن
زيد * وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد * ورافع بن الحرث بن سواد بن زيد ثلاثة نفر (ومن بني سواد

مارأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك فنظرت فقالت لا والله لا أفقد شيأ قال فناولتني قوسي وسهمين من نبلي فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان زائلا لتحرك فاذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا تمضغهما الكلاب على قال فامهلناه حتى اذا راحت روائحهم واحتلبوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا من قتلنا واستقنا النعم فوجهنا قافلين به وخرج صريخهم الى قومهم وخرجنا سراعا حتى نمر بالحرث ابن مالك وصاحبه فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا مالا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادي من قديد أرسل الله عز وجل من حيث شاء سيلا لا والله ما رأينا قبل ذلك مطرا فجاء بما لا يقدر أحد يقوم عليه فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون الينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ونحن نحدرها فذهبنا سراعا حتى أسندناها في المشلل ثم حدرناعنه فأعجزنا القوم بما في أيدينا وقد قيل ان هذه السرية هي السرية التي قبلها والله أعلم

(فصل ثم قدم حسيل بن نويرة) وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال تركت جمعا من يمن وغطفان وحيان وقد بعث اليهم عيينة اما أن تسيروا الينا واما أن نسير اليكم فارسلوا اليه أن سر الينا وهم يريدونك أو بعض أطرافك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر فذكر لهما ذلك فقالا جميعا ابعث بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار وخرج معهم حسيل دليلا فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا أسفل خيبر حتى دنوا من القوم فأغاروا على سرحهم وبلغ الخبر جمعهم فتفرقوا فخرج بشير في أصحابه حتى أتى محالهم فيجدها ليس بها أحد فرجع بالنعم فلما كانوا بسلاح لقوا عينا لعيينة فقتلوه ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انكشف جمع عيينة وتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابوا منهم رجلين فقدموا بهما على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلما فارسلهما وقال الحرث بن عوف لعيينة وقد لقيه منهزما تعدو به فرسه قف قال لا قدرخلفي الطلب فقال له الحرث أما آن لك أن تبصر بعض ما أنت عليه وان محمدا قد وطئ البلاد وأنت توضع في غير شيء قال الحرث فاقمت من حين زالت الشمس الى الليل وما أرى أحدا ولا طلبوه الا الرعب الذي دخله

(فصل وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم) أبا حدرد الاسلمي في سرية وكان من قصته ماذكره ابن اسحق ان رجلا من جشم بن معاوية يقال له قيس بن رفاعة أو رفاعة بن قيس أقبل في عدد كثير حتى نزلوا بالغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم وشرف في جشم قال فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم فقدم الينا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت وقال تبلغوا على هذه فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم قلت لهما اذا سمعتماني قد كبرت وشددت في العسكر فكبرا وشدا معي فوالله انا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيأ وقد غشينا الليل حتى

ابن مالك بن غنم) عوف ومعوذ ومعاذ بنو الحرث ابن رفاعة بن سواد وهم بنو عفراء (قال ابن هشام) عفراء بنت عبيد بن ثعلبة ابن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار ويقال رفاعة بن الحرث ابن سواد فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد ويقال نعيمان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعامر بن مخلد بن الحرث بن سواد * وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحرث بن سواد * وعصيمة حليف لهم من أشجع * ووديعة ابن عمرو حليف لهم من جهينة * وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي ابن سواد * زعموا أن أبا الحمراء مولى الحرث بن عفراء قد شهد بدرا عشرة نفر (قال ابن هشام) أبو الحمراء مولى الحرث بن رفاعة * قال ابن اسحق (ومن بني عامر بن مالك ابن النجار وعامر مبذول ثم من بني عتيك بن عمرو بن مبذول) ثعلبة ابن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك * وسهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك * والحرث بن الصمة بن عمرو بن عتيك كسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ثلاثة نفر * ومن بني عمرو ابن مالك بن النجار وهم بنو حديلة ثم من بني قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار (قال ابن هشام) حديلة بنت مالك

ابن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهي أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار فبنو معاوية ينتسبون اليها * قال ابن اسحق أبي بن كعب بن قيس وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس رجلان * ومن بني عدي بن عمرو بن مالك بن النجار (قال ابن هشام) وهم بنو مغالة بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ويقال انها من بني زريق وهي أم

حتى ذهبت فحمة العشاء وقد كان لهم راع قد سرح فى ذلك البلد فابطأ عليهم حتى تخوفوا عليه فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فاخذ سيفه فجعله فى عنقه وقال والله لاتبعن أثر راعينا هذا والله لقد أصابه شر فقال نفر ممن معه والله لا تذهب حتى نكفيك فقال لا يذهب الا أنا قالوا ونحن معك قال والله لا يتبعني منكم أحد وخرج حتى يمر بي فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته فى فؤاده فوالله ما تكلم فوثبت اليه فاحتززت رأسه ثم شددت فى ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى فكبرا فوالله ما كان الا النجاء ممن كان فيه عند ذلك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم واستقنا ابلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معى فاعطاني من تلك الابل ثلاثة عشر بعيرا فى صداقي فجمعت لى أهلي وكنت قد تزوجت امرأة من قومي فاصدقتها مائتى درهم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينه على نكاحى فقال والله ما عندى ما أعينك فلبثت أياما ثم ذكر هذه السرية

(فصل وبعث سرية) الى أضم وكان فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فى نفر من المسلمين فمر بهم عامر ابن الاضبط الاشجعي على قعود له معه متيع له ووطب من لبن فسلم عليهم بتحية الاسلام فامسكوا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فنزل فيهم القرآن يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا فلما قدموا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله ولما كان عام خيبر جاء عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الاضبط الاشجعي وهو سيد قيس وكان الاقرع بن حابس يرد عن محلم وهو سيد خندف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم عامر هل لكم أن تأخذوا الآن منا خمسين بعيرا وخمسين اذا رجعنا الى المدينة فقال عيينة بن بدر والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائى فلم يزل به حتى رضوا بالدية فجاؤا بمحلم حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه قال اللهم لا تغفر لمحلم وقالها ثلاثا فقام وانه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه قال ابن اسحق وزعم قومه انه استغفر له بعد ذلك قال ابن اسحق وحدثني سالم بن النضر قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فخلا بهم فقال يا معشر قيس سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه اياه أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب الله عليكم لغضبه أو يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته والله لتسلمنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بنى تميم كلهم يشهدون ان القتيل ما صلى قط فلأبطلن دمه فلما قال ذلك أخذوا الدية

(فصل) فى سرية عبد الله بن حذافة السهمي ثبت فى الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فى عبد الله بن حذافة السهمي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وثبت فى الصحيحين أيضا من حديث الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن على رضى الله عنه قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال

عدى بن عمرو بن مالك بن النجار فبنو عدى ينسبون اليها * أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى * وأبو شيخ بن أبي بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى (قال ابن هشام) أبو شيخ أبي بن ثابت أخو حسان بن ثابت * قال ابن اسحق وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ثلاثة نفر * ومن بنى عدى بن النجار ثم من عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار حارثة بن سراقة بن الحرث ابن عدى بن مالك بن عدى بن عامر * وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر وهو أبو حكيم * وسليط بن قيس ابن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر * وأبو سليط وهو أسيرة بن عمرو وعمرو أبو خارجة ابن قيس بن مالك بن عدى بن عامر * وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر * وعامر ابن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر * ومحرز ابن عامر بن مالك بن عدى بن عامر وسواد بن غزية بن أهيب حليف لهم من بلى ثمانية نفر (قال ابن هشام) ويقال سواد * قال ابن اسحق ومن بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار أبو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زعورا ابن حرام * وأبو الاعور بن الحرث بن ظالم بن عبس بن حرام (قال ابن هشام) ويقال أبو الاعور الحرث بن ظالم * قال ابن اسحق وسليم بن ملحان * وحرام بن ملحان واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد ابن حرام أربعة نفر (ومن بنى مازن ابن النجار ثم من بنى عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار) قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف * وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف وعصيمة حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة ثلاثة نفر (ومن بنى خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن) أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء * وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء رجلان (ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار) قيس ابن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحرث بن ثعلبة رجل (ومن بنى دينار بن النجار ثم من بنى مسعود بن عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن

بن عبد عمرو بن مسعود * والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود * وسليم بن الحرث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار وهو
أخو الضحاك والنعمان ابنى عبد عمرو لامهما * وجابر بن خالد بن عبد الاشهل بن حارثة * وسعد بن سهيل بن عبد الاشهل خمسة نفر (ومن
بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار) كعب بن زيد بن قيس * وبجير بن أبى بجير حليف لهم

فاغضبوه فى شئ فقال اجمعوا الى حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا فاوقدوا ثم قال ألم يامركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا الى وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فسكن غضبه وطفئت النار فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال لو دخلوها ما خرجوا منها انما الطاعة فى المعروف وهذا هو عبد الله بن حذافة السهمى فان قيل فلو دخلوها دخلوها طاعة لله ورسوله فى ظنهم فكانوا متأولين مخطئين فكيف يخلدون فيها قيل لما كان القاء نفوسهم فى النار معصية يكونون بها قاتلى أنفسهم فهموا بالمبادرة اليها من غير اجتهاد منهم هل هو طاعة وقربة أو معصية كانوا مقدمين على ما هو محرم عليهم ولا يسوغ طاعة ولى الامر فيه لانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وكانت طاعة من أمرهم بدخول النار معصية لله ورسوله فكانت هذه الطاعة هى سبب العقوبة لانها نفس المعصية فلو دخلوها لكانوا عصاة لله ورسوله وان كانوا مطيعين لولى الامر فلم تدفع طاعتهم لولى الامر معصيتهم لله ورسوله لانهم قد علموا أن من قتل نفسه فهو مستحق للوعيد والله قد نهاهم عن قتل أنفسهم فليس لهم ان يقدموا على هذا النهى طاعة لمن لا تجب طاعته الا فى المعروف فاذا كان هذا حكم من عذب نفسه طاعة لولى الامر فكيف من عذب مسلما لا يجوز تعذيبه طاعة لولى الامر وأيضا فاذا كان الصحابة المذكورون لو دخلوها لما خرجوا منها مع قصدهم طاعة الله ورسوله بذلك الدخول فكيف بمن حمله على ما لا يجوز من الطاعة الرغبة والرهبة الدنيوية واذا كان هؤلاء لو دخلوها لما خرجوا منها مع كونهم قصدوا طاعة الامير وظنوا ان ذلك طاعة لله ورسوله فكيف بمن دخلها من هؤلاء الملبسين اخوان الشياطين وأوهموا الجهال ان ذلك ميراث من ابراهيم الخليل وان النار قد تصير عليهم بردا وسلاما كما صارت على ابراهيم وخيارهم هؤلاء ملبوس عليه يظن أنه دخلها بحال رحمانى وانما دخلها بحال شيطانى فاذا كان لا يعلم بذلك فهو ملبوس عليه وان كان يعلم به فهو ملبس على الناس يوهمهم انه من أولياء الرحمن وهو من أولياء الشيطان وأكثرهم يدخلها بحال بهتانى وتحيل انسانى فهم فى دخولها فى الدنيا ثلاثة أصناف ملبوس عليه وملبس ومتحيل ونار الآخرة أشد عذابا وأبقى

(فصل) فى عمرة القضية قال نافع كانت فى ذى القعدة سنة سبع وقال سليمان التيمى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر بعث السرايا وأقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة ثم نادى فى الناس بالخروج قال موسى بن عقبة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل من عام الحديبية معتمرا فى ذى القعدة سنة سبع وهو الشهر الذى صده فيه المشركون عن المسجد الحرام حتى اذا بلغ يأجج وضع الاداة كلها الحجف والمجان والنبل والرماح ودخلوا بسلاح الراكب السيوف وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب بين يديه الى ميمونة بنت الحرث بن حزن العامرية فخطبها اليه فجعلت أمرها الى العباس بن عبد المطلب وكانت أختها أم الفضل تحته فزوجها العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا فى الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع فوقف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتجز متوشحا بالسيف يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * قد أنزل الرحمن فى تنزيله

رجلان (قال ابن هشام) بجير من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ثم من بنى جذيمة بن رواحة * قال ابن اسحق فجميع من شهد بدرا من الخزرج مائة وسبعون رجلا (قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج ببدر فى بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عتبان بن مالك بن عمرو ابن العجلان * ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان * وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان (ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهم فى بنى زريق) هلال بن المعلى ابن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد ابن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب * قال ابن اسحق فجميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ومن الاوس واحد وستون رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا

(ذكر من استشهد من المسلمين يوم بدر)

واستشهد من المسلمين يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ثم من بنى المطلب بن عبد مناف * عبيدة بن الحرث بن المطلب قتله عتبة بن ربيعة قطع رجله فمات بالصفراء رجل (ومن بنى زهرة بن كلاب) عمير بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو أخو سعد بن أبى وقاص فيما قال ابن هشام * وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة حليف لهم من خزاعة ثم من بنى غبشان رجلان (ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى) عاقل بن البكير حليف لهم من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة * ومهجع مولى عمر بن الخطاب رجلان (ومن بنى الحرث بن فهر) صفوان

ابن بيـ[illegible] ستة نفر (ومن الانصار ثم من بني عمرو بن عوف) سعد بن خيثمة * ومبشر بن عبد المنذر بن زنبر رجلان [illegible]
ابن الخزرج) يزيد بن الحرث وهو الذي يقال له ابن فسحم رجل (ومن بني سلمة ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة) عمير بن
الحمام رجل (ومن بني حبيب بن عبد الحارثة بن مالك بن غضب بن جشم) رافع بن المعلى رجل * قال ابن اسحق ومن
بني النجار حارثة بن سراقة بن الحرث رجل (ومن بني غنم بن مالك بن النجار) عوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء رجلان ثمانية نفر

(ذكر من قتل ببدر من المشركين)

وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف * حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ويقال اشترك فيه حمزة وعلي وزيد رضي الله عنهم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والحرث بن الحضرمي وعامر بن الحضرمي حليفان لهم قتل عامرا عمار بن ياسر وقتل الحرث النعمان بن عصر حليف الأوس فيما قال ابن هشام وعمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم قتل عمير بن أبي عمير سالم مولى أبي حذيفة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس قتله الزبير بن العوام والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله علي بن أبي طالب وعقبة ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس قتله عاصم بن ثابت ابن أبي الاقلح اخو بني عمرو بن عوف صبرا (قال ابن هشام) ويقال قتله علي بن أبي طالب * قال ابن اسحق وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتله عبيدة بن الحرث بن المطلب (قال ابن هشام) اشترك فيه هو وحمزة وعلي * قال ابن اسحق وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس قتله حمزة بن عبد المطلب والوليد بن عتبة بن ربيعة قتله علي بن أبي طالب وعامر بن عبد الله حليف لهم من بني انمار بن بغيض قتله علي بن أبي طالب اثنا عشر رجلا (ومن بني نوفل بن عبد مناف) الحرث بن عامر بن نوفل قتله فيما يذكرون خبيب بن اساف اخو بني الحرث بن

في صحف تتلى على رسوله * يارب اني مؤمن بقيله
اني رأيت الحق في قبوله * اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

وتغيب رجال من المشركين أن ينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حنقا وغيظا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فلما أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فقال سعد بن عبادة كذبت لا أم لك ليست بأرضك ولا أرض آبائك والله لا يخرج ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حويطبا أو سهيلا فقال اني قد نكحت منكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونضع الطعام فنأكل وتأكلون معنا فقالوا نناشدك الله والعقد الا خرجت عنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بطن سرف فأقام بها وخلف أبا رافع ليحمل ميمونة اليه حين يمسي فأقام حتى قدمت ميمونة ومن معها وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين وصبيانهم فبنى بها بسرف ثم أدلج وسار حتى قدم المدينة وقدر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى بها

(فصل وأما قول ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال فمما استدرك عليه وعد من وهمه قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وان كانت خالته ماتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعدما حل ذكره البخاري وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وقال أبو رافع تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما صح ذلك عنه وقال سعيد بن المسيب هذا عبد الله بن عباس يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم وانما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وكان الحل والنكاح جميعا فشبه ذلك على الناس وقد قيل انه تزوجها قبل ان يحرم وفي هذا نظر الا ان يكون وكل في العقد عليها قبل احرامه وأظن الشافعي ذكر ذلك قولا فالاقوال ثلاثة * أحدها انه تزوجها بعد حله من العمرة وهو قول ميمونة نفسها وقول السفير بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو رافع وقول سعيد بن المسيب وجمهور أهل النقل * والثاني انه تزوجها وهو محرم وهو قول ابن عباس وأهل الكوفة وجماعة * والثالث انه تزوجها قبل ان يحرم وقد حمل قول ابن عباس انه تزوجها وهو محرم على انه تزوجها في الشهر الحرام لا في حال الاحرام قالوا ويقال أحرم الرجل اذا عقد الاحرام وأحرم اذا دخل في الشهر الحرام وان كان حلالا بدليل قول الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ورعا فلم أر مثله مقتولا

وانما قتله وهو في المدينة حلالا في الشهر الحرام وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ولو قدر تعارض القول والفعل ههنا لوجب تقديم القول لان الفعل موافق للبراءة الاصلية والقول ناقل عنها فيكون رافعا لحكم البراءة الاصلية وهذا موافق لقاعدة الاحكام ولو قدم الفعل لكان رافعا

لموجب القول والقول رافع لموجب البراءة الاصلية فيلزم تغيير الحكم مرتين وهو خلاف قاعدة الاحكام والله أعلم

(فصل ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم) الخروج من مكة تبعتهم ابنة حمزة تنادى يا عم يا عم فتناولها على بن أبي طالب رضى الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر فقال على أنا أخذتها وهى ابنة عمى وقال جعفر ابنة عمى وخالتها تحتى وقال زيد ابنة أخى فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى أنت منى وأنا منك وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد أنت أخونا ومولانا متفق على صحته وفى هذه القصة من الفقه ان الخالة مقدمة فى الحضانة على سائر الاقارب بعد الابوين وان تزوج الحاضنة بقريب من الطفل لا يسقط حضانتها ونص أحمد رحمه الله تعالى فى رواية عنه على ان تزويجها لا يسقط حضانتها فى الجارية خاصة واحتج بقصة بنت حمزة هذه ولما كان ابن العم ليس محرما لم يفرق بينه وبين الاجنبى فى ذلك وقال تزوج الحاضنة لا تسقط حضانتها للجارية وقال الحسن البصرى لا يكون تزوجها مسقطا لحضانتها بحال ذكرا كان الولد أو أنثى وقد اختلف فى سقوط الحضانة بالنكاح على أربعة أقوال أحدها تسقط به ذكرا كان أو أنثى وهو قول مالك رضى الله عنه والشافعى رضى الله عنه وأبى حنيفة رضى الله عنه وأحمد رضى الله عنه فى احدى الروايات عنه والثانى لا يسقط بحال وهو قول الحسن وابن حزم والثالث ان كان الطفل بنتا لم تسقط الحضانة وان كان ذكرا سقطت وهذه رواية عن أحمد رحمه الله تعالى وقال فى رواية مهنى اذا تزوجت الام وابنها صغير أخذ منها قيل له والجارية مثل الصبى قال لا الجارية تكون معها الى سبع سنين وحكى ابن أبى موسى رواية أخرى عنه انها أحق بالبنت وان تزوجت الى ان تبلغ والرابع انها اذا تزوجت بنسيب من الطفل لم تسقط حضانتها وان تزوجت باجنبى سقطت ثم اختلف أصحاب هذا القول على ثلاثة أقوال أحدها انه يكفى كونه نسيبا فقط محرما كان أو غير محرم وهذا ظاهر كلام أصحاب أحمد رحمه الله تعالى واطلاقهم الثانى انه يشترط كونه مع ذلك ذا رحم محرم وهو قول الحنفية الثالث انه يشترط مع ذلك ان يكون بينه وبين الطفل ولادة بان يكون جدا للطفل وهذا قول بعض أصحاب أحمد رحمه الله تعالى ومالك والشافعى رضى الله عنهما وفى القصة حجة لمن قدم الخالة على العمة وقرابة الام على قرابة الاب فانه قضى بها لخالتها وقد كانت صفية عمتها موجودة اذ ذاك وهذا قول الشافعى ومالك وأبى حنيفة رضى الله عنهم وأحمد رحمه الله تعالى فى احدى الروايتين عنه وعنه رواية ثانية ان العمة مقدمة على الخالة وهى اختيار شيخنا وكذلك نساء الاب يقدمن على نساء الام لان الولاية على الطفل فى الاصل للاب وانما قدمت عليه الام لمصلحة الطفل وكمال تربيته وشفقتها وحنوها والاناث أقوم بذلك من الرجال فاذا صار الامر الى النساء فقط أو الرجال فقط كانت قرابة الاب أولى من قرابة الام كما يكون الاب أولى من كل ذكر سواه وهذا قوى جدا ويجاب عن تقديم خالة ابنة حمزة على عمتها بان العمة لم تطلب الحضانة والحضانة حق لها يقضى لها به بطلبه بخلاف الخالة فان جعفرا كان نائبا عنها فى طلب الحضانة ولهذا قضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لها فى غيبتها وأيضا فكما ان لقرابة الطفل ان يمنع الحاضنة من حضانة الطفل اذا تزوجت فللزوج ان يمنعها من أخذه وتفرغها له فاذا رضى الزوج باخذه حيث لا

وعلى اشترك فيه فيما قال ابن هشام وأبو البخترى وهو العاص بن هشام بن الحرث بن أسد قتله المجذر ابن ذياد البلوى (قال ابن هشام) أبو البخترى العاص بن هاشم * قال ابن اسحق ونوفل بن خويلد ابن أسد وهو ابن العدوية عدى خزاعة وهو الذى قرن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله حين أسلما فى حبل فكانا يسميان القرينين لذلك وكان من شياطين قريش قتله على بن أبى طالب خمسة نفر (ومن بنى عبد الدار بن قصى) النضر بن الحرث بن كلدة ابن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار قتله على بن أبى طالب صبرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء فيما يذكرون (قال ابن هشام) بالاثيل ويقال النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار * قال ابن اسحق وزيد بن مليص مولى عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار رجلان (قال ابن هشام) قتل زيد بن مليص بلال بن رباح مولى أبى بكر رضى الله عنهما وزيد حليف لبنى عبد الدار من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويقال قتله المقداد بن عمرو * قال ابن اسحق ومن بنى تيم بن مرة عمير ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم (قال ابن هشام) قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه * قال ابن اسحق وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتله صهيب بن سنان رجلان

(ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة) أبو جهل بن هشام واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود

فاحتز رأسه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ان يلتمس فى القتلى والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١) ويزيد بن عبد الله حليف لهم من بنى تميم (قال ابن هشام) ثم أحد بنى عمرو بن تميم وكان شجاعا قتله عمار بن ياسر * قال ابن اسحق وأبو مسافع الاشعرى حليف لهم قتله أبو دجانة الساعدى فيما قال ابن هشام وحرملة بن عمرو حليف لهم (قال ابن هشام) قتله خارجة بن زيد بن أبى زهير أخو بلحرث بن الخزرج ويقال بل على ابن أبى طالب (قال ابن هشام) وحرملة بن الاسد * قال ابن اسحق ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة (قال ابن هشام) قتله حمزة ابن عبد المطلب ويقال على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة قتله على بن أبى طالب ويقال قتله عمار بن ياسر فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ورفاعة بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع أخو بلحرث ابن الخزرج فيما قال ابن هشام والمنذر بن أبى رفاعة بن عائذ قتله معن بن عدى بن الجد بن العجلان حليف بنى عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام وعبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة ابن عائذ قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والسائب بن أبى السائب ابن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (قال ابن هشام) السائب ابن أبى السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الشريك السائب لا يشارى ولا يمارى وكان أسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا والله أعلم * وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين (قال ابن هشام) وذكر غير ابن اسحق ان الذى قتله الزبير بن

لا تسقط حضانتها القرابته أو لكون الطفل أنثى على رواية مكنت من أخذه وان لم يرض فالحق له والزوج ههنا قد رضى وخاصم فى القصة وصغية لم يكن منها طلب وأيضا فابن العم له حضانة الجارية التى لا تشتهى فى أحد الوجهين بل وان كانت تشتهى فله حضانتها أيضا وتسلم الى امرأة ثقة يختارها هو أو الى محرمه وهذا هو المختار لانه قريب من عصباتها وهو أولى من الاجانب والحاكم وهذه ان كانت طفلة فلا اشكال وان كانت ممن يشتهى فقد سلمت الى خالتها فهى وزوجها من أهل الحضانة والله أعلم وقول زيد ابنة أخى يريد الاخاء الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين حمزة لما واخى بين المهاجرين فانه واخى بين أصحابه مرتين فواخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض قبل الهجرة على الحق والمواساة فآخى بين أبى بكر وعمر وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبيدة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله والمرة الثانية آخى بين المهاجرين والانصار فى دار أنس بن مالك بعد مقدمه المدينة

(فصل) واختلف فى تسمية هذه العمرة بعمرة القضاء هل هو لكونها قضاء للعمرة التى صدوا عنها أو من المقاضاة على قولين تقدما قال الواقدى حدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال لم تكن هذه العمرة قضاء ولكن كان شرطا على المسلمين ان يعتمروا فى الشهر الذى حاصرهم فيه المشركون واختلف الفقهاء فى ذلك على أربعة أقوال أحدها أن من أحصر عن العمرة يلزمه الهدى والقضاء وهذا احدى الروايات عن أحمد رحمه الله تعالى بل أشهرها عنه والثانى لا قضاء عليه وعليه الهدى وهو قول الشافعى ومالك رضى الله عنهما فى ظاهر مذهبه ورواية أبى طالب عن أحمد رحمه الله تعالى والثالث يلزمه القضاء ولا هدى عليه وهو قول أبى حنيفة رضى الله عنه والرابع لا قضاء عليه ولا هدى وهو احدى الروايات عن أحمد رحمه الله فمن أوجب عليه القضاء والهدى احتج بان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحروا الهدى حين صدوا ثم قضوا من قابل قالوا والعمرة تلزم بالشروع فيها ولا يسقط الوجوب الا بفعلها ونحر الهدى لاجل التحلل قبل اتمامها وقالوا وظاهر الآية يوجب الهدى لقوله تعالى فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ومن لم يوجبهما قالوا لم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم الذين أحصروا معه بالقضاء ولا أحدا منهم ولا وقف الحل على نحرهم الهدى بل أمرهم أن يحلقوا رؤسهم وأمر من كان معه هدى أن ينحر هديه ومن أوجب الهدى دون القضاء احتج بقوله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ومن أوجب القضاء دون الهدى احتج بان العمرة تلزم بالشروع فاذا أحصر جاز له تأخيرها لعذر الاحصار فاذا زال الحصر أتى بها بالوجوب السابق ولا يوجب تخلل التحلل بين الاحرام بها أولا وبين فعلها فى وقت الامكان شيأ وظاهر القرآن يرد هذا القول ويوجب الهدى دون القضاء لانه جعل الهدى هو جميع ما على المحصر فدل على أنه يكتفى به منه والله أعلم

(فصل وفى نحره صلى الله عليه وسلم) لما أحصر بالحديبية دليل على ان المحصر ينحر هديه وقت حصره وهذا الاخلاف فيه اذا كان محرما بعمرة وان كان مفردا أو قارنا ففيه قولان أحدهما ان الامر كذلك وهو الصحيح لانه أحد النسكين فجاز الحل منه ونحر هديه وقت حصره كالعمرة لان العمرة لا تفوت وجميع الزمان وقت لها فاذا جاز الحل منها ونحر هديها من غير خشية فواتها فالحج

---

(١) قوله ويزيد فى نسخة ومرثد

العوام * قال ابن اسحق والاسود بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله حمزة بن عبد المطلب وحاجب بن السائب بن عويمر
ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم (قال ابن هشام) ويقال عائذ بن عمران بن مخزوم ويقال حاجز بن السائب والذى قتل حاجب
ابن السائب على ابي أبي طالب * قال ابن اسحق وعويمر بن السائب بن عويمر قتله النعمان بن مالك القوقلي

الذي يخشى فواته أولى وقد قال أحمد في رواية حنبل انه لا يحل ولا ينحر الهدى الى يوم النحر ووجه هذا ان للهدى محل زمان ومحل مكان فاذا عجز عن محل المكان لم يسقط عنه محل الزمان اتمكنه من الاتيان بالواجب في محله الزماني وعلى هذا القول لا يجوز له التحلل قبل يوم النحر لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله

(فصل وفي نحره صلى الله عليه وسلم) وحله دليل على أن المحصر بالعمرة يتحلل وهذا قول الجمهور وقد روى عن مالك رحمه الله ان المعتمر لا يتحلل لانه لا يخاف الفوت وهذا تبعد صحته عن مالك رحمه الله لان الآية انما نزلت في الحديبية وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كلهم محرمين بعمرة وحلوا كلهم وهذا مما لا يشك فيه أحد من أهل العلم

(فصل وفي ذبحه صلى الله عليه وسلم) بالحديبية وهي من الحل بالاتفاق دليل على ان المحصر ينحر هديه حيث أحصر من حل أو حرم وهذا قول الجمهور أحمد ومالك والشافعي رحمهم الله وعن أحمد رحمه الله رواية أخرى أنه ليس له نحر هديه الا في الحرم فيبعثه الى الحرم ويواطئ رجلا على أن ينحره في وقت يتحلل فيه وهذا يروى عن ابن مسعود رضي الله عنه وجماعة من التابعين وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وهذا ان صح عنهم فينبغي حمله على الحصر الخاص وهو أن يتعرض ظالم لجماعة أو لواحد وأما الحصر العام فالسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على خلافه والحديبية من الحل باتفاق الناس وقد قال الشافعي رحمه الله بعضها من الحل وبعضها من الحرم قلت ومراده ان أطرافها من الحرم والا فهي من الحل باتفاقهم وقد اختلف أصحاب أحمد رحمه الله في المحصر اذا قدر على أطراف الحرم هل يلزمه أن ينحر فيه فيه وجهان لهم والصحيح انه لا يلزمه لان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في موضعه مع قدرته على أطراف الحرم وقد أخبر الله سبحانه ان الهدى كان محبوسا عن بلوغ محله ونصب الهدى بوقوع فعل الصد عليه أي صدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدى عن بلوغ محله ومعلوم أن صدهم وصد الهدى استمر ذلك العام ولم يزل فلم يصلوا فيه الى محل احرامهم ولم يصل الهدى الى محل نحره والله أعلم

(فصل) في غزوة مؤتة وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام وكانت في جمادى الاولى سنة ثمان وكان سببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحرث بن عمير الازدي أحد بني لهب بكتابه الى الشام الى ملك الروم أو بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فاوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعث واستعمل عليه زيد بن حارثة وقال ان أصيب فجعفر بن أبي طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فتجهز الناس وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس امراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فبكى عبد الله بن رواحة فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله بالسلامة ودفع عنكم وردكم الينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا

حتى

مبارزة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعمرو بن سفيان وجابر ابن سفيان حليفان لهم من طيئ قتل عمرا زيد بن رقيش وقتل جابرا أبو بردة بن نيار فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق سبعة عشر رجلا (ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى) منبه بن الحجاج ابن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم قتله أبو اليسر أخو بني سلمة وابنه العاص بن منبه بن الحجاج قتله على بن أبي طالب فيما قال ابن هشام ونبيه بن الحجاج بن عامر قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص اشتركا فيه فيما قال ابن هشام وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم (قال ابن هشام) قتله على بن أبي طالب ويقال النعمان بن مالك القوقلي ويقال أبو دجانة * قال ابن اسحق وعاصم بن أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم قتله أبو اليسر أخو بني سلمة فيما قال ابن هشام خمسة نفر (ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قتله رجل من الانصار من بني مازن (قال ابن هشام) ويقال بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن أساف اشتركوا في قتله * قال ابن اسحق وابنه على بن أمية بن خلف قتله عمار بن ياسر وأوس بن معير ابن لوذان بن سعد بن جمح قتله على بن أبي طالب فيما قال ابن هشام ويقال قتله الحصين بن الحرث بن المطلب وعثمان بن مظعون اشتركا فيه فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ثلاثة نفر (ومن بني عامر بن لؤى) معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس قتله على بن أبي طالب ويقال قتله عكاشة بن محصن فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ومعبد بن وهب حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن

حتى يقال اذا مروا على جدثى * يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

ثم مضوا حتى نزلوا معان فبلغ الناس ان هرقل بالبلقاء فى مائة ألف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلى مائة ألف فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال يا قوم والله ان الذى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظفر واما شهادة فمضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم الجموع بقرية يقال لها مشارف فدنا العدو وانحاز المسلمون الى مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى المسلمون ثم اقتتلوا والراية فى يد زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل بها حتى شاط فى رماح القوم وخر صريعا وأخذها جعفر فقاتل حتى اذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها ثم قاتل حتى قتل فكان جعفر أول من عقر فرسه فى الاسلام عند القتال فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة ثم أخذها عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بها صلبك فانك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت فأخذها من يده فانتهش منها نهشة ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس فقال وأنت فى الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بنى عجلان فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم وحاش بهم ثم انحاز بالمسلمين وانصرف بالناس وقد ذكر ابن سعد ان الهزيمة كانت على المسلمين والذى فى صحيح البخارى ان الهزيمة كانت على الروم والصحيح ما ذكره ابن اسحق ان كل فئة انحازت عن الاخرى واطلع الله سبحانه على ذلك رسوله من يومهم ذلك فأخبر به أصحابه وقال لقد رفعوا الى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سرير صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى وذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن جدعان عن ابن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل لى جعفر وزيد وابن رواحة فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فيه صدود قال فسألت أو قيل لى انهما حين غشيهما الموت عرضا أو كأنهما صدا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جعفر ان الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء قال أبو عمر وروينا عن ابن عمر انه قال وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح وقال موسى بن عقبة قدم يعلى بن منبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرنى وان شئت أخبرتك قال اخبرنى يا رسول الله فأخبره صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفهم له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معتركهم واستشهد يومئذ جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ومسعود بن الاوس ووهب بن سعد بن أبى سرح

ليث قتل معبدا خالد واياس ابنا البكير ويقال أبو دجانة فيما قال ابن هشام رجلان * قال ابن اسحق فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر خمسون رجلا (قال ابن هشام) حدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو ان قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا والاسرى كذلك وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وفى كتاب الله تبارك وتعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقوله لاصحاب أحد وكان من استشهد منهم سبعين رجلا يقول قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا وأنشدنى أبو زيد الانصارى لكعب بن مالك

فاقام بالعطن المعطن منهم
سبعون عتبة منهم والاسود

(قال ابن هشام) يعنى قتلى بدر وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها ان شاء الله تعالى فى موضعها (قال ابن هشام) وممن لم يذكر ابن اسحق من هؤلاء السبعين القتلى من بنى عبد شمس ابن عبد مناف وهب بن الحرث من بنى انمار بن بغيض حليف لهم وعامر بن زيد حليف لهم من اليمن رجلان (ومن بنى اسد بن عبد العزى) عقبة بن زيد حليف لهم من اليمن وعمير مولى لهم رجلان (ومن بنى عبد الدار بن قصى) نبيه ابن زيد بن مليص وعبيد بن سليط حليف لهم من قيس رجلان (ومن بنى تيم بن مرة) مالك بن عبيد الله ابن عثمان وهو اخو طلحة بن عبيد الله ابن عثمان اسر فمات فى الاسارى فعد فى القتلى ويقال وعمرو بن عبد الله بن جدعان رجلان (ومن بنى مخزوم بن يقظة) حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله سعد بن أبى وقاص وهشام بن أبى حذيفة ابن المغيرة قتله صهيب بن سنان وزهير بن أبى رفاعة قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة والسائب بن أبى رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف وعائذ بن السائب بن عويمر اسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه اياها حمزة بن عبد المطلب وعمير حليف لهم من طيئ وخيار حليف لهم من القارة سبعة نفر (ومن بنى جمح بن عمرو) سبرة بن مالك حليف لهم رجل (ومن بنى سهم بن عمرو) الحرث بن منبه بن الحجاج قتله صهيب بن سنان وعامر بن أبى عوف بن ضبيرة اخو عاصم بن ضبيرة قتله عبد الله بن سلمة العجلانى ويقال أبو دجانة رجلان

وعباد بن قيس وحارثة بن النعمان وسراقة بن عمرو بن عطية وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد وعامر وعمرو ابنا سعيد بن الحرث وغيرهم قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث عن زيد بن أرقم قال كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فخرج في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلة اذ سمعته وهو ينشد

اذا أدنيتني وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك والنعمى وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي وراء
وجاء المسلمون وغادروني * بارض الشام مشتهر الثواء

(فصل وقد وقع في الترمذي) وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعبد الله بن رواحة بين يديه ينشد *خلوا بني الكفار عن سبيله الابيات وهذا وهم فان ابن رواحة قتل في هذه الغزوة وهي قبل الفتح باربعة أشهر وانما كان ينشد بين يديه شعر ابن رواحة وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل النقل

(فصل في غزوة ذات السلاسل) وهي وراء وادي القرى بضم السين الاولى وفتحها لغتان وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان قال ابن سعد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون ان يدنوا الى أطراف المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره ان يستعين بمن مر به من بلي وعذرة وبلقين فسار الليل وكمن النهار فلما قرب من القوم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث له سراة المهاجرين والانصار وفيهم أبو بكر وعمر وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا وأنا الامير فاطاعه أبو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وطئ بلاد قضاعة فدوخها حتى أتى الى أقصى بلادهم ولقي في آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا وبعث عوف بن مالك الاشجعي بريدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم وذكر ابن اسحق نزولهم على ماء بجذام يقال له السلسل قال وبذلك سميت ذات السلاسل قال الامام أحمد حدثنا محمد ابن عدي عن داود عن عامر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش ذات السلاسل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الاعراب وقال لهما تطاوعا قال وكانوا أمروا ان يغيروا على بكر فانطلق عمرو وأغار على قضاعة لان بكرا أخواله قال فانطلق المغيرة بن شعبة الى أبي عبيدة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا وان ابن فلان قد اتبع أمر القوم فليس لك معه أمر فقال أبو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ان نتطاوع فانا أطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان عصاه عمرو

(فصل وفي هذه الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص) وكانت ليلة باردة فخاف على نفسه من الماء فتيمم وصلى باصحابه الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وأنت جنب فاخبره بالذي منعه من الاغتسال وقال اني سمعت الله يقول ولا تقتلوا أنفسكم

(ذكر أسرى قريش يوم بدر) *قال ابن اسحق واسر من المشركين من قريش يوم بدر ثم من بني هاشم بن عبد مناف عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم *ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم (ومن بني المطلب بن عبد مناف) السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب رجلان *ومن بني عبد شمس بن عبد مناف عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس والحرث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ويقال ابن أبي وجزة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس * ومن حلفائهم أبو ريشة بن أبي عمرو وعمرو بن الازرق وعقبة بن عبد الحرث بن الحضرمي سبعة نفر * ومن بني نوفل بن عبد مناف عدي بن الخيار ابن عدي بن نوفل وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر حليف لهم من بني مازن بن منصور وأبو ثور حليف لهم ثلاثة نفر * ومن بني عبد الدار بن قصي أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والاسود بن عامر حليف لهم ويقولون نحن بنو الاسود بن عامر بن الحرث بن السباق رجلان * ومن بني أسد ابن عبد العزى بن قصي السائب ابن أبي حبيش بن المطلب بن أسد والحويرث بن عباد بن عثمان بن اسد (قال ابن هشام) هو الحرث بن عائذ بن عثمان بن اسد * قال ابن اسحق وسالم بن شماخ حليف لهم ثلاثة نفر * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو المنذر بن أبي رفاعة ابن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والمطلب بن حنطب بن الحرث ابن عبيد بن عمر بن مخزوم وخالد بن الاعلم حليف لهم وهو كان فيما يذكرون أول من ولى فارا منهزما وهو الذي يقول

ان الله كان بكم رحيما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيأ وقد احتج بهذه القصة من قال ان التيمم لا يرفع الحدث لان النبي صلى الله عليه وسلم سماه جنبا بعد تيممه وأجاب من نازعهم فى ذلك بثلاثة أجوبة * أحدها ان الصحابة لما شكوه قالوا صلى بنا الصبح وهو جنب فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال صليت باصحابك وأنت جنب استفهاما واستعلاما فلما أخبره بعذره وانه تيمم للحاجة أقره على ذلك * الثاني ان الرواية اختلفت عنه فروى عنه فيها انه غسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم ولم يذكر التيمم وكأن هذه الرواية أقوى من رواية التيمم قال عبد الحق وقد ذكرها وذكر رواية التيمم قبلها ثم قال وهذا أوصل من الاول لانه عن عبد الرحمن بن جبير المصرى عن أبي القيس مولى عمرو عن عمرو والاولى التى فيها التيمم من رواية عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما أبا قيس * الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستعلم فقه عمرو فى تركه الاغتسال فقال له صليت باصحابك وأنت جنب فلما أخبره انه تيمم للحاجة علم فقهه فلم ينكر عليه ويدل عليه ان مافعله عمرو من التيمم والله أعلم خشية الهلاك بالبرد كما أخبر به والصلاة بالتيمم فى هذه الحال جائزة غير منكر على فاعلها فعلم انه أراد استعلام فقهه وعلمه والله أعلم

(فصل فى سرية الخبط) وكان أميرها أبا عبيدة بن الجراح وكانت فى رجب سنة ثمان فيما أنبأنا به الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس فى كتاب عيون الاثر له وهو عندى وهم كما سنذكره ان شاء الله تعالى قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى ثلثمائة رجل من المهاجرين والانصار وفيهم عمر بن الخطاب الى حى من جهينة بالقبلية مما يلى ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال فاصابهم فى الطريق جوع شديد فأكلوا الخبط وألقى اليهم البحر حوتا عظيما فأكلوا منه ثم انصرفوا ولم يلقوا كيدا وفى هذا نظر فان فى الصحيحين من حديث جابر قال بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عير القريش فاصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط فسمى جيش الخبط فنحر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ان أبا عبيدة نهاه فالقى الينا البحر دابة يقال لها العنبر فاكلنا منه نصف شهر وادهنا منه حتى ثابت منه أجسامنا وصلحت وأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنظر الى أطول رجل فى الجيش وأطول جمل فحمل عليه ومر تحته وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شئ تطعمونا فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكل قلت وهذا السياق يدل على ان هذه الغزوة كانت قبل الهدنة وقبل عمرة الحديبية فانه من حين صالح أهل مكة بالحديبية لم يكن يرصد لهم عيرا بل كان زمن أمن وهدنة الى حين الفتح ويبعد أن تكون سرية الخبط على هذا الوجه مرتين مرة قبل الصلح ومرة بعده والله أعلم

(فصل فى فقه هذه القصة) ففيها جواز القتال فى الشهر الحرام ان كان ذكر التاريخ فيها برجب محفوظا والظاهر والله أعلم انه وهم غير محفوظ اذ لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه غزا فى الشهر الحرام ولا أغار فيه ولا بعث فيه سرية وقد عير المشركون المسلمين لقتالهم فى أول رجب فى قصة العلاء بن الحضرمى فقالوا استحل محمد الشهر الحرام وأنزل الله فى ذلك يسألونك عن الشهر الحرام

ولسنا على الادبار تدمى كلومنا * ولكن على اقدامنا يقطر الدم

(قال ابن هشام) ويروى لسنا على الاعقاب وخالد بن الاعلم من خزاعة ويقال عقيلى * قال ابن اسحق ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى أبو وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم كان أول أسير افتدى من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبى وداعة وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعيد بن سهم وحنظلة بن قبيصة ابن حذافة بن سعد بن سهم والحجاج ابن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم أربعة نفر * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح والفاكه مولى أمية بن خلف ادعاه بعد ذلك رباح بن المغترف وهو يزعم انه من بنى شماخ بن محارب بن فهر ويقال ان الفاكه ابن جرول بن حذيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب بن فهر ووهب بن عمير بن وهب بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح وربيعة بن دراج بن العنبس بن اهبان بن وهب بن حذافة بن جمح خمسة نفر * ومن بنى عامر بن لؤى سهيل بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر ثلاثة نفر * ومن بنى الحرث بن فهر الطفيل بن أبى قنيع وعتبة بن عمرو بن جحدم رجلان * قال ابن اسحق فجميع من حفظ لنا من الاسارى ثلاثة وأربعون رجلا (قال ابن هشام) وقع من جملة العدد رجل لم أذكر اسمه * وممن لم يذكر ابن اسحق من الاسارى من بنى هاشم بن عبد مناف عتبة حليف لهم من بنى فهر رجل * ومن بنى المطلب بن عبد مناف عقيل بن عمرو حليف لهم وأخوه تميم بن عمرو وابنه ثلاثة نفر * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف خالد بن أسيد

وابن أبى العيص وأبو العريض يسار مولى العاص بن أمية رجلان * ومن بنى نوفل بن عبد مناف نبهان مولى لهم رجل * ومن بنى أسد بن عبد العزى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحرث رجل * ومن بنى عبد الدار بن قصى عقيل حليف لهم من اليمن رجل * ومن بنى تيم بن مرة مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم وجابر بن الزبير حليف لهم رجلان * ومن بنى مخزوم ابن يقظة بن مرة قيس بن السائب رجل * ومن بنى جمح بن عمرو عمرو بن أبى بن خلف وأبو رهم ابن عبد الله حليف لهم وحليف لهم ذهب عنى اسمه وموليان لامية ابن خلف أحدهما نسطاس وأبو رافع غلام أمية بن خلف ستة نفر * ومن بنى سهم بن عمرو أسلم مولى نبيه بن الحجاج رجل * ومن بنى عامر ابن لؤى حبيب بن جابر والسائب ابن مالك رجلان * ومن بنى الحرث بن فهر شافع وشفيع حليفان لهم من اليمن رجلان * قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر وتراده القوم بينهم لما كان فيه قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله (قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها وينقضها

(ذكر ما قيل من الشعر فى يوم بدر)

ألم تر أمرا كان من عجب الدهر
وللحين أسباب مبينة الامر
وما ذاك الا أن قوما أقادهم
فحانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم
فكانوا رهونا للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها
فساروا الينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية
لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلى الهام حدها
مشهرة الالوان بينة الاثر
ونحن تركنا عتبة الغى ثاويا
وشيبة فى قتلى (١) تجرجم فى الجفر
وعمرو ثوى من حماتهم * فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب * كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم * وخلوا لواء غير محتضر النصر
كالذباب

قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية ولم يثبت نسخ هذا بنص يجب المصير اليه ولا أجمعت الامة على نسخه وقد استدل على تحريم القتال فى الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا حجة فى هذا لان الاشهر الحرم ههنا هى أشهر التسيير التى سير الله فيها المشركين فى الارض يامنون فيها وكان أولها يوم الحج الاكبر عاشر ذى الحجة وآخرها عاشر ربيع الآخر هذا هو الصحيح فى الآية لوجوه عديدة ليس هذا موضعها وفيها جواز أكل ورق الشجر عند المخمصة وكذلك عشب الارض وفيها جواز نهى الامام وأمير الجيش للغزاة عن نحر ظهورهم وان احتاجوا اليه خشية ان يحتاجوا الى ظهرهم عند لقاء عدوهم ويجب عليهم الطاعة اذا نهاهم وفيها جواز أكل ميتة البحر وانها لم تدخل فى قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم وقد قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وقد صح عن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة ان صيد البحر ما صيد منه وطعامه ما مات فيه وفى السنن عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال حديث حسن وهذا الموقوف فى حكم المرفوع لان قول الصحابى أحل لنا كذا وحرم علينا ينصرف الى احلال النبى صلى الله عليه وسلم وتحريمه فان قيل فالصحابة فى هذه الواقعة كانوا مضطرين ولهذا لما قال لهم رابا كلها قالوا انها ميتة وقالوا نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مضطرون فاكلوا وهذا دليل على انهم لو كانوا مستغنين عنها لما أكلوا منها قيل لا ريب انهم كانوا مضطرين ولكن هيأ الله لهم من الرزق أطيبه وأحله وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لهم بعد ان قدموا هل بقى معكم من لحمه شئ قالوا نعم فاكل منه النبى صلى الله عليه وسلم وقال انما هو رزق ساقه الله لكم ولو كان هذا رزق مضطر لم يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال الاختيار ثم لو كان أكلهم منها للضرورة فكيف ساغ لهم ان يدهنوا بودكها وينجسوا به ثيابهم وأبدانهم وأيضا فكثير من الفقهاء لا يجوز الشبع من الميتة انما يجوزون منها سد الرمق والسرية أكلت منها حتى ثابت اليهم أجسامهم وسمنوا وتزودوا منها فان قيل انما يتم لكم الاستدلال بهذه القصة اذا كانت تلك الدابة قد ماتت فى البحر ثم القاها ميتة ومن المعلوم انه كما يحتمل ذلك يحتمل ان يكون البحر قد جزر عنها وهى حية فماتت بمفارقة الماء وذلك اذ كانت ذكاة حيوان البحر ولا سبيل الى دفع هذا الاحتمال كيف وفى بعض طرق الحديث فجزر البحر عن حوت كالظرب قيل هذا الاحتمال مع بعده جدا فانه يكاد يكون خرقا للعادة فان مثل هذه الدابة اذا كانت حية انما تكون فى لجة البحر وثبجه دون ساحله وما رق منه ودنا من البر وأيضا فانه لا يكفى ذلك فى الحل لانه اذا شك فى السبب الذى مات به الحيوان هل هو سبب مبيح له أو غير مبيح لم يحل الحيوان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الصيد يرمى بالسهم ثم يوجد فى الماء وان وجدته غريقا فى الماء فلا تأكل فانك لا تدرى الماء قتله أو سهمك ولو كان الحيوان البحرى حراما اذا مات فى البحر لم يبح وهذا مما لا يعلم فيه خلاف بين الائمة وأيضا فلو لم تكن هذه النصوص مع المبيحين لكان القياس الصحيح معهم فان الميتة انما حرمت لاحتقان الرطوبات والفضلات والدم الخبيث فيها والذكاة لما كانت تزيل ذلك الدم والفضلات كانت سبب الحل والا فالموت لا يقتضى التحريم فانه حاصل بالذكاة كما يحصل بغيرها واذا لم يكن فى الحيوان دم وفضلات تزيلها الذكاة لم يحرم بالموت ولم يشترط لحله ذكاة كالجراد ولهذا لا ينجس بالموت ما لا نفس له سائلة كالذباب

(١) قوله تجرجم أى تسقط وقوله فى الجفر بالجيم وبالحاء المهملة

كالذباب والنحلة ونحوهما والسمك من هذا الضرب فانه لو كان له دم وفضلات تحتقن بموته لم يحل اونه بغير ذكاة ولم يكن فرق بين موته فى الماء وموته خارجه اذ من المعلوم ان موته فى البر لا يذهب تلك الفضلات التى تحرمه عند المحرمين اذا مات فى البحر ولو لم يكن فى المسألة نصوص لكان هذا القياس كافيا والله أعلم

(فصل) وفيها دليل على جواز الاجتهاد فى الوقائع فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم واقراره على ذلك لكن هذا كان فى حال الحاجة الى الاجتهاد وعدم تمكنهم من مراجعة النص وقد اجتهد أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة من الوقائع وأقرهما على ذلك لكن فى قضايا جزئية معينة لا فى أحكام عامة وشرائع كلية فان هذا لم يقع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد من الصحابة فى حضوره صلى الله عليه وسلم البتة

(فصل) فى الفتح الاعظم الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الامين واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس به فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن سنة ثمان لعشر مضين من رمضان واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفارى وقال ابن سعد بل استعمل عبد الله بن أم مكتوم وكان السبب الذى جر اليه وحدا اليه فيما ذكر امام أهل السير والمغازى والاخبار محمد بن اسحق بن يسار ان بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء يقال له الوتير فبيتوهم وقتلوا منهم وكان الذى هاج ذلك ان رجلا من بنى الحضرمى يقال له مالك بن عباد خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على بنى الاسود وهم سلمى وكلثوم وذويب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم هذا كله قبل المبعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الاسلام حجز بينهم وتشاغل الناس بشأنه فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقع الشرط انه من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فلما استمرت الهدنة اغتنمها بنو بكر من خزاعة وأرادوا ان يصيبوا منهم الثار القديم فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى جماعة من بنى بكر فبيت خزاعة وهم على الوتير فاصابوا منهم رجالا وتناوشوا واقتتلوا وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا ليلا ذكر ابن سعد منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص حتى حازوا خزاعة الى الحرم فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة لا اله له اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم فلا تصيبون ثاركم فيه فلما دخلت خزاعة مكة لجؤا الى دار بديل بن ورقاء الخزاعى ودار مولى لهم يقال له رافع ويخرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى أصحابه فقال

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا

لو اضلال قاد ابليس أهله * فخاس بهم ان الخبيث الى غدر وقال لهم اذ عاين الامر واضحا * برئت اليكم مابى اليوم من صبر فانى أرى مالاترون وانى * أخاف عقاب الله والله ذو قسر فقدمهم للحين حتى تورطوا * وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر فكانوا غداة البئر ألفا وجمعنا * ثلاث مئين كالمسدمة الزهر وفينا جنود الله حين يمدنا (٤١٩) * بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر

فشد بهم جبريل تحت لوائنا
لدى مأزق فيه مناياهم تجرى

(فاجابه) الحرث بن هشام بن المغيرة فقال

ألا يا لقومى للصبابة والهجر
وللحزن منى والحرارة فى الصدر
وللدمع من عينى جودا كانه
فريد هوى من سلك ناظمه يجرى
على البطل الحلو الشمائل اذ ثوى
رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعدن ياعمرو من ذى قرابة
ومن ذى ندام كان ذا خلق غمر
فان يك قوم صادفوا منك دولة
فلا بد للايام من دول الدهر
فقد كنت فى صرف الزمان الذى مضى
تريهم هوانا منك ذا سبل وعر
فالا أمت يا عمرو أترك ثائرا
ولا أبق بقيا فى اخاء ولا صهر
وأقطع ظهرا من رجال بمعشر
كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهرى
أغرهم ما جمعوا من (١) وشيظة
ونحن الصميم فى القبائل من فهر
فيا لؤى ذببوا عن حريمكم
وآلهة لا تتركوها الذى الفخر
توارثها آباؤكم وورثتم
أواسيها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم
فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتم وتوازروا
وكونوا جميعا فى التأسى وفى الصبر
لعلكم أن تثأروا باخيكم
ولا شئ ان لم تثأروا بذوى عمرو
بمطردات فى الاكف كأنها
وميض تطير الهام بينة الاثر
كأن مدب الذر فوق متونها * اذا جردت يوما لاعدائها الخزر

(قال ابن هشام) ابدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن اسحق وهما الفخر فى آخر البيت وفما لحليم فى أول البيت لانه نال فيهما من النبى صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وقال على بن أبى طالب رضى الله

(١) وشيظة هى الاتباع من غيرهم

قــد كنتم ولدا وكنا والدا * ثمــــة أسلمنا ولم نــنزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مــددا
فيهم رســول الله قــد تجردا * أبيض مثل البدر يسمو صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا * وزعموا ان لست تدعو أحدا
وهــم أذل وأقــل عــددا * هــم بيتونا بالوتير هجــدا
* وقتلونا ركعا وسجدا *

يقول قتلنا وقد أسلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرضت سحابة لرسول الله صلى الله عليه وســلم فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وســلم فأخبروه بما أصيب فيهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم رجعوا الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس كأنكم بأبى سفيان وقد جاء ليشد العقــد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء فى أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان وقد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وســلم ليشد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا الذى صنعوا فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء قال من أين أقبلت يا بديل وظن انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال سرت فى خزاعة فى هذ الساحل وفى بطن هذا الوادى قال أوما جئت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيها النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صــلى الله عليه وســلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وســلم وأنت مشرك نجس فقال والله لقد أصابك بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وســلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أأنا أشفع لكم الى رسول الله صــلى الله عليه وســلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم جاء فدخل على على بن أبى طالب وعنده فاطمة وحسن غلام يدب بين يديهــما فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لى الى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة فقال هل لك أن تأمرى ابنك هذ فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما يبلغ ابنى ذاك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا الحسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما أعــلم لك شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ما أظنه ولكنى لم أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيأ ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو ثم جئت عليا فوجدته

عنه فى يوم بدر (قال ابن هشام) ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها وانما كتبناهما لانه يقال ان عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر ولم يذكره ابن اسحق فى القتلى وذكره فى هذا الشعر

ألم تر أن الله أبلى رسوله * بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة * فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره * وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل * مبينة آياته لذوى العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا * فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل
وانكر أقوام فزاغت قلوبهم * فزادهم ذو العرش خبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله * وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها * وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشئ ذى حمية * صريعا ومن ذى نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم * تجود بأسبال الرشاش وبالوبل
نوائح تنعى عتبة الغى وابنه * وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
(١) وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم * مسلبة حرى مبينة الثكل
(٢) ثوى منهم فى بئر بدر عصابة * ذوى نجدات فى الحروب وفى المحل
دعا الغى منهم من دعا فأجابه * وللغى أسباب مرمقة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل * عن الشغب والعدوان فى أشغل الشغل

(فأجابه) الحرث بن هشام بن المغيرة فقال

عجبت لأقوام تغنى سفيههم * بأمر سفاه ذى اعتراض وذى بطل
تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا * كرام المساعى من غلام ومن كهل
مصاليت بيض (٣) من لؤى بن غالب * مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل
أصيبوا كراما لم يبيعوا عشيرة * بقوم سواهم نازحى الدار والاصل

ألبن

(١) قوله وذا الرجل هو الاسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض (٢) قوله ثوى فى نسخة ترى
(٣) فى نسخة من ذؤابة غالب

ألين القوم قد أشار على بشيء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى عنى شيأ أم لا قالوا وبم أمرك قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت فقالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد الرجل على أن لعب بك قال لا والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى بنية أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس انه سائر الى مكة فأمرهم بالجد والتجهيز وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس فكتب حاطب بن أبى بلتعة الى قريش كتابا يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا فجعلته فى قرون فى رأسها ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير وغير ابن اسحق يقول بعث عليا والمقداد فقال انطلقا حتى تأتيا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب الى قريش فانطلقا تعادى بهما خيلهما حتى وجدا المرأة بذلك المكان فاستنزلاها وقالا معك كتاب فقالت ما معى كتاب ففتشا رحلها فلم يجد شيأ فقال لها على رضى الله عنه احلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليهما فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال ما هذا يا حاطب فقال لا تعجل على يا رسول الله والله انى لمؤمن بالله ورسوله وما ارتددت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش لست من أنفسهم ولى فيهم أهل وعشيرة وولد وليس لى فيهم قرابة يحمونهم وكان من معك لهم قرابات يحمونهم فاحببت اذ فاتنى ذلك أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى فقال عمر بن الخطاب دعنى يا رسول الله اضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله وقد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فذرفت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صائم والناس صيام حتى اذا كانوا بالكديد وهو الذى تسميه الناس اليوم قديدا أفطر وأفطر الناس معه ثم مضى حتى نزل مر الظهران وهو بطن مر ومعه عشرة آلاف وعمى الله الاخبار عن قريش فهم على وجل وارتقاب وكان أبو سفيان يخرج يتحسس الاخبار فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلما مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل فوق ذلك وكان ممن لقيه فى الطريق ابن عمه أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية لقياه بالابواء وهما ابن عمه وابن عمته فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الاذى والهجو فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وقال على لابى سفيان فيما حكاه أبو عمر ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فانشده أبو سفيان أبياتا منها

كما أصبحت غسان فيكم بطانة * لكم بدلا منا فيالك من فعل
عقوقا وإثما بينا وقطيعة * يرى جوركم فيها ذوو الرأى والعقل
فان يك قوم قد مضوا لسبيلهم * وخير المنايا ما يكون من القتل
فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم * لكم كائن خبلا مقيما على خبل
فانكم لن تبرحوا بعد قتلهم * شتيتا هواكم غير مجتمع الشمل
بفقد ابن جدعان الحميد فعاله * وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل
وشيبة فيهم والوليد وفيهم
أمية مأوى (١) المعترين وذو الرجل
أولئك فابك ثم لا تبك غيرهم
نوائح تدعو بالرزية والثكل
وقولوا لاهل (٢) المكتين تحاشدوا
وسيروا الى آطام يثرب ذى النخل
جميعا وحاموا آل كعب وذببوا
بخالصة الالوان محدثة الصقل
والا فبيتوا خائفين وأصبحوا
أذل لوطء الواطئين من النعل
على انى واللات يا قوم فاعلموا
بكم واثق أن لا تقيموا على تبل
سوى جمعكم للسابغات وللقنا
وللبيض والبيض القواطع والنبل

(وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر فى يوم بدر)

عجبت لفخر الاوس والحين دائر
عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار ان كان معشر
أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فان تك قتلى غودرت من رجالنا
فانا رجالا بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم
بنى الاوس حتى يشفى النفس ثائر
ووسط بنى النجار سوف نكرها
لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم
وليس لهم الا الامانى ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة
لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك انا لا تزال سيوفنا
بهن دم مما يحارب مائر
فان تظفروا فى يوم بدر فانما * باحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الاخيار هم أولياؤه * يحامون فى اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم * ويدعى على وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت فى ديارها * بنو الاوس والنجار حين تفاخر

(١) قوله المعترين فى نسخة المقترين (٢) قوله المكتين أى مكة والطائف

... [illegible] الانساب كعب وعامر * هم الطاعنون الخيل في كل معرك * غداة الهياج الاطيبون الا كـ

[illegible] كعب بن مالك أخو بني سلمة فقال عجبت لامر الله والله قادر * على ما أراد ليس لله قاهر قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا

بغوا وسبيل البغي بالناس جائر وقد حشدوا واستنفروا من يليهم * من الناس حتى جمعهم متكاثر

وسارت الينا لا تحاول غيرنا

باجمعها كعب جميعا وعامر

وفينا رسول الله والأوس حوله

له معقل منهم عزيز وناصر

وجمع بني النجار تحت لوائه

(١) يمشون في الماذي والنقع ثائر

فلما لقيناهم وكل مجاهد

لاصحابه مستبسل النفس صابر

شهدنا بان الله لا رب غيره

وان رسول الله بالحق ظاهر

وقد عريت بيض خفاف كأنها

مقابيس يزهيها العينيك شاهر

بهن أبدنا جمعهم فتبددوا

وكان يلاقي الحين من هو فاجر

فكب أبو جهل صريعا لوجهه

وعتبة قد غادرنه وهو عاثر

وشيبة والتيمي غادرن في الوغى

وما منهم الا بذي العرش كافر

فأمسوا وقود النار في مستقرها

وكل كفور في جهنم صائر

تلظى عليهم وهي قد شب حميها

بزبر الحديد والحجارة ساجر

وكان رسول الله قد قال اقبلوا

فولوا وقالوا انما أنت ساحر

لامر أراد الله ان يهلكوا به

وليس لأمر حمه الله زاجر

* وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي يبكي قتلى بدر (قال ابن هشام) وتروى للاعشى بن زرارة ابن النباش أحد بني أسيد بن عمرو ابن تميم حليف بني نوفل بن عبد مناف * قال ابن اسحق حليف بني عبد الدار

ماذا على بدر وماذا حوله

من فتية بيض الوجوه كرام تركوا نبيها خلفهم ومنبها * وابني ربيعة خير خصم فئام دار

والحارث الفياض يبرق وجهه * كالبدر جلى ليله الاظلام والعاصي بن منبه ذا مرة * رمحا تميما غير ذي أوصام

لعمرك اني حين أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أواني حين أهدى فاهتدي

هداني هاد غير نفسي ودلني * على الله من طردته كل مطرد

فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وحسن اسلامه بعد ذلك ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه وشهد له بالجنة وقال أرجو أن يكون خلفا من حمزة ولما حضرته الوفاة قال لا تبكوا علي فوالله ما نطقت بخطيئة منذ أسلمت عاد الحديث فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران نزلا عشاء فامر الجيش فاوقدوا النيران فاوقدت عشرة آلاف نار وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وخرج يلتمس لعله يجد بعض الحطابة أو أحدا يخبر قريشا ليخرجوا يستأمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلها عنوة قال والله اني لاسير عليها اذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قال يقول بديل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب فيقول أبو سفيان خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبا الفضل قلت نعم قال ما لك فداك أبي وأمي قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله قال فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فركب خلفي ورجع صاحباه قال فجئت به فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقت فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه قال قلت يا رسول الله اني قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا أني قد عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فاتني به فذهبت فلما أصبحت غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله قال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى شيأ بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أني رسول الله قال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس حتى الآن منها شيء فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل

(١) قوله يمشون في نسخة يميسون والماذي الدرع الصافية

دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ففعل فمرت القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال يا عباس من هذه فأقول سليم قال فيقول مالي ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا سألني عنها فاذا أخبرته قال مالي ولبني فلان حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ثم قال والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما قال قلت يا أبا سفيان انها النبوة قال فنعم اذا قال قلت النجاء الى قومك وكانت راية الانصار مع سعد بن عبادة فلما مر بأبي سفيان قال له اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد قال وما قال فقال كذا وكذا فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة اليوم يوم أعز الله فيه قريشا ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فنزع منه اللواء ودفعه الى قيس ابنه ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد اذ صار الى ابنه قال أبو عمر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزع منه الراية دفعها الى الزبير ومضى أبو سفيان حتى اذا جاء قريشا صرخ باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت اليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الاحمش الساقين قبح من طليعة قوم قال ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة من أعلاها وضربت له هنالك قبة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد يدخلها من أسفلها وكان على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر وهم الذين لا سلاح معهم وقال لخالد ومن معه ان عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصدا حتى توافوني على الصفا فما عرض لهم أحد الا أناموه وتجمع سفهاء قريش وأخفاؤهام مع عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو بالخندمة ليقاتلوا المسلمين وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى قال لمحمد وأصحابه قالت والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء قال اني والله لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال

ان يقبلوا اليوم فمالي علة * هذا سلاح كامل وآلة

وذو غرارين سريع السلة * ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو فلما لقيهم المسلمون ناوشوهم شيأ من قتال فقتل كرز بن جابر الفهري وخنيس بن خالد بن ربيعة من المسلمين وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وأصيب من المشركين نحو اثني عشر رجلا ثم انهزموا وانهزم حماس صاحب السلاح حتى دخل بيته فقال لامرأته أغلقي

تمشي به اعراقه وجدوده * وما ثر الاخوال والاعمام
واذا بكى باك فأعول شجوه * فعل الرئيس الماجد ابن هشام
حيا الاله أبا الوليد ورهطه * رب الانام وخصه بسلام

فأجابه حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه فقال

ابك بكت عيناك ثم تبادرت * بدم تعل غروبها بسجام
ماذا بكيت به الذين تتابعوا * هلا ذكرت مكارم الاقوام
وذكرت منا ماجدا ذا همة * سمح الخلائق صادق الاقدام
أعني النبي أخا المكارم والندى * وأبر من يولي على الاقسام
فلمثله ولمثل ما يدعو له * كان الممدح ثم غير كهام

(وقال حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه أيضا)

تبلت فؤادك في المنام خريدة * تشفي الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطه بماء سحابة * أو عاتق كدم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضد * بلهاء غير وشيكة الاقسام
بنيت على قطن أجم كأنه * فضلا اذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل أن تجيء فراشها * في جسم خرعبة وحسن قوام
اما النهار فلا افتر ذكرها * والليل توزعني بها أحلامي
أقسمت أنساها وأترك ذكرها * حتى تغيب في الضريح عظامي
بل من لعاذلة تلوم سفاهة * ولقد عصيت على الهوى لوامي
بكرت على بسحرة بعد الكرى * وتقارب من حادث الايام
زعمت بان المرء يكرب عمره * عدم لمعتكر من الاصرام
ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام
يذر العناجيج الجياد بقفرة * مر الدموك بمحصد ورجام
ملأت به الفرجين فارمدت به * وثوى أحبته بشر مقام
وبنو أبيه ورهطه في معرك * نصر الاله به ذوي الاسلام
طحنتهم والله ينفذ أمره * حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الاله وجريها تركنه * جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسور يشد وثاقه * صقر اذا لاقى الاسنة حامي
ومجدل لا يستجيب لدعوة * حتى تزول شوامخ الاعلام

بالطعن والضرب كراته * بيض الوجوه السوق كل همام   بيدى اغرادا العمى لم يحزه * نسب المصار سميذع مقدام
بيض اذا لاقت حديدا صممت * كالبرق تحت ظلال كل غمام   فاجابه الحرث بن هشام فيما ذكر ابن هشام فقال
الله أعلم ما تركت قتالهم * حتى حبوا (٤٢٤) مهرى باشقر مزبد   وعرفت أنى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى

فصددت عنهم والاحبة فيهم
طمعا لهم بعقاب يوم مفسد
* قال ابن اسحق قالها الحرث
يعتذر من فراره يوم بدر (قال ابن
هشام) تركنا من قصيدة حسان
ثلاثة أبيات من آخرها لانه أقذع
فيها * قال ابن اسحق وقال حسان
ابن ثابت رضى الله عنه أيضا
لقد علمت قريش يوم بدر
غداة الاسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى
حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابنى ربيعة يوم سارا
الينا فى مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت
بنو النجار تخطر كالاسود
وولت عند ذاك جموع فهر
وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلا وقتلا
جهيزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعا
ولم يلووا على الحسب التليد
(وقال حسان بن ثابت رضى الله
عنه أيضا)
يا حار قد عولت غير معول
عند الهياج وساعة الاحساب
اذ تمتطى سرح اليدين نجيبة
مرطى الجراء طويلة الاقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم
ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن امك اذ ثوى
قعص الاسنة ضائع الاسلاب
عجل المليك له فاهلك جمعه
بشنار مخزية وسوء عذاب

(قال ابن هشام) تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا (قال ابن هشام) ويقال بل قالها عبد الله بن الحرث السهمى رضى الله عنه   فاقبل مستشعرى حلق الماذى يقدمهم * جلد النحيزة ماض غير رعديد
أعنى رسول اله الحق فضله * على البرية بالتقوى وبالجود   وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم * وماء بدر زعمتم غير مورود

على بابى فقالت وأين ما كنت تقول فقال

انك لو شهدت يوم الخندمة * اذ فر صفوان وفر عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة * يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضربا فلا يسمع الا غمغمة * لهم نهيت خلفنا وهمهمة
* لم تنطق فى اللوم أدنى كلمة *

وقال أبو هريرة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة فبعث الزبير على احدى المجنبتين و بعث خالد بن الوليد على المجنبة الاخرى و بعث أبا عبيدة بن الجراح على الحسر وأخذوا بطن الوادى و رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته قال وقد وبشت قريش أوباشا لها فقالوا نقدم هؤلاء فان كان لقريش شئ كنا معهم وان أصيبوا أعطينا الذى سئلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة فقلت لبيك رسول الله وسعديك فقال اهتف لى بالانصار ولا يأتينى الا أنصارى فهتفت بهم فجاؤا فاطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا فانطلقنا فما يشاء أحد منا ان يقتل منهم الا شاء وما أحد منهم وجه الينا شيأ وركزت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون عند مسجد الفتح ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد فاقبل الى الحجر الاسود فاستلمه ثم طاف بالبيت وفى يده قوس وحول البيت وعليه ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بالقوس و يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والاصنام تتساقط على وجوهها وكان طوافه على راحلته ولم يكن محرما يومئذ فاقتصر على الطواف فلما أكمله دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة فامر بها ففتحت فدخلها فرأى فيها الصور ورأى فيها صورة ابراهيم واسمعيل يستقسمان بالازلام فقال قاتلهم الله والله ان استقسما بها قط ورأى فى الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده وأمر بالصور فمحيت ثم اغلق عليه الباب وعلى اسامة و بلال فاستقبل الجدار الذى يقابل الباب حتى اذا كان بينه و بينه قدر ثلاثة أذرع وقف وصلى هناك ثم دار فى البيت وكبر فى نواحيه ووحد الله ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع فاخذ بعضادتى الباب وهم تحته فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها فى بطونها أولادها يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فانى أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء ثم جلس فى المسجد فقام اليه على رضى الله عنه ومفتاح الكعبة فى يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال له هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وذكر ابن سعد فى الطبقات عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس

فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال ألم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد أنك رسول الله وذكر سعيد بن المسيب ان العباس تطاول يومئذ لاخذ المفتاح في رجال من بني هاشم فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان يصعد فيؤذن على الكعبة وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام واشراف قريش جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا ان لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحرث أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته فقال أبو سفيان أما والله لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال الحرث وعتاب نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

(فصل ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم) دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات في بيتها وكان ضحى فظنها من ظنها صلاة الضحى وانما هذه صلاة الفتح وكان أمراء الاسلام اذا فتحوا حصنا أو بلدا صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القصة ما يدل على انها بسبب الفتح شكرا لله عليه فانها قالت ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها وأجارت أم هانئ حموين لها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ

(فصل) ولما استقر الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم الا تسعة نفر فانه أمر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وعبد العزى بن خطل والحارث بن نفيل بن وهب ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وقينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب فاما ابن أبي سرح فاسلم فجاء به عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منه بعد ان أمسك عنه رجاء ان يقوم اليه بعض الصحابة فيقتله وكان قد أسلم قبل ذلك وهاجر ثم ارتد ورجع الى مكة وأما عكرمة بن أبي جهل فاستأمنت له امرأته بعد ان فر فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم فقدم واسلم وحسن اسلامه وأما ابن خطل والحارث ومقيس واحدى القينتين فقتلوا وكان مقيس قد أسلم ثم ارتد وقتل ولحق بالمشركين وأما هبار بن الاسود فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها ففر ثم أسلم وحسن اسلامه واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لسارة ولاحدى القينتين فامنهما فاسلمتا فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص لقتال

ثم وردنا ولم نسمع لقولكم * حتى شربنا رواء غير تصريد
مستعصمين بحبل غير منجذم * مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه * حتى الممات ونصر غير محدود
واف وماض شهاب يستضاء به * بدر أنار على كل الاماجيد

(قال ابن هشام) بيته مستعصمين بحبل غير منجذم عن أبي زيد الانصاري * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضا

خابت بنو أسد وآب غزيهم
يوم القليب بسوءة وفضوح
منهم أبو العاصي تجدل مقصعا
عن ظهر صادقة النجاء سبوح
حينا له من مانع بسلاحه
لما ثوى بمقامه المذبوح
والمرء زمعة قد تركن ونحره
يدمي بعاند معبط مسفوح
متوسدا حر الجبين معفرا
قد عفر مارن انفه بقبوح
ونجا ابن قيس في بقية رهطه
بشفى الرماق موليا بجروح

(وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضا)

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة
ابارتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا
فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
وشيبة يكبو لليدين وللنحر
قتلنا سويدا ثم عتبة بعده
وطعمة أيضا عند ثائرة القتر
فكم قد قتلنا من كريم مرزا
له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات ينبنهم
ويصلون نارا بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك
وأشياعهم يوم التقينا على بدر

(قال ابن هشام) أنشدني أبو زيد الانصاري بيته

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
وشيبة يكبو لليدين وللنحر

* قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا

نجى حكيما يوم بدر شده * كنجاء مهر من بنات الاعوج
لما رأى بدرا تسيل جلاهه * بكتيبة خضراء من بلخزرج
لا ينكلون اذا لقوا أعداءهم * يمشون عائدة الطريق المنهج
كم فيهم من ماجد ذي منعة * بطل بمهلكة الجبان المحرج
ومسود يعطي الجزيل بكفه * حمال أثقال الديات متوج

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما حلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ولما فتح الله مكة على رسوله وهى بلده ووطنه ومولده قال الانصار فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده ان يقيم بها وهو يدعو على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لاشئ كنت أذكر الله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أستغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيأ أحب الى منه قال فضالة فرجعت الى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها قالت هلم الى الحديث فقلت يابى الله عليك والاسلام

لوقد رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفر يومئذ صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل فاما صفوان فاستأمن له عمير بن وهب الجمحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة فلحقه عمير وهو يريد ان يركب البحر فرده فقال اجعلنى بالخيار شهرين فقال أنت بالخيار أربعة أشهر وكانت أم حكيم بنت الحارث ابن هشام تحت عكرمة بن أبى جهل فاسلمت واستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فلحقته باليمن فامنته فردته وأقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصفوان على نكاحهما الاول ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا أسيد الخزاعى فجدد انصاب الحرم وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم سراياه الى الاوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها منها اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ونادى مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره فبعث خالد بن الوليد الى العزى لخمس ليال بقين من شهر رمضان ليهدمها فخرج اليها فى ثلاثين فارسا من أصحابه حتى انتهوا اليها فهدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال هل رأيت شيأ قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فجزلها باثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد أيست ان تعبد فى بلادكم أبدا وكانت بنخلة وكانت لقريش وجميع بنى كنانة وكانت أعظم أصنامهم وكانت سدنتها بنى شيبان ثم بعث عمرو بن العاص الى سواع وهو صنم لهذيل ليهدمه قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد قلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهدمه فقال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك فهل يسمع أو يبصر قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانه فلم يجد فيه شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله ثم بعث سعد بن زيد الاشهلى الى مناة وكانت بالمشلل عند قديد للاوس والخزرج وغسان وغيرهم فخرج فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعندها سادن فقال السادن ما تريد قلت هدم مناة قال أنت وذاك فاقبل سعد يمشى اليها وتخرج اليه امرأة

عريانة

بن الندى تعاود يوم الوغى * ضرب الكماة بكل أبيض (١) سلجج (قال ابن هشام) قوله سلجج عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان أيضا

فما تخشى بحول الله قوما * وان كثروا واجمعت الزحوف
اذا ما ألبوا جمعا علينا * كفانا حدهم رب رؤف
سمونا يوم بدر بالعوالى * سراعا ما تضعضعنا الحتوف
فلم تر عصبة فى الناس انكى * لمن عادوا اذا لقحت كشوف
ولكنا توكلنا وقلنا * مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا * ونحن عصابة وهم ألوف

(وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو بنى جمح ومن أصيب منهم)

جمعت بنو جمح لشقوة جدهم * ان الذليل موكل بذليل
قتلت بنو جمح ببدر عنوة * وتخاذلوا سعيا بكل سبيل
جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد * والله يظهر دين كل رسول
لعن الاله أبا خزيمة وابنه * والخالدين وصاعد بن عقيل

* قال ابن اسحق وقال عبيدة بن الحرث بن المطلب فى يوم بدر وفى قطع رجله حين أصيب وفى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم (قال ابن هشام) وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة * يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة اذ ولى وشيبة بعده * وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فان تقطعوا رجلى فانى مسلم * أرجى بها عيشا من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت * مع الجنة العلياء من كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرقت صفوه * وعالجته حتى فقدت الادانيا
فاكرمنى الرحمن من فضل منه * بثوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكروها الى قتالهم * غداة دعا الاكفاء من كان داعيا
ولم يبغ اذ سألوا النبى سواءنا * ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالاسد تخطر بالقنا * نقاتل فى الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا * ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

(١) قوله سلجج السلجج القاطع من السيوف وهو بجيمين كذا بهامش

عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها اسادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها واقبل الى الصنم فهدمه وكسره ولم يجدوا فى خزانته شيأ

(ذكر سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة)

قال ابن سعد ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة بعثه الى بنى جذيمة داعيا الى الاسلام ولم يبعثه مقاتلا فخرج فى ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار وبنى سليم فانتهى اليهم فقال ما أنتم قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد فى ساحتنا وأذنا فيها قال فما بال السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا ان تكونوا هم وقد قيل انهم قالوا صبأنا صبأنا ولم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا قال فضعوا السلاح فوضعوه فقال لهم استأسروا فاستأسر القوم فامر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى أصحابه فلما كان فى السحر نادى خالد بن الوليد من كان معه أسير فليضرب عنقه فاما بنو سليم فقتلوا من كان فى أيديهم وأما المهاجرون والانصار فارسلوا اسراهم فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد فقال اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد وبعث عليا يودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام وشر فى ذلك فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا خالد دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته

(فصل) وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه قد قال فى عمرة الحديبية

عفت ذات الاصابع والجواء * الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر * تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس * خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف * يؤرقنى اذا ذهب العشاء
لشعثاء التى قد تيمته * فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا * اذا ما كان مغث أو لحاء
فنشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصعدات * على أكتافها الاسد الظماء
تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم * يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد أرسلت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء

(قال ابن هشام) لما أصيب رجل عبيدة قال أما والله لو ادرك أبو طالب هذا اليوم لعلم انى أحق منه بما قال حيث يقول

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وهذان البيتان فى قصيدة لابى طالب قد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب * قال ابن اسحق فلما هلك عبيدة بن الحرث من مصاب رجله يوم بدر قال كعب بن مالك الانصارى يبكيه

أياعين جودى ولا تبخلى * بدمعك حقا ولا تنزرى
على سيد هدنا هلكه * كريم المشاهد والعنصر
جرئ المقدم شاكى السلاح * كريم النثا طيب المكسر
عبيدة أمسى ولا نرتجيه * لعرف عرانا ولا منكر
وقد كان يحمى غداة القتا * ل حامية الجيش بالمبتر

(وقال كعب بن مالك رضى الله عنه أيضا فى يوم بدر)

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها * وأخبر شئ بالامور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسى عداوة * معد معا جهالها وحليمها
لانا عبدنا الله لم نرج غيره * رجاء الجنان اذ أتانا زعيمها
نبى له فى قومه ارث عزة * وأعراق صدق هذبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا * أسود لقاء لا يرجى كليمها
ضربناهم حتى هوى فى مكرنا * لمنخر سوء من لؤى عظيمها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم * سواء علينا حلفها وصميمها

(وقال كعب بن مالك أيضا)

لعمر أبيكما يا بنى لؤى * على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر * ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو * دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر * من امر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر * وما رجعوا اليكم بالسواء
فلا تعجل أبا سفيان وارقب * جياد الخيل تطلع من كداء
بنصر الله روح القدس فيها * وميكال فيا طيب الملاء

(وقال طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكى أصحاب القليب من قريش يوم بدر)

فنحكم بالقوافى من هجانا * ونضرب حين تختلف الدماء
ألا أبلغ أباسفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء
بان سيوفنا تركتك عبدا * وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا براحنيفا * أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لاعيب فيه * وبحرى لاتكدره الدلاء

(فصل) فى الاشارة الى مافى هذه الغزوة من الفقه واللطائف كان صلح الحديبية مقدمة وتوطئة بين يدى هذا الفتح العظيم أمن الناس به وكلم بعضهم بعضا وناظره فى الاسلام وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة من اظهار دينه والدعوة اليه والمناظرة عليه ودخل بسببه بشر كثير فى الاسلام ولهذا سماه الله فتحا فى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا نزلت فى شأن الحديبية فقال عمر يارسول الله أوفتح هو قال نعم وأعاد سبحانه ذكر كونه فتحا فقال لقد صدق الله رسوله الرؤيا الى قوله فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهذا شأنه سبحانه أن يقدم بين يدى الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل اليها المنبهة عليها كما قدم بين يدى قصة المسيح وخلقه من غير أب قصة زكريا وخلق الولد له مع كونه كبيرا لايولد لمثله وكما قدم بين يدى نسخ القبلة قصة البيت وبنائه وتعظيمه والتنويه به وذكر بانيه وتعظيمه ومدحه ووطأ قبل ذلك كله بذكر النسخ وحكمته المقتضية له وقدرته الشاملة له وهكذا ماقدم بين يدى مبعث رسوله صلى الله عليه وسلم من قصة الفيل وبشارات الكهان به وغير ذلك وكذلك الرؤيا الصالحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مقدمة بين يدى الوحى فى اليقظة وكذلك الهجرة كانت مقدمة بين يدى الامر بالجهاد ومن تأمل أسرار الشرع والقدر رأى من ذلك مايبهر حكمته الالباب

(فصل وفيها ان أهل العهد) اذا حاربوا من هم فى ذمة الامام وجواره وعهده صاروا حربا له بذلك ولم يبق بينهم وبينه عهد فله ان يبيتهم فى ديارهم ولايحتاج ان يعلمهم على سواء وانما يكون الاعلام اذا خاف منهم الخيانة فاذا تحققها صاروا نابذين لعهده

(فصل وفيها انتقاض عهد جميعهم) بذلك ردئهم ومباشرهم اذا رضوا بذلك وأقروا عليه ولم ينكروه فان الذين أعانوا بنى بكر من قريش بعضهم لم يقاتلوا كلهم معهم ومع هذا فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم وهذا كما انهم دخلوا فى عقد الصلح تبعا ولم ينفرد كل واحد منهم بصلح اذ قد رضوا به وأقروا عليه فكذلك حكم نقضهم للعهد هذا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاشك فيه كما ترى وطرد هذا جريان هذا الحكم على ناقضى العهد من أهل الذمة اذا رضى جماعتهم به وان لم يباشر كل واحد منهم ماينقض عهده كما أجلى عمر يهود خيبر لما عدا بعضهم على ابنه ورموه من ظهر دار ففدعوا يده بل قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع مقاتلة بنى قريظة ولم يسأل عن كل رجل منهم هل نقض العهد أم لا وكذلك أجلى بنى النضير كلهم وانما كان

ألان تبكى أعين مدمعها سكبا * تبكى على كعب ومالن ترى كعبا ألا ان كعبا فى الحروب تخاذلوا * وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكى للملمات غدوة * فياليت شعرى هل أرى لهما قربا هما أخواى لم يعدا الغية * تعد ولن يستام جارهما غصبا
فياأخوينا عبد شمس ونوفلا * فدا لكما لاتبعثوا بيننا حربا ولاتصبحوا من بعد ود وألفة * أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس
وجيش أبى يكسوم اذ ملأ الشعبا
فلولا دفاع الله لاشئ غيره
لاصبحتم لاتمنعون لكم سربا
فما ان جنينا فى قريش عظيمة
سوى أن حمينا خير من وطئ التربا
أخا ثقة فى النائبات مرزأ
كريما ثناه لابخيلا ولاذربا
يطيف به العافون يغشون بابه
يؤمون بحرا لانزورا ولاصربا
فوالله لاتنفك نفسى حزينة
تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا
(وقال ضرار بن الخطاب الفهرى
يرثى أبا جهل)
الا من لعين باتت الليل لم تنم
تراقب نجما فى سواد من الظلم
كأن قذى فيها وليس بها قذى
سوى عبرة من جائل الدمع تنسجم
فبلغ قريشا أن خير نديها
وأكرم من يمشى بساق على قدم
ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنها
كريم المساعى غير وغد ولا برم
فآليت لاتنفك عينى بعبرة
على هالك بعد الرئيس أبى الحكم
على هالك اشجى لؤى بن غالب
أتته المنايا يوم بدر فلم ترم
ترى كسر الخطى فى نحر مهره
لدى بائن من لحمه بينها خذم
وما كان ليث ساكن بطن بيشة
لدى (١) غلل يجرى ببطحاء فى أجم
باجرأ منه حين تختلف القنا
وتدعى نزال فى القماقمة البهم
فلا تجزعوا آل المغيرة واصبروا * عليه ومن يجزع عليه فلم يلم وجدوا فان الموت مكرمة لكم * وما بعده فى آخر العيش من ندم وقد قلت ان الريح طيبة لكم * وعز المقام غير شك لدى فهم الذى
(قال ابن هشام) وبعض أهل

(١) الغلل الماء الذى يجرى وينقطع فى مواضع اهـ من هامش

الذي هم بالقتل رجلان وكذلك فعل ببني قينقاع حتى استوهبهم منه عبد الله بن أبي فهذه سيرته وهديه الذي لا شك فيه وقد أجمع المسلمون على أن حكم الردء حكم المباشر في الجهاد ولا يشترط في قسمة الغنيمة ولا في الثواب مباشرة كل واحد واحد في القتال وهذا حكم قطاع الطريق حكم ردئهم حكم مباشرهم لان المباشر انما باشر الافساد بقوة الباقين ولولاهم ما وصل الى ما وصل اليه وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه وهو مذهب أحمد رحمه الله ومالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله وغيرهم

(فصل وفيها جواز صلح أهل الحرب على وضع القتال عشر سنين) وهل يجوز فوق ذلك الصواب انه يجوز للحاجة والمصلحة الراجحة كما اذا كان بالمسلمين ضعف وعدوهم أقوى منهم وفي العقد لما زاد على العشر مصلحة للاسلام

(فصل وفيها ان الامام وغيره) اذا سئل مالا يجوز بذله أو لا يجب فسكت عن بذله لم يكن سكوته بذلا له فان أبا سفيان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم تجديد العهد فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء ولم يكن بهذا السكوت معاهدا له

(فصل وفيها ان رسول الكفار) لا يقتل فان أبا سفيان كان ممن جرى عليه حكم انتقاض العهد ولم يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان رسول قومه اليه

(فصل وفيها جواز تبييت الكفار) ومغافصتهم في ديارهم اذا كانت قد بلغتهم الدعوة وقد كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيتون الكفار ويغيرون عليهم باذنه بعد ان بلغتهم دعوته

(فصل وفيها جواز قتل الجاسوس وان كان مسلما) لان عمر رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حاطب بن أبي بلتعة لما بعث يخبر أهل مكة بالخبر ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل قتله انه مسلم بل قال وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فأجاب بان فيه مانعا من قتله وهو شهوده بدرا وفي الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع وهذا مذهب مالك رحمه الله وأحد الوجهين في مذهب أحمد رحمه الله وقال الشافعي رحمه الله وأبو حنيفة رحمه الله لا يقتل وهو ظاهر مذهب أحمد رحمه الله والفريقان يحتجون بقصة حاطب والصحيح ان قتله راجع الى رأي الامام فان رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وان كان بقاؤه أصلح استبقاه والله أعلم

(فصل وفيها جواز تجريد المرأة كلها وتكشيفها) للحاجة والمصلحة العامة فان عليا والمقداد قالا للظعينة لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك واذا جاز تجريدها لحاجتها الى ذلك حيث تدعو اليها فتجريدها لمصلحة الاسلام والمسلمين أولى

(فصل) وفيها ان الرجل اذا نسب المسلم الى النفاق والكفر متأولا وغضبا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه فانه لا يكفر بذلك بل لا يأثم به بل يثاب على نيته وقصده وهذا بخلاف أهل الاهواء والبدع فانهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه

(فصل) وفيها ان الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية كما وقع الجس من حاطب مكفرا بشهوده بدرا فان ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه بها وفرحه بها ومباهاته للملائكة بفاعلها أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجس من المفسدة وتضمنته من بغض الله لها فغلب الاقوى على الاضعف فأزاله وأبطل مقتضاه وهذه

العلم بالشعر ينكرها للضرار * قال ابن اسحق وقال الحرث بن هشام يبكي أخاه أبا جهل

وهل يغني التلهف من قتيل يخبرني المخبر أن عمرا * امام القوم (١) في جفر محيل

وأنت لما تقدم غير فل وكنت بنعمة مادمت حيا * فقد خلفت في درج المسيل

ألا يا لهف نفسي بعد عمرو *
فقد ما كنت أحسب ذاك حقا *
كأني حين أمسي لا أراه *
ضعيف العقد ذو هم طويل
على عمرو اذا أمسيت يوما
وطرف من تذكره كليل

(قال ابن هشام) وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحرث بن هشام وقوله في جفر عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال أبو بكر بن الاسود بن شعوب الليثي وهو شداد بن الاسود

تحيي بالسلامة أم بكر
وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر
من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تكلل بالسنام
وكم لك بالطوى طوى بدر
من الحومات والنعم المسام
وكم لك بالطوى طوى بدر
من الغايات والدسع العظام
وأصحاب الكريم أبي علي
أخي الكاس الكريمة والندام
وانك لو رأيت أبا عقيل
وأصحاب الثنية من نعام
اذا لظللت من وجد عليهم
كأم السقب جائلة المرام
يخبرنا الرسول لسوف نحيا
وكيف لقاء أصداء وهام

(قال ابن هشام) أنشدني أبو عبيدة النحوي

يخبرنا الرسول بان سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام

قال وكان أسلم ثم ارتد * قال ابن اسحق وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من أصيب من قريش يوم بدر

ألا بكيت على الكرا * م بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام على فرو * ع الايك في الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكينـ * ـات يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيا * ت المعولات من النوائح

(١) الجفر البئر التي لا بناء لها

ويكم بني على * حزن وبصدق كل مادح ماذا ببدر فالعقنـ * ـقل من مرازبة جحاجح فمدافع البرقين فالـ * ـحنان من طرف الاواشح
شمطا وشبان بها * ليل مغاوير (١) وحاوح ألا ترون لما أرى * ولقد أبان لكل لامح أن قد تغير بطن مكة فهي موحشة الاباطح
من كل بطريق لبطـ * ـريق نقي اللون واضح دعموص أبواب الملو * ك وجائب للخرق فاتح من (٢) السراطمة الخلا * جة الملاوثة المناجح
القائلين الفاعلـ * ـين الآمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالانافح
نقل الجفان مع الجفا * ن الى جفان كالمناضح
ليست بأصفار لمن * يعفو ولا رح رحارح
للضيف ثم الضيف بعـ * ـد الضيف والبسط السلاطح
وهب المئين من المئـ * ـين الى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبـ * ـل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا * م مزية وزن الرواجح
كتثاقل الارطال بالـ * ـقسطاس في أيدي الموائح
خذلتهم فئة وهم * يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميـ * ـة بالمهندة الصفائح
ولقد عناني صوتهم * من بين مستسق وصائح
لله در بني علي * أيم منهم وناكح
ان لم يغير واغارة * شعواء تجحر كل نابح
بالمقربات المبعدا * ت الطامحات مع الطوامح
مردا على جرد الى * أسد مكالبة كوالح

حكمة الله في الصحة والمرض الناشئين من الحسنات والسيآت الموجبين لصحة القلب ومرضه وهي نظير حكمته تعالى في الصحة والمرض اللاحقين للبدن فان الاقوى منهما يقهر المغلوب ويصير الحكم للحتي يذهب أثر الاضعف فهذه حكمته في خلقه وقضائه وتلك حكمته في شرعه وأمره وهذا كما أنه ثابت في محو السيآت بالحسنات لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت وقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وقوله صلى الله عليه وسلم واتبع السيئة الحسنة تمحها فهو ثابت في عكسه لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وقول عائشة عن زيد بن أرقم انه لما باع بالعينة انه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يتوب وكقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من ترك صلاة العصر حبط عمله الى غير ذلك من النصوص والآثار الدالة على تدافع الحسنات والسيآت وابطال بعضها بعضا وذهاب أثر القوى منها بما دونه وعلى هذا مبنى الموازنة والاحباط والجملة فقوة الاحسان ومرض العصيان متصاولان ومتحاربان ولهذا المرض مع هذه القوة حالة تزايد وترامي الى الهلاك وحالة انحطاط وتناقص وهي خير حالات المريض وحالة وقوف وتقابل الى أن يقهر أحدهما الآخر واذا دخل وقت البحران وهو ساعة المناجزة فحظ القلب أحد الحظين اما السلامة واما العطب وهذا البحران يكون وقت فعل الواجبات التي توجب رضى الرب تعالى ومغفرته أو توجب سخطه وعقوبته وفي الدعاء النبوي أسألك موجبات رحمتك وقال عن طلحة يومئذ أوجب طلحة ورفع الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل وقالوا يا رسول الله انه قد أوجب فقال اعتقوا عنه وفي الحديث الصحيح أتدرون ما الموجبتان قالوا الله ورسوله أعلم قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيأ دخل النار يريد أن التوحيد والشرك رأس الموجبات وأصلها فهما بمنزلة السم القاتل قطعا والترياق المنجي قطعا وكما أن البدن قد يعرض له أسباب رديئة لازمة توهن قوته وتضعفها فلا ينتفع معها بالاسباب الصالحة والاغذية النافعة بل تحيلها تلك المواد الفاسدة الى طبعها وقوتها فلا يزداد بها الا مرضا وقد تقوم مواد صالحة وأسباب موافقة توجب قوته وتمكنه من الصحة وأسبابها فلا تكاد تضره الاسباب الفاسدة بل تحيلها تلك المواد الفاضلة الى طبعها فهكذا مواد صحة القلب وفساده فتأمل قوة ايمان حاطب التي حملته على شهود بدر وبذله نفسه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وايثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته وقرابته وهم بين ظهراني العدو وفي بلدهم ولم يثن ذلك عنان عزمه ولا فل من حد ايمانه ومواجهته بالقتال لمن أهله وعشيرته وأقاربه عندهم فلما جاء مرض الجس برزت اليه هذه القوة وكان البحران صالحا فاندفع المرض وقام المريض كأن لم يكن به قلبة ولما رأى الطبيب قوة ايمانه قد استعلت على مرض جسه وقهرته قال لمن أراد فصده لا يحتاج هذا العارض الى فصاد وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وعكس هذا ذو الخويصرة التميمي واضرابه من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلاة والصيام والقراءة الى حد يحقر أحد الصحابة عمله معه كيف قال فيهم لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وقال اقتلوهم فان في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم وقال شر قتلى تحت أديم السماء فلم ينتفعوا بتلك الاعمال العظيمة مع تلك المواد الفاسدة المهلكة واستحالت فاسدة وتأمل في حال ابليس لما كانت

(١) الوحوح المنكمش الحديد النفس والقوي قاموس

(٢) قوله السراطمة قال في القاموس السرطم كجعفر وزبرج الطويل والبين القول في الكلام والواسع الحلق السريع البلع مع جسم وخلق اه والخلجم الضخم الطويل

ويلاق قرن قرنه * مشىَ المصافح للمصافح　　برهاء ألف ثم ألـــف بين ذى بدن ورامح　　(قال ابن هشام) تركنا منها
بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته
ويلاق قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح　　وأنشدنى أيضا　　وهب المئين من المئيـــن الى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبـ
ـل صادرات عن بلادح
* قال ابن اسحق وقال أمية بن أبى الصلت أيضا يبكى زمعة بن الاسود وقتلى بنى أسد
(١) عين بكى بالمسبلات أبا الحا
رث لاتذخرى على زمعه
أبكى عقيل بن أسود اسد البا
س ليوم الهياج والدفعه
تلك بنو أسد أخوة الجو
زاء لاخانة ولاخدعه
هم الاسرة الوسيطة من كعـ
ـب وهم ذروة السنام والقمعه
وهم أنبتوا من معاشر شعر الرأ
س وهم ألحقوهم المنعه
أمسى بنو عمهم اذا حضر البا
س أكبادهم عليهم وجعه
وهم المطعمون اذ قحط القطـ
ـر وحالت فلا ترى قزعه
(قال ابن هشام) هــذه الرواية لهذه الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء ولكن أنشــدنى أبو محرز خلف الاحمر وغــيره روى بعض مالم يرو بعض
عين بكى بالمسبلات أبا الحا
رث لاتذخرى على زمعه
وعقيل بن أسود أسد البأ
س ليوم الهياج والدفعه
فعلى مثل هلكهم خوت الجو
زاء لاخانة ولاخدعه
وهم الاسرة الوسيطة من كعـ
ـب وفيهم كذروة القمعه
أنبتوا من معاشر شعر الرأ
س وهم ألحقوهم المنعه
فبنو عمهم اذا حضر البا * س عليهم أكبادهم وجعه　　وهم المطعمون اذ قحط القطـ * ـر وحالت فلا ترى قزعه　　* قال ابن
اسحق وقال أبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس بن الحرث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدى بن جشم بن معاوية حليف بنى مخزوم (قال

كانت المادة المهلكة كامنة فى نفســه لم ينتفع معها بما سلف من طاعاته ورجع الى شاكلته وماهو أولى به وكــذلك الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فاتبعه الشــيطان فكان من الغاوين واضرابه واشكاله فالمعوّل على السرائر والمقاصد والنيات والهمم فهى الاكسير الذى يقلب نحاس الاعمال ذهبا أو يردها خبثا وبالله التوفيق ومن له لب وعقل يعلم قدر هذه المسألة وشدّة حاجته اليها وانتفاعه بها ويطلع منها على باب عظيم من أبواب معرفة الله سبحانه وحكمته فى خلقــه وأمره وثوابه وعقابه وأحكام الموازنة وايصال اللذة والالم الى الروح والبــدن فى المعاش والمعاد وتفاوت المراتب فى ذلك باسباب مقتضية بالغة ممن هو قائم على كل نفس بما كسبت

(فصل) وفى هذه القصة جواز مباغتة المعاهدين اذا نقضوا العهد والاغارة عليهــم وان لا يعلمهم بمسيره اليهم واما ما داموا قائمين بالوفاء بالعهد فلا يجوز ذلك حتى ينبذ اليهم على سواء

(فصل) وفيها جواز بل استحباب اظهار كثرة المسلمين وقوتهم وشوكتهــم وهيأتهــم لرسل العدو اذا جاؤا الى الامام كما يفــعل ملوك الاسلام كما أمر النبى صــلى الله عليه وســلم بايقاد النيران ليــلة الدخول الى مكة وأمر العباس ان يحبس أبا سفيان عند حطم الجبــل وهو ما تضايق منه حتى عرضت عليه عساكر الاسلام وعصابة التوحيد وجند الله وعرضت عليه خاصكية رسول الله صــلى الله عليه وسلم وهم فى السلاح لا يرى منهم الا الحدق ثم أرسله فاخبر قريشا بما رأى

(فصل) وفيها جواز دخول مكة للقتال المباح بغير احرام كما دخل رسول الله صــلى الله عليه وسلم والمسلمون وهذا لا خلاف فيه ولا خلاف انه لا يدخلها من أراد الحج أو العمرة الا باحرام واختلف فيما سوى ذلك اذا لم يكن الدخول لحاجة متكررة كالحشاش والحطاب على ثلاثة أقوال أحدها لا يجوز دخولها الا باحرام وهذا مذهب ابن عباس رضى الله عنه وأحمد رحمــه الله فى ظاهر مذهبه والشافعى رضى الله عنه فى أحد أقواله والثانى انه كالحشاش والحطاب فيدخلها بغير احرام وهذا القول الآخر للشافعى رضى الله عنه ورواية عن أحمد رحمه الله والثالث انه ان كان داخل المواقيت جاز دخوله بغير احرام وان كان خارج المواقيت لم يدخل الا باحرام وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم معلوم فى المجاهد ومريد النسك وأما من عداهما فلا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله أو أجمعت عليه الامة

(فصل وفيها البيان الصريح) بان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه جمهور أهل العلم ولا يعرف فى ذلك خلاف الا عن الشافعى وأحمد رحمهما الله فى أحد قوليه وسياق القصة أوضح شاهــد لمن تأمله لقول الجمهور ولما استهجن أبو حامــد الغزالى القول بانها فتحت صلحا حكى قول الشافعى رضى الله عنــه انها فتحت عنوة فى وسيطه وقال هذا مذهبه قال أصحاب الصلح لو فتحت عنوة لقسمها رسول الله صلى الله عليه وســلم بين الغانمين كما قسم خيــبر وكما قسم سائر الغنائم من المنقولات فكان يخمسها ويقسمها قالوا ولما استأمن أبو سفيان لاهل مكة لما أســلم فامنهم كان هذا عقد صلح معهــم قالوا ولو فتحت عنوة لملك الغانمون رباعها ودورها وكانوا أحق بها من أهلها وجاز اخراجهــم منها فحيث لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وســلم بهذا الحــكم بل لم يرد على المهاجرين دورهم التى اخرجوا منها وهى بايدى الذين أخرجوهم وأقرهم على بيع الدور وشرائها واجارتها وسكناها والانتفاع بها وهــذا مناف لاحكام فتوح العنوة وقد صرح باضافــة الدور الى أهلها فقال من دخــل دار أبى ســفيان فهو امن ومن

(١) قوله عين بكى الخ سيذكر المؤلف رحمه الله تعالى قريبا ان هذه الابيات ليست بصحيحة البناء أى غير مستقيمة الوزن

دخل داره فهو آمن قال أرباب العنوة لو كان قد صالحهم لم يكن لامانة المقيد بدخول كل واحد داره واغلاقه بابه والقائه سلاحه فائدة ولم يقاتلهم خالد بن الوليد حتى قتل منهم جماعة ولم ينكر عليه ولما قتل مقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل ومن ذكر معهما فان عقد الصلح لو كان قد وقع لاستثني فيه هؤلاء قطعا ولنقل هذا وهذا ولو فتحت صلحا لم يقاتلهم وقد قال فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم ومعلوم ان هذا الاذن المختص برسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو الاذن في القتال لا في الصلح فان الاذن في الصلح عام وأيضا فلو كان فتحها صلحا لم يقل ان الله أحلها له ساعة من نهار فانها اذا فتحت صلحا كانت باقية على حرمتها ولم تخرج بالصلح عن الحرمة وقد أخبر بانها في تلك الساعة لم تكن حراما وانها بعد انقضاء ساعة الحرب عادت الى حرمتها الاولى وأيضا فانها لو فتحت صلحا لم يعب جيشه خيالتهم ورجالتهم ميمنة وميسرة ومعهم السلاح وقال لابي هريرة اهتف لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا فاطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه أحدهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني على الصفا حتى قال أبو سفيان يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن وهذا محال أن يكون مع الصلح فان كان قد تقدم صلح وكلا فانه ينتقض بدون هذا وأيضا فكيف يكون صلحا وانما فتحت بايجاف الخيل والركاب ولم يحبس الله خيل رسوله وركابه عنها كما حبسها يوم صلح الحديبية فان ذلك اليوم كان يوم الصلح حقا فان القصواء لما بركت به قالوا خلأت القصواء قال ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة من حرمات الله الا أعطيتهموها وكذلك جرى عقد الصلح بالكتاب والشهود ومحضر ملأ من المسلمين والمشركين والمسلمون يومئذ ألف وأربعمائة فجرى مثل هذا الصلح في يوم الفتح ولا يكتب ولا يشهد عليه ولا يحضره أحد ولا ينقل كيفيته والشروط فيه هذا من الممتنع البين امتناعه وتأمل قوله ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين كيف يفهم منه أن قهر رسوله وجنده الغالبين لاهلها أعظم من قهر الفيل الذي كان يدخلها عليهم عنوة فحبسه عنهم وسلط رسوله والمؤمنين عليهم حتى فتحوها عنوة بعد القهر وسلطان العنوة واذلال الكفر وأهله وكان ذلك أجل قدرا وأعظم خطرا وأظهر آية وأتم نصرة وأعلى كلمة من أن يدخلهم تحت رق الصلح واقتراح العدو وشروطهم ويمنعهم سلطان العنوة وعزها وظفرها في أعظم فتح فتحه على رسوله وأعز به دينه وجعله آية للعالمين قالوا وأما قولكم انها لو فتحت عنوة لقسمت بين الغانمين فهذا مبني على أن الارض داخلة في الغنائم التي قسمها الله سبحانه بين الغانمين بعد تخميسها وجمهور الصحابة والائمة بعدهم على خلاف ذلك وان الارض ليست داخلة في الغنائم التي يجب قسمتها وهذه كانت سيرة الخلفاء الراشدين فان بلالا وأصحابه لما طلبوا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقسم بينهم الارض التي فتحوها عنوة وهي الشام وما حولها وقالوا له خذ خمسها واقسمها فقال عمر هذا غير المال ولكن أحبسه فيأ يجري عليكم وعلى المسلمين فقال بلال وأصحابه رضي الله عنهم اقسمها بيننا فقال عمر اللهم اكفني بلالا وذويه فما حال الحول ومنهم عين تطرف ثم وافق سائر الصحابة رضي الله عنهم عمر رضي الله عنه على ذلك وكذلك جرى في فتوح مصر والعراق وأرض فارس وسائر البلاد التي فتحت عنوة لم يقسم منها الخلفاء الراشدون

(قال ابن هشام) وكان شعار أصحاب رسول الله يوم بدر وهم مشركون وكان هبيرة بن أبي وهب فيهم ... وقد أعيا هبيرة فقام فالقي عنه درعه وحمله ومضى به (قال ابن هشام) وهذه أصح أشعار أهل بدر

ولما أن رأيت القوم خفوا * وقد شالت نعامتهم لنفر
وأن تركت سراة القوم صرعى * كأن خيارهم أذباح عتر
وكانت جمة وافت حماما * ولقينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا * كأن زهاءهم غطيان بحر
وقال القائلون من ابن قيس * فقلت أبو أسامة غير فخر
أنا الجشمي كيما تعرفوني * أبين نسبتي نقرا بنقر
فان تك في الغلاصم من قريش * فاني من معاوية بن بكر
فأبلغ مالكا لما غشينا * وعندك (١) مال ان نبأت خبري
وأبلغ ان بلغت المرء عنا * هبيرة وهو ذو علم وقدر
باني اذ دعيت الى أفيد * كررت ولم يضق بالكر صدري
عشية لا يكر على مضاف * ولا ذي نعمة منهم وصهر
فدونكم بني لأى أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو
فلولا مشهدي قامت عليه * موقفة القوائم أم أجر
دفوع للقبور بمنكبيها * كأن بوجهها تحميم قدر
فأقسم بالذي قد كان ربي * وأنصاب لدى الجمرات مغر
لسوف ترون ما حسبي اذا ما * تبدلت الجلود جلود نمر
فما ان خادر من أسد (٢) ترج * مدل عنبس في الغيل مجري
فقد أحمى الاباءة من كلاف * فما يدنو له أحد بنفر
بخل تجر الحلفاء عنه * يواثب كل هجهجة وزجر
باوشك سورة مني اذا ما * حبوت له بقرقرة وهدر
ببيض كالاسنة مرهفات * كأن ظباتهن جحيم جمر
وأكلف مجنأ من جلد ثور * وصفراء البراية ذات أزر
وأبيض كالغدير ثوى عليه * عمير بالمدارس نصف شهر
أرفل في حمائله وأمشي * كمشية خادر ليث سبطر
قربة

(١) قوله مال أي يا مالك (٢) ترج مأسدة كما في القاموس

قرية واحدة ولا يصح أن يقال انه استطاب نفوسهم ووقفها برضاهم فانهم قد نازعوه فى ذلك وهو يأبى عليهم ودعا على بلال وأصحابه رضى الله عنهم وكان الذى رآه وفعله عين الصواب ومحض التوفيق اذ لو قسمت لتوارثها ورثة أولئك وأقاربهم فكانت القرية والبلد تصير الى امرأة واحدة أو صبى صغير والمقاتلة لاشئ بأيديهم فكان فى ذلك أعظم الفساد وأكبره وهذا هو الذى خاف عمر رضى الله عنه منه فوفقه الله سبحانه لترك قسمة الارض وجعلها وقفا على المقاتلة تجرى عليهم فيها حتى يغزو منها آخر المسلمين وظهرت بركة رأيه ويمنه على الاسلام وأهله ووافقه جمهور الائمة واختلفوا فى كيفية ابقائها بلا قسمة فظاهر مذهب الامام أحمد رحمهم الله وأكثر نصوصه على ان الامام مخير فيها تخيير مصلحة لا تخيير شهوة فان كان الاصلح للمسلمين قسمتها قسمها وان كان الاصلح أن يقفها على جماعتهم وقفها وان كان الاصلح قسمة البعض ووقف البعض فعله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل الاقسام الثلاثة فانه قسم أرض قريظة والنضير وترك قسمة مكة وقسم بعض خيبر وترك بعضها لما ينوبه من مصالح المسلمين وعن أحمد رحمه الله رواية ثانية انها تصير وقفا بنفس الظهور والاستيلاء عليها من غير أن ينشئ الامام وقفها وهو مذهب مالك رحمه الله وعنه رواية ثالثة انه يقسمها بين الغانمين كما يقسم بينهم المنقول الا أن يتركوا حقوقهم منها وهو مذهب الشافعى رحمه الله وقال أبو حنيفة رحمه الله الامام مخير بين القسمة وبين أن يقر أربابها فيها بالخراج وبين أن يجليهم عنها وينفذ اليها قوما آخرين يضرب عليهم الخراج وليس هذا الذى فعل عمر رضى الله عنه بمخالف للقرآن فان الارض ليست داخلة فى الغنائم التى أمر الله بتخميسها وقسمتها ولهذا قال عمر انها غير المال ويدل عليه أن اباحة الغنائم لم تكن لغير هذه الامة بل هو من خصائصها كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وقد أحل الله سبحانه الارض التى كانت بايدى الكفار لمن قبلنا من اتباع الرسل اذا استولوا عليها عنوة كما أحلها لقوم موسى فلهذا قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فموسى وقومه قاتلوا الكفار واستولوا على ديارهم وأموالهم فجمعوا الغنائم فنزلت النار من السماء فأكلتها وسكنوا الارض والديار ولم تحرم عليهم فعلم أنها ليست من الغنائم وانها لله يورثها من يشاء

(فصل) وأما مكة فان فيها شيأ آخر يمنع من قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى وهى انها لا تملك فانها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد فهى وقف من الله على العالمين وهم فيها سواء ومنى مناخ من سبق قال تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم والمسجد الحرام هنا المراد به الحرم كله كقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فهذا المراد به الحرم كله وقوله سبحانه سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وفى الصحيح أنه أسرى به من بيت أم هانئ وقال تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام وليس المراد به حضور نفس موضع الصلاة اتفاقا وانما هو حضور الحرم والقرب منه وسياق آية الحج تدل على ذلك فانه قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وهذا لا يختص بمقام الصلاة قطعا بل المراد به الحرم كله فالذى جعله للناس سواء العاكف

يقول لى الفتى سعد هديا * فقلت لعله تقريب غدر
وقلت أباعدى لا تطرهم * وذلك ان أطعت اليوم أمرى
كدأبهم بفروة اذ أتاهم * فظل يقاد مكتوفا بضفر
(قال ابن هشام) وأنشدنى أبو محرز خلف الاحمر
نعدعن الطريق وأدركونا * كأن سراعهم تيار بحر
وقوله مدل عنبس فى الغيل مجرى عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال أبو اسامة أيضا

ألا من مبلغ عنى رسولا
مغلغلة يثبتها لطيف
ألم تعلم مردى يوم بدر
وقد برقت بجنبيك الكفوف
وقد تركت سراة القوم صرعى
كأن رؤسهم (١) حدج نقيف
وقد مالت عليك ببطن بدر
خلاف القوم داهية خصيف
فنجاه من الغمرات عزمى
وعون الله والامر الحصيف
ومنقلبى من الابواء وحدى
ودونك جمع اعداء وقوف
وأنت لمن أرادك مستكين
بجنب كراش مكلوم نزيف
وكنت اذا دعانى يوم كرب
من الاصحاب داع مستضيف
فأسمعنى ولو أحببت نفسى
أخ فى مثل ذلك او حليف
اردّ فاكشف الغماء ارمى
اذا كلح المشافر والانوف
وقرن قد تركت على يديه
ينوء كأنه غصن قصيف
دلفت له اذا اختلطوا بحرى
مسحسحة لعاندها حفيف
فذلك كان صنعى يوم بدر
وقبل أخو مدارات عروف
أخوكم فى السنين كما علمتم
وحرب لا يزال لها صريف
ومقدام لكم لا يزدهينى
جنان الليل والانس اللفيف
اخوض الصرة الجماء خوضا
اذا ما الكلب الجأه الشفيف

(قال ابن هشام) تركت قصيدة لابى أسامة على اللام ليس فيها ذكر بدر الا فى أول بيت منها والثانى كراهية الاكثار * قال ابن اسحق وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر أعينى جودا بدمع سرب * على خير خندف لم ينقلب

(١) الحدج الحنظل

تداعى له من فهر عدوة * بنو هاشم وبنو المطلب يذيقونه حد أسيافهم * يعلونه بعد ما قد عطب يجرونه وعفير التراب *
على وجهه عاريا قد سلب * وكان لنا جبلا راسيا * جميل المراة كثير العشب * فأما برى فلم أعنه * فأوتي من خير ما يحتسب
(وقالت هند أيضا) يريب علينا دهرنا فيسوءنا * ويأبى فما نأتي بشيء يغالبه أبعد قتيل من لؤي بن غالب *

فيه والباد هو الذي توعد من صد عنه ومن أراد الالحاد بالظلم فيه فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس إذ هي محل نسكهم ومتعبدهم فهي مسجد من الله وقفه ووضعه لخلقه ولهذا امتنع النبي صلى الله عليه وسلم أن يبني له بيت بمنى يظله من الحر وقال منى مناخ من سبق ولهذا ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها هذا مذهب مجاهد وعطاء في أهل مكة ومالك في أهل المدينة وأبي حنيفة رحمه الله في أهل العراق وسفيان الثوري والإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه رحمة الله عليهم وروى الإمام أحمد رحمه الله عن علقمة بن نضلة قال كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر من احتاج سكن ومن استغنى أسكن وروى أيضا عن عبد الله بن عمر من أكل أجور بيوت مكة فإنما يأكل في بطنه نار جهنم رواه الدارقطني مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إن الله حرم مكة فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها وقال الإمام أحمد حدثنا معمر عن ليث عن عطاء وطاوس ومجاهد أنهم قالوا يكره أن تباع رباع مكة أو تكرى بيوتها وذكر الإمام أحمد عن القاسم بن عبد الرحمن قال من أكل من كراء بيوت مكة فإنما يأكل في بطنه نارا وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا حجاج عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال نهى عن إجارة بيوت مكة وعن بيع رباعها وذكر عن عطاء قال نهى عن إجارة بيوت مكة وقال أحمد حدثنا إسحق بن يوسف قال حدثنا عبد الملك قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير أهل مكة ينهاهم عن إجارة بيوت مكة وقال إنه حرام وحكى أحمد عن عمر أنه نهى أن يتخذ أهل مكة للدور أبوابا لينزل البادي حيث شاء وحكى عن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه نهى أن تغلق أبواب دور مكة فنهى من لا باب لداره أن يتخذ لها بابا ومن لداره باب أن يغلقه وهذا في أيام الموسم قال المجوزون للبيع والإجارة الدليل على جواز ذلك كتاب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه وخلفائه الراشدين قال الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وقال والذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وقال إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم فأضاف الدور إليهم وهذه إضافة تمليك وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل له أين تنزل غدا بدارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع ولم يقل إنه لا دار لي بل أقرهم على الإضافة وأخبر أن عقيلا استولى عليها ولم ينزعها من يده وإضافة دورهم إليهم في الأحاديث أكثر من أن تذكر كدار أم هانئ ودار خديجة ودار أبي أحمد بن جحش وغيرها وكانوا يتوارثونها كما يتوارثون المنقول ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وكان عقيل هو ورث أبا طالب دوره فإنه كان كافرا ولم يرثه علي رضي الله عنه لاختلاف الدين بينهما فاستولى عقيل على الدور ولم يزالوا قبل الهجرة وبعدها بل قبل المبعث وبعده من مات ورث ورثته داره إلى الآن وقد باع صفوان بن أمية دارا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بأربعة آلاف درهم فاتخذها سجنا وإذا جاز البيع والميراث فالإجارة أجوز وأجوز فهذا موقف أقدام الفريقين كما ترى وحججهم في القوة والظهور لا تدفع وحجج الله وبيناته لا يبطل بعضها بعضا بل يصدق بعضها بعضا ويجب العمل بموجبها كلها والواجب اتباع الحق أين كان فالصواب القول بموجب الأدلة من الجانبين وأن الدور تملك وتوهب وتورث وتباع ويكون نقل الملك في البناء لا في الأرض والعرصة فلو زال بناؤه لم يكن له أن يبيع الأرض وله أن يبنيها ويعيدها كما كانت وهو أحق

يراع امرؤ إن مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قد رزئت مرزأ
تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عني مألكا
فإن ألقه يوما فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب إنه
لكل امرئ في الناس مولى يطالبه
(قال ابن هشام) وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن إسحق وقالت هند أيضا
لله عينا من رأى
هلكا كهلك رجاليه
بل رب باك لي غدا
في النائبات وباكيه
كم غادروا يوم القليب
غداة تلك الواعيه
من كل غيث في السنين
إذا الكواكب خاويه
قد كنت أحذر ما أرى
فاليوم حق حذاريه
قد كنت أحذر ما أرى
فأنا الغداة مواميه
بل رب قائلة غدا
يا ويح أم معاويه
(قال ابن هشام) وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن إسحق وقالت هند أيضا
يا عين بكي عتبه
شيخا شديد الرقبه
يطعم يوم المسغبه
يدفع يوم المغلبه
إني عليه حربه
ملهوفة مستلبه
لنهبطن يثربه
بغارة منتعبه فيها الخيول مقربه * كل جواد سلهبه * وقالت صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن بها
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف تبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم
يا من لعين قذاها عائر الرمد * حد النهار وقرن الشمس لم يقد * أخبرت أن سراة الأكرمين معا * قد أحرزتهم مناياهم إلى أمد

وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم * تعطف غدا تنذأم على ولد   قومي صفي ولا تنسي قرابتهم * وان بكيت فما بكين من بعد
كانوا (١) سقوب سماء البيت فانقصفت * فاصبح السمك منها غير ذي عمد   (قال ابن هشام) أنشدني بيتها كانوا سقوب
بعض أهل العلم بالشعر * قال ابن اسحق وقالت صفية بنت مسافر أيضا

الايامن لعين للتبكي دمعها فاني

بها يسكنها ويسكن فيها من شاء وليس له أن يعاوض على منفعة السكنى بعقد الاجارة فان هذه المنفعة انما يستحق أن يقدم فيها على غيره ويختص بها بالسبقه وحاجته فاذا استغنى عنها لم يكن له أن يعاوض عليها كالجلوس في الرحاب والطرق الواسعة والاقامة على المعادن وغيرها من المنافع والاعيان المشتركة التي من سبق اليها فهو أحق بها مادام ينتفع فاذا استغنى لم يكن له أن يعاوض وقد صرح أرباب هذا القول بان البيع ونقل الملك في رباعها انما يقع على البناء لا على الارض ذكره أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله فان قيل فقد منعتم الاجارة وجوزتم البيع فهل لهذا نظير في الشريعة والمعهود في الشريعة ان الاجارة أوسع من البيع فقد يمتنع البيع وتجوز الاجارة كالوقف والحر فأما العكس فلا عهد لنا به قيل كل واحد من البيع والاجارة عقد مستقل غير مستلزم للآخر في جوازه وامتناعه وموردهما مختلف وأحكامهما مختلفة وانما جاز البيع لانه وارد على المحل الذي كان البائع أخص به من غيره وهو البناء وأما الاجارة فانما ترد على المنفعة وهي مشتركة وللسابق اليها حق التقديم دون المعاوضة فلهذا أجزنا البيع دون الاجارة فان أبيتم الا النظير قيل هذا المكاتب يجوز لسيده بيعه ويصير مكاتبا عند مشتريه ولا يجوز له اجارته اذ فيها ابطال منافعه واكسابه التي ملكها بعقد الكتابة والله أعلم على أنه لا يمتنع البيع وان كانت منافع أرضها ورباعها مشتركة بين المسلمين فانها تكون عند المشتري كذلك مشتركة المنفعة ان احتاج سكن وان استغنى أسكن كما كانت عند البائع فليس في بيعها ابطال اشتراك المسلمين في هذه المنفعة كما انه ليس في بيع المكاتب ابطال ملكه لمنافعه التي ملكها بعقد الكتابة ونظير هذا جواز بيع أرض الخراج التي وقفها عمر رضي الله عنه على الصحيح الذي استقر الحال عليه من عمل الامة قديما وحديثا فانها تنتقل الى المشتري خراجية كما كانت عند البائع وحق المقاتلة انما هو في خراجها وهو لا يبطل بالبيع وقد اتفقت الامة على انها تورث فان كان بطلان بيعها لكونها وقفا فكذلك ينبغي أن تكون وقفيتها مبطلة لميراثها وقد نص أحمد رحمه الله على جواز جعلها صداقا في النكاح فاذا جاز نقل الملك فيها بالصداق والميراث والهبة جاز البيع فيها قياسا وعملا وفقها والله أعلم

(فصل) فاذا كانت مكة قد فتحت عنوة فهل يضرب الخراج على مزارعها كسائر أرض العنوة وهل يجوز لكم أن تفعلوا ذلك أم لا قيل في هذه المسألة قولان لاصحاب العنوة * أحدهما المنصوص المنصور والذي لا يجوز القول بغيره انه لا خراج على مزارعها وان فتحت عنوة فانها أجل وأعظم من أن يضرب عليها الخراج لا سيما والخراج هو جزية الارض وهو على الارض كالجزية على الرؤس وحرم الرب أجل قدرا وأكبر من أن تضرب عليه جزية ومكة بفتحها عادت الى ما وصفها الله عليه من كونها حرما آمنا يشترك فيه أهل الاسلام اذ هو موضع مناسكهم ومتعبدهم وقبلة أهل الارض * والثاني وهو قول بعض أصحاب أحمد رحمه الله ان على مزارعها الخراج كما هو على مزارع غيرها من أرض العنوة وهذا فاسد مخالف لنص أحمد رحمه الله ومذهبه ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده رضي الله عنهم فلا التفات اليه والله أعلم وقد بنى بعض الاصحاب تحريم بيع رباع مكة على كونها فتحت عنوة وهذا بناء غير صحيح فان مساكن أرض العنوة تباع قولا واحدا فظهر بطلان هذا البناء والله أعلم * وفيها تعيين قتل الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان قتله حد لا بد من استيفائه فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمن مقيس بن صبابة وابن خطل

كغربي (٢) دالج يسقي
خلال الغيث الداني
وما ليث غريف ذو
أظافير واسنان
أبو شبلين وثاب
شديد البطش غرثان
كحبي اذ تولى و
وجوه القوم ألوان
و بالكف حسام صا
رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزبدان

(قال ابن هشام) ويروى قولها وما ليث غريف الى آخرها مفصولا من البيتين اللذين قبله * قال ابن اسحق وقالت هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحرث بن المطلب

لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا
وحلما أصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لاضياف غربة
وارملة تهوي لاشعث كالجذل
وبكيه للاقوام في كل شتوة
اذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للايتام والريح زفزف
وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلي
فان تصبح النيران قد مات ضوءها
فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى
ومستنبح أضحى لديه على رسل

(قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت قتيلة بنت الحرث أخت النضر بن الحرث تبكيه

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق   أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق   هل يسمعني النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق

(١) السقب عمود من أعمدة البيت   (٢) قوله دالج بالحاء المهملة الذي يتثاقل في مشيته وبالجيم الساري بالليل كذا بهامش

المحاجر (١) ضنئ كريمة * [illegible] والفحل فحل معرق ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعز ما يغلو به ما ينفق فالنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

(قال ابن هشام) فيقال والله أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه * قال ابن اسحق وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوال

《غزوة بنى سليم بالكدر》

* قال ابن اسحق فلما قدم المدينة لم يقم بها الا سبع ليال غزا بنفسه يريد بنى سليم (قال ابن هشام) واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى فى اقامته تلك جل الاسارى من قريش

《بسم الله الرحمن الرحيم》

《غزوة السويق》

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنه فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد ابن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان من أعلم الانصار حين رجع الى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت

والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه مع ان نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين وأهدر دم أم ولد الاعمى لما قتلها سيدها لاجل سبها النبى صلى الله عليه وسلم وقتل كعب بن الاشرف اليهودى وقال من لكعب فانه قد آذى الله ورسوله وكان يسبه وهذا اجماع من الخلفاء الراشدين ولا نعلم لهم من الصحابة رضى الله عنهم مخالفا فان الصديق رضى الله عنه قال لابى برزة الاسلمى وقد هم بقتل من سبه لم يكن هذا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر عمر رضى الله عنه براهب فقيل له هذا يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو سمعته لقتلته انا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية فى السنة فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب وأى نسبة لمفسدة منعه دينارا فى السنة الى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح السب على رؤس الاشهاد بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد الى مفسدة محاربته بالسب فاولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينتقض عهده بشئ أعظم منه الا سبه الخالق سبحانه فهذا محض القياس ومقتضى النصوص واجماع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلا فان قيل فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يقتل عبد الله بن أبى وقد قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولم يقتل ذا الخويصرة التميمى وقد قال له اعدل فانك لم تعدل ولم يقتل من قال له يقولون انك تنهى عن الغى وتستخلى به ولم يقتل القائل له ان هذه القسمة ما أريد بها وجه الله ولم يقتل من قال له لما حكم للزبير بتقديمه فى السقى أن كان ابن عمتك وغير هؤلاء ممن كان يبلغه عنهم أذى وتنقص قيل الحق كان له فله أن يستوفيه وله أن يسقطه وليس لمن بعده أن يسقط حقه كما ان الرب تعالى له أن يستوفى حقه وله أن يسقط وليس لاحد أن يسقط حقه تعالى بعد وجوبه كيف وقد كان فى ترك قتل من ذكرتم وغيرهم مصالح عظيمة فى حياته زالت بعد موته من تأليف الناس وعدم تنفيرهم عنه فانه لو بلغهم أنه يقتل أصحابه لنفروا وقد أشار الى هذا بعينه وقال لعمر لما أشار عليه بقتل عبد الله بن أبى لا يبلغ الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولا ريب ان مصلحة هذا التأليف وجمع القلوب عليه كانت أعظم عنده وأحب اليه من المصلحة الحاصلة بقتل من سبه وأذاه ولهذا لما ظهرت مصلحة القتل وترجحت جدا قتل الساب كما فعل بكعب بن الاشرف فانه جاهر بالعداوة والسب فكان قتله أرجح من ابقائه وكذلك قتل ابن خطل ومقيس والجاريتين وأم ولد الاعمى فقتل للمصلحة الراجحة وكف للمصلحة الراجحة فاذا صار الامر الى نوابه وخلفائه لم يكن لهم ان يسقطوا حقه

《فصل》 فيما فى خطبته العظيمة ثانى يوم الفتح من أنواع العلم * فمنها قوله ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فهذا تحريم شرعى قدرى سبق به قدره يوم خلق هذا العالم ثم ظهر به على لسان خليله ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما كما فى الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان ابراهيم خليلك حرم مكة وانى أحرم المدينة فهذا اخبار عن ظهور التحريم السابق يوم خلق السموات والارض على لسان ابراهيم ولهذا لم ينازع أحد من أهل الاسلام فى تحريمها وان تنازعوا فى تحريم المدينة والصواب المقطوع به تحريمها اذ قد صح فيه بضعة وعشرون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مطعن فيها بوجه * ومنها قوله فلا يحل لاحد ان يسفك بها دما هذا التحريم لسفك الدم المختص بها وهو الذى يباح فى غيرها ويحرم فيها لكونها حرما كما ان تحريم عضد الشجر بها

واختلاء

---

(١) الضنئ الولد بالفتح ويكسر كما فى القاموس

الليل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه الى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش الى المدينة فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا بها رجلا من الانصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وقد رأوا أزوادا من ازواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أنطمع لنا ان تكون غزوة قال نعم (قال ابن هشام) وانما سميت غزوة السويق فيما حدثني أبو عبيدة ان أكثر ما طرح القوم من ازوادهم السويق فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق * قال ابن اسحق وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه لما صنع به سلام بن مشكم

واني تخيرت المدينة واحدا ... لحلف فلم اندم ولم اتلوم
سقاني فروّاني كميتا مدامة ... على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لأفرحه ابشر بعز ومغنم
تأمل فان القوم سر وانهم ... صريح لؤي لا شماطيط جرهم
وما كان الا بعض ليلة راكب ... أتى ساعيا من غير خلة معدم

(غزوة ذي أمر)

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريبا منها ثم غزا نجدا يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فأقام بنجد صفرا كله أو قريبا من ذلك ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها شهر ربيع الاول كله أو الا قليلا منه

(غزوة الفرع من بحران)

ثم غزا صلى الله عليه وسلم يريد قريشا واستعمل على المدينة

واختلاء خلاها والتقاط لقطتها هو أمر مختص بها وهو مباح في غيرها اذ الجميع في كلام واحد ونظام واحد والا بطلت فائدة التخصيص وهذا أنواع أحدها وهو الذي ساقه أبو شريح العدوي لاجله ان الطائفة الممتنعة بها من مبايعة الامام لا تقاتل لا سيما ان كان لها تأويل كما امتنع أهل مكة من مبايعة يزيد وبايعوا ابن الزبير فلم يكن قتالهم ونصب المنجنيق عليهم واحلال حرم الله جائزا بالنص والاجماع وانما خالف في ذلك عمرو بن سعيد الفاسق وشيعته وعارض نص رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه وهواه فقال ان الحرم لا يعيذ عاصيا فيقال له هو لا يعيذ عاصيا من عذاب الله ولو لم يعذه من سفك دمه لم يكن حرما بالنسبة الى الآدميين وكان حرما بالنسبة الى الطير والحيوان البهيم وهو لم يزل يعيذ العصاة من عهد ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه وقام الاسلام على ذلك وانما لم يعذ مقيس بن صبابة وابن خطل ومن سمي معهما لانه في تلك الساعة لم يكن حرما بل حلا فلما انقضت ساعة الحرب عاد الى ما وضع عليه يوم خلق الله السموات والارض وكانت العرب في جاهليتها ترى الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم فلا يهيجه وكان ذلك بينهم خاصة الحرم التي صار بها حرما ثم جاء الاسلام فأكد ذلك وقواه وعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان من الامة من يتأسى به في احلاله بالقتال والقتل فقطع الالحاق وقال لاصحابه فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لك وعلى هذا فمن أتى حدا أو قصاصا خارج الحرم يوجب القتل ثم لجأ اليه لم يجز اقامته عليه فيه وذكر الامام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وذكر عن عبد الله بن عمر انه قال لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته وعن ابن عباس انه قال لو لقيت قاتل أبي في الحرم ما هجته حتى يخرج منه وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلافه واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله ومن وافقه من أهل العراق والامام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث وذهب مالك والشافعي رحمهما الله الى أنه يستوفى منه في الحرم كما يستوفى منه في الحل وهو اختيار ابن المنذر واحتج لهذا القول بعموم النصوص الدالة على استيفاء الحدود والقصاص في كل مكان وزمان وبان النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا بخربة وبانه لو كان الحدود والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم ولم يمنعه من اقامته عليه وبانه لو أتى فيه بما يوجب حدا أو قصاصا لم يعذه الحرم ولم يمنع من اقامته عليه فكذلك اذا أتاه خارجه ثم لجأ اليه اذ كونه حرما بالنسبة الى عصمته لا يختلف بين الامرين وبانه حيوان أبيح قتله لفساده فلم يفترق الحال بين قتله لاجئا الى الحرم وبين كونه قد أوجب ما أبيح قتله فيه كالحية والحدأة والكلب العقور ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم فنبه بقتلهن في الحل والحرم على العلة وهي فسقهن ولم يجعل التجاءهن الى الحرم مانعا من قتلهن وكذلك فاسق بني آدم الذي قد استوجب القتل قال الاولون ليس في هذا ما يعارض ما ذكرنا من الادلة ولا سيما قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وهذا اما خبر بمعنى الامر لاستحالة الخلف في خبره تعالى واما خبر عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه واما اخبار عن الامر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والاسلام كما قال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وما عدا

هذا من الاقوال الباطلة فلا يلتفت اليه كقول بعضهم ومن دخله كان آمنا من النار وقول بعضهم كان آمنا من الموت على غير الاسلام ونحو ذلك فكم ممن دخله وهو في قعر الجحيم وأما العمومات الدالة على استيفاء الحدود والقصاص في كل زمان ومكان فيقال أولا لا تعرض في تلك العمومات لزمان الاستيفاء ولا مكانه كما لا تعرض فيها لشروطه وعدم موانعه فان اللفظ لا يدل عليها بوضعه ولا بتضمنه فهو مطلق بالنسبة اليها ولهذا اذا كان للحكم شرط أو مانع لم يقل ان توقف الحكم عليه تخصيص لذلك العام فلا يقول محصل ان قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم مخصوص بالمنكوحة في عدتها أو بغير اذن وليها أو بغير شهود فهكذا النصوص العامة في استيفاء الحدود والقصاص لا تعرض فيها لزمنه ولا مكانه ولا شرطه ولا مانعه ولو قدر تناول اللفظ لذلك لوجب تخصيصه بالادلة الدالة على المنع لئلا يبطل موجبها ووجب حمل اللفظ العام على ما عداها كسائر نظائره واذا خصصتم تلك العمومات بالحامل والمرضع والمريض الذي يرجى برؤه والحال المحرمة للاستيفاء كشدة المرض أو البرد أو الحر فالمانع من تخصيصها بهذه الادلة وان قلتم ليس ذلك تخصيصا بل تقييد لمطلقها كان الكلام بهذا الصاع سواء بسواء وأما قتل ابن خطل فقد تقدم انه كان في وقت الحل والنبي صلى الله عليه وسلم قطع الالحاق ونص على ان ذلك من خصائصه وقوله صلى الله عليه وسلم وانما أحلت لي ساعة من نهار صريح في انه انما أحل له سفك دم حلال في غير الحرم في تلك الساعة خاصة اذ لو كان حلالا في كل وقت لم يختص بتلك الساعة وهذا صريح في ان الدم الحلال في غيرها حرام فيها فيما عدا تلك الساعة وأما قوله الحرم لا يعيذ عاصيا فهو من كلام الفاسق عمرو بن سعيد الاشدق يرد به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين روى له أبو شريح الكعبي هذا الحديث كما جاء مبينا في الصحيح وكيف يقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قولكم لو كان الحد والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم منه فهذه المسألة فيها قولان للعلماء وهما روايتان منصوصتان عن الامام أحمد رحمه الله فمن منع الاستيفاء نظر الى عموم الادلة العاصمة بالنسبة الى النفس وما دونها ومن فرق قال سفك الدم انما ينصرف الى القتل ولا يلزم من تحريمه في الحرم تحريم ما دونه لان حرمة النفس أعظم والانتهاك بالقتل أشد قالوا ولان الحد بالجلد أو القطع يجري مجرى التأديب فلم يمنع منه كتأديب السيد عبده وظاهر هذا المذهب انه لا فرق بين النفس وما دونها في ذلك قال أبو بكر هذه مسألة وجدتها لحنبل عن عمه ان الحدود كلها تقام في الحرم الا القتل قال والعمل على ان كل جان دخل الحرم لم يقم عليه الحد حتى يخرج منه قالوا وحينئذ فنجيبكم بالجواب المركب وهو انه ان كان بين النفس وما دونها في ذلك فرق مؤثر بطل الالزام وان لم يكن بينهما فرق مؤثر سوينا بينهما في الحكم وبطل الاعتراض فتحقق بطلانه على التقديرين قالوا وأما قولكم ان الحرم لا يعيذ من انتهك فيه الحرمة اذ أتى فيه ما يوجب الحد فكذلك اللاجئ اليه فهو جمع بين ما فرق الله ورسوله والصحابة بينهما فروى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال من سرق أو قتل في الحل ثم دخل الحرم فانه لا يجالس ولا يكلم ولا يؤوى حتى يخرج فيؤخذ فيقام عليه الحد وان سرق أو قتل في الحرم أقيم عليه في الحرم وذكر الاثرم عن ابن عباس أيضا من أحدث حدثا في الحرم أقيم عليه ما أحدث فيه من شيء وقد أمر الله سبحانه بقتل من قاتل في الحرم فقال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم والفرق بين اللاجئ والمنتهك فيه من وجوه أحدها ان

الجانى

ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا

﴿أمر بني قينقاع﴾

وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قينقاع وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم قالوا يا محمد انك ترى انا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس * قال ابن اسحق فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نزل هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد (قال ابن هشام) وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان من أمر بني قينقاع ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين امكنه الله منهم

الجانى فيه هاتك لحرمته باقدامه على الجناية فيه بخلاف من جنى خارجه ثم لجأ اليه فانه معظم لحرمته مستشعر بها بالتجائه اليه فقياس أحدهما على الآخر باطل الثانى ان الجانى فيه بمنزلة المفسد الجانى على بساط الملك فى داره وحرمه ومن جنى خارجه ثم لجأ اليه فانه بمنزلة من جنى خارج بساط الملك وحرمه ثم دخل الى حرمه مستجيرا الثالث ان الجانى فى الحرم قد اهتك حرمة الله سبحانه وحرمة بيته وحرمه فهو هاتك لحرمتين بخلاف غيره الرابع انه لو لم يقم الحد على الجناة فى الحرم لعم الفساد وعظم الشر فى حرم الله فان أهل الحرم كغيرهم فى الحاجة الى صيانة نفوسهم وأموالهم واعراضهم ولو لم يشرع الحد فى حق من ارتكب الجرائم فى الحرم لتعطلت حدود الله وعم الضرر للحرم وأهله والخامس ان اللاجئ الى الحرم بمنزلة التائب المتنصل اللاجئ الى بيت الرب تعالى المتعلق باستاره فلا يناسب حاله ولا حال بيته وحرمه ان يهاج بخلاف المقدم على انتهاك حرمته فظهر سر الفرق وتبين ان ما قاله ابن عباس هو محض الفقه وأما قولكم انه حيوان مفسد فابيح قتله فى الحل والحرم كالكلب العقور فلا يصح القياس فان الكلب العقور طبعه الاذى فلم يحرمه الحرم ليدفع أذاه عن أهله وأما الآدمى فالاصل فيه الحرمة وحرمته عظيمة فانما أبيح لعارض فاشبه الصائل من الحيوانات المباحة من المأكولات فان الحرم يعصمها وأيضا فان حاجة أهل الحرم الى قتل الكلب العقور والحية والحدأة كحاجة أهل الحل سواء فلو أعاذها الحرم لعظم عليهم الضرر بها

(فصل ومنها قوله صلى الله عليه وسلم) ولا يعضد بها شجر وفى اللفظ الآخر ولا يعضد شوكها وفى لفظ فى صحيح مسلم ولا يخبط شوكها لا خلاف بينهم ان الشجر البرى الذى لم ينبته الآدمى على اختلاف أنواعه مراد من هذا اللفظ واختلفوا فيما انبته الآدمى من الشجر فى الحرم على ثلاثة أقوال وهى فى مذهب أحمد رحمه الله أحدها ان له قلعه ولا ضمان عليه وهذا اختيار ابن عقيل وأبى الخطاب وغيرهما والثانى انه ليس له قلعه وان فعل ففيه الجزاء بكل حال وهذا قول الشافعى رحمه الله وهو الذى ذكره ابن البناء فى خصاله الثالث الفرق بين ما انبته فى الحل ثم غرسه فى الحرم وبين ما انبته فى الحرم أولا فالاول لا جزاء فيه والثانى لا يقلع وفيه الجزاء بكل حال وهذا قول القاضى وفيه قول رابع وهو الفرق بين ما ينبت الآدمى جنسه كالاوز والجوز والنخل ونحوه وما لا ينبت الآدمى جنسه كالدوح والسلم ونحوه فالاول يجوز قلعه ولا جزاء فيه والثانى لا يجوز وفيه الجزاء قال صاحب المغنى والاولى الاخذ بعموم الحديث فى تحريم الشجر كله الا ما انبت الآدمى من جنس شجرهم بالقياس على ما انبتوه من الزرع والاهلى من الحيوان فاننا انما أخرجنا من الصيد ما كان أصله انسيا دون ما أنس من الوحشى كذا ههنا وهذا تصريح منه باختيار هذا القول الرابع فصار فى مذهب أحمد رحمه الله أربعة أقوال والحديث ظاهر جدا فى تحريم قطع الشوك والعوسج وقال الشافعى رحمه الله لا يحرم قطعه لانه يؤذى الناس بطبعه فاشبه السباع وهذا اختيار أبى الخطاب وابن عقيل وهو مروى عن عطاء ومجاهد وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم لا يعضد شوكها وفى اللفظ الآخر لا يختلى شوكها صريح فى المنع ولا يصح قياسه على السباع العادية فان تلك تقصد بطبعها الاذى وهذا لا يؤذى من لم يدن منه والحديث لم يفرق بين الاخضر واليابس ولكن قد جوزوا قطع اليابس قالوا لانه بمنزلة الميت ولا يعرف فيه خلاف وعلى هذا فسياق الحديث يدل على انه انما أراد الاخضر فانه جعله بمنزلة تنفير الصيد وليس فى أخذ اليابس انتهاك حرمة الشجرة الخضراء التى تسبح بحمد ربها ولهذا غرس

فقال يا محمد أحسن فى موالى وكانوا حلفاء الخزرج قال فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن فى موالى قال فاعرض عنه فادخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وكان يقال لها ذات الفضول * قال ابن اسحق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال ويحك أرسلنى قال لا والله لا ارسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعونى من الاحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك (قال ابن هشام) واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته اياهم بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة ليلة * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بامرهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقام دونهم قال ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بنى عوف لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله ابن أبى فخلعهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال ففيه وفى عبد الله بن أبى نزلت القصة من المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض أى كعبد الله بن أبى وقوله انى أخشى الدوائر يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم ثم القصة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وذلك لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم

يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

(سرية زيد بن حارثة الى القردة من مياه نجد)

(قال ابن اسحق) وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حين أصاب عير قريش وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة ماء من مياه نجد وكان من حديثها ان قريشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون الى الشأم حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم فى ذلك على الطريق (قال ابن هشام) فرات بن حيان من بنى عجل حليف لبنى سهم * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان بن ثابت بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لاخذهم تلك الطريق

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها
جلاد كأفواه المخاض الاوارك
بايدى رجال هاجروا نحو ربهم
وانصاره حقا وأيدى الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج
فقولا لها ليس الطريق هنالك

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات لحسان بن ثابت نقضها عليه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وسنذكرها ونقيضتها ان شاء الله موضعها

(قتل كعب بن الاشرف)

(قال ابن اسحق) وقتل كعب بن الاشرف وكان من حديث كعب بن الاشرف انه لما أصيب أصحاب بدر وقدم زيد بن حارثة الى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة الظفرى وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة وصالح بن أبى امامة بن سهل كل قد حدثنى بعض حديثه قالوا قال كعب بن الاشرف وكان رجلا من طيء ثم أحد بنى نبهان وكانت أمه من بنى النضير حين بلغه الخبر أحق هذا

النبى صلى الله عليه وسلم على القبر بن غصنين أخضرين وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وفى الحديث دليل على انه اذا انقلعت الشجرة بنفسها أو انكسر الغصن جاز الانتفاع به لانه لم يعضده هو وهذا لانزاع فيه فان قيل فما تقولون فيما اذا قلعها قالع ثم تركها فهل يجوز له أو لغيره ان ينتفع بها قيل قد سئل الامام أحمد رحمه الله عن هذه المسألة فقال من شبهه بالصيد لم ينتفع بحطبها وقال لم أسمع اذا قطعه ينتفع به وفيه وجه آخر انه يجوز لغير القاطع الانتفاع به لانه قطع بغير فعله فابيح له الانتفاع به كما لو قلعته الريح وهذا بخلاف الصيد اذا قتله محرم حيث يحرم على غيره فان قتل المحرم له جعله ميتة وقوله فى اللفظ الآخر ولا يخبط شوكها صريح أو كالصريح فى تحريم قطع الورق وهذا مذهب أحمد رحمه الله وقال الشافعى رحمه الله له أخذه ويروى عن عطاء والاول أصح لظاهر النص والقياس فان منزلته من الشجرة منزلة ريش الطائر منه وأيضا فان أخذ الورق ذريعة الى يبس الاغصان فانه لباسها ووقايتها

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) ولا يختلى خلاها الاخلاف ان المراد من ذلك ما ينبت بنفسه دون ما انبته الآدميون ولا يدخل اليابس فى الحديث بل هو للرطب خاصة فان الخلا بالقصر الحشيش الرطب ما دام رطبا فاذا يبس فهو حشيش واخلت الارض كثر خلاها واختلاء الخلا قطعه ومنه الحديث كان ابن عمر يختلى لفرسه ومنه سميت المخلاة وهى وعاء الخلا والاذخر مستثنى بالنص وفى تخصيصه بالاستثناء دليل على ارادة العموم فيما سواه فان قيل فهل يتناول الحديث الرعى أم لا قيل هذا فيه قولان أحدهما لا يتناوله فيجوز الرعى وهذا قول الشافعى رحمه الله والثانى يتناوله بمعناه وان لم يتناوله بلفظه فلا يجوز الرعى وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله والقولان لاصحاب أحمد رحمه الله قال المحرمون وأى فرق بين احتلائه وتقديمه للدابة وبين ارسال الدابة عليه ترعاه قال المبيحون لما كانت عادة الهدايا ان تدخل الحرم وتكثر فيه ولم ينقل قط انها كانت تسد أفواهها دل على جواز الرعى قال المحرمون الفرق بين ان يرسلها ترعى ويسلطها على ذلك وبين ان ترعى بطبعها من غير ان يسلطها صاحبها وهو لا يجب عليه ان يسد أفواهها كما لا يجب عليه ان يسد أنفه فى الاحرام عن شم الطيب وان لم يجز له ان يتعمد شمه وكذلك لا يجب عليه ان يمتنع من السير خشية ان يوطئ صيدا فى طريقه وان لم يجز له ان يقصد ذلك وكذلك نظائره فان قيل فهل يدخل فى الحديث أخذ الكمأة والفقع وما كان مغيبا فى الارض قيل لا يدخل فيه لانه بمنزلة الثمرة وقد قال أحمد يؤكل من شجر الحرم الضغابيس والعشرق

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) ولا ينفر صيدها صريح فى تحريم التسبب الى قتل الصيد واصطياده بكل سبب حتى انه لا ينفره عن مكانه لانه حيوان محترم فى هذا المكان قد سبق الى مكان فهو أحق به ففى هذا ان الحيوان المحترم اذا سبق الى مكان لم يزعج عنه

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يلتقط ساقطتها الا لمن عرفها) وفى لفظ ولا تحل ساقطتها الا لمنشد فيه دليل على ان لقطة الحرم لا تملك بحال وانها لا تلتقط الا للتعريف لا للتمليك والا لم يكن لتخصيص مكة بذلك فائدة أصلا وقد اختلف فى ذلك فقال مالك وأبو حنيفة رحمهما الله لقطة الحل والحرم سواء وهذا احدى الروايتين عن أحمد وأحد قولى الشافعى ويروى عن ابن عمر وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وقال أحمد فى الرواية الاخرى والشافعى فى القول الآخر لا يجوز التقاطها

للتمليك

أترون محمدا اقتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان يعني زيدا وعبد الله بن رواحة فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته

للتمليك وانما يجوز لحفظها لصاحبها فان التقاطها عرفها أبدا حتى يأتي صاحبها وهذا قول عبد الرحمن ابن مهدي وأبي عبيدة وهذا هو الصحيح والحديث صريح فيه والمنشد المعرف والناشد الطالب ومنه قوله اصاخة الناشد للمنشد وقد روى أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج قال ابن وهب يعني يتركها حتى يجدها صاحبها قال شيخنا وهذا من خصائص مكة والفرق بينها وبين سائر الآفاق في ذلك ان الناس يتفرقون عنها الى الاقطار المختلفة فلا يتمكن صاحب الضالة من طلبها والسؤال عنها بخلاف غيرها من البلاد

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم في الخطبة) ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يقتل واما ان يأخذ الدية فيه دليل على ان الواجب بقتل العمد لا يتعين في القصاص بل هو أحد شيئين اما القصاص واما الدية وفي ذلك ثلاثة أقوال وهي روايات عن الامام أحمد أحدها ان الواجب أحد شيئين اما القصاص أو الدية والخيرة في ذلك الى الولي بين أربعة أشياء العفو مجانا والعفو الى الدية والقصاص ولا خلاف في تخييره بين هذه الثلاثة والرابع المصالحة على أكثر من الدية فيه وجهان أشهرهما مذهبا جوازه والثاني ليس له العفو على مال الا الدية أو دونها وهذا أرجح دليلا فان اختار الدية سقط القود ولم يملك طلبه بعد وهذا مذهب الشافعي وأحد الروايتين عن مالك والقول الثاني ان موجبه القود عينا وانه ليس له ان يعفو الى الدية الا برضا الجاني فان عدل الى الدية ولم يرض الجاني فقوده بحاله وهذا مذهب مالك في الرواية الأخرى وأبي حنيفة والقول الثالث ان موجبه القود عينا مع التخيير بينه وبين الدية وان لم يرض الجاني فاذا عفا عن القصاص الى الدية فرضي الجاني فلا اشكال وان لم يرض فله العود الى القصاص عينا فان عفا عن القود مطلقا فان قلنا الواجب أحد الشيئين فله الدية وان قلنا الواجب القصاص عينا سقط حقه منها فان قيل فما تقولون فيما لو مات القاتل قلنا في ذلك قولان أحدهما تسقط الدية وهو مذهب أبي حنيفة لان الواجب عندهم القصاص عينا وقد زال محل استيفائه بفعل الله تعالى فشبه ما لو مات العبد الجاني فان أرش الجناية لا ينتقل الى ذمة السيد وهذا بخلاف تلف الرهن وموت الضامن حيث لا يسقط الحق لثبوته في ذمة الراهن والمضمون عنه فلم يسقط بتلف الوثيقة وقال الشافعي وأحمد رحمهما الله تتعين الدية في تركته لانه تعذر استيفاء القصاص من غير اسقاط فوجب الدية لئلا يذهب حق الورثة من الدم والدية مجانا فان قيل فما تقولون لو اختار القصاص ثم اختار بعده العفو الى الدية هل له ذلك قلنا هذا فيه وجهان أحدهما ان له ذلك لان القصاص أعلى فكان له الانتقال الى الادنى والثاني ليس له ذلك لانه لما اختار القصاص فقد أسقط الدية باختياره له فليس له ان يعود اليها بعد اسقاطها فان قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين قوله صلى الله عليه وسلم من قتل عمدا فهو قود قيل لا تعارض بينهما بوجه فان هذا يدل على وجوب القود بقتل العمد وقوله فهو بخير النظرين يدل على تخييره بين استيفاء هذا الواجب له وبين أخذ بدله وهو الدية فأي تعارض وهذا الحديث نظير قوله تعالى كتب عليكم القصاص وهذا لا ينفي تخيير المستحق له بين ما كتب له وبين بدله والله أعلم

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) في الخطبة الا الاذخر بعد قول العباس له الا الاذخر يدل على مسئلتين احداهما اباحة قطع الاذخر والثانية انه لا يشترط في الاستثناء ان ينويه من أول الكلام ولا قبل فراغه لان النبي صلى الله عليه وسلم لو كان ناويا للاستثناء الاذخر من أول كلامه أو قبل تمامه

وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال

طحنت رحا بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا ان الملوك تصرع
كم قد أصيب به من ابيض ماجد ... ذي بهجة تأوي اليه الضيع
طلق اليدين اذا الكواكب أخلفت ... حمال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم ... ان ابن الاشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتلوا ... ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
صار الذي أثر الحديث بطعنه ... أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع
نبئت أن بني المغيرة كلهم ... خشعوا لقتل أبي الحكيم وجدعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبه ... ما نال مثل المهلكين وتبع
نبئت ان الحرث بن هشامهم ... في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما ... يحمي على الحسب الكريم الاورع

(قال ابن هشام) قوله تبع وأسر بسخطهم عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فأجابه حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه فقال

ابكى لكعب ثم عل بعبرة ... منه وعاش مجدعا لا يسمع
ولقد رأيت ببطن بدر منهم ... قتلى تسح لها العيون وتدمع
فابكى فقد أبكيت عبدا راضعا * شبه الكليب الى الكليبة يتبع
ولقد شفا الرحمن منا سيدا * وأهان قوما قاتلوه وصرعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه * شغف يظل لخوفه يتصدع

(قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله أبكى لكعب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقالت امرأة من المسلمين

من بني مريد بطن من بلى كانوا حلفاء في بني أمية بن زيد يقال لهم الجعادرة تجيب كعبا (قال ابن هشام) اسمها ميمونة بنت عبد الله وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الابيات لها وينكر نقيضتها لكعب بن الاشرف تحنن هذا العبد كل تحنن * يبكي على قتلى وليس بناصب بكت عين من يبكي لبدر وأهله * (٤٤٢) وعلت بمثليها لؤي بن غالب فليت الذين ضرجوا بدمائهم * يرى ما بهم من كان بين الاخاشب

لم يتوقف استثناؤه له على سؤال العباس له ذلك واعلامه أنهم لابد لهم منه لقينهم وبيوتهم ونظير هذا استثناؤه صلى الله عليه وسلم اسهيل بن بيضاء من أسارى بدر بعد ان ذكره به ابن مسعود فقال لا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضربة عنق فقال ابن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فقال الا سهيل بن بيضاء ومن المعلوم أنه لم يكن قد نوى الاستثناء في الصورتين من أول كلامه ونظيره أيضا قول الملك لسليمان لما قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله يقال له الملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله تعالى لقاتلوا في سبيل الله أجمعون وفي لفظ لكان دركا لحاجته فاخبر ان هذا الاستثناء لو وقع منه في هذه الحالة لنفعه ومن يشترط النية يقول لا ينفعه ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم لاغزون قريشا والله لاغزون قريشا ثلاثا ثم سكت ثم قال ان شاء الله فهذا استثناء بعد سكوت وهو يتضمن انشاء الاستثناء بعد الفراغ من الكلام والسكوت عليه وقد نص أحمد على جوازه وهو الصواب بلا ريب والمصير الى موجب هذه الاحاديث الصحيحة الصريحة أولى وبالله التوفيق

(فصل) وفي القصة ان رجلا من الصحابة يقال له أبو شاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كتب عني شيأ غير القرآن فليمحه وهذا كان في أول الاسلام خشية ان يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن في الكتابة لحديثه وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يجعلها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والائمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

(فصل وفي القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم) دخل البيت وصلى فيه ولم يدخله حتى محيت الصور منه ففيه دليل على كراهة الصلاة في المكان المصور وهذا أحق بالكراهة من الصلاة في الحمام لان كراهة الصلاة في الحمام اما لكونه مظنة النجاسة واما لكونه بيت الشيطان وهو الصحيح وأما محل الصور فمظنة الشرك وغالب شرك الامم كان من جهة الصور والقبور

(فصل) وفي القصة انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ففيه دليل على جواز لبس السواد أحيانا ومن ثم جعل خلفاء بني العباس لبس السواد شعارا لهم ولولاتهم وقضاتهم وخطبائهم والنبي صلى الله عليه وسلم لم يلبسه لباسا راتبا ولا كان شعاره في الاعياد والجمع والمجامع العظام البتة وانما اتفق له لبس العمامة السوداء يوم الفتح دون سائر الصحابة ولم يكن سائر لباسه يومئذ السواد بل كان لواؤه أبيض

(فصل) ومما وقع في هذه الغزوة اباحة متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة واختلف في الوقت الذي حرمت فيه المتعة على أربعة أقوال أحدها انه يوم خيبر وهذا قول طائفة من العلماء منهم الشافعي وغيره والثاني انه عام فتح مكة وهذا قول ابن عيينة وطائفة والثالث انه عام حنين وهذا في الحقيقة هو القول الثاني لاتصال غزاة حنين بالفتح والرابع انه عام حجة الوداع وهو وهم من بعض الرواة سافر فيه وهمه من فتح مكة الى حجة الوداع كما سافر وهم معاوية من عمرة الجعرانة الى حجة الوداع حيث قال قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص على المروة في حجته وقد تقدم في الحج وسفر الوهم من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ومن واقعة الى واقعة كثيرا ما يعرض للحفاظ

فيعلم حقا عن يقين ويبصروا * مجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابه كعب بن الاشرف فقال

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا * عن القول يأتي منه غير مقارب
اتشتمني أن كنت أبكي بعبرة * لقوم أتاني ودهم غير كاذب
فاني لباك ما بقيت وذاكر * مآثر قوم مجدهم بالجباجب
لعمري لقد كانت مريد بمعزل * عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب
فحق مريد ان تجذ أنوفهم * بشتمهم حيي لؤي بن غالب
وهبت نصيبي من مريد لجعدر * وفاء وبيت الله بين الاخاشب

ثم رجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لي بابن الاشرف فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الاشهل أنا لك به يا رسول الله أنا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا فقال انما عليك الجهد قال يا رسول الله انه لابد لنا من أن نقول قال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الاشهل وكان أخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الاشهل والحرث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وأبو عبس بن جبر أحد بني حارثة ثم قدموا الى عدو الله كعب بن الاشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا

فن

وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف اما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال له سلكان انى قد أردت ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك فقال اترهنونى أبناءكم قال لقد أردت أن تفضحنا ان معى أصحابا لى على مثل رأيى وقد أردت ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء وأراد سلكان ان لا ينكر السلاح اذا جاؤا بها قال ان فى الحلقة لوفاء قال فرجع سلكان الى أصحابه فأخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) ويقال قال أترهنونى نساءكم قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم قال اترهنونى ابناءكم * قال ابن اسحق فحدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته وهو فى ليلة مقمرة واقبلوا حتى انتهوا الى حصنه فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لأعرف فى صوته الشر قال يقول لها كعب لو يدعى الفتى لطعنة لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال هل لك يا ابن الاشرف أن نتماشى الى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه قال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة شام يده فى فودرأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كاليوم طيبا أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودرأسه ثم قال اضربوا عدو

فمن دونهم والصحيح ان المتعة انما حرمت عام الفتح لانه قد ثبت فى صحيح مسلم انهم استمتعوا عام الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم باذنه ولو كان التحريم زمن خيبر لزم النسخ مرتين وهذا لا عهد بمثله فى الشريعة البتة ولا يقع مثله فيها وأيضا فان خيبر لم يكن فيها مسلمات وانما كن يهوديات واباحة نساء أهل الكتاب لم يكن ثبت بعد انما ابيح بعد ذلك فى سورة المائدة بقوله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهذا متصل بقوله اليوم أكملت لكم دينكم وبقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وهذا كان فى آخر الامر بعد حجة الوداع أو فيها فلم تكن اباحة نساء أهل الكتاب ثابتة زمن خيبر ولا كان للمسلمين رغبة فى الاستمتاع بنساء عدوهم قبل الفتح وبعد الفتح استرق من استرق منهن وصرن اماء للمسلمين فان قيل فما تصنعون بما ثبت فى الصحيحين من حديث على ابن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا صحيح صريح قيل هذا الحديث قد صحت روايته بلفظين هذا أحدهما والثانى الاقتصار على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر هذه رواية ابن عيينة عن الزهرى قال قاسم بن أصبغ قال سفيان بن عيينة يعنى انه نهى عن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر لا عن نكاح المتعة ذكره أبو عمر فى التمهيد ثم قال على هذا أكثر الناس انتهى فتوهم بعض الرواة ان يوم خيبر ظرف لتحريمهن فرواه حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعة زمن خيبر والحمر الاهلية واقتصر بعضهم على رواية بعض الحديث فقال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعة زمن خيبر فجاء بالغلط البين فان قيل فاى فائدة فى الجمع بين التحريمين اذا لم يكونا قد وقعا فى وقت واحد وأين المتعة من تحريم الحمر قيل هذا الحديث رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه محتجا به على ابن عمه عبد الله بن عباس فى المسئلتين فانه كان يبيح المتعة ولحوم الحمر فناظره على بن أبى طالب فى المسئلتين وروى له التحريمين وقيد تحريم الحمر زمن خيبر وأطلق تحريم المتعة وقال انك امرؤ تائه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم المتعة وحرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر كما قاله سفيان بن عيينة وعليه أكثر الناس فروى الامرين محتجا عليه بهما لا مقيدا لهما بيوم خيبر والله الموفق ولكن ههنا نظر آخر وهو انه هل حرمها تحريم الفواحش التى لا تباح بحال أو حرمها عند الاستغناء عنها وأباحها للمضطر هذا هو الذى نظر فيه ابن عباس وقال أنا أبحتها للمضطر كالميتة والدم فلما توسع فيها من توسع ولم يقف عند الضرورة امسك ابن عباس عن الافتاء بحلها ورجع عنه وقد كان ابن مسعود يرى اباحتها ويقرأ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ففى الصحيحين عنه قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا نساء فقلنا ألا نختصى فنهانا ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب الى أجل ثم قرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقراءة عبد الله هذه الآية عقيب هذا الحديث يحتمل أمرين أحدهما الرد على من يحرمها وانها لو لم تكن من الطيبات لما أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى أن يكون أراد آخر هذه الآية وهو الرد على من أباحها مطلقا وانه معتد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رخص فيها للضرورة وعند الحاجة فى الغزو وعند عدم

الله فضربوه واختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيأ فأخذته وقد صاح عدو
الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن
أوس بن معاذ فجرح في رأسه او في رجله أصابه بعض أسيافنا قال فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ثم على بني

قريظة ثم على بعاث حتى اسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث بن اوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا قال فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا فرجع ورجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه * قال ابن اسحق فقال كعب بن مالك

فغودر منهم كعب صريعا
فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته
بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد اذ دس ليلا
الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر
ومحمود أخو ثقة جسور

(قال ابن هشام) وهذه الابيات في قصيدة له في يوم بني النضير سأذكرها ان شاء الله في حديث ذلك اليوم * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب ابن الاشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق

لله در عصابة لاقيتهم
يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم
مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم
* فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

(قال ابن هشام) وسأذكر قتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه ان شاء الله وقوله ذفف عن غير ابن اسحق

(أمر محيصة وحويصة)

* قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود (قال ابن هشام)

النساء وشدة الحاجة الى المرأة فمن رخص فيها في الحضر مع كثرة النساء وامكان النكاح المعتاد فقد اعتدى والله لا يحب المعتدين فان قيل فكيف تصنعون بما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر وسلمة بن الاكوع قالا خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء قيل هذا كان زمن الفتح قبل التحريم ثم حرمها بعد ذلك بدليل ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمة بن الاكوع قال رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وعام أوطاس هو عام الفتح لان غزاة أوطاس متصلة بفتح مكة فان قيل فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث وفيما ثبت عن عمر انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما متعة النساء ومتعة الحج قيل الناس في هذا طائفتان طائفة تقول ان عمر هو الذي حرمها ونهى عنها وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع ما سنه الخلفاء الراشدون ولم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح فانه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده وقد تكلم فيه ابن معين ولم ير البخاري اخراج حديثه في صحيحه مع شدة الحاجة اليه وكونه أصلا من أصول الاسلام ولو صح عنده لم يصبر عن اخراجه والاحتجاج به قالوا ولو صح حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود حتى يروي انهم فعلوها ويحتج بالآية وأيضا ولو صح لم يقل عمر انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها بل كان يقول انه صلى الله عليه وسلم حرمها ونهى عنها قالوا ولو صح لم تفعل على عهد الصديق وهو عهد خلافة النبوة حقا والطائفة الثانية رأت صحة حديث سبرة ولو لم يصح فقد صح حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم متعة النساء فوجب حمل حديث جابر على ان الذي أخبر عنها بفعلها لم يبلغه التحريم ولم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر رضي الله عنه فلما وقع فيها النزاع ظهر تحريمها واشتهر وبهذا تأتلف الاحاديث الواردة فيها وبالله التوفيق

(فصل وفي قصة الفتح) من الفقه جواز اجارة المرأة وأمانها الرجل والرجلين كما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم أمان أم هانئ لحمويها وفيها من الفقه جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردته من غير استتابة فان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ولحق بمكة فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه فامسك عنه طويلا ثم بايعه وقال انما أمسكت عنه ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال له رجل هلا أومأت الي يا رسول الله فقال ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين فهذا كان قد تغلظ كفره بردته بعد ايمانه وهجرته وكتابة الوحي ثم ارتد ولحق بالمشركين يطعن على الاسلام ويعيبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فلما جاء به عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله حياء من عثمان ولم يبايعه ليقوم اليه بعض أصحابه فيقتله فهابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدموا على قتله بغير اذنه واستحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عثمان وساعد القدر السابق لما يريد الله سبحانه بعبد الله مما ظهر منه بعد ذلك من الفتوح فبايعه

وكان

(١) ويقال محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس على ابن سينة (قال ابن هشام) ويقال ابن شبينة رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذذاك لم يسلم وكان أسنّ من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول أى عدوّ الله أقتلته اما

والله لرب شحم فى بطنك من ماله قال محيصة فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك قال فوالله ان كان لاول اسلام حويصة قال آلله لو أمرك محمد بقتلى اقتلتنى قال نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها قال والله ان دينا بلغ بك هذا العجب فأسلم حويصة * قال ابن اسحق حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها محيصة فقال محيصة فى ذلك

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله
لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله
متى ما أصوّبه فليس بكاذب
وما سرنى أنى قتلتك طائعا
وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

(قال ابن هشام) وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى قال لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود وكانوا حلفاء الاوس على الخزرج وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تضرب أعناقهم فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر الى الاوس فلم ير ذلك فيهم وظن ان ذلك للحلف الذى بين الاوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة الا اثنا عشر رجلا فدفعهم الى الاوس فدفع الى كل رجلين من الاوس رجلا من بنى قريظة وقال ليضرب فلان وليذفف فلان وكان ممن دفع اليهم كعب بن يهوذا وكان عظيما فى بنى قريظة فدفعه الى محيصة بن مسعود والى أبى بردة بن نيار وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جذعا من المعز فى الاضحى وقال ليضربه محيصة وليذفف عليه

وكان ممن استثنى الله بقوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم وقوله صلى الله عليه وسلم ماينبغى لنبى أن تكون له خائنة الاعين أى ان النبى صلى الله عليه وسلم لايخالف ظاهره باطنه ولاسره علانيته واذا نفذ حكم الله وأمره لم يومئ به بل صرح به وأعلنه وأظهره

(فصل فى غزوة حنين وتسمى غزوة أوطاس) وهما موضعان بين مكة والطائف فسميت الغزوة باسم مكانها وتسمى غزوة هوازن لانهم الذين أتوا القتال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمع مالك بن عوف النضرى واجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت اليه مضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدها من بنى قيس بن غيلان الا هؤلاء ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب وفى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه الا رأيه ومعرفته بالحرب وكان شجاعا مجربا وفى ثقيف سيدان لهم وفى الاحلاف قارب بن الاسود وفى بنى مالك سبيع بن الحرث وأخوه أحمر ابن الحرث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النضرى فلما أجمع السير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فلما نزل قال باى واد أنتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لاحزن ضرس ولا سهل دهس مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصبى وثغاء الشاء قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم قال أين مالك قيل هذا مالك ودعى له قال يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت ان أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فقال راعى ضأن والله وهل يرد المنهزم شئ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها أحد منهم قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم يغب عنهم كعب ولا كلاب ولوددت انكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدها منكم قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك الجذعان من عامر لاينفعان ولا يضران يا مالك انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ ارفعهم الى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم الق الصباة على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك قال والله لا أفعل انك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعنى هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأى فقالوا أطعناك فقال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى

ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الدمع * كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد وبعث عيونا

(١) قوله ويقال محيصة ضبط الاول بضم الميم وفتح الحاء وسكون التحتية والثانى بضم الميم وفتح الحاء وتشديد التحتية مكسورة

أبو بردة فضربه محيصة ضربة لم تقطع وذفف أبو بردة فاجهز عليه فقال حويصة وكان كافرا لأخيه محيصة أقتلت كعب بن يهوذا قال نعم فقال
حويصة أما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله انك للئيم يا محيصة فقال له محيصة لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك فعجب من
قوله ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا انه جعل يتيقظ من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح وهو يقول والله

ان هذا الدين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال محيصة في ذلك أبياتا قد كتبناها * قال ابن اسحق وكانت اقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان وغزته قريش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث

﴿غزوة أحد﴾

وكان من حديث أحد كما حدثني محمد ابن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا أو من قاله منهم لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان ابن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثارنا بمن أصاب منا ففعلوا * قال ابن اسحق ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير باحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله صلى الله

من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا ان أصابنا ما ترى فوالله ما رده ذلك عن وجهه ان مضى على ما يريد فلما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي وأمره ان يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى هوازن ذكر له ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة وكانوا اثني عشر ألفا واستعمل عتاب بن أسيد على مكة أميرا ثم مضى يريد لقاء هوازن فقال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا قال وفي عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأجنابه ومضايقه قد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد منهم على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال الى أين أيها الناس هلم الى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين وأهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان ابن الحرث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن ابن أم أيمن وقتل يومئذ قال ورجل من هوازن على جمل له احمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينا هو كذلك اذ أهوى عليه علي بن أبي طالب ورجل من الانصار يريدانه قال فأتى علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه فوثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال فاجتلد الناس قال فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق ولما انهزم المسلمون ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الطعن فقال أبو سفيان ابن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وان الازلام لمعه في كنانته وصرخ جبلة بن الحنبل وقال ابن هشام صوابه كلدة ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان أخوه لامه وكان بعد مشركا اسكت فض الله فاك فوالله لان يربني رجل من قريش أحب الى من أن يربني رجل من هوازن وذكر ابن سعد عن شيبة بن عثمان الحجبي قال لما كان عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فاثأر منه فاكون أنا الذي قت

بشار

عليه وسلم يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة وكان في الاسارى فقال يارسول الله انى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صفوان بن أمية يا أبا عزة انك امرؤ شاعر فاعنا بلسانك فاخرج معنا فقال ان محمدا قد منّ علي فلا أريد ان اظاهر عليه قال فاعنا بنفسك فلك الله علي ان رجعت ان اغنيك وان أصبت أن اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر و يسر فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول

أيا بني عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل اسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بني مالك بن كنانة يحرضهم و يدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يامال مال الحسب المقدم
أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم
الحلف وسط البلد المحرم
* عند حطيم الكعبة المعظم *

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق فخرجت قريش بحدها و جدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وان لا يفروا وخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه بهند ابنة عتبة وخرج عكرمة بن أبي جهل بام حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وخرج الحرث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان ابن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان بن أمية (قال ابن هشام) ويقال رقية * قال ابن اسحق وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الانصارية وهي أم بني طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ هم وأبوهم وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب احدى

بشار قريش كلها وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا تبع محمدا ما اتبعته أبدا وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الامر في نفسي الا قوة فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فاصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي حتى كدت أشعره اياه فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداني ياشيب أدن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب الي من سمعي و بصري ونفسي وأذهب الله ما كان في نفسي ثم قال أدن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله اعلم اني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيا لاوقعت به السيف فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد وقربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ورجع الى معسكره فدخل خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه أحد غيري حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال ياشيب الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مالم أكن أذكره لاحد قط قال فقلت فاني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك وقال ابن اسحق وحدثني الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال اني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها وكنت امرأ جسيما شديد الصوت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس الى أين أيها الناس قال فلم أر الناس يلوون على شيء فقال يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا معشر أصحاب السمرة فأجابوا لبيك لبيك قال فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوة أول ما كانت يا للانصار ثم خلصت آخرا يا للخزرج وكانوا صبرا عند الحرب فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمي الوطيس وزاد غيره

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وفي صحيح مسلم ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد فما هو الا أن رماهم فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا وفي لفظ انه نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وذكر ابن اسحق عن جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون يوم حنين مثل البجاد الاسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم فلم أشك انها الملائكة قال ابن اسحق ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعري فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمي بسهم فقتل فأخذ الراية

لنساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزة بن عمير وهي أم مصعب بن عمير وخرجت عمرة بنت علقمة احدى نساء بني الحرث بن عبد مناة بن
كنانة وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت ويها أبا دسمة اشف واشتف وكان وحشي يكنى بأبي دسمة فاقبلوا حتى نزلوا بعينين
بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد

نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها بالمدينة (قال ابن هشام) وحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت بقرا لي تذبح قال فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل * قال ابن اسحق فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأيه في ذلك وان لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله ابن أبي ابن سلول يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين

كما جاؤا فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو أحد بني
النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك

أبو موسى الاشعري وهو ابن عمه فقاتل ففتح الله عليه فهزمهم الله وقتل قاتل أبي عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لأبي عامر وأهله واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك واستغفر لأبي موسى ومضى مالك بن عوف حتى تحصن بحصن ثقيف وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنائم ان يجمع فجمع ذلك كله ووجهوه الى الجعرانة وكان السبي ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة فاستأنى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة ثم بدأ بالاموال فقسمها وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الابل فقال ابني يزيد فقال أعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل فقال ابني معاوية فقال أعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل وأعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه وأعطى النضر بن الحرث بن كلدة مائة من الابل وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين وذكر أصحاب المائة وأصحاب الخمسين وأعطى العباس بن مرداس أربعين فقال في ذلك شعرا فكمل له المائة ثم أمر زيد بن ثابت باحضار الغنائم والناس ثم فرضها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعا من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثني عشر بعيرا وعشرين ومائة شاة * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا الكبار في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء وجد هذا الحي من الانصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الانصار منها شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا الا من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتى سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الانصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك أوجدتم علي يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وواديا وسلكت الانصار شعبا وواديا لسلكت شعب الانصار وواديها الانصار شعار والناس دثار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا وأوقفت الشيماء بنت الحرث بن عبد العزى

العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقالت يا رسول الله انى أختك من الرضاعة قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها فقال ان أحببت الاقامة فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان امتعك فترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وتردنى الى قومى ففعل فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوّجت احداهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية وقال أبو عمر فاسلمت فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وسماها خدامة وقال والشيماء لقب

(فصل) وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن صرد وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فسألوه أن يمن عليهم بالسبى والاموال فقال ان معى من ترون وان أحب الحديث الى أصدقه فأبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقال اذا صليت الغداة فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد علينا سبينا فلما صلى الغداة قاموا فقالوا ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وسأسأل لكم الناس فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء القوم قد جاؤا مسلمين وقد كنت استأنيت سبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده منهن شئ فطابت نفسه بان يردّه فسبيل ذلك ومن أحب أن يستمسك بحقه فليرد عليهم وله بكل فريضة ست فرائض من أوّل ما يفئ الله علينا فقال الناس قد طيبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لا نعرف من رضى منكم ممن لم يرض فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن فانه أبى أن يردّ عجوزا صارت فى يديه منهم ثم ردّها بعد ذلك وكسا رسول الله صلى الله عليه وسلم السبى قبطية قبطية

(فصل) فى الاشارة الى بعض ما تضمنته هذه الغزوة من المسائل الفقهية والنكت الحكمية

كان الله عز وجل قد وعد رسوله وهو صادق الوعد انه اذا فتح مكة دخل الناس فى دينه أفواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمته تعالى ان أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ليظهر أمر الله وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر الله سبحانه رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون مثلها فلا يقاومهم بعد أحد من العرب ولغير ذلك من الحكم الباهرة التى تلوح للمتأملين وتبدو للمتوسمين فاقتضت حكمته سبحانه ان أذاق المسلمين أوّلا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوّة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه (قال ابن هشام) واستعمل بالمدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس * قال ابن اسحق حتى اذا

كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم وعصانى ماندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام اخو بنى سلمة يقول ياقوم أذكركم الله ان لا تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوّهم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ولكن نرى انه لا يكون قتال قال فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عز وجل عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وذكر غير زياد عن محمد بن اسحق عن الزهرى ان الانصار يوم أحد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نستعين بحلفائنا من يهود فقال لا حاجة لنا فيهم * قال زياد وحدثنى محمد بن اسحق قال ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف فاستله (قال ابن هشام) (١) ويقال كلاب سيف * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف شم سيفك فانى أرى السيوف اليوم ستسل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أى من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة اخو بنى حارثة بن الحرث أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى وكان رجلا منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين

(١) قوله ويقال كلاب سيف ضبط الاول بضم الكاف وتشديد اللام والثانى بفتح الكاف وتشديد اللام أيضا

ان ذقنه تكاد ان تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته ان أحل له حرمه وبلده ولم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عنده وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له غيره وانه سبحانه هو الذى تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التى أعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيأ فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم أرسلت اليها خلع الجبر مع بريد النصر فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته ان خلع النصر وجوائزه انما تفيض على أهل الانكسار ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون * ومنها ان الله سبحانه لما منع الجيش غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهبا ولا فضة ولا متاعا ولا سبيا ولا أرضا كما روى أبو داود عن وهب بن منبه قال سألت جابرا هل غنموا يوم الفتح شيأ قال لا وكانوا قد فتحوها بايجاف الخيل والركاب وهم عشرة ألف وفيهم حاجة الى ما يحتاج اليه الجيش من أسباب القوة فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف فى قلوبهم اخراج أموالهم ونعمهم وشياههم وسبيهم معهم نزلا وضيافة وكرامة لحزبه وجنده وتمم تقديره سبحانه بان أطمعهم فى الظفر وألاح لهم مبادى النصر ليقضى الله أمرا كان مفعولا فلما أنزل الله نصره على رسوله وأوليائه وبردت الغنائم لاهلها وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل لا حاجة لنا فى دمائكم ولا فى نسائكم وذراريكم فأوحى الله سبحانه الى قلوبهم التوبة والانابة فجاؤا مسلمين فقيل ان من شكر اسلامكم واتيانكم أن نرد عليكم نساءكم وأبناءكم وسبيكم وان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ومنها ان الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوة بدر وختم غزوهم بغزوة حنين ولهذا يقرن بين هاتين الغزاتين بالذكر فيقال بدر وحنين وان كان بينهما سبع سنين والملائكة قاتلت بانفسها مع المسلمين فى هاتين الغزاتين والنبى صلى الله عليه وسلم رمى فى وجوه المشركين بالحصباء فيهما وبهاتين الغزاتين طفيت جمرة العرب لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فالاولى خوفتهم وكسرت من حدهم والثانية استفرغت قواهم واستنفدت سهامهم وأذلت جمعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله ومنها ان الله سبحانه جبر بها أهل مكة وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم وكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وان كان عين جبرهم وعرفهم تمام نعمته عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن فانه لم يكن لهم بهم طاقة وانما نصروا عليهم بالمسلمين ولو أفردوا عنهم لاكلهم عدوهم الى غير ذلك من الحكم التى لا يحيط بها الا الله تعالى

(فصل) وفيها من الفقه ان الامام ينبغى له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم وان الامام اذا سمع بقصد عدوه له وفى جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم بل يسير اليهم كما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوازن حتى لقيهم بحنين ومنها ان الامام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه كما استعار رسول الله صلى الله عليه وسلم أدراع صفوان وهو يومئذ مشرك ومنها ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكمل الخلق توكلا وانما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بانواع السلاح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة والبيضة على رأسه وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس

قام يحثى فى وجوههم التراب ويقول ان كنت رسول الله فانى لا أحل لك ان تدخل حائطى وقد ذكر لى انه أخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال والله لو انى اعلم انى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب اعمى البصر وقد بدر اليه سعد بن زيد اخو بنى عبد الاشهل قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس فى رأسه فشجه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار (قال ابن هشام) وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزارى ورافع بن خديج أخا بنى حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما فقيل له يا رسول الله ان رافعا رام فاجازه فلما أجاز رافعا قيل له يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعا فاجازه ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد ابن ثابت أحد بنى مالك بن النجار والبراء بن عازب أحد بنى حارثة وعمرو بن حزم أحد بنى مالك بن النجار وأسيد بن ظهير أحد بنى حارثة ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة * قال ابن اسحق وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام

وكثير

وكثير ممن لاتحقيق عنده ولارسوخ فى العلم يستشكل هذا و يتكايس فى الجواب تارة بان هذا فعله تعليما للامة وتارة بان هذا كان قبل نزول الآية ووقعت فى مصر مسألة سأل عنها بعض الامراء وقد ذكر له حديث ذكره أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه الكبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ان أهدت له اليهودية الشاة المسمومة لا يأكل طعاما قدم له حتى يأكل منه من قدمه قالوا وفى هذا أسوة للملوك فى ذلك فقال قائل كيف يجمع بين هذا و بين قوله تعالى والله يعصمك من الناس فاذا كان الله سبحانه قد ضمن له العصمة فهو يعلم أنه لاسبيل لبشر اليه وأجاب بعضهم بان هذا يدل على ضعف الحديث و بعضهم بان هذا كان قبل نزول الآية فلما نزلت لم يكن ليفعل ذلك بعدها ولو تأمل هؤلاء ان ضمان الله له العصمة لا ينافى تعاطيه لاسبابها لاغناهم عن هذا التكلف فان هذا الضمان له من ربه تبارك وتعالى لا يناقض احتراسه من الناس ولا ينافيه كما ان اخبار الله سبحانه له بانه يظهر دينه على الدين كله و يعليه لا يناقض أمره بالقتال واعداد العدة والقوة ورباط الخيل والاخذ بالجد والحذر والاحتراس من عدوه ومحاربته بانواع الحرب والتورية وكان اذا أراد الغزوة ورى بغيرها وذلك بان هذا اخبار من الله سبحانه عن عاقبة حاله ومآله بما يتعاطاه من الاسباب التى جعلها الله مفضية الى ذلك مقتضية له وهو صلى الله عليه وسلم أعلم بربه وأتبع لامره من أن يعطل الاسباب التى جعلها الله له بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر واظهار دينه وغلبته لعدوه وهذا كما انه سبحانه ضمن له حياته حتى يبلغ رسالاته و يظهر دينه وهو يتعاطى أسباب الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس حتى آل ذلك ببعضهم الى ان ترك الدعاء وزعم انه لافائدة فيه لان المسؤل ان كان قد قدر ناله ولابد وان لم يقدر لم ينله فاى فائدة فى الاشتغال بالدعاء ثم تكايس فى الجواب بان قال الدعاء عبادة فيقال لهذا الغالط بقى عليك قسم آخر وهو الحق انه قد قدر له مطلوب بسبب ان تعاطاه حصل له المطلوب ومامثل هذا الغالط الامثل من يقول ان كان الله قد قدر لى الشبع فانا أشبع أكلت أولم آكل وان لم يقدر لى الشبع لم أشبع أكلت أولم آكل فمافائدة الاكل وامثال هذه الترهات الباطلة المنافية لحكمة الله تعالى وشرعه وبالله التوفيق *

(فصل وفيها ان النبى صلى الله عليه وسلم) شرط لصفوان فى العارية الضمان فقال بل عارية مضمونة فهل هذا اخبار عن شرعه فى العارية ووصف لها بوصف شرعه الله فيها وان حكمها الضمان كما يضمن المغصوب أو اخبار عن ضمانها بالاداء بعينها ومعناه انى ضامن لك تأديتها وانها لاتذهب بل أردها اليك بعينها هذا مما اختلف فيه الفقهاء فقال الشافعى وأحمد رحمهما الله بالاول وانها مضمونة بالتلف وقال أبو حنيفة ومالك رحمهما الله بالثانى وانها مضمونة بالرد على تفصيل فى مذهب مالك وهو ان العين ان كانت مما لايغاب عليه كالحيوان والعقار لم تضمن بالتلف الا ان يظهر كذبه وان كانت مما يغاب عليه كالحلى ونحوه ضمنت بالتلف الا ان يأتى ببينة تشهد على التلف وسر مذهبه ان العارية أمانة غير مضمونة كما قال أبو حنيفة الا أنه لا يقبل قوله فيما يخالف الظاهر فلذلك فرق بين ما يغاب عليه و بين مالا يغاب عليه ومأخذ المسألة ان قوله صلى الله عليه وسلم لصفوان بل عارية مضمونة هل أراد به انها مضمونة بالرد أو بالتلف أى أضمنها ان تلفت أو أضمن لك ردها وهو يحتمل الامرين وهو فى

اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة فقال وما حقه يارسول الله قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه اياه وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين * قال ابن اسحق فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بنى سلمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة وقد كان خرج حين خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الاوس و بعض الناس كان يقول كانوا خمسة عشر رجلا وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يامعشر الاوس انا أبو عامر قالوا فلا أنعم الله بك عينا يافاسق وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة * قال ابن اسحق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال يابنى عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما ان تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وتقول

ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق * وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أمت أمت فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس (قال ابن هشام حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ضمان الرد أظهر لثلاثة أوجه أحدها ان في اللفظ الآخر بل عارية مؤداة فهذا يبين ان قوله مضمونة المراد به المضمونة بالاداء الثاني انه لم يسأله عن تلفها وانما سأله هل تأخذها مني أخذ غصب تحول بيني وبينها فقال لا بل أخذ عارية أؤديها اليك ولو كان سأله عن تلفها وقال أخاف أن تذهب لناسب ان يقول أنا ضامن لها ان تلفت الثالث انه جعل الضمان صفة لها نفسها ولو كان ضمان تلف لكان الضمان لبدلها فلما وقع الضمان على ذاتها دل على انه ضمان أداء فان قيل ففي القصة ان بعض الدروع ضاع فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم ان يضمنها فقال أنا اليوم في الاسلام أرغب قيل هل عرض عليه أمرا واجبا أو أمرا جائزا مستحبا الاولى فعله وهو من مكارم الاخلاق والشيم ومن محاسن الشريعة وقد يترجح الثاني بانه عرض عليه الضمان ولو كان الضمان واجبا لم يعرضه عليه بل كان يفي له به ويقول هذا حقك كما لو كان الذاهب بعينه موجودا فانه لم يكن ليعرض عليه رده فتأمله

(فصل) وفيها جواز عقر فرس العدو ومركوبه اذا كان ذلك عونا على قتله كما عقر علي كرم الله وجهه جمل حامل راية الكفار وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه وفيها عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن هم بقتله ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره حتى عاد كانه ولي حميم ومنها ما ظهر في هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة من اخباره لشيبة بما أضمر في نفسه ومن ثباته وقد تولى عنه الناس وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقد استقبلته كتائب المشركين ومنها ايصال الله قبضته التي رمى بها الى عيون أعدائه على البعد منه وبركته في تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم الى غير ذلك من معجزاته فيها كنزول الملائكة للقتال معه حتى رآهم العدو جهرة ورآهم بعض المسلمين ومنها جواز انتظار الامام بقسم الغنائم اسلام الكفار ودخولهم في الطاعة فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم وفي هذا دليل لمن يقول ان الغنيمة انما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستيلاء عليها اذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء لم يستأن بهم النبي صلى الله عليه وسلم ليردها عليهم وعلى هذا فلو مات أحد من الغانمين قبل القسمة أو احرازها بدار الاسلام رد نصيبه على بقية الغانمين دون ورثته وهذا مذهب أبي حنيفة لو مات قبل الاستيلاء لم يكن لورثته شئ ولو مات بعد القسمة فسهمه لورثته

(فصل وهذا العطاء الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم) لقريش والمؤلفة قلوبهم هل هو من أصل الغنيمة أو من الخمس أو من خمس الخمس فقال الشافعي ومالك رحمهما الله هو من خمس الخمس وهو سهمه صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله له من الخمس وهو غير الصفي وغير ما يصيبه من المغنم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستأذن الغانمين في تلك العطية ولو كان العطاء من أصل الغنيمة لاستأذنهم لانهم ملكوها بحوزها والاستيلاء عليها وليس من أصل الخمس لانه مقسوم على خمسة فهو اذا من خمس الخمس وقد نص الامام أحمد على ان النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة وهذا العطاء هو من النفل نفل النبي صلى الله عليه وسلم به رؤس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الاسلام فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس والربع بعده لما فيه من تقوية الاسلام وشوكته وأهله

واستجلاب

السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته اياه قبله فاعطاه اياه وتركني والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذي عاهدني خليلي
ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا أقوم الدهر في الكيول
اضرب بسيف الله والرسول

(قال ابن هشام) ويروى في الكبول يعني آخر الصفوف * قال ابن اسحق فجعل لا يلقى أحدا الا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير فقلت الله ورسوله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو دجانة سماك بن خرشة رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال له حمزة هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي (قال ابن هشام) شريق بن الاخنس بن شريق وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشي غلام جبير بن مطعم والله اني لأنظر الى حمزة

بهذا الناس بسيفه مايليق به شيأ مثل الجمل الاورق اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال حمزة هلم الى يا بن مقطعة البظور فضربه ضربة (١) فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى بشيء حاجة غيره * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان فادر بنا مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير ابن مطعم قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال لى عبيد الله بن عدي هل لك في ان نأتي وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله قال قلت له ان شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال انا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمرة فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه قال فخرجنا نمشي حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له فاذا شيخ كبير مثل البغاث (قال ابن هشام) البغاث ضرب من الطير الى السواد فاذا هو صاح لا بأس به قال فلما انتهينا اليه سلمنا عليه فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدي فقال ابن لعدي بن الخيار أنت قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فاني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حين رفعتك اليها فوالله ماهو الا أن وقفت على فعرفتهما قال فجلسنا اليه فقلنا له جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته فقال اما اني سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم

واستجلاب عدوه اليه وهكذا وقع سواء كما قال بعض هؤلاء الذين نعلمهم لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الخلق الى فمازال يعطيني حتى انه لأحب الخلق الى فما ظنك بعطاء قوى الاسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه واستجلب به قلوب رؤس القبائل والعشائر الذين اذا غضبوا غضب لغضبهم اتباعهم واذا رضوا رضوا لرضاهم فاذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم فلله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجداه وأنفعه للاسلام وأهله ومعلوم ان الانفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الامر فلو وضع الغنائم باسرها في هؤلاء لمصلحة الاسلام العامة لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل ولما عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي واضرابه عن هذه المصلحة والحكمة قال له قائلهم اعدل فانك لم تعدل وقال مشبهه ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ولعمر الله ان هؤلاء من أجهل الخلق برسوله ومعرفته بربه وطاعته له وتمام عدله واعطائه لله ومنعه لله ولله سبحانه ان يقسم الغنائم كما يحب وله ان يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم وله ان يسلط عليها نارا من السماء تأكلها وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وما فعل ما فعله من ذلك عبثا ولا قدره سدى بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة مصدره كمال علمه وعزته وحكمته ورحمته ولقد أتم نعمته على قوم ردهم الى منازلهم برسوله صلى الله عليه وسلم يقودونه الى ديارهم وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه وهذا فضله وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون ورسوله منفذ لامره * فان قيل فلو دعت حاجة الامام في وقت من الاوقات الى مثل هذا مع عدوه هل يسوغ له ذلك قيل الامام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين فان تعين ذلك للدفع عن الاسلام والذب عن حوزته واستجلاب رؤس أعدائه اليه ليأمن المسلمون شرهم ساغ له ذلك بل تعين عليه وهل تجوز الشريعة غير هذا فانه وان كان في الحرمان مفسدة فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الاصلين وبالله التوفيق

(فصل وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم) قال من لم يطيب نفسه فله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا ففي هذا دليل على جواز بيع الرقيق بل الحيوان بعضه ببعض نسيئة ومتفاضلا وفي السنن من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يجهز جيشا فنفدت الابل فأمره أن يأخذ على قلائص الصدقة وكان يأخذ البعير بالبعيرين الى ابل الصدقة وفي السنن عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة رواه الترمذي من حديث الحسن عن سمرة وصححه وفي الترمذي من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيوان اثنان بواحد لا يصلح نسيئا ولا باس به يدا بيد قال الترمذي حديث حسن فاختلف الناس في هذه الاحاديث على أربعة أقوال وهي روايات عن أحمد أحدها جواز ذلك متفاضلا ومتساويا نسيئة ويدا بيد وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله والثاني لا يجوز ذلك نسيئة ولا متفاضلا والثالث يحرم الجمع بين النساء والتفاضل ويجوز البيع

(١) قوله فكأنما أخطأ رأسه هذا يقال عند المبالغة في الاصابة كذا في الزرقاني على المواهب

ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أمت أمت فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس (قال ابن هشام) حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم

السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته اياه قبله فأعطاه اياه وتركني والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذي عاهدني خليلي
ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا أقوم الدهر في الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

(قال ابن هشام) ويروى في الكبول يعني آخر الصفوف * قال ابن اسحق فجعل لا يلقى أحدا الا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير فقلت الله ورسوله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو دجانة سماك بن خرشة رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال له حمزة هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي (قال ابن هشام) شريق بن الاخنس بن شريق وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشي غلام جبير بن مطعم والله اني لأنظر الى حمزة

ضمان الرد أظهر لثلاثة أوجه أحدها ان في اللفظ الآخر بل عارية مؤداة فهذا يبين ان قوله مضمونة المراد به المضمونة بالاداء الثاني انه لم يسأله عن تلفها وانما سأله هل تأخذها مني أخذ غصب تحول بيني وبينها فقال لا بل أخذ عارية أؤديها اليك ولو كان سأله عن تلفها وقال أخاف أن تذهب لناسب ان يقول أنا ضامن لها ان تلفت الثالث انه جعل الضمان صفة لها نفسها ولو كان ضمان تلف لكان الضمان لبدلها فلما وقع الضمان على ذاتها دل على انه ضمان أداء فان قيل ففي القصة ان بعض الدروع ضاع فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم ان يضمنها فقال أنا اليوم في الاسلام أرغب قيل هل عرض عليه أمرا واجبا أو أمرا جائزا مستحبا الاولى فعله وهو من مكارم الاخلاق والشيم ومن محاسن الشريعة وقد يترجح الثاني بانه عرض عليه الضمان ولو كان الضمان واجبا لم يعرضه عليه بل كان يفي له به ويقول هذا حقك كما لو كان الذاهب بعينه موجودا فانه لم يكن ليعرض عليه رده فتأمله

(فصل) وفيها جواز عقر فرس العدو ومركوبه اذا كان ذلك عونا على قتله كما عقر علي كرم الله وجهه جمل حامل راية الكفار وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه وفيها عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن هم بقتله ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره حتى عاد كأنه ولي حميم ومنها ما ظهر في هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة من اخباره لشيبة بما أضمر في نفسه ومن ثباته وقد تولى عنه الناس وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقد استقبلته كتائب المشركين ومنها ايصال الله قبضته التي رمى بها الى عيون أعدائه على البعد منه وبركته في تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم الى غير ذلك من معجزاته فيها كنزول الملائكة للقتال معه حتى رآهم العدو جهرة ورآهم بعض المسلمين ومنها جواز انتظار الامام بقسم الغنائم اسلام الكفار ودخولهم في الطاعة فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم وفي هذا دليل لمن يقول ان الغنيمة انما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستيلاء عليها اذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء لم يستأن بهم النبي صلى الله عليه وسلم ليردها عليهم وعلى هذا فلو مات أحد من الغانمين قبل القسمة أو احرازها بدار الاسلام رد نصيبه على بقية الغانمين دون ورثته وهذا مذهب أبي حنيفة لو مات قبل الاستيلاء لم يكن لورثته شئ ولو مات بعد القسمة فسهمه لورثته

(فصل وهذا العطاء الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم) لقريش والمؤلفة قلوبهم هل هو من أصل الغنيمة أو من الخمس أو من خمس الخمس فقال الشافعي ومالك رحمهما الله هو من خمس الخمس وهو سهمه صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله له من الخمس وهو غير الصفي وغير ما يصيبه من المغنم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستأذن الغانمين في تلك العطية ولو كان العطاء من أصل الغنيمة لاستأذنهم لانهم ملكوها بحوزها والاستيلاء عليها وليس من أصل الخمس لانه مقسوم على خمسة فهو اذا من خمس الخمس وقد نص الامام أحمد على ان النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة وهذا العطاء هو من النفل نفل النبي صلى الله عليه وسلم به رؤس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الاسلام فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس والربع بعده لما فيه من تقوية الاسلام وشوكته وأهله

واستجلاب

واستجلاب عدوه اليه وهكذا وقع سواء كما قال بعض هؤلاء الذين نملهم لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لأحب الخلق الي فما ظنك بعطاء قوى الاسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه واستجلب به قلوب رؤس القبائل والعشائر الذين اذا غضبوا غضب لغضبهم اتباعهم واذا رضوا رضوا لرضاهم فاذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم فلله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجداه وأنفعه للاسلام وأهله ومعلوم ان الانفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الامر فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الاسلام العامة لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل ولما عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي واضرابه عن هذه المصلحة والحكمة قال له قائلهم اعدل فانك لم تعدل وقال مشبهه ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ولعمر الله ان هؤلاء من أجهل الخلق برسوله ومعرفته بربه وطاعته له وتمام عدله واعطائه لله ومنعه لله ولله سبحانه ان يقسم الغنائم كما يحب وله ان يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم وله ان يسلط عليها نارا من السماء تأكلها وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وما فعل ما فعله من ذلك عبثا ولا قدره سدى بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة مصدره كمال علمه وعزته وحكمته ورحمته ولقد أتم نعمته على قوم ردهم الى منازلهم برسوله صلى الله عليه وسلم يقودونه الى ديارهم وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه وهذا فضله وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون ورسوله منفذ لامره * فان قيل فلو دعت حاجة الامام في وقت من الاوقات الى مثل هذا مع عدوه هل يسوغ له ذلك قيل الامام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين فان تعين ذلك للدفع عن الاسلام والذب عن حوزته واستجلاب رؤس أعدائه اليه ليأمن المسلمون شرهم ساغ له ذلك بل تعين عليه وهل تجوز الشريعة غير هذا فانه وان كان في الحرمان مفسدة فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الاصلين وبالله التوفيق

(فصل وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم) قال من لم يطب نفسه فله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا ففي هذا دليل على جواز بيع الرقيق بل الحيوان بعضه ببعض نسيئة ومتفاضلا وفي السنن من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يجهز جيشا فنفدت الابل فأمره أن يأخذ على قلائص الصدقة وكان يأخذ البعير بالبعيرين الى ابل الصدقة وفي السنن عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة رواه الترمذي من حديث الحسن عن سمرة وصححه وفي الترمذي من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيوان اثنان بواحد لا يصلح نسيئا ولا بأس به يدا بيد قال الترمذي حديث حسن فاختلف الناس في هذه الاحاديث على أربعة أقوال وهي روايات عن أحمد أحدها جواز ذلك متفاضلا ومتساويا نسيئة ويدا بيد وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله والثاني لا يجوز ذلك نسيئة ولا متفاضلا والثالث يحرم الجمع بين النساء والتفاضل ويجوز البيع

يهذ الناس بسيفه ما يليق به شيأ مثل الجمل الاورق اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال حمزة هلم الي يا بن مقطعة البظور فضربه ضربة (١) فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان فادر بنا مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير ابن مطعم قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي هل لك في ان نأتي وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله قال قلت له ان شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه قال فخرجنا نمشي حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له فاذا شيخ كبير مثل البغاث (قال ابن هشام) البغاث ضرب من الطير الى السواد فاذا هو صاح لا بأس به قال فلما انتهينا اليه سلمنا عليه فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدي فقال ابن لعدي بن الخيار أنت قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فاني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لي قدماك حين رفعتك اليها فوالله ما هو الا أن وقفت علي فعرفتهما قال فجلسنا اليه فقلنا له جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته فقال أما اني سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم

(١) قوله فكأنما أخطأ رأسه هذا يقال عند المبالغة في الاصابة كذا في الزرقاني على المواهب

مع أحدهما وهو قول مالك رحمه الله والرابع ان اتحد الجنس جاز التفاضل وحرم النساء وان اختلف الجنس جاز التفاضل والنساء وللناس في هذه الاحاديث والتأليف بينها ثلاثة مسالك أحدها تضعيف حديث الحسن عن سمرة لانه لم يسمع منه سوى حديثين ليس هذا منهما وتضعيف حديث الحجاج بن أرطاة والمسلك الثاني دعوى النسخ وان لم يتبين المتأخر منهما من المتقدم ولذلك وقع الاختلاف والمسلك الثالث حملها على أحوال مختلفة وهو ان النهي عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة انما كان لانه ذريعة الى النسيئة في الربويات فان البائع اذا رأى ما في البيع من الربح لم تقتصر نفسه عليه بل تجره الى بيع الربوي كذلك فسد عليهم الذريعة وأباحه يدا بيد ومنع من النساء فيه وما حرم للذريعة يباح للمصلحة الراجحة كما أباح من المزابنة العرايا للمصلحة الراجحة وأباح ما تدعو اليه الحاجة منها وكذلك بيع الحيوان بالحيوان نسيئة متفاضلا في هذه القصة وفي حديث ابن عمر انما وقع في الجهاد وحاجة المسلمين الى تجهيز الجيش ومعلوم أن مصلحة تجهيزه أرجح من المفسدة التي في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة والشريعة لا تعطل المصلحة الراجحة لاجل المرجوحة ونظير هذا جواز لبس الحرير في الحرب وجواز الخيلاء فيها اذ مصلحة ذلك أرجح من مفسدة لبسه ونظير ذلك لباسه القباء الحرير الذي أهداه له ملك أيلة ساعة ثم نزعه للمصلحة الراجحة في تأليفه وكان هذا بعد النهي عن لباس الحرير كما بيناه مستوفى في كتاب التحبير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير وبينا ان هذا كان عام الوفود سنة تسع وان النهي عن لباس الحرير كان قبل ذلك بدليل أنه نهى عمر عن لبس الحلة الحرير التي أعطاه اياها فكساها عمر أخا له مشركا بمكة وهذا كان قبل الفتح ولباسه صلى الله عليه وسلم هديه ملك أيلة كان بعد ذلك ونظير هذا نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة قبل طلوع الشمس وبعد العصر سد الذريعة التشبه بالكفار وأباح ما فيه مصلحة راجحة من قضاء الفوائت وقضاء السنن وصلاة الجنازة وتحية المسجد لان مصلحة فعلها أرجح من مفسدة النهي والله أعلم

(فصل) وفي القصة دليل على ان المتعاقدين اذا جعلا بينهما أجلا غير محدود جاز اذا اتفقا عليه ورضيا به وقد نص أحمد على جوازه في رواية عنه في الخيار مدة غير محدودة أنه يكون جائزا حتى يقطعاه وهذا هو الراجح اذ لا محذور في ذلك ولا غرر وكل منهما قد دخل على بصيرة ورضا بموجب العقد فكلاهما في العلم به سواء فليس لاحدهما مزية على الآخر فلا يكون ذلك ظلما

(فصل) وفي هذه الغزوة انه قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه وقاله في غزوة أخرى قبلها فاختلف الفقهاء هل هذا السلب مستحق بالشرع أو بالشرط على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه له بالشرع شرطه الامام أو لم يشرطه وهو قول الشافعي رحمه الله والثاني انه لا يستحق الا بشرط الامام وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وقال مالك رحمه الله لا يستحق الا بشرط الامام بعد القتال فلو نص قبله لم يجز قال مالك ولم يبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين وانما نفل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن برد القتال ومأخذ النزاع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الامام والحاكم والمفتي وهو الرسول فقد يقول الحكم بمنصب الرسالة فيكون شرعا عاما الى يوم القيامة كقوله من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقوله من زرع في أرض قوم بغير اذنهم فليس له من الزرع شيء وله نفقته وكحكمه بالشاهد واليمين وبالشفعة فيما لم يقسم وقد يقول بمنصب الفتوى

كقوله

بدر فلما سارت قريش الى أحد قال لي جبير ان قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئا فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الاورق يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء فوالله اني لأتهيأ له أريده فأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال له حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه قال وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوي فغلب وتركته واياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة وانما قتلته لاعتق فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى اذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت على المذاهب فقلت الحق بالشام أو اليمن أو ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك انه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه وتشهد شهادة الحق فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه الا بي قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق فلما رآني قال أوحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة قال فحدثته كما حدثتكما فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك قال فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما في يده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان قد شهد اليمامة قال سمعت يومئذ صارخا يقول قتله العبد الاسود (قال ابن هشام) فبلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول قد علمت ان الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة رضي الله عنه * قال ابن اسحق وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا فلما قتل مصعب ابن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء علي بن أبي طالب وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين (قال ابن هشام) وحدثني مسلمة بن علقمة المازني قال لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ان قدم الراية فتقدم علي فقال أنا أبو القصيم ويقال أبو القصم فيما قال ابن هشام فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين ان هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ويقال ان أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين فنادى أنا قاصم من يبارز مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم في الجنة وان قتلانا في النار كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فضربه علي رضي الله عنه فقتله * قال ابن اسحق قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص وقاتل عاصم ابن ثابت بن أبي الاقلح فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سهما فيأتي أمه سلافة فتضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رماني وهو يقول خذها وأنا ابن أبي الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

كقوله لهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد شكت اليه شح زوجها وانه لا يعطيها ما يكفيها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فهذه فتيا لا حكم اذ لم يدع بأبي سفيان ولم يسأله عن جواب الدعوى ولا سألها البينة وقد يقوله بمنصب الامامة فيكون مصلحة للامة في ذلك الوقت وذلك المكان وعلى تلك الحال فيلزم من بعده من الائمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التي راعاها النبي صلى الله عليه وسلم زمانا ومكانا وحالا ومن ههنا تختلف الائمة في كثير من المواضع التي فيها أثر عنه صلى الله عليه وسلم كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه هل قاله بمنصب الامامة فيكون حكمه متعلقا بالائمة أو بمنصب الرسالة والنبوة فيكون شرعا عاما وكذلك قوله من أحيا أرضا ميتة فهي له هل هو شرع عام لكل أحد أذن فيه الامام أو لم يأذن أو هو راجع الى الائمة فلا يملك بالاحياء الا باذن الامام على القولين فالاول للشافعي وأحمد رحمهما الله في ظاهر مذهبهما والثاني لابي حنيفة وفرق مالك بين الفلوات الواسعة وما لا يتشاح فيه الناس وبين ما يقع فيه التشاح فاعتبر اذن الامام في الثاني دون الاول

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) له عليه بينة دليل على مسألتين أحدهما ان دعوى القاتل انه قتل هذا الكافر لا يقبل في استحقاق سلبه الثانية الاكتفاء في ثبوت هذه الدعوى بشاهد واحد من غير يمين لما ثبت في الصحيح عن أبي قتادة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فاستدرت اليه حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه وأقبل علي فضمني ضمة فوجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فارسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقال ما للناس فقلت أمر الله ثم ان الناس رجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه قال فقمت فقلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال مثل ذلك قال فقمت فقلت من يشهد لي ثم قال ذلك الثالثة فقمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا قتادة فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه من حقه فقال أبو بكر الصديق لاها الله اذا لا يعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فاعطه اياه فاعطاني فبعت الدرع فابتعت به مخرفا في بني سلمة فانه لاول مال تأثلته في الاسلام وفي المسألة ثلاثة أقوال هذا أحدها وهو وجه في مذهب أحمد والثاني انه لا بد من شاهد ويمين كاحد الروايتين عن أحمد والثالث وهو منصوص الامام أحمد انه لا بد من شاهدين لانها دعوى قتل فلا تقبل الا بشاهدين وفي القصة دليل على مسألة أخرى وهي انه لا يشترط في الشهادة التلفظ بلفظ أشهد وهذا أصح الروايات عن أحمد في الدليل وان كان الاشهر عند أصحابه الاشتراط وهي مذهب مالك قال شيخنا ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط لفظ الشهادة وقد قال ابن عباس شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح ومعلوم انهم لم يتلفظوا له بلفظ أشهد انما كان مجرد اخبار وفي حديث ماعز فلما شهد على نفسه أربع شهادات رجمه وانما كان منه مجرد اخبار عن نفسه هو اقرار وكذلك قوله تعالى قل أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد وقوله قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم

أنهم كانوا كافرين وقوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين وقوله شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط الى أضعاف ذلك مما ورد في القرآن والسنة من اطلاق لفظ الشهادة على الخبر المجرد عن لفظ أشهد وقد تنازع الامام أحمد وعلى بن المديني في الشهادة للعشرة بالجنة فقال على أقول هم في الجنة ولا أقول أشهد انهم في الجنة فقال الامام أحمد متى قلت هم في الجنة فقد شهدت وهذا تصريح منه بانه لا يشترط في الشهادة لفظ أشهد وحديث أبي قتادة من أبين الحجج في ذلك فان قيل اخبار من كان عنده السلب انما كان اقرارا بقوله هو عندي وليس ذلك من الشهادة في شئ قيل تضمن كلامه شهادة واقرارا فقوله صدق شهادة له بانه قتله وقوله هو عندي اقرار منه بانه عنده والنبي صلى الله عليه وسلم انما قضى بالسلب بعد البينة وكان تصديق هذا هو البينة

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) فله سلبه دليل على أن له سلبه كله غير مخمس وقد صرح بهذا في قوله لسلمة بن الاكوع لما قتل قتيلا له سلبه أجمع وفي المسألة ثلاثة مذاهب هذا أحدها والثاني أنه يخمس كالغنيمة وهذا قول الاوزاعي وأهل الشام وهو مذهب ابن عباس لدخوله في آية الغنيمة والثالث أن الامام ان استكثره خمسه وان استقله لم يخمسه وهو قول اسحق وفعله عمر بن الخطاب فروى سعيد في سننه عن ابن سيرين أن البراء بن مالك بارز مرزبان المرازبة بالبحرين فطعنه فدق صلبه وأخذ سوار يه وسلبه فلما صلى عمر الظهر اتى البراء في داره فقال انا كنا لا نخمس السلب وان سلب البراء قد بلغ مالا وأنا خامسه فكان أول سلب خمس في الاسلام سلب البراء وبلغ ثلاثين ألفا والاول أصح فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخمس السلب وقال هو له أجمع ومضت على ذلك سنته وسنة الصديق بعده وما رآه عمر اجتهاد منه أداه اليه رأيه

(فصل) والحديث يدل على انه من أصل الغنيمة فان النبي صلى الله عليه وسلم قضى به للقاتل ولم ينظر في قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس وقال مالك هو من خمس الخمس ويدل على أنه يستحقه من يسهم له ومن لا يسهم له من صبي وامرأة وعبد ومشرك وقال الشافعي في أحد قوليه لا يستحق السلب الا من يستحق السهم لان السهم المجمع عليه اذا لم يستحقه العبد والصبي والمرأة والمشرك فالسلب أولى والاول أصح للعموم ولانه جار مجرى قول الامام من فعل كذا وكذا أو دل على حصن أو جاء برأس فله كذا مما فيه تحريض على الجهاد والسهم مستحق بالحضور وان لم يكن منه فعل والسلب مستحق بالفعل فجرى مجرى الجعالة

(فصل) وفيه دلالة على انه يستحق سلب جميع من قتله وان كثروا وقد ذكر أبو داود ان أبا طلحة قتل يوم حنين عشرين رجلا فأخذ اسلابهم

(فصل) في غزوة الطائف في شوال سنة ثمان قال ابن سعد قالوا ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي يهدمه وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشو النار في وجهه ويحرقه ويقول

شداد فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا أهله ما شأنه فسألت صاحبته عنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة (قال ابن هشام) ويقال الهاتفة وجاء في الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها (قال ابن هشام) قال الطرماح بن حكيم الطائي
والطرماح الطويل من الرجال
انا ابن حماة المجد من آل مالك
اذا جعلت خور الرجال تهيع
والهيعة الصيحة التي فيها الفزع

* قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة * قال ابن اسحق وقال شداد بن الاسود في قتله حنظلة
لأحمين صاحبي ونفسي
بطعنة مثل شعاع الشمس
وقال أبو سفيان بن حرب وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ومعاونة ابن شعوب اياه على حنظلة
ولو شئت نجتني كميت طمرة
ولم أحمل النعماء لابن شعوب
وما زال مهري مزجر الكلب منهم
لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعي يال غالب
وادفعهم عني بركن صليب
فبكي ولا ترعى مقالة عاذل
ولا تسأمي من عبرة ونحيب
أباك واخوانا له قد تتابعوا
وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلي الذي قد كان في النفس انني

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أكبر من ميلادكا
* انى حشوت النار فى فؤادكا *

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدم بدبابة ومنجنيق قال ابن سعد ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف قدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف قد رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلح لهم لسنة فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيؤا للقتال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين مدة حصار الطائف فحاصرهم ثمانية عشر يوما وقال ابن اسحق بضعا وعشرين ليلة ونصب عليهم المنجنيق وهو أول ما رمى به فى الاسلام وقال ابن سعد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ثور بن يزيد عن مكحول أن النبى صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوما قال ابن اسحق حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم دخلوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون قال ابن سعد فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أدعها لله وللرحم فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فقال ما ترى فقال ثعلب فى جحر ان أقمت عليه أخذته وان تركته لم يضرك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون غدا ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فلما ارتحلوا واستقلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف جماعة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة ثم دخل منها محرما بعمرة فقضى عمرته ثم رجع الى المدينة

(فصل قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم) المدينة من تبوك فى رمضان وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم * نجيبا وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه * وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصى عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب
* قال ابن اسحق وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه فقال

ولولا دفاعى يا ابن حرب ومشهدى * لالفيت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت * ضباع عليه أو ضراء كليب
(قال ابن هشام) قوله عليه أو ضراء عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال الحرث بن هشام يجيب أبا سفيان
جزيتهم يوما ببدر كمثله * على سابح ذى ميعة وشبيب
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحا * عليك ولم تحفل مصاب حبيب
انك لو عاينت ما كان منهم * لأبت بقلب ما بقيت نخيب
(قال ابن هشام) وانما أجاب الحرث بن هشام أبا سفيان لانه ظن انه عرض به فى قوله وما زال مهرى مزجر الكلب منهم لفرار الحرث يوم بدر * قال ابن اسحق ثم انزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير انه قال والله لقد رأيتنى انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد ان أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم (قال ابن هشام) الصارخ ازب العقبة يعنى الشيطان * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم ان اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لبنى أبى طلحة حبشى وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره

وتقيض من قتله وهو يقول اللهم هل أعذرت اللهم هل أعذرت فقال حسان بن ثابت فى ذلك فخرتم باللواء وشر فخر * لواء حين رد الى صؤاب جعلتم فخركم فيه بعبد * وألأم من يطا عفر التراب ظننتم والسفيه له ظنون * وما ان ذاك من أمر الصواب بأن جلادنا يوم التقينا * بمكة بيعكم حمر العياب

أقر العين أن عصبت يداه * وما ان تعصبان على خضاب

(قال ابن هشام) آخرها بيتا يروى لابى خراش الهذلى وأنشدنيه له خلف الاحمر

أقر العين أن عصبت يداها

وما ان تعصبان على خضاب

فى أبيات له يعنى امرأته فى غير حديث أحد وتروى الابيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلى * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت فى شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء

اذا عضل سيقت الينا كأنها

جداية شرك معلمات الحواجب

أقمنا لهم طعنا مبيرا منكلا

وحزناهم بالضرب من كل جانب

فلولا لواء الحارثية أصبحوا

يباعون فى الاسواق بيع الجلائب

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات له * قال ابن اسحق وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص * قال ابن اسحق فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج فى وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله عز وجل فى ذلك ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (قال ابن هشام) وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى

بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومك انهم قاتلوك وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم وكان فيهم كذلك محببا مطاعا فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله فقيل لعروة ما ترى فى دمك قال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا فأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير وكان فى سن عروة بن مسعود وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل وخشى أن يصنع به كما صنع بعروة فقال لست بفاعل حتى ترسلوا معى رجالا فأجمعوا أن يرسلوا معه رجلين من الاحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونون ستة فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة فخرج بهم فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة فاشتد ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر فقال أقسمت عليك بالله لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم وأعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده كما يزعمون وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتبوا كتابهم وكان خالد هو الذى كتبه وكانوا لا يأكلون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم فأبى عليهم أن يدعها شيأ مسمى وانما يريدون بذلك فيما يظهرون ان يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية ان يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا أمر عليهم عثمان بن أبى العاص وكان من أحدثهم سنا وذلك انه كان من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه

أبو سفيان فقال ادخل أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذي الهدم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول وقام دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفاس واهالك واهالك فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل الى أبي سفيان مجموع مالها من الذهب والفضة والجزع وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وان لا يجامعاهم على شئ أبدا فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم توليا من شئتما قالا نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالكما أبا سفيان بن حرب فقالا وخالنا أبا سفيان فلما أسلم أهل الطائف سأل أبو مليح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال له قارب بن الاسود وعن الاسود يا رسول الله فاقضه وعروة والاسود اخوان لاب وأم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب بن الاسود يا رسول الله لكن تصل مسلما ذا قرابة يعني نفسه وانما الدين علي وأنا الذي أطلب به فامر النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة والاسود من مال الطاغية ففعل وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يصنع شيأ من ذلك فانه يجلد وينزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ به النبي محمد وان هذا أمر النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله فهذه قصة ثقيف من أولها الى آخرها سقناها كما هي وان تخلل بين غزوها واسلامها غزاة تبوك وغيرها لكن آثرنا أن لا نقطع قصتهم وان ينتظم أولها بآخرها ليقع الكلام على فقه هذه القصة وأحكامها في موضع واحد فنقول فيها من الفقه جواز القتال في الاشهر الحرم ونسخ تحريم ذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة في أواخر شهر رمضان بعد مضي ثمان عشرة ليلة منه والدليل عليه ما رواه أحمد في مسنده حدثنا اسمعيل عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن شداد بن أوس أنه مر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الفتح على رجل يحتجم بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو آخذ بيدي فقال أفطر الحاجم والمحجوم وهذا أصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان وهذا الاسناد على شرط مسلم فقد روى به بعينه ان الله كتب الاحسان على كل شئ وأقام بمكة تسع عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن فقاتلهم وفرغ منهم ثم قصد الطائف فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة في قول ابن اسحق وثمان عشرة ليلة في قول ابن سعد وأربعين ليلة في قول مكحول فاذا تأملت ذلك علمت ان بعض مدة الحصار في ذي القعدة ولا بد ولكن قد يقال لم يبتدئ القتال الا في شوال فلما شرع فيه لم يقطعه الشهر الحرام ولكن من أين لكم انه صلى الله عليه وسلم ابتدأ قتالا الا في شهر حرام وفرق بين الابتداء والاستدامة

(فصل) ومنها جواز غزو الرجل وأهله معه فان النبي صلى الله عليه وسلم كان معه في هذه الغزوة أم سلمة وزينب * ومنها جواز نصب المنجنيق على الكفار ورميهم به وان أفضى الى قتل من لم يقاتل

جبهته وان ابن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تصبه النار (قال ابن هشام) وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وذكر يعني عبد العزيز الدراوردي عن اسحق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبي بكر الصديق ان أبا عبيدة ابن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى فكان ساقط الثنيتين * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص

اذا الله جازى معشرا بفعالهم
ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربي يا عتيب بن مالك
ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا
فادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذي
تصير اليه عند احدى البوائق

(قال ابن هشام) تركنا منها بيتين أقذع فيهما * قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيته القوم من رجل يشري لنا نفسه كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن عمرو قال فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الانصار وبعض الناس يقول انما هو عمارة ابن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى اثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فاجهضوهم عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فادنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الانصاري ان أم

سعيد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح الى فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان * قال ابن اسحق وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فاخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما * قال ابن اسحق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تصنعون بالحياة بعده فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك * قال ابن اسحق فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما

من النساء والذرية * ومنها جواز قطع شجر الكفار اذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم وهو أنكى فيهم * ومنها ان العبد اذا أبق من المشركين ولحق بالمسلمين صار حرا قال سعيد بن منصور حدثنا يزيد بن هارون عن الحجاج عن مقسم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق العبيد اذا جاؤا قبل مواليهم وروى سعيد بن منصور أيضا قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبد وسيده قضيتين قضى ان العبد اذا خرج من دار الحرب قبل سيده انه حر فان خرج سيده بعد لم يرد عليه وقضى ان السيد اذا خرج قبل العبد ثم خرج العبد رد على سيده وعن الشعبي عن رجل من ثقيف قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد علينا أبا بكرة وكان عبدا لنا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر ثقيفا فاسلم فابى أن يرده علينا فقال هو طليق الله ثم طليق رسوله فلم يرده علينا قال ابن المنذر وهذا قول كل من يحفظ عنه من أهل العلم

(فصل) ومنها ان الامام اذا حاصر حصنا ولم يفتح عليه ورأى مصلحة المسلمين في الرحيل عنه لم تلزمه مصابرته وجاز له ترك مصابرته وانما تلزمه المصابرة اذا كان فيها مصلحة راجحة على مفسدتها

(فصل) ومنها انه أحرم من الجعرانة بعمرة وكان داخلا الى مكة وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه وأما ما يفعله كثير ممن لا علم عندهم من الخروج من مكة الى الجعرانة ليحرم منها بعمرة ثم يرجع اليها فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه البتة ولا استحبه أحد من أهل العلم وانما يفعله عوام الناس زعموا انه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وغلطوا فانه انما أحرم منها داخلا الى مكة ولم يخرج منها الى الجعرانة ليحرم منها فهذا لون وسنته لون وبالله التوفيق

(فصل ومنها استجابة الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم) دعاءه لثقيف ان يهديهم ويأتي بهم وقد حاربوه وقاتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه وقتلوا رسول رسوله الذي أرسله اليهم يدعوهم الى الله ومع هذا كله فدعا لهم ولم يدع عليهم وهذا من كمال رأفته ورحمته ونصيحته صلوات الله وسلامه عليه

(فصل) ومنها كمال محبة الصديق له وقصده التقرب اليه والتحبب بكل ما يمكنه ولهذا ناشد المغيرة ان يدعه هو يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم وفد الطائف ليكون هو الذي سره وفرحه بذلك وهذا يدل على انه يجوز للرجل ان يسأل أخاه ان يؤثره بقربة من القرب فانه يجوز للرجل ان يؤثر أخاه وقول من قال من الفقهاء لا يجوز الايثار بالقرب لا يصح وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه في بيتها جوار النبي صلى الله عليه وسلم وسألها عمر ذلك فلم تكره له السؤال ولا لها البذل وعلى هذا فاذا سأل الرجل غيره ان يؤثره بمقامه في الصف الاول لم يكره له السؤال ولا لذلك البذل ونظائره ومن تامل سيرة الصحابة وجدهم غير كارهين لذلك ولا ممتنعين منه وهل هذا الا كرم وسخاء وايثار على النفس بما هو أعظم محبوباتها تفريحا لاخيه المسلم وتعظيما لقدره واجابة له الى ما سأله وترغيبا له في الخير وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحا على ثواب تلك القربة فيكون المؤثر بها ممن تاجر فبذل قربة وأخذ أضعافها وعلى هذا فلا يمتنع ان يؤثر صاحب الماء بمائه ان يتوضأ به ويتيمم هو اذا كان لا بد من تيمم أحدهما فآثر أخاه وحاز فضيلة الايثار وفضيلة الطهر بالتراب ولا يمنع هذا كتاب ولا سنة ولا مكارم أخلاق وعلى هذا فاذا اشتد العطش بجماعة وعاينوا التلف ومع بعضهم

بعضهم ماءفا ثر به على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جائزا ولم يقل انه قاتل لنفسه ولا انه فعل محرما بل هذا غاية الجود والسخاء كما قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة فى فتوح الشام وعد ذلك من مناقبهم وفضائلهم وهل اهداء القرب المجمع عليها والمتنازع فيها الى الميت الا ايثار بثوابها وهو عين الايثار بالقرب فاى فرق بين أن يؤثره بفعلها ليحرز ثوابها وبين أن يعمل ثم يؤثره بثوابها وبالله التوفيق

(فصل) ومنها انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها شعائر الكفر والشرك وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله والاحجار التى تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز ابقاء شئ منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى أو أعظم شركا عندها وبها والله المستعان ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد انها تخلق وترزق وتميت وتحيي وانما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ونشأ فى ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الامر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولاهل الشرك والبدع مجاهدين الى ان يرث الله سبحانه الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(فصل) ومنها جواز صرف الامام الاموال التى تصير الى هذه المشاهد والطواغيت فى الجهاد ومصالح المسلمين فيجوز للامام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التى تساق اليها كلها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الاسلام كما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم أموال اللات وأعطاها لابى سفيان يتألفه بها وقضى منها دين عروة والاسود وكذلك يجب عليه ان يهدم هذه المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا وله ان يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين وكذلك الحكم فى أوقافها فان وقفها فالوقف عليها باطل وهو مال ضائع فيصرف فى مصالح المسلمين فان الوقف لا يصح الا فى قربة وطاعة لله ورسوله فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويحج اليه ويعبد من دون الله ويتخذ وثنا من دونه وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الاسلام ومن اتبع سبيلهم

(فصل) ومنها ان وادى وج وهو واد بالطائف حرم يحرم صيده وقطع شجره وقد اختلف الفقهاء فى ذلك والجمهور قالوا ليس فى البقاع حرم الا مكة والمدينة وأبو حنيفة رحمه الله خالفهم فى حرم المدينة وقال الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين أحدهما هو الذى تقدم والثانى حديث عروة بن الزبير عن أبيه الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام أحمد وأبو داود وهذا الحديث يعرف لمحمد بن عبد

عرفه الا أخته عرفته ببنانه (قال ابن هشام) حدثنى بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها فى رجله فعرج * قال ابن اسحق وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنصت * قال ابن اسحق فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان الله عليهم والحرث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبى ابن خلف وهو يقول أى محمد لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة يقول بعض القوم فيما ذكر لى فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض بها (قال ابن هشام) الشعراء ذباب له لدغ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا (قال ابن هشام) تدأدأ يقول تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج * قال ابن اسحق وكان أبى بن خلف كما حدثنى صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلنى والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من باس قال انه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة * قال ابن اسحق فقال حسان بن ثابت فى ذلك

الله بن انسان عن أبيه عن عروة قال البخاري في تاريخه لا يتابع عليه قلت وفي سماع عروة من أبيه نظر وان كان قدرآه والله أعلم

(فصل) ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ودخلت سنة تسع بعث المصدقين يأخذون الصدقات من الاعراب قال ابن سعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدقين قالوا لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن الى بني تميم وبعث يزيد بن الحصين الى أسلم وغفار وبعث عباد بن بشير الاشهلي الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث عمرو بن العاص الى بني فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب وبعث بشر بن سفيان الى بني كعب وبعث ابن اللتبية الازدي الى بني ذبيان وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدقين أن يأخذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم قيل ولما قدم ابن اللتبية حاسبه وكان في هذا حجة على محاسبة العمال والامناء فان ظهرت خيانتهم عزلهم وولى أمينا قال ابن اسحق وبعث المهاجر بن أبي أمية الى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها وبعث زياد ابن لبيد الى حضرموت وبعث عدي بن حاتم الى طي وبني أسد وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وفرق صدقات بني سعد على رجلين فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية وقيس بن عاصم على ناحية وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث عليا رضي الله عنه الى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم

(فصل) في السرايا والبعوث في سنة تسع ذكر سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وذلك في المحرم من هذه السنة بعثه اليهم في سرية ليغزوهم في خمسين فارسا ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء وقد سرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولوا فأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فساقهم الى المدينة فانزلوا في دار رملة بنت الحرث فقدم فيهم عدة من رؤسائهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورباح بن الحرث فلما رأوا نساءهم وذراريهم بكوا اليهم فعجلوا فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم وأنزل الله فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي فقام الزبرقان شاعر بني تميم فانشد مفاخرا

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يؤنس القرع
به ترى الناس تأتينا سراتهم * من كل أرض هويا ثم نصطنع

فننحر

لقد ورثت الضلالة عن أبيه * أبي يوم بارزه الرسول
أتيت اليه تحمل رم عظم * وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم * أمية اذ يغوث يا عقيل
وتب ابنا ربيعة اذ أطاعا * أبا جهل لامهما الهبول
وأفلت حارث لما شغلنا * بأسر القوم أسرته قليل

(قال ابن هشام) أسرته قبيلته * وقال حسان بن ثابت أيضا في ذلك

ألا من مبلغ عني أبيا * فقد ألقيت في سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد * وتقسم أن قدرت على النذور
تمنيك الاماني من بعيد * وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ * كريم البيت ليس بذي فجور
له فضل على الاحياء طرا * اذا نابت ملمات الامور

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه * قال ابن اسحق فحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص انه كان يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص وان كان ما علمت لسيئ الخلق مبغضا في قومه ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله * قال ابن اسحق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل (قال ابن هشام) كان على تلك الخيل خالد بن الوليد * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغي لهم ان يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل * قال ابن اسحق ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله

فنحن القوم غيظا فى أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حى نفاخرهم * الا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه * فيرجع القوم والاخبار تتبع
انا أبينا ولا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقام شاعر الاسلام حسان بن ثابت فاجابه على البديهة

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بهم كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * أو وازنوا أهل مجد بالندى منعوا
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم * لا يطمعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع
اذا نصبنا لحى لم يدب لهم * كما يدب الى الوحشية الذرع
سموا اذا الحرب نالتنا مخالبها * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم * وان أصيبوا فلا جور ولا هلع
كانهم فى الوغا والموت مكتنف * محليه فى أرساغها فدع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا غضبوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا
فان فى حربهم فاترك عداوتهم * شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفاوتت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يوازره * فيما أحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جد بالناس جد القول واشمعوا

فلما فرغ حسان قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل لمواتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم أسلموا فاجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسن جوائزهم

(فصل) قال ابن اسحق فلما قدم وفد بنى تميم دخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئنا لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال نعم قد أذنت لخطيبكم فليقم فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذى جعلنا ملوكا الذى له الفضل علينا والذى وهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا فلو شئنا لاكثرنا من الكلام ولكن نستحيي من الاكثار لما أعطانا أقول

صلى الله عليه وسلم كما حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع (قال ابن هشام) وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشعب (قال ابن هشام) وذكر عمر مولى عفرة ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التى أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا * قال ابن اسحق وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم الى (١) المنقى دون الاعوص الى أحد * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت ابن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبا لك ما ننتظر فوالله ان بقى لواحد منا من عمره الا ظمء حمار انما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس ولم يعلم بهما فاما ثابت بن وقش فقتله المشركون وأما حسيل ابن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبى والله فقالوا والله ان عرفناه وصدقوا قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ان رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب أصابته جراحة يوم أحد فأتى به الى دار قومه وهو بالموت فاجتمع اليه أهل الدار فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء أبشر يا ابن حاطب بالجنة قال وكان حاطب شيخا قد عسا

(١) قوله المنقى هو جبل والأعوص قرية دون المدينة ببريد كذا بهامش

هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس قم فاجبه فقام فقال الحمد لله الذى السماوات والارض خلقه قضى فيهن أمره و وسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه وكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه ذوى رحمه أكرم الناس احسابا وأحسنه وجوها وخير الناس فعلا ثم كان أوّل الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله و رسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه فى سبيل الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله العظيم للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم ذكر قيام الزبرقان وانشاده وجواب حسان له بالابيات المتقدمة فلما فرغ حسان من قوله قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأقوالهم أعلى من أقوالنا ثم أجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسن جوائزهم

(فصل) فى ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم وكانت فى صفر سنة تسع قال ابن سعد قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر فى عشرين رجلا الى حى من خثعم بناحية تبالة وأمره أن يشن الغارة فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضرة فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى فى الفريقين جميعا وقتل قطبة بن عامر مع من قتل وساقوا النعم والنساء والشاء الى المدينة وفى القصة أنه اجتمع القوم وركبوا فى آثارهم فارسل الله سبحانه عليهم سيلا عظيما حال بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والشاء والسبى وهم ينظرون لا يستطيعون أن يعبروا اليهم حتى غابوا عنهم

(فصل) ذكر سرية الضحاك بن سفيان الكلابى الى بنى كلاب فى ربيع الاول سنة تسع قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى بنى كلاب وعليهم الضحاك بن سفيان بن عوف الطائى ومعه الاصيد بن سلمة فلقوهم بالزج زج لاوة فدعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم فلحق الاصيد أباه سلمة وسلمة على فرس له فى غدير بالزج فدعاه الى الاسلام وأعطاه الامان فسبه وسب دينه فضرب الاصيد عرقوبى فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على الرمح فى الماء ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه

(فصل) ذكر سرية علقمة بن مجزز المدلجى الى الحبشة سنة تسع فى شهر ربيع الآخر قالوا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراياهم أهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر وقد خاض اليهم البحر فهربوا منه فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهليهم فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمى فأمره على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك

في الجاهلية تحجم وينشد لفاقة فقام بأى شئ تبشرونه أبجنة من حرير محرر ثم والله هذا الغلام من نفسه

(أمر قزمان)

*قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا رجل (٨) أتى لايدرى ممن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر له انه لمن أهل النار قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فاثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بنى ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر قال بماذا أبشر فوالله ان قاتلت الا عن احساب قومى ولولا ذلك ماقاتلت قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه

(قتل مخيريق)

* قال ابن اسحق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بنى ثعلبة بن الفيطون قال لما كان يوم أحد قال يامعشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لاسبت لكم فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا مخيريق خير يهود

(أمر الحرث بن سويد بن صامت)

(قال ابن اسحق) وكان الحرث ابن سويد بن صامت منافقا فخرج يوم أحد مع المسلمين فلما التقى الناس عدا على المجذر بن ذياد البلوى وقيس بن زيد أحد بنى ضبيعة فقتلهما ثم لحق بمكة بقريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ليرجع الى قومه فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغنى عن ابن عباس كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الى آخر القصة (قال ابن هشام) حدثنى من أثق به لرسول

(٨) أتى أى غريب لايدرى ممن هو

من أهل العلم ان الحرث بن سويد قتل المجذر بن ذياد ولم يقتل قيس بن زيد والدليل على ذلك ان ابن اسحق لم يذكره في قتلى أحد وانما قتل المجذر لان المجذر بن ذياد كان قتل أباه سويدا في بعض الحروب التي كانت بين الاوس والخزرج وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه اذ خرج الحرث بن سويد من بعض حوائط المدينة وعليه ثوبان مضرجان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فضرب عنقه ويقال بعض الانصار * قال ابن اسحق قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن (١) عمرو ابن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بني عبد الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن اسد كيف كان شان الاصيرم قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد بدا له في الاسلام فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة قال فبينا رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه ما جاء به فقالوا ما جاء بك يا عمرو أحدب على قومك أم رغبة في الاسلام قال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث ان مات في أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة

(مقتل عمرو بن الجموح وخروجه)

(قال ابن اسحق) وحدثني

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وقلت في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فاغضبوه في شيء فقال اجمعوا الي حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا وقال لا طاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف فهذا فيه ان الامير كان من الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره وان الغضب حمله على ذلك وقد روى الامام أحمد في مسنده عن ابن عباس في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فاما أن يكونا واقعتين أو يكون حديث علي هو المحفوظ والله أعلم

(فصل) في ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى صنم طيء ليهدمه في هذه السنة قالوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض الى القلس وهو صنم طيء ليهدمه فشنوا الغارة على محلة حاتم مع الفجر فهدموه وملؤا أيديهم من السبي والنعم والشاء وفي السبي أخت عدي بن حاتم وهرب عدي الى الشام ووجدوا في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدراع فاستعمل على السبي أبو قتادة وعلى الماشية والرقة عبد الله بن عتيك وقسم الغنائم في الطريق وعزل الصفي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقسم على آل حاتم حتى قدم بهم المدينة قال ابن اسحق قال عدي بن حاتم ما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني حين سمعت به صلى الله عليه وسلم وكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا وكنت أسير في قومي بالمرباع وكنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام عربي كان لي وكان راعيا لابلي لا أبا لك أعدد لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ففعل ثم انه أتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد قال فقلت فقرب الي أجمالي فقربها فاحتملت باهلي وولدي ثم قلت ألحق باهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضرة فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفني خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي الى الشام فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله غاب الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن علي من الله عليك قال من وافدك قالت عدي بن حاتم قال الذي فر من الله ورسوله قالت فمن علي قال فلما رجع ورجل الى جنبه ترى انه علي قال سليه الحملان قالت فسألته فامر لها به قال عدي فاتتني أختي فقالت لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها ائته راغبا أو راهبا فقد أتاه فلان فاصاب منه وأتاه فلان فاصاب منه قال عدي فاتيته وهو جالس في المسجد

(١) قوله ابن عمرو وفي نسخة ابن عوف

أمحمد يا خير (١) ضنء كريمة * في قومها والفحل فحل معرق * ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق * فالنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هنالك تشقق * صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

(قال ابن هشام) فيقال والله أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه * قال ابن اسحق وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عقب شهر رمضان أو في شوّال

(غزوة بني سليم بالكدر)

* قال ابن اسحق فلما قدم المدينة لم يقم بها الا سبع ليال غزا بنفسه يريد بني سليم (قال ابن هشام) واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية شوّال وذا القعدة وأفدى في اقامته تلك جل الاسارى من قريش

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(غزوة السويق)

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة وولي تلك الحجة المشركون من تلك السنة فكان أبو سفيان كما حدثني محمد ابن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان من أعلم الانصار حين رجع الى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت

والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه مع ان نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين وأهدر دم أم ولد الاعمى لما قتلها سيدها لاجل سبها النبي صلى الله عليه وسلم وقتل كعب بن الاشرف اليهودي وقال من لكعب فانه قد آذى الله ورسوله وكان يسبه وهذا اجماع من الخلفاء الراشدين ولا نعلم لهم من الصحابة رضي الله عنهم مخالفا فان الصديق رضي الله عنه قال لابي برزة الاسلمي وقد هم بقتل من سبه لم يكن هذا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر عمر رضي الله عنه براهب فقيل له هذا يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو سمعته لقتلته انا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب وأي نسبة لمفسدة منعه دينارا في السنة الى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح السب على رؤس الاشهاد بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد الى مفسدة محاربته بالسب فاولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه الا سبه الخالق سبحانه فهذا محض القياس ومقتضى النصوص واجماع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلا فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل عبد الله بن أبي وقد قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولم يقتل ذا الخويصرة التميمي وقد قال له اعدل فانك لم تعدل ولم يقتل من قال له يقولون انك تنهى عن الغي وتستخلي به ولم يقتل القائل له ان هذه القسمة ما أريد بها وجه الله ولم يقتل من قال له لما حكم للزبير بتقديمه في السقي أن كان ابن عمتك وغير هؤلاء ممن كان يبلغه عنهم أذى وتنقص قيل الحق كان له فله أن يستوفيه وله أن يسقطه وليس لمن بعده أن يسقط حقه كما ان الرب تعالى له أن يستوفي حقه وله أن يسقط وليس لاحد أن يسقط حقه تعالى بعد وجوبه كيف وقد كان في ترك قتل من ذكرتم وغيرهم مصالح عظيمة في حياته زالت بعد موته من تأليف الناس وعدم تنفيرهم عنه فانه لو بلغهم أنه يقتل أصحابه لنفروا وقد أشار الى هذا بعينه وقال لعمر لما أشار عليه بقتل عبد الله بن أبي لا يبلغ الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولا ريب ان مصلحة هذا التأليف وجمع القلوب عليه كانت أعظم عنده وأحب اليه من المصلحة الحاصلة بقتل من سبه وأذاه ولهذا لما ظهرت مصلحة القتل وترجحت جدا قتل الساب كما فعل بكعب بن الاشرف فانه جاهر بالعداوة والسب فكان قتله أرجح من ابقائه وكذلك قتل ابن خطل ومقيس والجاريتين وأم ولد الاعمى فقتل للمصلحة الراجحة وكف للمصلحة الراجحة فاذا صار الامر الى نوابه وخلفائه لم يكن لهم ان يسقطوا حقه

(فصل) فيما في خطبته العظيمة ثاني يوم الفتح من أنواع العلم * فمنها قوله ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فهذا تحريم شرعي قدري سبق به قدره يوم خلق هذا العالم ثم ظهر به على لسان خليله ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما كما في الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان ابراهيم خليلك حرم مكة واني أحرم المدينة فهذا اخبار عن ظهور التحريم السابق يوم خلق السموات والارض على لسان ابراهيم ولهذا لم ينازع أحد من أهل الاسلام في تحريمها وان تنازعوا في تحريم المدينة والصواب المقطوع به تحريمها اذ قد صح فيه بضعة وعشرون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مطعن فيها بوجه * ومنها قوله فلا يحل لاحد ان يسفك بها دما هذا التحريم لسفك الدم المختص بها وهو الذي يباح في غيرها ويحرم فيها لكونها حرما كما ان تحريم عضد الشجر بها

(١) الضنء الولد بالفتح ويكسر كما في القاموس

الفيل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه الى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش الى المدينة فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا

بها رجلا من الانصار وحليفا له في حرث

واختلاء خلاها والتقاط لقطتها هو أمر مختص بها وهو مباح في غيرها اذ الجميع في كلام واحد ونظام واحد والا بطلت فائدة التخصيص وهذا أنواع أحدها وهو الذي ساقه أبو شريح العدوى لاجله ان الطائفة الممتنعة بها من مبايعة الامام لا تقاتل لاسيما ان كان لها تأويل كما امتنع أهل مكة من مبايعة يزيد وبايعوا ابن الزبير فلم يكن قتالهم ونصب المنجنيق عليهم واحلال حرم الله جائزا بالنص والاجماع وانما خالف في ذلك عمرو بن سعيد الفاسق وشيعته وعارض نص رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه وهواه فقال ان الحرم لا يعيذ عاصيا فيقال له هو لا يعيذ عاصيا من عذاب الله ولو لم يعذه من سفك دمه لم يكن حرما بالنسبة الى الآدميين وكان حرما بالنسبة الى الطير والحيوان البهيم وهو لم يزل يعيذ العصاة من عهد ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه وقام الاسلام على ذلك وانما لم يعذ مقيس بن صبابة وابن خطل ومن سمى معهما لانه في تلك الساعة لم يكن حرما بل حلا فلما انقضت ساعة الحرب عاد الى ما وضع عليه يوم خلق الله السموات والارض وكانت العرب في جاهليتها ترى الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم فلا يهيجه وكان ذلك بينهم خاصة الحرم التي صار بها حرما ثم جاء الاسلام فأكد ذلك وقواه وعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان من الامة من يتأسى به في احلاله بالقتال والقتل فقطع الالحاق وقال لاصحابه فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لك وعلى هذا فمن أتى حدا أو قصاصا خارج الحرم يوجب القتل ثم لجأ اليه لم يجز اقامته عليه فيه وذكر الامام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وذكر عن عبد الله بن عمر انه قال لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته وعن ابن عباس انه قال لو لقيت قاتل أبي في الحرم ما هجته حتى يخرج منه وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلافه واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله ومن وافقه من أهل العراق والامام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث وذهب مالك والشافعي رحمهما الله الى أنه يستوفى منه في الحرم كما يستوفى منه في الحل وهو اختيار ابن المنذر واحتج لهذا القول بعموم النصوص الدالة على استيفاء الحدود والقصاص في كل مكان وزمان وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وبما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا بخربة وبأنه لو كان الحدود والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم ولم يمنع من اقامته عليه وبأنه لو أتى فيه بما يوجب حدا أو قصاصا لم يعذه الحرم ولم يمنع من اقامته عليه وكذلك اذا أتاه خارجه ثم لجأ اليه اذ كونه حرما بالنسبة الى عصمته لا يختلف بين الامرين وبأنه حيوان أبيح قتله لفساده فلم يفترق الحال بين قتله لاجئا الى الحرم وبين كونه قد أوجب ما أبيح قتله فيه كالحية والحدأة والكلب العقور ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم فنبه بقتلهن في الحل والحرم على العلة وهي فسقهن ولم يجعل التجاءهن الى الحرم مانعا من قتلهن وكذلك فاسق بني آدم الذي قد استوجب القتل قال الاولون ليس في هذا ما يعارض ما ذكرنا من الادلة ولاسيما قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وهذا اما خبر بمعنى الامر لاستحالة الخلف في خبره تعالى واما خبر عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه واما خبار عن الامر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والاسلام كما قال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا

لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة قال نعم (قال ابن هشام) وانما سميت غزوة السويق فيما حدثني أبو عبيدة ان أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق * قال ابن اسحق وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه لما صنع به سلام بن مشكم

واني تخيرت المدينة واحدا
لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقاني فرواني كميتا مدامة
على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن
لأفرحه أبشر بعز ومغنم
تأمل فان القوم سر وانهم
صريح لؤي لا شماطيط جرهم
وما كان الا بعض ليلة راكب
أتى ساعيا من غير خلة معدم

(غزوة ذي أمر)

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريبا منها ثم غزا نجدا يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فأقام بنجد صفرا كله أو قريبا من ذلك ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها شهر ربيع الاول كله أو الا قليلا منه

(غزوة الفرع من بحران)

ثم غزا صلى الله عليه وسلم يريد قريشا واستعمل على المدينة

ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا

﴿أمر بني قينقاع﴾

وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قينقاع وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال يامعشر يهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم قالوا يامحمد انك ترى انا قومك لايغرنك أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس * قال ابن اسحق فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال مانزل هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود نقضوا مابينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد (قال ابن هشام) وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان من أمر بني قينقاع ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم و بين بني قينقاع * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين امكنه الله منهم

هذا من الاقوال الباطلة فلا يلتفت اليه كقول بعضهم ومن دخله كان آمنا من النار وقول بعضهم كان آمنا من الموت على غير الاسلام ونحو ذلك فكم ممن دخله وهو في قعر الجحيم وأما العمومات الدالة على استيفاء الحدود والقصاص في كل زمان ومكان فيقال أولا لاتعرض في تلك العمومات لزمان الاستيفاء ولا مكانه كما لاتعرض فيها لشروطه وعدم موانعه فان اللفظ لايدل عليها بوضعه ولا بتضمنه فهو مطلق بالنسبة اليها ولهذا اذا كان للحكم شرط أو مانع لم يقل ان توقف الحكم عليه تخصيص لذلك العام فلا يقول محصل ان قوله تعالى وأحل لكم ماوراء ذلكم مخصوص بالمنكوحة في عدتها أو بغير اذن وليها أو بغير شهود فهكذا النصوص العامة في استيفاء الحدود والقصاص لاتعرض فيها لزمنه ولا مكانه ولا شرطه ولا مانعه ولو قدر تناول اللفظ لذلك لوجب تخصيصه بالادلة الدالة على المنع لئلا يبطل موجبها ووجب حمل اللفظ العام على ماعداها كسائر نظائره واذا خصصتم تلك العمومات بالحامل والمرضع والمريض الذي يرجى برؤه والحال المحرمة للاستيفاء كشدة المرض أو البرد أو الحر فما المانع من تخصيصها بهذه الادلة وان قلتم ليس ذلك تخصيصا بل تقييد المطلقها كلنا لكم بهذا الصاع سواء بسواء وأما قتل ابن خطل فقد تقدم انه كان في وقت الحل والنبي صلى الله عليه وسلم قطع الالحاق ونص على ان ذلك من خصائصه وقوله صلى الله عليه وسلم وانما أحلت لي ساعة من نهار صريح في انه انما أحل له سفك دم حلال في غير الحرم في تلك الساعة خاصة اذ لو كان حلالا في كل وقت لم يختص بتلك الساعة وهذا صريح في ان الدم الحلال في غيرها حرام فيها فيما عدا تلك الساعة وأما قوله الحرم لايعيذ عاصيا فهو من كلام الفاسق عمرو بن سعيد الاشدق يرد به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين روى له أبو شريح الكعبي هذا الحديث كما جاء مبينا في الصحيح فكيف يقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قولكم لو كان الحد والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم منه فهذه المسألة فيها قولان للعلماء وهما روايتان منصوصتان عن الامام أحمد رحمه الله فمن منع الاستيفاء نظر الى عموم الادلة العاصمة بالنسبة الى النفس ومادونها ومن فرق قال سفك الدم انما ينصرف الى القتل ولا يلزم من تحريمه في الحرم تحريم مادونه لان حرمة النفس أعظم والانتهاك بالقتل أشد قالوا ولان الحد بالجلد أو القطع يجري مجرى التأديب فلم يمنع منه كتأديب السيد عبده وظاهر هذا المذهب انه لافرق بين النفس ومادونها في ذلك قال أبو بكر هذه مسألة وجدتها لحنبل عن عمه ان الحدود كلها تقام في الحرم الا القتل قال والعمل على ان كل جان دخل الحرم لم يقم عليه الحد حتى يخرج منه قالوا وحينئذ فنجيبكم بالجواب المركب وهو انه ان كان بين النفس ومادونها في ذلك فرق مؤثر بطل الالزام وان لم يكن بينهما فرق مؤثر سوينا بينهما في الحكم و بطل الاعتراض فتحقق بطلانه على التقديرين قالوا وأما قولكم ان الحرم لايعيذ من هتك فيه الحرمة اذ أتى فيه ما يوجب الحد فكذلك اللاجئ اليه فهو جمع بين مافرق الله و رسوله والصحابة بينهما فروى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال من سرق أو قتل في الحل ثم دخل الحرم فانه لايجالس ولا يكلم ولا يؤوى حتى يخرج فيؤخذ فيقام عليه الحد وان سرق أو قتل في الحرم أقيم عليه في الحرم وذكر الاثرم عن ابن عباس أيضا من أحدث حدثا في الحرم أقيم عليه ما أحدث فيه من شئ وقد أمر الله سبحانه بقتل من قاتل في الحرم فقال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم والفرق بين اللاجئ والمنتهك فيه من وجوه أحدها ان

الجاني

الجانى فيه هاتك لحرمته باقدامه على الجناية فيه بخلاف من جنى خارجه ثم لجأ اليه فانه معظم لحرمته مستشعر بها بالتجائه اليه فقياس أحدهما على الآخر باطل الثانى ان الجانى فيه بمنزلة المفسد الجانى على بساط الملك فى داره وحرمه ومن جنى خارجه ثم لجأ اليه فانه بمنزلة من جنى خارج بساط الملك وحرمه ثم دخل الى حرمه مستجيرا الثالث ان الجانى فى الحرم قد اهتك حرمة الله سبحانه وحرمة بيته وحرمه فهو هاتك لحرمتين بخلاف غيره الرابع انه لو لم يقم الحد على الجناة فى الحرم لعم الفساد وعظم الشر فى حرم الله فان أهل الحرم كغيرهم فى الحاجة الى صيانة نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولو لم يشرع الحد فى حق من ارتكب الجرائم فى الحرم لتعطلت حدود الله وعم الضرر للحرم وأهله والخامس ان اللاجئ الى الحرم بمنزلة التائب المتنصل اللاجئ الى بيت الرب تعالى المتعلق باستاره فلا يناسب حاله ولا حال بيته وحرمه ان يهاج بخلاف المقدم على انتهاك حرمته فظهر سر الفرق وتبين ان ما قاله ابن عباس هو محض الفقه وأما قولكم انه حيوان مفسد فابيح قتله فى الحل والحرم كالكلب العقور فلا يصح القياس فان الكلب العقور طبعه الاذى فلم يحرمه الحرم ليدفع أذاه عن أهله وأما الآدمى فالاصل فيه الحرمة وحرمته عظيمة فانما أبيح لعارض فاشبه الصائل من الحيوانات المباحة من المأكولات فان الحرم يعصمها وأيضا فان حاجة أهل الحرم الى قتل الكلب العقور والحية والحدأة كحاجة أهل الحل سواء فلو أعاذها الحرم لعظم عليهم الضرر بها

(فصل ومنها قوله صلى الله عليه وسلم) ولا يعضد بها شجر وفى اللفظ الآخر ولا يعضد شوكها وفى لفظ فى صحيح مسلم ولا يخبط شوكها لا خلاف بينهم ان الشجر البرى الذى لم ينبته الآدمى على اختلاف أنواعه مراد من هذا اللفظ واختلفوا فيما انبته الآدمى من الشجر فى الحرم على ثلاثة أقوال وهى فى مذهب أحمد رحمه الله أحدها ان له قلعه ولا ضمان عليه وهذا اختيار ابن عقيل وأبى الخطاب وغيرهما والثانى انه ليس له قلعه وان فعل ففيه الجزاء بكل حال وهذا قول الشافعى رحمه الله وهو الذى ذكره ابن البناء فى خصاله الثالث الفرق بين ما انبته فى الحل ثم غرسه فى الحرم وبين ما انبته فى الحرم أولا فالاول لا جزاء فيه والثانى لا يقلع وفيه الجزاء بكل حال وهذا قول القاضى وفيه قول رابع وهو الفرق بين ما ينبت الآدمى جنسه كاللوز والجوز والنخل ونحوه وما لا ينبت الآدمى جنسه كالدوح والسلم ونحوه فالاول يجوز قلعه ولا جزاء فيه والثانى لا يجوز وفيه الجزاء قال صاحب المغنى والاولى الاخذ بعموم الحديث فى تحريم الشجر كله الا ما انبت الآدمى من جنس شجرهم بالقياس على ما انبتوه من الزرع والاهلى من الحيوان فاننا انما أخرجنا من الصيد ما كان أصله انسيا دون ما تأنس من الوحشى كذا ههنا وهذا تصريح منه باختيار هذا القول الرابع فصار فى مذهب أحمد رحمه الله أربعة أقوال والحديث ظاهر جدا فى تحريم قطع الشوك والعوسج وقال الشافعى رحمه الله لا يحرم قطعه لانه يؤذى الناس بطبعه فاشبه السباع وهذا اختيار أبى الخطاب وابن عقيل وهو مروى عن عطاء ومجاهد وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم لا يعضد شوكها وفى اللفظ الآخر لا يختلى شوكها صريح فى المنع ولا يصح قياسه على السباع العادية فان تلك تقصد بطبعها الاذى وهذا لا يؤذى من لم يدن منه والحديث لم يفرق بين الاخضر واليابس ولكن قد جوزوا قطع اليابس قالوا لانه بمنزلة الميت ولا يعرف فيه خلاف وعلى هذا فسياق الحديث يدل على انه انما أراد الاخضر فانه جعله بمنزلة تنفير الصيد وليس فى أخذ اليابس انتهاك حرمة الشجرة الخضراء التى تسبح بحمد ربها ولهذا غرس

فقال يا محمد أحسن فى موالى وكانوا حلفاء الخزرج قال فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن فى موالى قال فاعرض عنه فادخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وكان يقال لها ذات الفضول * قال ابن اسحق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظلالا ثم قال ويحك أرسلنى قال لا والله لا ارسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعونى من الاحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك (قال ابن هشام) واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته اياهم بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة ليلة * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بامرهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقام دونهم قال ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بنى عوف لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله ابن أبى فخلعهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال ففيه وفى عبد الله بن أبى نزلت القصة من المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض أى كعبد الله بن أبى وقوله انى أخشى الدوائر يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ثم القصة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وذلك لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم و

(قال ابن اسحق) وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حين أصاب عير قريش وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة ماء من مياه نجد وكان من حديثها ان قريشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون الى الشأم حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهى عظم تجارتهم واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم فى ذلك على الطريق (قال ابن هشام) فرات بن حيان من بنى عجل حليف لبنى سهم * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان بن ثابت بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها
جلاد كافواه المخاض الاوارك
بايدى رجال هاجروا نحو ربهم
وانصاره حقا وأيدى الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج
فقولا لها ليس الطريق هنالك

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات لحسان بن ثابت نقضها عليه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وسنذكرها ونقيضتها ان شاء الله موضعها

﴿قتل كعب بن الاشرف﴾

(قال ابن اسحق) وقتل كعب بن الاشرف وكان من حديث كعب بن الاشرف انه لما أصيب أصحاب بدر وقدم زيد بن حارثة الى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة الظفرى وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة وصالح بن أبى امامة بن سهل كل قد حدثنى بعض حديثه قالوا قال كعب بن الاشرف وكان رجلا من طيئ ثم أحد بنى نبهان وكانت أمه من بنى النضير حين بلغه الخبر أحق هذا

النبى صلى الله عليه وسلم على القبر بن غصنين أخضرين وقال لعله يخفف عنه ما لم ييبسا وفى الحديث دليل على انه اذا انقلعت الشجرة بنفسها أو انكسر الغصن جاز الانتفاع به لانه لم يعضده هو وهذا لا نزاع فيه فان قيل فما تقولون فيما اذا قلعها قالع ثم تركها فهل يجوز له أو لغيره ان ينتفع بها قيل قد سئل الامام أحمد رحمه الله عن هذه المسألة فقال من شبهه بالصيد لم ينتفع بحطبها وقال لم اسمع اذا قطعه ينتفع به وفيه وجه آخر انه يجوز لغير القاطع الانتفاع به لانه قطع بغير فعله فابيح له الانتفاع به كما لو قلعته الريح وهذا بخلاف الصيد اذا قتله محرم حيث يحرم على غيره فان قتل المحرم له جعله ميتة وقوله فى اللفظ الآخر ولا يخبط شوكها صريح أو كالصريح فى تحريم قطع الورق وهذا مذهب أحمد رحمه الله وقال الشافعى رحمه الله له أخذه ويروى عن عطاء والاول أصح لظاهر النص والقياس فان منزلته من الشجرة منزلة ريش الطائر منه وأيضا فان أخذ الورق ذريعة الى يبس الاغصان فانه لباسها ووقايتها

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) ولا يختلى خلاها الاخلاف ان المراد من ذلك ما ينبت بنفسه دون ما انبته الآدميون ولا يدخل اليابس فى الحديث بل هو للرطب خاصة فان الخلا بالقصر الحشيش الرطب ما دام رطبا فاذا يبس فهو حشيش واخلت الارض كثر خلاها واختلاء الخلا قطعه ومنه الحديث كان ابن عمر يختلى لفرسه ومنه سميت المخلاة وهى وعاء الخلا والاذخر مستثنى بالنص وفى تخصيصه بالاستثناء دليل على ارادة العموم فيما سواه فان قيل فهل يتناول الحديث الرعى أم لا قيل هذا فيه قولان أحدهما لا يتناوله فيجوز الرعى وهذا قول الشافعى رحمه الله والثانى يتناوله بمعناه وان لم يتناوله بلفظه فلا يجوز الرعى وهو مذهب أحمد رحمه الله والقولان لاصحاب أحمد رحمه الله قال المحرمون وأى فرق بين اختلائه وتقديمه للدابة وبين ارسال الدابة عليه ترعاه قال المبيحون لما كانت عادة الهدايا ان تدخل الحرم وتكثر فيه ولم ينقل قط انها كانت تسد أفواهها دل على جواز الرعى قال المحرمون الفرق بين ان يرسلها ترعى ويسلطها على ذلك وبين ان ترعى بطبعها من غير ان يسلطها صاحبها وهو لا يجب عليه ان يسد أفواهها كما لا يجب عليه ان يسد أنفه فى الاحرام عن شم الطيب وان لم يجز له ان يتعمد شمه وكذلك لا يجب عليه ان يمتنع من السير خشية ان يوطئ صيدا فى طريقه وان لم يجز له ان يقصد ذلك وكذلك نظائره فان قيل فهل يدخل فى الحديث أخذ الكمأة والفقع وما كان مغيبا فى الارض قيل لا يدخل فيه لانه بمنزلة الثمرة وقد قال أحمد يؤكل من شجر الحرم الضغابيس والعشرق

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) ولا ينفر صيدها صريح فى تحريم التسبب الى قتل الصيد واصطياده بكل سبب حتى انه لا ينفره عن مكانه لانه حيوان محترم فى هذا المكان قد سبق الى مكان فهو أحق به ففى هذا ان الحيوان المحترم اذا سبق الى مكان لم يزعج عنه

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يلتقط ساقطتها الا لمن عرفها) وفى لفظ ولا تحل ساقطتها الا لمنشد فيه دليل على ان لقطة الحرم لا تملك بحال وانها لا تلتقط الا للتعريف لا للتمليك والا لم يكن لتخصيص مكة بذلك فائدة أصلا وقد اختلف فى ذلك فقال مالك وأبو حنيفة رحمهما الله لقطة الحل والحرم سواء وهذا احدى الروايتين عن أحمد وأحد قولى الشافعى ويروى عن ابن عمر وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وقال أحمد فى الرواية الاخرى والشافعى فى القول الآخر لا يجوز التقاطها للتمليك

للتمليك وانما يجوز لحفظها لصاحبها فان التقاطها عرفها أبدا حتى يأتي صاحبها وهذا قول عبد الرحمن ابن مهدي وأبي عبيدة وهذا هو الصحيح والحديث صريح فيه والمنشد المعرف والناشد الطالب ومنه قوله اصاخة الناشد للمنشد وقد روى أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج قال ابن وهب يعني يتركها حتى يجدها صاحبها قال شيخنا وهذا من خصائص مكة والفرق بينها وبين سائر الآفاق في ذلك ان الناس يتفرقون عنها الى الاقطار المختلفة فلا يتمكن صاحب الضالة من طلبها والسؤال عنها بخلاف غيرها من البلاد

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم في الخطبة) ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يقتل واما ان يأخذ الدية فيه دليل على ان الواجب بقتل العمد لا يتعين في القصاص بل هو أحد شيئين اما القصاص واما الدية وفي ذلك ثلاثة أقوال وهي روايات عن الامام أحمد أحدها ان الواجب أحد شيئين اما القصاص أو الدية والخيرة في ذلك الى الولي بين أربعة أشياء العفو مجانا والعفو الى الدية والقصاص ولا خلاف في تخييره بين هذه الثلاثة والرابع المصالحة على أكثر من الدية فيه وجهان أشهرهما مذهبا جوازه والثاني ليس له العفو على مال الا الدية أو دونها وهذا أرجح دليلا فان اختار الدية سقط القود ولم يملك طلبه بعد وهذا مذهب الشافعي وأحد الروايتين عن مالك والقول الثاني ان موجبه القود عينا وانه ليس له ان يعفو الى الدية الا برضا الجاني فان عدل الى الدية ولم يرض الجاني فقوده بحاله وهذا مذهب مالك في الرواية الاخرى وأبي حنيفة والقول الثالث ان موجبه القود عينا مع التخيير بينه وبين الدية وان لم يرض الجاني فاذا عفا عن القصاص الى الدية فرضي الجاني فلا اشكال وان لم يرض فله العود الى القصاص عينا فان عفا عن القود مطلقا فان قلنا الواجب أحد الشيئين فله الدية وان قلنا الواجب القصاص عينا سقط حقه منهما فان قيل فما تقولون فيما لو مات القاتل قلنا في ذلك قولان أحدهما تسقط الدية وهو مذهب أبي حنيفة لان الواجب عندهم القصاص عينا وقد زال محل استيفائه بفعل الله تعالى فشبه ما لو مات العبد الجاني فان أرش الجناية لا ينتقل الى ذمة السيد وهذا بخلاف تلف الرهن وموت الضامن حيث لا يسقط الحق لثبوته في ذمة الراهن والمضمون عنه فلم يسقط بتلف الوثيقة وقال الشافعي وأحمد رحمهما الله تتعين الدية في تركته لانه تعذر استيفاء القصاص من غير اسقاط فوجب الدية لئلا يذهب حق الورثة من الدم والدية مجانا فان قيل فما تقولون لو اختار القصاص ثم اختار بعده العفو الى الدية هل له ذلك قلنا هذا فيه وجهان أحدهما ان له ذلك لان القصاص أعلى فكان له الانتقال الى الادنى والثاني ليس له ذلك لانه لما اختار القصاص فقد أسقط الدية باختياره له فليس له ان يعود اليها بعد اسقاطها فان قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين قوله صلى الله عليه وسلم من قتل عمدا فهو قود قيل لا تعارض بينهما بوجه فان هذا يدل على وجوب القود بقتل العمد وقوله فهو بخير النظرين يدل على تخييره بين استيفاء هذا الواجب له وبين أخذ بدله وهو الدية فأي تعارض وهذا الحديث نظير قوله تعالى كتب عليكم القصاص وهذا لا ينفي تخيير المستحق له بين ما كتب له وبين بدله والله أعلم

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) في الخطبة الا الاذخر بعد قول العباس له الا الاذخر يدل على مسألتين احداهما اباحة قطع الاذخر والثانية انه لا يشترط في الاستثناء ان ينويه من أول الكلام ولا قبل فراغه لان النبي صلى الله عليه وسلم لو كان ناويا بالاستثناء الاذخر من أول كلامه أو قبل تمامه

أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان يعني زيدا وعبد الله بن رواحة فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال

طحنت رحا بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا ان الملوك تصرع
كم قد أصيب به من ابيض ماجد ... ذي بهجة تأوي اليه الضيع
طلق اليدين اذا الكواكب أخلفت ... حمال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم ... ان ابن الاشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتلوا ... ظلت تسوخ باهلها وتصدع
صار الذي أثر الحديث بطعنة ... أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع
نبئت أن بني المغيرة كلهم ... خشعوا لقتل أبي الحكيم وجدعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبه ... ما نال مثل المهلكين وتبع
نبئت ان الحرث بن هشامهم ... في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما ... يحمي على الحسب الكريم الاورع

(قال ابن هشام) قوله تبع وأسر بسخطهم عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فأجابه حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه فقال

ابكي لكعب ثم عل بعبرة ... منه وعاش مجدعا لا يسمع
ولقد رأيت ببطن بدر منهم ... قتلى تسح لها العيون وتدمع
فابكي فقد أبكيت عبدا راضعا ... شبه الكليب الى الكليبة يتبع
ولقد شفا الرحمن منا سيدا * وأهان وما قاتلوه وصرعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه * شعف يظل لخوفه يتصدع

(قال ابن هشام) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله أبكي لكعب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقالت امرأة من المسلمين

من بني مرثد بطن من بلي كانوا حلفاء في بني أمية بن زيد يقال لهم الجعادرة تجيب كعبا (قال ابن هشام) اسمها ميمونة بنت عبد الله وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الابيات لها وينكر نقيضتها لكعب بن الاشرف   تحنن هذا العبد كل تحنن * يبكي على قتلى وليس بناصب

بكت عين من يبكي لبدر وأهله * (٤٤٣) وعلت بمثلها لؤي بن غالب   فليت الذين ضرجوا بدمائهم * يرى ما بهم من كان بين الاخاشب

فيعلم حقا عن يقين و يبصروا
مجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابه كعب بن الاشرف فقال

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا
عن القول يأتي منه غير مقارب
أتشتمني أن كنت أبكي بعبرة
لقوم أتاني ودهم غير كاذب
فاني لباك ما بقيت وذاكر
مآثر قوم مجدهم بالجباجب
لعمري لقد كانت مريد بمعزل
عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب
فحق مريد ان تجد أنوفهم
بشتمهم حيي لؤي بن غالب
وهبت نصيبي من مريد لجعدر
وفاء وبيت الله بين الاخاشب

ثم رجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لي بابن الاشرف فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الاشهل أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا فقال انما عليك الجهد قال يا رسول الله انه لا بد لنا من أن نقول قال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الاشهل وكان أخا من كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الاشهل والحرث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وأبو عبس بن جبر أحد بني حارثة ثم قدموا الى عدو الله كعب بن الاشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا

لم يتوقف استثناؤه له على سؤال العباس له ذلك واعلامه أنهم لا بد لهم منه لقينهم وبيوتهم ونظير هذا استثناؤه صلى الله عليه وسلم اسهيل بن بيضاء من أسارى بدر بعد أن ذكر به ابن مسعود فقال لا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضربة عنق فقال ابن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فقال الا سهيل بن بيضاء ومن المعلوم أنه لم يكن قد نوى الاستثناء في الصورتين من أول كلامه ونظيره أيضا قول الملك لسليمان لما قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله تعالى لقاتلوا في سبيل الله أجمعون وفي لفظ لكان دركا لحاجته فأخبر ان هذا الاستثناء لو وقع منه في هذه الحالة لنفعه ومن يشترط النية يقول لا ينفعه ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم لاغزون قريشا والله لاغزون قريشا ثلاثا ثم سكت ثم قال ان شاء الله فهذا استثناء بعد سكوت وهو يتضمن انشاء الاستثناء بعد الفراغ من الكلام والسكوت عليه وقد نص أحمد على جوازه وهو الصواب بلا ريب والمصير الى موجب هذه الاحاديث الصحيحة الصريحة أولى وبالله التوفيق

(فصل) وفي القصة ان رجلا من الصحابة يقال له أبو شاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كتب عني شيأ غير القرآن فليمحه وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن في الكتابة لحديثه وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يجعلها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والائمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

(فصل وفي القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم) دخل البيت وصلى فيه ولم يدخله حتى محيت الصور منه ففيه دليل على كراهة الصلاة في المكان المصور وهذا أحق بالكراهة من الصلاة في الحمام لان كراهة الصلاة في الحمام اما لكونه مظنة النجاسة واما لكونه بيت الشيطان وهو الصحيح وأما محل الصور فمظنة الشرك وغالب شرك الامم كان من جهة الصور والقبور

(فصل) وفي القصة انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ففيه دليل على جواز لبس السواد أحيانا ومن ثم جعل خلفاء بني العباس لبس السواد شعارا لهم ولولاتهم وقضاتهم وخطبائهم والنبي صلى الله عليه وسلم لم يلبسه لباسا راتبا ولا كان شعاره في الاعياد والجمع والمجامع العظام البتة وانما اتفق له لبس العمامة السوداء يوم الفتح دون سائر الصحابة ولم يكن سائر لباسه يومئذ السواد بل كان لواؤه أبيض

(فصل) ومما وقع في هذه الغزوة اباحة متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة واختلف في الوقت الذي حرمت فيه المتعة على أربعة أقوال أحدها انه يوم خيبر وهذا قول طائفة من العلماء منهم الشافعي وغيره والثاني انه عام فتح مكة وهذا قول ابن عيينة وطائفة والثالث انه عام حنين وهذا في الحقيقة هو القول الثاني لاتصال غزاة حنين بالفتح والرابع انه عام حجة الوداع وهو وهم من بعض الرواة سافر فيه وهمه من فتح مكة الى حجة الوداع كما سافر وهم معاوية من عمرة الجعرانة الى حجة الوداع حيث قال قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص على المروة في حجته وقد تقدم ان الحج وسفر الوهم من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ومن واقعة الى واقعة كثيرا ما يعرض للحفاظ

وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الأشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهدت عيالنا فقال كعب أنا ابن الأشرف اما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال له سلكان انى قد أردت ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك فقال أترهنونى أبناءكم قال لقد أردت أن تفضحنا ان معى أصحابا لى على مثل رأيى وقد أردت ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء وأراد سلكان ان لا ينكر السلاح اذا جاؤا بها قال ان فى الحلقة لوفاء قال فرجع سلكان الى أصحابه فأخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) ويقال قال أترهنونى نساءكم. قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم قال أترهنونى أبناءكم * قال ابن اسحق فحدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لأعرف [illegible] صوته الشر قال يقول لها كعب لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى [illegible] شعب [illegible] فنتحدث به بقية ليلتنا هذه قال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ثم قال اضربوا عدو

فمن دونهم والصحيح ان المتعة انما حرمت عام الفتح لانه قد ثبت فى صحيح مسلم انهم استمتعوا عام الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم باذنه ولو كان التحريم زمن خيبر لزم النسخ مرتين وهذا لا عهد بمثله فى الشريعة البتة ولا يقع مثله فيها وأيضا فان خيبر لم يكن فيها مسلمات وانما كن يهوديات واباحة نساء أهل الكتاب لم يكن ثبت بعد انما ابحن بعد ذلك فى سورة المائدة بقوله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهذا متصل بقوله اليوم أكملت لكم دينكم وبقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وهذا كان فى آخر الامر بعد حجة الوداع أو فيها فلم تكن اباحة نساء أهل الكتاب ثابتة زمن خيبر ولا كان للمسلمين رغبة فى الاستمتاع بنساء عدوهم قبل الفتح وبعد الفتح استرق من استرق منهن وصرن اماء للمسلمين فان قيل فما تصنعون بما ثبت فى الصحيحين من حديث على ابن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا صحيح صريح قيل هذا الحديث قد صحت روايته بلفظين هذا أحدهما والثانى الاقتصار على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر هذه رواية ابن عيينة عن الزهرى قال قاسم بن أصبغ قال سفيان بن عيينة يعنى انه نهى عن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر لا عن نكاح المتعة ذكره أبو عمر وفى التمهيد ثم قال على هذا أكثر الناس انتهى فتوهم بعض الرواة ان يوم خيبر ظرف لتحريمهن فرواه حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعة زمن خيبر والحمر الاهلية واقتصر بعضهم على رواية بعض الحديث فقال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعة زمن خيبر فجاء بالغلط البين فان قيل فاى فائدة فى الجمع بين التحريمين اذا لم يكونا قد وقعا فى وقت واحد وأين المتعة من تحريم الحمر قيل هذا الحديث رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه محتجا به على ابن عمه عبد الله بن عباس فى المسئلتين فانه كان يبيح المتعة ولحوم الحمر فناظره على بن أبى طالب فى المسئلتين وروى له التحريمين وقيد تحريم الحمر بزمن خيبر وأطلق تحريم المتعة وقال انك امرؤ تائه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم المتعة وحرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر كما قاله سفيان بن عيينة وعليه أكثر الناس فروى الامرين محتجا عليه بهما لا مقيدا لهما بيوم خيبر والله الموفق ولكن ههنا نظر آخر وهو انه هل حرمها تحريم الفواحش التى لا تباح بحال أو حرمها عند الاستغناء عنها وأباحها للمضطر هذا هو الذى نظر فيه ابن عباس وقال أنا أبحتها للمضطر كالميتة والدم فلما توسع فيها من توسع ولم يقف عند الضرورة امسك ابن عباس عن الافتاء بحلها ورجع عنه وقد كان ابن مسعود يرى اباحتها ويقرأ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ففى الصحيحين عنه قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا نساء فقلنا ألا نختصى فنهانا ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب الى أجل ثم قرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقراءة عبد الله هذه الآية عقيب هذا الحديث تحتمل أمرين أحدهما الرد على من يحرمها وانها لو لم تكن من الطيبات لما أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى أن يكون أراد آخر هذه الآية وهو الرد على من أباحها مطلقا وانه معتد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رخص فيها للضرورة وعند الحاجة فى الغزو وعند عدم

الله فضربوه ما اختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئا فأخذته وقد صاح عدو
الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن
أوس بن معاذ فجرح في رأسه أو في رجله أصابه بعض أسيافنا قال فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ثم على بني
قريظة ثم على بعاث حتى اسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث بن اوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا قال فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا فرجع ورجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه * قال ابن اسحق فقال كعب بن مالك

فغودر منهم كعب صريعا
فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته
بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد اذ دس ليلا
الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر
ومحمود أخو ثقة جسور

(قال ابن هشام) وهذه الابيات في قصيدة له في يوم بني النضير سأذكرها ان شاء الله في حديث ذلك اليوم * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب ابن الاشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق

لله در عصابة لاقيتهم
يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم
مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم
* فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

(قال ابن هشام) وسأذكر قتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه ان شاء الله وقوله ذفف عن غير ابن اسحق

﴿أمر محيصة وحويصة﴾

* قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود (قال ابن هشام)

وكان

النساء وشدة الحاجة الى المرأة فمن رخص فيها في الحضر مع كثرة النساء وامكان النكاح المعتاد فقد اعتدى والله لا يحب المعتدين فان قيل فكيف تصنعون بما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر وسلمة بن الاكوع قالا خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لكم ان تستمتعوا يعني متعة النساء قيل هذا كان زمن الفتح قبل التحريم ثم حرمها بعد ذلك بدليل ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمة بن الاكوع قال رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وعام أوطاس هو عام الفتح لان غزاة أوطاس متصلة بفتح مكة فان قيل فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث وفيما ثبت عن عمر انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما متعة النساء ومتعة الحج قيل الناس في هذا طائفتان طائفة تقول ان عمر هو الذي حرمها ونهى عنها وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع ما سنه الخلفاء الراشدون ولم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح فانه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده وقد تكلم فيه ابن معين ولم ير البخاري اخراج حديثه في صحيحه مع شدة الحاجة اليه وكونه أصلا من أصول الاسلام ولو صح عنده لم يصبر عن اخراجه والاحتجاج به قالوا ولو صح حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود حتى يروي انهم فعلوها ويحتج بالآية وأيضا ولو صح لم يقل عمر انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها بل كان يقول انه صلى الله عليه وسلم حرمها ونهى عنها قالوا ولو صح لم تفعل على عهد الصديق وهو عهد خلافة النبوة حقا والطائفة الثانية رأت صحة حديث سبرة ولو لم يصح فقد صح حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم متعة النساء فوجب حمل حديث جابر على ان الذي أخبر عنها بفعلها لم يبلغه التحريم ولم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر رضي الله عنه فلما وقع فيها النزاع ظهر تحريمها واشتهر وبهذا تأتلف الاحاديث الواردة فيها وبالله التوفيق

﴿فصل وفي قصة الفتح﴾ من الفقه جواز اجارة المرأة وأمانها الرجل والرجلين كما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم أمان أم هانئ لحمويها وفيها من الفقه جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردته من غير استتابة فان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ولحق بمكة فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه فأمسك عنه طويلا ثم بايعه وقال انما أمسكت عنه ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال له رجل هلا أومأت الي يا رسول الله فقال ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين فهذا كان قد تغلظ كفره بردته بعد ايمانه وهجرته وكتابة الوحي ثم ارتد ولحق بالمشركين يطعن على الاسلام ويعيبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فلما جاء به عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله حياء من عثمان ولم يبايعه ليقوم اليه بعض أصحابه فيقتله فهابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدموا على قتله بغير اذنه واستحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عثمان وساعد القدر السابق لما يريد الله سبحانه بعبد الله مما ظهر منه بعد ذلك من الفتوح فبايعه

(١) ويقال محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس على ابن سبينة (قال ابن هشام) ويقال ابن شبينة رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول أي عدو الله قتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله قال محيصة

وكان ممن استثنى الله بقوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم وقوله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين أي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف ظاهره باطنه ولا سره علانيته واذا نفذ حكم الله وأمره لم يومئ به بل صرح به وأعلنه وأظهره

(فصل في غزوة حنين وتسمى غزوة أوطاس) وهما موضعان بين مكة والطائف فسميت الغزوة باسم مكانها وتسمى غزوة هوازن لانهم الذين أتوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النضري واجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت اليه مضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ولم يشهدها من بني قيس بن غيلان الا هؤلاء ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه الا رأيه ومعرفته بالحرب وكان شجاعا مجربا وفي ثقيف سيدان لهم وفي الاحلاف قارب بن الاسود وفي بني مالك سبيع بن الحرث وأخوه أحمر ابن الحرث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النضري فلما أجمع المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فلما نزل قال باي واد أنتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهش مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصبي ويعار الشاء قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم قال أين مالك قيل هذا مالك ودعي له فقال يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت ان أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فقال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شيء انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها أحد منهم قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ولوددت انكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدها منكم قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران يا مالك انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ ارفعهم الى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم الق الصباة على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك قال والله لا أفعل انك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي فقالوا أطعناك فقال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الدمع * كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد وبعث عيونا

فقلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك قال فوالله ان كان لأول اسلام حويصة قال آلله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها قال والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فأسلم حويصة * قال ابن اسحق حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها محيصة فقال محيصة في ذلك

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله * لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله * متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرني أني قتلتك طائعا * وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

(قال ابن هشام) وحدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو المدني قال لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود وكانوا حلفاء الاوس على الخزرج فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر الى الاوس فلم ير ذلك فيهم فظن أن ذلك للحلف الذي بين الاوس وبين بني قريظة ولم يكن بقي من بني قريظة الا اثنا عشر رجلا فدفعهم الى الاوس فدفع الى كل رجلين من الاوس رجلا من بني قريظة وقال ليضرب فلان وليذفف فلان فكان ممن دفع اليهم كعب بن يهوذ وكان عظيما في بني قريظة فدفعوه الى محيصة بن مسعود وأبي بردة بن نيار وأبو بردة الذي رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يذبح جذعا من المعز في الاضحى [illegible]

(١) قوله ويقال محيصة ضبط الاول بضم الميم وفتح الحاء وسكون التحتية والثاني بضم الميم وفتح الحاء وتشديد التحتية مكسورة

أبو بردة فضربه محيصة ضربة لم تقطع وذفف أبو بردة فأجهز عليه فقال حويصة وكان كافرا لأخيه محيصة أقتلت كعب بن يهوذا قال نعم فقال حويصة اما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله انك للئيم يا محيصة فقال له محيصة لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا انه جعل يتيقظ من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح وهو يقول والله ان هذا الدين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال محيصة في ذلك أبياتا قد كتبناها * قال ابن اسحق وكانت اقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان وغزته قريش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث

《غزوة أحد》

وكان من حديث أحد كما حدثني محمد ابن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا أو من قاله منهم لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان ابن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثارنا بمن أصاب منا ففعلوا * قال ابن اسحق ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله صلى الله

من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا ان أصابنا ما ترى فوالله ما رده ذلك عن وجهه ان مضى على ما يريد فلما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبي حدود الاسلمي وأمره ان يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبي حدود فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى هوازن ذكر له ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فأرسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة وكانوا اثنى عشر ألفا واستعمل عتاب بن أسيد على مكة أميرا ثم مضى يريد لقاء هوازن فقال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا قال وفي عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأجنابه ومضايقه قد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد منهم على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال الى أين أيها الناس هلم الى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين وأهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان ابن الحرث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن ابن أم أيمن وقتل يومئذ قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينا هو كذلك اذ أهوى عليه علي بن أبي طالب ورجل من الانصار يريدانه قال فأتى علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه فوثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال فاجتلد الناس قال فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق ولما انهزم المسلمون ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الطعن فقال أبو سفيان ابن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وان الازلام لمعه في كنانته وصرخ جبلة بن الجنيد وقال ابن هشام صوابه كلدة ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان أخوه لامه وكان بعد مشركا اسكت فض الله فاك فوالله لان يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن وذكر ابن سعد عن شيبة بن عثمان الحجبي قال لما كان عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فاثأر منه فأكون أنا الذي قمت

بشار

عليه وسلم يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة وكان فى الاسارى فقال يارسول الله انى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك
وسلم فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صفوان بن أمية يا أبا عزة انك امرؤ شاعر فاعنا بلسانك فاخرج معنا فقال ان محمدا قد منّ
على فلا أريد ان اظاهر عليه قال فاعنا بنفسك فلك الله على ان رجعت ان اغنيك وان أصبت أن اجعل بناتك مع بناتى
يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة ويقول

أيا بنى عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدونى نصركم بعد العام
لا تسلمونى لا يحل اسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يامال مال الحسب المقدم
أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم
الحلف وسط البلد المحرم
* عند حطيم الكعبة المعظم *

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق فخرجت قريش بحدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وان لا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه بهند ابنة عتبة وخرج عكرمة بن أبى جهل بام حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وخرج الحرث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان ابن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية (قال ابن هشام) ويقال رقية * * قال ابن اسحق وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الانصارية وهى أم بنى طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ هم وأبوهم وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب احدى

بشار قريش كلها وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا تبع محمدا ما تبعته أبدا وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الامر فى نفسى الا قوة فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فاصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفى حتى كدت أشعره اياه فرفع لى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادانى ياشيب أدن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب الى من سمعى وبصرى ونفسى وأذهب الله ما كان فى نفسى ثم قال أدن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى الله اعلم انى أحب أن أقيه بنفسى كل شئ ولو لقيت تلك الساعة أبى لو كان حيا لاوقعت به السيف فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد وقربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها وخرج فى أثرهم حتى تفرقوا فى كل وجه ورجع الى معسكره فدخل خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه أحد غيرى حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال ياشيب الذى أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى مالم أكن أذكره لاحد قط قال فقلت فانى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لى فقال غفر الله لك وقال ابن اسحق وحدثنى الزهرى عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال انى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها وكنت امرأ جسيما شديد الصوت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس الى أين أيها الناس قال فلم أر الناس يلوون على شئ فقال ياعباس اصرخ يامعشر الانصار يامعشر أصحاب السمرة فأجابوا لبيك لبيك قال فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وقوسه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة استقبلوا الناس فقتلوا فكانت الدعوة أول ما كانت يا للانصار ثم خلصت آخرا يا للخزرج وكانوا صبرا عند الحرب فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمى الوطيس وزاد غيره

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وفى صحيح مسلم ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد فما هو الا أن رماهم فمازلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا وفى لفظ انه نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وذكر ابن اسحق عن جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون يوم حنين مثل البجاد الاسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى فلم يكن الا هزيمة القوم فلم أشك انها الملائكة قال ابن اسحق ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعرى فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى بسهم فقتل فأخذ الراية

نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير وهى أم مصعب بن عمير وخرجت عمرة بنت علقمة احدى نساء بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها قالت ويها أبا دسمة اشف واشتف وكان وحشى يكنى بأبى دسمة فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير

الوادى مقابل المدينة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة فاولتها بالمدينة (قال ابن هشام) وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت بقرا لى تذبح قال فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل * قال ابن اسحق فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأيه فى ذلك وان لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر يارسول الله اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله ابن أبى ابن سلول يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو أحد بنى النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك

أبو موسى الاشعرى وهو ابن عمه فقاتل ففتح الله عليه فهزمهم الله وقتل قاتل أبى عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابى عامر وأهله واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك واستغفر لابى موسى ومضى مالك بن عوف حتى تحصن بحصن ثقيف وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبى والغنائم ان يجمع فجمع ذلك كله ووجهوه الى الجعرانة وكان السبى ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة فاستأنى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة ثم بدأ بالاموال فقسمها وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الابل فقال ابنى يزيد فقال أعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل فقال ابنى معاوية قال أعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل وأعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه وأعطى النضر بن الحرث بن كلدة مائة من الابل وأعطى العلاء بن حارثة الثقفى خمسين وذكر أصحاب المائة وأصحاب الخمسين وأعطى العباس بن مرداس أربعين فقال فى ذلك شعرا فكمل له المائة ثم أمر زيد بن ثابت باحضار الغنائم والناس ثم فرضها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعا من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنى عشر بعيرا وعشرين ومائة شاة * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا الكبار فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شئ وجد هذا الحى من الانصار فى أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يارسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفئ الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ولم يكن فى هذا الحى من الانصار منها شئ قال فأين أنت من ذلك ياسعد قال يارسول الله ما أنا الا من قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتى سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يامعشر الانصار ماقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة فاغناكم الله بى وأعداء فالف الله بين قلوبكم قالوا الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبونى يامعشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله لله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك أوجدتم على يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وواديا وسلكت الانصار شعبا وواديا لسلكت شعب الانصار وواديها الانصار شعار والناس دثار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا وقدمت الشيماء بنت الحرث بن عبد

العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقالت يا رسول الله انى أختك من الرضاعة قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها فقال ان أحببت الاقامة فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان امتعك فترجعي الى قومك قالت بل تمتعني وتردني الى قومي ففعل فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوّجت احداهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية وقال أبو عمر فاسلمت فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وسماها خدامة وقال والشيماء لقب

(فصل) وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن صرد وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فسألوه أن يمن عليهم بالسبي والاموال فقال ان معي من ترون وان أحب الحديث الى أصدقه فأبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقال اذا صليت الغداة فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد علينا سبينا فلما صلى الغداة قاموا فقالوا ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وسأسأل لكم الناس فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء القوم قد جاؤا مسلمين وقد كنت استأنيت سبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده منهن شئ فطابت نفسه بان يرده فسبيل ذلك ومن أحب أن يستمسك بحقه فليرد عليهم وله بكل فريضة ست فرائض من أوّل ما يفىء الله علينا فقال الناس قد طيبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لا نعرف من رضى منكم ممن لم يرض فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا صارت فى يديه منهم ثم ردها بعد ذلك وكسا رسول الله صلى الله عليه وسلم السبي قبطية قبطية

(فصل) فى الاشارة الى بعض ما تضمنته هذه الغزوة من المسائل الفقهية والنكت الحكمية

كان الله عز وجل قد وعد رسوله وهو صادق الوعد انه اذا فتح مكة دخل الناس فى دينه أفواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمته تعالى ان أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ليظهر أمر الله وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر الله سبحانه رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون مثلها فلا يقاومهم بعد أحد من العرب ولغير ذلك من الحكم الباهرة التى تلوح للمتأملين وتبدو للمتوسمين فاقتضت حكمته سبحانه ان أذاق المسلمين أوّلا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه (قال ابن هشام) واستعمل بالمدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس * قال ابن اسحق حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم وعصانى ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام اخو بنى سلمة يقول يا قوم أذكركم الله ان لا تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ولكن نرى انه لا يكون قتال قال فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عز وجل عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وذكر غير زياد عن محمد بن اسحق عن الزهرى ان الانصار يوم أحد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نستعين بحلفائنا من يهود فقال لا حاجة لنا فيهم * قال زياد وحدثنى محمد بن اسحق قال ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف فاستله (قال ابن هشام) (١) ويقال كلاب سيف * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف شم سيفك فانى أرى السيوف اليوم ستسل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أى من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة اخو بنى حارثة بن الحرث أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى وكان رجلا منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين

(١) قوله ويقال كلاب سيف ضبط الاول بضم الكاف وتشديد اللام والثانى بفتح الكاف وتشديد اللام أيضا

قالوا فجعل يحثي في وجوههم التراب ويقول ان كنت رسول الله فاني لا أحل لك ان تدخل حائطي وقد ذكر لي انه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال والله
لو اني اعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى
أعمى القلب اعمى البصر وقد بدر اليه سعد بن زيد اخو بني عبد الاشهل قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس

في رأسه فشجه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمّر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار (قال ابن هشام) وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما فقيل له يا رسول الله ان رافعا رام فاجازه فلما أجاز رافعا قيل له يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعا فاجازه ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أحد بني مالك بن النجار
والبراء بن عازب أحد بني حارثة وعمرو بن حزم أحد بني مالك بن النجار وأسيد بن ظهير أحد بني حارثة ثم وكثير
أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة * قال ابن اسحق وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس قد جنبوها
فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام

ان ذقنه تكاد ان تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته ان أحل له حرمه وبلده ولم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عنده وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له غيره وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيأ فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم أرسلت اليها خلع الجبر مع بريد النصر فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته ان خلع النصر وجوائزه انما تفيض على أهل الانكسار ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون * ومنها ان الله سبحانه لما منع الجيش غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهبا ولا فضة ولا متاعا ولا سبيا ولا أرضا كما روى أبو داود عن وهب بن منبه قال سألت جابرا هل غنموا يوم الفتح شيأ قال لا وكانوا قد فتحوها بايجاف الخيل والركاب وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة الى ما يحتاج اليه الجيش من أسباب القوة فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف في قلوبهم اخراج أموالهم ونعمهم وشياههم وسبيهم معهم نزلا وضيافة وكرامة لحزبه وجنده وتمم تقديره سبحانه بان أطمعهم في الظفر وألاح لهم مبادي النصر ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلما أنزل الله نصره على رسوله وأوليائه وبردت الغنائم لاهلها وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم وذراريكم فأوحى الله سبحانه الى قلوبهم التوبة والانابة فجاؤا مسلمين فقيل ان من شكر اسلامكم واتيانكم أن نرد عليكم نساءكم وأبناءكم وسبيكم وان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ومنها ان الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوة بدر وختم غزوهم بغزوة حنين ولهذا يقرن بين هاتين الغزاتين بالذكر فيقال بدر وحنين وان كان بينهما سبع سنين والملائكة قاتلت بانفسها مع المسلمين في هاتين الغزاتين والنبي صلى الله عليه وسلم رمى في وجوه المشركين بالحصباء فيهما وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فالاولى خوفتهم وكسرت من حدهم والثانية استفرغت قواهم واستنفدت سهامهم وأذلت جمعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله ومنها ان الله سبحانه جبر بها أهل مكة وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم وكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وان كان عين جبرهم وعزهم تمام نعمته عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن فانه لم يكن لهم بهم طاقة وانما نصروا عليهم بالمسلمين ولو أفردوا عنهم لا كلهم عدوهم الى غير ذلك من الحكم التي لا يحيط بها الا الله تعالى

(فصل) وفيها من الفقه ان الامام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم وان الامام اذا سمع بقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم بل يسير اليهم كما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوازن حتى لقيهم بحنين ومنها ان الامام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه كما استعار رسول الله صلى الله عليه وسلم أدراع صفوان وهو يومئذ مشرك ومنها ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكمل الخلق توكلا وانما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بانواع السلاح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة والبيضة على رأسه وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس

وكثير ممن لا تحقيق عنده ولا رسوخ فى العلم يستشكل هذا ويتكايس فى الجواب تارة بان هذا فعله تعليما للامة وتارة بان هذا كان قبل نزول الآية ووقعت فى مصر مسألة سأل عنها بعض الامراء وقد ذكر له حديث ذكره أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه الكبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ان أهدت له اليهودية الشاة المسمومة لا يأكل طعاما قدم له حتى يأكل منه من قدمه قالوا وفى هذا أسوة للملوك فى ذلك فقال قائل كيف يجمع بين هذا وبين قوله تعالى والله يعصمك من الناس فاذا كان الله سبحانه قد ضمن له العصمة فهو يعلم أنه لا سبيل لبشر اليه وأجاب بعضهم بان هذا يدل على ضعف الحديث وبعضهم بان هذا كان قبل نزول الآية فلما نزلت لم يكن ليفعل ذلك بعدها ولو تأمل هؤلاء ان ضمان الله له العصمة لا ينافى تعاطيه لاسبابها لاغناهم عن هذا التكلف فان هذا الضمان له من ربه تبارك وتعالى لا يناقض احتراسه من الناس ولا ينافيه كما ان اخبار الله سبحانه له بانه يظهر دينه على الدين كله ويعليه لا يناقض أمره بالقتال واعداد العدة والقوة ورباط الخيل والاخذ بالجد والحذر والاحتراس من عدوه ومحاربته بانواع الحرب والتورية وكان اذا أراد الغزوة ورى بغيرها وذلك بان هذا اخبار من الله سبحانه عن عاقبة حاله ومآله بما يتعاطاه من الاسباب التى جعلها الله مفضية الى ذلك مقتضية له وهو صلى الله عليه وسلم أعلم بربه وأتبع لامره من أن يعطل الاسباب التى جعلها الله له بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر واظهار دينه وغلبته لعدوه وهذا كما انه سبحانه ضمن له حياته حتى يبلغ رسالاته ويظهر دينه وهو يتعاطى أسباب الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس حتى آل ذلك ببعضهم الى ان ترك الدعاء وزعم انه لا فائدة فيه لان المسؤل ان كان قد قدر ناله ولا بد وان لم يقدر لم ينله فاى فائدة فى الاشتغال بالدعاء ثم تكايس فى الجواب بان قال الدعاء عبادة فيقال لهذا الغالط بقى عليك قسم آخر وهو الحق انه قد قدر له مطلوبه بسبب ان تعاطاه حصل له المطلوب ومثل هذا الغالط الامثل من يقول ان كان الله قد قدر لى الشبع فانا أشبع أكلت أو لم آكل وان لم يقدر لى الشبع لم أشبع أكلت أو لم آكل فما فائدة الاكل وامثال هذه الترهات الباطلة المنافية لحكمة الله تعالى وشرعه وبالله التوفيق *

(فصل وفيها ان النبى صلى الله عليه وسلم) شرط لصفوان فى العارية الضمان فقال بل عارية مضمونة فهل هذا اخبار عن شرعه فى العارية ووصف لها بوصف شرعه الله فيها وان حكمها الضمان كما يضمن المغصوب أو اخبار عن ضمانها بالاداء بعينها ومعناه انى ضامن لك تأديتها وانها لا تذهب بل أردها اليك بعينها هذا مما اختلف فيه الفقهاء فقال الشافعى وأحمد رحمهما الله بالاول وانها مضمونة بالتلف وقال أبو حنيفة ومالك رحمهما الله بالثانى وانها مضمونة بالرد على تفصيل فى مذهب مالك وهو ان العين ان كانت مما لا يغاب عليه كالحيوان والعقار لم تضمن بالتلف الا ان يظهر كذبه وان كانت مما يغاب عليه كالحلى ونحوه ضمنت بالتلف الا ان يأتى ببينة تشهد على التلف وسر مذهبه ان العارية أمانة غير مضمونة كما قال أبو حنيفة الا انه لا يقبل قوله فيما يخالف الظاهر فلذلك فرق بين ما يغاب عليه وبين ما لا يغاب عليه ومأخذ المسألة ان قوله صلى الله عليه وسلم لصفوان بل عارية مضمونة هل أراد به انها مضمونة بالرد أو بالتلف أى أضمنها ان تلفت أو أضمن لك ردها وهو يحتمل الامرين وهو فى

اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة فقال وما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه اياه وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين * قال ابن اسحق فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بنى سلمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة وقد كان خرج حين خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الاوس وبعض الناس كان يقول كانوا خمسة عشر رجلا وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يا معشر الاوس انا أبو عامر قالوا فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة * قال ابن اسحق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال يا بنى عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما ان تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وتقول

السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته اياه قبله فاعطاه اياه وتركنى والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا أقوم الدهر فى الكيول
اضرب بسيف الله والرسول

(قال ابن هشام) ويروى فى الكبول يعنى آخر الصفوف * قال ابن اسحق فجعل لا يلقى أحدا الا قتله وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير فقلت الله ورسوله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو دجانة سماك بن خرشة رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن عبد

ضمان الرد أظهر لثلاثة أوجه أحدها ان فى اللفظ الآخر بل عارية مؤداة فهذا يبين ان قوله مضمونة المراد به المضمونة بالاداء الثانى انه لم يسأله عن تلفها وانما سأله هل تأخذها منى أخذ غصب تحول بينى وبينها فقال لا بل أخذ عارية أؤديها اليك ولو كان سأله عن تلفها وقال أخاف أن تذهب لناسب ان يقول أنا ضامن لها ان تلفت الثالث انه جعل الضمان صفة لها نفسها ولو كان ضمان تلف لكان الضمان لبدلها فلما وقع الضمان على ذاتها دل على انه ضمان أداء فان قيل ففى القصة ان بعض الدروع ضاع فعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم ان يضمنها فقال أنا اليوم فى الاسلام أرغب قيل هل عرض عليه أمرا واجبا أو أمرا جائزا مستحبا الاولى فعله وهو من مكارم الاخلاق والشيم ومن محاسن الشريعة وقد يترجح الثانى بانه عرض عليه الضمان ولو كان الضمان واجبا لم يعرضه عليه بل كان يفى له به ويقول هذا حقك كما لو كان الذاهب بعينه موجودا فانه لم يكن ليعرض عليه رده فتأمله

(فصل) وفيها جواز عقر فرس العدو ومركوبه اذا كان ذلك عونا على قتله كما عقر على كرم الله وجهه جمل حامل راية الكفار وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهى عنه وفيها عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن هم بقتله ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره حتى عاد كانه ولى حميم ومنها ما ظهر فى هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة من اخباره لشيبة بما أضمر فى نفسه ومن ثباته وقد تولى عنه الناس وهو يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقد استقبلته كتائب المشركين ومنها ايصال الله قبضته التى رمى بها الى عيون أعدائه على البعد منه وبركته فى تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم الى غير ذلك من معجزاته فيها كنزول الملائكة للقتال معه حتى رآهم العدو جهرة ورآهم بعض المسلمين ومنها جواز انتظار الامام بقسم الغنائم اسلام الكفار ودخولهم فى الطاعة فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم وفى هذا دليل لمن يقول ان الغنيمة انما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستيلاء عليها اذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء لم يستأن بهم النبى صلى الله عليه وسلم ليردها عليهم وعلى هذا فلو مات أحد من الغانمين قبل القسمة أو احرازها بدار الاسلام رد نصيبه على بقية الغانمين دون ورثته وهذا مذهب أبى حنيفة لو مات قبل الاستيلاء لم يكن لورثته شئ ولو مات بعد القسمة فسهمه لورثته

(فصل وهذا العطاء الذى أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم) لقريش والمؤلفة قلوبهم هل هو من أصل الغنيمة أو من الخمس أو من خمس الخمس فقال الشافعى ومالك رحمهما الله هو من خمس الخمس وهو سهمه صلى الله عليه وسلم الذى جعله الله من الخمس وهو غير الصفى وغير ما يصيبه من المغنم لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يستأذن الغانمين فى تلك العطية ولو كان العطاء من أصل الغنيمة لاستأذنهم لانهم ملكوها بحوزها والاستيلاء عليها وليس من أصل الخمس لانه مقسوم على خمسة فهو اذا من خمس الخمس وقد نص الامام أحمد على ان النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة وهذا العطاء هو من النفل نفل النبى صلى الله عليه وسلم به رؤس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الاسلام فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس والربع بعده لما فيه من تقوية الاسلام وشوكته وأهله

شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشانى وكان يكنى بأبى نيار فقال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى (قال ابن هشام) شريق بن الاخنس بن شريق وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشى غلام جبير بن مطعم والله انى لأنظر الى حمزة واستجلاب

يهذ الناس بسيفه ما يليق به شيأ مثل الجمل الاورق اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال حمزة هلم الي يا بن مقطعة البظور فضربه ضربة (١) فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره * قال ابن اسحق

واستجلاب عدوه اليه وهكذا وقع سواء كما قال بعض هؤلاء الذين تألفهم لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لأحب الخلق الي فما ظنك بعطاء قوى الاسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه واستجلب به قلوب رؤس القبائل والعشائر الذين اذا غضبوا غضب لغضبهم اتباعهم واذا رضوا رضوا لرضاهم فاذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم فلله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجداه وأنفعه للاسلام وأهله ومعلوم ان الانفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الامر فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الاسلام العامة لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل ولما عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي واضرابه عن هذه المصلحة والحكمة قال له قائلهم اعدل فانك لم تعدل وقال مشبهه ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ولعمر الله ان هؤلاء من أجهل الخلق برسوله ومعرفته بربه وطاعته له وتمام عدله واعطائه لله ومنعه لله ولله سبحانه ان يقسم الغنائم كما يحب وله ان يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم وله ان يسلط عليها نارا من السماء تأكلها وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وما فعل ما فعله من ذلك عبثا ولا قدره سدى بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة مصدره كمال علمه وعزته وحكمته ورحمته ولقد أتم نعمته على قوم ردهم الى منازلهم برسوله صلى الله عليه وسلم يقودونه الى ديارهم وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه وهذا فضله وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون ورسوله منفذ لامره * فان قيل فلو دعت حاجة الامام في وقت من الاوقات الى مثل هذا مع عدوه هل يسوغ له ذلك قيل الامام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين فان تعين ذلك للدفع عن الاسلام والذب عن حوزته واستجلاب رؤس أعدائه اليه ليأمن المسلمون شرهم ساغ له ذلك بل تعين عليه وهل تجوز الشريعة غير هذا فانه وان كان في الحرمان مفسدة فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الاصلين وبالله التوفيق

(فصل وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم) قال من لم يطب نفسه فله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا ففي هذا دليل على جواز بيع الرقيق بل الحيوان بعضه ببعض نسيئة ومتفاضلا وفي السنن من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يجهز جيشا فنفدت الابل فأمره أن يأخذ على قلائص الصدقة وكان يأخذ البعير بالبعيرين الى ابل الصدقة وفي السنن عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة رواه الترمذي من حديث الحسن عن سمرة وصححه وفي الترمذي من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيوان اثنان بواحد لا يصلح نسيئا ولا بأس به يدا بيد قال الترمذي حديث حسن فاختلف الناس في هذه الاحاديث على أربعة أقوال وهي روايات عن أحمد أحدها جواز ذلك متفاضلا ومتساويا نسيئة ويدا بيد وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله والثاني لا يجوز ذلك نسيئة ولا متفاضلا والثالث يحرم الجمع بين النساء والتفاضل ويجوز البيع

وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية بن أبي سفيان فادربنا مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير ابن مطعم قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي هل لك في أن نأتي وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله قال قلت له ان شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه قال فخرجنا نمشي حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له فاذا شيخ كبير مثل البغاث (قال ابن هشام) البغاث ضرب من الطير الى السواد فاذا هو صاح لا بأس به قال فلما انتهينا اليه سلمنا عليه فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدي فقال ابن لعدي بن الخيار أنت قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فاني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لي قدماك حين رفعتك اليها فوالله ما هو الا أن وقفت على فعرفتهما قال فجلسنا اليه فقلنا له جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته فقال أما اني سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم

(١) قوله فكأنما أخطأ رأسه هذا يقال عند المبالغة في الاصابة كذا في الزرقاني على المواهب

مع أحدهما وهو قول مالك رحمه الله والرابع ان اتحد الجنس جاز التفاضل وحرم النساء وان اختلف الجنس جاز التفاضل والنساء وللناس في هذه الاحاديث والتأليف بينها ثلاثة مسالك أحدها تضعيف حديث الحسن عن سمرة لانه لم يسمع منه سوى حديثين ليس هذا منهما وتضعيف حديث الحجاج بن أرطاة والمسلك الثاني دعوى النسخ وان لم يتبين المتأخر منها من المتقدم ولذلك وقع الاختلاف والمسلك الثالث حملها على أحوال مختلفة وهو ان النهي عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة انما كان لانه ذريعة الى النسيئة في الربويات فان البائع اذا رأى ما في البيع من الربح لم تقتصر نفسه عليه بل تجره الى بيع الربوي كذلك فسد عليهم الذريعة وأباحه يدا بيد ومنع من النساء فيه وما حرم للذريعة يباح للمصلحة الراجحة كما أباح من المزابنة العرايا للمصلحة الراجحة وأباح ما تدعو اليه الحاجة منها وكذلك بيع الحيوان بالحيوان نسيئة متفاضلا في هذه القصة وفي حديث ابن عمرو انما وقع في الجهاد وحاجة المسلمين الى تجهيز الجيش ومعلوم أن مصلحة تجهيزه أرجح من المفسدة التي في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة والشريعة لا تعطل المصلحة الراجحة لاجل المرجوحة ونظير هذا جواز لبس الحرير في الحرب وجواز الخيلاء فيها اذ مصلحة ذلك أرجح من مفسدة لبسه ونظير ذلك لباسه القباء الحرير الذي أهداه له ملك أيلة ساعة ثم نزعه للمصلحة الراجحة في تاليفه وكان هذا بعد النهي عن لباس الحرير كما بيناه مستوفى في كتاب التخبير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير وبينا ان هذا كان عام الوفود سنة تسع وان النهي عن لباس الحرير كان قبل ذلك بدليل أنه نهى عمر عن لبس الحلة الحرير التي أعطاه اياها فكساها عمر أخاله مشركا بمكة وهذا كان قبل الفتح ولباسه صلى الله عليه وسلم هدية ملك أيلة كان بعد ذلك ونظير هذا نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة قبل طلوع الشمس وبعد العصر سد الذريعة التشبه بالكفار وأباح ما فيه مصلحة راجحة من قضاء الفوائت وقضاء السنن وصلاة الجنازة وتحية المسجد لان مصلحة فعلها أرجح من مفسدة النهي والله أعلم

(فصل) وفي القصة دليل على ان المتعاقدين اذا جعلا بينهما أجلا غير محدود جاز اذا اتفقا عليه ورضيا به وقد نص أحمد على جوازه في رواية عنه في الخيار مدة غير محدودة أنه يكون جائزا حتى يقطعاه وهذا هو الراجح اذ لا محذور في ذلك ولا غرر وكل منهما قد دخل على بصيرة ورضا بموجب العقد فكلاهما في العلم به سواء فليس لاحدهما مزية على الآخر فلا يكون ذلك ظلما

(فصل) وفي هذه الغزوة انه قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه وقاله في غزوة أخرى قبلها فاختلف الفقهاء هل هذا السلب مستحق بالشرع أو بالشرط على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه له بالشرع شرطه الامام أو لم يشرطه وهو قول الشافعي رحمه الله والثاني انه لا يستحق الا بشرط الامام وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وقال مالك رحمه الله لا يستحق الا بشرط الامام بعد القتال فلو نص قبله لم يجز قال مالك ولم يبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين وانما نفل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن برد القتال ومأخذ النزاع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الامام والحاكم والمفتي وهو الرسول فقد يقول الحكم بمنصب الرسالة فيكون شرعا عاما الى يوم القيامة كقوله من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقوله من زرع في أرض قوم بغير اذنهم فليس له من الزرع شيء وله نفقته وكحكمه بالشاهد واليمين وبالشفعة فيما لم يقسم وقد يقول بمنصب الفتوى

كقوله

بدر فلما سارت قريش الى أحد قال لي جبير ان قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئا فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الاورق يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء فوالله انى لاتهيأ له أريده فاستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال له حمزة هلم الي يا ابن مقطعة البظور قال فضربه ضربة كانما أخطأ رأسه قال وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوي فغلب وتركته واياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة وانما قتلته لاعتق فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى اذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت الى الطائف فكنت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت علي المذاهب فقلت الحق بالشام أو اليمن أو ببعض البلاد فوالله انى لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك انه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه وتشهد شهادة الحق فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه الابي قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق فلما رآني قال أوحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة قال فحدثته كما حدثتكما فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك قال فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما في يده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان قد شهد اليمامة قال سمعت يومئذ صارخا يقول قتله العبد الاسود (قال ابن هشام) فبلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول قد علمت ان الله تعالى لم

يكن ليدع قاتل حمزة رضي الله عنه * قال ابن اسحق وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا فلما قتل مصعب ابن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء علي بن أبي طالب وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين (قال ابن هشام) وحدثني مسلمة بن علقمة المازني قال لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ان قدم الراية فتقدم علي فقال أنا أبو القصم ويقال أبو القصم فيما قال ابن هشام فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين ان هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ويقال ان أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين فنادى أنا قاصم من يبارز مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان قتلانا في الجنة وان قتلانا في النار كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج الي بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فضربه علي رضي الله عنه فقتله * قال ابن اسحق وقتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص وقاتل عاصم ابن ثابت بن أبي الاقلح فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سهما فيأتي أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رماني وهو يقول خذها وأنا ابن أبي الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

كقوله لهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد شكت اليه شح زوجها وانه لا يعطيها ما يكفيها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فهذه فتيا لا حكم اذ لم يدع بأبي سفيان ولم يسأله عن جواب الدعوى ولا سألها البينة وقد يقوله بمنصب الامامة فيكون مصلحة للامة في ذلك الوقت وذلك المكان وعلى تلك الحال فيلزم من بعده من الائمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التي راعاها النبي صلى الله عليه وسلم زمانا ومكانا وحالا ومن ههنا تختلف الائمة في كثير من المواضع التي فيها أثر عنه صلى الله عليه وسلم كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه هل قاله بمنصب الامامة فيكون حكمه متعلقا بالائمة أو بمنصب الرسالة والنبوة فيكون شرعا عاما وكذلك قوله من أحيا أرضا ميتة فهي له هل هو شرع عام لكل أحد أذن فيه الامام أو لم يأذن أو هو راجع الى الائمة فلا يملك بالاحياء الا باذن الامام على القولين فالاول للشافعي وأحمد في ظاهر مذهبهما والثاني لابي حنيفة وفرق مالك بين الفلوات الواسعة وما لا يتشاح فيه الناس وبين ما يقع فيه التشاح فاعتبر اذن الامام في الثاني دون الاول

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) له عليه بينة دليل على مسألتين أحدهما ان دعوى القاتل انه قتل هذا الكافر لا يقبل في استحقاق سلبه الثانية الاكتفاء في ثبوت هذه الدعوى بشاهد واحد من غير يمين لما ثبت في الصحيح عن أبي قتادة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فاستدرت اليه حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقال ما للناس فقلت أمر الله ثم ان الناس رجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه قال فقمت فقلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال مثل ذلك قال فقمت فقلت من يشهد لي ثم قال ذلك الثالثة فقمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا قتادة فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه من حقه فقال أبو بكر الصديق لاها الله اذا لا يعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فأعطه اياه فأعطانيه فبعت الدرع فابتعت به مخرفا في بني سلمة فانه لاول مال تأثلته في الاسلام وفي المسألة ثلاثة أقوال هذا أحدها وهو وجه في مذهب أحمد والثاني انه لا بد من شاهد ويمين كاحدى الروايتين عن أحمد والثالث وهو منصوص الامام أحمد انه لا بد من شاهدين لانها دعوى قتل فلا تقبل الا بشاهدين وفي القصة دليل على مسألة أخرى وهي انه لا يشترط في الشهادة التلفظ بلفظ أشهد وهذا أصح الروايات عن أحمد في الدليل وان كان الاشهر عند أصحابه الاشتراط وهي مذهب مالك قال شيخنا ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط لفظ الشهادة وقد قال ابن عباس شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح ومعلوم انهم لم يتلفظوا له بلفظ أشهد انما كان مجرد اخبار وفي حديث ماعز فلما شهد على نفسه أربع شهادات رجمه وانما كان منه مجرد اخبار عن نفسه هو اقرار وكذلك قوله تعالى قل أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد وقوله قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم

أنهم كانوا كافرين وقوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين وقوله شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط الى أضعاف ذلك مما ورد في القرآن والسنة من اطلاق لفظ الشهادة على الخبر المجرد عن لفظ أشهد وقد تنازع الامام أحمد وعلي بن المديني في الشهادة للعشرة بالجنة فقال علي أقول هم في الجنة ولا أقول أشهد انهم في الجنة فقال الامام أحمد متى قلت هم في الجنة فقد شهدت وهذا تصريح منه بانه لا يشترط في الشهادة لفظ أشهد وحديث أبي قتادة من أبين الحجج في ذلك فان قيل اخبار من كان عنده السلب انما كان اقرارا بقوله هو عندي وليس ذلك من الشهادة في شيء قيل تضمن كلامه شهادة واقرارا فقوله صدق شهادة له بانه قتله وقوله هو عندي اقرار منه بانه عنده والنبي صلى الله عليه وسلم انما قضى بالسلب بعد البينة وكان تصديق هذا هو البينة

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) فله سلبه دليل على أن له سلبه كله غير مخمس وقد صرح بهذا في قوله لسلمة بن الاكوع لما قتل قتيلا له سلبه أجمع وفي المسألة ثلاثة مذاهب هذا أحدها والثاني أنه يخمس كالغنيمة وهذا قول الاوزاعي وأهل الشام وهو مذهب ابن عباس لدخوله في آية الغنيمة والثالث أن الامام ان استكثره خمسه وان استقله لم يخمسه وهو قول اسحق وفعله عمر بن الخطاب فروى سعيد في سننه عن ابن سيرين أن البراء بن مالك بارز مرزبان المرازبة بالبحرين فطعنه فدق صلبه وأخذ سواريه وسلبه فلما صلى عمر الظهر اتى البراء في داره فقال انا كنا لا نخمس السلب وان سلب البراء قد بلغ مالا وأنا خامسه فكان أوّل سلب خمس في الاسلام سلب البراء وبلغ ثلاثين ألفا والاول أصح فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخمس السلب وقال هو له أجمع ومضت على ذلك سنته وسنة الصديق بعده وما رآه عمر اجتهاد منه أداه اليه رأيه

(فصل) والحديث يدل على انه من أصل الغنيمة فان النبي صلى الله عليه وسلم قضى به للقاتل ولم ينظر في قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس وقال مالك هو من خمس الخمس ويدل على أنه يستحقه من يسهم له ومن لا يسهم له من صبي وامرأة وعبد ومشرك وقال الشافعي في أحد قوليه لا يستحق السلب الا من يستحق السهم لان السهم المجمع عليه اذا لم يستحقه العبد والصبي والمرأة والمشرك فالسلب أولى والاوّل أصح للعموم ولانه جار مجرى قول الامام من فعل كذا وكذا أو دل على حصن أو جاء برأس فله كذا مما فيه تحريض على الجهاد والسهم مستحق بالحضور وان لم يكن منه فعل والسلب مستحق بالفعل فجرى مجرى الجعالة

(فصل) وفيه دلالة على انه يستحق سلب جميع من قتله وان كثروا وقد ذكر أبو داود أن أبا طلحة قتل يوم حنين عشرين رجلا فأخذ اسلابهم

(فصل) في غزوة الطائف في شوّال سنة ثمان قال ابن سعد قالوا ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي يهدمه وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشو النار في وجهه ويحرقه ويقول

وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا أبدا ولا يمسه مشرك وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ وهو يحمل لواء المشركين

ان على أهل اللواء حقا * أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الاسود وهو ابن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا أهله ما شأنه فسألت صاحبته عنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة (قال ابن هشام) ويقال الهائفة وجاء في الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها (قال ابن هشام) قال الطرماح بن حكيم الطائي والطرماح الطويل من الرجال

انا ابن حماة المجد من آل مالك
اذا جعلت خور الرجال تهيع

والهيعة الصيحة التي فيها الفزع * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة * قال ابن اسحق وقال شداد بن الاسود في قتله حنظلة

لأحمين صاحبي ونفسي
بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال أبو سفيان بن حرب وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ومعاونة ابن شعوب اياه على حنظلة

ولو شئت نجتني كميت طمرة
ولم أحمل النعماء لابن شعوب
وما زال مهري مزجر الكلب منهم
لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدّعي يال غالب
وادفعهم عني بركن صليب
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل
ولا تسأمي من عبرة ونحيب
أباك واخوانا له قد تتابعوا
وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذي قد كان في النفس انني
قتلت من النجار كل نجيب * ومن هاشم قرما كريما ومصعبا
وكان لدى الهيجاء غير هيوب * ولو أنني لم اشف نفسي منهم
لكانت شجا في القلب ذات ندوب * فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم
بهم (١) خدب من مغبط وكئيب * أصابهم من لم يكن لدمائهم
كفاء ولا في خطة بضريب

فأجابه حسان بن ثابت فيما ذكر ابن هشام فقال

(١) الخدب الجرح توسع

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أكبر من ميلادكا
* انى حشوت النار فى فؤادكا *

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدم بدبابة ومنجنيق قال ابن سعد ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف قدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف قد رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلح لهم لسنة فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيؤا للقتال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هنالك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلى بين القبتين مدة حصار الطائف فحاصرهم ثمانية عشر يوما وقال ابن اسحق بضعا وعشرين ليلة ونصب عليهم المنجنيق وهو أول ما رمى به فى الاسلام وقال ابن سعد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ثور بن يزيد عن مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوما قال ابن اسحق حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم دخلوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون قال ابن سعد فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أدعها لله وللرحم فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم أبو بكرة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فقال ما ترى فقال ثعلب فى جحر ان أقمت عليه أخذته وان تركته لم يضرك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون غدا ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فلما ارتحلوا واستقلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف جماعة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة ثم دخل منها محرما بعمرة فقضى عمرته ثم رجع الى المدينة

(فصل قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم) المدينة من تبوك فى رمضان وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حزة منهم * نجيبا وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه * وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصى عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب
* قال ابن اسحق وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه فقال
ولولا دفاعى يا ابن حرب ومشهدى * لألفيت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت
ضباع عليه أو ضراء كليب
(قال ابن هشام) قوله عليه أو ضراء عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال الحرث بن هشام يجيب أبا سفيان
جزيتهم يوما ببدر كمثله
على سابح ذى ميعة وشبيب
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحا
عليك ولم تحفل مصاب حبيب
انك لو عاينت ما كان منهم
لأبت بقلب ما بقيت نخيب
(قال ابن هشام) وانما أجاب الحرث بن هشام أبا سفيان لانه ظن انه عرض به فى قوله وما زال مهرى مزجر الكلب منهم لفرار الحرث يوم بدر * قال ابن اسحق ثم انزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير انه قال والله لقد رأيتنى انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد ان أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم (قال ابن هشام) الصارخ ازب العقبة يعنى الشيطان * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم ان اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لبنى أبى طلحة حبشى وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره

بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومك انهم قاتلوك وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم وكان فيهم كذلك محببا مطاعا فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله فقيل لعروة ما ترى فى دمك قال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا فأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير وكان فى سن عروة بن مسعود وعرضوا عليه ذلك فابى أن يفعل وخشى أن يصنع به كما صنع بعروة فقال لست بفاعل حتى ترسلوا معى رجالا فاجمعوا أن يرسلوا معه رجلين من الاحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونون ستة فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة فخرج بهم فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة فاشتد ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر فقال أقسمت عليك بالله لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم وأعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده كما يزعمون وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتبوا كتابهم وكان خالد هو الذى كتبه وكانوا لا يأكلون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم فابى عليهم أن يدعها شيأ مسمى وانما يريدون بذلك فيما يظهرون ان يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية ان يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا أوثانهم بايديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كسر أوثانكم بايديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا أمر عليهم عثمان بن أبى العاص وكان من أحدثهم سنا وذلك انه كان من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان فابى ذلك عليه

وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول اللهم هل أعذرت يقول أعذرت فقال حسان بن ثابت فى ذلك

فخرتم باللواء وشر فخر * لواء حين رد الى صواب

جعلتم فخركم فيه بعبد * وألأم من يطا عفر التراب

ظننتم والسفيه له ظنون * وما ان ذاك من أمر الصواب

بأن جلادنا يوم التقينا * بمكة بيعكم حمر العياب

أقر العين أن عصبت يداه * وما ان تعصبان على خضاب

(قال ابن هشام) آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى وأنشدنيه خلف الاحمر

أقر العين أن عصبت يداها * وما ان تعصبان على خضاب

فى أبيات له يعنى امرأته فى غير حديث أحد وتروى الابيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلى * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت فى شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء

اذا عضل سيقت الينا كأنها * جداية شرك معلمات الحواجب

أقمنا لهم طعنا مبيرا منكلا * وحزناهم بالضرب من كل جانب

فلولا لواء الحارثية أصبحوا * يباعون فى الاسواق بيع الجلائب

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات له * قال ابن اسحق وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص * قال ابن اسحق فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج فى وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل فى ذلك ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (قال ابن هشام) وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى

جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله

أبو سفيان فقال ادخل أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذي الهدم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول وقام دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفاس واهالك واهالك فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل الى أبي سفيان مجموع مالها من الذهب والفضة والجزع وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وان لا يجامعاهم على شيء أبدا فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم توليا من شئتما قالا نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالكما أبا سفيان بن حرب فقالا وخالنا أبا سفيان فلما أسلم أهل الطائف سأل أبو مليح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال له قارب بن الاسود وعن الاسود يا رسول الله فاقضه وعروة والاسود أخوان لأب وأم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب بن الاسود يا رسول الله لكن تصل مسلما ذا قرابة يعني نفسه وانما الدين علي وأنا الذي أطلب به فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة والاسود من مال الطاغية ففعل وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يصنع شيأ من ذلك فانه يجلد وينزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ به النبي محمد وان هذا أمر النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله فهذه قصة ثقيف من أولها الى آخرها سقناها كما هي وان تخلل بين غزوها واسلامها غزاة تبوك وغيرها لكن آثرنا أن لا نقطع قصتهم وان ينتظم أولها بآخرها ليقع الكلام على فقه هذه القصة وأحكامها في موضع واحد فنقول فيها من الفقه جواز القتال في الاشهر الحرم ونسخ تحريم ذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة في أواخر شهر رمضان بعد مضي ثمان عشرة ليلة منه والدليل عليه ما رواه أحمد في مسنده حدثنا اسمعيل عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن شداد بن أوس أنه مر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الفتح على رجل يحتجم بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو آخذ بيدي فقال أفطر الحاجم والمحجوم وهذا أصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان وهذا الاسناد على شرط مسلم فقد روى به بعينه ان الله كتب الاحسان على كل شيء وأقام بمكة تسع عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن فقاتلهم وفرغ منهم ثم قصد الطائف فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة في قول ابن اسحق وثمان عشرة ليلة في قول ابن سعد وأربعين ليلة في قول مكحول فاذا تأملت ذلك علمت ان بعض مدة الحصار في ذي القعدة ولا بد ولكن قد يقال لم يبتدئ القتال الا في شوال فلما شرع فيه لم يقطعه الشهر الحرام ولكن من أين لكم انه صلى الله عليه وسلم ابتدأ قتالا في شهر حرام وفرق بين الابتداء والاستدامة

(فصل) ومنها جواز غزو الرجل وأهله معه فان النبي صلى الله عليه وسلم كان معه في هذه الغزوة أم سلمة وزينب * ومنها جواز نصب المنجنيق على الكفار ورميهم به وان أفضى الى قتل من لم يقاتل

صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تصبه النار (قال ابن هشام) وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وذكر يعني عبد العزيز الدراوردي عن اسحق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبي بكر الصديق ان أبا عبيدة ابن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى فكان ساقط الثنيتين * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص

اذا الله جازى معشرا بفعالهم
ونصرهم الرحمن رب المشارق
فأخزاك ربي يا عتيب بن مالك
ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا
فأدميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذي
تصير اليه عند احدى البوائق

(قال ابن هشام) تركنا منها بيتين أقذع فيهما * قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم من رجل يشري لنا نفسه كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن عمرو قال فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الانصار وبعض الناس يقول انما هو عمارة ابن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زيادا أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الانصاري ان أم

سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار وأنا انظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال واذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح الى فرأيت

من النساء والذرية * ومنها جواز قطع شجر الكفار اذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم وهو أنكى فيهم * ومنها ان العبد اذا أبق من المشركين ولحق بالمسلمين صار حرا قال سعيد بن منصور حدثنا يزيد بن هارون عن الحجاج عن مقسم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق العبيد اذا جاؤا قبل مواليهم وروى سعيد بن منصور أيضا قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبد وسيده قضيتين قضى ان العبد اذا خرج من دار الحرب قبل سيده انه حر فان خرج سيده بعده لم يرد عليه وقضى ان السيد اذا خرج قبل العبد ثم خرج العبد رد على سيده وعن الشعبي عن رجل من ثقيف قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد علينا أبا بكرة وكان عبدا لنا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر ثقيفا فأسلم فأبى أن يرده علينا فقال هو طليق الله ثم طليق رسوله فلم يرده علينا قال ابن المنذر وهذا قول كل من يحفظ عنه من أهل العلم

(فصل) ومنها ان الامام اذا حاصر حصنا ولم يفتح عليه ورأى مصلحة المسلمين في الرحيل عنه لم تلزمه مصابرته وجاز له ترك مصابرته وانما تلزمه المصابرة اذا كان فيها مصلحة راجحة على مفسدتها

(فصل) ومنها انه أحرم من الجعرانة بعمرة وكان داخلا الى مكة وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه وأما ما يفعله كثير ممن لا علم عندهم من الخروج من مكة الى الجعرانة ليحرم منها بعمرة ثم يرجع اليها فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه البتة ولا استحبه أحد من أهل العلم وانما يفعله عوام الناس زعموا انه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وغلطوا فانه انما أحرم منها داخلا الى مكة ولم يخرج منها الى الجعرانة ليحرم منها فهذا لون وسنته لون وبالله التوفيق

(فصل ومنها استجابة الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم) دعاءه لثقيف ان يهديهم ويأتي بهم وقد حاربوه وقاتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه وقتلوا رسول رسوله الذي أرسله اليهم يدعوهم الى الله ومع هذا كله فدعا لهم ولم يدع عليهم وهذا من كمال رأفته ورحمته ونصيحته صلوات الله وسلامه عليه

(فصل) ومنها كمال محبة الصديق له وقصده التقرب اليه والتحبب بكل ما يمكنه ولهذا ناشد المغيرة ان يدعه هو يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم وفد الطائف ليكون هو الذي سره وفرحه بذلك وهذا يدل على انه يجوز للرجل ان يسأل أخاه ان يؤثره بقربة من القرب فانه يجوز للرجل ان يؤثر أخاه وقول من قال من الفقهاء لا يجوز الايثار بالقرب لا يصح وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه في بيتها جوار النبي صلى الله عليه وسلم وسألها عمر ذلك فلم تكره له السؤال ولا لها البذل وعلى هذا فاذا سأل الرجل غيره ان يؤثره بمقامه في الصف الاول لم يكن يكره له السؤال ولا لذلك البذل ونظائره ومن تأمل سيرة الصحابة وجدهم غير كارهين لذلك ولا ممتنعين منه وهل هذا الا كرم وسخاء وايثار على النفس بما هو أعظم محبوباتها تفريحا لأخيه المسلم وتعظيما لقدره واجابة له الى ما سأله وترغيبا له في الخير وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحا على ثواب تلك القربة فيكون المؤثر بها ممن تاجر فبذل قربة وأخذ أضعافها وعلى هذا فلا يمتنع ان يؤثر صاحب الماء بمائه ان يتوضأ به ويتيمم هو اذا كان لا بد من تيمم أحدهما فآثر أخاه وحاز فضيلة الايثار وفضيلة الطهر بالتراب ولا يمنع هذا كتاب ولا سنة ولا مكارم أخلاق وعلى هذا فاذا اشتد العطش بجماعة وعاينوا التلف ومع

على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان * قال ابن اسحق وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما * قال ابن اسحق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تصنعون بالحياة بعده فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك * قال ابن اسحق فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما

بعضهم ما فاآثر به على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جائزا ولم يقل انه قاتل لنفسه ولا انه فعل محرما بل هذا غاية الجود والسخاء كما قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة فى فتوح الشام وعد ذلك من مناقبهم وفضائلهم وهل اهداء القرب المجمع عليها والمتنازع فيها الى الميت الا ايثار بثوابها وهو عين الايثار بالقرب فاى فرق بين أن يؤثره بفعلها ليحرز ثوابها وبين أن يعمل ثم يؤثره بثوابها وبالله التوفيق

(فصل) ومنها انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها شعائر الكفر والشرك وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله والاحجار التى تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز ابقاء شئ منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى أو أعظم شركا عندها وبها والله المستعان ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد انها تخلق وترزق وتميت وتحيى وانما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ونشأ فى ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الامر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولاهل الشرك والبدع مجاهدين الى ان يرث الله سبحانه الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(فصل) ومنها جواز صرف الامام الاموال التى تصير الى هذه المشاهد والطواغيت فى الجهاد ومصالح المسلمين فيجوز للامام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التى تساق اليها كلها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الاسلام كما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم أموال اللات وأعطاها لابى سفيان يتألفه بها وقضى منها دين عروة والاسود وكذلك يجب عليه ان يهدم هذه المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا وله ان يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين وكذلك الحكم فى أوقافها فان وقفها فالوقف عليها باطل وهو مال ضائع فيصرف فى مصالح المسلمين فان الوقف لا يصح الا فى قربة وطاعة لله ورسوله فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويحج اليه ويعبد من دون الله ويتخذ وثنا من دونه وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الاسلام ومن اتبع سبيلهم

(فصل) ومنها ان وادى وج وهو واد بالطائف حرم يحرم صيده وقطع شجره وقد اختلف الفقهاء فى ذلك والجمهور قالوا ليس فى البقاع حرم الا مكة والمدينة وأبو حنيفة رحمه الله خالفهم فى حرم المدينة وقال الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين أحدهما هو الذى تقدم والثانى حديث عروة بن الزبير عن أبيه الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام أحمد وأبو داود وهذا الحديث يعرف لمحمد بن عبد

عرفه الا أخته عرفته ببنانه (قال ابن هشام) حدثنى بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها فى رجله فعرج * قال ابن اسحق وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنصت * قال ابن اسحق فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان الله عليهم والحرث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبى ابن خلف وهو يقول أى محمد لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة يقول بعض القوم فيما ذكر لى فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض بها (قال ابن هشام) الشعراء ذباب له لدغ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا (قال ابن هشام) تدأدأ يقول تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج * قال ابن اسحق وكان أبى بن خلف كما حدثنى صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلنى والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من باس قال انه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة * قال ابن اسحق فقال حسان بن ثابت فى ذلك

الله بن انسان عن أبيه عن عروة قال البخاري في تاريخه لا يتابع عليه قلت وفي سماع عروة من أبيه نظر وان كان قد رآه والله أعلم

(فصل) ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ودخلت سنة تسع بعث المصدقين يأخذون الصدقات من الاعراب قال ابن سعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدقين قالوا لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن الى بني تميم و بعث يزيد بن الحصين الى أسلم وغفار و بعث عباد بن بشير الاشهلي الى سليم ومزينة و بعث رافع بن مكيث الى جهينة و بعث عمرو بن العاص الى بني فزارة و بعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب و بعث بشر بن سفيان الى بني كعب و بعث ابن اللتبية الازدي الى بني ذبيان وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدقين أن يأخذوا العفو منهم و يتوقوا كرائم أموالهم قيل ولما قدم ابن اللتبية حاسبه وكان في هذا حجة على محاسبة العمال والامناء فان ظهرت خيانتهم عزلهم وولى أمينا قال ابن اسحق و بعث المهاجر بن أبي أمية الى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها و بعث زياد ابن لبيد الى حضرموت و بعث عدي بن حاتم الى طي و بني أسد و بعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وفرق صدقات بني سعد على رجلين فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية وقيس بن عاصم على ناحية و بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين و بعث عليا رضي الله عنه الى نجران ليجمع صدقاتهم و يقدم عليه بجزيتهم

(فصل) في السرايا والبعوث في سنة تسع ذكر سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وذلك في المحرم من هذه السنة بعثه اليهم في سرية ليغزو وهم في خمسين فارسا ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل و يكمن النهار فهجم عليهم في صحراء وقد سرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولوا وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فساقهم الى المدينة فانزلوا في دار رملة بنت الحرث فقدم فيهم عدة من رؤسائهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورباح بن الحرث فلما رأوا نساءهم وذراريهم بكوا اليهم فعجلوا فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم وأنزل الله فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي فقام الزبرقان شاعر بني تميم فانشد مفاخرا

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يؤنس القزع
بها ترى الناس تأتينا سراتهم * من كل أرض هويا ثم نصطنع

لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبي يوم بارزه الرسول
أتيت اليه تحمل رم عظم * وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم * أمية اذ يغوث يا عقيل
وتب ابنا ربيعة اذ أطاعا * أبا جهل لامهما الهبول
وأفلت حارث لما شغلنا * بأسر القوم أسرته قليل

(قال ابن هشام) أسرته قبيلته * وقال حسان بن ثابت أيضا في ذلك

ألا من مبلغ عني أبيا
فقد ألقيت في سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد
وتقسم أن قدرت على النذور
تمنيك الاماني من بعيد
وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ
كريم البيت ليس بذي فجور
له فضل على الاحياء طرا
اذا نابت ملمات الامور

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه * قال ابن اسحق فحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص انه كان يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص وان كان ما علمت لسيئ الخلق مبغضا في قومه ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله * قال ابن اسحق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل (قال ابن هشام) كان على تلك الخيل خالد بن الوليد * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغي لهم ان يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب و رهط معه من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل * قال ابن اسحق ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله

فنحر

صلى الله عليه وسلم كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع (قال ابن هشام) وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب (قال ابن هشام) وذكر عمر مولى عفرة ان النبي صلى

الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا * قال ابن اسحق وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم الى (١) المنقى دون الاعوص الى أحد * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت ابن وقش في الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبا لك ما تنتظر فوالله ان بقي لواحد منا من عمره الا ظمء حمار انما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون وأما حسيل ابن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبي فقالوا والله ان عرفناه وصدقوا قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر ابن قتادة ان رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب أصابته جراحة يوم أحد فأتى به الى دار قومه وهو بالموت فاجتمع اليه أهل الدار فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء أبشر يا ابن حاطب بالجنة قال وكان حاطب شيخا قد عسا

(١) قوله المنقى هو جبل والأعوص قرية دون المدينة ببريد كذا بهامش

فنحجر القوم غيظا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حي نفاخرهم * الا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه * فيرجع القوم والاخبار تستمع
انا أبينا ولا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقام شاعر الاسلام حسان بن ثابت فأجابه على البديهة

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم * لا يطمعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع
اذا نصبنا لحي لم ندب لهم * كما يدب الى الوحشية الذرع
نسمو اذا الحرب نالتنا مخالبها * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم * وان أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم في الوغى والموت مكتنف * محلية في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا غضبوا * ولا يكن همك الامر الذي منعوا
فان في حربهم فاترك عداوتهم * شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفاوتت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يوازره * فيما أحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جد بالناس جد القول أو شمعوا

فلما فرغ حسان قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم أسلموا فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم

(فصل) قال ابن اسحق فلما قدم وفد بني تميم دخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئنا لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال نعم قد أذنت لخطيبكم فليقم فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذي جعلنا لو كالذي له الفضل علينا والذي وهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا فلو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكن نستحيي من الاكثار لما أعطانا أقول

* قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا رجل (٨) أتى لا يدرى ممن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر له انه لمن أهل النار قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين

وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر قال بماذا أبشر فوالله ان قاتلت الا عن احساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه

{قتل مخيريق}

* قال ابن اسحق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون قال لما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا مخيريق خير يهود

{أمر الحرث بن سويد بن صامت}

(قال ابن اسحق) وكان الحرث ابن سويد بن صامت منافقا فخرج يوم أحد مع المسلمين فلما التقى الناس عدا على المجذر بن ذياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة فقتلهما ثم لحق بمكة بقريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ليرجع الى قومه فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغني عن ابن عباس كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الى آخر القصة (قال ابن هشام) حدثني من أثق با

لرسول

هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس قم فاجبه فقام فقال الحمد لله الذي السماوات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه وكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه ذوي رحمه أكرم الناس احسابا وأحسنه وجوها وخير الناس فعلا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه في سبيل الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله العظيم للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم ذكر قيام الزبرقان وانشاده وجواب حسان له بالابيات المتقدمة فلما فرغ حسان من قوله قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل لخطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأقوالهم أعلى من أقوالنا ثم أجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسن جوائزهم

(فصل) في ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم وكانت في صفر سنة تسع قال ابن سعد قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم بناحية تبالة وأمره أن يشن الغارة فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضرة فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا وقتل قطبة بن عامر مع من قتل وساقوا النعم والنساء والشاء الى المدينة وفي القصة أنه اجتمع القوم وركبوا في آثارهم فارسل الله سبحانه عليهم سيلا عظيما حال بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والشاء والسبي وهم ينظرون لا يستطيعون أن يعبروا اليهم حتى غابوا عنهم

(فصل) ذكر سرية الضحاك بن سفيان الكلابي الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى بني كلاب وعليهم الضحاك بن سفيان بن عوف الطائي ومعه الاصيد بن سلمة فلقوهم بالزج زج لاوة فدعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم فلحق الاصيد أباه سلمة وسلمة على فرس له في غدير بالزج فدعاه الى الاسلام وأعطاه الامان فسبه وسب دينه فضرب الاصيد عرقوبي فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على الرمح في الماء ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه

(فصل) ذكر سرية علقمة بن مجزز المدلجي الى الحبشة سنة تسع في شهر ربيع الآخر قالوا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراياهم أهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر وقد خاض اليهم البحر فهربوا منه فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهليهم فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمي فأمره على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك

(٨) أتى أي غريب لا يدرى ممن هو

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وقلت فى الصحيحين عن على بن أبى طالب قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فاغضبوه فقال اجمعوا الى حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لى قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا وقال لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف فهذا فيه ان الامير كان من الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أمره وان الغضب حمله على ذلك وقد روى الامام أحمد فى مسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فاما أن يكونا واقعتين أو يكون حديث على هو المحفوظ والله أعلم

(فصل) فى ذكر سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه الى صنم طيئ ليهدمه فى هذه السنة قالوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض الى القلس وهو صنم طيئ ليهدمه فشنوا الغارة على محلة حاتم مع الفجر فهدموه وملؤا أيديهم من السبى والنعم والشاء وفى السبى أخت عدى بن حاتم وهرب عدى الى الشام ووجدوا فى خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدراع فاستعمل على السبى أبو قتادة وعلى الماشية والرقة عبد الله بن عتيك وقسم الغنائم فى الطريق وعزل الصفى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقسم على آل حاتم حتى قدم بهم المدينة قال ابن اسحق قال عدى بن حاتم ما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم منى حين سمعت به صلى الله عليه وسلم وكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا وكنت أسير فى قومى بالمرباع وكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام عربى كان لى وكان راعيا لابلى لا أبالك أعدد لى من ابلى أجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنى ففعل ثم انه أتانى ذات غداة فقال يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد قال فقلت فقرب الى أجمالى فقربها فاحتملت باهلى وولدى ثم قلت ألحق باهل دينى من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضرة فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفنى خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيئ وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى الى الشام فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله غاب الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة فمن على من الله عليك قال من وافدك قالت عدى بن حاتم قال الذى فر من الله ورسوله قالت فمن على قال فلما رجع ورجل الى جنبه ترى انه على قال سليه الحملان قالت فسألته فامر لها به قال عدى فاتتنى أختى فقالت لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها ائته راغبا أو راهبا فقد أتاه فلان فاصاب منه وأتاه فلان فاصاب منه قال عدى فاتيته وهو جالس فى المسجد

من أهل العلم ان الحرث بن سويد قتل المجذر بن ذياد ولم يقتل قيس بن زيد والدليل على ذلك ان ابن اسحق لم يذكره فى قتلى أحد وانما قتل المجذر لان المجذر بن ذياد كان قتل أباه سويدا فى بعض الحروب التى كانت بين الاوس والخزرج وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه اذ خرج الحرث بن سويد من بعض حوائط المدينة وعليه ثوبان مضرجان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فضرب عنقه ويقال بعض الانصار * قال ابن اسحق قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن (١) عمرو ابن سعد بن معاذ عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بنى عبد الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن اسد كيف كان شان الاصيرم قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد بدا له فى الاسلام فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة قال فبينا رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه ما جاء به فقالوا ما جاء بك يا عمرو أحدب على قومك أم رغبة فى الاسلام قال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث ان مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة

(مقتل عمرو بن الجموح وخروجه)

(قال ابن اسحق) وحدثنى

(١) قوله ابن عمرو وفى نسخة ابن عوف

فقال القوم هذا عدي بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت اليه أخذ بيدي وقد كان قبل ذلك قال اني أرجو أن يجعل الله يده في يدي قال فقام لي فلقيته امرأة ومعها صبي فقالا ان لنا اليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما يفرك أيفرك أن تقول لا اله الا الله فهل تعلم من اله سوى الله قال قلت لا قال ثم تكلم ساعة ثم قال انما تفر أن يقال الله أكبر وهل تعلم شيأ أكبر من الله قال قلت لا قال فان اليهود مغضوب عليهم وان النصارى ضالون قال فقلت اني حنيف مسلم قال فرأيت وجهه ينبسط فرحا قال ثم أمرني فنزلت عند رجل من الانصار وجعلت أغشاه آتيه طرفي النهار قال فبينا أنا عنده اذ جاء قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار قال فصلى وقام فحث عليهم ثم قال يا أيها الناس ارضخوا من الفضل ولو بصاع ولو بنصف صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة فان أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم ألم أجعل لك مالا وولدا فيقول بلى فيقول أين ما قدمت لنفسك فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيأ يقي به وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة فاني لا أخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة ما بين يثرب والحيرة وأكثر ما يخاف على مطيتها السرق قال فجعلت أقول في نفسي فأين لصوص طي

(فصل ذكر قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم) وكانت فيما بين رجوعه من الطائف وغزوة تبوك قال ابن اسحق ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير بن زهير الى أخيه كعب يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا مسلما وان أنت لم تفعل فانج الى نجاتك وكان كعب قد قال

الا أبلغا عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل * على أي شئ غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولا تلفي عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال وبعث بها الى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المأمون صدق والله انه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه فقال أجل قال لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال بجير لكعب

من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان حاضره من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شئ بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى

أبي اسحق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة ان عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له ان الله عز وجل قد عذرك فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني يريدون ان يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله اني لأرجو ان أطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله ان يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد

(أمر هند والمثلة بحمزة رضي الله عنه)

(قال ابن اسحق) ووقعت هند بنت عتبة كما حدثني صالح بن كيسان والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وانفهم خدما وقلائد وأعطت هند خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فذكر لى انه قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس اليه فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير فقال قصيدته اللامية التى يصف فيها محبوبته وناقته التى أولها

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
تمشى الغواة جنابيها وقولهم * انك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله * لا الهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا طريقى لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
نبئت ان رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى باقوال الوشاة ولم * أذنب ولو كثرت فى الاقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به * أرى وأسمع مالم يسمع الفيل
لظل ترعد من خوف بوادره * ان لم يكن من رسول الله تنويل
حتى وضعت يمينى ما أنازعها * فى كف ذى نقمات قوله القيل
لذاك أخوف عندى اذ أكلمه * وقيل انك منسوب ومسؤل
من ضيغم من ليوث الاسد مسكنه * فى بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم من الناس معفور خراديل
اذا يساور قرنا لا يحل له * أن يترك القرن الا وهو مفلول
منه تظل سباع الجو نافرة * ولا تمشى بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة * مطرح البز والدرسان مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل
شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كأنها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
لا يقع الطعن الا فى نحورهم * ومالهم عن حياض الموت تهليل

قال ابن اسحق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما يعنى معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد ان أسلم يمدح الانصار قصيدته التى يقول فيها

مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر
يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر
(١) ملهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى
حمزة ليثى وعلى صقرى
اذ رام شيب وأبوك غدرى
فخضبا منه ضواحى النحر
* ونذرك السوء فشر نذر *

(قال ابن هشام) تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها * قال ابن اسحق وقالت هند بنت عتبة أيضا

شفيت من حمزة نفسى بأحد
حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد

(١) قوله ملهاشميين أى من الهاشميين

بين الورى [illegible] كرم الحياة فلا [illegible] يسلى الايسار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار

[illegible] نفوسهم لنبيهم [illegible] الهياج وفتنة الجبار

والذائدين الناس عن أديانهم * بالمشرفى وبالقنا الخطار

والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار

يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار

واذا حلت ليمنعوك اليهم * أصبحت عند معاقل الاعمار

قوم اذا خفت النجوم فانهم * للطارقين النازلين مقارى

وكعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة ومما يستحسن لكعب قوله

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر

ومما يستحسن له أيضا قوله فى النبى صلى الله عليه وسلم

تخدى به الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم

ففى عطافيه وأثناء بردته * ما يعلم الله من دين ومن كرم

(تم الجزء الاول من زاد المعاد ويليه الجزء الثانى أوله غزوة تبوك)

والحرب تعلو كم بشؤبوب برد

نقدم اقداما عليكم كالاسد

(قال ابن اسحق) حدثنى صالح بن كيسان انه حدث ان عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت يا ابن الفريعة (قال ابن هشام) الفريعة بنت خالد بن خنيس ويقال خنبس ابن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة ابن كعب بن الخزرج لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة قال له حسان والله انى لانظر الى الحربة تهوى وأنا على رأس فارع يعنى أطمه فقلت والله ان هذه لسلاح ما هى من سلاح العرب وكأنها انما تهوى الى حمزة ولا أدرى ولكن أسمعنى بعض قولها أكفيكموها قال فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت فقال حسان بن ثابت

أشرت لكاع وكان عادتها

لؤما اذا أشرت مع الكفر

(قال ابن هشام) وهذا البيت فى أبيات له تركناها وأبياتا أيضا له على الدال وأبياتا أخر على الذال لانه أقذع فيها